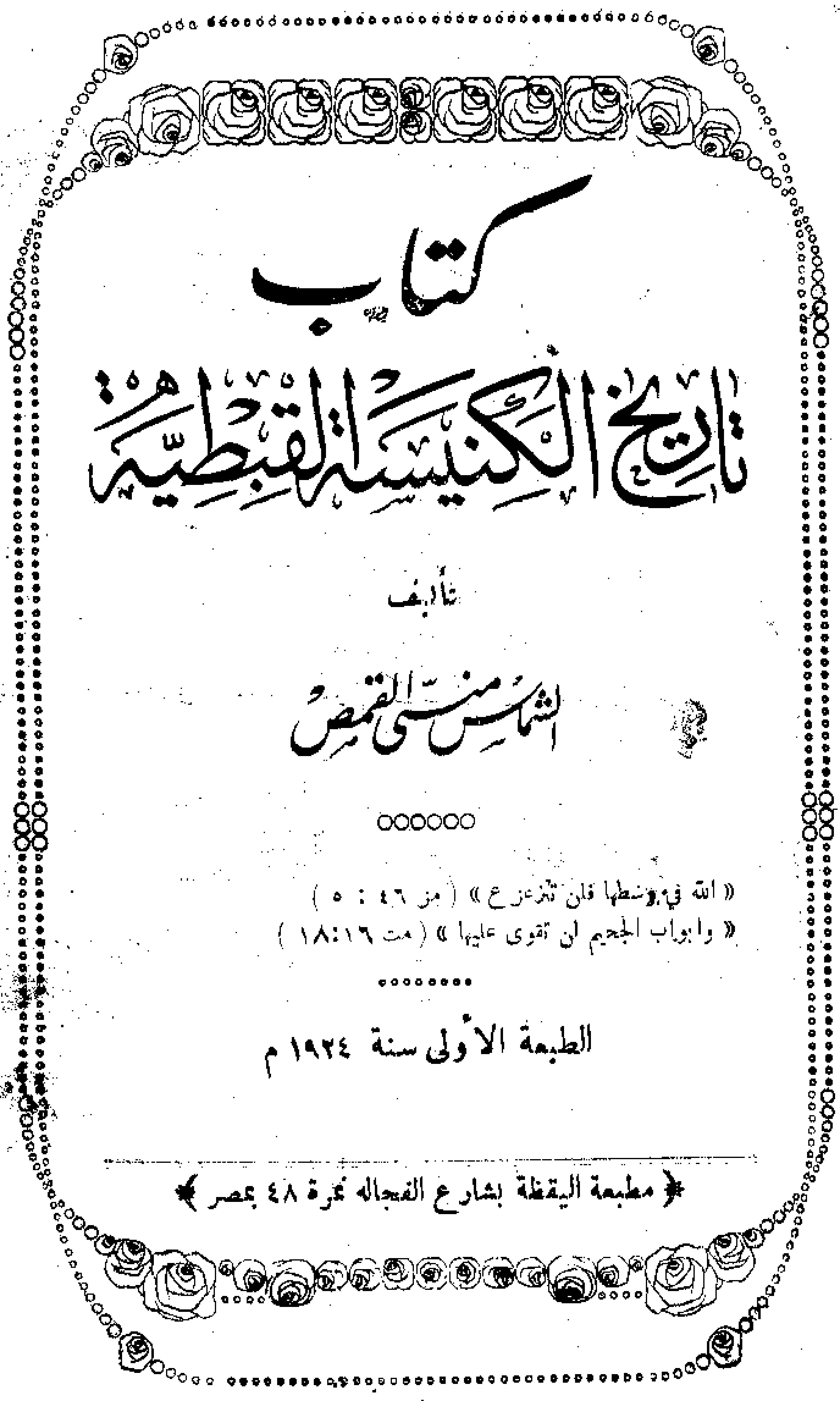


كتاب
تاريخ الكنيسة القبطية

تأليف

الشماس منسى القمص

« الله في وسطها فلن تتزعزع » (مز ٤٦ : ٥)
« وابواب الجحيم لن تقوى عليها » (مت ١٦ : ١٨)

الطبعة الأولى سنة ١٩٢٤ م

﴿ مطبعة اليقظة بشارع الفجاله نمرة ٤٨ بمصر ﴾

القرن الاول للميلاد

فجر المسيحية في مصر

القسم الاول

مجيء السيد المسيح الى مصر

ان الله تعالى اظهر غيظه فى كثير من الاوقات على مصر فضربها مرة بالضربات العشر وبعد ذلك توعدها على ألسنة انبيائه بانواع عقوبات شديدة غير انه سبحانه لم يشأ ان يغلق باب رحمته فى وجوه المصريين فجهز لهم بركات عظمى وعينة وانبأ بفم هوشع نبيه قائلا « من مصر دعوت ابني » (هو ١١ : ١) ومع ان هذا القول كان اولا اشارة الى اخراج شعب اسرائيل من مصر ولكنه صار اشارة رمزية الى السيد المسيح لما هرب من وجه هيرودس ملتجئاً الى مصر كما اشار الانجيلى متى (٢ : ١٥) وكان بقاء ذلك الشعب مدة فى مصر رمزاً الى مكث المسيح هناك. الا ان الارض التى كانت لليهود ارض تنهد وعبودية صارت لملك اليهود المولود جديدا ارض ملجأ وراحة

ان الله قد أراد ان يهرب ابنه الى مصر ليعطى المصريين عربون المصالحة العتيدة بعد ان انزل بهم الضربات العديدة . وكانت مصر ملجأ لاعظم رجال الله كابرهيم ويعقوب ويوسف وارميا مرارا كثيرة . ولئن كانت قد ضربت باللعنة الا انها تقدست بوطيء قدمى المسيح

ويقول البعض بان مجيء المخلص الى مصر كان اتماماً لما جاء باش ١٩ : ١ حيث قيل « هو ذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم الى مصر فترتجف اوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها » . وقد انبأ الله في خاتمة ذلك الاصحاح برجوع المصريين اليه بقوله « ويضرب الرب مصر ضارباً فشافياً

فيرجعون الى الرب فيستجيب لهم ويشفيهم » (عد ٢٢) وقد تم هذا القول . فقد كانت مصر مملكة مسيحية من القرن الثالث الى السابع ولم يزل فيها بعض المسيحيين من ابناء الكنيسة القديمة الى الآن ونحن بنعمة الله منهم

ولا نعلم كم كان عمر السيد المسيح حين قدومه الى مصر وبعضهم يرتأي انه كان ابن سنتين استناداً على أمر هيرودس بقتل الاطفال من ابن سنتين فادون حسب الزمان الذى تحققه عن الصبي من المجوس (مت ٢ : ١٦) ولكن الزمان الذى تحققه من المجوس لاينسب الى قوله ابن سنتين بل الى قوله « ما دون » لان هيرودس امر بقتل الاطفال من ابن سنتين لمزيد الاحتراس على قتل المخلص كما زاد على مدينة بيت لحم « كل تخومها » حتي لا ينجو المسيح بطريقة من الطرق



(العائلة المقدسة تهرب الى مصر)

ولكن الارجح بل المعلوم لنا ان المسيح لم يكن عمره اذ ذاك يزيد عن الثلاثة اشهر لان المسيح ولد سنة ٣٤٩ لبناء مدينة رومية حسب رأى افضل المحققين وهيرودس كما دوّن يوسيفوس المؤرخ مات سنة ٣٥٠ لبناء رومية فتكون المدة بين ولادة المسيح وموت هيرودس سنة واحدة ويكون المسيح قد هرب الي مصر وسنه ثلاثة أشهر واستمر بها سبعة اشهر وفي نهايتها بلغه موت هيرودس

ولا يمكن ان يكون المخلص قد ذهب الى مصر قبل مرور ثلاثة أشهر على ميلاده أو عقب ولادته بقليل كما ذهب البعض بدليل عدم خوف يوسف البار والسيدة العذراء من الذهاب الى اورشليم وتقدمة الرب علانية فى الهيكل بعد مولده باربعين يوماً . ولو كان سجود المجوس وتخبيرهم لهيرودس على اثر ميلاده لقتله هيرودس ولم يجسرا ان يذهبا به الى الهيكل (راجع لو ٢ : ٢٢و٢٣ ولا١٢ : ١)

اما العائلة المقدسة فأتت من بيت لحم الى مصر عن طريق الصحراء باجتياز القنطرة. ولا نعلم ايضا كيف تمكنت العائلة المقدسة من استحضار النفقة اللازمة للسفر والاقامة في مصر ولكن يفهم انه كان عندهم الذهب الذى اهداه المجوس اليهم . وان يوسف كان نجاراً ماهرا مجتهداً وكان يستطيع ان يدأب فى صناعته لتقديم حاجات العائلة ويؤخذ من التواريخ الكنسية ان السيد جاء الى مصر مع والدته ويوسف النجار وسالومة عن طريق صحراء سيناء . ودخلوها من جهة الفرمة (الجهة الواقعة بين بورسعيد والعريش) ومنها أتوا الى مدينة بسطة (١) فلم يقبلهم أهلها فنزلوا بظاهرها اياما ثم ساروا منها الى مدينة سمنود ومن هناك عبروا النيل الى اقليم الغربية واجتازوا غربا بجبل النطرون ببرية شيهات (٢) فباركته أم النور . ثم ساروا الى مدينة الاشمونين (٣) ودخلوها وهم لا يعلمون لهم مأوى فاقاموا فيها أياماً . قال بعضهم : ظهرت على يد المخلص في الاشمونين آية وهى ان خمسة جمال زاحمتهم في مرورهم فصرخ فيهم المسيح فصاروا حجارة . ثم انهم ساروا من الاشمونين واقاموا بقرب قرية تسمى منليس اياماً ثم مضوا الى القوصية فطردهم اهلها فمضوا الى قرية ميرة (الآن مير) غربي القوصية ومنها قصدوا جبل قسقام الكائن به دير السيدة العذراء الشهير بالمحرق . وحينئذ مات هيرودس بالشام فظهر ملاك الرب ليوسف فعاد بمن معه من ميرة الى مصر ونزل في بابليون في المغارة الكائنة بدير القديس سرجيوس (ابو سرجه) بمصر القديمة ثم رحلت الأسرة المقدسة الى المطرية واغتسل افرادها هناك من عين ماء فتباركت وتقدست

---

(١) الآن تل قديم هو بقايا المدينة يعرف بتل بسطة بجوار الزقازيق (٢) سمي كذلك لوجود النطرون والبردي فيه بكثرة وشيهات كلمة قبطية معناها « ميزان القلوب » وهي مركبة من شي ميزان او كيل و (هيت) قلب . ويسمى ايضا اسقيط وبالقبطية (أباسكيطيس) ومعناه دار النساك . ويطلق عليه ايضا لقب وادي هبيب وهو شيخ قبيلة عربية نزلت وسكنت فى ذلك الوادى (٣) بالقبطي اشمون الرمان كما يسميها العرب تماما

من تلك الساعة . قيل ان العذراء قد غسلت من ذلك الماء ثياب المسيح وكانت قد اتسخت وصبت غسالتها بتلك الاراضي فانبتت بلسانا وكان لذلك الوقت لا ينبت البلسان الا بارض فلسطين فانقطع من هناك وبقي فى هـذا المكان كثر الماء بالبئر التي هناك حيث سال عليها الماء الذي غسلت منه العذراء . وبكثرة البلسم الموجودة الى اليوم يقال انها نبتت بقرب العين ومن دهنها كانوا يصنعون الميرون المقدس ويكرسون الكنائس واوانيها

والمحقق من كل ذلك قدومه الى مدينة بابيلون بالقرب من هليو بوليس (عين شمس) وقال المؤرخون ان الاسرى البابليين الذين أسرهم رمسيس الاكبر من آسيا احتلوا قلعة (هايندين) على شاطىء النيل تجاه مدينة منف[1] وبنوا هناك مدينـة دعوها (البابليون) او بابل على اسم عاصمة بلادهم . وسبب قدوم المخلص الى هذا المكان معلوم وهو انه كان فيه في ذلك الوقت هيكل مشهور لليهود اسمه هيكل (يانوس) شبيه بهيكل اورشليم بني نحو سنة ١٦٠ ق . م وكان حوله كثير من اليهود . وباعتبار أن المخلص أتى أولا لاجل اليهود ليرد خراف بيت اسرائيل الضالة اختار مقره في مصر الموضع الذي يكثر فيه بنو جنسه ولعل السبب ان يوسف كان له اقارب أو أصحاب ببابيليون فسكن حيث كانوا

وقد روت التواريخ قصصا غريبة عما حدث حيث دخل المسيح الى مصر اهمها ان أبويه لجأا به الى هيكل فيـه أصنام للآلهة فلما دخل يسوع سقطت الاصنام كلها أمامه وهذا رمز الى فاعلية قوة ابن الله

ومن أهم آثار زيارة المسيح لمصر الباقية للآن (١) المغارة التي نزلت بها السيدة العذراء مع ابنها وخطيبها وهي الآن بكنيسة ابي سرجة بمصر القديمة [2] (٢) النبع الموجود بقرب المطرية الى جنوبي أطلال عين شمس القديمة (٣) الشجرة المشهورة باسم شجرة العـذراء بالمطرية التي يعتقد فيها الوطنيون والاجانب معاً

---

(١) هي الآن خربة وكانت قائمة خلف الجيزة

(٢) كنيسة ابي سرجة قيل انها بنيت في عهد الرسل وهي اقدم الكنائس المصرية اما الكنيسة التي تملوها فطلب اذنا ببنائها من عهد العزيز والى موفق عهد الدولة الاموية اثناس كبير القبط حينئذ فبنى بقصر الشمع «اسم يطلقه العرب على بابليون» كنيستي ابي سرجة وابي كبر في اول القرن الثامن لما تهدمتا فيهما بعد رممها ابن السرور يوحنا بن يوسف المعروف بابن الابح كاتب سر الخليفة المستنصر الفاطمي سنة ٧٨٩ ش

وهذه الحقائق ليست من معتقدات الكنيسة القبطية فقط بل يوجد عند الغربيين ما يؤيدها فيوجد اليوم فى المتحف البريطانى بلندن صورة معروفة بسنة الرب تمثل احتفالا كبيرا كان يقيمه المصريون لآلهتهم حتى السنة الاولى للميلاد وكان ذلك شائعا في مصر شيوعا كبيرا وترتيبه ان يسير المغنون



(العائلة المقدسة من منظر لها فى كنيسة بالمطرية)

فالضاربون على الاعواد وبينهم فتيات حسنات الوجوه والقوام يضربن بالطبول والدفوف ويتقدم هذا الموكب الآلهه ايزيس محمولة على أكف الشرف والفخار حاملة ابنها هوروس على ركبتيها وحين مرور الآلهه يأتي الناس بمرضاهم على جانبي الطريق اعتقادا بنيلهم الشفاء

وفي وسط الصورة الممثلة لذلك يرى الناظر ركبا حقيرا قد انزوى جانبا ليفتح الطريق لموكب الآلهة المذكورة . وهذا الركب مؤلف من امرأة متواضعة فقيرة وطفلها راكبين حماراً أنهكه التعب وخلفه رجل ريفي يسير راجلا وقد أضناه الكلال وطول الشقة

ومعلوم ان المصور قصد ايضاح الفرق بين الركبين في ظاهرهما وخافيهما لانه بينما نرى أن أبهة الأول قد بادت بانقراض عبادة الاصنام في مصر ودالت عظمة الملك بقى اسم الطفل ويبقى الى الابد فى مصر وغيرها من الامصار

أما مدة بقاء المسيح في مصر فالمحقق عندنا انه استمر سبعة أشهر لغاية موت هيرودوس اما اذا كان قد بقي بعد موت هيرودس بمصر فهذا لا نعلمه. والمقول فى هذا الشأن كثير فبعضهم يظنون انه مكث سنتين وغيرهم اربعة وآخرون ستة والله أعلم

فلننظر ونتعجب لأن مصر الوثنية حمت المسيح والارض المسكر وهة منه صارت له ملجأ . ولا ريب ان مجيء السيد المسيح الى مصر كان فاتحة سعادة لهذه البلاد لان المكان الذي يتشرف بحلول ابن الله فيه يمتليء خيراً وبركة ولنعلم ان رحلة السيد المسيح الى مصر قد أعدت قلوب المصريين وهيأتها للاذعان لكلمة الله فى القريب للبشارة على يد مارمرقس الانجيلي والرسول وقبول شريعة الكمال رسميا . ولا يبعد ان تكون الالسنة قد تناقلت آيات السيد المسيح المقدسة وعجائبه الخارقة للطبيعة خصوصا وان تجاور القطرين المصري والسوري وسهولة المواصلات التجارية بينهما مما يحملنا على الاعتقاد بان اخبار السيد المسيح كانت قد وصلت آذان المصريين وقوت فيهم قابلية الاستعداد للخلاص

وقد ذهب البعض الى ان الدين المسيحى دخل الثغر الاسكندرى قبل ان يكرز به مرقس الرسول . اولا بداعى قرب المكان من بلاد فلسطين وقد كان يوجد فيه احياء لليهود وعلاقتهم متصلة دائما مع يهود بيت المقدس. وثانيا بدليل ان لوقا الانجيلي كتب انجيله الى احد اشراف الاسكندرية المدعو ثاوفيلس. ثالثا

لان بعض الذين آمنوا بواسطة كرازة بطرس يوم الخمسين كانوا من مصر (اع ٢ : ١٠) وعلى كل حال فلم تقم للمسيحية قائمة ولم تعرف جيدا بمصر الا بعد ان وافى الرسول مرقس اليها . ومن ذلك الوقت اصبحت مصر ملكا لابن الله محمية من كل خطر برعايته فهو يكلأها بعينه التي لا تنام الى ما شاء الله ولا يتخلى عنها الى الابد. ولا بد ان ينجز مواعيده فتصبح مصر باسرها للرب

القسم الثانى

تاريخ البطاركة

(١) مرقس الرسول (٢) انيانوس (٣) ميليوس (٤) كرذونوس

(١) مار مرقس الرسول . ولد هذا القديس من ابوين يهوديي الاصل استوطنا فى بلدة تسمى (ايرياتولوس) باقاليم المدن الخمس الغربية (بنتابوليس) من شمالى قارة افريقيا [١] ويدعى ابوه ارسطوبولوس قيل انه ابن عم زوجة بطرس واخو توما الرسولين وقيل انه كان لاويا وكاهنا ولكن هذا لم يثبت وامه مريم كانت اخت برنابا الرسول كما هو واضح من (كو ٤ : ١٠) وكان ابواه على جانب عظيم من التقوى والورع متمسكين بشريعة آبائهما واجدادهما . ويقال انهما كانا من ذوى اليسار فسطت عليهما بعض قبائل البدو الرحل ونهبت اموالهما وامتعتهما

[١] الخمس المدن الغربية واقعة فى الجزء الشرقى من طرابلس الغرب المتاخم الآن لمصر . وتسمى باليونانية بنتابوليس. وقد تأسست سنة ٦٣٠ ق . م بواسطة جماعة التريان وهى «١» قيروان وهى الآن خربة وتبعد ١٥ كيلو مترا عن مرسى سون «٢» برنيقة والان بنى غازي على خليج سدره «٣» سوزوسا وكان اسمها ابولونى والآن اسمها مرسى سوزوسا «٤» درنه وكان اسمها ارسينو «٥» بطولمايس وتسمى الآن طولميت بقرب اطلال برقة. ويذكرها ابن كبر المؤرخ القبطي فى كتابه «السلم الكبير» هكذا «برقة . تونس . طرابلس . القيروان افريقية»

حتى اصبحا معدمين واصابهما الفقر المدقع واضطرهما ذلك الى هجر المدينة فقصدا فلسطين موطن آبائهما واقاما زمانا بالقرب من اورشليم . وكان هذا الرحيل قبيل ولادة مار مرقس او بعد ولادته بقليل

نشأ مار مرقس في فلسطين مركز اعلان بشارة خلاص العالم . ويرجح انه آمن بالمسيح على يد بطرس الرسول لانه كان يدعوه ابنه (١ بط ٥ : ١٣) ولما كان بطرس الرسول قريبا لمار مرقس كما سلف اقتدى هذا به على اثر ايمان ذاك بالمخلص . وكان مار مرقس مماثلا لمار بطرس فى الغيرة والحمية على مجد الرب وخلاص النفوس وكان اول ثمر تعبه في خدمة فاديه جذب والده الى الايمان لانه كان يهوديا غير مؤمن بالمسيح وذلك انه بينما كان وابوه سائرين في طريقهما الى جهة الاردن اذ قابلهما اسد ولبوءة يزأران بصوت مخيف . فخالج قلب ابيه الخوف ولم يشأ حنوه الابوى الا ان يوعز اليه ان يلوذ بالفرار وينجو بنفسه مستعدا لتقديم ذاته الى الوحشين رغبة في خلاص ابنه . الا ان القديس طمأن والده وهو موقن بان السيد المسيح سيخلصهما من هذه الضيقة . ثم رفع عينيه نحو السماء وصرخ بحرارة الى السيد المسيح قائلا له « يا ابن الله الحى الذى نؤمن به نجنا من هذه البلية وانقذنا من شر هذين الوحشين الكاسرين » وما لبث ان التفت حوله فوجد الاسدين وقد انطرحا على الارض لا حراك فيهما . فشكر الرب على هذه العناية وربح اباه الى جانب المسيح لانه عندما رأى فاعلية ايمان ابنه آمن بالمخلص ومجد اسمه القدوس

ولما اختار السيد المسيح سبعين رسولا ليرسلهم امام وجهه الى كل موضع حيث كان هو مزمعا ان يأتي انتخب بينهم مار مرقس وكان يلقب (بالثاوفوروس) اى حامل الاله . وكان لهذا الرسول اسمان فسمى « يوحنا» وهو اسمه اليهودى وسمى « مرقس » وهو اسمه اليوناني . وكان منزل والدته محط رحال التلاميذ ومقر اجتماعهم للعبادة وفيه كانوا يصلون لاجل خلاص الرسول بطرس من السجن ولما أطلق أتى اليه (اع ١٢ : ١٢ و ٢٥) ويظن ان بيته كان معروفا فى زمن السيد المسيح ايضا . والبعض يقولون ان المخلص لما ارسل اثنين من تلاميذه وقال لهما اذهبا الى المدينة فيلاقيكما انسان حامل جرة ماء فاتبعاه (مر ١٤ : ١٤) كان يقصد مار مرقس . وقالوا انه هو الشاب الذى كان لابسا ازارا على عريه

ليلة موت المخلص ولما تبعه وامسكه الشبان ترك الازار وهرب منهم عريانا (مر١٤: ١٥) وقد رجحوا ذلك لانفراده بكتابة هذين الخبرين ولم يكتب حادثة الجرة الا لوقا ويظهر انه سمعها منه . وقال الانبا ساويرس المؤرخ اسقف الاشمونين « انه كان من جملة الخدام الذين استقوا الماء الذي صيره سيدنا خمرا في عرس قانا الجليل »أه. وكان هذا الرسول أيضا يأوى التلاميذ في بيته في زمان آلام المسيح وبعد قيامته من الاموات حيث دخل عليهم والابواب مغلقة

وفى خدمة التبشير كان هذا الرسول رفيقا لبولس وبرنابا (اع ١٢ : ٢٥) ولكنه تركهما فى برجة ورجع (أع ١٣ : ٢٥) ولما اراد برنابا أن يأخذه معهما فى السفر الثاني للتبشير لم يستحسن بولس ذلك لانه تركهما في برجة في السفر الاول فاختلفا في امره وانتهى الامر بانفصالهما فأخذ برنابا مرقس معه الي قبرس سنة ٤٩ م

وبعد هذا التاريخ بثلاث عشرة سنة اظهر بولس لاهل كولوسى رضاه عنه وتحقق امانته حيث قال لهم « ومرقس ابن اخت برنابا الذى اخذتم لاجله وصايا ان أتى اليكم فاقبلوه » (كو ٤ : ١٠) وفى هذه الآية اشارة الى عزم مرقس على الذهاب الى كولوسى وحده للكرازة . ويتضح من رسالة فليمون انه في ذلك الوقت كان شريكا للرسول بولس في اتعابه برومية (فل ٢٤) وكان مع تيموثاوس فى افسس حين كتب بولس الى تيموثاوس رسالته الثانية بين سنة (٦٧ و٦٨) ورغب ان يأتى به اليه بدليل قوله « خذ مرقس واحضره معك لانه نافع لي للخدمة» (٢ تي ٤ : ١١)

اما علاقته ببطرس الرسول فلم يرو عنها خبر صحيح الا ما كتبه هذا الرسول في رسالته الاولى بين سنة ٦٣ و٦٧ م وهو قوله « تسلم عليكم التي في بابل المختارة ومرقس ابنى » (١ بط ٥ : ١٣) وقد اختلف المفسرون فى اى بابل يعنى الرسول . فقال قوم وهم الغربيون انه يقصد بابل رومية لكي يثبتوا ادعاءهم ان بطرس كان اسقفاً على رومية ودليلهم اطلاق صاحب الرؤيا لقب بابل على رومية (رؤ ١٤ : ٨) لانها كانت تشبه بابل القديمة فى فسادها ولكن لا دليل على ان رومية كانت تعرف وقتئذ بهذا الاسم المجازى لان سفر الرؤيا كتب بعد موت الرسول بطرس بثلاثين سنة وقيل ايضا ان المشار اليها هى بابل اشور ولكنها كانت حينئذ قرية صغيرة ضاع مجدها السابق فليس هناك ما يلجيء بطرس الي الذهاب اليها

وجعلها مركزا يكتب منه رسائله ولكن الصحيح انها كانت « بابليون » مصر القريبة من عين شمس لانها كانت فى ذلك الوقت بلدة آهلة بالسكان فضلا عن انه كان فيها هيكل اليهود المشهور وعدد عظيم منهم وباعتبار ان بطرس كان رسولا للختان لا سيما بين المتشتتين لا بد له من تبشير يهود ذلك المكان . ومما يزيد المسئلة ايضاحا ذكره لمرقس الرسول عقب ذكره لبابل (عد١٣) ومعلوم لنا أن مصر كانت مركزاً لمار مرقس فيكون بطرس فى ذلك الحين مقيما هنالك حيث كتب رسالته

اما الغربيون فيدعون بان مرقس ذهب الى رومية وهناك رسمه بطرس اسقفا وارسله للتبشير في اكويلا من اعمال البندقية بايطاليا ولما رجع الى رومية لم يجد الرسول بطرس فطلب اليه المؤمنون ان يدون لهم اخبار السيد المسيح كما سمعوها من فم الرسول بطرس فدون انجيله باللاتينية ولما حضر الرسول بطرس الى رومية اطلع عليه وأعجب به وأمره ان يذهب الى مصر سنة ٥٨ م فنقل انجيله الى اللغة اليونانية لينشره بين المصريين

والخلط ظاهر فى هذا الكلام لانه يتضح لمن يطالع العهد الجديد ان علاقة مرقس كانت متصلة ببولس اكثر منها ببطرس . اما وجود بطرس ومرقس فى بابل مصر فسببه أن مرقس بعد ان بشر فى انطاكية وقبرس ورومية واكويلا وخدم هناك خدمات جليلة يمم افريقيا فجاء اولا الى مسقط رأسه فى الخمس المدنْ قصداً في اجتذاب اهلها الى الايمان ومن ثم قصد الديار المصرية سنة ٥٥م لنشر بشارة الخلاص في انحائها وهناك كتب انجيله في سنة ٦١ م . قال القديس يوحنا فم الذهب « ان انجيل القديس مرقس قد كتب في مصر (١)

واتفق ان بطرس الرسول اتى مصر لتبشير اليهود المتشتتين فيها كما هى خدمته فتقابل معه مرقس فى مدينة بابيليون التى فيها حرر رسالته الاولى وذكر مرقس لوجوده معه فى ذلك الحين . وسبب تسميته بابنه ليس أنه كان خاضعا له في الكرازة بل هو انه عرف المسيح بواسطته كما ذكر آنفا راجع (١ كو ٤ : ١٥ و ١٦)

قالوا ان مرقس كتب انجيله بمناظرة بطرس وارشاده واستدلوا على ذلك

---

(١) ميمره على انجيل متى ١ : ٣

بأمورين (١) لانه لا يستطيع ان يستقى هذه الاخبار الا من أحد الرسل الاثنى عشر (٢) لان الانجيل خال من كل ما من شأنه ان يعود بالتعظيم على بطرس أما من جهة الامر الاول فان مرقس كما تعلم كان من السبعين تلميذا وكانت له علاقة بأغلب الرسل المقربين فلا شك انه اخذ هذه الاخبار عنهم كما أخذ عنهم لوقا أيضا فضلا عما هو معلوم من ان بيته كان مقراً لكثير من اعمال المسيح ورسله . واما عن الامر الثاني فلا يبعد ان بطرس حينما قابل مرقس بمصر اطلعه على انجيله فأشار عليه من باب التواضع ان يرفع منه كل ما يعود عليه بالتمجيد فأجابه مرقس الى طلبه لما رأى فيه من الصواب

جاء مرقس الى الديار المصرية في مدة اوثون قيصر فى وقت كانت فيه مشحونة بالاهالى عامرة بالسكان يبلغ عدد من فيها من النفوس اثني عشر مليوناً وقيل بل عشرين مليوناً

واتخذ مار مرقس الاسكندرية مقراً لخدمته لانها كانت حينئذ تجمع اجناسا مختلفة من مصريين وحبش ونوبيين ويهود ويونانيين وغيرهم وكانت قصبة ولاية مصر ومركزا مهماً للتجارة ومكانا آهلا بالعلم والعرفان وكانت تعتبر المدينة الثانية بعد رومية وكان فيها حيان لليهود من خمسة احياء . وقبل ان يدخل الرسول المدينة صلى الى الله لكى يدرعه بالاسلحة الروحية اللازمة لمثل ذلك الجهاد الذى كان مزمعا ان يدخل فى ميدانه

ولما دخل المدينة جعل يطوف في جميع شوارعها ليفتقد احوالها حتى تقطع حذاؤه وكان ذلك فاتحة خير لاعماله المجيدة ودبرت العناية الالهية ان يعرج على اسكافي بالسوق يدعى « انيانوس » ليرتق له الحذاء . وبينما كان الاسكافي يشتغل اذ دخل المخراز في يده فأدماها ولشدة الالم صاح قائلا « ايوس ثاؤس » الذى تأويله « الاله الواحد » وهذا دليل على تمسك المصريين بعبادة الاله الواحد من قديم الزمان . فسأله القديس كيف يعرف الله فلم يحر جوابا يؤيد ادراكه لما فاه به فطلب الرسول من اجله بحرارة وتفل على الارض واخذ جزءاً من الطين ووضع على الجرح وقال « بسم الآب والابن والروح القدس الى الابد ان تشفى يد هذا الانسان » فالتأم الجرح في الحال

ثم ابتدأ الرسول يكرز للاسكافى بشارة الخلاص وكانت كيفية شفائه جملته يصغى جيدا لـكل كلمة يقولها الرسول ويخضع لها . ثم دعاه الي منزله فقبل الرسول هذه الدعوة بسرور وهناك فى تلك الدار اعترف الرجل وأهل بيتـه بيسوع مخلص العالم . ومن ثم اخذت كلمة الله تنمو وتمتد بسرعة حتي انه في وقت وجيز تتلمذ للرسول كثيرون من المصريين رجالا ونساء فعمدهم . ولـكي يرشدهم الى حقائق الخلاص العميمة كتب لهم انجيله المقدس باللغتين اليونانية والقبطية وفي ذلك الحين تقابل مع الرسول بطرس بينما كان يطوف البلاد وكان موضع المقابلة بابيليون كما سبق معنا وكان ذلك بين سنة ٥٨ و٦٢ م ولما رحل الرسول بطرس عن مصر رجع مار مرقس من الطواف الى مدينة الاسكندرية وكان المؤمنون قد كثروا فساء هذا كهنة المصريين واهل العلم بمدينة الاسكندرية ووقعت بين الفريقين مناظرات ومجادلات دينية اياما طوالا كان الظفر فيها لمرقس واصحابه فتآمر عليه الوثنيون فرسم انيانوس اسقفا للمؤمنين ومعه ثلاثة قسوس وسبعة شمامسة وخرج من عندهم وحضر الى برقة او بالحرى الى الخمس المدن الغربية واقام بها سنتين يبشر ويرسم كهنة

ويظهر انه فى ذلك الحين طلبه الرسول بولس اليه لمهام تبشيرية بينما كان مأسوراً برومية أول مرة كما يتضح من (كو ٤ : ١٠) فلبى نداء بولس وذهب اليه فى روميه حيث اشترك معه فى اتعاب كثيرة كما يظهر من (فل ٢٤) فنرى هنا ان مار مرقس الرسول قضى وقتا فى تدبير ورعاية كنيسة رومية ولـكن لا تحت اشراف بطرس بل بموجب طلب بولس وتحت ارشاده. ولا بد ان يكون كاروز الديار المصرية قد زايل رومية بعد ذلك وذهب لزيارة شريكه فى العمل تيموثاوس بأفسس . ولما علم الرسول بولس ذلك ارسل لتيموثاوس رسالته الثانية بين سنة ٦٧ و ٦٨) يقول له « خذ مرقس واحضره معك لانه نافع لي للخدمة » (٢ تي ٤ : ١١) فانطلق مع تيموثاوس الى رومية ولم يتركها هذه المرة الا بعد استشهاد الرسولين بطرس وبولس بين سنتي ٦٥ و ٦٨ م ثم عاد الى الـكنيسة الاسكندرية غرس يده وزرع يمينه ليفتقد احوالها ويتبين شؤونها

ولما قدم الاسكندرية للمرة الثانية ربما في اواخر سنة ٦٧ م أو اوائل سنة ٦٨ م وجد ان اثماره قد ازهرت والمسيحية آخذة في الازدياد المطرد حتي

ابتنى المؤمنون لهم كنيسة فى موضع يسمى « بوكاليا » أى مرعى البقر[١] وقيل انه فى ذلك الوقت انشأ مار مرقس المدرسة اللاهوتية وأقام يسطس رئيساً عليها. ثم أخذ يجول في جميع الاماكن التي يوجد فيها المؤمنون مثبتاً اياهم على ايمانهم الاقدس

وقد حدث في يوم ٢٩ برموده (٢٦ ابريل) بينما كان المسيحيون يحتفلون بعيد الفصح والوثنيون بعيد الههم سيرابيس أخذ الرسول مرقس يقبح عبادة المخلوق دون الخالق ونهى سامعيه عن هذا الضلال وارشدهم الى طريق النور والحق والحياة . وكان الوثنيون يبغضونه بغضا شديداً كلما رأوا نجاح عمله واتباع الوثنيين له . ولما سمعوا منه هذه الاقوال استنكروها للغاية وهاجوا فى المدينة طالبين مرقس الرسول لتجديفه على آلهتهم فتربصوا له والقوا عليه الايدي وربطوا حبلا في عنقه وأخذوا يطوفون به فى شوارع المدينه طول النهار ويجرونه فوق الصخور حتى تمزق لحمه وتهشمت عظامه وسال دمه البريء وهو محتمل اهانات شديدة وتحقيراً كثيراً حتى اتى الليل فطرحوه في السجن حيث ظهر له ملاك الرب فى رؤيا وشدد عزيمته .

ولما اصبح النهار عاد الوثنيون الى تمثيلهم الفظيع به وهم يزأرون ويصيحون قائلين « جروا الثور الى بوكاليا » وكان الرسول فى اثناء ذلك يسبح الله ويشكره حتى فارقت روحه الطاهرة جسده البار مستشهدا في ٣٠ برموده سنة ٦٨ م . واراد جماعة الوثنيين بعد ذلك حرق جسده فاوقدوا النار واشعلوا جذوتها ولكن شأت ارادة الله ان توقفهم عند هذا الحد السيء فهبت ريح شديدة وأمطرت السماء غزيراً فاطفئت نيران ايديهم ولبثت نيران قلوبهم تلتهب غيظا . وقد فر المسيحيون بجسد القديس ودفنوه بكنيسة بوكاليا . وقد حفظ فى كنيسة الاسكندرية الى الجيل السادس اومو فوريون القديس نفسه أو وشاحه الكنسي وجميع البطاركة الذين جلسوا على كرسي البطريركية بعده كان يلتزم كل منهم بعد انتخابه ان يضع في عنقه الوشاح المشار اليه

وقد اظهر الرب على ايدي الرسول اثناء اقامته بالبلاد المصرية آيات كثيرة

---

(١) كان مقرها شرق الاسكندرية على شاطيء البحر بالقرب من الوادي الذي كان يضم الاضرحة والمقابر وقيل انها سميت كذلك لانها كانت حظيرة للثيران التي كان الوثنيون يقربونها لاصنامهم

وعجائب متعددة تأسس بواسطتها ملكوت الله وتأيد انجيله . وقيل في وصف الرسول انه كان معتدل القوام ابيض الشعر ناصعه يكال هامته كالتاج . انفه طويل ورفيع . وتقاطيع وجهه جميلة متناسبة . حواجبه مائلة الى الجهة الداخلة مقوسة . لحيته طويلة وكثيفة والرأس صلعاء . واصطلح ان يرسم بجانب صورة القديس صورة أسد رمزاً الى افتتاحه انجيله بالصراخ الاسدى صراخ يوحنا



(مار مرقس الرسول يكتب انجيله)

المعمدان فى البرية حيث قال « انا هو الصوت الصارخ فى البرية » وقيل ان ذلك من عمل اهالى البندقية الذين سرقوا جسده فى القرن التاسع حيث كانت علامة وطنهم المميزة لهم شكل اسد ذى اجنحة . أما الكلام على بقايا جسده فسيذكر فى حينه

(٢) **انيانوس** هو البطريرك الثاني من بطاركة الكرسى الاسكندرى سيم اسقفا سنة ٦٢ م فى شهر بشنس فى مدة حكم وسبانيوس قيصر بيدمار مرقس وذلك حينما برح هذا الرسول الاسكندرية لاول مرة فأقامه لينوب عنه فى تدبير الكنيسة مدة غيابه . وبعد انتهاء القديس جلس بعده على كرسى البطريركية وقد مر بنا كيفية اهتدائه للمسيح وعقب ذلك ترك جميع مهامه العالمية واشغاله الدنياوية واشتغل فى خدمة حقل المسيح الجديد فى مصر وحول بيته الى كنيسة قال ابن بطريق المؤرخ « ان مرقس الرسول صير مع حنانيا (انيانوس) اثنى عشر قسيسا وأمرهم اذا مات البطريرك ان يختاروا واحدا من الاثنى عشر قسيسا ويضع الاحد عشر قسيسا ايديهم على رأسه ويصلحونه بطريكا ويباركونه ثم يختارون رجلا فاضلا ويصيرونه مكان ذلك القسيس ليكونوا اثنى عشر ابدا فلم يزل القسوس بمدينة الاسكندرية بطاركة الاسكندرية من الاثنى عشر قسيسا الى وقت الاكسندروس بطريرك الاسكندرية الذين كان في مجمع الثلثمائة وثمانية عشر (نيقية الاول المسكونى) وانه منع من ان يصلح القسوس البطريرك وانقطع ذلك الرسم وامر ان لا يصلح البطاركة الا الاساقفة » اه

غير ان اغلب المؤرخين يتفقون مع الانبا ساويرس بأن الرسول مرقس رسم مع انيانوس فقط ثلاثة قسوس وسبعة شمامسة جعلهم يخدمون ويثبتون الاخوة وقد شهد المؤرخون للبابا انيانوس بالصلاح والتقوى وقال عنه اوسابيوس المؤرخ « انه كان محبوبا من الله مقبولا عنده » وقال آخر « كان قلبه ينظر قلب الله يعرف مشيئته ويتممها » اه

وفي عهد البابا انيانوس نجحت التعاليم المسيحية واتسع نطاقها وتمذهب بها الكثيرون من ارباب المناصب العالية والاكابر والاعيان وبعض رجال الدولة وكثر

المؤمنون فوسم منهم كهنة وخداما واقام اثنتين وعشرين سنة وتنيح في العشرين من شهر هاتور سنة ٨٤ م وقد تولى اثناء جلوسه على الكرسي سبعة قياصرة هم نيرون وجلبا واوثون وفيتيليوس ووسباسيان وتيطس ودومتيان

(٣) ميليوس . وهو ثالث بطاركة الاسكندرية انتخب للبطريركية بعد وفاة البابا انيانوس فى شهر كهيك سنة ٨٤ م وفى عهد دوميتيانوس قيصر باجماع آراء الشعب . وكان هذا البابا مشهوراً بالعفاف متصفاً بالتقوى والغيرة على رعية المسيح فاخذ يثبت الشعب فى الايمان حتى نما عدده بمصر والخمس المدن وافريقية وشرع المصريون يحتقرون الاعتقاد بعبادة الاوثان ويتهافتون على الانضمام لحضن المسيحية افواجا وسادت فى ايامه السكينة وكانت الكنيسة متمتعة بالسلام الكلى

وقد روى بعض المؤرخين ان دوميتيانوس قيصر طرد البابا ميليوس من الكرسي الاسكندرى واقام عوضه غير ان هذه الرواية لم يقم دليل على صحتها ولم تتناقلها اقلام المؤرخين ورقد هذا البابا فى اول توت سنة ٩٦ م

(٤) كرذونوس . البطريرك الرابع . ولما علم الكهنة والاساقفة الذين كانوا يباشرون الخدمة في البلاد بان البطريرك تنيح حتى حزنوا واجتمعوا فى مدينة الاسكندرية وتشاوروا مع الشعب المسيحى الذين فيها وطرحوا القرعة لكي يعرفوا من يستحق الجلوس على كرسي الاسكندرية فاتفق رأيهم بتأييد الله على انتخاب رجل فاضل اسمه كرذونوس قيل انه ممن عمدهم الرسول مرقس فرسم بطريركا في شهر بابه سنة ٩٦ م في عهد تراجان قيصر وكان عفيفا متصفا بكل الصفات الصالحة فرعى كنيسته باجتهاد وامانة مدة عشرين سنة وستة اشهر وعشرة ايام

وقبض عليه واستشهد فى الاضطهاد الذى أثاره تراجان قيصر . قيل ان سبب القبض عليه هو ان والياً رومانياً قال له « لماذا لا تشركون الهتنا بالحكم وتبقون على عبادته » فأجابه « لاننا لا نسجد لآخر » وكان استشهاده في ٢١ بؤونه سنة ١٠٦ م وقد خلا الكرسي بعده ثلاث سنوات نظرا لشدة الاضطهاد وعدم تمكن الشعب المسيحى من انتخاب خليفة له

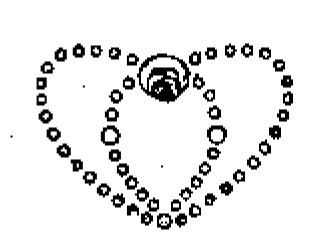
القسم الثالث

المملكة والكنيسة

(١) اضطهاد الوثنيين (٢) اضطهاد تراجان

(١) **اضطهاد الوثنيين** . فى زمن ظهور الديانة المسيحية بمصر كان زمام الحكم فيها بيد المملكة الرومانية . ولم تكن الحكومة تعنى بالمسيحيين فى مصر في القرن الاول لقلة عددهم غير ان اشرار الوثنيين كانوا يضايقونهم ويتحرشون بهم في الطرقات ويهجمون عليهم في مجتمعاتهم وراح ضحية تلك التعديات مار مرقس الرسول وفي يوم استشهاده تتبعوا النصارى وامعنوا فى قتلهم والتنكيل بهم فملأوا بجثثهم اكثر الطرقات وكان ذلك اليوم يوما مشهودا

(٢) **اضطهاد تراجان** . وفي آخر هذا القرن تماعد المسيحيين بالاسكندرية فامتد اليهم لهيب اضطهاد القيصر تراجان الذى تولى سنة ٩٨ م واشتد عليهم واستشهد فى ذلك الاضطهاد البابا كرذونوس البطريرك الرابع وكان فى بدء ظهور النصرانية ينظر اليها كشيعة يهودية خطرة ولما اشتعلت ثورات اليهود على المملكة الرومانية اضطهدت الحكومة المسيحيين مع اليهود لظنها انهم قسم منهم فنال المؤمنين فى الاسكندرية شدائد عظيمة



القسم الرابع

البدع

(١) كرنثيوس (٢) الغنوسطيون

°°°°OOO°°°°

(١) كرنثيوس . هو يهودى المولد تعلم الفلسفة بالاسكندرية وبث ضلاله سنة ٧٣م وحاول فى حياة يوحنا الرسول ان ينشيء ديانة جديدة يؤلفها من تعاليم للمسيح ومبادئه ومن تعاليم الـكنوسسيين (١) واليهود . فأخذ من الـكنوسسيين خرافات البليروما (اى العالم الاعلى) والايون (اي الاشخاص السماوية الخالدة بذو الارواح) ودميورج (اى خالق العالم الذى يختلف عن الاله الاعظم) ولكنه اظهر مبادئه بصورة لاينفر منها اليهود فعلم ان الذى سن الشريعة لليهود هو خالق هذا العالم وهو ذو مناقب حميدة وصفات شريفة مكتسبه من الاله الحق غير ان هذه الفضائل لم تلبث حتى تدنست فاراد الله ان يلاشى سلطان مشترع اليهود بواسطة ايون مقدس يدعى المسيح . وكان رجل يهودي اسمه يسوع كامل وقدوس وابن بالطبيعة ليوسف ومريم فهذا حل فيه المسيح بنزوله عليه بهيئة حمامة عند عماده من يوحنا بنهر الاردن . وحال اتحاد المسيح بيسوع قاوم هذا بشجاعة اله اليهود خالق العالم فحرض هذا عليه اليهود فقبضوا عليه ليصلبوه فلما رأى المسيح انهم قبضوا على يسوع طار الى السما وترك يسوع فصلب وحده

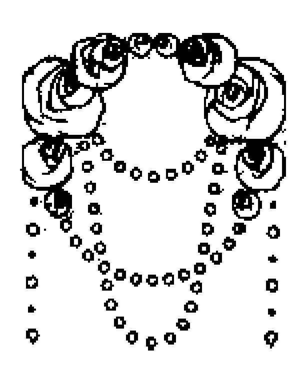
ولهذا اوصى كرنثيوس اشياعه باحترام الاله الاعظم ابي المسيح وباحترام المسيح وأمرهم بعدم اعتبار مشترع اليهود وبرفض مبادىء الناموس الموسوى واوصاهم بالسير على نظام المسيح معلما اياهم بانه سيعود ثانية ويتحد بالانسان يسوع

---

(١) الـكنوسيون هم قوم زعموا بانهم قادرون ان يردوا للبشر ما فقدوه من معرفة (اى كنوسس) الاله الاعظم ونادوا بانقلاب المملكة التي شيدها خالق العالم واصحابه وكان اول ظهورهم بعد موت الرسل

الذى حل فيه قبلا ويملك مع تابعيه على فلسطين الف سنة . ثم وعدهم بقيامة اجسادهم وتمتعها بافراح سامية في مدتملك المسيح الف سنة وبعد ذلك يدومون في حياة سعيدة في العالم السماوى

(٢) الغنوسطيون . ان الغنوسطية اى مذهب التوليد انشئت فى فلسطين او فى سوريه عند ظهور الدين المسيحى . ولم يكن مذهب الغنوسطيين الا موفقا بين الدين المسيحي الجديد والاديان القديمة واقيم له فى الاسكندرية مدرسة في اوائل القرن الثاني للميلاد واعتنقه بعض المصريين . الا ان الغنوسطية المصرية كانت تختلف عن الاسيوية فاعتقد المصريون ان المادة ابدية وحيوية ايضاً واعتبروا غالبا المسيح مخلصنا انه شخصان الانسان يسوع وابن الله أو المسيح . فالمسيح الشخص الالهى زعموا انه دخل في يسوع الانسان حين اعتمد من يوحنا وتركه حين قبض عليه اليهود . ثم انهم نسبوا للمسيح جسدا حقيقياً لا وهمياً مع انهم لم يتفقوا على ذلك . كما انهم وضعوا لاتباعهم شرائع تبيح بفساد أميال البشر. وظل علماء المسيحين الافاضل يقاومون كل البدع التى كانت تنشأ من هذه الفلسفة مدة طويلة وانقرضت آخر شيعه لاهل هذه الهرطقة في أواخر القرن السادس



القرن الثاني

القسم الاول

تاريخ البطاركة

(١) برعوس (٢) يسطس (٣) اومانيوس (٤) مركيانوس (٥) كلاديانوس
(٦) اغريبنيوس (٧) يوليانوس (٨) ديمتريوس ١

(١) برعوس — البطريرك الخامس . ولد بمدينة الاسكندرية وقيل انه ممن عمدهم الرسول مرقس . وقال عنه الانبا ساويرس المؤرخ انه كان عفيفاً كالملائكة ويفعل افعالا حسنة بنسك فاجمعت كلمة المؤمنين على انتخابه بطريركا . ولما ارتقى الكرسي المرقسي فى شهر ابيب سنة ١٠٩ م فى عهد ادريانوس قيصر ازداد تمسكا بالفضائل واضاف اليها الاجتهاد المتواصل فى سبيل تقدم المسيحية فى عهده ولهذا لم يكن يفتأ يقوم بنفسه بالوعظ والارشاد بدون كلل ولاجل هذه الغاية كان يتخير الرجال الاكفاء ويقيمهم اساقفة وقسوساً ووعاظاً ليهذبوا الرعية بالآداب المسيحية وقد لبث يشتغل في توسيع نطاق الكنيسة ١٢ سنة وساعده على تقدم العمل ان الكنيسة في ايامه كانت فى سلام تام وطمأنينة كاملة . وكانت وفاته فى ٣ مسرى سنة ١٢١ م

(٢) يسطس — البطريرك السادس . وحالما توفى الاب برعوس وقع اختيار الشعب على هذا الآب الفاضل الحكيم فرسم بطريركا في شهر توت سنة ١٢١ م فى عهد ادريانوس وهو مولود بالاسكندرية ولما أسس الرسول مرقس المدرسة اللاهوتية اقامه رئيسا عليها . فلبث يعلم في تلك المدرسة حتى اقيم بطريركا فترك

وظيفته الاولى الى اومانيوس وأخذ هو يهتم بمسئولية وظيفته الجديدة نخدم فيها بكل امانة

وجعل اهم اغراضه تبشير الوثنيين وجذبهم الى المسيحية فنجح فى عمله وتنصر منهم عدد عظيم . واستمر قائما بوظيفته عشر سنين وعشرة أشهر وخمسة عشر يوماً وتنيح فى ١٢ بؤونه سنة ١٣١ م

(٣) اومانيوس – البطريرك السابع . وعقب البابا يسطس اومانيوس احد افاضل مسيحيى الاسكندرية . وقع الاختيار عليه فى شهر ابيب سنة ١٣١ فى عهد ادريانوس لما كان معروفاً عنه من العفة والنزاهة لانه كان بتولا طاهراً . كان قبلا مديراً للمدرسة اللاهوتية ومن اشهر اعماله فى مدة البطريركية رسامة اساقفة للكرازة المرقسية فاقام منهم عدداً كبيرا ارسلهم الى كل جهات القطر المصرى والنوبة والخمس مدن الغربية لنشر بشرى الخلاص

وفي عهد هذا البابا البار اشتد الاضطهاد على المسيحين فنال الشهادة كثيرون من الاقباط وأقام البابا اومانيوس على كرسي الاسكندرية ثلاث عشرة سنة يرضى الله والشعب وتنيح فى ٩ بابه سنة ١٤٤ م

(٤) مركيانوس – البطريرك الثامن . ارتقى السدة المرقسية فى شهر هاتور سنة ١٤٤ م فى عهد انطونيوس بيوس قيصر وهو مولود بالاسكندرية وكان مديرا للمدرسة اللاهوتية واستحق ان يرقى الى البطريركية لفضائله واخلاقه الحميدة وقد حقق آمال من انتخبوه فاخذ بعد تنصيبه ينهج على آثار اسلافه الافاضل وينسج على منوالهم في هداية النفوس وتهذيب الاخلاق رغم الاضطهاد الذى كان مشتدا على المسيحيين وقتئذ . ولبث في جهاده هذا مثابراً مدة تسع سنين وشهرين و٢٦ يوماً الى ان رقد بالرب في ٦ طوبه سنة ١٥٤ م

(٥) كلاديانوس – البطريرك التاسع . انتخبه شعب واساقفة الاسكندرية بطريركا ورسم على الكرسي الرسولي في شهر امشير سنة ١٥٤ م فى عهد انطونيوس بيوس وكان محبوباً من الجميع . وهو مولود بالاسكندرية وكان بارا حكيما . ولما قبض على زمام الرئاسة أخذ يتعهد الزرع الذى تركه له اسلافه وكانت ايامه هادئة لم يحصل فيها للنصرانية ما يكدر صفوها . ولبث مواظباً على عمله مدة اربع عشرة

سنة وستة أشهر وثلاثة ايام وتوفى فى ٩ أبيب سنة ١٦٧ م

(٦) اغريبينوس — البطريرك العاشر. ولد بالاسكندرية ورسم قسا بها وعرف بالصلاح والتقوى ونال رضاء الشعب والاساقفة بعد وفاة سلفه فجلس على كرسيه فى شهر مسرى سنة ١٦٧ م فى عهد مرقس اوريليوس قيصر وبدأ يرشد ويعلم حتى تقدم فى عهده العمل الروحى وانتشرت كلمة الخلاص وزاد عدد المنضمين الى دين المسيح. وقضى على الكرسى اربع عشرة سنة وسبعة اشهر وتوفى فى ٥ أمشير سنة ١٧٨ م

(٧) يوليانوس — البطريرك الحادى عشر. ولد بالاسكندرية وقيل انه كان تلميذا بالمدرسة اللاهوتية تحت ادارة الفيلسوف القبطى بنتينوس ففاق اترابه في العلم وظهر عليهم بتقواه واستحق ان يرسم قساً. وبعد ذلك اختير بطريركا في شهر برمهات ١٧٨ م في عهد مرقس اوريليوس وعقب رسامته اشتغل بوضع ميامر [١] لاسلافه البطاركة تخليدا لذكرهم وفائدة لخلفائهم

وكان هذا البابا الفاضل متقربا من الله حتى أعلن له قبيل وفاته عن الشخص الذى سيلحقه فى البطريركية وذلك انه قد ظهر له ملاك الرب في احدى الليالي قائلا «ان من يأتيك غدا بعنقود عنب هو الذى يكون بعدك على الكرسي المرقسي» واتفق فى ذلك الصباح ان رجلا كراماً عامياً لا يدري القراءة ولا الكتابة من أصل قبطى مسيحى يدعى ديمتريوس بينما كان يشذب أشجاره عثر بها على عنقود عنب فى غير أوانه ففكر أن يهديه للبطريرك

وكان البابا يوليانوس حينئذ في اوقاته الاخيرة واجتمع حوله كبار الشعب وعظمائه يستفهمون منه عمن يجدر به ان يكون خاتماً له. فاخبرهم انه هو الذى يأتي الينا ويقدم عنقود عنب. فظنوا متحيرين ان البطريرك لا يعى ما يقول اذ لا يمكن ان يوجد عنب فى الشتاء وبينما هم كذلك اذا بديمتريوس قد دخل وعنقود العنب بيده وقدمه للأب البطريرك فدهش الحاضرون وتناول البطريرك الهدية بسرور واعلمهم بخبر ظهور الملاك له واوصاهم بانتخاب من عينه روح الله فاطاعوا اوصيته وفعلوا بحسب اشارته

---

(١) ميمر كلمة سريانية معناها سيرة

وكانت مدة بطريركية البابا يوليانوس عشر سنين وتوفى فى ٨ برمهات سنة ١٩٠م وقال الانبا ساويرس فى خاتمة ترجمة هذا البابا « ومن بعد هذا البطريرك لم يقم اسقف الاسكندرية فيها بل صار يخرج سرا ويوسم كهنة فى كل مكان كار مرقس الانجيلي » اه

(٨) ديمتريوس ١ ـ البطريرك الثاني عشر . ولما قيل لهذا البابا انه انتخب ليكون بطريركا توسل بضراعة ملتمسا ان يعفى من هذه المسؤولية الهائلة محتجاً بعدم علمه وزواجه اذ كانت العادة ان البطريرك ينبغي ان يكون بتولا . فلم يلتفت الى طلبه وتمت رسامته رغماً عنه فى ١٨ برمهات سنة ١٩١ م فى عهد كومودوس قيصر فلما رأى ذلك اخذ للحال في اجهاد جميع قواه توصلا الى استدراك ما فاته من العلوم والمعارف ففتح الله عليه بشيء كثير من العلم والحكمة حتى أصبح فى مقدمة علماء ذلك الزمان

روي انه استحضر لديه معلماً ليعلمه فكان يجلس هو على الكرسي ويجلس المعلم تحت موطىء قدميه فلم يكن يفهم شيئا فذات ليلة ظهرت له السيدة العذراء وقدمت له دواة ملآنة ماء فشربها ولما اصبح الصباح طلب من معلمه أن يجلس على الكرسي ويجلس هو تحته ففتح الله ذهنه وصار يفقه كل ما يلقى عليه من الدروس حالا

وكان هذا البابا على جانب عظيم من التقوى حتى انه لم يباشر زوجته مباشرة زواج البتة وقد حدث ان البعض تقمقموا عليه بسبب زواجه ولم يرق فى نظرهم ان يكون البطريرك ذا زوجة كباقي الناس فعلم بهذا الامر وانتهز الفرصة فى يوم الصلاة وبعد تأدية الخدمة الدينية استحضر زوجته ووضع فى مئزرها بعض من جمر نار المبخرة ووضع كذلك فى جبته وطاف على هذه الحال هو وهى بين الشعب وامامهما نفر من الشمامسة ينشدون التراتيل الروحية حتى انتهوا من دورتهم دون ان يحدث للمئزر والجبة اى شيء من تأثير النار فاندهش المنتقدون واقتنعوا بواسطة ما شاهدوه بطهارة معاشرته لامرأته وطلبوا منه الصفح والغفران . وقيل انه كان فى مبدأ أمره ممتنعاً عن الزواج فاجبره والده على الزواج من ابنة عمه وبعد اقترانه من امرأة صالحة كانت قد نذرت البتولية

وأجبرت على الزواج نظيره كاشفا بعضهما بما فى عزمهما واتفقا على المعيشة معاً بطهارة تامة فعاشا كذلك ٤٨ سنة قيل وكان ملاك الله يظللهما اثناء نومهما . وبعد هذه الحادثة أمر زوجته بان تعيش مع العذارى اللواتي نذرن العفة وانفردن للعبادة

ولعظم تقوى هذا البابا كان مطلعا بالروح على اعمال الخطاة القبيحة . فكان يكثر من توبيخهم وتبكيتهم وعند ما كان احدهم يتقدم الى تناول الاسرار المقدسة وهو متعلق بأية خطية كان يمنعه من الاشتراك ويوضح له خطيته حتي يخجل ويقر بذنبه ويتوب توبة حقيقية

ولبث مواظبا على عمله حتى شاخ وكبر فكان يحمل الى البيعة في محفة وهو لا يفتر عن التعليم من الغداة الى الليل والاخوة يتوافدون اليه للاستفادة من تعاليمه والاستفهام منه عما اشكل عليهم ادراكه مع ان قواه لم تكن تساعده على الفحص في العلوم والكتب الاخرى . وكان بطريرك الاسكندرية هو الاسقف الوحيد فى مصر لحد ذلك العهد فرأى هـذا البطريرك انه من الضرورى ان يعين ثلاثة أساقفة آخرين للاقاليم البعيدة عن مركز البطريركية ليتمكنوا من رعاية قطيع المؤمنين

وفي سنة ٢٠٢ م رقى هذا البابا العلامة اوريجانوس رئيسا للمدرسة اللاهوتية خلفا لاكليمندس الاسكندرى . وفي سنة ٢٣١ م ساء البطريرك الظن باوريجانوس ووقع بينهما نفور ادى البطريرك الى عقد مجمع حرم فيه اوريجانوس ونفاه وعين مكانه ياروكلاس احد تلاميذ اوريجانوس

ويقول المؤرخون ان هذه هي الغلطة الوحيدة التي شط بها البابا ديمتريوس عن سبيل الصواب وذلك لانهم يذكرون لاوريجانوس دفاعه المجيد عن المسيحية وكان يجدر ببطريرك تقى كهـذا ان لا ينسى ماضى اوريجانوس الذى يدل على غيرته وفضله لاجل غلطة صغيرة ارتكبهـا كما سيأتى بنـا في ترجمة ذلك العلامة

وفى ايام هذا البابا كان هياج بمدينة الاسكندرية وثار الاضطهـاد على المؤمنين فسطا لينوس والي مصر الرومانى على البطريركية ونهب امتعتها وسلب

اواني الكنيسة وقبض على البطريرك نفسه ونفاه الى اوسيم [1] حيث بقى فيها الى ان هدأت نيران الاضطهاد ولبث على الكرسي ٤٢ سنة ثم توفى فى ١٢ بابه سنة ٢٣٢ م وله من العمر ١٠٥ سنة

oooo○○○oooo

القسم الثانى

مشاهير الكنيسة

١) المدرسة اللاهوتية (٢) بنتينوس (٣) اكليمندس الاسكندري (٤) اوريجانوس

(١) المدرسة اللاهوتية - قيل ان مؤسسها هو مرقس الرسول سنة ٦٨ م وكانت تسمى المدرسة الكاتشيسس (اى تعليم قواعد الايمان بالسؤال والجواب) وكان الغرض من انشائها تعضيد الديانة المسيحية لان الدين المسيحى لقى فى الاسكندرية مصاعب لم يلق مثلها فى غيرها وكان لا بد له من التغلب عليها . وسببها ان الشعب كان يكره دين اليهود الذى هو اساس المسيحيه وكان علماء الموزيوم الذى كانت فى ايديهم ادارة الشعب اقل استعداداً لقبول تعاليم مصدرها كمصدر الدين المسيحى . فرأى المسيحيون فى الحال انه لا بد من اصلاح تعليمهم اصلاحا خصوصيا فى مدينه خاصه بالفلاسفة والمحققين فأنشأوا تلك المدرسة للذين كانوا يريدون ان يتضلعوا فى معرفة اصول الديانة

وفى اواخر القرن الثاني انحاز بنتينوس احد الرواقيين القدماء الى تلك المدرسة

(١) كانت هذه المدينة فى العصر المسيحي مركزاً دينيا مهما بها اكثر من ٣٦٠ كنيسة ولكن العرب بعد دخولهم الي مصر اضعفوا شأنها حتى صارت فى اوائل القرن التاسع عشر بلدة صغيرة على مسيرة ساعتين للراكب من كوبري امبابه

التي كانت تناظر الموزيوم في العلوم الأدبية والدينية وجعل مديراً لها: ثم اعتنق الفيلسوف اثناغورس الاثيني الدين الجديد واستلم ادارة مدرسة خلفه فيها قوم اعظم منه . وفي عهد اكليندس واوريجانوس بلغت تلك المدرسة اسمى درجات المجد وفاقت كل المدارس النصرانية التي انشئت في القرون الاولى للميلاد فكان يدرس فيها فوق اللاهوت والفلسفة المنطق والطبيعة والرياضة والفلك والموسيقى لان العلوم كانت لها ضربة لازب لوجودها في وسط ديانة يهودية مستندة الى الفلسفة ومدارس يونانية او مصرية مستندة الى النظامات العمومية وارتقة اريوس وهي دقيقة تميل اليها القلوب ومقاومين اشداء اقلقوا الكنيسة في ازمانها الاولى وهم الغنوسطيون المشار اليهم آنفا

واعتنى علماء تلك المدرسة بان يعرضوا الدين المسيحي على الناس عرضاً تعمقوا في البحث عنه وذلك ماسماه القديس اكليمندس الاسكندري «الغنوسطية الحقيقية» المضادة للغنوسطية الارتقية التي انتحلت هذا الاسم زوراً وبعد ان عرضوا الايمان المسيحي على هذا المنوال ألفوا تآليف شتى لتفسير التوراة ونبذا خصوصية في قواعد الاعتقاد والقانون الوجيز المكمل المنسوب الى القديس اثناسيوس وكل الارتقات المشهورة ولاسيما ارتقات الالفيين وسابيليوس واريوس ونسطورس واوطيخا صادفت مقاومين اشداء في المدرسة المسيحية

هذه هي المدرسة اللاهوتية التي امتد فضلها الى كل الاصقاع وانتشر نورها في كل مكان وكفاها فخراً ان تخرج منها فطاحل بابوات الاسكندرية وحماة البيعة المقدسة . ومع انها اصيبت بمحن شديدة واضطهدت في ايام ساويرس سيتيموس وديوكلتيانوس القيصرين الا انها رجعت الى رونقها بعد وفاة المضطهدين ومن دلائل عظم شأنها ان منصب رئيسها لاهميته كان يلي المنصب البطريركي في الرتبة وجل البطاركة انتخبوا من رؤسائها

وظلت زاهرة بالعلوم والمعارف ويفد اليها طلاب من كل أصقاع المسكونة حتى قام رودن آخر رئيس تولاها ونقلها من مكانها الى بلدة سيد في اقليم بامفيليا بدون سبب يدعو لذلك فاضر بها هذا النقل ضرراً عظيماً وتناقص عدد طلابها. ولما حدث ذلك الانشقاق المحزن الذي سببه مجمع خلكيدون في اواسط القرن

الخامس اندكت معالم تلك المدرسة واصبحنا لانعرف عنها الا انها كانت مقر العلم ومقصد العلماء

واليك اسماء الذين تعاقبوا على كرسى رآسة هذه المدرسة : —

(١) يسطس — اول من صار رئيساً على تلك المدرسة عينه مار مرقس الرسول وظل متواليا رئاستها فى اواخر سني حياة الرسول وفي عهد البطاركة الاربعة الذين خلفوه وكان للبابا انيانوس البطريرك الثانى عناية خاصة بتلك المدرسة وتعلم من مار مرقس كيف يهذبهم وكانوا جميعهم كما اخبرنا المؤرخون المسيحيون وفيليون اليهودى ايضا زاهدين فى الدنيا لا يكترثون بشيء من حطامها وانما كانوا يهتمون بالله فقط . ومن ثم كانوا جميعهم متحدين بمحبة صافية وفائزين بسلام الارواح السماوية ولم يكن بينهم فقير ولا غنى لان الاغنياء منهم كانوا قد اعطوا اموالهم للفقراء لسكي يفكر كل واحد فيما يجعل الانسان غنيا بالله . ولم يكونوا يتناولون ما كلا سوى مرة واحدة كل يوم وذلك بعد غروب الشمس وبعضهم كانوا يصومون ثلاثة ايام أو خمسة من دون ان يأكلوا شيئًا . وكان مأكلهم الخبز ومشربهم الماء لاغير . وذلك كان للرجال والنساء على حد سوى

(٢) اومانيوس . فى مدة بطريركية يسطس

(٣) مركيانوس . في مدة بطريركية اومانيوس

(٤) بنتينوس
(٥) اكلمندس
(٦) اوريجانوس
} في بطريركيه ديمتريوس

(٧) ياروكلاس
(٨) ديونوسيوس
(٩) ثاوغست
(١٠) بيروس [1]
(١١) ارشلاوس
} في بطريركية ثاؤنا

(١) كان كاهناً تقياً ورعاً اشتهر بالتزهد والتنسك وعرف بزلاقة اللسان وفصاحة المنطق حتى لقبه البابا بطرس البطريرك السابع عشر « اوريجانوس الصغير » وقد تلمذ له كثيرون اشهرهم بمفيليوس البيروتي . وحوالي سنة ٢٨٢ م استشهد بيروس على ما يظن في الاضطهاد الذي احدثه اليريان قيصر.

(١٢) بطرس . في بطريركيه ارشلاوس
(١٣) سيرابيون [١]
(١٤) مقار السياسى ⎫ فى بطريركية اثناسيوس
(١٥) ديديموس الضرير ⎭
(١٦) رودن . في بطريركية كيرلس الاول

(٢) بنتينوس . ولد بالاسكندرية فى اوائل القرن الثانى وهو من أصل قبطى[٢] قيل انه كان قبل تنصره من فلاسفة الرواقيين[٣] والظاهر انه كان هو ومعاصره اكلمندس الاسكندري تلميذين لاثناغورس الفيلسوف[٤] وكانا كباقى مسيحى مصر متضلمين فى علوم القدماء وحكمتهم كتضلعهم في كل الحقائق والمبادىء المسيحية

تولى بنتينوس رئاسة المدرسة اللاهوتية حوالي سنة ١٨١ م واستمر في وظيفته حتي اتت رسالة من بلاد الهند الى البابا ديمتريوس البطريرك يلتمس فيها اهلها ان يرسل اليهم عالماً تقياً يعلمهم الايمان نوقع اختيار البطريرك على

---

(١) كان عالما متضلعا وكاتبا ماهرا وصديقا وفيا للبابا اثناسيوس الرسولي ولذلك ارسله مع من ارسلهم الى القيصر قسطنطين الكبير .

(٢) يميل بعض الغربيين الى القول بان اغلب علماء الكنيسة القبطية كانوا من اصل يوناني ويكفينا في دفع افتراء هؤلاء القوم الذين يحاولون تجريد الكنيسة القبطية من كل ميزة حتى من علمائها ماجاء في كتاب « برهان الكنيسة الشرقية » الذي طبعه تلاميذ مدرسة اليونان بمدينة رومية سنة ١٧٠٢ م حيث قيل « انما دعي الاباء الشرقيون يونانيين لانهم كتبوا تآليفهم باللغة اليونانية » اه

(٣) الرواقية فلسفة قديمة تجددت قبل الميلاد بسنتين وقد قال اصحابها ان الخير الاعظم في الفضيلة وغرضهم كان اتحاد الدين بالفلسفة وقد أقروا بوجود الله ولكنهم قالوا بانه حال فى كل شيء وبأنه توجد آلهة صغرى اتفقت مع آلهة الديانة المقبولة عند الجمهور

(٤) هو من الاسكندرية ويسمى الفيلسوف الاثينوي كان مشتغلا بوظيفة عالية مهمة في متحف تلك المدنية واعتبر من اساطين الديانة الوثنية . وكان كغيره من الفلاسفة الافلاطونيين يكرهون الديانة المسيحية ورغبة فى مقاومتها اجهد نفسه في درس تعاليمها جيدا وواظب على ذلك بهمة لاتعرف الملل فكانت النتيجة ان قوة تأثير الديانة المسيحية والحق المؤسسة عليه قد فملا فيه فعلا حسنا فتغيرت افكاره وآمن بالمسيح سنة ١٧٦ م واصبح من اعظم انصار الديانة المسيحية واكبر المدافعين عنها . ومما كتبه لهذا الغرض رسالة عنوانها « الى مرقس اوريليوس وكمودس » ويظن أن تاريخها بين سنتي ١٧٦ و ٢٧٧ م دافع فيها عن النمائم التي كان اعداء المسيحية يوجهونها اليها

هذا العلامه وعرض عليه الامر فقبله بكل سرور وتخلى عن رئاسة المدرسه سنة ١٩٠ م بعد ان سلم مقاليدها الى زميله اكلمندس حتى يعود اليها . ومن ثم توجه الى بلاد الهند واذاع فيها بشرى الخلاص . قيل انه وجد عند الهنود نسخة من انجيل متى باللغة العبرانية مكتوبة بخط الانجيلى نفسه وكانت موضوع اجلالهم واكرامهم فسألهم عمن أتى بها اليهم فاجابوه انه الرسول برثولماوس . وبعد ان صرف فى بلاد الهند مدة لانعلم مقدارها رجع الى الاسكندرية واتى بهذه النسخة اليها

وفي ذلك الحين شعرت الكنيسه بضرورة الشروع فى ترجمة حياة السيد المسيح الى اللغه المصرية فأخذ نبتينوس على عاتقه القيام بهـذا العمل غير انه رأى ان اللغة الهيروغليفيه لا تصلح لهذا العمل فاستعار للغه القبطية حروف اللغة اليونانية ولما كانت هذه لا تصلح للنطق ببعض مقاطع ولهجات أضاف عليها ستة حروف من الابجدية الهيروغليفية ومن ثم بدأ فى العمل بمساعدة تلاميذه حتى انجزه واستطاع ان يخرج الكتاب المقدس للمصريين بلغتهم ليتعلموه في بيوتهم وكنائسهم . ومن ذلك الحين اهملت الكتابة بالاقلام الهيروغليفية واعتاضت عنها الكتابة اليونانية

وعاش هذا الفيلسوف بعد ان تولى ادارة المدرسة اللاهوتيسة مرة ثانية مدة وجيزة ثم توفى سنة ١٩٠ م وقد ألف هذا العلامة تفاسير كثيرة على الاسفار الالهية حتى قال عنه تلميذه وخليفته انه كان موعبا من روح الكتاب . غير ان جميع كتاباته مفقودة

(٢) اكليمندس الاسكندرى — هو تيطس فلافيون ذهب بعضهم الى انه ولد بالاسكندرية فنسب اليها . وقيل انه لقب بالاسكندرى تمييزا له عن سميه اكليمندس الروماني . وقال آخرون انه ولد فى اثينا نحو اواسط القرن الثاني ثم تفرغ منذ حداثته لدرس الفلسفة فتضلع فى الفلسفتين الرواقيـة

والافلاطونية[١] واذ لم يجد فيهما ما كانت تصبو اليه نفسه سعى يطلب الحقيقة فزار بلاد اليونان وايطاليا وآسيا الصغرى ومصر وخالط المعلمين النصارى فأثر فيه ما سمعه من القديس بنتينوس مدير المدرسة اللاهوتية فاهتدى الى النصرانية وصار من المساعدين لمعلمه في المدرسة واشتهر في معرفة الاسفار الالهية . ذهب بعضهم الى انه خلفه في ادارتها نحو سنة ١٩٠م وبقيت ادارة مدرسة الاسكندريه منوطة به الى سنة ٢٠٢ م وفيها حدث الاضطهاد الذى قام به ساويرس قيصر فاضطره الامر الى الفرار الى فلسطين فزار اورشليم وانطاكيه

وذكر في بعض الروايات انه كان في اورشليم سنة ٢١٠ و٢١١ م لان اوسابيوس اسقف قيصرية (٣١٥ م) الملقب بابى التاريخ الكنسي ذكر في ذلك التاريخ انه كان حاملا رقيما من اسقف اورشليم الى كنيسة انطاكية وأقام أولا فى اورشليم حيث وجد الاسكندر اسقفها مسجونا ثم قصد مدينة انطاكيه واجتمع باسكيلابيادس اسقفها ولم يعلم عنه شيء فى السنين الاخيرة من حياته

وقال الباحثون ان هذا القديس يمتاز بين آباء الكنيسه بتضلعه في الفلسفة اليونانية ومحبته لها وكان يعتبر الفلسفة علماً الهياً والفلاسفة انبياء الوثنيـة . وكانت تعاليمهم عنده تمهيدا لطريق المسيح بين الوثنيين كما كان ناموس موسى تمهيدا لها بين العبرانيين ولم يكن يثبت احدى المدارس الفلسفية ولا خطر له قصد منتسق لجهة اللاهوت المسيحى . وكل الجد الذى بذله فى التأليف بين الفلسفة والدين كان منحصرا فى تفاسير رمزية للكتاب المقدس واراء يظهر لمن امعن فيها النظر انها جديرة ببعض اصحاب العلم الالهى اكثر مما هى حقيقية بمسيحى غير انه بمقابلته بين الآراء المسيحية والآراء اليونانية حصل له نفوذ فيهم فى عصره وساعد على انتشار الفلسفة المسيحية

وللقديس اكليمندس ثلاثة مصنفات لا تزال موجودة عنوان الاول « تحريض الامم » وفيه يحرضهم على الرجوع من عبادة الاوثان الى خدمة الاله الحق وكلمته . والثاني « المرشد » فى ثلاثة اجزاء ومضمونه تثقيف المؤمنين

---

(١) تعلم هذه الفلسفة بان العالم يسوسه اله مستقل قدير عاقل . وكان افلاطون يعلم الناس ما يجب ان يخافوه وما يجب ان يرجوه بعد الموت وتعاليمه من جهة الارواح وانفس البشر عبارة عن خرافات محضة

الحديثين وتهذيبهم فى معرفة الانجيل . والثالث « المتنوعات » فى ثمانية مجلدات وهو يتضمن مقالات عديدة فى مواضيع فلسفية وحقائق انجيليه وذكر بعض التعاليم الباطلة ودحضها غير ان المجلد الثامن منه مفقود . ولنا منه رسالة عنوانها « من يخلص الاغنياء » مؤلفه على طريقة المقالة . وهناك ايضا اجزاء مؤلفات له مواضيعها « عيد الفصح . الصوم . النميمـه . القوانين الكنسية . اغلاط المشهورين » . ومن مؤلفاته المفقودة كتاب « المقتطفات » فى ثمانية اجزاء وهو يتضمن ملخص حوادث الكتاب المقدس . وقد اقتبس اوسابيوس شواهد كثيرة من هذا الكتاب وذكر رسالة اخرى لاكلمندس عنوانها « الحث على الصبر » خاطب بها المعتمدين جديدا وكذلك تنسب اليه ترنيمة المخلص

غير ان كتابه فى شرح الاسفار المقدسه بالاختصار يحتوي على اغلاط وحكايات منقولة عن الفلسفة الوثنيه وهرطقة الغنوسطيين . ولما كان اوسابيوس وايرينموس قد ذكرا الكتاب دون ان يذكرا الاغلاط العظيمه التى ذكرها فوتيوس كان يظن ان الاغلاط المذكورة قد ادخلها فيه الهراطقه بعد ذلك اذ كان من دأبهم ان يفسدوا تآليف اشهر آباء الكنيسه

قال احد الكتاب « قلما ترى فى تآليف آباء الكنيسه القدماء اشياء الذ من الاشياء المشتملة عليها تآليفه فان فيها حوادث كثيرة متعلقه بتاريخ العالم فضلا عن انها تحتوى على قطع كثيرة منقولة عن مؤلفين لم يبق لتآليفهم اثر » واحسن طبعة من تآليفه هى التي طبعها الاسقف بوتسر باللغة اليونانية واللغة اللاتينية

(٤) اوريجانوس — ولد هذا العلامه العظيم فريد عصره بمدينة الاسكندرية سنة ١٨٥ م من والدين مسيحيين تقيين وكان ابوه يدعى ليونيدس وله سبعة اولاد اكبرهم اوريجانوس قيل ان ابا اوريجانوس كان من معلمى الفصاحة فرباه باعظم اهتمام ولم يكتف بان يروضه فى العلوم والقوى العقليه والرياضيه بل فقهه ايضا فى الكتب المقدسـه وكان يختبر ذكاءه فيأمره بان يحفظ كل يوم بعض آيات منها حتى حفظ اغلب نصوص الكتاب المقدس غيباً وكان ابوه يتعجب من بركات النعمة التى تشمله اكثر من حذاقة عقله فكان يدنو منـه

وهو نائم ويكشف عن صدره ويقبله باحترام كانه هيكل الروح القدس

ولما استكمل قواه وضعه في المدرسه اللاهوتيه فتتلمذ للعلامه اكليمندس وقرأ عليه الكتاب المقدس وتوسع فى درس مؤلفات افلاطون والرواقيين . وحالا تحقق حسن ظن ابيه به فبرز اوريجانوس على جميع اترابه ونشأوقلبه مفعم بحب الدين والغيرة عليه وبه وجد وهيام الى نيل اكليل الشهادة حباً بالمسيح حتى عرض نفسه مرات ليكون فى عداد الشهداء

وفى سنة ٢٠٢ م لما أثار ساويرس قيصر الاضطهاد قبض على ليونيدس واودع السجن دون ان يعلم أوريجانوس اذ كان خارج البيت وقت القبض عليه ولما رجع فى المساء وجد امه التعيسة واخوته غارقين فى بحار الاحزان واذ علم الخبر أعلن ميله ورغبته في اللحاق بابيه ليشترك معه فى نوال أكليل الشهادة . فتوسلت اليه امه بدموع غزيرة والتمست منه ان يبقى الى الصباح فأوى اوريجانوس الى مضجعه بعد ان أخذت امه ثيابه واخفتها عنه فلم يتمكن فى الصباح من الخروج ولم تطلقه امه الا بعد ان تأكدت منه انه لا يتركها الا اذا اضطر اضطرارا شديدا

واذ ضاق به الامر ارسل لابيه خطاب تعزية يشجعه فيه على احتمال الخطوب ويطلب منه ان لا يشتغل بهم بقوله « حذار ان يغير العذاب رأيك في دعوانا لا تهتم باولادك فان الله سبحانه وتعالى يعتني بنا » وقيل ان اوريجانوس كان معتاداً ان يرسل امثال هذا الخطاب لتشجيع المؤمنين الذين كانوا واقعين تحت طائلة عذاب الاضطهاد (١)

اما ليونيدس فقطعت رأسه سنة ٢٠٣ م وتبعاً لقوانين الاضطهاد حينئذ ضمت املاكه الى الحكومة فباتت أرملتـه وأولاده في فقر مدقع واصبح اوريجانوس مكلفاً بالقيام باودهم وكان عمره وقتئذ سبع عشرة سنة . ولم يكد يشعر بضيق الحال حتى سخرت له العناية الالهية امرأة غنية فاضلة كانت ملجأ

---

(١) قد جمع اوسابيوس المؤرخ مجموعة تحتوي على أكثر من مائة مكتوب رقتها يداوريجانوس في مثل تلك الظروف الحرجة ولم يبق منها شيء للآن بل ذهبت طعاما للنار التى احرقت المكاتب في الاسكندرية وفلسطين. واوسابيوس هو أول من اعتني بكتابة تاريخ اوريجانوس آخذا بعضه عن رسائله وبعضه عن تلامذته الذين بقوا أحياء الى أيام اوسابيوس فى القرن الثالث

لكثيرين من المنكوبين في ابان الاضطهاد فرقت لحال اوريجانوس وآوته في بيتها ولبث عندها طول مدة الاضطهاد وهي تنفق على تعليمه في مدرسة اكليمندس. وكان في بيتها رجل هرطوقي تبنته اسمه بولس من انطاكية فأفرغ اوريجانوس قصارى جهده ليرده عن ضلاله فلم يقلع عنه ولما لم يطاوع اوريجانوس ويشترك معه في الصلاة ترك هذا دار المحسنة اليه

وخرج اوريجانوس من ذلك المأوى وهو عازم على الظهور امام العالم بمظهر الجندى الباسل ليدافع عن بيضة المسيحية وكان يزاول مهنة التعليم ليقوم بنفقة نفسه وفي اثناء ذلك كان يذهب يفتقد من كان باقياً من المسيحيين في السجون وطفق يعزيهم بكلمات روحية ويشجعهم على شرب كأس الموت بصبر. وكان يرافق الكثيرين منهم الى المحاكم وحتى الى منقع العذاب ويشدد عزائمهم على الثبات في الايمان تارة بالاشارات وتارة بالخطب البليغة ومراراً شتى عرض حياته للخطر وهو يباشر أفعال الغيرة هذه . فاشتهر بعمله هذا واستحق اعجاب الجميع ولا سيما البابا ديمتريوس الذى قربه اليه وأظهر له سروره من سعيه المبارك وزاد ابتهاجه به عند ما رآه فضلا عن تعبه في تخفيف ويلات المتضايقين منكباً على الدرس ومواصلا المطالعة فشجعه على الاستمرار في جهاده المبرور

وكانت المدرسة اللاهوتية حينئذ مغلقة بسبب هروب أساتذتها من وجه الاضطهاد فجد البطريرك حتى جمع بعض الطلبة في تلك الاوقات المخيفة وكلف اوريجانوس بتعليمهم فشرع يعلم مبادىء الآداب اليونانية ثم تعاطى تفسير الدين المسيحي للموعظين . وكانت تصرف للتلاميذ مرتبات من الاموال المخصصة للفقراء .

ولم يكد اوريجانوس ينجح في عمله حتى قبض اكويلا والي مصر بأمر كاركلا قيصر على خمسة من تلاميذه وبعد ان عذبوا عذاباً شديداً حكم عليهم بالموت المريع لانهم أبوا ان ينكروا ايمانهم . وكان بين الخمسة اثنان باسم ساويرس أحدهما حرق والآخر قطعت رأسه بعد ان عذب طويلا . وهيراكليدس وهرون قطعت رأسهما ايضاً. أما الخامس وهو ياروكلاس فكان صديقاً حميماً لاوريجانوس فلم يتركه عند القبض عليه بل رافقه الى موضع الاعدام . ولما شاهد الجنود

يقتربون من ياروكلاس تقدم اليه بشجاعة وقبله قبلة الوداع على مشهد من الجميع فاغتاظ منه الرعاع وهموا برجمه ولكنه أسرع بالهروب ويظهر ان مطاردتهم له مكنت ياروكلاس من الفرار بطريقة ما وعاش حتى صار رئيساً للمدرسة اللاهوتية فبطريركاً للكرازة المرقسية . الا ان التعاليم في تلك المدرسة أبطل من ذلك الحين وطرد اوريجانوس من المدينة ولما سمح له بالرجوع استأنف التعاليم

وبعد سنتين عينه البابا ديمتريوس رئيساً رسمياً للمدرسة اللاهوتية وهو في الثامنة عشرة من عمره فتقاطر عليه الكثيرون للاستفادة من تعاليمه حتى ان الوثنيين ايضاً أخذوا بفصاحته فكانوا يقبلون اليه وأهدى كثيرين منهم الى الايمان حتى أوغرت عليه صدور الوثنيين وصاروا يمقتونه مقتاً شديداً رغماً عن احترامهم له بالنسبة لفضيلته . وكانوا يتمنون ان يتمكنوا من القبض عليه ليوردوه موارد الهلاك . ولما رأى البابا ديمتريوس سخط الوثنيين على اوريجانوس يتزايد كل يوم اضطر ان يضع حوله حراساً أقوياء ليمنعوا الأذى عنه

قال اوسابيوس المؤرخ « ان عوامل الاضطهاد كانت تزداد ضده كل يوم وحنق القوم عليه أصبح شديداً حتى ان أهالي الاسكندرية عن بكرة أبيهم لم يستطيعوا احتماله ولا الصبر على انتقاله من منزل لآخر وجولانه في كل ناحية مرشداً ومشجعاً الجم الغفير الذين هداهم الى الايمان الصحيح » اه . وروى ابيفانيوس ان رعاع الوثنيين أمسكوه يوماً بينما كان سائراً في الطريق وحملوه بضجيج شديد الى هيكل سيرابيوم الشاهق وحلقوا له رأسه ووضعوا عليها قلنسوة وألبسوه حلة بيضاء على طريقة كهنتهم رغماً عنه ومن ثم أخرجوه خارج الهيكل وأصعدوه على القمة الكبرى التي كانت في أعلى السلم وأعطوه سعف النخل وأمروه بان يوزعه على عبدة الاوثان الذين كانوا مجتمعين حوله وهم يسخرون به ويصفقون له . فاسرع اوريجانوس ولوح بالأغصان ونثرها على المتجمهرين وهو يقول لهم بصوت عظيم « هلموا خذوا هذه الاغصان لكن ليس برسم الأوثان بل باسم يسوع المسيح خالق الأنسان » فصروا بأسنانهم عليه وهموا بقتله ولكن الرب أنقذه هذه المرة ايضاً من ايديهم

ويظهر ان انعكافه الزائد وسعيه المتواصل لنوال أسمى درجة في العلم والفضيلة

قد جعله زاهداً في الحياة لدرجة متناهية فرفض جميع ما كان يقدم له جزاء لاتعابه وتقسى على جسده فكان يقتات فقط بما يدرأ عنه ألم الجوع ولا يشرب شيئاً من المشروبات وكان ينام على الارض دون فراش ويلبس ثوباً واحداً ويمشي دون حذاء . يصرف كل النهار في التعليم والاشغال المتعبة ويقضي اكثر الليل في الدرس والمطالعة . وفي تلك المدة تخلى عن مكتبته التي جمعها من مؤلفات الفلاسفة والتي كتبها بيده من مكتبة الاسكندرية لرجل وثني مقابل راتب يومي قدره اربع بارات (أي ثمانية مليمات تقريباً) وحسب ذلك كافياً لسد حاجته . ولهذا لقبه المؤلفون القدماء بادمتيوس (الالماسي) لميله الى النسك ونشاطه الذي لا يخامره ملل . ومع هذه الصرامة التي عامل بها نفسه كان مجملا بوداعة تسبي قلوب الجميع فرقة طباعه وحذاقة عقله جعلتا كثيرين من الاسكندرية يلتفون حوله . ولما كان ينتصب للخطابة كان الرجال والنساء من كل رتبة يسارعون لسماع تعاليمه .

وكان اوريجانوس حريصاً على عفته وطهارة ذيله ويخشى ان يرشقه حساده وخصماؤه بنبال اغتيابهم . وكان يشعر بانه مضطر الى التردد على بيوت المؤمنين لتعليم العائلات أصول الدين ورأى كثيرات من التلميذات يتبعنه . وفيما كان سنة ٢٠٦م يطالع في الاصحاح التاسع عشر في انجيل متى انتبه للآية الثانية عشر وأخذها على ظاهر معناها فخصى نفسه لكي يمنع عنه التجربة ولم يكاشف بامره الا البابا ديمتريوس . وبسبب كل هذا التقشف الزائد أصيب جسمه بالنحول والضعف . قيل ان هذا ما كان يرومه اوريجانوس كي لا يكون أهلا لنوال درجة الكهنوت

ولم يكتف اوريجانوس بما حصله من العلوم الكثيرة في المدرسة اللاهوتية فعكف على درس العلوم الطبيعية والأدبية في المدرسة الوثنية التي كان يديرها أمونيوس السقاص غير انه لما رأى نمو عدد تلاميذه تركها نظراً لعدم ملاءمة تلك الدروس لما كتبه الوحي الالهي . غير انه لبث يطالع ما سطره الأقدمون من الاقوال المفيدة ولما عاب عليه البعض ذلك كتب يقول « لما كنت قد كرست نفسي لخدمة كلمة الخلاص وكان قد ذاع صيتي في الآفاق نظراً لبراعتي واقتداري

وكثيراً ما كنت معضداً للهراطقة وأهل البدع الذين يجيئون لزيارتي والبحث معي وكنت مرموقاً بجماعة من المغرمين بالعلوم اليونانية خصوصاً المتعمقة في الفلسفة — قصدت ان أفحص افكار الهراطقة وأمتحن تآليف الفلاسفة الذين أحياناً ينطقون بحقائق مهمة وقد اتبعت في هذا خطوات بنتينوس الذي أفاد الكثيرين قبل ان أوجد انا ولم تكن معارفه قاصرة على هذا الحد كما انني قفوت آثار هاراكلاس الذى كان عضواً في مجمع الاسكندرية وقد علمت انه واظب مدة خمس سنوات يحضر عند معلم الفلسفة قبل ان ابتديء انا في استيعاب هذه العلوم » اه .

فانكب اوريجانوس على درس الفلسفة على مذهب بيتاغورس وافلاطون ليستعين بذلك على رد مزاعم أهل البدع وعلى تفسير الكتاب ولهذا كان ايضاً صديقاً لامنيوس السقاص

وفي سنة ٢١١ م زار مدينة رومية فقوبل فيها بكل اجلال كما يليق بعالم فاضل مثله وتقابل بزفرينوس اسقف تلك المدينة بعد فكتور . فثبت هناك في ما عزم عليه من عمل شيء يكون له نفع عظيم لعلماء التوراة . واذ صرف في الامر غايته لم ير بداً من ان يشرك معه في تدبير المدرسة اللاهوتية ياروكلاس أحد تلاميذه المتقدمين . ثم انصب على درس اللغة العبرانية فلم يلبث ان برع فيها وكان غرضه ان يستقصي معاني آيات الكتاب المقدس الحقيقية ليضع لها تفسيراً وافياً وليؤهل نفسه الى ترجمة الكتب المقدسة الى ست لغات وهو عمل يعد من اعظم الاعمال التي قام بها اوريجانوس في حياته ولو ان هذه الترجمة لم تنشر الا بعد وفاته بسنين قليلة

وكان صيته حينئذ قد قرع كل الاسماع ودوى في جميع الاماكن فتوافد عليه الكثيرون طلباً للاستفادة من معلوماته . وكان من أجل خدماته قيامه بثلاث رحلات الى بلاد العرب اولها كان بين سنة ٢١٢ و٢١٣ م وسبب ذهابه هو ان حاكم بلاد العرب ارسل بعد هدوء الاضطهاد الى والي مصر وبطريرك الاسكندرية يطلب منهما ارسال الرجل المسيحي المسمى اوريجانوس بدون تأخير وذلك لكي يشرح له تعاليم الديانة المسيحية ويرشده الى طريق الخلاص . فترك

اوريجانوس في مكانه ياروكلاس وذهب لاتمام هذه المهمة ولم يستمر فيها طويلا لان البطريرك عين شخصاً اسمه بيرلوس اسقفاً على البصرة لهداية بلاد العرب . والمرة الثانية كانت ليحضر مجمعاً انعقد بسبب سقوط بيرلوس اسقف بصره المتقدم ذكره في الهرطقة فتمكن اوريجانوس من ارجاعه الى حضن الكنيسة . والثالثة كانت لدحض بدعة انتشرت هناك ومؤداها ان اللاهوت مات مع الناسوت وقام معه ثانية في وقت واحد

وفي سنة ٢١٢ م تعرف اوريجانوس برجل من ارباب الثروة والنفوذ يدعى امبروسيوس وكان تابعاً لضلال فالنتينوس فهداه اوريجانوس الى الايمان وصار له صديقاً حميماً وتمكن بواسطته من توسيع دائرة تعليمه وجعل درس جميع الفلسفة المعروفة تمهيداً لدرس اللاهوت المسيحي . ولم يكتف امبروسيوس بمساعدته على التعليم بل حثه على وضع اكثر الكتب التي ألفها ونسخها على مصاريفه الخصوصية . فاشترى مؤلفات واستأجر سبعة نساخ وكان يملي عليهم اوريجانوس متعاقبين (لا يلقنهم معاً كما توهم البعض) فنشر في الاسكندرية تفسيره لسفر التكوين والمزامير ومراثي ارميا والاقسام الخمسة الأولى من كتابه في انجيل يوحنا ورسالة في القيامة ورسالة عنوانها (ستروماتا أي مجموع فوائد) وتأليفه المعنون « بالمبادىء » وقد روى بعض الكتاب انه كتب بعد ذلك الى فابيانوس اسقف رومية ان امبروسيوس نشر المؤلف الأخير خلافاً لارادته لان في ذلك الكتاب المذكور خلط المبادىء المسيحية بالفلسفة الافلاطونية فجعل لمضاديه في زمن تال سبيلا الى رجمه بتهمات قوية . ولكن أفضل المحققين يصرحون بان كتاب المبادىء كان خالياً من كل عيب بشهادة البابا اثناسيوس الرسولي الذي رفع شأن هذا الكتاب ودفع عنه كل تهمة وحكم بقصر نظر من يرون فيه ضلالا ولقد أشار القديس اثناسيوس على من يطالع هذا الكتاب بأن يفرق بين آراء اوريجانوس وبين الآراء المناقضة التي اوردها ذلك العلامة للرد عليها (١) وقال العلامة ديديموس الضرير « ان كتاب المبادىء هو ارثوذكسي المبنى والمعنى . أما الذين يرون فيه هرطقة فقاصرون عن ادراك مكنون أسراره » (٢)

---

(١) قرارات مجمع نيقية رقم ٢٧ (٢) سقراط ك ٣ ف ٢٣

وفي سنة ٢١٥ م اشتد الاضطهاد في الاسكندريه في عهد كاركلا قيصر فهرب اوريجانوس الى قيصرية في فلسطين حيث لقي فيها كل اعتبار واكرام . ومع ان وظيفة الوعظ كانت حينئذ خاصة برجال الكهنوت ولم يكن اوريجانوس قد نال رتبة كهنوتية مع توافر علمه وتقواه بسبب زهده في الرتب والوظائف الا ان اسكندر اسقف اورشليم رفيقه في التلمذة وثيوسيتوس اسقف قيصريه طلبا منه ان يشرح الاسفار المقدسة جهاراً لفائدة الجمهور بحضورهما ولما سمعاه أطلقا عليه لقب « سيد مفسري الكتاب المقدس » وكان ميليانوس اسقف قيصرية الكبادوك ينتظر حضور اوريجانوس بفروغ صبر ولما استبطأه أسرع الى فلسطين ليتلقى العلوم ممن كان يفتخر بان يدعوه استاذه

فلما وصلت اخبار اوريجانوس الى مسامع البابا ديمتريوس اعترض على اولئك الاساقفة لسماحهم لاوريجانوس بمزاولة مهنة خاصة بالكهنة فجاوبه الاساقفة بما يدل على احترامهم له ودافعا عن انفسهما بانهما سارا على منوال السالف الصالح الا ان البابا ديمتريوس لم يقتنع فارسل رسائل لأوريجانوس مع بعض الشمامسة يأمره بعدم القيام بأية خدمة ويخبره بهدوء الاضطهاد ليحضر ويمارس أعماله فرجع اوريجانوس بسرعة الى الاسكندرية واستلم زمام اعماله

ولم يمض الا القليل بعد ذلك حتى أتيح لاوريجانوس زيارة العربية حيث اجتمع بهيبوليتوس احد فلاسفة المسيحية وقتئذ وقد وضع هذا كتاباً عنوانه (Philosophumena) نسب الجزء الاول منه الى اوريجانوس وسنة ٢١٩ م استدعته ماميا أم الملك اسكندر محب المسيحيين الى انطاكية لتسمع وعظه واستمر مدة كان فيها موضوع الاجلال والاكرام . وكان لمعارفه وآدابه تأثير عظيم وبسببه خف الاضطهاد الذى كان واقعاً على المسيحيين اوانئذ

وفي سنة ٢٢٨ م ارسله البابا ديمتريوس الى اخائيه ببلاد اليونان ليقاوم الهراطقة الذين اقلقوا راحة الكنيسة هناك فزار في طريقه فلسطين وكان في كل مدينة او قرية نزلها يدعى الى الوعظ في الكنائس ولما مر بفلسطين عند رجوعه خاطبه اسقفها ثوسيستوس بالاشتراك مع اسكندر اسقف اوروشليم بانه لايجوز باستاذ الكهنة والاساقفة ان يكون مجرداً من كل رتب الكهنوت . ويظهر

ان اوريجانوس كان بسيط القلب فاقتنع بكلامهما وارتضى ان يقبل منهما درجة القسوسية وهو في السنة الثالثة والأربعين من العمر

غير ان ديمتريوس البابا الاسكندري اعتبر هذه السيامة تعدياً على حقوقه . ومن ذلك الحين بدأ سوء التفاهم يجد مكاناً بين اوريجانوس والبطريرك الذي اقام الحجة على ذينك الاسقفين لرسامتهما شخصاً خاضعاً له فجاوباه بان احترامهما لمركزه عظيم . قال اورنيموس « ان الحسد هو الذي حمل ديمتريوس على هذا كله » غير انه لم يأت ببرهان على صحة ذلك والحقيقة كما يرويها المدققون ان البطريرك الاسكندري امتنع عن ترقية اوريجانوس لدرجة كهنوتية لسببين اولهما لأنه خصى نفسه الأمر الذي اخفاه اوريجانوس عن اسقفي فلسطين واورشليم. ثانيهما نحول جسمه وضعفه وقد قلنا ان اوريجانوس كان يسعى وراء الحطاط القوى ليكون حائلا بينه وبين الرتب الكهنوتية التي كان راغباً عنها كأغلب اتقياء العصور الأولى

ولما رجع اوريجانوس الى الاسكندرية بعد رسامته رأى البطريرك حاقداً عليه ووجد مركزه قد سقط فحصل بينه وبين البطريرك نزاع عقد بسببه هذا مجمعاً بالاسكندرية سنة ٢٣١ م حكم فيه بنفي اوريجانوس وبحرمه لانه رسم من اسقفين غير تابعين للكرازة المرقسية ولأنه خصى نفسه الامر الذي بالغ اوريجانوس في كتمانه وساعده البطريرك على ذلك ولكنه اضطر الى اشهاره رغماً عنه ثم أرسل خطابات الى جميع الكنائس يعلمها بحكمه على اوريجانوس

أما اوريجانوس فمع كونه عرف ان هذا الحكم في غاية القساوة الا انه تدارك الامر بحكمته ولم يشأ ان يمكث في الاسكندرية ليوسع هذا الخلاف بل تركها تركاً لا رجوع بعده . وكان قد اكمل القسم الخامس من كتابه في انجيل القديس يوحنا ففزع الى قيصرية . وفي تلك الاثناء عقد مجمع آخر في الاسكندرية وفحص كتاب « المبادىء » وحكم بانه هرطوقي وحرم مؤلفه

ولما وصل اوريجانوس الى فلسطين استقبل فيها استقبال القائد المنتصر فاستاء البابا ديمتريوس من كثرة تعدي اساقفة تلك الجهة على حقوقه . ولحق باوريجانوس امبروسيوس وعائلته وتبعه كثيرون من طلاب العلم ولهذا عزم على فتح مدرسة

في قيصرية فلسطين يعلم فيها تفسير الكتاب المقدس وكمل في تلك المدينة المذكورة تفسيره لانجيل يوحنا

وقد كتب حينئذ عما كان يجول بصدره قائلا « وحدث بعد هذه الامور ان الله اخرجني من ارض مصر بيت العبودية كما خلص شعبه منها قديماً . ثم قام عدوي (يعني البطريرك) وأقام في وجهي حرباً عواناً بواسطة مكاتيبه التافهة التي تغاير مبادىء الانجيل تماماً وحرك ضدي ريحاً صرصراً فرأيت من الصواب ان أقاوم جهد استطاعتي مدافعاً عن المبدأ المهم الذي اختطيته لنفسي وسرت عليه وهو الافادة والاستفادة وكنت اخشى من ان هذه المماحكات العقيمة يستفحل شرها فتثير ثائرة النفس الأمارة فتضعف الذاكرة حينئذ واعجز عن اتمام شرح الكتاب المقدس الذي بدأت به قبل ان ينطمس ذهني خصوصاً وان ابتعادي عن النساخ الذين كانوا يكتبون الخط المختذل منعني من تملية ما يخطر على بالي من الافكار . اما الآن وقد بعدت عن كل عوامل التأثير وقدر الله جل وعلا ان تخيب تلك السهام النارية التي صوبت نحوي وتذهب في الهواء ألفت نفسي حينئذ وقوع الملامات التي كانت تصيبني بسبب التبشير بكلمة الانجيل واضطرت هذه النفس ان تتحمل بطيب خاطر جميع المصائب التي انتابتني فهدأ روعي وسكن جأشي لجودة الهواء وحسن الطقس فعقدت النية على عدم تأجيل نسخ وتملية المؤلفات المطلوب مني اتمامها » اهـ

وفي ذلك الحين كان اساقفة الكنائس الشرقية يطعنون في سيامة اوريجانوس ويظهرون هرطقته . اما اساقفة فلسطين وفينيقية فكانوا يعضدونه ويدفعون عنه الملامة . اما مدرسة قيصرية فاستمرت تزهو وتزهر ونبغ من تلاميذ اوريجانوس جماعة مشهورون فنشروا صيته واذاعوا مبادئه في التفسير وكان منهم كثيرون هداهم الى الايمان وصاروا فيما بعد قديسين منهم اغريغوريوس ثافماتورغوس (صانع العجائب) الذي سقف فيما بعد على قيصرية الجديدة من اعمال تيطس واخوه اثينودوروس الذي صار اسقفاً ايضاً على تلك البلاد . اما اوريجانوس فلم يعدل عن مشروعاته الادبية بل زاد همة ونشاطاً وحمية وألف رسالة في فائدة الصلاة وأخرى في تفسير الصلاة الربانية وكان يراسل كثيراً أشهر

أساقفة اسيا ودعي الى كثير من المجامع الكنسية

ومع انه مدح كثيراً لتجلده الذي اظهره ازاء ما أصابه الا انه لم يسلم من الغلطات التي يرتكبها كثيرون ممن يكونون في حال كحاله . فقيل انه وجه لخصمه البطريرك كثيراً من الانتقادات وتحرك احياناً للانتقام منه لولا تبكيت ضميره وصفاته المسيحية . وحدث انه كان يعظ يوماً باورشليم على الآية القائلة « وللشرير قال الله مالك تحدث بفرائضي وتحمل عهدي على فمك » (مز ٥٠:١٦) ولم ينته من قراءة هذه الآية حتى وبخته حواسه وخشي ان يفهم السامعون انه يقصد توجيه الكلام لديمتريوس وانهالت الدموع على خديه بغزارة وارتفع صوته بالبكاء حتى لم يقو على التفوه بكلمة واحدة فشاركه السامعون في التأثر والبكاء . وعقب ذلك تنيح البابا ديمتريوس وخلفه ياروكلاس تلميذ اوريجانوس ويظهر انه كان موافقاً لسلفه على اجراآته ضد اوريجانوس فلم يفكر في اثناء رئاسته ان يدعوه ليعود الى الاسكندرية

وفي ابان الاضطهاد الذي قام به مكسيانوس قيصر سنة ٢٣٦ م سجن امبروسيوس صديق اوريجانوس وبروتكتسيتوس أحد قسوس قيصرية وعوملا بمزيد القساوة فألف لتعزيتهما رسالة في الاستشهاد وقبض ايضاً على كثيرين من اتباعه وأكره هو نفسه على الفرار من قيصرية فالتجأ الى فرميتيانوس اسقف قيصرية في كبدوكية أحد اصدقائه المعجبين به كثيراً . ولما حدث الاضطهاد هناك اختبأ مدة سنتين في بيت يوليانه امرأة غنية فاضلة وأذنت له في استعمال مكتبة ابتاعتها من سياخوس أحد علماء الابيونيين [١] الذي ترجم العهد القديم الى اليونانية فانكب اوريجانوس على مطالعة ما في هذه المكتبة من الصحف وكمل فيه مقابلة النسخة العبرانية والنسخة اليونانية من التوراة وتهيأ بذلك لعمله العظيم بوضع كتاب « المسدسات » أي وضع آيات الكتاب المقدس في ستة حقول ليظهر للعالم الكتاب المقدس منشوراً في ست لغات كما سيأتي ذكره

وفي سنة ٢٣٨ م رجع الى قيصرية في فلسطين واستأنف اعماله ولم يلبث ان

---

(١) كانوا يعتقدون بحفظ ناموس موسى وبأن المسيح خاص باليهود ورفضوا رسائل بولس لانها توجب الخلاص للامم

دعي الى اثينا وتم هناك تفسير سفر حزقيال وبدأ بتفسير سفر نشيد الانشاد . ولما جلس فيليب الملك العربي على تخت الامبراطورية الرومانية راسل اوريجانوس عائلته . وفي ذلك الوقت اشتهرت رسالة ضد الديانة المسيحية وعم انتشارها جداً وضعها كلسوس الفيلسوف الوثني الافلاطوني فانبرى العلامة اوريجانوس لتفنيدها وألف رسالة ضدها دافع فيها عن الدين المسيحي دفاعاً مجيداً . ثم وضع حينئذ ايضاً تفسير انجيل القديس متى ورسائل أخرى

وفي السنة الستين من عمره أي سنة ٢٤٥ م سمح للستينوغرافيين (أي الذين يكتبون بخط مختصر) ان ينقلوا خطبه وكان بين هذه الجماعة عدد من الفتيات اتخذن هذه الصناعة مهنة لهن للافادة والاستفادة . وكانت المجامع تستشيره في المسائل الصعبة وتنتهي اليه في عظيم المشاكل

وفي الاضطهاد الذي قام به ديسيوس قيصر نظراً الى اوريجانوس كأ كبر مدافع عن حقائق الديانة المسيحية فقبض عليه وطرح في السجن وعذب عذاباً شديداً وكتب في السجن رسالة تتضمن النصيحة والتشجيع لمشاركيه في العذاب الا ان صحته اعتلت لما حل به من الآلام وقد كتب يوسيبيوس عما عاناه اوريجانوس في سياق كلامه عن استشهاد القديسين اسكندر اسقف اورشليم وبيبلسيوس اسقف انطاكية يقول « يصعب على الكاتب الماهر وصف ماقاساه اوريجانوس واحتمله بصبر وفرح من العذاب الشديد والآلام القاسي اثناء هذا الاضطهاد اذ وضعوه في مقطرة من حديد وزجوه في اعماق السجن حيث ظل بضعة أيام مطروحاً على خشبة وهو مشدود باربعة وثاقات لا يستطيع معها الحراك وهم يشعلون النار من حوله تهديداً له وتخويفاً وغير ذلك من مرائر شرحها يطول ووصفها يهول ذاقها هذا المسيحي من اعدائه العديدين ولكنه لم يبد ضجراً ولا أظهر مللا ولم يقل يا أزمة انفرجي . وعند ما انتهى القوم من تجريع اوريجانوس كل اصناف العذاب قدموه للحكم عليه بالموت فسعى القاضي الموكل بالحكم جهده في تأخير مدته ليس لينجي اوريجانوس منه بل ليطيل عذابه باطالة ايام حياته . فالذي تم لاوريجانوس من آلام وعذاب يجدر بان يكون عبرة لمن يعتبر وذكرى لمن يذدكر وتعزية للذي وقع في مصاب أو أصابه شر وتجربة وعلى

من يرغب شرحاً وافياً عن ذلك عليه بمراجعة رسائل اوريجانوس التي بقيت بعده فيجد فيها أخباراً يوثق بصحتها وتفصيلا وافياً عما أصابه وأصاب غيره من قبله» اهـ(١)

الا ان اوريجانوس مع كل ذلك لم يحكم عليه القاضي بالقتل وفيما بعد أطلق سراحه ولا يعلم كيف أطلق من السجن الا من رواية ابيفانيوس اسقف قبرص المتوفي في أواخر سنة ٤٠٢ م حيث قال « بان الوالي أتى اوريجانوس يوماً في السجن وعرض عليه أحد أمرين اما ان يرتكب رغماً عنه أمراً مخلا بقانون العفة أو يقدم بخوراً في مجمرة كانت معه باسم الاوثان . ولشدة حرص اوريجانوس على عفته آثر ان يلقي البخور في المجمرة على اقتراف المنكر وبذلك أطلق سراحه» اهـ وقال بعض المؤرخين ان ذلك لم يكن في اضطهاد ديسيوس بل كان في اضطهاد ساويرس اذ كان اوريجانوس في الاسكندرية ولما كان ابيفانيوس من اكبر خصوم اوريجانوس انكر اكثر المؤرخين هذه السقطة وقال غيرهم ان اعداء اوريجانوس زادوا هذه الحكاية على كتاب ابيفانيوس وانه لو صح ذلك لما أهمل ذكره برفيروس عدو المسيحيين الا له الذي نقب عن زلات كثيرين من علمائهم . وهكذا يوجد بعض المؤرخين يدافعون عن صحة هذا الخبر وكثيرون منهم يكذبون وبراهين هؤلاء أظهر وأقوى

والذين مالوا الى تصديق الخبر استندوا على قطعة رثاء وجدت لأوريجانوس رثى بها نفسه بقوله « أيها البرج الشامخ الا انك سقطت الى الحضيض بغتة . ويا أيتها الشجرة الغضة المثمرة الا انك على الفور يبست ويا أيها النور المتوقد الا انك أظلمت وشيكا ويا أيها الينبوع الجاري الا انك نضبت . ويلي فاني كنت مشتملا بمواهب ونعم وقد عريت عنها الآن جميعها . فرقوا لحالي يا أحبائي فاني دست خاتم اقراري واتحدت مع الشيطان واشفقوا علي يا خلاني فاني رذلت وطرحت أمام وجه الله . أين ذلك الراعي راعي النفوس الصالح وأين من نزل الى اورشليم الى اريحا وعنى بامر جريح اللصوص فانجدني يا رب أنا الذي وقعت من أعلى اورشليم ونقضت النذر الذى أخذته علي في المعمودية وغيرها وأغثني أيها الروح

---

(١) لم يبق من هذه الرسائل التي أشار اليها يوسابيوس سوى رسالتين لم يذكر فيهما شيء عن حوادث اضطهاد ديسيوس ويظهر ان ذلك واضح في رسائل اوريجانوس المفقودة

القدس وهب لي من لدنك نعمة لاتوب . رب اني ابتهل اليك لان تردني فقد سلكت للهلاك أعظم مسلك . انعم علي بالروح القدس المرشد والمهذب الصالح لئلا أمسي مأوى للشيطان ولكن أدوسه كما داسني وأقوى على حيله فأعود الى التمتع بخلاصك . رب اني أخر أمام عرش مراحمك فكن لي رحوماً انا النائح هذا النواح لتسد ما أسأت به . ان معاشر المسيحيين القديسين يتوسطون عندك من أجلي انا العبد الساقط رب اظهر رحمتك لخروفك التائه الذليل للذئب المفترس ونجني من فمه وانزع عني ملابس حدادي والبسني منطقة الفرح والسرور واقبلني ايضاً في فرح الهي واجعلني ان اكون اهلا لملكوته بواسطة خالص صلوات الكنيسة عني التي تحزن علي وتواضع نفسها من اجلي ليسوع المسيح الذي له مع الآب والروح القدس كل شرف وكرامة الآن والى أبد الابدين ؛ آمين» اه

والمعلوم انه لم يفرج عن اوريجانوس الا بعد موت ديسيوس قيصر وأمسى بعد ماعاناه من التعذيب أكسح من قبل الجراح التي أنزلتها القيود في رجليه فلبث مدة بعد خروجه من السجن يتجرع آلاماً مبرحة ويتقلب على فراش الضنى والنحول وهو يقترب بسرعة الى حافة الموت . ولكن انتعش حينئذ عند ما وصله كتاب من البابا ديونسيوس البطريرك الاسكندري الذي خلف ياروكلاس يشجعه فيه على احتمال المشقات ويظهر له حزنه العميق على حالته التعيسة . غير ان حياة اوريجانوس لم تطل بعد خروجه الا اربع سنوات على قول بعضهم كان فيها غير منكف من جهده في التأليف والمكاتبات والخطب وعلى قول آخرين لم يعش سوى سنة واحدة وعلى كل حال فقد أثر عليه ما عوقب به من الآلام المبرحة التي انهكت جسمه وسحقته فمات سنة ٢٥٤ م في مدينة صور وله من العمر ٦٩ سنة ويحق لنا ان ندعوه شهيداً ودفن في المكان الذي مات فيه بصور وظل قبره معروفاً حتى شيدت فوقه كنيسة وذكر كثيرون من اصدقائه انه مات تحت العذاب سنة ٢٥٤ م وحفظ ضريحه مدة قرون عديدة بقرب المذبح في كنيسة صور الاسقفية واستمر قبره مزاراً للكثيرين حتى القرن السادس . قال مؤرخ « واذا سألت أهل صور عن مكان قبره لأشاروا لك الى اطلال كنيسة قديمة بنيت عليها اكواخهم وقالوا لك هنا قبر (اورسنيوس) يريدون اوريجانوس

مدفون في قباب تلك الكنيسة وهو الآن تحت الأرض » اه

فرجل مسيحي فاضل كهذا كيف يتهمونه بالهرطقة وقد كانت حياته كلها بريئة من كل مايشين واجمع الكل على طهارة ثيابه ونزاهة نفسه حتى قال عنه اورسابيوس « ان حياة هذا الرجل أفضل مفسر لعظاته » وقال موسهيم المؤرخ « ان بيانه الساحر وعلمه الكثير وطبعه المحبوب وصيته الحسن في التقوى الحارة الخالصة اعطته سطوة عظيمة . ولا سيما بين العلماء وذوي المراتب الأولى في الهيئة الاجتماعية . ولم يقم أحد منذ زمن الرسل اكثر منه مناضلة واجتهاداً في اذاعة المعرفة وتفقيه المسيحيين وتنويرهم واتحادهم وتوقيرهم في عيون البشر » اه

***

أما ما ينسب الى اوريجانوس من الضلال فلم يذبه في حياته الا عن القليل منه ولما طرق مسامعه خبر هذه الاشاعات الكاذبة قال في ميمره الخامس والعشرين على انجيل القديس لوقا « ان من دواعي سرور أعدائي ان يسبوا الي آراء لم أتصورها ولم تدر بخلدي » وجل ما اشيع عنه من الضلالات جمع بعد موته . ويغلب على الظن ان الذين نسبوا اليه الهرطقة هم أناس قرأوا مؤلفاته بدون ان يفهموها جيداً فتوهموا من ظاهرها ما يلصق به تلك التهمة . ويقال ان بعض الهراطقة في ذلك الحين كانوا يجتهدون بان يدسوا في كتب المؤلفين انواع هرطقاتهم ليوصلوها الى عقول الجمهور من هذا السبيل فلا يبعد ان يكونوا عملوا ذلك بمؤلفات اوريجانوس كما عملوا بمؤلفات اكليمندس قبله وكما شرع كثيرون منهم بكتابة أناجيل ورسائل ونسبوها للرسل وضمنوها ما يعتقدون من البدع والأضاليل ولكن جميعها نبذت

أما الاضاليل التي نسبت الى اوريجانوس وجمها خصومه وأذاعوها فهي (١) ان الانفس خلقت قبل اجسادها وحبست فيها لمعاص ارتكبتها [1] (٢) ان

---

(١) يقصد خصوم اوريجانوس ان يجعلوه يعتقد بان النفوس البشرية خلقت مع الملائكة في مكان واحد وزمان واحد ثم ارتكبت بعض المعاصي فانحدرت بسبب ذلك الى الارض واتحدت باجساد كثيفة عقاباً لها

نفس المسيح خلقت واتحدت باللاهوت وذلك قبل زمن التجسد (٣) ان الشياطين والهالكين يخلصون (٤) ان الاجساد الحقيقية لا تقوم في يوم النشور وسيعاض عنها باجساد أخرى (٥) ان الارواح تتقمص (٦) ان عوالم كثيرة خلقت قبل هذا العالم وستخلق كذلك عوالم أخرى بعده . اه

ويقول الواقفون على الحقيقة ان هـذه الهرطقات لا أثر لها في مؤلفات اوريجانوس ولم تظهر الا في الترجمات اللاتينية التي وضعها من بعده روفينوس الاكويلي القائل في مقدمة كتابه « اني لم أتصد الى اصلاح بعض عبارات اوريجانوس الا بقصد تهذيبها » اه

ولما كانت بعض عبارات اوريجانوس بعيدة الفهم اجتهد ان يصلحها فكان عدم فهمه اياها سبباً لانه يرقم ما اعتبره الخصوم ضلالا لاوريجانوس حتى ان انسطاسيوس اسقف رومية سنة ٣٩٨ — ٤٠٢ م في رسالته الى يوحنا اسقف اورشليم احد انصار اوريجانوس أوقع الحرم على ترجمةروفينوس لا على الاصل اليوناني .

ومعظم تلك الاضاليل المذكورة مأخوذة عن اعتقادات وثنية ولا يعقل ان اوريجانوس نصير المسيحية الوحيد حينئذ ضد الوثنية ينقل تلك الآراء السخيفة وقد قال اغريغوريوس ثافماثورغوس تلميذ اوريجانوس في دفاعه عنه « انه كان يحذرني من الاستناد فيما يختص بالدين على الفلسفة البشرية » وقد قرر اوريجانوس نفسه في مقدمة كتابه المبادىء رقم ٢ ضرورة نبذ اكثر ما يقوله فلاسفة اليونان لان اكثره يحسب ضلالا . ولئن كان اوريجانوس يجهد ذاته في فهم تلك الفلسفة فذلك ليستعين بها على رد هجمات اهلها على المسيحية وليتمكن من ان يستخرج لهم من دياناتهم ما يؤيد به ديانته وقد أشار الى ذلك في رسالة لاغريغوريوس المذكور حيث قال « كما ان العبرانيين قد صنعوا بذهب المصريين وفضتهم تابوت العهد والكاروبين وأواني المذبح كذلك يجب علينا نحن المسيحيين ان نصنع بفلسفة اليونان فلننقل الى هيكل الحكمة الالهية هـذه الزينات التي يسيء اربابها استعمالها . فلنأخذ عن اللغة اليونانية التي طالما استعملت لمدح الضلال والرذيلة عذوبتها وطلاوتها لنزين حقيقتنا الناصعة بالزينة التي طالما

ألبسوها بطلهم وبهتانهم . فلنجعل اله الشر قوة للخير . ولكن حذار من الترهات التي تكسوها هذه الزينات حذار من ان ننقل شيئاً منها الى دين الحق لئلا نضل ونكون مثل يربعام الذي تزوج بابنة ملك مصر وعاد مع عروسه الى اسرائيل فأبدل عبادة الاله الحقيقى بعبادة اصنام المصريين » اه

وقد انبرى كثيرون من المؤرخين الصادقين خصوصاً في الايام المتأخرة للذب عن اوريجانوس وتبرئته مما نسب اليه وخير ما وقفنا عليه في هذا الشأن دفاع صاحب كتاب « مختصر تاريخ الامة القبطية » (ص ٣٨٤ — ٣٩٠) ننقل ملخصه لفائدته التامة هذا على اننا ايضاً أخذنا عن ذلك الكتاب افضل الآراء التي دافعنا بها عن اوريجانوس : —

التهمة الأولى — هى المختصة بخلق النفوس قبل اجسادها. خالفها اوريجانوس في كتاب المبادىء ك ٢ ف ٨ وغيره من مؤلفاته بقوله « ان النفس البشرية خلقت في اليوم السادس عند ما نفخ الله في آدم وكان ذلك بعد خلق الملائكة » . اه وانحدار النفوس الذي تكلم عنه خصومه لم يكن غير انحدار الملائكة الذين سقطوا (المبادىء ك ٣ ف ٥)

التهمة الثانية — هى المختصة بخلق نفس المسيح قبل تجسده . وبعقارنتها بقوله في كتابه المبادىء ك ٤ ف ٣١ « ان الكلمة أخذ جسداً بنفس ناطقة وذلك عند التجسد لا قبله ولا بعده » يتضح بطلانها

التهمة الثالثة — هى المختصة بخلاص الشياطين والهالكين . وقد ادعوا بها لسوء فهمهم أقوال ذلك الفيلسوف وهذه هى « ان الملائكة قسمان قسم أطاع فخلص خلاصاً ابدياً وقسم سقط فهلك هلاكا ابدياً . وأما الجنس البشري فرغماً عن سقوطه في خطيئة آدم الاصلية يمكنه ان يخرج من الهوة التي وقع فيها ويتحد بالله وبملائكته الابرار . غير ان الذين يسترسلون في ضلالهم يصبحون عبيداً للشيطان فيهبطون فى الهاوية الابدية » (المبادىء ك ١ ف ٦ : ٢ و٣) أي ان الذين يؤمنون بالمسيح يخلصون من العقاب الاول وبعكس ذلك الذين لا يؤمنون .

التهمة الرابعة — هى المختصة بعدم قيامة الاجساد نفسها . ويناقضها ماقرره فى تفسيره للمزمور الأول وفى كتابه المبادىء ك ٢ ف ٢ : ٢ « ان عدل الله يقتضي ان يتوج الاجساد نفسها التي سفكت دماء أصحابها فى سبيل المسيح »اه

وقد ادعى اوريثموس عدو اوريجانوس بانه اعتقد بتغير شكل الاجساد عند القيامة بان تأخذ اشكالا كروية كالشمس والنجوم وسائر الكواكب . ولكن اوريجانوس لم يشبه اجساد الناس بالكواكب الا فى البهاء حسب قول بولس الرسول فى (١ كو ١٥ : ٤٠ و٤١) ونفى هذا القول في كتابه الثاني على القيامة

التهمة الخامسة — هى المختصة بتقمص الارواح . وقد انتشرت فى حياة اوريجانوس ففندها فى ميمره ١٦ على سفر ارميا ١٦ : ١ وفى رسالة بعث بها لتلاميذه بالاسكندرية يقول « ان هذا الرأي لا يخطر لمجنون فى منامه » اه

التهمة السادسة — هى المختصة بخلق عوالم كثيرة . وفى كتابه المبادىء ك ٢ ف ٣ : ٦ ولك ٣ ف ٥ : ٣ لم يذكر سوى ثلاثة عوالم (١) عالم الملائكة (٢) العالم البشري (٣) العالم الذي يتكون بعد البعث من اتحاد العالمين المتقدمين

***

ومن يطالع أقوال آباء الكنيسة بشأن اوريجانوس لا يستطيع ان يحكم عما اذا كان شخص اوريجانوس محروماً أم غير محروم فقط نعلم ان الكنيسة شجبت تلك الضلالات التي أذاعها الخصوم . وتاريخ الكنيسة مشحون باخبار الانشقاقات التي قامت بين الآباء بسبب اوريجانوس فنهم من كانوا يعتبرونه هرطوقياً ومنهم من كانوا يعتبرونه من معلمى البيعة الافاضل فمن خصومه : —

(١) البابا ديمتريوس كما ذكر (٢) متيوديوس استف اولمبيا . وضع ضده ثلاثة كتب غير انه فى آخر حياته ادرك خطأه وذكر اوريجانوس بكل احترام (٣) ابيفانيوس استف قبرص . هو أول من أذاع البدع عن اوريجانوس وعنه أخذ الآخرون . وقدكان بسيطاً سريع التصديق لمايسمع فكتب عن اوريجانوس

ما كتب بسلامة ضمير (٤) ثوفيلس بابا الاسكندرية . وسيعرف القارىء في تاريخه سبب هذه المداوة (٥) ايرونيموس احد علماء سوريا في القرن الرابع كان في مبدأ الامر من انصار اوريجانوس ولكنه بسبب منازعاته مع روفينوس المذكور انه نقل كتب اوريجانوس للاتينية صار من ألد اخصامه الا انه كتب عنه قبل ان يكون خصمه قائلا « لم يكن اوريجانوس مجرد كاتب عذب المشرب يرتاح اليه امراء الكتاب أو مجرد مؤلف فاق نظراءه بمؤلفاته الدانية القطوف بل كان بلا جدال المعلم الاول لجميع الكنائس بعد الرسل ولا مشاحة في ان اراءه تعبر عن الارثوذكسية التي لم يشبها ضلال أما الذين استوقد الحسد ضلوعهم فاتهموه بالهرطقة فان هم الا كلاب كلبة » اه ولما اصبح يقاوم الاوريجانيين شديد المقاومة قال لهم « وافقونا على ان اوريجانوس انخدع في بعض المسائل فلا يبقى لي ما أقول وان اعترضنا من يحسدونه على فخره ببعض أغلاط له فليعلموا ان الخطأ من شيم كبار الرجال فلا تتشبثن بزلات من لا نستطيع مباراته في فضائله » اه

ومن محبي اوريجانوس والمدافعين عنه : —

(١) البابا ديونوسيوس الاسكندري البطريرك الرابع عشر (٢) ثيوسيستوس اسقف فلسطين (٢) الكسندر اسقف اورشليم (٣) غريغوريوس العجايبي (٤) اخوه ثيئودوروس (٥) و(٦) غريغوريوس النزينزي وباسيليوس الكبير . درسا العلم عن مؤلفات اوريجانوس ولخصا منها رسائل عرفت باسم فيلوكالي (محب الجمال) لتعليم الناشئة المسيحية واطلق عليها هذا الاسم لميل اوريجانوس الى كل مبدأ سام (٧) غريغوريوس اسقف نيصص بالكبادوك . كان كثير المطالعة لمؤلفات اوريجانوس حتى حفظ اغلبها وسار على منواله في ما كتبه من الكتب وكان يلقب اوريجانوس بزعيم فلاسفة المسيحيين (٨) بمفيليوس البيروتي تلميذ بيروس مدير المدرسة اللاهوتية نسخ معظم مؤلفات اوريجانوس بيده وشغف بمطالعتها وكتب عنه وهو سجين يقول « ان لخصوم هذا الفيلسوف عقولا قاصرة عن الخوض في عباب مباحثه الواسعة وعاجزة عن ادراك سمو المعاني التي يرمي اليها من كان معلماً للكنيسة بعد رسل الرب » اه (٩) ديديموس الضرير مدير المدرسة اللاهوتية مدح كتاب المبادىء (١٠) البابا اثناسيوس

الرسولي البطريرك العشرون دافع عن كتاب المبادىء (١١) القديس يوحنا فم الذهب. مات منفياً في سبيل الدفاع عن مبادىء اوريجانوس التي كان كلفاً بمطالعتها كما يتضح من تاريخ البابا ثاوفيلس البطريرك الثالث والعشرين (١٢) توتيم اسقف سيتي . اعترض على ابيفانيوس عند ما قاوم القديس يوحنا فم الذهب لغرامه بكتب اوريجانوس بقوله « اعلم يا ابيفانيوس انه لا يمكننا ان نسيء الى الذي مات تقياً وليس في استطاعتنا ان نحرم اسفاراً اعتبرها آباؤنا ارثوذكسية فضلا عن اننا لم نجد فيها أثراً للهرطقة » اهـ (١٣) ايسيذوروس مدير مستشفى الاسكندرية والاخوة الطوال القامة . دافعوا عن اوريجانوس دفاع الابطال وطردوا من الاسكندرية وصادفوا الاهوال في سبيل التمسك باحترامه وقد اقسم هو والاخوة المذكورون على ان اوريجانوس بريء من كل هرطقة (١٤) يوحنا ٢ اسقف اورشليم . هام بكتب اوريجانوس وحاول ابيفانيوس وايرونيموس ان يجملاه ينكف عن مدح اوريجانوس برسالة بعث بها اليه الاول ولكنه لم يفعل بل كتب محاماة عن اوريجانوس رسالة ارسلها الى البابا ثوفيلس البطريرك الاسكندري حينما كان يجل اوريجانوس . فيظهر لنا ان اصدقاء اوريجانوس اكثر اعتباراً في نظر الكنيسة من خصومه فلو كان اوريجانوس هرطوقياً لما دافع عنه اولئك وبالتالي كانوا يعتبرون مثله محرومين لغرامهم بمطالعة كتبه واجلالهم لشخصه العظيم

***

والآن نأخذ في ايضاح مذهب اوريجانوس في التفسير . قال عنه موسهيم المؤرخ « ان هذا المتوقد الذهن رأى ان لاطريقة سهلة بها يناضل عن كل ماقيل في الكتب المقدسة ضد اشراك الهراطقة واعداء المسيحية لو فسر لغة الكتاب المقدس حرفياً فصمم عزمه على تفسير الكتاب المقدس كما اعتاد الافلاطونيون على ان يفسروا تواريخ آلهتهم . فعلم ان الكلمات في أماكن كثيرة من الكتاب المقدس لا معنى لها وفي بعض الاماكن حيث اعترف بان لها معنى ما اعتقد بانه راد بالعبارة المذكورة معنى سري مكتوم يجب ان يفضل على معنى الكلمات

الظاهر . وهذا المعنى المكتوم هو الذي يفتش عنه في شروحاته بانتباه لكنه معوج وغالباً يتغافل بالكلية ويزدري بالمعنى الظاهر . ويقسم هذا المعنى البعيد ايضاً الى معنى ادبي ومعنى سري أو روحي . المعنى الاول يعلمنا ما يتعلق بحال النفس الداخلي وباعمالنا الخارجية . والمعنى الثاني يعلمنا حقيقة تاريخ العالم السري أو الروحاني وشرائعه . وتخيل ايضاً ان هـذا العالم السري مزدوج بعضه سام أو سماوي وبعضه دون أو أرضي اي الـكنيسة . فلهذا قسم معنى الكتب المقدسة السري الى أرضي أو تشبيهي والى سموي أو روحاني . وطريقة تفسير الكتب المقدسة هذه التي استصوبتها اليهود كانت دارجة عند المسيحيين قبل اوريجانوس لكن لأنه حدد لها قوانين ورتبها على هيئة نظام يعتبر غالباً كمبتدعها » اه

وقال صاحب «تاريخ الـكنيسة» المطبوع في اورشليم سنة ١٨٩٢م « والغريب ان اوريجانوس بعد ما كان يتشبث ببساطة وايمان بمفهوم آيات الـكتاب الحرفي مجرياً بالفعل ما ورد في مت ١٠ : ١٠ فلم يقتن شيئاً لذاته ومت ١٩ : ١٢ نخصى نفسه فصـار يتخيل في كل آية بسيطة من كتاب الله معنى ادبياً مشفوعاً بسر غامض يلمع الى حوادث سموية » اه

ومع ان اوريجانوس تطرف كثيراً في تفسـير كل آيات الـكتاب المقدس تفسيراً مجازياً وفي الاكثار من الاستعارات وجعله المحل الثاني للمحل الحرفي الا ان اغلب الـكتاب المسيحيين يغتفرون له هـذا التفنن لعلمهم بانه سار عليه في سبيل الذود عن حقائق ديانته المسيحية وقد ارتكب هذا الخطأ سهواً لانه حسبه أنسب طريقة لرد هجمات اعداء المسيحية بل كتب ما كتب بدافع الغيرة الدينية وهو مسيحي مخلص سليم الاعتقاد واحد الذين عددوا غلطاته في تفسيره قال «ويلوح لنا ان اوريجانوس كان تقياً ورعاً وانه بنى بعض تعاليم الديانة المسيحية على مبادىء صحيحة مقررة غير ان تفننه المطلق نـكب بكثيرين من ذوي العقول الضعيفة عن سواء السبيل » اه (١)

***

---

(١) تاريخ الـكنيسة المطبوع باورشليم سنة ١٨٩٢ م ص ١٤٨

أما اكثر مؤلفات هـذا المفضال فقد وصلت الينا في ترجمات غير صحيحة بقلم ايرونيموس وروفينوس وكثيرون من العلماء القدماء اقتبسوا منها . واشهر مصنفاته التي وصلت الينا في اللغة الأصلية هي : —

(١) كتاب عنوانه « الرد على كلسوس » كتبه في ثمانية أجزاء

(٢) مجموع مقالات في « الصلاة الربانية » وهو الـكتاب الثاني الذي وصل الينا بتمامه في اللغة الاصلية

(٣) كتابه في « الشهداء »

(٤) في « الرئاسات » وهو كتاب بالغ الخصوم في انتقاده واجزاؤه اربعة (١) يبحث عن الاقانيم في الثالوث الاقدس وعن السقوط وعن الطبيعة العاقلة وعن المخلوقات المادية والروحية وعن الملائكة (٢) يبحث عن العالم وما فيه ويثبت ان اله العهد القديم واله العهد الجديد واحد ويفصح عن التجسد والقيامة وعقاب الصالحين (٣) يبحث عن حرية الارادة وعن الشيطان وعن تجربة الانسان وعن أصل العالم ونهايته (٤) يبحث عن الاسفار المقدسـة وأصلها الالهي وعن كيفية مطالعتها ودرسها . ويوجد الآن من هذا الكتاب قطع كبيرة في اللغة الاصلية ولا سيما من الجزء الثالث والرابع ولنا ايضاً اللغة اللاتينية لروفينوس واجزاء اخرى لارونيموس

(٥) شرح الـكتاب المقدس في ثلاثة اجزاء (١) يتضمن تفسير بعض الاسفار المقدسة كسفر التكوين والخروج وحزقيال الخ وانجيل متى ويوحنا والرسالة الى اهل رومية الخ ولم يبق من هذا الجزء سوى اوراق قليلة (٢) يتضمن ملاحظات على آيات غامضة من الـكتاب وهو لايعرف الا من الماع المعلمين الاولين اليه واقتباسهم منه (٣) يتضمن مواعظ ومقالات قدمها في قيصرية اوارتجلها بعد ان اتى عليه من العمر ستون سنة بعضها موجود الآن في اللغة الاصلية ولـكن اكثرها مترجم الى اللغة اللاتينية بقلم ايرونيموس وروفينوس

(٦) كتاب موسوم «بالمتنوعات» في عشرة اجزاء الفه اقتداء باكليمندس استاذه غير أن هذا الـكتاب فقد ولم تبق منه سوى فصول قليلة استشهد بها ايرونيموس في مصنفاته

(٧) كتاب عنوانه «القيامة» لم يبق منه الا اجزاء قليلة
(٨) رسائل عديدة دون منها يوسيبيوس مائة رسالة غير انها فقدت ما خلا القليل منها.
(٩) كتاب عناه «بالمسدسات» وضع فيه آيات الكتاب المقدس في ستة حقول متوازية

(١) يتضمن المتن في اللغة العبرانية . بحروف عبرانية (٢) آيات الكتاب المقدس في اللغة العبرانية باحرف يونانيه (٣) الترجمة اليونانية التي وضعها اكويلا الدخيل اليهودي في اوائل القرن الثاني (٤) الترجمة اليونانية لسيماخوس الابيوني السامري الذي نبغ في القرن الثالث (٥) الترجمة السبعينية التي نشأت في الاسكندرية في القرن الثالث قبل المسيح (٦) الترجمة اليونانية التي وضعها ثيودتيون الدخيل اليهودي بعد اكويلا بزمن قليل

وقد وضع اوريجانوس في بعض كتبه ترجمة خامسة وسادسة وسابعة للكتاب المقدس وكان قصارى مرغوبه تنقيح الترجمة السبعينية بمعارضتها بسائر الترجمات فكان يدل على الآيات غير الواردة في الاصل العبراني بهذه العلامة × ويدخل الآيات المحذوفه في الترجمة السبعينية واضعاً قبالتها هذه العلامة * وقد كانت نسخة هذا الكتاب الاصليه محفوظة في مكتبة قيصريه التي انشأها بامفيلوس الشهير المناضل عن اوريجانوس والارجح ان الاسلام احرقوها مع سائر النسخ النفيسة عند افتتاحهم هذه المدينة سنة ٦٥٣م ولم تكن نسخة أخرى مثلها وقتئذ اذ كانت الترجمة السبعينيه المنقحة متواترة وحدها ولا يبعد ان اوريجانوس الف كتباً أخرى عديدة على الاسفار الالهية وكتب رسائل جمة ضد بعض البدع ولما كان جدول مؤلفاته الذي وضعه يوسيبوس وايرونيموس مفقوداً عزيت اليه رسائل لم يكن يعرفها مطلقاً. كما انه أول من كتب كتباً لتعليم الديانة للمبتدئين ويعتبر كتاب «ستروماتا» وكتبه الاربعة المبادىء شرح اكثر تعليم المسيحية.

وقد جد العلماء في طبع مؤلفات اوريجانوس لاسيما ترجمات الكتاب المقدس واهتموا باعادة ما فقد منها وجعلوها على نسق القطع الموجودة وطبع الجميع عدة طبعات اشهرها طبعة منتفوكون وهي في مجلدين طبعا في باريس سنة ١٧١٣ م

وطبع كتب المبادىء حسب ترجمة روفينوس اللاتينية مع نقصه وتغييره وتحريفه طبعه رديننغ في ليبسيك سنة ١٨٣٦م وطبعه ثنيتمر في ستتغارت وطبع رسالة في الاستشهاد وتستين في بازل سنة ١٦٧٤ . وطبعت تآليفه كلها في باريس بين سنة ١٧٣٣ و ١٧٥٩ فجاءت في اربعة مجلدات ضخمة

الا ان افضل الكتب التي وضعها تلك الثمانية كتب التي دافع بها عن النصرانية رداً لمزاعم كلسوس عدوها وايضاحاً لقيمة هذا الكتاب ولفضل اوريجانوس ننقل عنه النبذ الآتية قال :— (١) «ربما كان الاليق بنا ان نقتفي باثر يسوع المسيح الذي كان صامتاً امام قضاته ولم يجب على الافتراء المنزل فيه من اعدائه الا بقداسة سيرته و بشهرة آياته . هكذا قد يعتبر بلا فائدة دحض الوشايات التي لم تزل الانام الاشرار تنزلها فيه لانه يبرأ نفسه منها تبرئة كافية بفضيلة تلاميذه الحقيقيين التي تخزى شهرتها جميع الاكاذيب فلا اكتب اذاً لأجل تأييد المؤمنين الحقيقيين لان المحاماة عنهم خارجة عن حكم اللزوم بل اكتب لاجل الغير المؤمنين الذين يمكنهم ان ينالوا فائدة من هذا التعليم

فبعد ان دحض اعتراضات صلسس الخصوصية ايد صحة الدين المسيحي ببينات لا رد عليها بالنبوات التي انذرت بيسوع المسيح وبآياته وسيرة تلاميذه فقال : نظراً الى النبوات ينبغي بالعدل ان تصدق كتب اليهود وكتب باقي الامم ولا يجب أن يقع الريب في قدميتها اذا اعتبرت الحجج التي أتى بها يوسيفوس وتاسيانوس المصدق قولها والمعول على روايتها : ثم اتى اوريجانوس بذكر النبوات التي انذرت جلياً بميلاد يسوع المسيح وآلامه وموته وجميع لواحق مجيئه . وبين أن اليهود مذ اتى يسوع المسيح لم يعد لهم لا نبوات ولا معجزات ولا ادنى علامة تدل على ان الوقايه الالهية عندهم كما هي عند المسيحيين. فنظراً الى المعجزات لم ينكر صلسس أن يسوع المسيح أتى بمعجزات لكنه كان ينسبها الى صنعة السحر فرد عليه أوريجانوس بأنه توجد وسائط اكيدة يميز بها سحر ابليس من المعجزات الحقيقية التى هى عمل البارى تعالى وهذه الوسائط تقوم بالفحص عن اداب صانعيها وتعليمهم والمفاعيل التي تبرزها هذه المعجزات فموسى والانبياء ويسوع

(١) عن خلاصة تاريخ الكنيسة للعالم الفاضل لومند الافرنسي ج ١ اص ١٠٤ — ١٠٩

المسيح وتلاميذه لم يعلموا الا ما كان مطابقاً كل المطابقة للصواب وجزيل الفائدة للاداب الصالحة للجمهور فهم أول من وضعوا بالعمل ما علموه وكان التأثير عظيما ومستديماً أما موسى فهذب أمة برمتها وساسها بنواميس مقدسة ويسوع المسيح ضم جميع الأمم الى معرفة الاله الحقيقي والى مباشرة كامل الفضائل أما الخبثاء والكذبة فلا يبتغون اصلاح الناس ولا لسحرهم ومكرهم نتائج صالحه

فانبعاث يسوع المسيح من الموت الآية العظيمة واساس الدين المسيحي لا يمكن قط أن تشتبه بمكر لأن يسوع المسيح مات مشتهراً معلقاً على صليب تجاه كامل الشعب اليهودي ودفن وبقي في القبر ثلاثة ايام وكان القبر مختوماً والجنود تحرسه فظهر مدة أربعين يوماً لبطرس ولباقي الرسل ثم لخمسماية تلميذ كانوا مجتمعين معاً . فلو لم يشاهدوه منبعثاً ولو لم يتيقنوا الوهيته لما كانوا قط عرضوا بنفوسهم للعذاب والموت لينذروا في كل مكان التعليم الذي أخذوه عنه كما أمرهم بل لكان موته المخجل مما محا من عقولهم ذكره ولكانوا عدوا نفوسهم مخدوعين ومن ثم لكانوا أول من شجبوه ورذلوه . فوجب أن يكونوا شاهدوا أمراً خارق العادة حتى اعتنقوا تعاليمه وجعلوا غيرهم يعتنقونها ولم يبالوا لذلك لا براحتهم ولا بحريتهم ولا بحياتهم فكيف يمكن ان اناساً جهلاء وأميين يقدمون على تغيير العالم باسره ان لم يكونوا مؤيدين بقوة الهية وكيف يمكن أن الشعوب ينبذون عوائدهم القديمة بانذارهم ويتبعون تعليما مغايراً لو لم يكونوا انبدلوا بقوة خارقة العادة وبمعجزات باهرة

ثم اثبت اوريجانوس الوهية الدين المسيحي بالانقلاب العجيب الذي يبرزه في من يعتنقونه فقال : ان المفعول العظيم الصادر عن الانذار بالانجيل هو اصلاح الآداب فلو شفي احد مائة انسان من رذيلة الدنس يستصعب الظن بان ليس فيه شيء فائق الطبيعة . فان كان ذلك كذلك ما القول في جمهور وافر من مسيحيين قد انقلبوا عما كانوا عليه مذ قبلوا هذا التعليم فاصبحوا معتنقين العفة الكاملة في جميع امصار المملكة فان قواعد اداب المسيحيين ترفعهم كثيراً فوق غير المسيحيين فيردع المسيحي آلامه الشديدة ليرضي الله سبحانه اما الوثنيون فيتمرغون في حمأة الشهوات القبيحة ولا يستحون بها ويزعمون انهم يراعون الفضل والصلاح

بينما هم متورطون في اعماق الفساد . فاقل المسيحيين تفقهاً احسن استنارة في شرف العفاف وعظمته من فلاسفة الوثنيين و بتولاتهم وكهنتهم الافضل اداباً . فليس أحد بيننا مدنساً بهذه القباحات وان وجد احد فليس هو من عدد الحاضرين اجتماعاتنا ولا هو مسيحي فبالحقيقة كانوا يطردون من الكنيسة من سقط في اثم لاسيما في اثم الدنس فكانوا يندبون حالهم كأنهم موتى عن الله ومتى عادوا تائبين كانوا يفرضون عليهم قوانين ويمتحنونهم امتحانات أصرم من تلك التي كانوا يجرونها عليهم لأجل العماد فلم يعد يسوغ لهم أن يباشروا ادنى خدمة في الكنيسة . ثم قال اوريجانوس ان المسيحيين يراعون زمام الامانة نحو ملكهم حق المراعاة فهم بعيدون عن انشاء ادنى دسجس بعداً هذا حده حتى انهم بمقتضى أمر سيدهم وواضع ناموسهم لا يستعملون اسلحة ضد اعدائهم الا الصلاة والصبر لان يسوع المسيح اراد ان يسلحوا نفوسهم للذبح كالخراف ولا يبادروا الى ادنى مقاومة قهراً فان الله سبحانه هو المكلف بمصالحهم وبالمحاماة عنهم فيربحون بهذه الوداعة اكثر مما يربحونه بالمقاومة ففضلا عن ان الظالمين لم يستطيعوا ان يستأصلوا المسيحيين نرى موت الشهداء لم يزل يزيدهم عدداً فان القساوة التي كانوا يجرونها على المسيحيين لم تخمد قط حرارة غيرتهم على ترجيع غير المؤمنين فكان منهم أناس لم يكن لهم عمل الا الانذار بالانجيل في المدن والقرى ولئلا يظن بهم انهم يصنعون ذلك رغبة في ربح لم يكونوا يقبلون شيئاً كاياً حتى ولا ما كان لازماً لمعاشهم واذا اضطرهم الاحتياج الى قبول شيء فكانوا يكتفون بما هو ضروري فقط ويأبون أخذ ما زاد على ذلك ولو قدم لهم طوعاً : ثم يردف اوريجانوس كلامه بقوله : أما الآن حيث يوجد بين جمهور المسيحيين اغنياء واصحاب مقامات ونساء شريفات فربما يظن بان في الانذار بتعليمنا شرفاً ولكن هذا الظن لا حامل له في البداية والآن ايضاً ما نناله من الكرامة من بعض خاصتنا لا يوازي الامتهان والاهانات التي تلتحق بنا من قبل الوثنيين : ثم أشار أوريجانوس الى ان المسيحيين مع ما كانوا عليه من اضطرام الغيرة على ترجيع غير المؤمنين للايمان لم يكونوا يهملون اجراء الامتحان بقدر الامكان على الذين يرومون اعتناقه فكانوا يأهبونهم خاصة بالمواعظ قبل ان يقبلوهم في

الاجتماع وعند ما كانوا يشاهدونهم في عزم شديد مخلص على ان يسلكوا سلوكا جيداً فكانوا يدخلونهم في الجمعيات مميزينهم ايضاً الى مصافين أي مصاف المبتدئين ومصاف المتقدمين وكانوا يخولون أناساً مخصوصين بالسهر على سيرتهم لكيما يبعدوهم عن الاجتماع من لم يكن سلوكهم مطابقاً للدين المسيحي ويرشدوا غيرهم في سبيل التقوى والفضيلة » اه

القسم الثالث

الحكومة والكنيسة

الفصل الاول

(حوادث الاضطهاد)

(١) اضطهاد ادريانوس (٢) اضطهاد ساويرس سبتيموس

००००○○○००००

(١) اضطهاد ادريانوس — ان سوء الظن الذي كان سائداً على الأفهام من جهة المسيحيين حينئذ جعل الكثيرين ولا سيما ذوي الشأن ينظرون اليهم بعين البغض والكراهة . وفي عهد تملك ادريانوس قيصر من سنة ١١٧ م كانت الاشاعات الباطلة عن المسيحيين قد بلغت حدها حتى انه لما أتى هذا القيصر الى الاسكندرية وأخذ يتجول في انحائها كتب لصاحب له اسمه سريانوس من عظماء الرومانيين عن احوال مصر يقول «قد استقصيت احوال مصر واستقريت عوائدها واطلعت عليها اطلاعاً كلياً وكنت في بادىء أمري أصفها بالمدح واتحاشى ذمها فتبين لي بعد التأمل والنظر انها عبرة لمن اعتبر فهي طائشة لا تدوم على حال ولا تنكف عن المشاغبة والمنافرة لا سيما في أمور الدين وما يتولد منها على ان من لم

يعبد منهم الشمس والعجل أبيس عد نصرانياً مع انه ليس كذلك بل الذين يزعمون منهم انهم اساقفة على دين المسيح هم كغيرهم من المصريين الذين يحترمون الشمس والعجل ولا فرق في ذلك بين الاسقف وحاخام اليهود وكل قسيس أو راهب أو عامي له في الشمس أو في العجل احترام . ويغلب على فكري انه لو أتى بطريرك من بطاركة النصارى الخارجين عن ديار مصر ودخل مصر لشارك أهلها في التمسك بهذه الاحترامات الدينية وربما اعتقدوا ان العجل والشمس والمسيح انما هم أسماء مترادفة وانها في الحقيقة شيء واحد » اه

ويظهر ان الذي حمل ادريانوس على ان يرتكب هذا الخطأ في الحكم هو انه وجد بين علماء المدرسة اللاهوتية المسيحية وعلماء المدرسة الوثنية الأولى (١) علاقات اتحاد متينة العرى . واستمر ادريانوس متشبثاً بخطائه من جهة المسيحيين حتى انه لما اضطهد اليهود في مصر اشتد على المسيحيين فيها ايضاً فقتل منهم خلقاً كثيراً حتى خيل للناظر انه افناهم جميعاً ولأجلهم أمر بتعميم عبادة الاوثان وارغام المسيحيين بنوع خاص على السجود لها



« المسيحيون يصلون ليلا »

---

(١) انشأها بطليموس الاول ولبثت تخرج العلماء المجتهدين مدة ٩ اجيال من سنة ٣٢٣ ق . م الى ٦٤٠ ب . م وكانت تشتغل فضلا عن الفلسفة في الطب والكيميا والطبيعة والحساب

(٢) ساويرس سبتيموس — وبعد ادريانوس توالى جملة قياصرة لم يكن لهم اهتمام يذكر بمسيحي مصر حتى استولى على العرش ساويرس سبتيموس سنة ١٩٣ م . ولما استتب له الملك وفد على مصر وأخذ يتجول في انحائها حتى وصل الى مدينة طيبة وقد هاله ما شاهده في سياحته من الانتشار السريع الذي أحرزته الديانة المسيحية وأوجس خيفة من تمدن اهلها وكثرة عددهم وخشي منهم على المملكة الرومانية نفسها فأصدر أوامره لليتوس والي مصر الروماني بمحو آثار ذلك الدين

وقد كانت أوامر القيصر هكذا صارمة وقد بذل الوالي جهده ليجعل الاضطهاد قاسياً طبقاً لرغائبه حتى عم جميع انحاء القطر المصري الا ان الضغط الشديد كان على مدينة الاسكندرية بنوع خاص لانهم كانوا يعتبرونها مركز الديانة المسيحية . ومن شدة هول الاضطهاد الذي دام طول مدة بقاء القيصر بمصر ولم يكف الا بعد تركه اياها قفلت المدرسة اللاهوتية وتشتت شمل تلاميذها ولازموا بيوتهم وفر اساتذتهم الى خارج البلاد ليفوزوا بحياتهم

وكان اضطهاد ساويرس دون باقي القياصرة منحصراً بالأخص على العالم المسيحي في مصر وافريقيا لانه لم يكن يخشى من المسيحيين سوى الاقباط وذلك لمعرفته بوفرة ثروتهم وكثرة علومهم ومعارفهم . ولما كان لا ينقص اهل مصر في ذلك الحين للتخلص من نير الرومانيين غير الاتحاد والوئام وكان الدين المسيحي هو العامل على لم شعثهم ونظم عقدهم حاول القيصر ان يلاشي ذلك الدين من مصر غير مكترث بمسيحي باقي الاقطار لما كان عليه اهلها من الفقر والضعف

والهندسة والفلك والجغرافية والموسيقى والتاريخ واللغة الخ . وكان مقر ابحاثها (١) المكتبة الكبرى كان فيها ٧٠٠ ألف مجلد واحترقت عند دخول يوليوس قيصر مصر (٢) المكتبة الصغرى وتحتوي على ٣٠٠ ألف مجلد باد معظمها اثناء اضطهاد الوثنيين للمسيحيين (٣) الرواق وفيه كانوا يتمرنون على درس العلوم . ومن مآثر هذه المدرسة ترجمة التوراة من العبرية الى اليونانية وهي الترجمة المعروفة بالسبعينية



« المسيحيون يصلون في المغائر والنفق »

وقد استشهد من الاقباط في ذلك الاضطهاد كثيرون ولشدة الاضطهاد ظن المسيحيون ان المسيح الدجال قد ظهر . وقد شهد اكليمندس الاسكندرى انه كان عدد عظيم من المسيحيين يستشهدون يومياً مقاسين انواع العذاب وقال ان كثيرين منهم كانوا يصلبون أو تقطع رؤوسهم أو يحرقون امام اعيننا

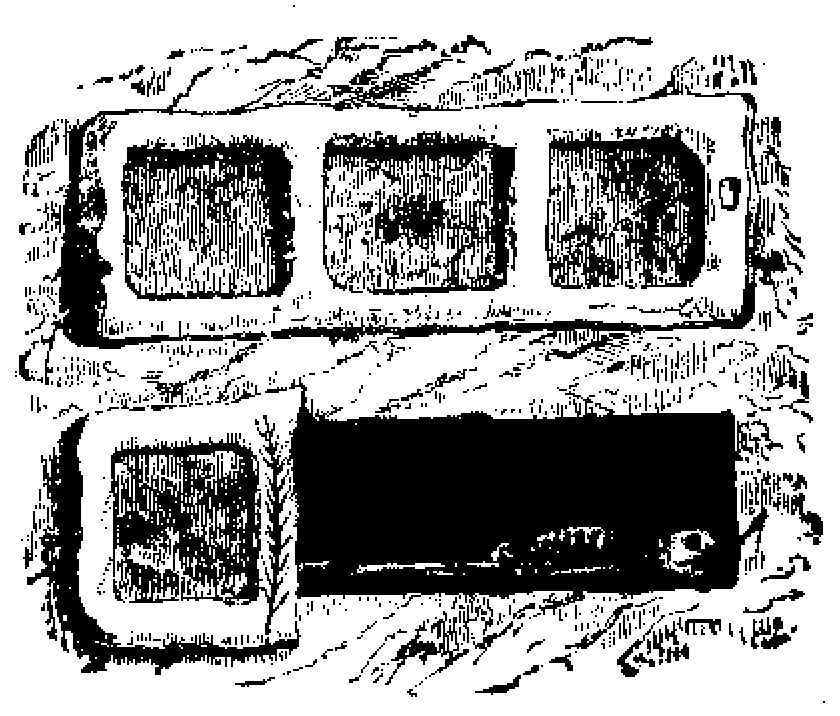


« صورة قديمة تمثل الراعي الصالح وجدت منقوشة على أحد قبور الشهداء »

واستمر الوالي الروماني بمصر يعذب المسيحيين سبع سنوات ويوقع بهم صنوف البلايا فكان يهجم على الرجال والنساء في بيوتهم فجأة ويقبض عليهم ويجرهم الى مكان القتل وهناك تقطع رؤوسهم بعد أن يذوقوا أمر عذاب . وبعضهم يلقون في السجون ويبقون بها حتى تفتك بهم الأمراض . وكانوا أحيانا يعاملونهم بمنتهى القساوة كما يرغب المشرفون عليهم واحيانا يرفق بهم فيسمح لهم بمشاهدة اهلهم واصدقائهم والتكلم معهم مما يخفف عنهم آلام السجن نوعاً.

وكان المسيحيون يقابلون بعضهم بعضاً في الطرقات وكل منهم يظهر للآخر انه ينتظر اليوم الذي يقبض فيه عليه ولم يكونوا يستطيعون التكلم عن المسجونين الا همساً في الآذان فكان الواحد منهم يقول لصاحبه «هل اتاك الخبر أن فلاناً قبض عليه وسجن ولا يمكن ان يطلق ثانية» وكقول بعضهم «وأسفاه على حالتنا التعيسة . ما العمل» ولم يزل الامر كذلك حتى ضاقت بهم رحبات السجون وسالت دماؤهم على الارض فخضبتها . وقد بلغت قساوة المضطهدين مبلغاً جعلت النساء في هذه الاضطهادات يعذبن عذاباً أليماً بخلاف الرجال الذين كانت تقطع رؤوسهم بدون تعذيب

ولشدة الأهوال التي لاقاها المسيحيون انتشرت الأخبار بينهم حينئذ بأن المسيحيين قتلوا في كل العالم اجمع وعمات السيوف في النصارى فلم ينج منهم الا من لجأ الى الجبال واختفى في المغائر



« بقايا الشهداء في قلب الأرض »

الفصل الثاني

مشاهير الشهداء

(١) بوتامينا الفتاة العفيفة وامها مارسلا وباسيليوس الجندي (٢) صوفيا

(١) بوتامينا الفتاة العفيفة وامها مارسلا وباسيليوس الجندي . كانت بوتامينا هندامة حسناء وقد ربتها أمها مارسلا على قواعد الأيمان ووضعتها تحت أرشاد العلامة أوريجانوس فتمم تهذيبها . ولما كانت بوتامينا فتاة بارعة الجمال أغرم بها مولاها الذي كانت تخدمه وحاول مراراً ان يغريها تارة بالوعد وطوراً

بالوعيد ليتمكن من افساد بكارتها ولكنها قاومت اغراءه بعزم وثبات . فلما خاب امله منها احتدم غيظاً عليها وعمد الى اهلها كما فشكاها الى والي الاسكندرية بانها مسيحية ووعده بمبلغ وافر من المال ان استمالها الى رغباته القبيحة وطلب اليه أن لا يحكم عليها بالعذاب الا ان استمرت مصرة في أبائها

فاحضرها الوالي الى المحكمة واستعمل معها جميع الوسائط الممكنه لاغرائها ولكنه لما رأى ان اجتهاداته المتكررة لم تنجح مطلقاً وان بوتامينا ثابتة على عزمها رغم ما هددها به من العذاب حكم عليها أخيراً بان تطرح في قدر مملوء من الزيت المغلي اذا أصرت على عصيان مولاها . فاجابت القديسة الوالي قائلة . «استحلفك بحياة الملك الذي تجله ان لا تسمح بنزع اثوابي كي لا أظهر عريانة وعوضاً من هذه النعمة التي تقتضيها مني فضيلة الاحتشام ارضى ان أنزل رويداً رويداً في القدر باثوابي لكي تدرك مقدار الصبر الذي يمنحه لي مخلصي يسوع المسيح وانت لا تدريه » فقبل الوالي طلبها وسلمها للجلادين وبينما كانوا سائرين بها الى موضع العذاب تعرض لها اراذل الناس بالكلمات الدنسة فزجرهم أحد الذين كانوا مكلفين بحراستها ويدعى باسيليدس وحافظ عليها حتى وصلت الى المكان فلما شاهدت منه ذلك قالت له « تشجع فاني سأصلي من أجلك حينما أكون في دار سعادتي بعد الموت »

وحالما فرغت من كلامها وضعت رجليها في الزيت المغلي وأجرى عليها الجلادون نكالاً بطيئاً استقام ثلاث ساعات وهي تظهر صبراً مدهشاً حتى تيقنوا انفسهم بان نعمة يسوع المسيح ترفع خدامه فوق أطول عذاب وأشده وما وصل الزيت الى قمة رأسها حتى اسلمت روحها في يد القدير . وماتت أمها مارسلا ايضاً حريقاً في ذلك الوقت نفسه

أما باسيليوس الجندي فقد اثرت عليه احوال تلك الفتاة التعيسة ولا سيما سجاياها الحميدة واحتمالها العجيب فآمن بمخلصها وقد انجزت القديسة وعدها له عندما طلب من أحد الجنود رفقائه ان يحلف له بالآلهة فامتنع قائلاً «انا مسيحي» فظنوه يمزح اولاً لكنهم لما رأوه ثابتاً على الاعتراف بالايمان قبضوا عليه وأتوا به الى القاضي فطرحه في السجن فأتى المؤمنون يفتقدونه ومنحوه سر العماد ولما

سألوه عن كيفية قبوله الايمان اجاب « ان القديسة بوتامينا ظهرت لي في رؤيا بعد موتها بثلاثة أيام وبيدها اكليل وضعته على رأسي وهى تقول لي «ستكون معي بعد قليل » وفى اليوم الثانى قطع رأسه بعد ما اعترف بيسوع المسيح اعترافاً مجيداً .

وروى ترتوليانوس واوريجانوس أن عدداً عظيما من الوثنيين غير هذا الجندي تنصر حينئذ بواسطة مابدا من الصفات الحسنة من القديسة بوتامينا ومنهم ارنوبيوس احد علماء البلاغة المشهورين بين كتاب الاجيال الاولى الذى شاهد القديسة بمجد فى حلم . وقيل انها ظهرت لكثيرين فآمنوا بالمسيح

(٢) صوفيا — وفى ايام البابا اومانيوس البطريرك السابع اشتد الاضطهاد على القبط فاستشهد منهم كثيرون . اشهرهم القديسة صوفيا من منف . وهذه القديسة هى التى نقل القيصر قسطنطين الكبير جسدها الطاهر الى القسطنطينية وشاد لها الكنيسة الشهيرة باسم (اجيا صوفيا) أى «القديسة صوفيا»

القسم الرابع

البدع والانشقاقات

(١) المدرسة الوثنية الفلسفية (٢) تطرف بعض طلبة المدرسة اللاهوتية فى التقشف (٣) امونيوس السقاص (٤) باسيليدس (٥) كربوكراتس (٦) فالنتينوس (٧) الخلاف على تعييد الفصح

المدرسة الوثنية الفلسفية . لما ازهرت المدرسة اللاهوتية ونمت النصرانية بفضل جهاد اولئك العلماء الافاضل الذين انجبتهم تلك المدرسة وكانوا ركناً متيناً لدين المسيح دبت الغيرة في قلوب الوثنيين فعملوا على مباراة المسيحيين وأنشأ

رئيس فلاسفتهم أمونيوس السقاص الذي يظن بانه أحد مبتدعي المسيحيين المدرسة الوثنية الفلسفية وخصصها لتعليم الفلسفة الافلاطونية الجديدة وهي خلاصة مذهبي افلاطون وارسطو وفتحت لهذه المدرسة خزائن مكتبة الاسكندرية المملوءة بالمصنفات الموضوعة من علماء المصريين واليونان واخذوا يجهدون انفسهم في توسيع دائرة علومها فاشتغلوا في تكثير المجلدات وزيادة التآليف فخصص قسم من النساخ لتدوين ما يمليه عليه المؤلفون المعاصرون واهتم قسم آخر بنسخ ما يقفون عليه من كتب فلاسفة الوثنية القدماء ارادة زيادة انتشاره ليسهل على الجميع الاطلاع عليها .

وظهرت حينئذ كتب عديدة جداً ضد الديانة المسيحية غير انها لم تأت بثمرة لأصحابها لان المسيحية كانت آخذة في التغلب رغم كل مقاومة .

وقد عظم شأن تلك المدرسة في مدة مؤسسها وخليفتيه بلوتينوس وبرفيروس ثم جاء جامليك فأخذ يقاوم تعاليم المدرسة المسيحية فابتدأت من ذلك الحين تتحول من تعليم الفلسفة الراقية الى أعمال السحر والشعوذة وكان ذلك في أيام القيصر يوليانوس الجاحد من سنة ٣٦١ — ٣٦٣ م الذي انهضها بعد سقوطها . ثم أخذت في الانحطاط حتى اندثرت في حكم القيصر يوستنيانوس سنة ٥٢٩ م ولم يرأسها بعد جامليك سوى نيروكلوس وداماسوس

(٢) **تطرف بعض طلبة المدرسة اللاهوتية في التفنن** — قد ظهر في مصر في هذا القرن كثيرون من المبتدعين الذين كانوا يدرسون بمدرسة الاسكندرية وجرهم الى الضلال تفننهم وتشبثهم في الباس القواعد الدينية ثوب المجاز والرمز ومحاولتهم مزج اسرار الديانة الوثنية المصرية وغوامض رموزها بقواعد الايمان المسيحي البسيطة مجتهدين في اذاعة تعليمهم ومذهبهم في الاسكندرية فكانوا يرغبون ان يكونوا مسيحيين ويتوشحوا بثوب الفلاسفة ورتبتهم واسمهم . وكانوا يعتقدون ان الفلسفة الحقيقية موهبة الله العظمى الشافية منتشرة فيما بين كل شيع الفلاسفة ويجب على كل عاقل ولاسيما المعلم المسيحي ان يجمع هذه النثر من كل الجهات ويحامي بها عن الديانة

وهؤلاء الاشخاص لقبوا بالاكلتكتكيين (المنتخبين) واستخاروا تعاليم

افلاطون واعتقدوا باكثر تعاليمه عن الله والنفس والانسانية والعالم . الا ان اكثر هؤلاء ضلوا فى تعاليمهم ضلالا مبيناً ومنهم

(٣) أمونيوس السقاصى ـ يقال انه ولد وتهذب مسيحياً ويحتمل انه فقط كان مدعياً بالمسيحية كل حياته . وكان يرغب ان يضم جميع الاديان بما فيها المسيحى الى ديانة واحدة ليمتنقها الجميع وحاول ان يجعل قواعد هذه الديانة مرضية لكل أهل الاديان المختلفة فحول كل تاريخ الآلهة الوثنية الى تشابيه واستعارات مثبتاً ان ما يكرمه العامة والكهنة بالقاب آلهة انما هم خدام الله الذين يليق بنا ويجب علينا ان نقدم لهم الخشوع حتى لا يبعدوا عن الخشوع الاعظم اللائق بالله تعالى . وسلم ايضاً بان المسيح كان انساناً خارق العادة وحبيب الله وعارفاً بعمل الله بنوع مدهش وانكر ان المسيح أخذ فى ملاشاة عبادة الارواح خدام العناية الالهية (آلهة الوثنيين) بل اراد ان يزيل ما تلطخت به الاديان القديمة وتلاميذه أفسدوا ودنسوا مبادىء معلمهم

(٤) باسيليدس ـ وهو اشهر الغنوسطيين كان من الاسكندرية ونشر ضلاله فيها آخذاً عن سيمون الساحر ومنندر الهرطوقى واخترع خرافات اكثر سخافة من غيرها مدعياً أن ابراساس (الآب) خلق نوس (الفهم) وهذا خلق لوغوس (الكلمة) وهذا خلق فرونايس (الفطنة) وهى برأت صوفيا وديناميس (الحكمة والقدرة) اللتين فطرتا الملائكة وهم خلقوا السماء الاولى وبعض ملائكة آخرين وهؤلاء خلقوا ايضاً سماء ثانية وعلى هذا النسق اتصلوا الى انهم صاروا ٣٦٥ سماء بمقدار أيام السنة ومقدار مجموع حروف كلمة ابراكساس اليونانية .

وكان يقول ان اله اليهود كان رئيس ملائكة من الرتبة الثانية . ولما كان يرغب فى الاستيلاء على جميع القبائل ثار عليه جميع الرؤساء فارسل الله نوس ابنه البكر لينقذ الناس من الملائكة الذين خلقوا العالم . وقال عن نوس هذا الذي هو يسوع المسيح انه قوة غير هيولية وكان يتشح ما شاء من الهيئات ولهذا لما اراد اليهود ان يصلبوه اتخذ صورة سمعان القروي واعطاه صورته فصلب سمعان

لا يسوع الذي كان يسخر باليهود . ثم عاد غير منظور وصعد الى السماء

وروى ابن العبري المؤرخ انه قال باكرام الحية وتعظيمها لانها المشيرة على حواء بالمجامعة ولولاها لما تناسل الناس . قيل وكان باسيليدس يفر من الاستشهاد وينكب على مباشرة السحر وينغمس في كل نوع من الشبق . وكان يدعي بانه أخذ تعليمه عن متى الرسول وغلوسيوس تلميذ بطرس الرسول . وعرض مذهبه على الناس بوجه سري مبهم فتبعه قوم كثيرون واستمر مذهبه هذا الي أواخر القرن الرابع

(٥) كربوكراتس — ويسمى اتباعه نيوستيثيين اعني معلمين ومستنيرين وكان يزعم اولا ان يسوع المسيح كان ابن يوسف ومولوداً منه كعامة الناس ومتميزاً عنهم بقوته فقط وان الملائكة خلقوا العالم وانه يلزم من آثر البلوغ الى الله ان يتمم جميع افعال الشهوة المتمردة التي يجب ان تطاع في كل شيء مجدفاً بقوله انها ذاك العدو الذي يأمر الانجيل بان نصطلح معه (مت ٥ : ٢٥) وكان يقول انه باحتقار شرائع الملائكة الاشرار كافة على هذا الاسلوب تتحصل قمة الكمال . وان النفس تنتقل الي اجساد مختلفة الى ان ترتكب جميع الافعال الأكثر شناعة . وكان يسلم بوجود نفسين وان الاولى منهما دون الثانية تكون خاضعة للملائكة المتمردين . وتباع هذا الهرطوقي كانوا يدعون مسيحيين ويميزون انفسهم عن غيرهم بوسمهم طرف أذنهم الأدنى بالنار او الحديد وكانوا يسجدون لصور تلاميذ فيثاغوروس او افلاطون أو غيرهما من الفلاسفة مع صور المسيح سواء .

(٦) فالنتينوس — لما لم يحصل على درجة الاسقفية التي كان طامعاً بها انشق من الكنيسة وقد انكر تجسد المسيح من السيدة العذراء وزعم انه أتى بجسده من السماء ومر بجسد مريم كما يجري الماء من القناة وعلم بتأثير متصل للارواح بالانسان فمتى ازدادت الارواح في جسده جعلت جميع ادناس الحواس جائزة . وكان يقسم الناس الى ثلاث مراتب لحميين وحيوانيين وروحيين ويقول انه هو واتباعه من الروحيين ولذا كان بمعزل عن الاضطرار الى الافعال الصالحة لكونهم

دون ريب فى قة الـكمال ولانهم متأ كدون نوال السعادة الابدية. وكان يزعم ان اللحميين ممنوعون من الخلاص ومنتخبون للجحيم

وتتلخص تعاليم هذا الضال بان البليروما (اسم غنوسطي لمسكن الله) فيه ٣٠ ايونا نصفهم ذكور ونصفهم أناث وغيرهم اربعة غير ممتزجين هم أورس (حارس حدود مسكن الله) والمسيح والروح القدس ويسوع . ثم أن صوفيا (الحكمة) اصغر الايونيين بينما هى مشتاقة لادراك طبيعة اللاهوت الأعظم ولدت بنتاً اسمها حكيموث (العلوم) التى طردت من مسكن الله الى حكام المادة الضخمة الغير المنتظمة فبمساعدة يسوع ولدت ديميارغوس (صانع) باني كل الاشياء وهذا افرز المادة اللطيفة الحيوية من المادة الكثيفة فصنع من الاولى السموات ومن الثانية الأرض ومزج البشر من نوعي المادة وأمه حكيموث اضافت لهما جوهراً ثالثاً سماوياً روحانياً

الا ان ديميارغوس داخلته الكبرياء ورام أن يحسبه البشر الهاً وارسل لليهود انبياء ليظهروا لهم اولوهيته وتبعه كثيرون من الملائكة الذين تسلطوا على اجزاء العالم المخلوق وادعوا ادعاءه . فارسل المسيح وهو مركب من جوهر حيوي روحي ليبطل تمردهم آخذا جسداً أثيرياً من السماء ومر به من جسد العذراء كما تجري المياه من القناة وبه اتحد يسوع اعظم الايونيين وقت عماده . فلما رأى ديميارغوس ان يسوع يسعى فى تقويض سلطانه أمر بصلبه غير أنه لما قبض عليه تركه المسيح ونفسه العاقلة وعلق على الصليب نفسه الحاسه وجسده الاثيرى

(٧) **الخلاف على تعيين عيد الفصح** — كان يسمى يوم تذكار موت المسيح وتكفير الشعب «الفصح» وسمي كذلك لأن المسيح صلب يوم حفظ اليهود فصحهم . ولم يكن يعيد سنوياً فقط بل كان يعيد ذلك التذكار الخلاصى كل احد . فكان يوم الأحـد يعتبر ايضاً من جميع المسيحيين يوم فرح وبهجـة فيقضونه بالصلاة وقوفاً وبلا صـوم . غير ان الفصح السنوى كانت له شـعائر خصوصية فى قلوب المؤمنين . وكان يحتفل فيه بتذكار الآلام والقيامة معاً

غير ان في ذلك الحين قام خلاف شـديد بشأنه بين مسيحى اسيا الصغرى وكيليكيا وسـوريا وبين النهرين وبين غـيرهم من المسيحيين . فكلاهما صام

الاسبوع المسمى أسبوع الآلام الذى مات فيه المسيح وفيه حفظوا عيداً مقدساً او أكلوا خروفاً كما كانت تفعل اليهود تذكاراً لعشاء مخلصنا الأخير. غير ان مسيحي أسيا وما يجاورها كانوا يحفظون الفصح فى اليوم الرابع عشر من شهر نيسان العبرى فى الوقت الذى أكل اليهود فصحهم فيه. وفى اليوم السادس عشر حفظوا تذكار قيامة المسيح فى أى يوم من الاسبوع اتفقا اعنى من دون مراعاة يومي الأحد والجمعة. فكانت تعتبر أهمية اليومين فى عددهما الشهرى ١٤ و١٦ نيسان اللذين فيهما بالتمام تألم وقام لافى غيرهما. وقالوا انهم أخذوا هذه القاعدة من الرسولين يوحنا وفيلبس وعضدوها ايضاً بمثال المسيح ذاته الذى عمل فصحه مع اليهود. وكانوا يعتبرون يوم الآلام من وجه عقائدى يوم تحرير من العبودية وخلاص فكان يعد عندهم يوم فرح ويتممون بعد انقضائه الحزن والصوم معاً

ولكن الكنيسة المصرية لم تعتبر الاهمية فى عدد اليوم من الشهر بل فى اسمه الاسبوعي أعني الجمعة والاحد. فكانت ترى من الضروري ان يكون تذكار الآلام يوم الجمعة وتذكار القيامة يوم الاحد. ولهذا السبب كانت فى السنين التى لا يتفق أن يكون اليوم الرابع عشر من نيسان يوم جمعه تعيد الآلام اول يوم جمعه بعده ثم القيامة يوم الاحد واسندوا هذه القاعدة الي بطرس وبولس الرسولين قائلين انهما أصلها. وكانوا يعتبرون اليوم على وجه تاريخي يوم حزن ولم يسمح عندهم بحل الصوم قبل تذكار القيامة وقد وافق اساقفة روميه وانطاكيه واورشليم اذ ذاك على ان يتبعوا ما اتبعه مسيحو الاسكندرية بناء على ما كتبه اليهم البابا ديمتريوس فى ذلك

فكانت الكنائس متفقة علي ضرورة تعييد الفصح ولكنها اختلفت في تعيين اليوم الذي يعيد فيه حتى كان بعضها يعيد بعد الاخر باسبوع احياناً. وبين سنة ١٦٠ و ١٦٣ م سافر القديس بوليكربوس اسقف ازمير الى روميه لينهي بعض مسائل من جملتها مسألة الفصح آملا باقناع اسقف روميه نيشيوس العاشر فى اساقفتها فى ان تعيد كنيسته الفصح مثل كنائس آسيا. وبعد جدال طويل لم يتمكن احدهما من اقناع الاخر. غير أن هذا الخلاف لم يكن مكدراً لسلامة

المسيح بل كانت المحبة مستقرة في القلوب حتى ان نيشيوس تنحى للقديس بوليكربوس ليجري تقديس القرابين

ونحو ختام هذا القرن ارتأى فيكتور اسقف روميه انه يجب الزام المسيحيين الذين فى آسيا بالشريعة والاوامر لكى يتبعوا قانون اكثر العالم المسيحى . وكان وقتئذ البابا ديمتريوس على الكرسي الاسكندري وناركيسس فى اورشليم وباكشيلس في كورنثوس وبوليكراتس فى أفسس . فعقدت حينئذ مجامع كثيرة مكانية اجتمعت فى قيصرية واورشليم والبنطس وغلاطية وكورنثوس وروميه وبين النهرين وغيرها وجميعها قررت رأياً واحداً وهو ان تراعى عادة تعييد الفصح اقتداء بالكنيسة الاسكندرية اى القيامة يوم الاحد وان لا يحل الصوم الا فيه لان اعظم المسيحيين استحرم حفظ يوم آخر من ايام الاسبوع غير يوم الرب تذكاراً لقيامة المسيح . وارسلت القرارات الى جميع الكنائس

غير أن كنائس اسيا وفي مقدمتها كنيسة ازمير واسقفها بوليكراتس لم ترض بان تغير عادتها القديمة واجابوا اسقف رومية بجدة بأنهم لا يعدلون عن وضع سلفائهم المقدس . فاذ تهيج فكتور من هذا العزم منعهم من شركته وشركة كنيسته وليس من شركة الكنيسة الجامعة لانه لم يكن قادراً على ذلك اى انه قال انهم ليسوا مستحقين ان يسموا اخوته . ولكن بوليكراتس جمع مجمعاً مؤلفاً من خمسين اسقفاً كانت نتيجة محاوراته رفض طلب فكتور واعتبر عمله تعدياً . ثم كتب بوليكراتس لفيكتور رسالة سنة ٩٧ م استشهد فيها على صحة عقيدتهم بفيلبس الرسول وابنتيه ويوحنا الحبيب وبعض الشهداء والقديسين وختمها بقوله « ان الذى يقضي سبعين سنة في مطالعة الكتب المقدسة والذي رأى بعينه رسل الرب المشتتين فى البلدان للتبشير . لا يبالي بالتهديد ولا بالوعيد وهو يعلم انه يجب ان يطاع الله اكثر من الناس » اهـ .

وما استلم فكتور هذه الرسالة حتى أخذ منه الحنق كل مأخذ فوقع الحرم على بوليكراتس ونادى بهرطقة كنائس آسيا وبضلالها ثم كتب بذلك الى جميع الكنائس المسيحية . غير ان الاساقفة الذين لم يكونوا حتى هذا التاريخ قد رأوا مثل هذا التهور في كنيسة الله كنيسة الصلح والسلام حملوا حملة شعواء

على فيكتور بان ارسلوا له رسائل مرة يوبخونه فيها على سوء صنيعه ومن أشهر هذه الرسائل رسالة ايريناوس التي خاطبه فيها بقوله « ان الاختلاف فى يوم تعييد الفصح امر قديم فى الكنيسة وليس بحديث كما تظن . بل هو قائم في عهد اسلافنا الكرام الذين لم يقطعوا لذلك اسباب المودة والاخاء . واعلم أن الاساقفة الذين تولوا قبلك زمام الكنيسة الرومانية كانوا يشتركون فى الصلاة مع الكنائس الاخرى التى كانت تخالفهم فى ليلة العيد دون ان يحصل نزاع مطلقاً ودون ان يفصموا مثلك رباط الالفة والمودة » اه .

وهكذا تمكن ايريناوس بواسطة مكاتيب محكمة ارسلها الى فكتور وغيره من الاساقفة الذين لم يقطعوا علاقاتهم مع شركة الكنائس الآسيوية ان يخمد نار الخلاف ويوقف سيره وامتداده واضطر فكتور ان يرضخ لحكم الاساقفة وأذعن لصوت الكنيسة العام وعاد الى شركته مع كنائس اسيا مع مخالفتها له فى موضوع الفصح

وكتب اساقفة اسيا رسالة مستطيلة يبررون انفسهم فيها وهكذا استمر كل من الفئتين على عادته المختصة به الى ان ابطل عادة مسيحى اسيا المجمع النيقاوي فى القرن الرابع بان اناط بالاساقفة الاسكندريين تحديد يوم عيد الفصح فظلوا يعينونه لجميع الكنائس المسيحية قروناً طويلة وترتب من ذلك الحين ان يصدر بابوات الاسكندرية رسالة فى كل عيد فصح يرسلونها لجميع الكنائس المسيحية عموماً والمصرية خصوصاً فى اليوم الذي يقع فيه عيد القيامة من كل سنة . وكانت لهذه الرسائل اهمية عظمى حتي عند غير المسيحيين لما تضمنته من الحساب الفلكي الدقيق الذي جرى عليه المصريون القدماء بالضبط ولذلك عهد بكتابتها الى بطريرك الكنيسة القبطية المصرية وحده لعلمه بهذا الحساب التاريخى علماً تاماً وكانت فاتحة هذه الرسائل موعظة بليغة تقرأ فى الكنيسة جهاراً . ولا تزال الكنيسة القبطية سائرة على تلك القواعد التي وضعها رؤساؤها لكنائس العالم اجمع . وقيل ان الذي وضع ذلك الحساب المشهور بالابقطى [١] هو بطليموس

---

(١) الابقطي هو عمر القمر في أول توت من كل سنة

الفلكي الفرماوي صاحب كتاب المجسطي فى عهد البابا ديمتريوس فنسب اليه ودعى بحساب الكرمة

فلو كانت كل الكنائس اعتقدت فى القرن الاول ما تعتقد به الكنيسة الرومانية الآن من رياسة باباواتها وعصمتهم لما انتظرت حكم المجمع المسكوني الأول لتخضع له وتعمل بأوامره بل لخضعت للبابا الروماني المعصوم صاحب السلطان المطلق

ولبثت الكنائس سائرة على هذا الترتيب حتى سنة ١٥٨٢ م حين وضع اغريغوريوس الـ١٣ اسقف روميه تقويمه الغوريغوري الذى ادخل به اصلاحا على التقويم اليولياني ولذلك صارت الطوائف الغربيـة التي سارت على التقويم الغريغوري تعيد الفصح بعد اكتمال البدر الذي يلي الاعتدال الربيعي مباشرة بدون نظر الى تاريخ ذبح الخروف اما الطوائف الشرقية فظلت باقية على العادة الأولى الى اليوم

ففي بعض السنين يتفق أن يكتمل أول بدر بعد الاعتدال الربيعي في الوقت الذى يأتى فيه ذبح الخروف فتعيد جميع الطوائف المسيحية فى يوم واحد : ولكن في سنين أخرى يكون اكتمال البدر قبل ذبح الخروف فيأتى عيد الفصح عند الغربيين متقدماً على الشرقيين . ومدة هذا التقدم تتراوح بين اسبوع على الاقل وخمسة اسابيع على الاكثر ولا يأتي عيد الشرقيين قبل عيد الغربيين مطلقاً .

فالغرض من حساب الابقطي . انما هو تعيين يوم ذبح الخروف عند اليهود . ومنه يمكن تعيين عيد الفصح والاعياد المرتبطة به كعيد الصعود وعيد العنصرة وذلك لانه بين السنة التوتية القبطية والسنة اليهودية فرقاً نشـأ من أن السنة الأولى شمسية والسنة الثانية ذات اشهر قمرية ولكي يقع الفصح اليهودي دائماً بعد الاعتدال الربيعي يضيف اليهود شهراً على سنتهم كل سنتين اي انها في السنتين الاولين تكون ١٢ شهراً وفي الثالثة ١٣ شهراً وبذلك جعلوها سنة شمسية ولو ان شهورها قمرية (١) .

---

(١) خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ص ٢٠١ و ٢٠٢

القرن الثالث

القسم الاول

تاريخ البطاركة

(١) ياروكلاس (٢) ديونيسيوس (٣) مكسيموس (٤) ثاؤنا

٠٠٠٠OOO٠٠٠٠

(١) **ياروكلاس** — البطريرك الثالث عشر . ولد في الاسكندرية من ابوين وثنيين صارا فيما بعد مسيحيين وادخلا ابنهما ياروكلاس في المدرسة اللاهوتية ليدرس العلوم بها فتتلمذ للعلامة اوريجانوس وأظهر مهارة فائقة ونبوغاً عظيماً حتى خصه البابا ديمتريوس بعنايته ورسمه شماساً فقساً ثم عينه مديراً لتلك المدرسة وسلمه مقاليدها بعد طرد اوريجانوس منها . وقد أوكل اليه القيام بالوعظ فوق منبر الكنيسة المرقسية بالاسكندرية فاجتذب برقة أسلوبه وحسن سلوكه عدداً غير قليل من شبان الوثنيين . وعقب وفاة البطريرك ديمتريوس كان قد حازصيتاً بعيداً في العلم والعمل فاجمع الكل على توليته منصب البطريركية ورسموه في شهر بابه سنة ٢٣٢ م في عهد ساويرس قيصر

ولكنه اضطر فيما بعد ان يهجر الاسكندرية بسبب الاضطهاد الذي اشعل نيرانه القيصر مكسيموس ضد المسيحيين . ولم يرجع اليها الا بعد ان هدأت القلاقل ونامت الفتن وتقوت المسيحية وكثر عدد المنضمين اليها وأوجد عدة ابروشيات جديدة حتى اقام عشرين اسقفاً على معظم مدن القطر المصري واستمر في جهاده مدة ١٦ سنة وشهراً واحداً و٢٦ يوماً وتوفي في ٨ كيهك سنة ٢٤٧ م

وبالنسبة لشدة اعتبار الكهنة والشعب لهذا البطريرك ومحبتهم له دعوه (بابا)

أي (جد) الاسم الذي لم يسمّ به أحد قبله من بطاركة المسيحيين . ولا ندري كيف يتبجح الغربيون ويفوهون بدون خجل بان هذا اللقب هوخاص باسقفهم دون غيره وشهادة التاريخ تنقض مدعاهم . قال صاحب « تاريخ الانشقاق »ج ١ ص ٢٩ — ٣١ « واما اساقفة عاصمات الولايات والاقاليم أعني الاولين في المطارنة فكانوا يسمون (اكسرخوسة الولايات) أواساقفة اولين . غيرانه كانت لبعضهم أسماء خاصة ايضاًمنذ القديم . فكان اسقف انطاكيا يسمى « بطريركاً » . واسقف اسكندرية « بابا » واسقف رومية « اسقفاً » أو اسقف المدينة (أي رومية) أو حبراً (وهو اسم مأخوذ عن استعمال قديم للكهنة الوثنيين في رومية) واحياناً كان يسمى « بابا » . أما كلمة « بابا» فمن الواضح انها ليست كلمة لاتينية ولا غربية بل هي شرقية محضة . واول من سمي بها اسقف اسكندرية من ابناء ابروشيته في القطر المصري وفي اسكندرية عينها » اه

وقال افتيشيوس بطريرك الملكيين باسكندرية (وهو سعيد بن بطريق من رجال القرن العاشر) في تاريخه طبعة سنة ١٦٦١ « ان كلمة « بابا » مركبة من « أب آبا » ثم أدرجت الى « أبابا » وتخففت الى « بابا » وانتقل الاسم « بابا» من كرسي اسكندري على كرسي رومي » اه وقال المقريزي المؤرخ المسلم في كتابه « دخول قبط مصر في النصرانية » « وكان بطرك الاسكندريه يقال له البابا من عهد حنانيا هذا اول بطاركة الاسكندرية الى ان أقيم ديمتريوس وهو الثاني عشر من بطاركة الاسكندرية . وصار الاساقفة يسمون البطرك الاب . والقسوس وسائر النصارى يسمون الاسقف الأب ويجعلون لفظة « البابا » تختص ببطرك الاسكندرية ومعناها « أب الآباء » ثم انتقل هـذا الأسم من كرسي الاسكندرية الى كرسي رومه » اه (مجاني الأدب للجزويت ج ١ ص ٢٠٢ و٢٠٣)

ولقد يدعي الغربيون ان تسمية اسقف اسكندرية «بابا» منحت من اسقفهم كليتنوس للقديس كيرلس في المجمع الثالث المسكوني اكراماً له ومن ذلك العصر أخذ بطاركة اسكندرية يلقبون باباوات . وفساد هذا الادعاء ظاهر لأن التاريخ يشهد بان بطاركة الاسكندرية كانوا يسمون باباوات لاقبل المجمع الثالث والثاني

فقط بل قبل الاول أيضاً فان هـذا اللقب اطلق على ياروكلاس الذي كان قبل كيرلس ب ١٨٢ سنة واطلق على اثناسيوس الذي كان قبل كيرلس ايضاً ب ٨٤ سنة . وقد امتد لقب بابا الى قرطجنه قبل رومية بدليل ان كرنيليوس اسقف رومية القديمة صدر معظم رسائله التي بعث بها الى قبريانوس اسقف قرطجنه في اوائل القرن الثالث بقوله « السلام من كرنيليوس الى البابا قبريانوس » ومن ثم امتد ذلك اللقب الى اسقف رومية في القرن الخامس بشهادة البابو بيين انفسهم كما جاء بص ٣٤ من كتاب « تاريخ الكنيسة الاسكندرية » للبطريرك كيرلس مقار ما نصه « ان الكنيسة منذ القرن الخامس قد جعلت لقب « بابا » خاصاً بأسقف رومية » اه

والحقيقة ان اسقف رومية لم يدع حق ملكية لقب « بابا » الا في القرن الحادي عشر حيث عقد غريغوريوس السابع اسقف رومية مجمعاً مكانياً حرم فيه كل اسقف يطلق على نفسه أو على غيره ذلك اللقب . وأما قبل هذا التاريخ فلم يتجاسر اسقف روماني بحصره في شخصه بدليل انه في القرن السادس كتب فرتوناتوس اسقف بواتييه بفرنسا الى كل من فيلكس اسقف نانت وافروتيوس اسقف تور (وكلاهما بفرنسا ايضاً) رسالة لقبهما فيها « بالبابويين الطاهرين » وفي القرن السابع ورد اسم قورش (دخيل على الكرسي الاسكندري) مسبوقاً بلفظة بابا وذلك من ضمن اعمال المجمع المنعقد بالقسطنطينية سنة ٦٨٠ م

قال مؤلف كتاب مختصر تاريخ الامة القبطية ص ٦٠ « اما اذا كان حبر رومية المذكور (غريغوريوس السابع) قوي فيما بعد على ان ينتزع لقب « بابا » من اخوته الغربيين ويحصره في شخصه فانه لم يقو ولن يقوى على انتزاعه من حبرنا الاسكندري . ونظرة واحدة الى جميع الخولاجيات القبطية (سواء كانت بين ايدي الارثوذكس او بين ايدي اخوانهم الكاثوليك) تكفي لتبرهن لنا على ان اسم الحبر الاسكندري لا يذكر حتى اليوم الا مشفوعاً بلقب بابا متبوعاً بالقاب ثلاثة . ففي الثلاثة القداسات وفي صلوات بخوري عشية وباكر بل في جميع طقوس البيعة القبطية ينبه الشماس الشعب عند « اوشية الآباء » قائلا « صلوا من اجل رئيس كهنتنا انبا فلان بابا وبطريرك وسيد ورئيس اساقفة

مدينة الاسكندرية العظمى » اهـ (١)

ولا نظن الكاثوليك فيما بعد يتجاسرون على سلب القاب غيرهم . ولكن اذا كنا نراهم قد سلبوا لقب الرب يسوع الاساس الوحيد والرأس الفريد للكنيسة وجعلوا هذا اللقب وقفاً على أسقفهم فلا عجب اذا تهجموا ايضاً على ألقاب سواهم من رؤساء المسيحية

(٢) ديونيسيوس — البطريرك الرابع عشر . ولد بالاسكندرية في أواخر القرن الثاني وكان عابداً للأوثان على رأي مذهب الصابئة (٢) وكان مقداماً وحكيماً فبينما هو جالس في بعض الايام اذ مرت به عجوز ارملة ومعها كراسة مكتوبة من رسائل بولس الرسول تريد بيعها . فاشتراها منها وأخذ يتأمل فيها . ولما فهمها جيداً اعجب بها للغاية ووقعت عنده موقعاً حسناً واعتبرها أفضل من كل ما قرأه من كتب الفلاسفة . ثم طلب من المرأة ان تأتيه بمثل هذه الكراسة وهو يدفع لها ما تطلب من الثمن لانه رأى انه قد بقي من الكتاب شيء آخر . فذهبت المرأة واحضرت له ثلاث رسائل أخرى وقدمتها اليه فاخذها وبدأ يطالعها وهو مندهش ومسرور جداً لجلال اللفظ وسمو المعنى

فشعرت المرأة بان نعمة الله عملت في قلبه فقالت له اذا شئت ايها الفيلسوف ان تطلع على كثير من مثل هذه الاقوال فعليك بالذهاب الى الكنيسة حيث تجد من يعطيها لك مجاناً . فمضى لساعته الى الكنيسة وتواجه مع شماس يدعى اغسطين فدفع له رسائل بولس كاملة فقرأها وحفظها من قوة ذكائه ومضى الى البطريرك ديمتريوس ونال منه سر المعمودية ثم انخرط في سلك المدرسة اللاهوتية وتتلمذ لاوريجانوس العلامة . وفي وقت وجيز نبغ في العلوم المسيحية كما كان ماهراً في العلوم الفلسفية . وكان له تلاميذ كثيرون يتعلمون منه الفلسفة الوثنية فأثر عليهم باقواله وجعلهم يتبعون ديانته الجديدة ويدرسون عليه العلم المسيحي الحقيقي .

وقال الانبا ساويرس المؤرخ « انه جعل بيته بيعة ولبثت مدة طويلة تدعى

---

(١) ان اول من اطلق لقب بطرك على باباوات الاسكندرية هو القديس اثناسيوس الكبير حيث كتب عن الكسندر بابا الاسكندرية وسماه بطريركا

(٢) عبادة الكواكب والنجوم

باسمه ». وقال هذا المؤرخ ايضاً انه كان اسماء تلاميذه تاودورس واغريغوريوس واثناخورس هؤلاء أقاموا معه خمس سنين بعد تقدمته ثم نالوا رتبة الكهنوت وكان له تلميذ آخر اسمه افريقتوس كتب خمسة كتب وتعب فيها فلما سمع بحكمة ياروكلاس البطريرك مضى الى الاسكندرية ليتعلم منه وكان ديونيسيوس يقول له « اعلم ان كل انسان لا يأكل الطعام الروحاني فهو هالك وقد كنت انا مشغولا بالطعام الفاني وغافلا عن خبز الحياة الباقي حتى هداني الرب » واجتذب التلميذ بهذا الكلام الى التعليم السمائي حتى ان من فضله عرف صحة نسبتي المسيح في انجيلي متى ولوقا ولم يجد فيهما خلفاً بالكلية

وكان لديونيسيوس بعد قبوله سر المعمودية نشاط وغيرة عظيمين فأحبه البابا ديمتريوس ورقاه الى رتبة الشموسية وبعد وفاته رفع البابا ياروكلاس درجته الى وظيفة قس ثم قلده فيما بعد رئاسة المدرسة اللاهوتية ومناظرة بعض الشؤون الرعوية فاستمر في عمله لا يكف عن ان يعلم ويعظ ويعمد المرتشدين حتى توفى البابا ياروكلاس فاجمعت كلمة المسيحيين على ان يخلفه ديونيسيوس فساموه بطريركاً في شهر كيهك سنة ٢٤٧ م في عهد فيليب قيصر بعد ان ترك في رئاسة المدرسة اللاهوتية ببروس

ولما اضطهد ديسيوس قيصر المسيحيين كان همه موجهاً بالاخص الى رؤسائهم فشدد على نوابه بان يقبضوا على رؤساء المسيحيين في العالم اجمع . فحاول نائب القيصر في مصر القبض على البابا ديونيسيوس فلم يفلح وتمكن البطريرك من الهروب الأمر الذي لامه عليه جرمانوس أحد اساقفة الاقاليم فأرسل اليه البابا ديونيسيوس الرسالة الآتية يدافع فيها عن سبب هروبه ويوضح الحوادث التي مرت به حيث قال : —

«الى جرمانوس سلام .

«وبعد فاني اتكلم أمام الله واشهده على نفسى اني لا اكذب فيما أقول بان هروبي لم يكن طبقاً لارادتي كما لا ادعي انني اتيته بناء على الهام من الله بل الواقع انه قبل أن يبتدىء الاضطهاد الذي أثاره ديسيوس قيصر جاء رجل اسمه فرومنتاريوس من قبل حابينوس ليبحث عني وكنت قد مكثت في منزلي

نحو اربعة ايام أنتظر مجيء فرومنتاريوس الذي لم يأت الى بيتي تواً بل ذهب ينقب في كل مكان في الشوارع والحقول وبقرب الانهر حيثما ظن اني اختبيء هنالك وكأنه ضرب بالعمى فلم يستطع العثور على منزلي لانه لم يخطر بباله قط اني ابقى في البيت وقت الاضطهاد . فمرت الاربعة الايام على هذه الحالة الى أن أذن لي الله ان اترك كيني وفتح لي طريقاً سلكت فيه بكيفية عجيبة جداً فخرجت من المنزل ومعي اتباعي وكثيرون من الأخوة المسيحيين وكان ذلك بتدبير من الله وعناية منه ظهرت لنا في كل الذي تم معنا بعد ذلك وبدونها لم نكن نذكر بشيء أو نفيد شيئاً

وعند ما أذنت الشمس بالمغيب كنا قد قربنا من مدينة تدعى (اطابوزيرس) (١) أمسكني العساكر انا ورفقائي وقادونا الى سجن المدينة ولكن تيموثاوس لم يكن موجوداً ولم يلق القبض عليه وذلك بعناية الهية فانه لما دخل البيت وجده قفراً وليس فيه سوى خدام يحرسونه . أما نحن فصرنا عبيداً أرقاء . وقد اتفق ان رجلا من الارياف رأى تيموثاوس راكضاً تلوح عليه دلائل الخوف والجزع فسأله الرجل عن سبب جريه فاوضح له تيموثاوس جلية الخبر . وبعد ان سمع الرجل هذا الأمر ذهب في طريقه وكان قاصداً وليمة عرس فلما استقر به الجلوس في المجلس قص هذا الخبر على آذان المدعوين لهذه الوليمة فلم يكن الا كلمح البصر حتى نهضوا جميعهم نهضة رجل واحد كأنهم كانوا على اتفاق سواء وجاؤا مسرعين كالسيل الجارف واندفعوا علينا كالنسور واخذوا يصرخون ويضجون باصوات كالرعد القاصف فلما رأى العساكر الذين كانوا يحرسوننا ما جرى ولوا الادبار واركنوا الى الفرار فانقض اولئك علينا انقضاض البواشق بينما كنا نياماً على اسرة ليس عليها شيء من الفراش . ويعلم الله اني ظننتهم في باديء الامر جماعة من اللصوص جاؤا قاصدين السلب والنهب ولذلك ظللت نائماً دون ان ابدي حراكا وليس علي شيء من الملبوس سوى قميص من الكتان اتدثر به واما باقي ثيابي فكانت مطروحة بجانبي فقدمتها لهم عند ما اقتربوا مني . أما هم فلم يكونوا يقصدون النهب ولا يبتغون الثياب بل أمروني ان اقوم من مكاني وأسير معهم مسرعاً الى

---

(١) مدينة صغيرة في مريوط غربي الاسكندرية

حيث يريدون . فلما ادركت قصدهم من المجيء الينا أخذت في البكاء والعويل وتوسلت اليهم متضرعاً ان ينصرفوا عنا ويتركونا وشأننا وقلت لهم انهم اذا شاؤا ان يعملوا معنا جميلا فليستأذنوا الذين ادخلوني في هذا المكان ومن ثم يقطعون رأسي . فلما صحت عليهم هكذا كما يشهد بذلك رفاقي والذين اشتركوا معي في الضيقات اجتهد اؤلئك القوم ان يأخذوني قسراً رغماً مني ولذلك القيت بنفسي على الارض مطروحاً على ظهري ولكنهم لم يشفقوا علي بل امسكوا يدي ورجلي وجروني خارجاً وتبعني الذين شاهدوا هذه الحادثة وهم كايوس وفسطس وبطرس وبولس فاخرجوني خارج المدينة واركبوني حماراً غير مسرج » اهـ.

وارسل البابا ديونيسيوس برسالة اخرى الى بطريرك انطاكية يشرح فيها باسلوب مؤثر شدة ما قاساه المؤمنون من العذاب في ذلك الاضطهاد وسنذكرها في الكلام على اضطهادات هذا القرن وكان قصده من ارسال تلك الرسالة لذلك البطريرك ان يستنهض همته حتى لا يجزع من الضيقات ولا يخاف من الموت بل يثبت على محبة الفادي الى النهاية

ولما مات القيصر ديسيوس سنة ٢٥١م هدأت قليلا سورة الاضطهاد فكتب ديونيسيوس الى القيصر غالوس يذكره بما جناه ابوه على المسيحيين فأثر ذلك في نفس القيصر تأثيراً حسناً . ولكن داء الدفتريا الذي تفشى فيما بعد في انحاء المملكة كان وبالا على المسيحيين لان كهنة الاوثان اقنعوا القيصر بانه نتيجة غضب الآلهة من انتشار المسيحية . فنشأ عن ذلك اضطهاد هذا القيصر للمسيحيين اضطهاداً مريعاً للغاية الى ان مات سنة ٢٥٣ م وتولى مكانه فاليريان الذي سالم المسيحيين في مبدأ الامر حتى تسنى للبابا ديونيسيوس ان يطوف في انحاء القطر المصري مفتقداً رعيته التي كادت تتمزق من اهوال الاضطهادات . وقد سام في سياحته شمامسة وقسوساً ودشن كنائس عديدة وبذل جهده في تعزية شعبه ومواساته في مصائبه كما هو شأن الراعي الصالح . ولما وصل في سياحته الى ابروشية [١] ارسينو [٢] في الفيوم وقف على بدعة ابتدعها اسقفها

---

(١) ابروشية (بفتح الباء وسكون الراء) لفظة يونانية معناها مقاطعة

(٢) ارسينو هي الآن كيمان فارس المتخربة بحري مدينة الفيوم الحالية

في مسألة ملك المسيح الألف السنة فقضى عليه في مجمع عقده هناك كما سيأتي ذكره في باب البدع

وفي ذلك الحين مات فابيانوس اسقف روميه واقيم كرنيليوس خلفاً له فاستولى روح الحسد على نوفاسيانوس احد كهنة روميه وأسكر اسقفين وجعلهما يوسمانه اسقفاً على كرسي روميه . وما بلغ أمنيته حتى نشر بدعة جديدة مؤداها رفض توبة الذين يجحدون الايمان أو يقعون في اثم كبير وبوجوب اعادة العماد الذي يتم على أيدي الهراطقة وكذلك عماد الارثوذكسيين الذين يتساهلون في قبول الهراطقه التائبين . ولما علم نوفاسيانوس ان كرنيليوس احتج عليه لدى الاساقفة ارسل للبابا ديونيسيوس البطريرك الاسكندري يقول له «ان الشعب ارغمني على قبول الاسقفية» فارسل اليه البابا ديونيسيوس رسالة يقول فيها : —

ديونيسيوس يهدي سلامه الى أخيه نوفاسيانوس

« وبعد . فاذا صح ما قلته وصدق اعتذارك في انك قبلت الوظيفة بطريقة غير قانونية ضد رغبتك فعليك ان تبرهن ذلك بان تترك هذه الوظيفة برغبتك وتعتزلها بارادتك لان الواجب علينا ان نحتمل كل شيء ونذوق كل هوان وعذاب لا ان نسيء اساءة تؤثر في كنيسة المسيح التي افتداها بدمه . واعلم هداك الله ان المجد الاسنى والشرف الاعظم يكونان لنا كاملين اذا نحن متنا شهداء لاجل الكنيسة من ان نسهل لابنائنا تقديم الذبائح للاوثان وانكار الايمان . ومن رأيي ان الذي يموت شهيداً لاجل ايمانه انما يريح نفسه وينال المجد والثواب لشخصه فقط ولكن الذي يموت لاجل الكنيسة فهو يفيد الكنيسة ونفسه ايضاً . والنتيجة انك اذا اقنعت اخوانك وحملتهم على اتمام مبادىء الاتفاق والوئام فتكون حسناتك قد زادت عن سيئاتك والا ان لم تستطع التأثير عليهم وخالفوا وساطتك فاعمل على الاقل لخلاص نفسك واربأ بها . وفي الختام أهديك تحيتي وسلامي على أمل انك راغب في السلام عامل على توطيد دعائمه باسم ربنا يسوع المسيح » اه

ثم كتب هذا البابا الى جميع الكراسي المسيحية لكي يقطعوا الشركة مع

نوفاسيانوس وحظر على اكليروس كنيسة روميه معاملته واوصاهم بالتمسك بكرنيليوس اسقفهم الشرعي حتى كانت نتيجة سعيه ان اعتزل نوفاسيانوس الكرسي الروماني وتركه لكرنيليوس الذي عقد مجمعاً حرم فيه خصمه والبدعة التي جاهر بها .

وفي سنة ٢٥٧ م ثار اضطهاد القيصر فاليريان فالقى والي مصر القبض على البابا ديونيسيوس بعد ان قتل كثيرين من المسيحيين وجلد البابا ديونيسيوس وطلب منه ان يسجد للاوثان فاجابه نحن لا نسجد الا للسيد المسيح خالق السماء والارض فكلمه الوالي بالحسنى لكي يذعن فابى فأخذ جماعة من المسيحيين وقتلهم أمامه ولما رآه مصراً القاه في السجن ثم أعيد ليحكم عليه بالموت واتهمه الوالي بانفراده مع اصحابه للصلاة معهم فقال له القديس نحن لا نكف عن مخاطبة الله ولكن الوالي عدل عن قتله ونفاه في ناحية خفرو بليبيه وقد تلقى حينئذ رسالة من جرمانوس الاسقف المار ذكره يلومه فيها على ابطال الاجتماعات العمومية فرد عليه البابا ديونيسيوس بكتاب يصف فيه كيفية القبض عليه فقال :—

«ولما وحللنا سيفرد [١] التف حولنا جم غفير من الأخوة الذين جاؤا معنا من الاسكندرية ومن الذين وفدوا الينا من مصر بعد وصولنا الى هنا وهكذا مهد الله سبيلا لكلمته في هذه الجهة كما في كل الاماكن الاخرى . صحيح أن أعداءنا في بادىء الامر اضطهدونا ورشقونا بالاحجار ولكن اخيراً ترك كثيرون من الوثنيين اصنامهم ونبذوها ظهرياً واقبلوا الى الله بقلوبهم لان كلمته غرست في افئدتهم كما يغرس البذار في ارض ذات زرع وكانوا لم يسمعوا عنها من ذي قبل . وكأن الله جل وعلا اراد ان يأتي بنا الى هذا المنفى لنذيع بشارة الخلاص فيه فلما تم ذلك وافلحنا شاءت مشيئته ان ننقل الى مكان آخر لهذه الغاية عينها وذلك ان اعليانوس ابن الامبراطور قصد أن ينقلنا الى اماكن اشد ضرراً واكثر تعباً مشحونة بالمخاوف والمخاطر . ثم أمر سكان اقليم مربوط ان يلتئموا في مكان واحد خصصه لهم وعين لهم قرى معروفة يقيمون فيها فيما بعد اما نحن الذين تبعونا فاوصوا ان نبقى مطروحين في الطريق بلا مأوى ولا ملجأ لانه لم يكن شك في اننا اناس لا نركن الى الفرار ولا نميل الى الهرب بل وثق

(١) شمالي القطر المصري

انه متى اراد يسهل عليه القبض علينا بدون مشقة . ولا اخفي اني عند ماصدر لي الامر بالارتحال الى سيفرد هذه لم اكن اعلم الى اين اسير ولا أعرف شيئاً عن المكان الذى انفى اليه بل كنت بالكاد اعرف اسمه من قبل ولكنني كنت فرحاً جذلا لعلمى ان هكذا ارادة الله . الا انه لما امرونى بالانتقال الى مكان اسمه كولونيوس تأثرت تأثيراً شهده الحاضرون لانى علمت ان هذا المكان سيكون كسجن لي لا استطيع فيه ان اتمم العمل المطلوب مني ولذلك تضايقت اولا بالنسبة لهذا الخبر وثقل سماعه على اذني مع انى كنت عالماً بهذا الاقليم واكثر خبرة به من غيري ولكن قيل لي انه خال من الاخوة المسيحيين وليس فيه أحد من افاضل الرجال الذين تتلذذ النفس لمعاشرتهم فضلا عن انه عرضة لوقاحة المسافرين ورذائلهم ومكمن للصوص وقطاع الطرق الا ان بعض الاخوة واسوني اذ اخبروني انه قريب من مدينة الاسكندرية . ومما يسر القلب ان سيفرد التى نفينا اليها جمعتنا بكثيرين من الاخوة المسيحيين الذين لم نكن لنراهم لولاها وبواسطة اجتماعنا وارتباطنا تمكنا من نشر كلمة الله واذاعة خبر الخلاص بطريقة لم نكن لنحصل عليها لولا هذا المنفى . واذ كانت الاسكندرية قريبة من هذا المكان الذي كنا نقيم فيه تمتعنا كثيراً بمشاهدة الذين نحبهم ونميل اليهم وقد كانوا يجيئون لزيارتنا دائماً ويمكثون معنا طويلا ولذلك كنا نمثل جمعية عظيمة كانت تلتئم في اقصى مكان في الاسكندرية ولم تزل هذه الجمعيات توالي انعقادها لسماع كلمة الله حتى بعد ان تركناها ورجعنا الى مدينتنا » اه . والذي اعاده الى كرسيه ابن فاريان لشفقته عليه وظهور برأته أمامه بل زوده بكتاب منه يبيح له عقد الاجتماعات ومباشرة خدمته بدون أن يعارضه أحد

ولم يكد البابا ديونيسيوس يستريح قليلا بعد كف الاضطهاد ورجوعه الى كرسيه حتى اضطر ان يوالي جهاده ضد المبتدعين الذين كانوا يكدرون صفو الكنيسة ببدعهم فعمل على حسم النزاع الذي نشأ في الكنيسة بسبب عماد الهراطقة وقاوم جميع المبتدعين كما سيأتي ذلك في باب البدع

وحدث ان رجلا يدعى سابليوس جاء الى مصر من رومية ونشر فيها هرطقة «مؤلمي الاب» الذين يعتقدون ان الله نفسه لا أحد اقانيمه هو الذي كفر عن

خطايا البشر . وقد اضل سابليوس ببدعتــه هذه كثيرين من المؤمنـين وبعض الاساقفة فوقف أمامهم البابا ديونيسيوس وقفة البطل الباسل وقاوم ضلالهم في منشور ارسله الى الاسقفين امونيوس وافراندر . ولما لم يتمكن من ارجاع سابليوس حرمه في مجمع عقده بالاسكندرية سنة ٢٦١ م بعد ان فند في رسالة كل تعاليمه الفاسدة فرأى أنصار سابليوس انهم في حاجة الى من يشـد أزرهم فأغراهم بعض الدخلاء من الرومانيين على الشر والشقاق فكتبوا الى ديونيسيوس اسقف روميه كتاباً فيه يرمون بطريركهم بالهرطقة والبدعة . وكان الاسقف الروماني شاباً قليل الخبرة والمعرفة بالنسبة للبطريرك الاسكندري الذي كان واسع الاطلاع شديد الاختبار . فسـار ديونيسيوس الروماني سير الاعتساف وارتكب متن الشطط وعقد مجمعاً حرم فيه ديونيسيوس البطريرك المصري وارسل يعلمه بالحكم ويسأله عما اذا كان عنده شيء يدافع به عن نفسه الأمر الذي عـده البطريرك المصرى جسارة من اسقف رومية واهانة له غير انه لعظم تقواه وتمسكه باوامر الديانة المسيحية لم يرض ان يقابل الشر بالشر بل عمد الى قلمه وأرسل اليه رسالة يوضح له فيها العبارات التي اشكل عليه فهمها فكانت تلك الرسالة حداً فاصلا للنزاع الذي يسميه المؤرخون « نزاع الديونيسيين » واقتنع الاسقف الروماني بانه تسرع واخطأ في عمله واحترم البابا الاسكندري ووقف بجانبه في دحض بدعة بولس السيماساطى اسقف انطاكية التي لاجلها انعقد مجمع في انطاكية سنة ٢٦٤ م استدعي فيه القديس ديونيسيوس الاسكندرى غير انه نظراً لشيخوخته اكتفى بان بعث رسالتين احداهما الى المجمع والاخرى الى السيماساطى حل فيهما الاسئلة العشرة التي كان يوجهها بولس الى كل من يناقشه

وقبل أن يبت المجمع المذكور حكماً في قضية بولس هذا نام البطريرك المعظم في الرب واستراح من اتعاب جمة في ١٧ برمهات سنة ٢٦٥ م وكانت مدة اقامته على الكرسى الاسكندرى سبعة عشر سنة ولهذا القديس رسائل عديدة في أهم قضايا الايمان وفي وصف ما وقع عليه وعلى كنيسته من الاضطهاد وقد استقى منها اوسابيوس المؤرخ معظم اخبار ذلك الزمان . ولم يزل معظم تلك الرسائل محفوظاً في مكتبة «جالان» اليونانية واللاتينية بمدينة البندقية ومنها مقالة في

الفصح واخرى في السبت وما سبقت الاشارة اليه في ترجمته

(٣) ـ **مكسيموس** البطريرك الخامس عشر . ولد بالاسكندرية من ابوين مسيحيين وكان قساً بها وتم تكريسه بطريركاً في شهر ومهات سنة ٢٦٥م في عهد غالينوس قيصر ولما حكم مجمع انطاكية بحرم بولس السيماساطي أرسل حكمه الى هذا البطريرك يتضمن الاسباب التي دعت الى تجريد بولس من رتبة الكهنوتية وأقامته دمنوس عوضاً عنه وبعد اطلاعه على الحكم بادر حالا بكتابة رسالتين واحدة للمجمع ليشكر فيه مساعيه واتعابه لخدمة الكنيسة والاخرى الى دمنوس تهنئة له بوظيفته الجديدة . ثم حرر منشوراً الى جميع الكراسي الاسقفية يحذرهم فيه من تعاليم بولس وشرح لهم التعاليم المستقيمة التي ينبغي التمسك بها وبعد ذلك ظهرت بدعة ماني الخبيثة فكان لهذا البابا اليد الطولى فى دحضها وجاهد في مقاومتها بكتابة رسائل متعددة والقاء الخطب . واستمر يرعى رعية الله التي اقتناها بدمه مدة ثماني عشرة سنة ثم تنيح بسلام في ١٤ برموده سنة ٢٨٢م

(٤) **ثاؤنا** ـ البطريرك السادس عشر . روى الانبا يؤنس مطران دمياط في مجموعته لتاريخ البطاركة ان الاباء الاساقفة نصبوا بطريركا قبل ثاؤنا هذا اسمه بينوده جلس على الكرسي المرقسي ستة شهور في نهايتها اجتمع الاساقفة ضده وقرروا تجريده من رتبته لانه قد خصى نفسه وأقاموا بدله البابا ثاؤنا في شهر كيهك سنة ٢٨٢ م فى عهد بروفس وهذا البطريرك كان من قسوس الاسكندرية المشهورين بالعلم والوداعة وقد انتهز فرصة سكون الاضطرابات وجمع من المؤمنين الاغنياء أموالا وبنى بيعة حسنة على اسم السيدة العذراء . وهو أول من بنى الكنائس بالاسكندرية وكانت النصارى قبله تصلي بالاسكندرية في المغارات والسراديب خوفاً من القتل وسفك الدماء فلاطف البابا ثاؤنا جماعة الروم وبالغ في ملاطفتهم وأهدى اليهم تحفاً جليلة حتى بنى كنيسة العذراء المذكورة وهي اول كنيسة بنيت صلى فيها القبط جهاراً

ولما تولى القيصر ديوكلتيانوس عرش رومية ادخل في معيته عدداً كثيراً من الاقباط المسيحيين فأرسل اليهم هذا البطريرك رسائل يأمرهم فيها ان يقوموا

بواجبهم وأن يميزوا انفسهم كمسيحيين عن الموظفين الوثنيين باعمالهم الصالحة وسيرتهم الطيبة فمن ذلك رسالة الى لوسيان ناظر بيت الملك وهو موظف مسيحي ارتقى الى رتبته بعد تملك ديوكلتيانوس بقليل يقول له « ان الراحة التي تتمتع بها الكنيسة الآن تعزى الى سبب واحد فقط هو سلوك المسيحيين الحسن واعمالهم الممدوحة التي تضيء كالشمس في رابعة النهار ينعكس ضوءها امام أعين الكفرة والملحدين فتبهر ابصارهم وبذلك يتمجد ابونا الذي في السموات. أما غرضنا الذي نرمي اليه والغاية القصوى التي نسعى خلفها هي ان نكون مسيحيين فعلا لا بالاسم فقط وان نعمل اعمال المسيحيين الحقيقيين لانه اذا كنا نطلب مجد انفسنا الذاتي فنكون كمن يطلب شيئاً تافهاً لا فائدة منه . فاذاً يجب على كل مسيحي ان يهتم بمجد الله الآب وبمجد الله الابن الذي سمر لاجلنا على خشبة الصليب وفدانا بدمه فداء أبدياً لا يقوم بذهب أو بفضة . فلذلك أيها العزيز لوسيان اريد ان يعرف عنك التباهي والفخر لانك أهديت كثيرين من خدمة البلاط الملوكي الى معرفة الحق وادخلتهم في حظيرة المسيح بل الأحرى بك ان تشكر الله الذي اختارك آلة نافعة للبنيان وجعلك واسطة خير لنفع الآخرين واعطاك نعمة في عيني مولاك لحد تمكنت فيه من نشر كلمة الخلاص واذاعة معرفة فادي المسيحيين وذلك لمجد اسمه وخلاص الكثيرين » اه

وأوصى كافة أمناء بيت الملك المسيحيين فقال « ان الله ينهاكم عن ان تبيعوا للآخرين شيئاً من متعلقات القصر خلسة اوتأخذوا رشوة ولا تقولوا للامبراطور كلاماً ضد الحق ابتعدوا عن الطمع والجشع اللذين يتمسك بهما الوثنيون لا المسيحيون واعلموا ان الربح القبيح والغش هما صفتان لاتلائمان من قبل المسيح. فعولوا على الاقتداء به ذاك الذي كان فقيراً ومعدماً . لا تتكلموا بشر فيما بينكم ولا تخرج كلمة قبيحة من افواهكم بل لتكن كل أعمالكم مقرونة باللطف والتأدب مع العدل والحق بذلك يتمجد اسم ربنا والهنا يسوع المسيح فيكم وفي أعمالكم. تمموا واجباتكم التي اسندت اليكم بخوف من الله وبمحبة للامبراطور وبغاية الدقة والاجتهاد واعتبروا ان الأوامر التي تصدر لكم من مولاكم الذي لم يسيء الى أحد من رجال الله كأنها صادرة من الله نفسه لانه مقام منه ولم يتقلد السيف

باطلا . واخيراً يا أبنائي الاعزاء البسوا الصبر كرداء وتمنطقوا بالفضيلة وامتلئوا بالرجاء والايمان والمحبة » اه

ثم ارسل لأمين الخزانة الخاصة يأمره بان يتحلى بالأمانة ويصرف بدقة حساب وكتب لامين الملابس يوصيه بملاحظة الترتيب والنظام وختم كلامه بقوله « وعلى الامين ان يفعل كل هذا بتواضع وطول أناة لكي يتمجد اسم المسيح حتى في مثل هذه الأعمال القليلة الاهمية » اه . وأوصى أمين المكتبة بان يحسن تنظيمها ويجد في نسخ ما بها من الكتب الهامة وان لا يفتأ يذكر امام القيصر عظيم قدر الترجمة السبعينية للكتاب المقدس وان يمزج كلامه مع القيصر بشواهد من سيرة المسيح .

وكان في عهد هذا البطريرك كاهن قديس لم يرزق بنسل يدعى ثيودوسيوس وحدث ان امرأته صوفية شاهدت بالكنيسة يوم عيد الرسولين بطرس وبولس اولاد المسيحيين يقدمون الى المعمودية فانكسر قلبها ورجعت الى البيت حزينة النفس وطلبت من الله بلجاجة ان يمن عليها بنسل . وفي ليلة ذلك اليوم شاهدت رؤيا في نومها واذا بشخصين وقفا بها واخبراها ان طلبتها أجيبت وسترزق ولداً وأمراها ان تذهب باكراً الى البطريرك وتخبره بذلك . فلما اصبح الصباح اخبرت زوجها بالأمر وانطلقت الى البابا ثاؤنا واعلمته بما جرى فباركها وصرفها بسلام . وما أتت السنة حتى رزقت ولداً أتت به الى البطريرك ليعمده فدعاه بطرس ولما كبر تتلمذ له وادخله المدرسة اللاهوتية فبرع براعة غريبة جذبت اليه انظار جميع الشعب

ولما حضرت البطريرك الوفاة جاء اليه جميع الكهنة والشعب باكين قائلين « أتتركنا يا أبانا مثل الايتام » فقال لهم « لستم أيتاماً بل هذا بطرس ابوكم وهو البطريرك بعدي » وقدمه البطريرك قبل ان يتنيح ثم رقد في الرب في ٢ طوبه سنة ١٧ للشهداء و ٣٠٠ م

وفي أواخر حبرية هذا البابا ثار اضطهاد ديوكلتيانوس قيصر فجعلت الكنيسة القبطية السنة الاولى لملك هذا الطاغية مبدأ لتاريخ سنيها وهو المعروف بتاريخ الشهداء .

القسم الثانى

منشأ الرهبنة ومؤسسوها

....

(١) منشأ الرهبنة (٢) بولا (٣) انطونيوس (٤) امونيوس (٥) بفنوتيوس

....ooo....

(١) منشأ الرهبنة — ان اولى الامم المسيحية التي نشأ عندها نظام الرهبنة هي الامة المصرية . وقد ظهرت الرهبنة بمصر حال دخول الديانة المسيحية فيها وقيل ان الرسول مرقس هو الذي علمها لمسيحي مصر . قال اوسابيوس المؤرخ « لما كان مرقس الرسول متحلياً بالطهر والعفاف وبث روح الفضيلة في قلوب كثيرين من المصريين فاعتزلوا الخلق ولجأوا الى الكهوف والمغائر عاكفين على تسبيح الخالق والتغني بذكره الاقدس فتحولت القفار القاحلة الى رياض يانعة تنبت النفوس وتثمر الكمال » اه

الا ان التبتل والانفراد للتعبد كانا معروفين من قبل المصريين عند اليهود . فقد روى فيلومن العبري بانه كان في ضواحي الاسكندرية قوم من اليهود عرفوا بالمتأملين في الالهيات تركوا كل ما يملكون من متاع الدنيا وأووا رجالا ونساء الى التلال المجاورة يقيمون فيها الصلوات ويسبحون الله بالمزامير والترانيم . وقال كاسيانوس وهو كاتب كنسي « ان التقليد القديم يشهد بان رهبان وادي النطرون متناسلون من المتأملين في الالهيات » اه

وقيل أن أول دير مسيحي تأسس كان في سنة ١٥١م حيث عزم فرونتينوس على ترك العلم زهداً في الدنيا وملاذها فجمع اليه جماعة من الاخوة وسار بهم الى وادي النطرون في مديرية الجيزه وهنالك قضى بقية حياتهم بالنسك والتعبد

في بعض الكهوف الصخرية . الا أن الرهبنة لم تعرف جيداً في مصر الا في عهد القديسين بولا وانطونيوس وكانت تسير على نظام التوحد والانفراد حيث ينفرد الراهب في مغارة يقضي حياته فيها منعزلاً عن البشر . ولكنها في عهد أمونيوس ومكاريوس تطورت فصار الرهبان يشتركون ويتعاونون معاً . ثم في عهد باخوميوس وشنوده اجتمعوا جماعات منظمة ووضعوا لانفسهم قوانين خاصة يسيرون عليها . غير أن كثيرين استمر بعضهم يسير على نظام بولا وانطونيوس وغيرهم على منوال آخر . وكان رهبان مصر على ثلاثة انواع النساك وهم الذين يسكنون الاديرة جماعات وفيئات . والزهاد وهم الذين يعيشون في الخلوات والصوامع . والمتبتلون وهم الذين يجتمع اثنان أو ثلاثة منهم فى المدن بدون زواج

(٢) بولا — روى القديس انطونيوس كاتب سيرة هذا الاب قال : — في سن السبعين خالجني فكر من العجرفة والكبرياء فقلت في نفسى اظن انه لا يوجد ورائي احد في البرية أقام فى الفيافي سالكا سبيل النسك والفضيلة مثلي . وفي الليلة التي كنت اتأمل فيها في هذه الامور أوحى ألي من قبل الله انه يوجد خلفي رجل أفضل مني وحضنى على ان اسعى لأراه فلما اتى الصباح أخذت جريدة النخل التى كنت اتكىء عليها وأخذت امشي فى البرية كما كان يهديني عقلي لانى لم أكن أعرف الطريق . ولبثت سائراً الى الظهر وكان الحر شديداً فشرعت أحدث نفسي قائلا انى لمتكل على الله الذى لا يتخلى عنى ان يريني عبده الذى أوحى الي عنه

ولم يتم قوله حتى رأى وحشاً كان نصفه شكل انسان ونصفه الاخر شبه حصان وهو ما يسميه الشعراء بالقنطورس . فرسم القديس على جبهته علامة الصليب وقال له اين هو عبدالله فأراه الوحش المكان مشيراً بأصبعه راكضاً الى الغاب فاستمر القديس فى سفره باحثاً على الطريق واذا هو يتعجب من هذا الامر مر من أمامه هذا الحيوان كأنه ذاهب الى ميدان. فسبح وما هذا الا الشيطان اتخذ تلك الصورة ليزعج القديس فاستغرب مشابهته الشكل الذى رآه في الحيوان وبعد ان ابتعد قليلا رأى وحشاً آخر كأنسان قصير القامة له ساقان

وقرنان كقرني التيس فسأله من أنت فاجابه اني أحد سكان البراري الذي يعبدهم الوثنيون كأنهم آلهة وقد ارسلتني طائفتي لأطلب منك نيابة عنهم ان تتضرع لاجلنا الى المسيح الهنا الذي عرفنا انه أتى لاجل خلاص العالم وبعدان تكلم الحيوان هذا الكلام جدد الشيخ انطونيوس المسير وسالت دموعه على الارض لكنه سر لمجد المسيح ولأبادة الشيطان وضرب بعكازه على الارض وقال ويل للاسكندرية وويل لمدينة الوثنيين التي اجتمع فيها جميع شياطين الخليقة (١)

وكان قد توغل في البرية ومر عليه وقت لم ير فيه انساناً أو حيوانًا فصرف يومين بليلتين في الصلاة راجياً من الله ان لا يهمله . وفي اليوم التالي لاحظ ذئباً صاعداً الى الجبل فاقتفى أثره ولما صعد الى الجبل وقع نظره على مغارة كانت هناك وشاهد الذئب يدخل اليها ولكنه لم يميز شيئاً لشدة الظلام . وقد حاول الخوف ان يدخل قلبه ولكن المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج فدنا من المغارة فلاح له فيها ضوء سراج فاسرع في سيره لفرط سروره فعثرت رجله بحجر غير ان القديس بولا حال سماعه بوقع اقدامه دحرج الحجر واغلق باب المغارة

فارتمى القديس انطونيوس امام باب المغارة على وجهه وتوسل الى القديس بولا ليفتح له الباب قائلا له انا وحدي . فاجاب القديس بولا لم أتيت فقال انطونيوس اني لواثق بانك تعلم من انا ومن اين ولماذا أتيت وبما انك تقبل وحوش البرية فلم تكره بني البشر ؟ لقد طلبتك ووجدتك وقرعت الباب بثقة فافتحه لي والا فسأموت هنا واذا ما رأيت جثتي فادفنها . وسمع القديس بولا صوت بكائه فاجابه قائلا « ما من أحد يطلب احسانا بانتهار ولا يفتر باكياً متنهداً فان كنت أتيت الي لكي تموت فلماذا تتعجب من اني لا اقبلك . قال هذا وفتح له الباب فالتقيا وتعانقا وقبلا بعضهما بالقبلات المقدسة وسلم الواحد على الآخر باسمه كأنهما كانا يعرفان بعضهما قبلا ثم شكرا الله على احسانه اليهما وجلسا للمخاطبة .

فقال القديس بولا — لم احتملت كل هذا الضيق ومشقة البحث عن شيخ

(١) خبر هذين الوحشين وجد في الترجمة المشهور ان البابا اثناسيوس الرسولي كتبها للقديس انطونيوس وقد اثبتناه هنا وان وجد مخالفاً لعقلية المصريين حفظاً للاصل

وهن جسمه وهزل وسترى بعد قليل انه يصير تراباً . غير ان المحبة تحتمل كل شيء فجملتك تتعب كثيراً في الاستقصاء عني . فاخبرني الآن ما حال العالم ومن يدبره وهل يوجد بعد من يسجد للاصنام ويعبدها وهل بنو البشر مستمرون في بناء البيوت في المدن القديمة . ولا يزال يوجد ملوك وحكام في العالم ؛ فاجابه القديس انطونيوس عن اجوبته ثم أخذ يسأل القديس بولا عن السبب الذي من أجله أتى الى البرية وكم عاماً أتى عليه فيها وكم سنة حياته وماذا أكل وكيف عاش .

فاجاب القديس بولا — اني ولدت نحو سنة ٢٢٨ م في الصعيد الاسفل بمدينة طيبة من ابوين مثريين ولما صار لي من العمر ١٢ سنة مات والداي فدخلت مدارس الفلاسفة واتقنت فيها اللغة اليونانية فضلا عن اللغة المصرية وأقمت بمنزل زوج أختي (وقيل اخوه) ولم يكن مسيحياً . ولما بلغت العشرين من عمري أثار ديسيوس قيصر اضطهاده سنة ٢٤٩ م على النصارى وامتد الى الصعيد وصدر الامر بالتفتيش على المسيحيين لتعذيبهم ان كانوا لا ينكرون مسيحهم . فهربت الى منزل كان لي بين مزارعي . ولم أمكث في هذا المكان المنفرد قليلا حتى انذرتني أختي بان زوجها عازم على اخبار الحكومة بحقيقة حالي لكي يقبض علي ويتمتع هو بمالي وعقاري الذي يصير اليه بعدي بحق الارث . فخطر على بالي حينئذ قول السيد المسيح «من لا يترك جميع امواله لا يقدر ان يكون لي تلميذاً » (لو١٤: ٣٣) فوهبت أختي وزوجها كل ما امتلكت من حطام الدنيا وودعت العالم الوداع الاخير وقصدت البرية الداخلة بجبل القلزم (١) حيث وجدت مغارة (٢) مغلق بابها بحجر كبير فدحرجته ودخلت اليها ورأيت بقربها نخلة تثمر وعين ماء فأقمت بها وصرت اقتات من ثمر النخلة واستقي من عين الماء واكتسي بخوص النخله مجدولا

وكنت في اول سكناي في البرية اقصد ان أعود الى بلدتي بعد زوال الاضطهاد ولكني لما ذقت لذة الوحدة وعذوبة الانفراد والاختلاء مع الله ادركت ان

---

(١) هو شمالي البرية الشرقية (الصحراء العربية) التي بين النيل والبحر الاحمر
(٢) قيل ان مزيفي النقود في زمان كليوباتره كانوا يختفون في هذه المغائر

الضرورة قد هيأت لي طريق الفضيلة فآثرت هجر العالم بتاتاً وهكذا عشت حتى الآن منفرداً كل الانفراد مثابراً على الصلاة والتأملات الروحية مدة ستين سنة .

وبينما هما يتخاطبان التفت كلاهما فنظرا غراباً على غصن شجرة وللوقت وقف بكل هدوء على الفرع وكان في منقاره رغيف من الخبز فأتى وألقاه فيما بينهما وطار وهما ينظران ويتعجبان فقال القديس بولا لضيفه مبارك الرب الذي أرسل لنا مأكلا فاعلم يا أخي انطونيوس انه منذ أتيت هنا وهذا الغراب يأتيني كل يوم بنصف رغيف واليوم من أجلك أتى برغيف كامل وبعد ان شكرا الرب جلسا للأكل وتنازعا في من منهما يجب ان يكسر الخبز فاتفقا أخيراً على ان يكسراه معاً فكسراه باسم الرب وبعد ان أكلاه وقفا يصليان طول ليلهما

ولما أتى الصباح قال القديس بولا لضيفه لقد عرفت من مدة طويلة انك تسكن هذه البراري وكان الله قد وعدني بزيارتك فجئتني في الوقت المناسب اذ حان وقت راحتي وسيحل لي الامر الذي اشتهيته يعني الانتقال من هذا العالم والسكنى مع سيدي يسوع المسيح حيث قد أعد لي اكليل البر . فلهذا ارسلك لكي تدفن هذا الجسد الشقي وترد التراب الى التراب . وبينما كان القديس بولا ينطق بهذا الكلام كانت دموع القديس انطونيوس تنهمل بغزارة وأظهر أسفه متنهداً وطلب من القديس بولا ألا يفارقه أو يأخذه معه الى الوطن السعيد . فاجاب بولا الطوباوي وقال له لا يليق بك ان تطلب الخير لنفسك بل لجيرانك ولذا أرجوك يا حبيبي اذا لم يكن في الامر مشقة ان تذهب بسرعة الى ديرك وتأتيني بالرداء الذي أعطاه لك القديس اثناسيوس الرسولي البطريرك لتكفنني به وتدفنني (١) ولم يكن في حاجة الى ثياب ولكنه أراد ان تفارق روحه جسده في غياب القديس انطونيوس

وكان القديس انطونيوس يسمع كلامه بتعجب زائد وأدرك ان الله كشف للانبا بولا اشياء كثيرة وشكر الرب سراً ثم خر أمامه وصلى واقترب اليه وقبل

---

(١) قال القديس انطونيوس في ترجمة الانبا بولا « ان هذا الرداء كان قد أهداه القيصر قسطنطين الكبير الى البابا اثناسيوس وهو أهداه الي » اهـ

عينيه ويديه واسرع في الخروج ليذهب الى ديره . وبعد ان سافر ووصل الى الدير التقى به اثنان من تلاميذه ظلا يبحثان عنه طويلا وقالا له أين كنت يا أبانا في هذه الايام ؟ فاجاب وقال لهما . ويل لي انا الخاطىء فان اسم « مسيحي » الذي أدعى به هو مستعار ولست مستحقاً ان ادعى راهباً لاني رأيت ايليا ويوحنا المعمدان في البرية ورأيت بولا في السماء وهو يتكلم معهما . ثم ضرب بيده على صدره وأخذ الرداء وفارق تلميذيه ولم يشاء ان يعبر لهما عن معنى كلامه بل قال لهما للكلام وقت وللصمت وقت

ثم جد في السير لأنه كان يشتهي أن يراه قبل انتقاله فسافر في اليوم الاول ولكنه في اليوم الثاني في الساعة التاسعة أبصر جمهوراً من الملائكة يصعدون الى السماء وروح القديس بولا معهم وهي تضيء كالشمس فجثا على الأرض واضعاً التراب على رأسه وقال بقلب آسف. ياخائف الله لماذا تركتني هكذا بدون أن تودعني على ماعانيته من مشقة السفر الذي كنت أسابق فيه الطيور . ثم استمر في سيره حتى دنا من باب المغارة فوجد جسد الشيخ الميت واقفاً جاثياً على ركبتيه ورأسه مستقيماً ويديه مرتفعتين فظن انه حي بعد فجثا خلفه يصلي . غير انه لما رأى الشيخ لايتنهد كعادته في الصلاة تفرس فيه جيداً فتحقق انه توفي فوثب على جسده زارفاً الدموع ومقبلا يديه ورجليه ثم لفه بالرداء وحمله على كتفيه وهو يرتل المزامير غير انه حزن عند مارأى نفسه أهمل استحضار آلة معه يحفر بها القبر وفيما هو مفكر في أمره متحير اذا بأسدين جاءا معاً راكضين فلما نظرهما ارتعد واذ رفع فكره الى الله وجدد نظره اليهما ظهرا له كحمامتين وديعتين تطيران في الهواء . فاقترب الاسدان وانطرحا بجانب جسد الاب بولا مظهرين اكرامهما له ثم هزا ذيليهما لانطونيوس المبارك ورقدا أمامه بوداعة تامة وحكا باسنانهما ببعض وقرا بصوت عال كأنهما يظهران أسفهما . ثم حفرا في الارض قبراً كاملا وبعدما فرغا من العمل تقدما الى الأب انطونيوس وخفضا ذنبيهما وسجدا أمامه ولحسا يديه وقدميه كمن يطلب بركة فبارك عليهما قائلا « ايها الرب الاله الذي بدون أمره لا تسقط ورقة واحدة على الارض وبدون مشيئته لا يسقط عصفور واحد في الفخ باركنا جميعاً » ثم اطلق الاسدين باشارة يده وصلى على

جثة القديس بولا ودفنها وبعد ان أتم الدفن رجع الى ديره حاملا ثوب القديس بولا المصنوع من الخوص معتبراً اياه كنزاً ثميناً . وكان يلبس هذا الثوب في يومين من كل سنة وهما عيد الفصح وعيد العنصرة وكانت وفاة القديس بولا في اليوم العاشر من كانون الثاني سنة ٣٤٣ م الموافق ١٢ امشير سنة ٥٩ ش

ويليق بنا ان نأتي في خاتمة هذا الخبر بما قاله احد الكتاب « اني أسأل الآن الاغنياء والذين لا يعرفون كمية ثروتهم لزيادتها والذين يسكنون المنازل الفسيحة المزينة بالزخارف والنقوش ماالذي أعوز هذا الشيخ القديس المتعري من كل غش فأنتم تشربون في كؤوس من فضة وذهب وهذا بولا يطفي عطشه بكف يده . أنتم تلبسون البرفير وهذا كان مرتدياً بثوب من نخل . غير انه لا يكون الامر هكذا دائماً وهذه الحال تنقلب الى حالة اخرى فها ان السموات انفتحت لبولا المسكين وانتم ستهبطون الى جهنم مع جميع كنوزكم . وهو قبر في الحلية لم للمجد وانتم تدفنون في قبور من الرخام والمرمر لتحترقوا الى الأبد » اهـ



« القديسان مار بولا ومار انطونيوس »

(٢) انطونيوس . كاتب سيرة هذا الاب الطوباوي كما سيأتي معنا هو القديس البابا اثناسيوس الرسولي البطريرك المشرون الذي كان يفتخر بكونه عرف القديس انطونيوس منذ حداثته وانه استقى له الماء مراراً كثيرة قال ما خلاصته :. — ولد القديس انطونيوس سنة ٢٥١ م في مدينة تدعى كوما [(١)] من والدين مسيحيين اشتهرا بالغنى في المال والفضيلة فربياه على مبادىء الدين والتقوى فنشأ هادئاً وقوراً محباً للعزلة والانفراد كثير القناعة في جميع مقتضيات المعيشة. ومع أن والديه لم ينظماه في سلك التعليم باحدى المدارس الا انهما هذباه بعلومهما ومعارفهما كما تدل كتابات القديس انطونيوس الباقية الى الان التي تدل على مقدرته وتشهد له بالتضلع

ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره حتي فقد ابويه فالتزم ان يعتني بتربية اخته الصغيرة ويدير حركة املاكه الواسعة التي كان ينفق منها كثيراً لاغاثة البائسين غير أن الافكار المقدسة كانت متملكة عليه وكثيراً ما كان يعجب من شهامة الاباء الرسل الذين تركوا كل شيء وتجندوا لخدمة الكلمة وكيف كان كل مؤمن بواسطتهم يبيع املاكه ويضع ثمنها تحت اقدامهم . واتفق ذات يوم انه ذهب الى الكنيسة كعادته هو واخته وهذه الافكار تشغل خاطره واذا بفصل الانجيل يقرأ فسمع السيد المسيح يقول لاحد شبان اليهود الاغنياء «ان أردت ان تكون كاملا اذهب بع كل مالك وأعطه للفقراء وتعال اتبعني » (مت ١٩ : ١١) فحالما سمع هذه العبارة حسبها صوتاً الهياً يناديه من السماء فرضخ لهذه المشورة وعزم على تنفيذها

ولما عاد الى منزله شرع في العمل بهذا الكلام فأعطى أخته نصيبها ثم توجه بها الى دور العذارى التي كانت في عصره قد اتسع نطاقها وأوصى بها رئيستهن لكي تراعيها كابنة لها . أما هو فأخذ يبيع كل أملاكه ويوزع منها على الفقراء حتى لم يبق لنفسه شيئاً وعاش بعد ذلك من كد يديه حيث كان يصنع قففاً وحصراً ويقتات بثمنها . ثم انصرف همه نحو ترويض جسده على النمو في الفضيلة

---

(١) كوما قيمن الآن قرب بني سويف ومدينة هرقليه قديماً التي كانت مشهورة بين مدن الصعيد

والعيشة بالقداسة والتقوى

ولم تكن الاديرة معروفة وقتئذ بل كان الاتقياء الهائمون بحب العزلة يجتهدون بكل طاقتهم فى الانفراد عن العالم والابتعاد عن معاشرة الناس فيتخذون لانفسهم مغائر لا تبعد قليلا عن المدن والقرى وهناك يعكفون على العبادة . فاجتمع انطونيوس ببعض هؤلاء وجعل يمر عليهم ويتعلم منهم الفضائل فكان كالنحلة التي تؤلف شهدها من متنوع الازهار فتعلم من واحد فضيلة الصبر ومن آخر التواضع ومن غيره الصمت ومن آخر الطاعة وهكذا الى ان وصل الى درجة سامية في سلم الكمال المسيحي وشابه المتعبدين في الانفراد في مغارة واحدة وكان يزاول العبادة نظيرهم واتخذ من بينهم شيخاً معلماً له . وكانت ذاكرته القوية تمكنه من حفظ فصل الانجيل من قراءته مرة واحدة حتى أعجب به المتوحدون وكانوا يجلون قدره ويقفون عند قدومه ويحيونه قائلين « تعال ياحبيب الله »

غير أن الشيطان لم يرق له ان يرى شاباً كهذا متمسكا بعرى القداسة فجمع قواه ضده وشرع في الهجوم عليه بواسطة الافكار الرديئة فكان مرة يدفعه ليأسف على توزيع ثروته ويقول له كان يمكنك ان تبيعها وتتصرف بها حسناً وتعيش في رضاء الله . واخرى يقوده الى الندم على تركه واهماله امراخته الوحيدة بلا عناية في العالم وتارة يمثل له مشقات الطريق الذى كان سائراً فيه وفوق ذلك كان يملأ مخيلته من الاشباح والصور الجميلة التي تسوقه الى الفساد آملا أن يخلب قلبه ويتغلب عليه

أما القديس انطونيوس فقد تسلح تلقاء هذه الهجمات بسلاح الله الكامل فأخذ يردد في ذهنه فردوس النعيم البهيج وعذاب جهنم المؤلم وتفانى فى قمع جسده وتذليله فكان ينقطع عن الاكل اليوم بالليل مرة وأحيانا ثلاثة أيام. وكان يلبس المسح ويرقد على الارض أو على حصير . ولما عجز الشيطان عن أن يوقعه من طريق محبة العالم أتاه من طريق آخر محاولا ان يجربه بالفخر والتباهي موسوساً له انه افضل الناس قداسة وأقدسهم سيرة ولكنه لم يكن يسمح لهذه الافكار اللذيذة ان تستمر مترددة على خاطره بل كان يطردها حالا في بدء هجومها وبذلك

كان يتخلص من التجربة قبل استيلائها عليه

وفي أحد الايام بينما كان سائراً عثرت رجلاه ببعض الكنوز المصرية القديمة التي انهال عليها التراب والرمل فظن في مبدأ الامر انها خيالات وصور كيفها له الشيطان بمناظر الذهب والحجارة ولكنه لما تحققها أدرك ان الشيطان يريد ان يجربه لكي يسهل له السبيل للرجوع الى العالم ففر هارباً عنها وعزم ان لا يمر من تلك الجهة مرة ثانية . ثم لجأ الى احدى المقابر التي كان يعتني القدماء بتشييدها لتصير صالحة للسكنى وهي لا تبعد عن ناحية الميمون (١) ومن هناك كان يرسل احد اصحابه بما يصنعه من السلال ليبيعها ويحضر له بثمنها ما يحتاجه من القوت الذي كان قاصراً على الخبز والملح والماء ويروى انه عاش عمره كله بدون ان يتناول لحماً او يشرب خمراً

وفي ذلك الاوان كان القديس قد بلغ من العمر ٣٥ سنة فعزم على ان يتوغل في البرية ورغب أن يصحب معه شيخه ومرشده فلما عرض عليه الامر اعتذر بكبر سنه فتركه وتوجه الى القفر شرقي النيل وتعمق في البرية وهو لا يدري اين يلقي عصا ترحاله حتى عثر على قصر قديم عظيم البناية بنته ايدي ملوك مصر الفراعنة منذ زمن مديد في أبان هجوم الاعداء على حدود مصر وجعلوه كنقطة من النقط العسكرية . فأصلح القديس له فيه مكاناً ورتبه بقدر الامكان وكان قد استعد بمئونة تكفي لمدة ستة شهور وسر جداً بهذا الانفراد وببعده عن العالم حيث لا تحلو له تلك العيشة

وحينئذ كان خبر قداسته قد شاع في كل مكان فصار الناس يبادرون اليه بعضهم لسماع تعاليمه وبعضهم لنوال الشفاء من امراضهم . اما هو فلم يكن يرغب في الخروج من قصره فاستمروا يطلبونه وهو يمتنع حتى كادوا يكسرون عليه الباب. فلشدة لجاجتهم تعود الخروج اليهم احياناً ليصلي على المرضى ويلقي العظات على المسترشدين الذين كانوا يبغون سماع نصائحه الروحية فتتلمذ له منهم كثيرون فقبلهم وسن لهم قوانين واقام منهم مئات حول قصره وذلك سنة ٣٠٥ م ولم يكن يظهر لهم الا في النادر الى ان مضى نحو عشرين سنة وفي نهايتها اضطر الى الخروج والتجلي للذين ارادوا السير على منواله

---

(١) هي بلدة على ضفة النيل بمديرية بني سويف وبها دير للقديس انطونيوس

وكان القديس قد بلغ من العمر الخامسة والخمسين حينما امتلأت البقاع الموجودة حوله بعدد كبير من الراغبين في عيشة العزلة منهم الاغنياء والفقراء وما هوالاوقت قصير حتى قامت الاديرة بجوار ممفيس وأرسينوي وبابل وافروديت وأماكن كثيرة وامتلأت من الرهبان الذين عاشوا تحت اشراف وتدبير القديس انطونيوس الذي كان ينتقل من مكان الى مكان آخر مرشداً وواعظاً ومما نصحهم به قوله : —

« يجب عليكم ان تقرروا في اذهانكم ان الواحد منكم يحتسب ذاته كل يوم انه ابتدأ جديداً حتى لا يكسل ولا يتراخى فالانسان يستطيع ان يجد نعيماً في أي مكان طالما هو متعلق بالله في قلبه والشياطين يفزعون جداً من الصلوات والصوم والسهر والتقشفات لا سيما من احتقار العالم والفقر الاختياري وكسر حدة الغضب لان هذه الفضائل تسحق رأس ابليس كما ان اسلحة محاربتنا لاعدائنا هي الايمان الحي والسيرة النقية . والذي تعبد لله وهجر العالم وان كان ترك كل شيء حتى مجد الملوك وكنوزهم ينبغي انيحتسب كل ذلك كالعدم بالنسبة الى السماء . وان الذي تركه يجب عليه تركه بعد قليل لانه ليس بأحد دائم على الارض وان ترك الانسان ما لا يقدر ان يأخذه معه بعد الموت فليس أمراً كبيراً . وكما ان العبد الأمين اذا أمره سيده بشيء لا يستعفي من عمله لاجل خدمته الماضية كذلك الرجل المتعبد لله لا ينظر ما قد فعله وانما يلتفت الى ما بقي مما يجب عليه لربه وانه لا يجازى ولا ينال الاكليل على البداية بل على النهاية الحسنة . فاكتساب الفضيلة ليس أمراً صعباً كما يتصوره الناس بل يجب ان نلقي كل اتكالنا على ربنا يسوع المسيح وان ابليس لا يستطيع ان يضرنا ما لم نسلم له انفسنا »

ومما قاله ايضاً لرهبانه « ان السلوك في سبيل الفضيلة هو افضل من فعل المعجزات وان الانسان يقدر ان ينتصر بسهولة على الشيطان اذا اخلص العبادة لله من كل قلبه بسرور باطني روحي مستحضراً الله في ذهنه كل حين لان هذا النور يمزق ذلك الظلام ويزيل تجارب العدو سريعاً . ومما يفيدنا في ذلك النظر الى سيرة القديسين واقتفاء آثارهم فان فيها تحريضاً على الاقتداء بهم » » اهـ

ولبث القديس انطونيوس عائشاً بين رهبانه كملاك أرضي يحبب اليهم الفضيلة بسيرته والقداسة بقدوته حتى سنة ٣١١ م ففيها طرق سمعه خبر ثورة الاضطهاد الذي اضرمه مكسيميان قيصر فاسرع بنفر من رهبانه الى الثغر الاسكندري وطفق يزور السجون ويعظ الحبساء فيها ويشوق اليهم سفك الدم من اجل فاديهم القدوس وكان يشترك معهم في الترتيل والصلاة وبذلك يحول سجنهم المظلم الى مكان شهي ويختم خدمته بينهم بتوضيح زوال هذا العالم وبطلان جميع امجاده . وكان يقصد المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة ويخفف بكلامه الروحي اتعابهم . وبجرأة تامة كان يتوجه الى المحاكم ويحضر جلساتها ويأخذ في المحاماة عن المسيحيين جهاراً ويفند دعاوى أعدائهم . ولما كانت الغاية من الاضطهاد حينئذ ليس هلاك المسيحيين بل حملهم على نكران مخلصهم فكان يطلب الانفراد بالمتهمين ويثبت لهم ايمانهم ويصف لهم السعادة الابدية المعدة لجميع الصابرين على الضيقات

ولما علم الحاكم المضطهد حينئذ ان الرهبان لهم يد طولى في تشجيع المسيحيين على قبول الموت المريع أمر بمنعهم من المثول بالمحاكم . أما القديس انطونيوس فعزم على متابعة خطته ولو أدت به الى الاستشهاد فلبس ثوباً أبيض واعتلى رابية كان الحاكم مزمعاً ان يمر بها . وجعل يطلب من الرب بحرارة ان يؤهله لنيل اكاليل الشهادة . غير ان الحاكم حالما وقع نظره عليه أعجب بشهامته ونظر اليه نظرة احترام . ومن ذلك الحين هدأت الاضطهادات فعاد القديس الى ديره واستأنف عبادته بجد ونشاط كأنه لم يعبد في ما مضى

وكان يحب الاختلاء لكي يتأمل في بهاء وعظمة الحضرة الالهية واعتاد ان يصرف الليل كله في الصلاة راكعاً غير متحرك . فعند ابتداء صلاته كانت الشمس تغرب من ورائه ولما كانت تشرق صباحاً أمامه كان يشكو منها قائلاً « ايتها الشمس لماذا تعدميني بنورك أشعة النور الالهي » وبالنسبة لكثرة تقشفاته صار جسده نحيفاً كأنه غير مركب من لحم وعظام ومع ذلك كان أنيساً حليماً وديعاً وكان كلامه ووجهه يبديان الهشاشة والبشاشة ولم تتغير حاله هذه بتغير الامور الزمنية :

ولبثت الجموع تتوافد عليه من كل حدب وصوب وبالنظر لكثرتهم زرع من اجلهم حشائش وبقولا فلما نمت دخل بستانه وحوش الغاب فاتلفته وذات يوم امسك واحداً منها وقال له « لماذا تضر بي انا الذي لم أضرك بشيء اخرج من ههنا ولا تعد » قيل فلم تعد الوحوش الى مزرعته ثانية . وفي ذات يوم أظهر له الله ماسيصيب مسيحي الاسكندرية من شرور الاريوسيين فجثا القديس وألصق وجهه في الارض وطلب من سيدنا يسوع المسيح بعبرات هامية ان يبادر الى تخليص المؤمنين من هذا الشقاء فعزاه الله بأن أراه كيف تنتصر الكنيسة عليهم

وما مر وقت طويل حتى اشتد اضطهاد الاريوسيين على الارثوذكسيين فارسل اليه البابا اثناسيوس الرسولي يطلب منه ان يأتي ويناصب معه الاريوسيين. وحدث قبل هذا الوقت ان قسطنطين الملك واولاده حرروا لهذا القديس خطاباً وطلبوا اليه بخضوع ان يتنازل للرد على رسائلهم فتعجب الرهبان من تواضع الملك واظهروا استغرابهم الزائد فجمعهم القديس وقال لهم « لا تتعجبوا لان ملوك الارض كتبوا الينا ولا يجب على المسيحي ان يستعظم هذا الامر ويندهش منه أما الامر العجيب والمذهل للعقول فهو ان الله كتب شريعته من اجل البشر وارسلها على أيدي اصفيائهم وفي آخر الايام خاطبنا في ابنه الوحيد الذي يسمو بما لا يقاس على كل الملوك والسلاطين » اه ولما رأى الرهبان عدم اهتمامه بالرد على رسالة الملك اقنعوه بضرورة الرد لا لانه ملك بل لانه مسيحي قصد الاستفادة فلا ينبغي ان تمنع عنه . فحرر له من ثم الرد هكذا بعد الديباجة « اني أسر معكم من انكم تعبدون يسوع المسيح واحرضكم على التفكر في خلاصكم وعلى احتقار الأشياء الارضية بدون ان تغفلوا لحظة عن الدينونة الاخيرة وان تتأملوا بأن يسوع المسيح هو الملك الحقيقي والابدي الوحيد وان تتخذوا الفطنة دستوراً لاعمالكم في ادارة شؤون المملكة وتسيروا في الرعية بالحلم والعدالة وتساعدوا الفقراء كمساعدتكم لاخوتكم » اه . فلما قرأ الملك وأولاده وكبار دولته هذه الرسالة أثرت عليهم تأثيراً عظيماً وادركوا الفرق بين كتابات الارثوذكسيين وكتابات الاريوسيين المملوءة من روح الرياء والنفاق . واحتفظ الملك برسالة

القديس كأنها كنز عظيم

وبناء على طلب البابا اثناسيوس عزم القديس انطونيوس على التوجه الى الاسكندرية ولكنه قبل ان يقوم منها بلغه ان البطريرك قد نفي فرفع بناء على طلب وجهاء الاسكندرية خطاباً الى الملك قسطنطين يحتج فيه على مقاومته للأرثوذكسيين. ولم يكتف بذلك بل لما علم ان الاريوسيين قد بلغت بهم الجسارة ان اشاعوا بان القديس انطونيوس موافق على رأيهم رجع الى الاسكندرية مع بعض رهبانه وخطب فى المستقيمى الرأى قائلا « ان كنت قد جئت مرة ثانية من خلوتى لاظهر بينكم فذلك لكي أؤدي شهادة جلية لحقيقة ايماننا المقدس . انهم قد تجاسروا على الطعن بالوهية مخلصنا وقالوا انه كان خليقة بسيطة كلا ان ابن الله ليس هو خليقة ولم ينشأ من العدم بل كان منذ الازل لانه كان كلمة وحكمة الاب ولهذا لا تشتركوا فقط مع الاوريوسيين المنافقين لانه لا يمكن ان يكون اتحاد بين النور والظلام انه لكفر ان يقال بانه وجد وقت لم يكن فيه الكلمة لان الكلمة كان دائماً مع الاب

«انكم مسيحيون لانكم في التقوى الحقيقية وفي الايمان الحقيقى واما الاريوسيون فانهم حينما يقولون ان كلمة الاب ابن الله مخلوق فانهم لا يختلفون بشيء عن الوثنيين الذين يعبدون الخليقة عوضاً عن الخالق . فصدقوا اذن ان كل الخلائق تقف ضدهم لانهم يجعلون فى عدد المخلوقات رب وسيد كل الاشياء التي هي كافة من صنع يديه فاهربوا اذن من مخالطتهم كهربكم من الحيات والعقارب فمن لا يحب يسوع المسيح فليكن محروماً . الرب سيجيء » اه.

وقد كتب رجل اريوسى كان يضطهد الاورثوذكسيين بقساوة عظيمة مانصه «ان الله قد وضع فى قوس عدله سهام غضبه عليك وانه سيرشقها على هامتك اذا لم تتب سريعاً » أما الهرطوقى فلما قرأ الرسالة ضحك منها مستهزئاً والقاها على الارض وتفل عليها وتوطأها برجليه . قيل انه بعد ثلثة ايام ضربه الرب فمات ولكثرة العجائب التى صنعها الله على يدي القديس بالاسكندرية وصل خبر قداسته للوثنيين فصاروا يفدون اليه ويتبركون بلمس جبته ولما ازدحموا عليه حاول تلاميذه ان يمنعوهم فانتهرهم وأمرهم ان يتركوا الحرية لكل من يأتى اليه فتمكن

من تنصير عدد عظيم من الوثنيين حتى قال أحد المؤرخين « ان الذين تنصروا على يده حينئذ اكثر من الذين تنصروا في مدة سنة »

ولما رأى الايمان قد انتعش عزم على الرجوع الى الدير فحزن الشعب على فراقه وطلبوا اليه أن يبقى معهم مدة غياب راعيهم فأجابهم « ان الشمع يذوب اذا اقترب من النار هكذا تضمحل فضيلة الناسك اذا دنا من العالم » ثم اخذ يثبتهم في الايمان ويعزيهم على فراق راعيهم الجليل وتنبأ لهم بعودته منتصراً

ورجع القديس الى ديره واهتم بارسال محررات أكثرها الى الرهبان وقال بعضهم انها عشرون رسالة وآخرون انها سبع فقط . ولم يكن القديس يعرف شيئاً من اللغات ولا العلوم بل كان يعرف القراءة والكتابة بلغته المصرية . وجاء عنه ان أحد الفلاسفة الحكماء سأله ذات يوم اذا كان لا يضجر اذ لا سبيل له الى السلوى التي يدركها الآخرون بالقراءة في الكتب فأجابه « ان لي في الطبيعة كتاباً » وذات يوم آخر جاءه فيلسوفان ليختبرا علمه فقال لهما لماذا تتعبان أنفسكما لزيارة أحمق مثلي فأجاباه انا جئنا اليك لاعتقادنا انك رجل حكيم . فقال لهما اذا كنت حكيما فكونا اذاً مثلي لان الاقتداء بالحكماء واجب فانا مسيحي فكونا كذلك فصمتا متحيرين ثم تركاه . وقصده غير هؤلاء ممتحنون كثيرون من العلماء فسألهم عما اذا كان العقل أفضل أم العلم فأجابوا العقل فقال لهم اذاً من كان عقله سليما لا يحتاج الى العلم . ثم ناقشهم في أي الديانات أفضل وبعد مباحثة طويلة اقترح عليهم اخراج الارواح النجسة من مجانين كانوا حاضرين وقتئذ ولما عجزوا تقدم هو ورسم عليهم علامة الصليب فخرجت منهم الشياطين

ولما امتلأ العالم من عرف طهارته وعجائبه شعر وهو في السنة المئة والخامسة من العمر بدنو أجله فجعل يطوف على أديرة الرهبان ويزود تلاميذه بالنصائح ويحثهم على القيام بواجباتهم المقدسة المفروضة عليهم ومما قاله لهم بعد وعظ كثير « سأفارقكم يا أولادي لكني لا أنفك عن محبتكم وانما أرجو أن تدوموا بكل غيرة ممارسين أعمالكم المقدسة ولا تتراخوا أبداً اياكم أن يخمد نشاطكم في تتميم واجباتكم. اجعلوا الموت كل يوم نصب أعينكم واجتهدوا بعناء كلي في أن تحفظوا أنفسكم طاهرة وخالية من كل الافكار الرديئة ابذلوا الجهد في اقتفاء آثار القديسين

واتبعوا بكل شجاعة طريق الحق وحذار من أن تشتركوا مع شيع الهراطقة الذين تعرفون رداءتهم وأعمالهم الذميمة واهربوا كما تهربون من الطاعون من الاريوسيين المعروف كفرهم عند كل الناس وان كان حكام الولايات يساعدونهم ويناضلون عن تعليمهم فلا تتعجبوا قط لان هذه السلطة الوهمية التي اختلسوها لابدأن تتلاشى بل فليكن ذلك محرضاً لكم بزيادة على أن لا يكون لكم أول علاقة معهم حافظوا بكل تقوى على تقليدات آبائكم واثبتوا بالاخص في ايمان سيدنا يسوع المسيح له المجد الذي تعلمناه من الكتب المقدسة والذي فسرته لكم مراراً » اه

ولم ينته من هذا الكلام حتى أسرع بالذهاب الى صومعته لشعوره بمرض أصابه ودعا تلميذيه مكاريوس (ابو مقار الكبير المصرى) وأماناس وخاطبهما قائلا « اني أرى ياولدي ان الله يدعوني اليه واني مزمع كما هو مكتوب أن أسلك طريق كل أحد . فداوما اذاً على البر حسب عادتكما ولا تفقدا ثمرة أعمالكما المقدسة التي مارستماها منذ سنوات عديدة ولكن اجتهدا كأنكما بادئان في أن تحفظا وتزيدا في ارتقاء حرارتكما . وانتما تعلمان مكائد الشيطان وقساوته ولا تجهلان ضعفه فلا تخافاه قط بل آمنا بيسوع المسيح ولا تكن لكما رغبة الا في خدمته

عيشا كأنكما مزمعان أن تموتا كل يوم واسهرا دون انقطاع على نفسيكما وتذكرا التعاليم التى أرشدتكما اليها غالباً ولا تشتركا قط مع المنشقين ولا مع الهراطقة الاريوسيين لانكما تعلمان جيداً كيف كنت دائماً محتقراً لهم بسبب هرطقتهم للرذولة لانهم يجسرون على محاربة يسوع المسيح وتعاليمه . ابذلا الجد والجهد لتتحدا أولا معه ثم مع القديسين لكي يقبلوكما كاصدقاء وأصفياء في الملكوت السماوى . اطبعا هذه الاشياء على صفحات قلبيكما . وان شئتما أن تبرهنا على محبتكما لي وانكما تتذكراني كابيكما فلا تسمحا أن ينقل جسدي الى مصر خوفاً من أن يحفظه أهلها في بيوتهم وهذا هو السبب الذى حملني على الفرار لأموت فوق هذا الجبل . فادفناني اذاً تحت الارض ولا تقرا لأحد عن موضع لحدي حتى اذا جاء يوم القيامة اقتبل هذا الجسد من يد يسوع المسيح بكرالقيامة

خالياً من الفساد .

اما ثيابي فوزعاها هكذا : اعطيا للاسقف اثناسيوس أحد جلود الغنم والرداء الذي استلمته منه جديداً رداه له بالياً . اعطيا للاسقف سيرابيوس جلد الغنم الآخر واحفظا لكما مسحى . استودعكما الله ياولدي العزيزين . ان انطونيوس يغادركما ويتخلف عنكما » اه

وبعد أن لفظ هذه الكلمات اقترب تلميذاه وعانقاه وهما يبكيان وللحال امتد على سريره منتظراً الموت بسرور ولم يكن نظره قد كل بعد ولاسقط سن من اسنانه وبدا وجهه للناظرين كانه يسطع نوراً وبهاء . ثم اسلم الروح بيد مخلصه في اليوم الثاني والعشرين من شهر طوبه سنة ٣٦٥ م فقام تلميذاه بتكفينه واخفيا قبره حسب أشارته ووزعا متروكاته كما أوصى فكان من ناله شيء منها يعتبره اثمن من اللآلىء

وقد دفن جسد القديس الطاهر امام باب الهيكل القبلي بالكنيسة التي بناها في حياته باسم السيدة العذراء وسميت بعد ذلك باسمه ولم تزل حتى اليوم تضم ذلك الجسد الكريم داخل دير عظيم شيد في ايام الانبا انطونيوس بجوار مغارته بجبل العربة

(٤) **امونيوس** — ولد سنة ٢٩٤ م بجوار مريوط وهو كزميله انطونيوس كان من أسرة مسيحية تقية موسرة وفقد ابويه وهو في سن الحداثة فبات تحت وصاية عمه . وكانت كل آماله متوجهة الى عيشة التبتل والقداسة . غير ان عمه خطب له فتاة غنية رغماً عنه وعلى غير ارادته . ولما لم يكن في قدرته مخالفة أمر عمه اخذ في مخاطبة الفتاة التي خطبت له بالاقوال الروحية وقد استطاع بسيرته المقدسة ان يؤثر عليها تأثيراً حسناً فحبب اليها عيشة الطهارة وغرس بفؤادها الميل الى تكريس النفس لتكون عروساً محفوظة للعريس الحقيقي يسوع المسيح . ومن ثم اتفق الاثنان على ان يقبلا عقد الزواج وهما مصممان على أن يعيشا معاً كأخ واخت لا كزوج وزوجة

ولبثا على هذا الحال مدة طويلة وهما يحافظان كل المحافظة على شروط العفة والامانة حتى مرت سبع عشرة سنة على زواجهما وبعدها ماتت الزوجة فرأى

وظهرت ثمار فضائله في مدة سنين قليلة وصار معتبراً في نظر الجميع ليس في مصاف المبتدئين بل كأحد الآباء معلمي السيرة الروحية . وقد شهد القديس انطونيوس مرات كثيرة لعظم فضائله ومزيد فطنته وجزيل محبته فوافاه كثيرون طالبين منه ان يرشدهم الى كيفية السير في طريق الكمال

وحدث يوماً ان بعض النساك اشتكوا أحدهم بذنب كان هو ينكره بتاتاً وهم يكررون عليه شكايتهم فقال لهم القديس بفنوتيوس « اني قد رأيت على شاطىء النهر رجلا مغروساً في الوحل ثم نظرت واذا ببعض الرجال قد أتوا لأنقاذه ولكنهم عوضاً عن ان ينتشلوه الى الخارج اسقطوه فيه الى عنقه » واراد القديس بهذا القول ان يفهمهم انه يمكن معالجة المذنب بالكلمات اللينة لا بالقساوة التي تجدد فيه زلات جديدة كالنكران والكذب والاصرار على الاثم . ولما سمع القديس انطونيوس ما خاطب به البار بفنوتيوس المشتكين قال لهم « هذا هو الرجل الذي يعرف ان يحكم بموجب الحق على الاشياء ويستطيع ان يفهم الافكار العميقة »

وشاء الرب بعد ذلك ان يجعل القديس بفنوتيوس بركة لأهل مدينة من مدن اقليم طيبة فاختير اسقفاً لها ولكنه تألم من هذا الاختيار كثيراً وحاول التخلص منه غير انه تحقق بعد الصلوات العديدة ان الله هو الذي اصطفاه لهذا المركز فقبل السيامة وترك البرية وأقام في ابروشيته

ولم يلبث في دار اسقفيته طويلا حتى انتشر خبر سيرته الطاهرة في كل مكان فصارت له في عيون الناس منزلة سامية أما هو فشرع يدبر رعيته بالحكمة التي اكتسبها من القديس انطونيوس فطفق يعظهم ويرشدهم الى الحق ساهراً على تصرفاتهم جميعاً . ثم اعتنى بوضع قوانين كنسية وتعاليم انجيلية فنمت ابروشيته وتقدم اهلها في كل الصفات الحسنة

ولما ثار اضطهاد ديوكلتيانوس ومكسيميانوس القيصرين على مسيحيي مصر وقعت على هذا القديس وعلى رعيته مصائب جسيمة وأخيراً قبض عليه سنة ٣٠٨م وعذب اعذبة شديدة وقاسية من اجل اعترافه بالمسيح . ومنها انه حكم عليه بقلع عينه اليمنى وبقطع مفاصل ركبته اليسرى وبربطه بالسلاسل وبأخذه الى

امكنة حفر المعادن ومقالع الرخام . وقد أبوا ان يميتوه ليطيلوا زمن عذابه وليذيقوه الموت في كل لحظة واضحت حياته على هذه الصورة سلسلة استشهادات ولو لم يستشهد . ومع انه كان يشتكي قبلا من تركه للبرية واقامته بالعالم الا انه عند ما وقع تحت طائلة العذاب اظهر سروره لانه لولا وجوده بالعالم لما استحق ان يتألم من اجل مخلصه الامر الذي يعتبره شرفاً عظيماً

وكان وقتئذ كثيرون من المعترفين باسم المسيح في براري مصر في المكان المسمى برفيريتوس لوجود الرخام فيه فكانوا يلزمونهم باستخراجه واخذوا سبعة عشر شخصاً ما عدا النساء والصبيان وأتوا بهم الى بلاد فلسطين حيث اعترفوا جهراً بالايمان المقدس قدام فرميليانوس الوالي فأمر هذا بان تحرق أعصاب الرجل اليسرى لكل منهم وتقلع العين اليمنى كذلك . ثم ارسلهم الى معادن تلك البلاد (١) ليفنيهم هناك بالتعب الشديد فكان القديس بفنوتيوس من اولئك المعترفين الذين ارسلوا من مصر الى فلسطين كما روى اوسابيوس وكان عددهم مائة وثلاثين شخصاً فبقى القديس في تلك المعادن مع سائر المعترفين الى نحو سنة ٣١١ م التي التزم فيها الملك غاليريوس المغتصب ان يأمر بازالة الاضطهاد عن المسيحيين لاجل مرض اعتراه فرجع اكثر المعترفين الى وطنهم ورجع القديس بفنوتيوس الى مصر واقام في ابروشيته واخذ يجاهد في سبيل انهاضها بما بقي له من القوة التي كادت تنسحق تحت شديد العذاب

وعند ظهور الشيعة الاريوسية اشتدت غيرة هذا القديس في المحاماة عن الايمان المستقيم . وحينما اجتمع مجمع نيقية المسكوني الاول سنة ٣٢٥ م ذهب اليه هذا الآب وكان من اعضائه المحترمين الذين تجلت غيرتهم وظهرت فضائلهم حتى اكتسب مقاماً سامياً لدى الملك قسطنطين فكان يدعوه مراراً كثيرة ويتفاوض معه على وضع التدابير اللازمة لراحة الكنيسة وتأييد الايمان وقطع دابر هرطقة اريوس . ولم يكن قسطنطين يسمح له بالخروج من ديوانه قبل ان

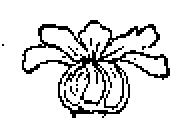
---

(١) كانت المعادن المذكورة في نصف المسافة بين بحيرة لوط الى بحر ابا كا وقد وجد حديثا آثار معبد قديم كان اولئك المعترفون قد بنوه زمان اقامتهم هناك وبعد الاضطهاد اصبح هذا المعبد كنيسة اسقفية في ايام الملوك المسيحيين

يقبل عينه اليمنى المقلوعة من اجل اعترافه بالمسيح

وكان هذا القديس أحد الآباء الذين وضعوا قانون الايمان الارثوذكسي في المجمع المذكور . وبعد انحلال المجمع رجع الاساقفة الى ابروشياتهم وعاد القديس الى كرسيه وبعد ذلك كان متحداً بالألفة والوداد مع البابا اثناسيوس الرسولي ورافقه مع القديس بوتامون الذي من هراكليا وسبعة واربعين اسقفاً الى المجمع الذي التأم بصور سنة ٣٥٣ م وكان اكثر اعضاء هذا المجمع يعتقدون اعتقاد اريوس . أما القديس فلما تحقق ذلك ورأى بينهم مكسيموس اسقف اورشليم اخذ بيده وقال له لايليق ان يكون في مجمع الاشرار اسقف ارثوذكسي اعترف بالمسيح في الاضطهاد الاخير وكيف يحتمل ان رجلا نظيرك مشهوراً بالغيرة في المناضلة عن الايمان يعرض نفسه لان يضله ويغره الهراطقة الذين قصدوا ان يهلكوا القديس اثناسيوس الذي هو أشجع محام عن هذه القضية الاساسية من قانون الايمان . ثم اعلمه بتعصب الاريوسيين الذي كان يجهله مكسيموس لهذا الوقت . وتمكن من ان يفصله من حزبهم ويثبته في شركة الكنيسة الاسكندرية .

ولما رجع هذا القديس الى كرسيه ثالثاً قضى بقية حياته مجتهداً في المحافظة على الايمان ومقاوماً بكل قوته بدعة اريوس وبعد ان خدم مخلصه مدة سنين طويلة انتقل الى فردوس النعيم بشيخوخة صالحة في سنة لا نعلمها ولكننا نعلم انه جاهد الجهاد الحسن ونال الاكليل المجيد



القسم الثالث

المملكة والكنيسة

(١) اضطهاد كاركلا (٢) اضطهاد مكسيمينوس الثراكي (٣) اضطهاد ديسيوس (٤) اضطهاد فاليريان (٥) ضيق بسبب الحرب ومآثر المسيحيين في تخفيفه

(١) **اضطهاد كاركلا** . وتوالى بعد ساويرس سبتيموس جملة قياصرة لم يكن لهم شأن يذكر مع مسيحيي مصر حتى ملك كاركلا سنة ٢١١ م فخطر له ان يزيد دخله فضاعف الجزية التي كان يدفعها له مسيحيو مصر وسن قانوناً يقضي على المسيحي الذي يعرف عنه انه قاوم الحكومة في أمر ما بالصلب أو بطرحه للوحوش الضارية فتمزقه ارباً هذا وان كان عبداً ذليلا فيكتفى بعبوديته وذله

ولما تناول ظلم هذا القيصر جميع طبقات المصريين ضج الكل منه ونقموا عليه ورموه بقوارص الكلام واطلقوا عليه القاب السخرية فاراد ان ينتقم منهم وعول على تدبير مكيدة لهم فأعلن عزمه على اختيار كتيبة من المصريين ليكونوا جنوداً ضمن حرسه الخصوصي . فسر شبان الاسكندرية بهذا العطف . وفي اليوم المعين للانتخاب خرج جميع أهالي الاسكندرية لمشاهدة الاختيار في مكان عينه القيصر خارج المدينة فلم يكادوا يجتمعون حتى أشار الى عساكره فجردوا اسلحتهم وقضوا على جميع المشاهدين باساليب وحشية ولم ينج منهم الا القليل



« المسيحيون يطرحون للوحوش »

وقد انتقم الله من كاركلا جزاء فظائعه فاغتاله مكرينوس وحصلت منازعة على من يخلفه فانتهز وثنيو الاسكندرية تلك الفرصة للاعتداء على المسيحيين فكنت تراهم يوقعون بهم في الطرقات والشوارع

(٢) اضطهاد مكسيمينوس التراكي . نالت الكنيسة راحة في عهد الملك اسكندر ساويرس الذي ملك سنة ٢٢٢م ولكن خليفته مكسيمينوس حال

تملكه سنة ٢٣٥ م اشتد عليهم شدة عظيمة ووجه نظره الى مسيحيي مصر فضايقهم حتى اضطر البطريرك ياروكلاس ان يترك الاسكندرية فراراً من وجهه. غير ان كثيرين من المؤمنين تجرعوا الموت بعد ان ذاقوا انواع آلام شديدة. وقد قصف الله عمر مكسيمينوس بعد ثلاث سنوات لملكه وخلفه غورديان فانتشر السلام في مصر مدة ملكه ونمت المسيحية نمواً يذكر. وعقب غورديان فيليب العربي سنة ٢٤٤ م الذي كدر صفو سلام مسيحيي مصر فاوقع بهم بلايا وأصابهم منه اضطهادات

(٣) اضطهاد ديسيوس. ان اشد الاضطهادات التي وقعت على المسيحيين المصريين تلك التي اصابتهم من ديسيوس قيصر الذي جلس على كرسي السلطنة الرومانية سنة ٢٤٩ م فكان اضطهاده بالغاً منتهى القسوة والشدة حتى زل كثيرون من المسيحيين اثناء الاضطهاد وذبحوا للاوثان اجابة لطلب معذبيهم. ويكفينا في وصف تلك الفظائع ما سطره يراع البابا ديونيسيوس الاول البطريرك الاسكندري وبعث به الى فابيان اسقف انطاكية وفيه وصف الاضطهاد المذكور وهو : —

« ان الاضطهاد الذي أصابنا لم يحدث بناء على أمر من الحكومة بل ان ناره كانت مخبوءة تحت رماده مدة سنة كاملة فالتهبت عند ما اثارتها يد التعصب. وتفصيل ذلك ان شاعراً يدعي النبوة وفد على الاسكندرية وكان مجيئه شؤماً عليها اذ جال فيها يهيج سخط الوثنيين ضدنا ويحرضهم على الدفاع عن خرافاتهم واباطيلهم التافهة فتم لهم ذلك وأثار ثائرة الوثنيين نحونا وساعدهم على عملهم ما اباحته لهم الحكومة من اجراء أي شر وضرر يرغبونها لنا كما انهم ظنوا ان منتهى التقوى والقداسة تنحصر في عبادة اوثانهم وشياطينهم وهذه العبادة تتم بذبحنا وتقديم اجسادنا قرباناً لاصنامهم

« وكان أول شر ارتكبوه ان امسكوا رجلا هرماً يدعى « مترا » وطلبوا منه ان يجدف ويهزي بكلام بذيء. فرفض الرجل طلبهم بتاتاً وحينئذ انقضوا عليه كالوحوش واخذوا يضربونه بالعصي وينخزون وجهه وعينيه بمناخس وهو

ثابت القلب ساكن الجأش . فلما يئسوا منه اخرجوه خارج المدينة ورجموه بالحجارة حتى مات . ثم اتفقوا جميعهم وساروا مندفعين الى منازل المسيحيين فكانوا يدخلونها بقوة غير مراعين حرمة الجيرة ولا شروط المروءة ويخرجون السكان منها ثم يتلفون كل ما وصلت اليهم ايديهم الأثيمة فيأخذون الاشياء الثمينة القيمة اما الأثاث والامتعة البيتية فيجعلونها طعاماً للنار اذ يحرقونها على قارعة الطريق حتى اذا رآهم أحد وهم يركضون ويسلبون ويحرقون ظنهم جيشاً ظفر بمدينة ففعل بها فعل الغالب المنتصر

«اما المسيحيون فلم يبدوا ادنى مقاومة بل وقفوا يراقبون خراب بيوتهم وهم سكوت صامتون . فكانوا مثل اخوتهم الذين اشار اليهم بولس الرسول في انهم كانوا ينظرون سلب اموالهم بفرح . ولست أعرف سوى رجل واحد فقط من الذين وقعوا في ايديهم انكر ايمانه ولكن بعد عناء شديد وعذاب قاس . واعرف ايضاً انهم القوا القبض على عذراء عفيفة فاضلة اسمها « ابولونيا » وكانت قد هرمت وشابت ناصيتها واخذوا يضربونها على فكيها حتى حطموا اسنانها تحطيماً . ثم اشعلوا ناراً خارج المدينة وهددوها بالحرق حية ان لم تنطق بكلمات التجديف والسخر التي كانوا يلقنونها اياها . فاصابتها في أول الامر قشعريرة شديدة من شدة الآلام ولكنها عادت فتجلدت وثبتت فلما رأى معذبوها عدم فائدة هذا العذاب طرحوها في النار حتى صارت رماداً

«وقد امسكوا ايضاً رجلا آخر اسمه « سرابيون » بينما كان في بيته وأذاقوه أعذبة يقصر القلم عن وصفها ويرق الحجر الصلد من تأثيرها حتى كسروا جميع اضلاعه وسحقوها سحقاً وأخيراً طرحوه على أم رأسه من فوق علو شاهق

«وكان اذا سار الانسان ليلا أو نهاراً في الشوارع والازقة لا يسمع سوى صراخ وضجيج قوم يهددون ويعذبون كل من رفض ان يجحد ايمانه وينكر مسيحه ولا يشاهد المرء غير أناس اتقياء يجرهم الاشرار على وجوههم ثم يطرحونهم في النار المتقدة فيحرقونهم كالهشيم . وقد بقيت هذه الخطوب متفاقمة مدة من الزمن الى ان ظهر هياج سياسي اعقبه حرب اهلية جرفت في سبيلها كل شرير

أثيم ولذلك استرحنا قليلا اذ انصرف شرهم عنا الى بعضهم البعض ولم نكد تتنفس الصعداء حتى حاق بنا الخوف وحفنا الخطر عند ما ابدل ذلك الملك الذي كان أرق جانباً واقل شراً من غيره بملك آخر قد لا يجلس على كرسي المملكة الاويوجه انظاره نحونا فيعمل على اضطهادنا . وقد بدأ حدسنا يصدق وظننا يتحقق حالما صدر أمر شديد الوطأة مثلما انبأ بذلك مخلصنا له المجد متضمناً عبارات تصطك منها الركب حتى أوشك المختارون على السقوط والعثار وعم الخوف الجميع واركن كثيرون من المشاهير الى الفرار ورفت كل مسيحي في خدمة الحكومة كيفما كان ذكاؤه ونباهته وكان كل وثني يعرف احد المسيحيين ويرشد عنه كان يؤتى به على عجل ويدعون الواحد باسمه حتى يتقدم الى هيكل الاوثان فيطلب منه تقديم الذبيحة الوثنية وكان عقاب من يرفض تقديم الذبيحة للصنم ان يكون هو نفسه ذبيحة للصنم بعد ان يجتهدوا في اقناعه بذلك بكل وسائط التخويف والارهاب بينما كان يوجد جمهور من الوثنيين التأم هنالك وهو يهزأ ويسخر بكل مسيحي يكون حظه أما نكران الايمان وتقديم الذبائح للأوثان وأما الموت الذي هو نهاية كل انسان ولكن بعض ضعيفي الايمان انكر ايمانه وهو واقف أمام المذبح الوثني وأثبت انه لم يكن مسيحياً قط فمثل هذا يصدق عليهم قول المخلص المجيد انهم بالجهد يخلصون وكان البعض يقتدون بهذا الجاحد والبعض يتمسكون باذيال الفرار وغيرهم قبض عليهم وطرحوا في السجون مكبلين بالقيود والاغلال ومنهم من أنكر الديانة المسيحية بعد أن سجن قليلا ولم يحاكم وكثيرون بقوا متمسكين بالدين المسيحي معترفين به مع صعوبة الاعذبة التي ذاقوها مدة طويلة وكثيرون قواهم الله وارسل لهم معونة من لدنه فبقوا مرتبطين بوحدانية الايمان الصحيح ولم يميلوا عنه يمنة أو يسرة وكان من أمرهم ان صاروا أركاناً متينة في بيت الرب وعليهم بنيت الكنيسة المصرية كما انهم دعوا شهوداً أمناء على مجد ملكوت ابن الله وكان في مقدمة هؤلاء الاتقياء رجل اسمه يوليانوس أصيب بالنقرس (داء المفاصل) فلم تكن له مقدرة على السير أو القيام من مكانه فساقوه الى المحاكمة يحمله رجلان على كتفيهما ولما تقدم هذان الرجلان أمام المحكمة أنكر احدهما ايمانه بلا امهال وأما الثاني واسمه

كرونيون ولقبه أينوس فاعترف بايمانه اعترافاً صريحاً كما اعترف يوليانوس ايضاً ولذلك حملوهما على جملين وطافوا بهما في جميع انحاء الاسكندرية — وهي كما تعلم واسعة الأطراف — وكانوا يجلدونهما بالسياط جلداً عنيفاً وأخيراً طرحوهما في لهيب يتقد بالنيران فصارا رماداً بينما كان مضطهدوهما وقوفاً يتفرجون عليهما كأنه من المناظر التي تسر لها النفوس » اه (١)

وقد حرر البابا ديونيسيوس رسالة أخرى أشار فيها الى كيفية استشهاد بعض المؤمنين وهاك مضمونها : —

« وحدث ان ستة رجال واربع نساء فيهم شاب في ريعان عمره اسمه ديوسقوروس قبض عليهم وبعد ان جلد أولئك الاتقياء بالسياط طرحوا في أتون النار المتقد . أما ديوسقوروس فاعطاه القاضي مهلة يتدبر فيها نتيجة اصراره على التمسك بايمانه عساه يعود فيجحد اشفاقاً على نضارة شبابه وخصوصاً لما آنسه فيه من العقل والرصانة عند ما كان يجيب على الاسئلة التي سألوه اياها. وها انا أخط هذه السطور وديوسقوروس قائم بجانبي يطفر من الفرح الروحي منتظراً عذاباً مريعاً وألماً موجعاً قد يصيبه الآن » اه

فيتضح من خطاب البابا ديونيسيوس هـذا ان سبب الاضطهاد هو غيرة الوثنيين من نمو الديانة المسيحية . فقام المقدمون منهم ودعوا الى احياء الدين القديم واجهدوا النفس وبالغوا في الدأب واستمالوا الكثيرين من أهالي البلاد الى ترك الديانة المسيحية والرجوع للوثنية فاستفحل الامر واستحكم الخلاف بين النصارى والوثنيين وقامت قائمة الفتنة فخرج الوثنيون على المسيحيين ونهبوا بيوتهم وكثر السلب بمدينة الاسكندرية وكان نظامها قد اختل قبل عهد ديسيوس قيصر . وظلت الفتنة تتعاظم الى ان صار اراقة دماء المسيحيين من الواجبات الدينية وتتبعوا أثرهم وكثر الفحص عنهم فخرجوا على وجوههم في صحاري الصعيد الأعلى وانزووا في اقطارها وانكمشوا اياماً

وكان لليهود يد في اثارة هذه الفتنة على المسيحيين وايقاد نار التعصب ضدهم.

(١) من رسائل البابا ديونيسيوس التي نقلها أوسابيوس المؤرخ ونقلناه عن « تاريخ الامة القبطية » وكنيستها لمدام بوتشر

وكانت الحكومة الرومانية تسر جداً باستمرار الشقاق بين صنوف الاهالي بمصر وتأكيد العداوة بين أهل الاديان لتدوم شوكتها وتتأيد دولتها فعملت على النكاية بالمسيحيين وهم القسم الاضعف لتوغر صدور الوثنيين عليهم من جهة ولتكتسب رضاهم من جهة أخرى

وقد كانت عبادة الشمس والقمر الى ذلك الحين شديدة الانتشار ولم يعترها ضعف ولا وهن ولا سيما في عهد غورديان وفيليب ومن بعدهما . وكان التمسك بها لم يذهب من هياكل مصر والنوبة وذلك من اكبر الاسباب التي دعت الى هياج الوثنيين على كل من خالف دينهم وبالاخص على المسيحيين

(٤) اضطهاد فاليريانه — وجاء بعد ديسيوس قياصرة لا يهمنا ذكرهم حتى ملك فاليريان سنة ٢٥٤ م فأظهر للمسيحيين مزيد الايناسة وكان يستدعيهم الى قصره ويجالسهم وساءه أذيتهم ولكن بعد قليل انقلبت محبة فاليريان الى البغضة وصار من ألد الاعداء لهم . وكان السبب في ذلك ان فاليريان كان مغرماً بحكمة المصريين القدماء واتخذ له مشيراً واحداً من كهنة المصريين بمصر يدعى مكريانوس كان يدعي السحر ومعرفة الامور المستقبلة . فهذا لما رأى ميل الامبراطور للمسيحيين خاف ان ذلك التودد يكسبهم نفوذاً عليه فتنخفض قيمته ولا يعود يقدر ان يبلغ من القيصر مأرباً ولا ان يستجلبه لعبادة الاوثان فأخذ يوشي على المسيحيين واظهر له ان الذبائح التي كان يقدمها للآلهة لاجل حفظ الملك وسلامته لم تعد مقبولة لسبب تقربه منهم وانه من اللازم مقاصتهم . فصدق فاليريان كذب مكريانوس وأمر بقصاصهم فكان اضطهاد شديد عليهم يضاهي الاضطهاد الذي حصل في أيام ديسيوس قتل فيه كثيرون من الشيوخ والاساقفة وغيرهم وكان المضطهدون يهجمون على الآمنين في بيوتهم ويجرونهم الى مناقع العذاب حتى اضطر كثيرون من المسيحيين الى هجر دورهم واتخذوا الجبال والمغائر مخابيء لهم .

وقد صادف البابا ديونيسيوس البطريرك في ذلك الاضطهاد اهوالا مريعة وأخيراً نفي . وقد روى بعد رجوعه من منفاه الى الاسكندرية انه لم يجد من

شمامسة الـكنيسة سوى ثلاثة فقط وهم فوسطس ويوساب وكويرمولي مع انه ترك عدداً وافراً منهم ظلوا مختبئين في مكانهم وكانوا ينتهزون الفرص ليعظوا الاخوة ويبشروهم ولـكنهم ماتوا جميعاً بداء الدفتريا وغير هؤلاء قتل كثيرون واستشهدوا واشتدت القساوة على المسيحيين للغاية حتى انهم كانوا يشقون بطون اطفالهم ويأخذون مصارينهم ويلفونها على أنابيب القصب ويلقونها للاوثان . وآخرون خيروا بين ان يسجدوا للاوثان أو يعذبوا الى الممات فآثروا الهلاك فهلك منهم عدد لا يحصى . واستمر اضطهاد فاليريان ثلاث سنين ونصف وانتهى في سنة ٢٦٠ م

(٥) ضيق بسبب الحرب ومآثر المسيحيين في تخفيفه — تبوأ غالينوس العرش بعد ابيه فاليريان ولـكنه انهمك في الملاذ فرأى مكريانوس الساحر الوثني ان يكون ملكا على مصر فأبى المسيحيون الخضوع له فعاداهم معاداة عظيمة حتى قام اعليانوس الوالي وأخذ منه التاج وحكم مصر حكماً جائراً . وبعد ذلك أتاه تبودتس قائد جيش غالينوس وحاصره ودامت الحرب بينهما سجالا مدة من الزمن أصيبت البلاد فيها بنكبات عديدة وتحمل المسيحيون منها العبء الثقيل لقيامهم بمساعدة المنكوبين وتخفيف آلامهم . وقد كتب البابا ديونيسيوس رسالة في عيد الفصح سنة ٢٦٤ م يصف فيها هول الحرب وكيف كان المسيحيون سبباً في تخفيفها قال :—

« ان الوقت الحاضر أصبح كغيره في الاوقات الغابرة اذ يعسر فيه على الـكثيرين من المسيحيين أن يؤدوا فريضة عيد الفصح وسيان عندنا أوقات الحزن والغم وأيام الفرح والسرور التي لا يكاد يراها أحد ولو في المنام لـكثرة توالي المصائب وتتابع النكبات حتى أصبح الانسان لا يقع نظره الا على عيون تدمع وقلوب تفجع ومآق تسيل على الخدود بدل الدمع السخين الذي تنشق له الأعين حزناً على أناس أتقياء كثيرين ماتوا ودرجوا الى العالم الباقي واذا مررت الآن في المدينة لسمعت التنهدات والزفرات يكاد القلب يتفطر منها أسفاً على أقوام مشرفين على الهلاك ينظرون أبواب القبور مفتوحة أمامهم تـكاد تبتلعهم قبلما تفارق أرواحهم الأجساد حتى أصبحنا في زمن أشبه بالزمن الذي مات فيه كل بكر في

أرض مصر على يد موسى فلم يخل بيت من البكاء والعويل لأنه يوجد ميت على الأقل في كل منزل وكنت اتمنى لو أن يكون هذا كل البلاء ويقف المصاب عند هذا الحد مع مايسبقه من أهوال تشيب لها النواصى وتصطك منها الركب بل زادوا في انهم طردونا طرداً واقصونا الى أماكن بعيدة ثم أخذوا يضطهدونا حتى أماتوا أكثرنا ومع ذلك فلا نزال نعيد العيد بكل احتفاء واحتفال وكلما كان اضطهادنا شديداً كلما كان عيدنا بهياً بهيجاً وكان المكان الذي نذوق فيه أشد الأعذبة لابد وأن نقيم فيه أهم الحفلات الدينية ولم نترك حقلا ولا مغارة ولا سفينة ولا خاناً ولاسجناً الا وعملنا فيه جمعية يذكر فيها اسم الرب وينادى بكلمته جهاراً . أما أهم الأعياد وأكثرها مجلبة للفرح والسرور فهو العيد الذى يحتفل به جماعة الشهداء الابرار الآن في السماء حيث يرأس حفلتهم الرب يسوع نفسه حيث لاألم ولا تعب ولا جوع ولا شيء من مصائب هذه الحياة وبلاياها

«وقد أعقب هذه النكبات حرب تلاها جوع وسغب أصابنا نحن والوثنيين على السواء ولكن الضرر الاكثر لحق بالفقراء المساكين الذين أثر فينا حالهم تأثيراً شديداً فكنا نواسيهم ونشاطر كل من انتابته مصيبة في بلاياه ونرثى لامرهم ونعطف عليهم عطفاً ينتج من قلوب رقيقة واحساسات مسيحية شريفة تتأثر لمصاب بني البشر الذين هم اخوتنا فى الانسانية. ثم جاءت بعد كل هذه هدنه قصيرة منحها لنا الرب يسوع المسيح تمتعنا فيها بشيء من الراحة والفرح ولم نلبث طويلا على هذه الحالة حتي داهمنا وباء فتاك مسنا مساً ولكنه فتك بالوثنيين فتكا ذريعاً

«فلماقدم هذا الداء الوبيل بخيله ورجله ظهرت احساسات الاخوة المسيحيين نحو القوم المصابين وبانت نواياهم الحسنة وعواطفهم الحبية مع كل مريض مدنف حتى انهم لم يخشوا شر الداء ولم يخافوا على أنفسهم من الهلاك بل عمدوا الى تمريض الضعفاء وسد حاجات المعوزين بهمة شماء ومروءة علياء وهى أعمال كانت تضيء فى هذه الأيام السوداء كما يضيء مصباح لامع فى حالك الظلام وديجوره فكانوا يداوون المرضى بالادوية الروحية أولا حتى اذا فارقوا هذه الحياة الدنيا انطلقوا الى الابدية وفى قلوبهم رجاء لايفنى بالحياة الآتية . وكان كثيرون من هؤلاء الاخوة الذين يخدمون المرضى يموتون معهم بعد ان يصابوا بعدوى أمراضهم . نعم كانوا

يموتون فرحين مسرورين لموت هو رقاد موقت تعقبه حياة أبدية سعيدة . وكانت العدوى تنتقل من المصاب الى الصحيح لان هذا كان يستخرج مصل الداء من ذاك بواسطة مصه كأنهم كانوا يحملون أعباء الامراض من على أعناق الآخرين ولذلك مات الكثير من المسيحيين فداء لاخوانهم المرضى وهو عمل يظهر منه الفرق الكبير بين المسيحي الحقيقي الذي يضع نفسه عن الآخرين كما فعل سيده قبله وبين أولئك الذين يظهرون في مظهر المحبين المخلصين بواسطة احساس غير حساس يبدونه في آداب باطلة وتحيات فارغة ومودة عقيمة ولكن اذا جاء وقت الشدة فزعوا من اصدقائهم وابتعدوا عنهم أو قدموهم قربانًا لاغراضهم اذا كان في تقدمتهم مايجلب بعض النفع او يزيل شيئًا من الضرر . ففي زمن هذا الوباء انتقل الكثيرون من خيرة الاخوة وأفاضل الامة وذهبوا الى الدار الباقية شهداء الخدمة المسيحية وكان فيهم القسوس ومشائخ الكنيسة وشمامستها وغيرهم من الشعب الذين اشتهروا بحسن السيرة وطيب السمعة فالموت بهذه الكيفية وما اقترن به من شفقة عميقة وايمان حار وغيرة تقوية ومحبة مخلصة لايقل في الاهمية عن الاستشهاد الذي يحدث في زمن الاضطهادات والذين يموتون بالطريقة المار ذكرها كانوا يكرمون ويحتفل بموتهم احتفالا باهرًا اذا كانوا يحملون على الاكف ويوضعون فوق الرؤوس بعد أن تنظف عيونهم وتكفكف كل دمعة منها ذرفت ساعة الحشرجة وتقفل افواههم ويكفنوهم بأحسن الاكفان واثمنها ومن ثم يدفنوهم باجلال واكرام وهكذا يودع الواحد منهم اخاه ويعود فلا يلبث طويلا حتى يودعه غيره على الطريقة التي اتبعها هو مع سابقه اما الوثنيون فكانوا على الضد من ذلك ولا عجب في هذا ولا غرابة مادامت الاحساسات المسيحية والعواطف التقوية لم تجد لها طريقًا للقلب ولم تعمل فيه عملها المعروف فكان اولئك الوثنيون عند مايشعرون بان احدهم مريض يبتعدون عنه ويتنحون حتى عن اعز اصدقائهم ومحبيهم وقد بلغت بهم القساوة مبلغًا عظيمًا حتى كانوا يطرحون مرضاهم في الازقة والشوارع وهم بين حي وميت فاذا فارق المريض هذه الدار رموا به في عرض الفلا دون أن يواروه التراب ومن غير ان يظهر على سماتهم ادنى المظاهر التي تدل على التأثير والاحساس ولو احتاطت بهم كل العوامل المؤثرة الفعالة » اه

القسم الرابع

البدع والانشقاقات

(١) سابليوس (٢) نيبوس صاحب بدعة الالف سنة (٣) بيرلس اسقف بصره (٤) بولس السيمساطي (٥) ماني (٦) هيراكس (٧) الخلاف على عماد الهراطقة والجاحدين

(١) سابليوس . أحد اساقفة بطلومايس بالخمس المدن الغربية كان قد تربى في مدينة رومية وتتلمذ لنوئيتوس الهرطوقي وأخذ عنه تعاليمه التي تنحصر في ان الله اقنوم واحد أعطى الناموس لبنى اسرائيل بصفته الآب وصار انساناً في العهد الجديد بصفته الابن وحل على الرسل في علية صهيون بصفته الروح القدس ومن اعتقاد نوئيتوس سمي تابعوه « مؤلمي الآب » (١) الا ان سابليوس فصل

---

(١) ان اول من نشر بدعة « مؤلمي الآب » هو ابراكسياس الذى وفد على رومية من آسيا الصغرى وفتح مدرسة بث فيها ضلاله واستطاع ان يجذب الى هرطقته زفيرينوس اسقف رومية وكاليسطوس خليفته وقام بعد ابراكسياس تلميذه نوئيتوس ينشر بدعته فلما علم البابا ديونيسيوس ان هذه البدعة اخذت تتسلط على عقول الرومانيين كتب لنوئيتوس رسالة طويلة شرح فيها التعليم الصحيح وفند بدعته . فليعتبر البابويون الذين ينادون بعصمة باباواتهم ويقفوا عند حدهم معترفين لباباوات الاسكندرية بالفضل فلولا غيرتهم الدينية لاصبحت الكنيسة الرومانية الآن مجموعة هرطقات فضلا عما هي عليه بفضل تساهل باباواتهم الا كرمين الذين لم يكن يهمهم سوى اتساع سلطتهم وازدياد نفوذهم

ما تعلمه الكتب عن الآب والابن والروح بنوع يختلف عن نوئيتوس . فاعتقد ان جزءاً من الطبيعة الالهية انفرز من الله الآب وكون الابن بالاتحاد مع الانسان يسوع المسيح وان جزءاً آخر انفصل عنه فكون الروح القدس.

وكان اول من اعتنق بدعة نوئيتوس وسابليوس زفيرينوس اسقف رومية وكاليسطوس خليفته وساعدا المبتدعين على نشر بدعتهما حتى انتشرت تلك الاراجيف وعمت انحاء الغرب . ومما زاد الطين بلة ان كاليسطوس سام اساقفة وقسوساً وشمامسة من الذين تزوجوا ثانية وثالثة ثم أباح العماد لمغفرة الخطايا وادعى بان الاسقف لا يقطع من الكهنوت مهما جنى من الاثام . ولما لم يوافقه سابليوس على ذلك حرمه فجاء الى مصر سنة ٢٥٧ م وأخذ ينشر فيها بدعة « مؤلمي الاب » فجذب اليه كثيرين ولما اتصل امره بالبابا ديونيسيوس قاومه بشدة كما مر بنا في تاريخ حياة هذا القديس وانتهى الامر اخيرا بحرم سابليوس في مجمع عقد سنة ٢٦١ م

(٢) *نيبوس صاحب بدعة الالف سنة* . كان اسقفاً لابروشية ارسينو فى الفيوم عرف بين رعيته بصفات حميدة جعلتهم يحترمونه احتراماً زائداً . هذا الاسقف أخذ يعلم شعبه تعليما جديداً ذهب فيه الى تأكيد اقتراب الوقت الذي يملك فيه المسيح الف سنة على الارض كاحد ملوك العالم مفسراً ما قيل في سفر الرؤيا عن ذلك تفسيراً حرفياً . ووضع كتابا سماه « مضادة المتغزلين » كما لقبه مزدرياً بمضادي الالف سنة . اعترض فيه على من يقولون بان اقوال سفر الرؤيا تدخل تحت باب المجاز . وقد اجهد نفسه فى اقناع رعيته بذلك المبدأ فقبلوه بدون فحص

وكان هذا الاعتقاد قد عرف في عهد العلامة اوريجانوس فقاومه بشدة وأفناه بالمرة مفسراً الآيات المصرحة بملك المسيح الف سنة انها تشير الى الافراح الروحية المناسبة لطبيعة الارواح التي تقوم كاملة وذلك لايكون في هذا العالم بل في العالم الآتي . الا أن نيبوس قصد أحياء هذا الاعتقاد مرة أخرى بعد اضمحلاله وبعد موت نيبوس أخذ رجل اسمه كراسيون مركزه فى اذاعة تلك البدعة وهو رجل

خبير ذو شرف وسطوة

ولما اتفق للبابا ديو نيسيوس أن يفتقد رعيته سنة ٢٥٥ م وقف على هـذه البدعة وعرض عليه تابعوها أن يحكم فيها فاستعمل الحكمة المتناهية وجذبهم اليه باللطف والرقة وعقد مجمعاً هناك ظل ثلاثة ايام تليت فيه احتجاجات نيبوس وبعدها كتب البابا ديو نيسيوس رسالة ووضع نبذة في « المواعيد الالهية » دحض فيها تلك الافكار

ولم يكتف البابا ديو نيسيوس بذلك بل وضع شرحاً لسفر الرؤيا قاعدته انه يجب ان لا ينظر لعبارات هذا السفر نظراً حرفياً اذ هو عبارة عن رموز ونبوات بعضها تم وبعضها سيتم في وقته » اه ويقول بعض المؤرخين انهذا البابا ارتأى ان يوحنا الرسول ليس هو الذي كتب سفر الرؤيا بل وضعه يوحنا آخر غير انه اعترف بانه سفر موحى من الله يجب قراءته مع الحذر الكلي

(٣) بيرلس اسقف بصره . علم ان السيد المسيح قبل ولادته من العذراء لم يكن له لاهوت متميز بل انما كان له لاهوت الآب أي ان المسيح لم يكن له وجود قبل ولادته من مريم وانه في ولادته دخلت واتحدت بالانسان النفس الانسانية التي اصلها من الله وهي بلا ريب فائقة كل النفوس البشرية لانها منبثقة من الطبيعة الالهية . ولما انتشرت هـذه البدعة وبلغت مسامع العلامة اوريجانوس قام لبلاد العرب ودحض تعليم بيرلس في مجمع انعقد ببصره سنة ٢٤٤ م وتمكن اوريجانوس من ان يرد بيرلس الى الحق ووفى هـذا لذلك العلامة واصبح بعد ذلك من اكبر اصدقائه وأشد المدافعين عنه

(٤) بولس السميساطي . ولد في سيمساط (مدينة صغيرة في ما بين النهرين) عن والدين فقيرين ولـكن حاز على غنى طائل بوسائل محرمة . ولا يعلم باي واسطة توصل الى ان يكون بطريركا على الكرسي الانطاكي . ولما اثرى بعد الفقر المدقع انهمك بالملاذ وكان يصطحب معه اين قام او رحل امرأتين جميلتين يقضي معهما اكثر اوقاته . وكان مغرماً بالرفاهية والفخفخة بحيث لم يكن يسير في الطرقات الا ومائة من الخدم يتقدمونه ومائة يتبعونه . وابدل تراتيل الكنيسة

بنشائد لمجده كلف بنشيدها النساء . واذا خطب كان يجعل الناس ان تصفق له آخر كل مرة

وكانت له حظوة كبرى عند زينب ملكة تدمر حتى وكلت اليه جباية الخراج وبذلك تقلد وظيفة دوسناريوس (اي والي مدني من الدرجة الاولى له مرتب سنوي ٢٨٠ سترشيا اي ٣٥٩٦٠ فرنكا) وكان حرصه على القيام بوظيفته المدنية اشد منه على اتمام فروضه الدينية لانه كان يتخذها سلاحاً ضد اكليروسه ورعيته خوفاً من مقاومتهم له

وقد استمر في طغيانه وتجبره حتى سقط في هرطقة فظيعة زعم فيها ان ابن الله لم يكن من الازل بل ولد انساناً حل فيه كلمة الله وحكمته عند ما ولد من العذراء وان هذه الحكمة التي مكنته من ان يعلم ويعمل العجائب فارقته حين قدم على الالام . وبسبب اتحاد الكلمة الالهية هذا بالانسان يسوغ القول ان المسيح هو الله وليس بمعناها الحقيقي . ونشأ عن ذلك ضلاله الاخر وهو انه كان في المسيح اقنومان وابنان لله أحدهما بالطبيعة والاخر بالتبني . وبذلك شايع سابليوس في انكار الثالوث الاقدس بقوله يوجد اله واحد تحسبه الكتب المقدسة بالاب وان حكمته وكلمته ليست اقنوماً بل انها في العقل الالهي بمقام الفهم في العقل الانساني .

ولما بلغت القديس ديونيسيوس البطريرك الاسكندري اخبار هذا الهرطوق أرسل اليه رسائل عديدة وبين له فيها مخالفة غواياته لنصوص الكتاب وشهادة الآباء . وقد جاوب بولس على بعض هذه الرسائل موارباً ومواريا ضلاله . ولأجله عقد مجمع في انطاكية تكرر انعقاده مراراً . وكان المتقدمون فيه فرميليانوس اسقف قيصرية واغريغوريوس اسقف قيصرية الجديدة واخاه ايثنوذورس وايلينوس اسقف طرسوس وايمانوس اسقف اورشليم وغيرهم كثيرون . اما القديس ديونيسيوس فلم يتمكن من اجابة دعوة المجمع لداعي شيخوخته واكتفى بما ارسل من الرسائل للمجمع وبولس مفنداً ضلاله كما مر بنا

وكان بولس السيمساطي حينما يحضر المجمع يراوغ كثيراً في اقواله فمن جهة لا يبوح بحقيقة اعتقاده ومن جهة اخرى يسلم للمجمع بما يطلب منه التصريح

به . ولما لم يذعن للحق كتب اعضاء المجمع رسالة الى البابا مكسيموس البطريرك الاسكندري وديونيسيوس اسقف روميه يبينون فيها معائب السيماساطي واصراره على ضلاله

أما بولس فما فتىء مستمراً على ضلاله مستعملا المراوغة في جميع أقواله فكان تارة يستغيث من قساوة الاساقفة عليه وطوراً ينكر ماعزي اليه من الضلال حتى عقد بشأنه مجمع آخر حضره أساقفة أكثر عدداً وخلعوه من بطريركية الكرسي الانطاكي واقاموا عوضاً عنه دمنوس غير أنه لم يرضخ للحكم بل استعصى بالدار البطريركية مستعيناً بقوة تدمر فعرض الاساقفة أمره الى القيصر الروماني أورليان فحكم بان تعطى الاسقفية لمن انتخبه المجمع

(٥) ماني . ولد سنة ٢٣٩ م وهو من الذين قاومهم البابا مكسيموس البطريرك الاسكندري . كان أباً للمانيين ودعى كذلك لأنه نسب الى ذاته لقب البارقليط . وكان أسيراً في بلاد فارس فلما عتق من هناك تبنى لعجوز أنفقت على تعليمه بين المجوس فدرس علومهم وفنونهم فكان فلكياً (ولو انه غير متعمق) ومصوراً وطبيباً وفيلسوفاً ولكنه لم يضع حداً لمخيلته فتوسع في تصوراته للغاية

وبعد أن تنصر أراد أن يقرن مبادىء المجوس والمسيحيين معاً وطفق يبث ضلاله سنة ٢٦٨ م واتماماً لغرضه شرع يذيع بان المسيح ترك عمل الخلاص ناقصاً وانه هو البارقليط . وكان في أول أمره يتباهى بكونه مسيحياً ويفسر الاسفار المقدسة ويجادل اليهود والوثنيين . وبعد سقوطه في خطية الهرطقة اتخذ لنفسه اثني عشر تلميذاً واثنين وسبعين أسقفاً ممثلا المسيح وتحت كل أسقف قسوس وشمامسة وأرسلهم الى بلاد المشرق بأسرها حتى الهند والصين ليذيعوا تعاليمه فانخدع كثيرون بغوايته وتتلمذ له عدد عظيم

ثم انكب على السحر خاصة ولكي يكتسب شهرة أخذ يعالج ابن ملك الفرس الذي كان الاطباء قد عجزوا عن شفائه فمات الصبي تحت يده ولذلك ألقي في السجن وحكم عليه بالموت ولكنه رشى الحراس فمكنوه من الفرار وذهب الى فلسطين حيث قاومه أحد الاساقفة وأنكر عليه تعليمه وطرده خوفاً من أن يضل الشعب فذهب الى العربة فشعر به ملك الفرس وأرسل وقبض عليه وسلخ جلده

حياً برؤوس القصب ثم سلم جسده للوحوش وحشا جلده تبناً وعلقه على باب المدينة

وبعد موته تهيج تابعوه عوضاً عن أن يخافوا فطاف أقدرهم وأفصحهم في سوريا وفارس ومصر وأفريقيا وأكثر أماكن العالم وبصرامة آدابهم وبساطة ديانتهم تلمذوا في كل مكان تلاميذ ومع كل الاضطهاد الذى ألم بهم نسلهم باق للآن في الجبال بين فارس والهند

أما غوايات ماني فيوضحها أحسن ايضاح موسهيم المؤرخ [1] فروى انها كانت مؤلفة من تعاليم المسيحية وفلسفة الفرس القديمة التى تلقنها في مدارسهم وهو صغير . وما تكلم به الفرس عن ملكهم ميثراس تكلم به مانى عن المسيح فعلم بانه يوجد لكل شيء مادتان الواحدة نور والاخرى ظلمة وللاثنتين ربان رب النور سمى الله ورب الظلمة سمي الشيطان وكلاهما متضادان في الطبيعة والاميال ولان اله النور سعيد فهو رحوم محسن ولان اله الظلمة شقي يسعى ليجعل الغير أشقياء وكل واحد منهما أوجد طائفة كبيرة من نسله على شكله ووزعها في مملكته

واستمر اله الظلمة مدة طويلة لايعلم بوجود نور أو اله له ولكنه شعر بذلك من حرب حدثت في مملكته فحاول أن يستولى على اله النور فعارضه هذا بجنوده غير أن قائدهم المدعو الانسان الاول لم ينجح وتمكن جنود الظلمة من أخذ جانب عظيم من العناصر السموية ومن النور ذاته الذى هو مادة حيوية فمزجوها بالمادة الفاسدة فقام من جنود النور قائد آخر يسمى بالروح الحى ومع انه نجح كثيراً الا انه لم يتمكن من تحرير مادة النور التي مزجت بالعناصر الرديئة

وبعد ذلك اوجد اله الظلمة آدم وحواء فكل مولود من هذا المزيج قائم بجسد من المادة الفاسدة وبنفسين احداهما شهوانية من اله الظلمة والاخرى عقلية خالدة لانها من النور الالهى ولما صنع رئيس الظلمة الناس من عقول غطاها بالاجساد خلق اله النور بواسطة الروح الحى ارضنا هذه من المادة الرديئة وجعلها مسكناً للجنس البشرى ووسيلة لتمهيد طريق تخليص النفوس تدريجاً من أجسادها وافراز الجيد من الردي

ثم اخرج الله بعد ذلك من نفسه كائنين عظيمين وهما المسيح والروح القدس

---

(١) تاريخه للكنيسة ص ١١٥ : ٣ — ١٠

لاعالة النفوس المغشاة بالأجساد فالمسيح هو الشخص الذي يدعوه الفرس ميثراس وهو مادة سامية جداً من أنقى نور الله واجبة الوجود حيوية فائقة الحكمة مسكنها الشمس . وكذلك الروح القدس مادة حيوية براقة منتشرة في كل الجلد المحيط بارضنا يدفيء نفوس البشر ويبهجها ويجعل الارض مثمرة ويخرج منها تدريجاً نطفات النار الالهية المنتشرة وينهضها حتى ترجع الى عالمها التى أتت منه

وبعد أن انذر الله طويلا النفوس المحبوسة في الاجساد بواسطة ملائكة وأناس علمهم مشيئته ارسل أخيراً المسيح ابنه وأنزله من الشمس الى عالمنا هذا لكي يسرع برجوع الناس الى وطنهم السموى . فظهرالمسيح بين اليهود لابساً صورة وظل جسد انساني لا جسداً حقيقياً وأعلن لهم الواسطة الوحيدة لخلاص النفوس من اجسادها وبرهن على لاهوته بعجائبه .ولكن اله الظلمة أغوى اليهود ليصلبوه . ولما لم يكن له جسد لم تؤثر عليه الآلام ولكن اليهود حسبوه صلب. فرجع المسيح الى الشمس مسكنه الاول بعد أن ترك تلاميذه لتعليم الناس ديانته ووعدهم بارسال رسول أعظم يفصح عن حقائق أسمى وهو البارقليط الذي كان يدعي ماني بانه هو

والذين يؤمنون بألوهية المسيح ينبغي أن لا يعبدوا اله اليهود وهو اله الظلمة وأن يطيعوا شرائع المسيح التي أوضحها ماني ويقاومون بثبات شهوات النفس الشريرة وهكذا يتخلصون شيئاً فشيئاً من مادة رئيس الظلمة الفاسدة . غير أن كمال التطهير لا يفوز به الانسان في هـذه الحياة بل بعد الموت يحصل للنفس تطهيران الأول بالماء المقدس الموجود في القمر ويلبثون فيه خمسة عشر يوماً والثاني بالنار المقدسة الموجودة بالشمس وهـذه تطهرهم تماماً أما الاجساد فتنحل الى عنصرها الأصلي

أما النفوس التي لم تهتم بالتطهير فتسكن بعد الموت أجساد البهائم والبشر حتى تطهر. والاكثر انحطاطاً يسلمون للارواح الشريرة المقيمة في جلدنا ليعذبوا زماناً ما . وحين تتحرر أكثر النفوس وترجع الى عالم النور فحينئذ يأمر الله فتخرج نار جهنم من مقرها وتحرق وتلاشي هـذا العالم . وبعد ذلك يرغم رئيس الظلمة وجنوده على الرجوع الى مقرهم الاصلي ويدومون فيه في حال الشقاوة ويحاطون بحرس

قوى من النفوس التي يئست من خلاصها حتى لا يقووا على محاربة اله النور ثانية

ولكي يجعل ماني سبيلا لقبول مبادئه رفض أكثر العهد الجديد معتقداً بانه حرف عن أصله ولا سيما العهد القديم الذي كان يعتبره من انشاء اله الظلمة الذي يعبده اليهود ووضع انجيلا دعاه (ارتن) مجاهراً بانه موحى به اليه من الله . ثم وضع لتابعيه عيشة صارمة فأمرهم بممارسة كل مايضعف الجسد الذي هو عمل رئيس الظلمة . وقسم تابعيه الى قسمين المختارين الذين ينبغي أن يتمتعوا من اللحم والبيض والحليب والسمك والخمر وكل انواع المسكرات والزواج وكل تمتع ناتج من مخالطة الذكور الاناث. والسامعين وقد صرح لهم بامتلاك البيوت وبأكل قليل من اللحم والتزوج بنساء . ويغلب ان المختارين هم الاساقفة والقسوس والشمامسة والعلمانيين هم السامعون

ويقول الآباء أن ماني هو الذي كان يتنبأ عنه الرسول بولس بقوله « ولكن الروح يقول صريحاً انه في الازمنة الاخيرة يرتد قوم عن الايمان تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين . مانعين عن الزواج وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر » (١تى ٤ : ١ ـ ٣)

(٦) ـ هيراكس . اصله من ليونتوبوليس كانت صناعته عمل الكتب واشتهر بالعلم والتقوى ومع انه شارك ماني في بعض الآراء الا انه خالفه في امور كثيرة فعلم ان عمل المسيح العظيم ان يسن شريعة جديدة اكمل وادق من شريعة موسى . ولهذا جزم بان المسيح منع تابعيه عن الزواج واللحم والخمر وكلما تتلذذ به الحواس أو الجسد من الاشياء التي سمح بها موسى ثم منع ان يدخل الاطفال ملكوت السموات التي لا يستحقها الا الذين قاوموا الجسد وشهواته واعتقد ايضاً ان ملكي صادق ملك سليم الذي بارك ابراهيم هو الروح القدس . وانكر قيامة الاجساد وفسر الكتاب المقدس ولا سيما الاسفار التاريخية تفسيراً تشبيهياً

(٧) الخلاف على عماد الهراطقة والجاحدين . كان من أهم المباحث فى الكنيسة فى هذا القرن المبحث في ما اذا كان تعميد الهراطقة صحيحاً ام باطلا

واذا رجع احدهم الى الكنيسة ايعاد تعميده أم يحسب معمداً . ففي هذا الموضوع اختلفت اراء الكنائس قديماً . فكنائس اسيا الصغرى والكبادوك وكيليكيه وغلاطيه وسوريه ومصر وافريقيه كانت تعتقد ان المعمودية لا تعتبر صحيحة ذات قوة فعالة ما لم تكن بيد رؤساء الكنيسة الارثوذكسية التي تجري كل الاسرار على وجه صحيح ولذلك كانوا يعيدون معمودية من يرجع الى حضن الكنيسة من الهراطقة . غير ان رومية والكنائس الغربية كانت تقول بان كل معمودية تتم باسم الثالوث الاقدس هى مقبولة ولهذا لم يكونوا يعمدون التائبين من الهراطقة وكانوا يكتفون بوضع الايدى والصلاة على من اهتدى منهم . ولاجل ذلك اجتمع مجمع في ايقونيه ومجمع في سنادا سنة ٢٣٠ م برآسة فرميليانوس أسقف قيصرية تقرر فيهما عدم صحة معمودية الهراطقة . وفعل مثل ذلك اغربينوس أسقف قرطجنة بعقده مجمعاً فيها سنة ٢١٧ ــ ٢٢٣ م وقرر القرار عينه

والذى ساعد على اشعال نار هذا النزاع ظهور بدعتين في هذا الشأن الاولى بدعة نوفاسيانوس اسقف روميه الدخيل وتقضى برفض توبة الذين يجحدون الايمان أو يقعون في اثم كبير وبوجوب اعادة العماد الذي يتم على ايدي الهراطقة وكذلك عماد الارثوذكسيين الذين يتساهلون فى قبول الهراطقة التائبين . واعتنق مذهب نوفاسيانوس عدد كبير من الكنيسة الرومانية غير انهم ما لبثوا ان ادركوا خطأهم وعزموا على العودة الى حضن الكنيسة ولما كانت عادة كنيسة روميه ان لا تعمد الهراطقة توقف الكهنة عن قبولهم ريثما يتفقون على رأى بشأن الراجعين من هرطقة نوفاسيانوس . فكتبوا الى القديس كبريانوس اسقف قرطجنه يسألونه رأيه فاجابهم برسالة جاء فيها « أن المعمدين من ايدي الهراطقة هم وحدهم الذين يجب اعادة عمادهم . أما الذين قبلوا العماد من الكنيسة الارثوذكسية فعمادهم صحيح » اه ولما كان كبريانوس يفهم ان كثيرين من المسيحيين التابعين لكنائس متعددة قد جحدوا الدين أثر الاضطهادات التى اثارها الملوك الوثنيون قال للكهنة الرومانيين في الرسالة عينها « أما مسألة الجاحدين التائبين فلا تتعلق

بكنيسة رومية منفردة ولذلك يجب ان تحكم فيها الكنائس مجتمعة » (١) ولقد استصوب الكهنة الرومانيون هـذا الرأي كما يثبت ذلك من رسالتهم الثانية الى كبريانوس التي جاء فيها « ان القضـايا العامة لايجب أن تنفرد كنيسة بالفصل فيها لان في ذلك خطأ عظيما واهانة كبرى لمجموع الكنائس المسيحية فضلا عن ان الكنيسة التي تتعرض لاصدار حكم في قضـية عامة يصبح حكمها ملغى ولا يعول عليه » اه (٢)

والبدعة الاخرى بدعة فيلكسيموس الذي كان يعلم هو وأتباعه بوجوب الصفح عن الذين جحدوا الايمان بمجرد الشفاعة التي يتحصلون عليها من المؤمنين الموجودين في السجون . والذي دعا الى نشر هذه البدعة هو انه بسبب اضطهاد ديسوس قيصر للمسيحيين زل كثيرون منهم وقدموا الذبائح للاوثان اجابة لطلب معذبيهم ثم أرادوا بعد ذلك أن يرجعوا الى شركة الكنيسة بدون أن يخضعوا للتأديب الصارم حسب قوانينها . ولكي يحصلوا على الغفران بأكثر سهولة التجأوا الى شفاعة الشهداء المحكوم عليهم بالموت وأخذوا منهم مكاتيب توصية بها يعلن الشهداء المشرفون على الموت انهم حسبوا هؤلاء الاشخاص مستحقين لشركتهم وطلبوا أن يقبلوا ويعاملوا كاخوة. فبعض الاساقفة والكهنة قبلوا حالا الجاحدين الذين قدموا مكاتيب كهذه لكن كبريانوس وغيره من ذوي الحزم والغيرة مع انه لم يرد أبداً أن يبطل كرامة الشهداء قاوم هذا الارتخاء الزائد وأراد أن يضع حداً لفعل مكاتيب التوصية هذه

وفي سنة ٢٥٣ م قام على كرسي رومية الاسـقف استفانوس واتباعاً لعادة كنيسته شدد بمنع معمودية الهراطقة ولم يكتف بذلك بل خاطب فرميليانوس أسقف قيصرية وطلب منه الامتناع عن تعميد الهراطقة . غير أن فرميليانوس أهمل كتابه فعقد استفانوس مجمعاً سنة ٢٥٤ م حكم فيه بقطع فرميليانوس ومن وافقه من اساقفة كيليكية وغلاطية . ولمـا كان القديس كبريانوس مشتركاً مع هؤلاء في المعتقد تهدده استفانوس بحرمه ان لم يقلع عن هذا الاعتقاد فلم يعبأ كبريانوس بهـذا التهديد وقابله بمجمع عقده في قرطجنه سـنة ٢٥٥ م وبعد

(١) كبريانوس في رسالة رقم ١٩ (٢) رسالة كبريانوس رقم ٣١

مباحثات طويلة حكم بضرورة اعادة عماد الهراطقة ومن تعمد على يدهم ممن يرجعون الى الكنيسة . وأما الذين كانوا معتمدين في الكنيسة وسقطوا فى كفر او هرطقة فحكموا بعدم اعادة معموديتهم نفياً لبدعة نوفاسيانوس أسقف رومية الدخيل

وأرسل المجمع قراره لاستفانوس أسقف روميه ومن جملة ماقيل له هذا الكلام « ان كل رئيس روحي حر فى سياسة كنيسته . لانه سيقدم حساباً عن أعماله للرب» (١) غير أن استفانوس رفض هذا القرار وكتب الى أساقفة افريقية يحثهم على الاقتداء به فى رفض قرار كبريانوس وجاوب أعضاء مجمع قرطجنه بقوله « يجب عليكم أن لا تحدثوا شيئاً بل أن تجروا على التسليم و تقبلوا بوضع الايدى فقط الذي يأتي اليكم من أية هرطقة كانت . لان الهراطقة أنفسهم لايعمدون الذين ينتقلون من هرطقة الى أخرى . بل يقبلونهم قبولا بسيطاً في شركتهم»(٢) ثم هددهم بالقطع ان لم يذعنوا لارادته

أما كبريانوس فاستغرب منه هذا العناد وأنكر عليه خضوع كنيسة افريقية لاستبداده وكتب رسالة الى بومبيوس أحد أساقفة افريقية ضد استفانوس جاء فيها قوله « انما لا نجد مثل هذا القرار (اي قرار استفانوس) لا فى الانجيل ولا في الرسائل ولا فى اعمال الرسل . وباطلا يقاومنا بعض مستندين على العادة وهم مغلوبون من البراهين العقلية . كأن العادة تعلو على الحقيقة او كأنه لايجب ان نجرى في الروحيات على ما اعلن من الروح القدس انه الأفضل » اهـ (٣)

ثم ارسل اساقفة افريقية أيضاً رسالة أخوية الى استفانوس يدعونه الى الاتحاد معهم فلم يشأ أن يقابل حملة الرسالة ولم يسمح لهم حتى ولا بمأوى وجاوبهم بخشونة بخطاب لقب فيه كبريانوس بالرسول الغاش والنبي الكذاب (٤) وما علم كبريانوس بذلك حتى كتب الى اخوته أساقفة افريقية يحذرهم من الوقوع فى ضلال استفانوس ولقد جاء في رسالته الى بومبيوس « انه (أى استفانوس) صديق الهراطقة وعدو المسيحيين يقول بانه يقدم كرامة لله ويظن بانه حرم كهنة الله المحافظين على حقيقة دين المسيح واتحاد الكنيسة . فان كانت الكرامة لله تقدم على هذا الوجه

---

(١) رسالة ٧٢ لكبريانوس (٢) رسالة ٧٤ لكبريانوس (٣) رسالة ٧٣ (٤) رسالة ٧٥

وان كان خوف الله والشيء القانوني يحفظ من عباده وكهنته على هـذه الصورة فلنرم سلاحنا ولنمد ايدينا الى السبي » ثم قال له « ان هذا الاسقف الضال استفانوس قد دل برسالته على جهله وغباوته » اهـ (١)

وقال في رسالته الى كينتوس « ان بطرس الرسول (الذي يدعي استفانوس انه خليفته) لم يقل قط بتقدمه على سائر الرسل ولم يطلب ممن اتوا بعده في الرسالة ان يقدموا له فروض الخضوع والطاعة ولم يدع انهم دونهم في الرتبة » اهـ (٢) ولم يكتف كبريانوس بهذه الرسائل بل عقد مجمعاً ثانياً في قرطجنه ابدى فيه كل من الاساقفة رأيه الخاص فقال الاسقف الثالث والعشرون في ترتيب جلوس الاساقفة في المجمع « انه جحد ايمان الـكنيسة ويجب ان لا يكون جحوده سبباً في اضطراب مجموع الاساقفة » وقال الاسقف الحادي والستون « انه يهوذا الاسخريوطي الذي باع عروس المسيح لاعدائها » (٣)

وكان فرميليانوس اسقف قيصرية قد ارسل هو ايضاً وفداً الى رومية فقوبل هناك اسوأ مقابلة كوفد كبريانوس ولم يسمح له بسقف يبيت تحته ومن ثم تبادل فرميليانوس وكبريانوس الرسائل ضد استفانوس وكان فرميليانوس قد تلقى رسالة من كبريانوس فرد عليها برسالة طويلة جاء فيها قوله « لقد أبى استفانوس ان يقبل نوابك وأمر الرومانيين ان لا يقبلوهم فدل بذلك على توحشه وهمجيته على اننا مدينون لهذا المتوحش لان قسوته وغطرسته كانتا سبباً في ان عرفنا حكمتك وايمانك . غير انه لا فضل له في ذلك كما انه لا فضل ليهوذا الاسخريوطي في خيانته سيده . تلك الخيانة التي نتج عنها خلاص الجنس البشري . ولـكن دعنا من هذا الحديث الذي يذكرنا بوقاحة استفانوس وجسارته بل بشغفه بالانفصال عن وحدة المحبة والتغرب عن الاخوة والتمرد على الحق الخ » (٤) ولم يكتف فرميليانوس بذلك بل كتب لاستفانوس رأساً رسالة منها قوله « لقد جسمت خطيئتك بنفسك التي زينت لك الانفصال عن الـكنيسة الواحدة . لا تنخدع يا استفانوس فانك قطعت نفسك بنفسك . لان الذي يجحد شركة الوحدة

---

(١) رسالة ٧٣ (٢) رسالة ٧٢ (٣) اعمال مجمع قرطجنة الذي عقده كبريانوس
(٤) رسالة ٧٥

الكنسية يصبح وحده منشقاً عنها . وهكذا نراك منفصلا عن الكنائس المسيحية في الوقت الذي تظن فيه انك تفصل تلك الكنائس عنك » (١)

ومع كل هذه المساعي الحميدة استمر الشقاق مضطرماً وكاد يستفحل أمره لولا مداخلة البابا القديس ديونيسيوس البطريرك الاسكندري التي جعلت النزاع يقف عند حده فكتب الى استفانوس يقول له « اعلم الآن ايها الاخ ان جميع الكنائس المنشقة قبلا في الشرق وما بعده قد اتحدت . وجميع الرؤساء في كل مكان متفقون في الرأي وهم فرحون بالسلام الذي صار على غير انتظار منهم ديميتريانوس في انطاكية وثاوكتيستوس في قيصرية ومازبان في اليه (اورشليم) ومارينوس في صور بعد رقاد اسكندر وايليوذوروس في اللاذقية بعد وفاة ثيليميدرس وايلينوس في طرسوس وسائر كنائس كيليكيه وفرميليانوس وسائر الكبادوكية . وقد ذكرت أشهر الاساقفة فقط لكي لا أطيل الرسالة ولا اثقل الكلام . أما سورية كلها والعربية الذين تكفونهم دائماً والذين ارسلتم اليهم الآن وبين النهرين والبنطس وبيثينيه وبالاجمال الجميع في كل مكان يبتهجون بالاتحاد والمحبة الاخوية ممجدين الله » اه (٢)

على أن استفانوس الذي كان يشتهي أن يرى نفسه يوماً رئيساً عاماً للكنيسة المسيحية نظير معظم باباوات رومية لم يذعن لنصيحة زميل له يفوقه قداسة وعلماً بل لبث مصراً على عناده حتى مات سنة ٢٥٧ م وخلفه سكستوس فكتب له البابا الاسكندري رسالة جاء فيها قوله « فانه (أي استفانوس) كان قد كتب قبلا في ايلينوس وفرميليانوس وسائر أساقفة كيليكية وغلاطية والشعوب المجاورة لهم قائلا بانه لا يشترك معهم لهذه العلة عينها أي لأنهم يعيدون على زعمه معمودية الهراطقة . وحقاً انها تقررت كما أعلم في أعظم مجامع الاساقفة عقائد بان الآتين من هرطقة يوعظون أولا ثم يغسلون ويطهرون من دنس الخميرة العتيقة . وقد أرسلت اليه ورجوته في هؤلاء جميعهم » اه (٣) وأعقب هذه الرسائل برسائل أخرى ظاهرها الاستشارة وباطنها الفات نظره الى وجوب التدقيق لمعرفة صحة عماد الهراطقة من عدم صحته . وكان يروم من وراء جميع رسائله حفظ

---

(١) رسالة ٧٥ (٢) تاريخ اوسابيوس ٧ : ٥ (٣) اوسابيوس ٧ : ٥

كيان اتحاد الكنيسة ومنع كل شقاق وتحزب شأن الراعي الصالح حتى تمكن من اقناعه بروح المحبة والسلام أفضل من استعمال الشدة والعنف وله رسالة في هذا الموضوع لفليمون أحد كهنة الكنيسة الرومانية قال فيها « ان فساد العماد الذي يتم على يد الهراطقة أصبح أمراً ثابتاً بعد أن قررته عدة مجامع انعقدت في ايكونيوم وغيرها . فهل يليق قلب هذه القرارات وتحريض الاخوة على المنازعات والمشاغبات . أما انا فلا يمكنني أن آتي ذلك لانه مكتوب « لا تنقل التخم القديم الذي وضعه آباؤك » اه (١)

وحدث حينئذ أن ثار اضطهاد فاريان قيصر وشدد النكير على رؤساء المسيحية فشغل كل من الاساقفة عن مسألة عماد الهراطقة بالنظر في شؤون رعيته وفي هذا الاضطهاد استشهد القديس كبريانوس والقديس سكستوس وشماسه لافرنديوس

واتفق حينئذ انه كان في كنيسة الاسكندرية مؤمن تعمد بيد أحد الهراطقة ولاجل ذلك ارتاب ولبث مدة طويلة في الكنيسة وضميره يوبخه حتى جاء الى البابا ديونيسيوس ملتمساً منه بدموع ولجاجة ان يعيد له عماده فلم يجب ديونيسيوس طلبه ولكنه طيب خاطره واحتار في أمره بالنسبة لالحاح الرجل عليه . فبينما كان يخاطب زميله سكستوس أسقف رومية برسالة في بعض الشؤون (٢) خطر له أن يقف

---

(١) اوسابيوس ٧ : ٥ (٢) يتوهم الباباويون أن استشارة البابا ديونيسيوس لسكستوس تؤيد رئاسته المزعومة مع العلم ان بولس الرسول استشار الرسل في أمور (غل ٢ : ٢) ولم يكونوا رؤساء عليه وكيرلس البابا الاسكندري كتب ينصح نسطور فهل يعتبر رئيسا عليه . والقيصر ثيودوسيوس كلف القديس سمعان العمودي ان ينصح البابا كيرلس ويوحنا الانطاكي وكان مرؤوساً لهما . أما ظنهم أن قوله « خوفا من أن أكون غلطانا » يؤيد عصمة البابا فينقضه ان باباوين في ايامه كانا من رؤساء الهرطقة وهما زفيرينوس وكاليسطوس وآخر أيضا بعدهما بقليل ذبح للاصنام في اضطهاد ديوكلتيانوس وأقر وهو بابا بان الصنم اله وهو مركلينوس ولئن كان تاب فيما بعد واستشهد . أما استشارة البابا ديونسيوس لاسقف رومية فكانت من قبيل الوقوف على الرأي وخوفه من غلطه ماهو الا عن تواضع ولطف أخلاق وسمو آداب وتأكيد الحقيقة بان كل ابن آدم يغلط كما ان البابا ديونيسيوس تصرف في كثير من المسائل الاهم دون أن يستشير أسقف رومية أو حتى يقف على رأيه

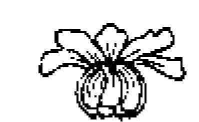
على رأيه في هذا الامر فأضاف الى رسالته قوله : —

« انى بالحقيقة أيها الاخ أطلب النصيحة وأستمد الرأي منك فى هذا الامر المهم الذى ورد علي خوفاً من أن اكون غلطاناً . فان مؤمناً من الاخوة المجتمعين يظن انه قديم في الكنيسة أقدم من زمان شرطونيتي وأظن انه مشترك فى الكنيسة قبل اقامة المطوب الذكر ياروكلاس (سلفه) وقد اتفق أن يكون من المعمدين تعميداً على قفا اليد . فلما سمع السؤالات والاجوبة عندنا تقدم الي با كياً ونادباً نفسه وكان يقع أمام رجلي معترفاً ومنكراً باقسام المعمودية التي تعمدها عند الهراطقة بأنها ليست مثل هذه ولا شركة لها معها لانها مملوءة كفراً وتجاديف وقائلا ان نفسه قد تخشمت الآن تخشماً عظيماً وليست له دالة ان يرفع عينيه الى الله ما دامت بداءته من تلك الاقوال والاعمال الشريرة . ومن ثم طلب ان يحصل على هذا التطهير والقبول والنعمة الصحيحة الخالصة . الأمر الذي انا لم أجسر ان اعمله قائلا ان اشتراكه زماناً كثيراً يكفي لذلك . فاني . بعد انه سمع الشكر وقال معنا « آمين » وحضر المائدة ومد يديه لتقبل الغذاء المقدس وناله ايضاً واشترك زماناً كافياً بجسد ودم يسوع المسيح . لا استطيع ان أجسر واعيد بناءه مرة ثانية من الأول . وقد أمرته ان يتشجع ويتقدم بإيمان ثابت وضمير صالح الى الاشتراك بالقداسات . أما هو فما ينكف نائحاً ويجزع ان يتقدم الى المائدة وبالرجاء العظيم يكاد ألا يطيق حتى الوقوف معنا في الصلوات »

ومع كل ذلك استمر الخلاف في هذه القضية حتى اصدر فيها المجمع النيقاوي المسكوني الأول الحكم النهائي سنة ٣٢٥ م وبعده الثاني سنة ٣٨١ م

أما مسألة الذين زلوا ابان الاضطهادات وقدموا الذبائح للاوثان فبسببها عقد كبريانوس مجمعاً بقرطجنة قرر فيه شجب بدعتي نوفاسيانوس وفيلكسيموس المشار اليهما آنفاً ومعالجة الساقطين بدواء التوبة حتى ينقهوا . الا ان المجمع اتفق على استئناف القضية للبابا الاسكندري فرفعت اليه وكان فابيانوس اسقف انطاكية ميالا لمبدأ نوفاسيانوس من حيث معاملة الذين انكروا الايمان وتابوا بالقساوة الزائدة فكتب اليه القديس ديونيسيوس هذا الكتاب يقول فيه : —

« اليك مثال عما حدث في مثل هـذه الامور التي نتناقش فيها الآن ومنه يظهر لك كيف تصرفنا نحن . حدث ان رجلا هرماً اسمه سيرابيون وهو مسيحي لاغش فيه قضى حياة طويلة بكل تقوى وأمانة كان قد ذبح للاوثان اثناء اضطهادهم اياه ولكنه عاد فأقر بذنبه واستغفر ربه عن خطيئته فلم يقبله أحد أو يرق لحاله انسان فاصاب الرجل مرض عضال ألزمه الفراش وظل ثلاثة ايام متوالية لا يعي ولا يتكلم وفي اليوم الرابع أفاق قليلا من غشوته فدعا اليه ابنه الاكبر وقال له لقد طال يا ابني زمن حجزك لي فاتوسل اليك ان تسرع وتطلقني من عقالي فارجوك ان تذهب وتأتي لي باحد كهنة الكنيسة » ولما قال هذا عاد الى غشوته وصمه واما الغلام فأسرع الى كاهن من كهنة الكنيسة ليدعوه كأمر ابيه وكان الوقت ليلا وكان الكاهن مريضاً . وكنت قد اصدرت امراً قبل هذا الوقت يقضي بان الذين على حافة الموت اذا شعروا بحاجتهم للتوبة وألحوا في طلب المغفرة يجب ان يمنحوها حتى ينتقلوا من هذا العالم وقلبهم مملوء من التعزية والرجاء بالحياة الابدية . وعليه جاءني الغلام فاعطيته جزءاً من الافخارستيا وقلت له ان يغمســه في الماء ويضعه في فم هذا الرجل الهرم فذهب الولد مسرعاً الى البيت ومعه القطعة التي اعطيتها له ولما قرب من مدخل الباب كان سرابيون قد عاد اليه رشده فنهض قائلا « لقد جئت يا ابني ولكن الشيخ لم يقدر على المجيء فعليك اتمام ما أمرت به ومن ثم اطلقني بسلام فقد ابصرت عيناي خلاص الرب » فبل الشاب اللقمة ووضعها حالا في فم ابيه فلم يلبث حتى اذدردها وفاضت روحه الى خالقها . ألم يكن هذا الرجل قد تاب توبة حقيقية وألم يظل حياً الى ان نال المغفرة ومحيت جميع ذنوبه ؟ وهلا يعتبر هذا الرجل التقي مؤمناً لاجل اعماله الصالحة الكثيرة التي عملها في حياته وعند موته ؟ » اه



القرن الرابع

oooooooo

القسم الاول

تاريخ البطاركة

(١) بطرس ١ (٢) ارشلاوس (٣) الكسندروس ١ (٤) اثناسيوس ١
(٥) بطرس ٢ (٦) تيموثاوس ١ (٧) ثاوفيلس

ooooOOO ooo

(١) **بطرس ١** — البطريرك السابع عشر . كان تلميذاً للبابا ثاؤنا وتربى تربية صحيحة في المدرسة اللاهوتية التي كان يديرها يومئذ القس ارشلاوس . ورسمه البطريرك شماساً ولما رأى عفافه وعلمه صيره قساً وكان ملازماً خدمة الكنيسة ليلا ونهاراً معتبراً من الجميع لاجل قداسة سيرته وجزيل علمه وغيرته على انتشار الايمان الاقدس . واتفق ان سابليوس الهرطوقي جاء يوماً الى الكنيسة طالباً البطريرك ليجادله فارسل اليه البابا ثاؤنا القس بطرس فازدرى سابليوس بالبطريرك اذ أرسل له شاباً حقيراً ليجادله فاجابه القديس بطرس « اذا كنت اظهر امامك صغيراً فاني عند الرب كبير والرب يظهر كفرك به اليوم وينصرني عليك كما نصر داود النبي على جليات الجبار » ثم أخذ يناضله ويناظره في الحقائق الدينية حتى افحمه واخرجه مخزياً امام الجميع

وحدث أيضاً في أحد الاعياد بينما كان البابا ثاءونا محتفلا باقامة الاسرار وقف انسان به شيطان وجعل يرجم المؤمنين بالحجارة ويزأر مثل الوحوش فهرب الشعب منه الى داخل البيعة وعلم البطريرك بحال المجنون فقال للقديس بطرس اذهب اليه واطرد عنه هذا الشيطان فأخذ اناء مملوءاً بالماء وقدمه الى الآب البطريرك وطلب اليه أن يرشمه بعلامة الصليب ففعل وخرج بطرس الى الرجل وانتهر الشيطان باسم الرب يسوع فخرج منه للحال

ولما ارتقى القديس بطرس كاثدرا (١) مرقس الرسول في شهر امشير سنة ١٧ ش و ٣٠٠ م فى عهد ديوكلتيانوس قيصر خلفاً لمعلمه البابا ثاءونا ضاعف جهاده ولبث مواظباً على خدمة ربه بكل أمانة . وبعد نهاية القرن الثالث كان اضطهاد الكنيسة في مصر بالغاً أشده في عهد ديوكلتيانوس ومكسيميان . فرأى البطريرك القديس رعيته فى خطر عظيم فبعضهم قتل و بعضهم هرب الى البرارى والكهوف ولذلك طاف بلاده كلها يشجع الضعفاء في الايمان ويعزى المعترفين فى السجون ويسعفهم ويرجع الى الحظيرة الخراف الضالة أى الذين كانوا تركوا الايمان الصحيح خوف العذاب حاثاً اياهم على الصلاة والصوم ليستقبلوا الموت ببأس شديد وجأش رابط وما أتى الى مدينة ليكوبوليس (٢) حتى اخذ منه الحزن مأخذاً شديداً لما رأى اسقفها ميليتس قد كفر بالايمان وسالم الوثنيين ثم سجد لاصنامهم . وقد افرغ القديس جهده كله فى ان يرد هذا الاسقف الى التوبة فلم ينتصح ولم يتب بل شق عصا الطاعة على رئيسه وطفق يشنع عليه ويرميه بتهم باطلة . وقد ازداد شراً حتى ابتدع بدعاً رديئة بسببها انفصل من الكنيسة مع من تحزبوا له مما حدا بالقديس بطرس الى عقد مجمع فى الاسكندرية سنة ٣٠٦م حكم فيه بقطع ميليتس ومن شايعه وكان ما سيرد ذكره فى الكلام على البدع والهرطقات

وفى سنة ٣٠٧م لما قرب عيد القيامة تقدم الى البطريرك اولئك الذين كانوا قد جحدوا الايمان ثم ندموا ومارسوا لاجل سقطتهم توبة مستطيلة وطلبوا بدموع والحاح ان يحلهم ويقبلهم فى الكنيسة . فاهتم البابا بطرس باعداد المنشور الذي

---

(١) كاثدرا كلمة يونانية معناها كرسي البطريرك أو المطران

(٢) هي اسيوط الحالية وكانت اول استقفية في القطر المصري بعد الاسكندرية

كان يصدر سنوياً في عيد الفصح وضمنه التوبة التي بموجبها يقبل الذين سقطوا في مدة الاضطهاد الى حضن الكنيسة . وهذه هي القوانين نذكرها بالايجاز (١)

(١) جميع الذين زلوا في بداءة الاضطهاد لشدة ما قاسوه من العذاب المريع ثم اظهروا توبة وندامة في اثناء الثلاث سنوات الماضية يجوز قبولهم في الكنيسة يوم العيد الآتي وذلك بعد ان يصوموا اربعين يوماً صوماً عنيفاً

(٢) جميع الذين عثروا في ايمانهم لداعي سجنهم فقط دون ان يعذبوا عذاباً شديداً يجب ان تعطى لهم سنة كاملة يظهرون فيها التوبة الحقيقية قبل قبولهم في حضن الكنيسة

(٣) كل الذين ارتدوا عن الايمان لمجرد الخوف والوهم فقط ولم يذوقوا عذاباً تعطى لهم اربع سنوات ليبرهنوا فيها على التوبة والندامة

(٤) جميع الذين ارتدوا ولم يعودوا يطلبون التوبة والانضمام الى الكنيسة فلا يوجد قانون لهم بل حري بالكنيسة ان تبكيهم وترثي لحالهم

(٥) الذين نجوا من العذاب او الموت لتظاهرهم بالبله او الصرع او أية حيلة اخرى تمنح لهم مهلة ستة شهور فيها يكفرون عن سيئاتهم

(٦) العبيد الذين اجبرهم مواليهم للتقدم للمحاكمة عوضاً عنهم ثم سقطوا في هذه التجربة ينبغي ان يبرهنوا على توبتهم باعمالهم في بحر سنة

(٧) الموالي الذين فعلوا ما تقدم تفرض عليهم ثلاث سنين توبة

(٨) جميع الذين عثروا ثم عادوا فاصلحوا خطأهم حالا بان قدموا انفسهم للسجن وللعذاب يجب قبولهم في عضوية الكنيسة بدون فحص او قصاص

(٩) كل الذين قدموا انفسهم للاخطار طوعاً واختياراً دون ان ينتظروا القاء القبض عليهم او يصبروا حتى يرى ما يحل بهم لاتصح محاكمتهم ومقاصتهم بل يكتفى بتذكيرهم ان المسيح ورسله لم يعملوا هكذا ولم يلقوا بانفسهم في الهلاك . اما الذين سقطوا من هذه الفئة المشار اليها فاذا كانوا من الاكليروس الذين طلبوا العودة الى حضن الكنيسة فلا يجب قبولهم في الوظائف الكهنوتية ثانية

---

(١) هذه القوانين أيدها البابا بطرس بالشواهد والادلة الكتابية وقد بقيت معمولا بها في جميع الكنائس الارثوذكسية في العالم أجمع حتى بعد الانشقاق

بل يقبلون كأعضاء في الكنيسة فقط

(١٠) أولئك الذين أنكروا حيثياتهم وأشخاصهم لاجل تشجيع الآخرين وتقوية ايمانهم في أوقات الاضطهاد فهم قد أتوا عملا حسناً فلا لوم عليهم ولا تثريب

(١١) جميع الذين افتدوا أنفسهم بدراهم دفعوها فداء عنهم فلا يلامون قط

(١٢) لاشيء على الذين نجوا بواسطة هربهم من الموت ولا قصاص عليهم

(١٣) جميع الذين أجبروا اجباراً لكي يذبحوا للاوثان والذين أفقدهم العذاب شعورهم واحساسهم فأصبحوا لا يدركون يجب اعتبارهم في درجة الذين اعترفوا بالمسيح تماماً ماداموا فعلوا مافعلوه بدون ارادتهم . فاذا كانوا من الاكليروس يعادون الى وظائفهم كما كانوا . اه

***

وكان اريوس الهرطوقي فى بدء أمره تابعاً لبدعة ميليتس المذكور وتلميذاً له غير أنه انفصل عنه وأتى الى البطريرك وأعلن خضوعه له فقبله وسامه شماساً ثم صار فيما بعد قساً وارتقى الى وظيفة واعظ لفصاحته . الا انه في وعظه كان يمزج معظم كلامه باقوال فلسفية تتناقض مع حقائق الدين المسيحى الصحيحة . واتفق انه كان يخطب يوماً بحضرة البطريرك فتاه فى أقواله والقى هذه العبارة على مسمع منه وهى « ان ابن الله كائن بعد ان لم يكن » فتبادر لذهن البطريرك في مبدأ الامر انه يقصد بهذا القول عن المسيح بالنسبة الى ناسوته المأخوذ من العذراء . ولكن مع هذه العبارة تردد كثيراً بفم اريوس ولدى سؤال البطريرك اياه عن مراده بهذا القول اتضح له انه سقط في بدعة شنيعه . وبعد أن أكثر له النصح بدون أن يهتدي جرده من وظيفته وأصدر قراراً بحرمانه وقطعه من شركة الكنيسة ووقع عليه هو ومن كان حاضراً معه من الاساقفة .

وفي سنة ٣١١ م أمر القيصر مكسيميان دارا بالقبض على القديس البطريرك وسبب ذلك ان امراة انطاكية لمسيحى عبد الاوثان قامت للاسكندرية لتعمد ولديها فهاج عليها البحر وخشيت أن يموتا بلا عماد فشرطت ثدييها بمدية وصلبت على جبينيهما وقلبيهما ولما نجت وأتت البابا بطرس وجد مياه المعمودية حال عمادهما قد غاصت فسألها عن السبب فقصت له قصتها فأمن على عمادهما واكتفى بان باركهما . فشكى

الرجل الوثني امرأته للقيصر بأنها ذهبت لترتكب المنكر مع المسيحيين وسأل القيصر عن رئيس المسيحيين فقيل له هو البابا بطرس وقد كان مملوءاً عليه حنقاً بسبب ما وضعه من الكتب تقبيحاً لعبادة الأوثان وما كتبه من الرسائل الى المسيحيين يشددهم في أوقات الاضطهاد . أما المرأة فلما رجعت لزوجها عرض عليها القيصر السجود للأصنام فأبت فأمر بحرقها وولداها معها فحرقوا فلأجل ذلك حضر مكسيميان شريك ديوكلتيان فى الملك بنفسه الى مصر لينتقم من البطريرك وبعد ان استعمل اقصى نوع من العذاب للفتك بمسيحيي مصر قبض على البابا بطرس وطرحه في السجن وأمر بقطع رأسه ان أبى السجود للأصنام الا انه لم يسأله أحد عن ذلك لعلم الجميع انه يختار ان يموت الف مرة افضل من ان يجحد السيد المسيح

ولما بلغ هذا الخبر مسامع المؤمنين اضطربوا اضطراباً شديداً وتجمهروا جميعهم على باب السجن قاصدين انقاذه من مخالب الموت . فلما جاء الجنود الى السجن ليأخذوه الى مكان القتل صاحت جماهير المسيحيين المحتشدة على باب السجن قائلة «اذا قتلنا كلنا حينئذ تؤخذ رأسه» فلما رأى ذلك القائد المكلف بقتل القديس خشى حدوث قلق وشغب فأبقى الأمر الى الغد آملاً أن ينصرف المسيحيون الى بيوتهم في الليل ولكن أمله خاب اذ استمروا جميعهم محافظين على رأيهم

ولما علم اريوس الكافر ان الملك مصمم على قتل البطريرك خاف ان يتنيح قبل أن يحله ويبقى هو مربوطاً ويقفل في وجهه باب الارتقاء للوظائف الكهنوتية فتوسل الى بعض الاكليروس ووجوه الشعب ان يصالحوه مع البطريرك قبل موته . فظنوا ان هذا الطلب رجوع منه الى الصواب ومضوا الى القديس بطرس وسألوه ان يحل اريوس من رباطه فصرخ البطريرك بصوت عظيم وقال «تسألونني في أريوس» ثم رفع يديه وقال «في هذا الزمان وفي الآتي يكون ممنوعاً من مجد أبن الله سيدنا يسوع المسيح» فلما قال هذا نزل عليهم خوف عظيم ولم يجسر أحد ان يكلمه . فلما رآهم قد خافوا منه طيب نفوسهم ونهض من وسطهم وأخذ معه الشيخين ارشلاوس والاكسندروس تلميذيه وانفرد بهما وقال لهما

« الله اله السموات يعينني على أكمال شهادتي فلن تعودا ترياني بعد هـذا اليوم في الجسد وانت يا أرشلاوس القس تكون بطريركا بعدي واخوك الاكسندروس بعدك . ولا تقولا اني عديم الرحمة من أجل اريوس فان فيه مكراً مخفياً . ولست انا الذي حرمته بل السيد المسيح لأني في هذه الليلة لما أكملت صـلاتي ونمت رأيت شاباً قد دخل عليّ ووجهه يضيء كضوء الشمس وعليه ثوب متشح به الى رجليه وهو مشقوق وقد امسك بيده القطعة الممزقة فصرخت وقلت «ياسيدي من الذي شق ثوبك » فاجابني «أريوس هو الذي مزق ثوبي فلا تقبله . واليوم يأتيك قوم طالبين منك ارجاعه فلا تطعهم واوصي ارشلاوس والاكسندروس بان يمنعاه من شركتهما » اه

ولما انتهى من كلامه وقع على عنقيهما وقبلهما . وكانا يقبلان يديه ويودعانه بالبكاء لاجل قوله انكما لن ترياني بعد اليوم في الجسد . ثم عاد الى الجمع الذي كان قائماً فوقف معهم وخاطبهم وقواهم وصلى عليهم وباركهم وعزاهم وصرفهم بسلام

أما القائد فكان يفكر في كيف يخرجه من السجن خفية حتى لا يتكاثر عليه المسيحيون ويختطفونه منه أو يموت خلق كثير بسببه من المجتمعين على الباب من الشيوخ والشبان والرهبان والنساء والعذارى الذين كانوا يبكون بدموع غزيرة فلما شعر القديس بطرس بذلك انفذ الى القائد سراً وقال له . تعال الليـلة الى حائط السجن الذي ادقه لك من داخل وانقبه من الجهة التي لا يقيم المسيحيون بازائها وهكذا يسـهل عليك أخذي الى المكان المعين من الملك لقتلي . ولا ريب ان هذا الكلام العجيب الذي لم يسمع بمثله قط ادهش عقل القائد ففعل كما اشار عليه وخرج القديس مع الجند الى المكان المدعو بوكاليا وهو الموضع الذي تمت فيه شهادة القديس مار مرقس الانجيلي فطلب منهم البطريرك ان يتركوه يذهب الى حيث جسد مار مرقس للتبرك منه فسمحوا له وهناك اخذ يصلي طالباً من الله ازالة الاضطهاد . قيل آن وقت صلاته كان بالقرب من القبر مسكن صبية عذراء وابوها رجل شيخ وكانت قائمة تصلي ولما تمت صـلاتها سمعت صوتاً من السماء يقول « بطرس اول اسماء الرسل وبطرس آخر شـهداء الاسكندرية » وقد تم هذا

الكلام بانه بعد وفاة القديس لم يستشهد غيره من بطاركة الاسكندرية قتلا بايدي الوثنيين

ولما أتم القديس صلاته تقدم الى الجنود فنظروا وجهه كوجه ملاك ثم رفع يديه وصلى الى الرب وصلب على وجهه وقال آمين وخلع بلينه وكشف رقبته الطاهرة وقال لهم افعلوا ما أمرتم به . فتراجعوا الى الوراء مندهشين من تسليمه نفسه للموت بمثل هذه الشجاعة ولم يجسر احد ان يضرب عنقه . غير ان القائد دفع اخيراً لأحدهم خمس قطع من ذهب فتقدم وقطع هامة القديس في ٢٩ هاتور سنة ٢٨ ش و ٣١١ م وكانت مدة مقامه على الكرسى ١١ سنة

ولما اصبح الصباح وصل الخبر الى المسيحيين المحيطين بالسجن فمضوا اليه مسرعين ووجدوا جسده وثوبه عليه والشيخ والصبية العذراء جالسين يحفظانه فالصقوا الرأس بالجسد ونشروا عليه شعره وجمعوا دمه ولفوه في النطع (بساط من الأديم) الذى كان ينام عليه ومضوا به الى البيعة واجلسوه على كرسى القديس مرقس ولما كان حياً لم يكن يرضى الجلوس عليه بل كان يجلس على درجات الكرسي السفلية تواضعاً واكراماً لسالفه الأول منشىء هذا الكرسي الرسولي العظيم

(٢) ارشلاوس . البطريرك الثامن عشر . ولد بالاسكندرية وامتاز عن اترابه بعلمه وقداسة سيرته ولذلك صيره البابا ثاؤنا قساً وجعله رئيساً للمدرسة اللاهوتية . وبناء على وصية القديس بطرس اقيم بعده بطريركا من شهر كيهك سنة ٢٧ ش و ٣١٢م فى عهد قسطنطين قيصر وما علم ان جلس على الكرسي المرقسى حتى توسل اليه اريوس بان يعيده الى شركة الكنيسة . وتمكن اريوس بمداهنته وتمليقه ان يستميل اليه وجهاء الشعب وعظماءه وطلب منهم ان يتوسطوا اليه عند البطريرك ليقبله فالتمسوا منه ان يشرك اريوس في الخدمة الكنسية موهمين اياه بأنه تاب عن كل ذنوبه فقبل سؤالهم واعاده الى رتبته الاولى التي كانت له قبل وقوعه في الهرطقة وهى وظيفة القسوسية ومباشرة الوعظ وبهذا العمل خالف هذا البطريرك خلفه القديس بطرس ولعله احسن الظن باريوس لما رآه فيه من اللين المصطنع ومع ذلك فلم يشاء الرب ان يبقى ارشلاوس سوى ستة شهور ومات بعدها في ١٩ بؤونه سنة ٢٩ ش و ٣١٢ م وبعد موته

ورشح أريوس نفسه لمركز البطريركية ولكن الاكليروس والشعب لم يتفقوا على ذلك

(٣) الاكسندروس ١ – البطريرك التاسع عشر. ارتفع الى كرسى البطريركية بعد موت ارشلاوس بمقتضى وصية القديس بطرس آخر الشهداء في شهر ابيب سنة ٢٩ ش و٣١٣ م فى عهد قسطنطين وهو مولود بالاسكندرية ورسم قساً بها وحال انتخابه للبطريركية كان قد وصل الى سن الشيخوخة ورغماً عن ذلك أخذ يستخدم علمه وتقواه في خدمة الله بكل نشاط واخلاص. وكان الشعب يلقبه بالقديس والفقراء يدعونه ابا المساكين. وروى الانبا ساويرس المؤرخ ان اثناسيوس الرسولي البطريرك الـ٢٠ روى عن البابا الاكسندروس انه ما كان يقرأ قط في الانجيل جالساً بل واقفاً والضوء أمامه. ولكن افضل ما اشتهر به هو غيرته الشديدة على حفظ الايمان المستقيم ومحاربته للهراطقة ولا سيما الذين انكروا لاهوت المسيح

وهذه الغيرة كانت له منذ حداثته فقبل جلوسه على كرسى البطريركية كان قوي المعارضة والمقاومة لحزب ميليتس اسقف ليكوبولى المار ذكره ولهذا بعدوفاة ارشلا البطريرك اجتهداولئك حتى لا يكون الاكسندروس بطريركاوكانوا يقدمون عوضه اريوس المنافق غير ان الله أحبط مسعاهم. وقيل ان اريوس حاول ان يدخل اليه ليتمكن من خداعه كما خدع سلفه فقال البابا الاكسندروس قولوا له أوصاني ابي (يريد البابا بطرس) ان لا أقبلك فلا تدخل الي ولا أجتمع بك وذلك بأمر السيد المسيح فاعترف للمخلص بخطيئتك فاذا قبلك فهو يأمرني بقبولك فغضب اريوس من البابا غضباً عظيما لاسيما لما رأى ان الشعب فضله عليه واضطرم قلبه بنار الحسد ولكونه لم يجد البطريرك ملوماً في سيرته اجتهد في دحض تعليمه ووضع مقالات تجديف وكفر بلسانه المستحق القطع فقال ان ابن الله مخلوق (وحدث ان البابا الاكسندروس القى خطبة مبنية على اقامة المسيح للموتى وبين للسامعين سلطانه فقاطعه اريوس بان هذا ليس من تعليم الانجيل فاستمر البطريرك

يعظ غير مبال بكلامه فرد اريوس عليه في الاحد التالى بوعظة موضوعها « ابي أعظم مني »

وكان هذا الخبيث قد تمكن بفصاحته الشيطانية أن يجتذب اليه أسقفين وبعض القسوس البسطاء والشعب الساذج وبتظاهره الكاذب أي باظهاره روح العبادة خدع عابدات كثيرات من النساء والبنات والراهبات وأخذ ينشر بواسطتهم بدعته الشنيعة فتقدمت في حقه الشكاية للبابا الاكسندروس فاسرع هذا القديس في العمل على ايقاف تيار تلك البدعة فجمع الاساقفة الموجودين بالاسكندرية سنة ٣١٩ م وبعد فحص تعليم اريوس بان الابن مولود من الآب فلا يمكن أن يكون مساوياً له في الازلية حكموا بان يقلع عنه ويكف عن نشره واجتهدوا في رده عن ضلاله بواسطة النصائح المقرونة بروح الوداعة والمحبة ووقع على الحكم ٣٦ قسيساً و٤٤ شماساً الا ان هذه الملاطفة زادته تكبراً وجسارة فشرع يعلم جهاراً مستعملا كل نوع من الخداع لاستمالة القلوب اليه : وكان يدعى ان تعليمه هذا لا يدحض سوى هرطقة سابليوس . وبهذه الحيلة توصل الى اغراء كثيرين لاسيما ذوى السيرة الرديئة

فرأى البطريرك ان الملاينة لم تنفعه فعقد مجمعاً ثانياً مؤلفاً من مائة اسقف من ليبيا من مصر سنة ٣٢١ م وحكم بحط اريوس من درجة الكهنوت وبحرمه وبدعته ومن يتشيع له . وأمضى هذا القرار جميع اساقفة المجمع ماعدا اسقفين و١١ شماساً فقطعهم البطريرك وصدق على قرار المجمع الاول وابلغ الحكم الى اريوس فأسرع هذا وبعث برسالة الى صديقه اوسابيوس اسقف نيكوميديا يوقفه فيها على الحكم الصادر ضده ويقول له بلهجة الثعالب : ـ « الى سيدي العزيز رجل الله الامين الارثوذكسي اوسابيوس . يسلم بالرب اريوس المضطهد من الاسقف اسكندر بسبب الحق الذي يعلو على الجميع الذى انت تحامى عنه ايضاً . بما ان مونيوس منطلق الى نيكوميديا رأيت لائقاً ان اكتب لك معه واخبر المحبة الوطنية والمودة اللتين تمارسها للاخوة لاجل الله ومسيحه ان الاسقف يضطهدنا كثيراً ويهيج الجميع علينا حتى يطردنا من المدينة كأننا كافرون بالله لاننا لا نتفق معه في اعلانه الجهاري بان الله ازلي والابن ازلي وبأن الآب دائماً آب والابن دائماً ابن وان الابن من الله ذاته . وبما ان اخاك

اوسابيوس القيصري وثيودوتوس وبولينوس واثناسيوس واغريغوريوس وائيتس وكل اهل الشرق يقولون ان الله كان قبل الابن وبدون بداية فهم محرومون الا فيلوغونيوس وهيلانيكس ومكاريوس الاميون الهراطقة الذين يقول احدهم ان الابن ضياء الآب . والآخر انه شعاعة منه . والآخر انه مساو للآب في كونه غير مولود . فهذا الكفر لاتطيق آذاننا استماعه ولو هددنا الهراطقة بالف ميتة مانقوله نحن ولا نعتقد به . وقد علمناه ولا نزال نعلمه انـ الابن ليس غير مولود . ولا هو جزء من غير المولود بنوع ما . ولا صنع من مادة دون . بل بالارادة والقصد وجد قبل كل الدهور وقبل كل العالمين . اله تام . المولود الوحيد الغير المتغير . وانه قبل ان ولد او خلق او قصد به او ثبت لم يكن له وجود . لانه لم يكن غير مولود قط . اننا نضطهد لاننا نقول ان للابن بداية ولكن الله بدون بداية ونضطهد ايضا لاننا نقول انه من العدم . وهذا نقوله لأنه ليس جزءاً من الله ولا صنع من مادة دون . فعلى هذا نضطهد وانت تعلم البقية . استودعك الله» اه

وقد كتب البابا الاكسندروس الى صديقه الاكسندروس اسقف البيزنطية (القسطنطنية) رسالة اتى فيها على تفاصيل بدعة اريوس وحزبه اذ ينكرون لاهوت مخلصنا ويقولون انه على حد سواء مع كل المخلوقات قال : انهم اعتقدوا بانه وجد وقت لم يوجد فيه ابن الله وذاك الذى لم يكن له وجود وجد بعدئذ ومنذئذ وجد كما يوجد كل انسان طبعاً لأنهم يقولون ان الله عمل كل الاشياء من العدم مدخلين ابن الله في هذه الخليقة لكل الاشياء العاقلة والغير العاقلة ومن المعلوم يقولون انه بطبيعة قابلة التغيير والفضيلة والرذيلة . فهذا التعليم الثائر الآن على تقوى الكنيسة هو تعليم ايبيون وارطيماس وهو نظير تعليم بولس السيماساطى » ثم يذكر البابا اسكندر اراءه كما يأتي :ـ

« اننا نؤمن كما تؤمن الكنيسة الرسولية بالاب الوحيد الغير المولود الواجب الوجود وهو عديم التغير والزوال هوهو وبغاية الكمال لايشوبه زيادة ولا نقصان معطي الشريعة والانبياء والاناجيل . رب الآباء والرسل وكل القديسين . وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد . ليس مولوداً من العدم بل من الاب الحي وليس حسب الجسد الهيولي بتفريق وفيضان الاجزاء كما زعم سابليوس

وفالنتيان بل بنوع لا يدرك ولا يعبر عنه حسب المعتقد الذي ذكرناه سابقاً . فمن يخبر بجيله لان وجوده غير مدرك عند كل الكائنات المائتة كما ان الاب غير مدرك لان العقول المخلوقة لاتقدر ان تفهم هـذه الولادة الالهية من الاب لا أحد يعرف من هو الآب الا الابن ولا احد يعرف من هوالابن الاالآب. فانه غير متغير كما ان الآب غير متغير لاينقص عن الآب شيئاً سوى انه ليس غير مولود فهو الابن الكامل وصورة الآب التامة . لهذا يجب ان تحفظ للآب غير المولود العظمة اللائقة به. وللابن يجب ان تقدم ايضا الكرامة اللائقة بانتدابنا له الولادة الازلية من الآب » اه

ولم يرضخ اريوس للحكم بل ثابر على الخطابة والوعظ مثبتاً تعليمه ومباشراً الخدمة الدينية فاستمال اليه الكثيرين وكون له حزباً ابليسياً حتى اضطر البطريرك ان يطرده من الاسكندرية هو والاسقفين المذكورين وشماسين أحدهما يسمى «أوزيوس» كان عضداً كبيراً لأريوس. فغادر اريوس الاسكندرية قاصداً فلسطين وأخذ يغتاب القديس الاكسندروس ويشنع عليه مظهراً نفسه بين الارثوذكسيين ارثوذكسياً وبذلك أثر على كثيرين وجمع له عدداً من الاصدقاء على رأسهم اوسابيوس اسقف نيكوميديا الذي كان ذا صولة عظيمة . واوسابيوس اسقف قيصرية وأوسيوس اسقف بيسيديه وبوليوس اسقف صور واغريغوريوس اسقف بيروت وجميعهم سمحوا له بعقد جمعيات دينية في أبروشيات مختلفة ليكثر عدد معتنقي بدعته فضلا عن وجود انصار له من كهنة الاسكندرية

قيل انه كان ينشر بدعته بواسطة الملحين لما كان يعلمه من تأثير الصوت في النفس . فأثبت قطعاً مشوبة بسموم هرطقته في كتاب معروف باسم « تاليا » ووقعها على الآلات الموسيقية وعلمها للشعب الذي كان يتغنى بها صباح مساء . وفي وقت وجيز امتلأت بلاد الشرق بمؤلفات مشحونة بهرطقات اريوس وبالتنديد على بطريرك الاسكندرية وكان ذلك قبل ان يتمكن هذا القديس من ان يعرف اهل كنائس الشرق بشقاق اريوس وسوء نيته فكتب اليه الاساقفة يطلبون منه ان يسحب حكمه على اريوس فرد عليهم برسائل مملوءة من الحكمة والعلم مبنية على (يو ١ : ١) (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان

الكلمة الله) فقال هذه الاية قد اوقفت العقل البشري عند حد الاسرار الالهية فان يوحنا البشير لم يستحسن البحث في ميلاد الابن لأن جوهر الكلمة الذى لا يكيف يفوق ادراك البشيرين بل الملائكة ولذلك لا أظن انه يجب علي أن اعد في صفوف الاتقياء أولئك الذين يطلبون ما وراء ذلك ولا يلتفتون لما هو مكتوب «يارب لم يرتفع قلبي ولم تستعل عيناي ولم اسلك في العظائم ولا في عجائب فوقي » (مزمور ١٣١ : ١ و٢) اه

فهكذا لما احس هذا البابا بالشر المتفاقم من جراء اعمال اريوس اتخذ طريقة فعالة لايقافه عند حده ومنع سريان بدعته فكتب تلك الرسائل الانجيلية المحضة الى اساقفة كل الكنائس اوضح فيها الاسباب التى حملته على حرمان اريوس وقطعه من شركة المؤمنين وكيف انه لا يسمح بقبوله مرة اخرى ما دام مصراً على ضلاله فاقتنع بعض الاساقفة باقوال القديس الكسندروس ورجعوا الى التمسك بالحق الا أن اشياع اريوس عقدوا مجمعين الاول في بيثينه سنة ٣٢٢ م والثاني في فلسطين سنة ٣٢٣ م قرروا فيها لغو الحكم الصادر على اريوس من بطريرك الاسكندرية . وبناء على هذا القرار رجع اريوس الى الاسكندرية لينازع مستقيمي الرأي فاستفحل الخلاف بين أنصاره وبين انصار البطريرك وقد انتهت بهم الحال الى المجادله على قارعة الطريق حتى اصبحوا هزءاً لناظريهم من الوثنيين . فاضطر البطريرك تلقاء هذا الاضطراب ان يشهر حرمان اريوس ويطرده من المدينة مرة ثانية وقام ايضاً تلميذ البطريرك الاسكندري الشماس اثناسيوس بكتابة المنشور السنوى ضد بدعة اريوس وبين ان تعليمه يأول الى تعدد الالهة وقياس الغير المحدود بمقاييس بشرية والايمان ببعض الكتاب دون البعض الاخر ووقع هذا المنشور ٣٦ كاهناً و ٤٤ شماساً . وكان لأوسابيوس اسقف نيكوميديا المذكور كرامة عند كونسطاسيا أخت الملك قسطنطين الكبير الذى كان حينئذ ساكناً في نيكوميديا . فتمكن بواسطتها ان يستميل قسطنطين الملك الى أريوس . وكان الملك يعرف شيخاً جليلا كان عمره حينئذ ٦٧ سنة من رؤساء الاساقفة اسمه أوسيوس اسقف قرطبه من اسبانيا الذى كان قد اعترف بالايمان في عهد اضطهاد مكسيميان . وكان مشهوراً بسعة علمه ومزيد اطلاعه فأستدعاه اليه وأرسله الى الاسكندرية ليتوسط

لدى بطريركها في أمر صلحه مع أريوس وأرسل معه خطاباً رقيقاً الى الاخصام ينصحهم فيه بان يكفوا عن النزاع . وكان قسطنطين بسبب خداع أخته واسقف نيكوميديا له ينظر الى أريوس كانسان صالح ولذلك طلب من البابا الكسندروس أن يمتنع عن اضطهاده ظالما وكتب الى اساقفة الشرق مظهراً لهم أن أريوس كاهن باروغيور على الايمان المستقيم

ولما حضر أوسيوس أسقف قرطبة الى الاسكندرية عقد مجمعاً سنة ٣٢٤ م لم يتمكن فيه من عمل أي شيء في سبيل الاتحاد وذلك لكثرة التعديات التي جرت من الاريوسيين على مستقيمي الايمان وحدثت مشاغبات حطمت فيها بعض تماثيل الامبراطور ولأجل ذلك اشترك أوسيوس مع الكسندروس في حرمان أريوس في ذلك المجمع وعاد أوسيوس الى نيكوميديا وأوقف الملك على جلية الخبر وان أريوس وأعوانه هم المخطئون وأعلن له رغبة البطريرك الاسكندري في اقامة مجمع عام وانه هو يصادق على هذا الاقتراح . فارتضى قسطنطين وبناء على ذلك التأم ذلك المجمع المشهور في مدينة نيقيه سنة ٣٢٥ م حضره القديس الكسندروس يرافقه تلميذه اثناسيوس . وبعد جدال طويل سيأتي في محلة حكم المجمع بقطع اريوس وأتباعه ونفيه الى الايريكون وأثبت كل مافعله القديس الكسندروس ثم كتب المجمع رسالة الى كنيسة الاسكندرية وأثنى فيها كثيراً على جهاد بطريركها فرجع القديس الى كرسيه فقابله الاكليروس والشعب بما يستحقه من الاحترام والاجلال رجل ضحى كل شيء فى سبيل حفظ نقاوة ايمان ابن الله . وكثيرون من الذين انخدعوا باوهام اريوس رجعوا الى حظيرة الايمان المستقيم

ويقال ان هذا البطريرك العظيم هو الذي كسر صنم النحاس الذى كان فى هيكل زحل بالاسكندرية وكانوا يعبدونه ويجعلون له عيداً في ثاني عشر هاتور ويذبحون له الذبائح الكثيرة فأراد البابا الكسندروس كسر هذا الصنم فمنعه أهل الاسكندرية فاحتال عليهم وتلطف في الحيلة الى أن قرب العيد فجمع الناس ووعظهم وقبح عندهم عبادة الصنم وحثهم على تركه وأن يعمل هذا العيد لميخائيل رئيس الملائكة فان هذا خير من عمل العيد للصنم فلا يتغير عمل العيد الذي جرت عادة أهل البلاد على عمله ولا تبطل ذبائحهم فيه فرضي الناس بهذا ووافقوا

على كسر الصنم فكسروه وأحرقوه وعمل بيته كنيسة على اسم الملاك ميخائيل وجمع أحجاراً من صنم هيكل سيرابيس وصنعها صليباً ولم تزل هذه الكنيسة بالاسكندرية الى أن احترقتها جيوش المعز لدين الله أبي تميم معد لما قدموا في سنة ٣٥٨ هـ وكانت تسمى كنيسة القيامة واستمر عيد ميخائيل عند مسيحيي مصر باقياً يعمل في كل سنة الى يومنا هذا

أما البابا الكسندروس البار فبعد خمسة أشهر من عودته من مجمع نيقية مرض المرض الاخير وأشار قبل موته على الكنيسة المصرية أن تختار بعد وفاته اثناسيوس تلميذه بطريركا . وقيل انه في آخر ساعاته قال « باطلا يهرب اثناسيوس انه لاينال مأربه » ففتشوا على اثناسيوس فوجدوا انه قد هرب حقاً ثم رقد هذا الحبر الارثوذكسي الغيور في ٢٤ برموده سنة ٤٣ ش و ٣٢٦م

(٤) اثناسيوس ١ — البطريرك العشرون . ولد بمدينة الاسكندرية سنة ٢٩٦ م من والدين مصريين [1] وثنيين كانا معتبرين لكثرة غناهما وشريف نسبهما وكان وحيداً لهما وتوفي والده وهو صغير وحينما بلغ سن الرشد أخذت والدته تحسن له الزواج وتغريه على قبوله بطرق مختلفة وما كانت ترى منه الا الرفض والاباء مع حسن منظره وحدة صباه حتى قيل انها سلطت عليه مرة احدى البغيات لتفسد عفته وتستولى على ثباته فلم تفلح وكانت تأخذ البنات الحسان وتزينهن وتدخلهن عليه في مرقده فكان اذا استيقظ ضربهن وطردهن وذلك لان هذا الغلام كان قد سر من عشرة أولاد المسيحيين الاتقياء الذين نذروا أنفسهم للرب ورغب أن يكون واحداً منهم ولما شكت أمره لرجل ساحر

---

(١) يدلك على قبطية اثناسيوس تتلمذه للقديس انطونيوس الذي لم يكن يعرف غير اللغة القبطية . ولما كان اثناسيوس برومية بعث لرهبان مصر برسالة مكتوبة بلغتهم ولغته القبطية . وقال مؤلف كتاب «الدر المنظوم» ص ٣٠ وهو ماروني «أن اثناسيوس لما كان يكتب باللغة اليونانية أحصي بين ابناء الكنيسة اليونانية مع كونه قبطياً» اه وقال العلامة ستانلي «ان اوصاف شعره تشبه اوصاف شعر المومياءات المصرية المحنطة اي «شعر خفيف اسمر اللون ضارب الى الحمرة » ولا عبرة بأن اسمه قد يغري على الحكم بانه يوناني اذ نجد في التاريخ اسماً يونانياً بحتاً مثل « انطون » قد سمي به شخص لا مشاحة في انه قبطي صميم » اه (الكرمه ٩ : ٤ ص ١٨٤)

وثني طلب أن يأكل معه فأولمت لهما وليمة عظيمة وبعد ذلك قال لها الفيلسوف الوثني لا تتعبي نفسك فان ابنك يتبع طريق الجليلي فأخذت تبحث عن هذا الجليلي حتى أهتدت الى القديس الكسندروس البطريرك فبشرها باسم المسيح ونالت على يده المعمودية مع ابنها

وذات يوم بينما كان البابا الكسندروس منتظراً مجيء بعض الاكليروس لتناول الطعام معهم وكان جالساً في شرفة تطل على البحر حيث كان بعض الغلمان يلعبون . وبعد ان تأملهم جيداً وجدهم يعمدون بعضهم بحسب نظام الترتيب الكنسي تماماً . ولما جاء الاكليروس أمرهم باستدعاء أولئك الغلمان فلما مثلوا أمامه رأى ما هو اعجب وذلك أن احد هؤلاء الاولاد وهو اثناسيوس كان يجري العماد بالطريقة القانونية لأترابه الوثنيين الذين لم يكونوا قد تعمدوا بعد وبعد مناقشة دارت بين البطريرك واكليروسه اتفق رأيهم على الاعتراف بصحة ذلك العماد والاكتفاء بأجراء خدمة التثبيت للمتعمدين . ثم رشحوا اثناسيوس وبعض الاولاد الذين اشتركوا معه في اجراء هذه الفريضة الى رتبة الكهنوت

والمستفاد من كل ذلك ان نجابة اثناسيوس وحذاقته ظهرتا عليه منذحداثته وقد استكشف ذلك فيه معلمه الكسندروس البطريرك ولهذا أخذه من أمه ووضعه في الدار البطريركية واعتني بتهذيبه وتثقيف عقله بالعلوم فبرع براعة عجيبة ونال حظا وافراً من العلوم اللاهوتية والفلسفية حتى غدا علامة بين أهل عصره . هذا فضلا عما كان متوشحاً به من التقوى والقداسة . وقيل أنه تتلمذ للقديس انطونيوس ابي الرهبان واقتبس عنه فضائل النساك والمتعبدين . وكان يظهر فى كل وظيفة يتحصل عليها ما يؤهله لنوال أعظم منها فاذ كان تلميذاً أصدر سنة ٣١٨م رسالة ضد الوثنيين دلت على غزارة مادته وقوة حجته فكان ذلك سبباً في أن أعجب به البابا الكسندروس فسامه شماساً وبعد ذلك صار رئيس شمامسة الكرسي البطريركي سنة ٣١٩ م ثم صار مساعد البطريرك يحيل عليه المشكلات والمعضلات ليكشف عن غوامضها . وفي هذه الاثناء ظهرت مواهب اثناسيوس مع حداثة سنه وهو الذي حضر المجمع الاسكندري الملتئم سنة ٣١٩ م وأمضى كرئيس شمامسة رسالة بطريركه ضد اريوس كما وجد اسمه محرراً في أكثر

الرسائل البطريركية . ثم تقدم في ميدان الحرب مع أريوس الهرطوقي فاستصحبه البطريرك معه الى مجمع نيقيه وهناك أخذ اثناسيوس رئيس الشمامسة ومشير البطريرك يفند آراء الاريوسيين ويبطل أدلتهم ويدحض براهينهم السفسطية واظهر من الغيرة على أزلية المسيح ماجعله موضوع اعجاب آباء مجمع نيقيه كلهم فاندهشوا من حذاقة لبه وصحة فكره حتى قيل ان قسطنطين الملك قال له قبل ارفضاض المجمع كأنه يتنبأ له « انت بطل كنيسة الله »

وقال سقراط المؤرخ الكنسي « ان فصاحة اثناسيوس في المجمع النيقاوي قد جرت عليه كل البلايا التي صادفته في حياته » ومع ان آباء المجمع احتجوا على وجوده بصفته رئيس شمامسة فقط لكنه بعد افتتاح الجلسة صار يتكلم ويحاج خصومه كأنه هو بابا الاسكندرية بعينه

وبعد نياحة البابا الكسندروس انتخب اثناسيوس خلفاً له بناء على وصيته ومع ان اثناسيوس حاول الافلات من عبء هذه الوظيفة المحفوفة بالمشقات الا أن الكنيسة لم تجد من يليق لها أكثر منه فبحثوا عنه كثيراً حتى وجدوه في مكان اختبأ به فأحضروه بفرح شديد ورفعوه الى رتبة البطريركية في أواخر سنة ٣٢٦م وفي شهر بشنس سنة ٤٣ش في عهد قسطنطين قيصر وكان عمره وقتئذ ٢٨ سنة ووضع عليه الايدي لاول مرة خمسون أسقفاً من أساقفة الكراسي المجاورة وقد حاول الاريوسيون أن يمنعوا انتخابه خوفاً من مقاومته لهم فلم يفلحوا

هذا هو اثناسيوس بطل الارثوذكسية العظيم الذي قيل ان الله انتخبه ليريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمه. فلم يكد يعتلي الكرسي المرقسي حتى تألب الاريوسيون لاسقاطه فوشوا به الى الملك قسطنطين الكبير بان ارتسامه لم يكن قانونياً ولكن كثيرين من الارثوذكسيين اثبتوا حقيقة ارتسامه ومنهم القديس باخوميوس الناسك المصري الذي حين ارتقاء البابا اثناسيوس الى الكرسي رأى رؤيا وفيها قال روح الله « اني قد اقمت اثناسيوس عموداً ونوراً لكنيستي وستناله شدائد وتلقى عليه تهم كثيرة لاجل مناضلته عن حق الديانة. الا انه بالقوة الالهية يظفر بكل التجارب ويبشر الكنائس بحق الانجيل » وقد اخذت بشائر هذه النبوة تظهر حالما استلم هذا الحبر عصا الرعاية فانه اخذ ينشر كلمة الانجيل داخل القطر وخارجه . وكان



« البابا اثناسيوس الرسولي في شيخوخته »

اول اثمار مجهوداته تأسيس كنيسة الحبشه ورسامة فرومنتيوس اسقفاً عليها سنة ٣٣٠ م الامر الذي سنفصله في اعمال ابطال الكنيسة القبطية بقسم مشاهير الكنيسة

وانتهز البابا اثناسيوس فرصة السلام والهدوء فقام برحلة يفتقد فيها رعاياه ومضى في سياحته لغاية اسوان فاستقبله الرهبان تحت رئاسة الراهبين العظيمين باخوميوس وبلامون استقبالا عظيما وهم يرعون المزامير

وقد أبتدأ جهاد هذا البطل بسبب عودة المنازعات بشأن القضية الاريوسية

وذلك ان كونسطاسيا شقيقة الملك أوصت اخاها وهي على فراش الموت بقس اريوسى اعتنت به دائماً لانه كان أبا اعترافها فلما فاز هذا الكاهن الاريوسى برضاء الملك أخذ يقنعه بمساعدة اوسابيوس اسقف قيصرية ببراءة أريوس وانه نفي ظلماً لان اعتقاده موافق لمعتقد المجمع النيقاوي . فجازت المكيدة على قسطنطين واستدعى اريوس من منفاه فحضر وقدم للقيصر صورة ايمان ملتو كانت حسب الظاهر ارثوذكسية فرضي قسطنطين بقبوله وارسله بمكاتيب توصية الى الاساقفة باورشليم فقبلوه في شركتهم اكراماً لخاطر الملك . ثم عفى قسطنطين عن كل الاساقفة الذين كانوا قد نفوا بسبب الاوريوسية . فما استقر هؤلاء الذئاب في كراسيهم ولا سيما اوسابيوس اسقف نيكوميديا وتيوغنيس اسقف نيقيه حتى عقدوا مجمعاً في انطاكية سنة ٣٢٩ م حكموا فيه بعزل بعض الاساقفة الارثوذكسيين بحجة انهم من اتباع سابليوس . ثم أخذوا توصية من الملك وصورة ايمان اريوس وارسلوهما معه الى البابا اثناسيوس ليقر بقبوله في شركة الكنيسة

فلما اطلع البطريرك الاسكندرى على التباس اريوس أبى قبوله واعتبر رضى الاساقفة في اورشليم والملك عنه مخالفة لقوانين الكنيسة . ثم طرده من الاسكندرية فرجع الى الملك بالخيبة والفشل . اما البطريرك فبادر حالا وأرسل للملك رسالة يقول فيها « انه لا يمكنه ان يقبل في كنيسته رؤوس الهراطقة المحرومين من المجمع النيقاوى وان الكنيسة عموماً لا تقبل في شركتها اناساً ينكرون الوهية يسوع المسيح » اه فتوهم الملك انه يفعل ذلك لاختلاف شخصي بينه وبين اريوس وكان الاريوسيون يسعون سعياً حثيثاً ليلطخوا صيته عند الملك فطفقوا يشنعون عليه بانه وضع على مدينة مصر ضريبة جديدة لربح كنيسته ولعمل حلل بيضاء من الكتان (توانى) للاكليروس ولكن عناية الله سخرت له كاهنين كانا عند الملك وهما ايبيوس ومكاريوس فبرآه من هذه التهمة وفوق ذلك حضرت سفارة من حزب ميليتس من الاسكندرية عند الملك ووشت بالبطريرك ايضاً بانه ارسل مبلغاً وافراً من المال الى فيلومنوس عدو المملكة الذى كان عازماً ان يملك بلادمصر وأقاموا ثلاثة شهود ادعوا ذلك.

ومن دعاوى الاريوسيين عليه ايضاً انه كسر كأساً مكرسة وهدم كنيسة . فلأجل ذلك أمر الملك بان يحضر البطريرك ويبرىء نفسه مما قرفوه به ويدفع تلك التهم عنه . فحضر وكذب كل ما قرفوه به وأظهر خبث اعدائه فرده الملك الى كنيسته ومدحه كثيراً في رسالة يقول فيها « اني قبلت باكرام اثناسيوس اسقفكم كقبولي رجل متنور من الله ومما سمعته منه ورأيت فيه فقد ظهر لي انه رجل جليل القدر وان كنيستكم في احتياج اليه لانه عالي الهمة وذو عناية بحفظ الحق والديانة ومحب السلام وقابل للصواب » اه

فلم يكتف الاريوسيون بذلك بل ازداد هيجانهم ولفقوا ضد القديس تهماً جديدة وقدموها الى الملك فلم يبال بهم هذه المرة بعد ما اتضح له كذبهم في الدعاوى الأولى وحولهم على أخيه دلماتيوس ليسمع شكواهم وبناء على ذلك ذهب البطريرك الى انطاكية وقدم الادلة على براءته بما أخجل اعداءه وسربلهم بعار الكذب مرة أخرى ورجع الى مقر كرسيه بكرامته مصحوباً بمكاتيب رسمية علقها على جدران الاماكن العمومية بالاسكندرية اظهاراً لبراءته ولما لم ينجحوا بهذه الطريقة ايضاً دبروا مكيدة أخرى وهي انهم استدعوا الاساقفة الى عقد مجمع في قيصرية وفلسطين لفحص التهم الموجهة الى البطريرك الاسكندري واذ كان هذا القديس عالماً باغراضهم امتنع عن الحضور ولكنه اضطر أخيراً بأمر الملك الى الحضور وأخذ معه ثمانية واربعين من اساقفته الى المجمع الذي كان قد انتقل الى مدينة صور وانعقد في سنة ٣٣٤ م وكان اعضاؤه من اساقفة الشرق واكثرهم اريوسيين والمتقدم في المجمع اوسابيوس اسقف قيصرية المعروف بانه من أشد انصار اريوس تعصبا له وأناب الملك عنه ديونيسيوس من كبار الوطفين وارسل للمجمع كتاباً يحمل فيه على اثناسيوس ويقر أعمال حزب اوسابيوس

فجاء القديس اثناسيوس الى المجمع ومع انه كان ينبغي ان يكون هو المتقدم فيه بالنسبة لاهمية مركز بطريركيته الدينية والمدنية ولكنهم لم يسمحوا له ان يجلس مع الاساقفة . ولما رأى ذلك القديس بوتامون اسقف هراقليا نهض من كرسيه وبعين تذرف الدموع قال لأوسابيوس القيصري « من يحتمل ان تكون انت جالساً على كرسي التقدم واثناسيوس يقف كرجل مذنب أما تذكر

أني القيت واياك في السجن في زمن اضطهاد الوثنيين وانى من أجل الايمان عدمت عيني اليمنى وأنت خرجت سالماً من السجن فكيف أمكنك الخروج سالماً » اه

ثم تبعه القديس بفنوتيوس وأخذ معه القديس مكسيموس اسقف أورشليم وخرجا من المجمع والدموع تقطر من عيونهم فلم يهتم الاريوسيون بذلك بل شرعوا يعددون مااخترعوه من التهم الفاسدة ضد القديس

ومن تلك التهم انه اقترف اثم الفسق مع بتول راهبة وأدخلوا امرأة زانية ادعت في مجمعهم بان اثناسيوس اغتصبها وسلبها بكارتها . فنهض تيموثاوس قس الكنيسة الاسكندرية موهماً اياها بانه هو اثناسيوس اذ لم تكن تعرفه وقال لها « أنا أيتها المرأة الذي زنيت بك كرهاً » فأجابت تلك الفاجرة بجسارة غريبة « نعم انت يا اثناسيوس أغويتني وأفقدتني عفتي التي نذرتها للرب » ثم تظاهرت بالبكاء طالبة من المجمع أن ينتقم لها ممن أفسد عفتها الأمر الذى أضحك الارثوذكسيين وأخجل الاريوسيين

ثم ادعوا على القديس بانه ساحر ورغبة في اتمام عمل سحري دس السم لواحد من اتباع ميليتس اسمه ارسانيوس اسقف هبسيل (شطب) وقطع ذراعه واستخدمه في السحر والشعوذة . وجاءوا بدليل على اثبات هذه التهمة وهو يد مبتورة من جثة قالوا انها يد ارسانيوس . وكان الاريوسيون قد اتفقوا مع ارسانيوس ان يهرب الى الصعيد ويختفي فيه حتى تجوز حيلتهم على الامبراطور . فذهل البطريرك لدى سماعه هذا الافتراء ولعلمه بان ارسانيوس حي يرزق أنفذ شماساً الى الصعيد للبحث عنه . وكان ارسانيوس مقيما في أحد الأديرة وقبل وصول الشماس اليه كان بينس رئيس الدير قد أرسله الى صور حتى لا يعلم مقره غير أن الشماس القى القبض على رئيس الدير وراهب آخر اسمه هلياس في أثناء رجوعهما من تشييع ارسانيوس وأحضرهما أمام حاكم الاقاليم حيث اعترف بينس بان هذه التهمة لايمكن أن تثبت ضد اثناسيوس لان العالم أجمع يعرف ان ارسانيوس لم يزل حياً

أما ارسانيوس فأقلع عن ضلاله ورذل بدعة اريوس وجاء الاسكندرية ليتوب بين يدي القديس اثناسيوس فلما رآه رؤساء الكهنة أرسلوه حالا الى صور لشدة الحاجة اليه فوصل اليها قبل تقديم تهمته ضد البطريرك بليلة واحدة فلما رآه

القديس اثناسيوس شكر الله وأخفاه في مكان قريب من المجمع

وفي اليوم التالي اخذوا يحتجون بشدة على القديس لانه قتل ارسانيوس واخذوا يرفعون اليه اليد المبتورة قائلين « هذه تشتكي عليك يا اثناسيوس » فوقف القديس في وسط المجمع وقال بسكون تام هل يوجد فيكم من يعرف ارسانيوس اجابوا انهم يعرفونه . حينئذ قام ارسانيوس في الوسط . فلما قالوا هو حقاً نزع القديس عن ارسانيوس رداءه واظهر يديه صحيحتين ثم قال لمن هذه اليد الثالثة المقطوعة؟

فلشدة ما أصابهم من الخزي اضطربوا وماجوا وانتهز احدهم المدعو يوحنا هذه الفرصة للهروب لانه هو الذي دبر هذه المكيدة وعليه تقع مسؤوليتها ولكنه انتظر حتى هدأوا ووسوس اليه الشيطان ان يقول « ان هذا دليل جديد على مقدرة اثناسيوس في علم السحر لانه بقوة سحره اعاد ارسانيوس الى الحياة » فاشتد سخط القوم وزاد حنقهم على هذا البطريرك البائس وصاحوا جميعهم سحار . سحار . اقتلوه وهموا باهلاكه وكادوا يفتكون به لولا ان الامير ديونيسيوس خلصه من أيديهم وانقذ حياته من العطب

ثم جددوا عليه تهمة انتهاك حرمة الاسرار المقدسة بايعازه الى احد تلاميذه المدعو مكاريوس ان يهدم كنيسة اسخيراس الهرطوقي عنوة ويحرق كتبها وحطم فيها كأساً مكرسة . واصل هذه الحكاية ان قساً اسكندرياً يدعى كولوتوس انشق من الكنيسة واخذ يعين قسوساً من العلمانيين فحوكم امام مجمع بالاسكندرية وحكم عليه بالتجريد من رتبته هو ومن رسمهم وكان منهم رجل يدعى اسخيراس استهان بحكم المجمع ومضى الى قريته باقليم مريوط وصار يعقد فيها جمعية صغيرة في غرفة حيث لم تكن كنيسة هناك . فارسل اليه البطريرك القس مكاريوس ليؤنبه على فعله فوجده طريح الفراش فلم يكلمه فقط وبخ اباه على ما يأتيه ابنه فوعده ابو اسخيراس بارجاع ابنه عن عمله الرديء . غير ان اسخيراس بعد شفائه انضم لحزب ميليتس ورفعت دعواه سابقاً الى الملك فبرهن البطريرك على عدم وجود كنيسة هناك وانه وقت ما ارسل اليه مكاريوس لم يكن يؤدي خدمة دينية بل كان مريضاً بل ان اسخيراس نفسه فيما بعد اقر في محضر امضاه ثلاثة عشر قساً

من الاسكندرية ومربوط بما نصه « يشهد الله ان لا علم لي بما تقولون عن هذه التهمة التي لفقها بعضهم بل انني اصرح جهاراً بعدم وجود كأس كسرها احدهما او ان شخصاً ما مد يده بسوء نحو شيء من متاع كنيسة لامعرفة لي بوجودها ولكنني اقول الحق وهو ان بعضهم اضطر في اضطراراً للاقرار بتلك التهمة الملفقة » اه

ومع ان هذه الدعوى انتهت امام الملك قسطنطين سابقاً الا انه لما رفض البطريرك قبول اسخيراس وهو متمسك بمبادي ميليتس عاد الاريوسيون في مجمع صور وجددوا تهمته . ولعدم وجود دليل على صحة هذه التهمة ارسل ذلك المجمع ستة اساقفة اريوسيين لتحقيقها بمصر . فما وصلوا الى الديار المصرية حتى حرروا محضراً مشحوناً بالاقاويل الكاذبة التي بنى عليها المجمع الشرير حكمه ضد القديس اثناسيوس بتجريده من درجة رئاسة الكهنوت وعزله عن الكرسي الاسكندري . وعلى اثره انتقل الاساقفة الاريوسيون المجتمعون في صور الى اورشليم لتدشين الكنيسة التي اقامها القيصر قسطنطين هناك فاثبتوا حكمهم الاول في مجمع خبيث عقد في اورشليم سنة ٣٣٥ م

وكان القس مكاريوس تلميذ اثناسيوس قد طرح في سجن صور بدعوى هدمه لكنيسة اسخيراس فعزم القديس اثناسيوس على رفع دعواه مباشرة الى الملك فاستصحب معه خمسة من اساقفته في اول سفينة اقلعت من صور الى القسطنطينية . غير ان الاريوسيين اقنعوا الملك بان اريوس على ايمان مجمع نيقيه ولان قوسطنس ابن الملك كان اريوسياً تقوى ذلك الحزب ونال حظوة عند الملك ولم يستطع البطريرك الاسكندري ان يخاطب الملك لان اشراف الدولة لم يسمحوا له بذلك اكراماً لخاطر قسطنس

وحدث ذات يوم ان الملك كان خارجاً للنزهة في موكب حافل فأوقفه شخص غير معروف ووضع يده على زمام جواده طالباً منه الانصاف فلم يعرفه قسطنطين في باديء الامر ولكن الرجال الملتفين حوله اخبروه انه اثناسيوس فغضب قسطنطين واطلق لجواده العنان ودفعته الجنود لكي لايقترب منه . فحينئذ هتف اثناسيوس قائلا « ايها الملك اسأل جلالتكم شيئاً واحداً وهو ان تحضر خصومي

الذين حكموا علي وتسمح لي بان أتناقش معهم امامك » فلم يسع الملك رفض طلبه وأمر باحضار الاساقفة الاريوسيين الى القسطنطينية . فلما وصلهم الخبر وهم في اورشليم انزعجوا لعلمهم بقوة حجة خصمهم ورجعوا الى ابروشياتهم خائفين ولم يلب أحد منهم دعوى الامبراطور سوى اوسابيوس النيكوميدي وبعض الاساقفة الا انهم لما اجتمعوا باثناسيوس امام الامبراطور لم يأتوا بذكر تهمة واحدة من التهم الاولى لعلمهم ببطلانها فاخترعوا تهمة جديدة وهي ان اثناسيوس عزم على ان يمنع المراكب التي كانت تأتي مصر الى القسطنطينية حاملة ضريبة الحنطة .

وكان قسطنطين غيوراً على سلطته فاحتدم غيظاً عند سماعه هذه التهمة الكاذبة ومع ان اثناسيوس انكر صدور ذلك منه ولكن الامبراطور قاطعه ولم يرد ان يسمع منه كلمة واحدة لا سيما لما رآه يكلمه بدون تهيب وحكم بنفيه الى مدينة تريف (١) فلما سمع القديس هذا الحكم قال للملك بشجاعة « ان الله سيقوم دياناً بيني وبينك انت الذي قبلت شكوى اعدائي وصدقتها » ومن ثم انطلق البطريرك الى منفاه مع بعض أساقفة ارثوذكسيين فوصل اليها في ٥ فبراير سنة ٣٣٥ م حيث قوبل فيها باجلال عظيم من مكسيمينوس اسقف تلك المدينة وقسطنطين الصغير قائد جنود المملكة في الغرب .

فسر الاريوسيون بذلك وطلبوا من الملك ان يعيد أريوس الى مقامه بالاسكندرية . ولكنه ما كاد يصل اليها حتى قامت قيامة مستقيمي الرأي وقفلوا ابواب الكنائس في وجهه فخشي الوالي حدوث شغب وأمره بالخروج من البلاد المصرية فغادرها الى القسطنطينية حيث لقي حتفه كما سيأتي ذكره

أما الكنيسة المصرية فتدلبست شعار الحزن على ابعاد رئيسها الأمين ولذلك كتب الارثوذكسيون في مصر الى القديس انطونيوس كوكب البرية ليتوسط لدى الملك في ارجاع بطريركهم فحرر له رسالة لم تأت بفائدة بل رد عليه الملك جواباً شديداً قال فيه عن البطريرك الاسكندري انه رجل جسور ومتكبر وغشاش . غير انه بعد موت اريوس صمم قسطنطين على اعادة القديس اثناسيوس

(١) تقع في الجنوب الغربي من فرنسا

الى كرسيه فلم يمهله الاجل وبعد موته استولى ابنه قسطنس الأريوسي على الشرق وقسطنطين الثاني الارثوذكسي على الغرب . وقيل ان قسطنطين الكبير أوصى قبل موته بالبابا اثناسيوس فطلبه ابنه قسطنطين مستقيم الايمان من منفاه هو وجميع الاساقفة الارثوذكسيين وطيب خاطره وارجعه الى مركزه مع رسالة كان يمدحه فيها جداً ويقول له « ان اباه المعظم ارسله الى تريف لكي ينقذه من ايدي اعدائه » وكان قدوم البطريرك الى مدينة الاسكندرية في شهر نوفمبر سنة ٣٧٨ م بعد ان أبعد عنها مدة سنتين واربعة اشهر فقوبل باحتفال حافل أبدى فيه الشعب المصرى من السرور والشكر مالا يوصف

ولم يجسر قسطنس الاريوسي ان يضاد أخاه بل صبر قليلا حتى يجد فرصة مناسبة لقضاء مأربه . ولا ريب ان نبأ رجوع بطريرك الاسكندرية اليها وقع وقعاً سيئاً في نفوس الاريوسيين الذين كانوا قد تقووا وعظمت شوكتهم فعملوا ثانية على الايقاع بعدوهم اثناسيوس مستندين على مساعدة قسطنس الملك الاريوسي الذي عين اوسابيوس اسقف نيكوميديا بطريركاً على القسطنطينية رغماً عن عدم رضاء الشعب

فعقد الاريوسيون مجمعاً في انطاكية سنة ٣٤٠م حكموا فيه بعزل اثناسيوس بابا الاسكندرية وأقاموا مكانه رجلا منهم اسمه بسطس كان من ضمن القسوس الذين تشيعوا لأريوس وأوقع عليهم البطريرك الكسندروس حكم الحرم معه . ثم بعثوا بقرار هذا المجمع مع ثلاثة من القسوس الى رومية لعلمهم بان اسقف رومية ينحاز اليهم اذا أظهروا احترامهم له . ولما لم يكن اسقف رومية ملماً بحوادث الشرق ارسل خطاباً رقيقاً الى بطريرك الاسكندرية مصحوباً بالشكاوي المقدمة ضده من حزب اريوس واتهمها انه رجع الى كرسيه بدون قرار مجمع . فلما وصلت رسالة اسقف رومية الى بطريرك الاسكندرية عقد مجمعاً في الاسكندرية سنة ٣٤٠ م اجتمع فيه نحو ثمانين اسقفاً احتج فيه على اعمال الاريوسيين وارسل رسلا الى اسقف رومية بقرار ذلك المجمع الذي يتضمن عدم رضاء المصريين على بطريرك غير بطريركهم وبرسالة أقاموا فيها الادلة القوية على براءته وطهارة ذيله من كل تهمة معزوة اليه وقالوا فيها « ان الغرض الوحيد الذي يرمي اليه اوسابيوس

هو تعميم بدعة أريوس ونشرها في مصر » ثم حرر القديس اثناسيوس رسالة دورية بعث بها الى جميع اساقفة المسكونة مظهراً فيها براءته وطاعناً في قانونية المجامع الاريوسية بقوله « ان مثل هذه المجامع ليس لها ان تقاضي اسقف كنيسة الاسكندرية الذي لا يقاضيه الا مجمع مسكوني يمثل الكنيسة بأسرها » اه

وبناء على ذلك اقترح اسقف رومية عقد مجمع لفحص شكاوي الطرفين ولكن حدث في سنة ٣٤٠ م ان قسطنطين الثاني نصير الارثوذكسيين قتل فخلا الجو للأريوسيين فعقدوا مجمعاً في انطاكية سنة ٣٤١م حضره الملك قسطنس برئاسة اوسابيوس بطريرك القسطنطينية أيدوا فيه الحكم الاول . ولكراهة الشعب الاسكندري ليسطس المذكور سابقاً عرض الاريوسيون الكرسي على اوسابيوس الحمصي فرفض لعلمه بمحبة المصريين لبطريركهم اثناسيوس . ولكن الاشرار وجدوا أخيراً رجلا عاتياً عنيداً يدعى غريغوريوس الكبادوكي ارسلوه الى الاسكندرية ليأخذ كرسي القديس اثناسيوس

أما غريغوريوس هذا فأصله من مدينة كبادوكية ولكنه تعلم في مدينة الاسكندرية ولقي من القديس اثناسيوس كل عناية واحترام . ولما تعين غريغوريوس بطريركاً على الاسكندرية قامت قيامة الشعب الارثوذكسي وتألفت جمعية قوية لتحتج على هذه الاعمال المستغربة واظهروا استعدادهم لعدم قبول أي انسان يكون رئيساً عليهم سوى اثناسيوس . ولكن لما وصل غريغوريوس الى الاسكندرية تقابل مع الوالي فيلاغريوس وكان صديقه واتفق معه على الاستيلاء على الكنائس بالقوة وهجم مرة على الكنيسة قصد الايقاع بالقديس اثناسيوس وبعد ان مثل بالعابدين تمثيلا شنيعاً تمكن القديس اثناسيوس من النجاة فقد انقذته قوة الله من ايدى اعدائه اذ كان منزوياً في مكان خفي بداخل كنيسة القديس ثأونا وهي الكنيسة التي يصلي فيها البطريرك وله فيها مسكن خاص . فلما رأى ذلك الافتيات خرج مستتراً راجياً ان يكف المبتدعون عن مثل تلك الشرور في حال غيابه قيل انه في اثناء محاولته الهروب أغمى عليه فحمله بعض الشعب الى الخارج وسهلوا له سبيل الهرب

أما غريغوريوس فتصرف تصرف الاشرار اذ لما رأي الجو قد خلا له حجر

على قسوس الاسكندرية تعميد أحد أو زيارة مريض أو ممارسة أي عمل من اعمال وظائفهم . وفي هذه الاثناء برز محضر أمضاه الوثنيون واتباع اريوس فقطوفيه يتهمون اثناسيوس تهمات فظيعة فصمم هذا القديس على ترك الاسكندرية وقصد الى رومه رجاء ان يقيم دعواه في ذلك المجمع الذي اقترحه يوليوس اسقفها. وقبل مبارحته للاسكندرية كتب رسالة الى الارثوذكسيين ونصح لهم فيها أن يؤثروا الموت الف مرة على ان يشتركوا مع الهراطقة . ثم كتب رسالة دورية بعث بها الى جميع اساقفة المسكونة قال فيها «اني أستغيث بكم وبالارض والسماء مماحل بكنيستي . اني استغيث بكم كما استغاث ذلك الرجل الاسرائيلي الذي عند ماماتت زوجته ـ بعد ان اغتصبها منه أعداؤه ـ قسم جثتها الى اثنى عشر قسما بعث بكل قسم منها الى سبط من اسباط اسرائيل الاثنى عشر . ليتحدوا جميعاً ويأخذوا بثأر تلك الزوجة التي تمثل الاسباط كلها » اه

أما الاريوسيون فاوفدوا الى اسقف رومية القس مكاريوس والشماسين مرتيروس وحزقيوس ليعلنوه بحكمهم على اثناسيوس ويطلبوا منه قطع كل علاقة معه فقوبلوا أسوأ مقابلة حتى اضطر القس مكاريوس الى الهروب ليلا واستمر الشماسان ينتظران انعقاد مجمع يفحص القضايا التي اتيا لاجلها . وفي ذلك الحين تلقى القديس اثناسيوس رسالة من اسقف رومية يستشيره فيها عن المكان الذي يستحسنه لعقد المجمع فيه فلم يجد اثناسيوس أفضل من رومية وكان قد ترك الاسكندرية قبل عيد الفصح عقب وصول غريغوريوس اليها كما مر وأتى رومية يصحبه بعض الاساقفة وامونيوس أحد رهبان دير النطرون وهو اكبر الاخوة الذين اشتهروا بطول قامتهم وايسذوروس الراهب التقى لكى يؤيد احتجاجات مجمع اساقفته وكان قد تعلم اللغة اللاتينية ليخاطب بها اسقف رومية فتلقاه يوليوس اسقف رومية وملكهاقسطنت بكل تجلةوا كرام وحدد اسقف رومية للمجمع شهر دسمبر من تلك السنة وارسل اثنين من كهنته وهما ألبيديوس وبوليكين ليخبرا أعضاء المجمع بحضور اثناسيوس ويدعياهم الى الحضور

فلم يجتمع المجمع كما كان مقرراً له لان الاريوسيين خافوا افتضاح أمرهم كالسابق في مجمع يضمهم مع اثناسيوس ولذلك أخروا الرسولين عندهم شهرين

كاملين عقدوا فى اثنائهما مجمعاً بانطاكية عند ذهابهم اليها للاحتفال بتدشين كنيسة (الذهبية) وكان عددهم ٧٩ اسقفاً وقرروا تأييد حرمان اثناسيوس وتجريده من وظيفته وقيل انهم شجبوا بدعة اريوس ولكنهم لم يصرحوا بموافقة دستور المجمع النيقاوي ووضعوا عوضاً عنه دستوراً من اربع صور كانت اساساً للشيعة النصف الاريوسية تلك الشيعة التي تتفق مع الاريوسيين في القول « بعدم مساواة الابن لابيه فى الجوهر » وتخالفهم في القول « بازلية وجود الابن فى حضن ابيه »

وبعد ان وضع الاريوسيون تلك الصور الاربع ارسلوها الى اسقف رومية على يد مندوبيه وارفقوا بها رساله يعنفونه بها لقبوله اثناسيوس في شركته ويحتجون عليه بقولهم « ان الدعوة التي وردت الينا لحضور مجمع رومية لم تكن دعوى مجمعية بل فردية ولذا فانا لم نعتد بها » فكتب اليهم يوليوس يعرفهم بانه لم يكتب اليهم ما كتب بصفته الفردية بل بصفته ممثلا لمجموع اكليروس ابروشيته ثم قال « ان القوانين الكنسية لاتخول حق الحكم على اسقف كرسي رسولي مثل اثناسيوس الا لمجمع اساقفة الكنيسة الاسكندرية أو لمجمع مسكوني وانه في الحالة الثانية يجب اخطار جميع الاساقفة اصحاب الكنائس الرسولية » اهـ[1]

ولم يكتف اسقف رومية بذلك بل شكل مجمعاً في شهر نوفمبر من السنة ذاتها مؤلفاً من نيف وخمسين اسقفاً وفي هذا المجمع قرئت رسالة اساقفة مصر التى بها برأوه ونزهوه عن كل ما رماه به اتباع اريوس من التهم وبعد الفحص حكم المجمع بانه برىء من كل ماقرفوه به استناداً على قرار مجمع الاسكندرية

وكان يوليوس اسقف روميه فى ذلك الوقت يلاطف اثناسيوس ويرجوه البقاء عنده فقبل هذا ذلك لعلمه بعدم ملاءمة جو الاسكندرية له في تلك الاحوال واستمر برومية سنة ونصفاً وضع فيها نظام الرهبنة للرومانيين كما سيأتي معنا. وقد ادهش البابا اثناسيوس الناس قاطبة في رومية باثارة قبرى القديسين بطرس وبولس على كل عجائب هذه المدينة العظيمة فكان يذهب اليهما ملقياً نفسه امامهما

(١) اثناسيوس في احتجاجه الثاني وسوزومين ك ٣ ف ١٠ (عن مختصر تاريخ الامة القبطية ص ٤٥٣) اهـ

بجرقة دينية عجيبة

وقد استمر النزاع بين الفريقين حتى ضجر منه قسطنت قيصر الغرب وأمر بعقد اجتماع في ميلان (بايطاليا) سنة ٣٤٥ م الغرض منه الفصل في أمر الخلاف فاجتمع المجمع وقرر أعضاؤه ضرورة عقد مجمع عام فانشرح صدر البابا الاسكندري بذلك وذهب الى مدينة ميلان حيث قابل قسطنس الملك الاريوسي مقابلة خصوصية وحينئذ سار ليرى الآب الجليل أوسيوس اسقف قرطبة . أما المجمع فانعقد فى سرديكا (في اقليم الليريكون أى بلاد اليونان) مؤلفاً من مائة أسقف غربي ارثوذكسي ومن سبعين اسقفاً شرقياً اريوسياً . وترأس المجمع أوسيوس اسقف قرطبة . فطلب الغربيون أن يكون اثناسيوس عضواً في المجمع فانكر عليهم الشرقيون ذلك وتركوا المجمع مغضبين واجتمعوا وحدهم في مدينة فيلبو ولم يستحوا من أن يحرموا آباء المجمع السرديكي وحرموا الاسقف الروماني يوليوس لانه اشترك مع اثناسيوس وقد أردفوا ذلك الحكم برسالة مجمعية قالوا فيها « ان الغربيين يحاولون أن يدخلوا على الكنيسة قانوناً جديداً ليحاكموا الاساقفة الشرقيين بمقتضاه » اه

أما المجمع السرديكي فواظب على عقد الاجتماعات التي أسفرت على الحكم ببراءة البابا اثناسيوس وتثبيت قانون ايمان نيقيه وحرم الاساقفة الاريوسيين وفي مقدمتهم أورزاس وفالانس وحكموا بعزل غريغوريوس الكبادوكي ودعوه أسقفاً دخيلا بل أنكروا عليه الاسقفية [1] الامر الذى أغضب الاريوسيين فهيجوا قسطنس على الارثوذكسيين فأرسل لواليه بمصر أن يشدد على اتباع اثناسيوس وأن يضع حراساً على أبواب الاسكندرية لكي لا يدخلها اثناسيوس

---

(١) كان مما قرره هذا المجمع السرديكي منحه يوليوس اسقف رومية نظراً لما اظهره من الثبات في الايمان الارثوذكسي حق استئناف الحكم على الاساقفة اليه . بناء على ذلك يدعي الغربيون باولوية كرسيهم على باقي الكراسي ولكن ليعلم اولئك المدعون ان ما سن في هذا المجمع كان للاسقف يوليوس وحده لما أظهره من الميل للحق فقط ولم يكن غرض المجمع انيكون قانوناً عاماً لكل اسقف بعده من الذين لم يكونوا متصفين بالصفات الحسنة التي كانت ليوليوس . ناهيك من ان القانون يعطي ليوليوس حق استئناف الحكم على الاساقفة الغربيين ولا تعلق له باساقفة الشرق البتة . اه

واذا تجاسر ورجع الى كرسيه يأمر بقطع رأسه. فعمل الوالى كما أشار عليه قسطنس ونفى خمسة من القسوس الذين ينتمون الى البطريرك وكثيرون منهم اختبأوا في البراري والقفار فراراً من اضطهاد اتباع اريوس لهم . فالتزم من ثم القديس اثناسيوس ان ينفرد فى احدى مدن (تراكيا) للعبادة

وبعد أن أرفض مجمع سرديكا أوفد أعضاؤه افراتيوس اسقف كولونيا (بايطاليا) وفنسانت اسقف كابو (بايطاليا أيضاً) ليطلعا القيصر قسطنس على أحكامهم . فظهرت حينذاك دسيسة دنيئة دبرها البطريرك الاريوسي الانطاكي ضد افراتيوس بان دس امرأة زانية في مخدعه ليتهمه بالزنا غير ان هذه المكيدة افتضحت باقرار المرأة نفسها . فساء قسطنس الظن بهؤلاء المبتدعين وغير وجهه عليهم

وحينئذ دعى الملك قسطنت الارثوذكسي الغيور القديس اثناسيوس برسالة رقيقة الى مدينة اكويلا فقصد البطريرك مدينة روميه حيث ودع اسقفها يوليوس وتقابل مع الملك قسطنت فزوده برسالة الى اخيه قسطنس الاريوسى بانطاكية شديدة اللهجة يقول له فيها « انه ينادي عليه بالحرب ان لم يرجع القديس اثناسيوس الى كرسيه » وحال وصول البطريرك الى قسطنس كان هذا قد أبغض الاريوسيين لما اتضح له من شرهم فاستقبله باكرام وأقسم له انه سيحامى عنه فيما بعد وانه لم يعد يصدق كل مايقال عنه . ثم قال للقديس بناء على مشورة أولئك الهراطقة . أطلب منك ان تعطى كنيسة واحدة للاريوسيين ليصلوا فيها فقال القديس « نعم ولكن بشرط ان يعطى الاريوسيون كنيسة واحدة للارثوذكسيين في انطاكية » فتعجب الملك من هذا الجواب وابى الانطاكيون الا الاصرار على خلع اثناسيوس الا ان الملك لم يلتفت اليهم وأطلق سراحه فترك انطاكية قاصداً الاسكندرية ومر بأورشليم حيث قابله القديس مكسيموس اسقفها بسرور . وكان غريغوريوس الدخيل قد قتل في ثورة شنها عليه الاسكندريون فتمهد بذلك السبيل امام البابا الاسكندري للعودة الى مركز بطريركيته ولكن لعدم ثقته بوعد قسطنس تمهل الى شهر اكتوبر واذ لم يجد مقاومة جديدة رجع الى وطنه بعد ذلك الغياب الطويل

وبينما كان الحزن مخيماً على الاسكندرية واهلها واذا برسالة من اسقف رومية

تبشرهم بقرب عودة راعيهم اليهم ويقول لهم « اني احمد الله الذي وهبني نعمة الاجتماع بمثل ذلك الرجل العظيم » اه وان القلم يعجز عن وصف الاحتفال الذي قوبل به البابا اثناسيوس عند رجوعه الى الاسكندرية

ونكتفي بقليل من كثير مما كتبه القديس غوريغوريوس النزينزي في وصف ذلك الاحتفال قال « ان القوم توافدوا من انحاء المدينة على اختلاف نزعاتهم للقائه وما كان بهم من الوجد والهيام براعيهم جعلهم يطيرون سروراً وكان ازدحامهم أشبه بالنيل في عز فيضانه » ولما كانت المواصلات حينئذ على ظهور الحمير التي علتها الجماهير وبايديهم أغصان النخل والزيتون يلوحون بها تخيل غريغوريوس وهو يصف دخول اثناسيوس فائزاً دخول المسيح اورشليم كذلك. وذكر غريغوريوس الابسطة الثمينة التي كانت تفرش تحت قدمي البطريرك وآلاف الايدي التي كانت تبلغ حدة تصفيقها عنان السماء . والهواء وقد تشبع بالاعطار الزكية التي فاح أريجها والانوار المتألقة في شوارع المدينة

وقد روى بعض المؤرخين في خلال ذكر احتفال فخم أقامه سكان الاسكندرية لاحد حكامها المشهورين المحبوبين محاورة بين شيخ وشاب كانا بين المتفرجين فقال الشاب للشيخ « هذا احتفال فخم لا يقيمه الناس للامبراطور قسطنطين لو بعث من لحده » فقال له الشيخ « ذلك لانك لم تر الاحتفال باستقبال اثناسيوس الكبير » اه

وما كاد البطريرك يستريح من وعثاء السفر حتى أعاد جهاده في استئصال شأفة بدعة اريوس وخلع الاساقفة الاريوسيين ثم نشر رسالة في عيد القيامة سنة ٣٤٧ م قدم فيها الشكر لله على ما أولاه من نعمة الرجوع الى مقامه وختمها ببيان عن الاساقفة الذين رسمهم حديثاً والاماكن التي عينوا فيها . ثم بعث برسالة الى السياح يخبرهم فيها ان الارثوذكسيين لم يكتفوا بالفرح لعودته اليهم وانما نشطوا الى الاعمال التقوية بقوله « ان الناس في الاسكندرية شرعوا يحثون بعضهم بعضاً على ممارسة أفعال البر بحيث قد صارت تلك المدينة بستان الآداب وجنة الخلال الحسنة وحديقة الفضائل المسيحية وان كثيرين زهدوا في الدنيا واستوطنوا الفيافي ليترهبوا . وان فتيات كثيرات نذرن لله بتوليتهن وشباناً كثيرين متزوجين

عاشوا بالعفة مع نسائهم . والاغنياء وزعوا أموالهم على الفقراء وكان كل بيت نظير كنيسة » اهـ

وقد استمر البطريرك بعد رجوعه الى مصر ثلاث سنوات ذاق فيها مع رعيته طعم الراحة . غير انه حدث بعد ذلك أي في سنة ٣٥٠ م ان رجلا جرمانياً يدعى مانيانس قتل قسطنت الملك الارثوذكسي واختطف مملكته ولم يكتف بذلك بل طمع في الاستيلاء على القسم الشرقي . فأرسل الى مصر رجالا يبثون فيها روح التمرد على القيصر . غير ان حكمة البابا اثناسيوس حالت دون ذلك اذ أوصى الشعب بالخضوع للقيصر فلم تفلح مساعي مانيانس في مصر وانتشب القتال بينه وبين قسطنس الى ان قتل سنة ٣٥٣ م

وعقب قتل قسطنت الملك الارثوذكسي استأنف الاريوسيون مقاومتهم للقديس اثناسيوس فاوغروا صدر قسطنس الاريوسي عليه ووسوسوا اليه بان الله انتقم من قسطنت بالقتل لاجل مدافعته عن البطريرك اثناسيوس وانه من الواجب عزل هذا الرجل الذي كان سبباً لموت أخيه . غير ان قسطنس لم يتمكن من أذية القديس اثناسيوس حينئذ لارتباكه في القتال مع مانيانس المذكور فحرر رسالة لاثناسيوس مملوءة بعبارات الاحترام والمحبة

وبعد سنة من هذا العهد انتصر على مانيانس واستقل بالملك فوجه حربه الى الارثوذكسيين وعلى رأسهم اثناسيوس وقد احتال في مبدأ الامر عليه ليعيده الى أوربا ثانية ليسهل عليه الانتقام منه ولكنه خاب في مسعاه . ولما أحس القديس ان اعداءه أخذوا ينمون فيه ويدسون له الدسائس بعزم جديد ارسل في شهر مايو سنة ٣٥٣ م خمسة أساقفة وثلاثة قسوس الى قسطنس لاثبات براءته مما عزي اليه سابقاً وكان مع هؤلاء الاساقفة سيرابيون أسقف تميوس (١) ولكن هذه البعثة لم تصادف نجاحاً

وجمع قسطنس مجمعاً في اريلاتي (من فرنسا) سنة ٣٥٣ م (٢) وألزم أعضاءه

---

(١) كان يوجد مدينتان في مصر قديماً بهذا الاسم وكانتا اسقفيتين في وقت واحد

(٢) ان المجامع التي عقدت في مدة حكم قسطنس بسبب الخلاف بين اثناسيوس وجماعة ريوس تتجاوز الاثني عشر

ونائبي أسقف رومية (وهما فنسانت اسقف كابو ومارسيل أسقف كمبانيا بايطاليا) ان يصدروا أحكاما ضد اثناسيوس فأمضى القرار جميع الاساقفة ما عدا بولين أسقف تريف الذي أرسل الى المنفى حيث مات . وتهيج الغربيون لتوقيع نائبي أسقف رومية على قرار هذا المجمع لولا تداخل ليباريوس اسقف رومية برسالة بعث بها الى اوسيوس أسقف قرطبه قال فيها « اني لو خيرت بين الموت وبين اختصام اثناسيوس لفضلت الاول على الثاني » والتمس اسقف رومية هذا من القيصر ان يعقد مجمعاً ثانياً فتم له ذلك وعقد المجمع سنة ٣٥٥ م في ميلان وكان مؤلفاً من ٣٠٠ أسقف جلهم اريوسيون . وقد حدث في هـذا المجمع خصام شديد بين اربعة أساقفة قاموا للدفاع عن اثناسيوس وبين الامبراطور الذي اشتد غضبه لان القوم انكروا عليه سلطته الشخصية ومقدرته على معاقبة أسقف رأى ان يعاقبه بنفسه بدون قانون . وقد رد عليه الاساقفة واغلظوا له في المقال حتى قالوا له انهم لم يكونوا هنالك ليدرأوا له غلطته التي ارتكبها ثم اخبروه بصريح اللفظ قائلين « ان اثناسيوس بصفته بطريركا لا يحاكمه الامبراطور بل الاساقفة فلا تخلط جنابك بين القوانين الكنسية والاوامر الامبراطورية » فاجابهم الملك بغيظ شديد « ان ارادتي هي القانون »

غير انه كانت النتيجة ان المجمع حكم ضد اثناسيوس ولما لم يقبل ليباريوس أسقف رومية ولا اكليروسه التوقيع على ذلك نفاهم الى مدينة (بيرا) بتراقيا وأقيم مكان الاسقف الروماني شماس اريوسي يدعى فيلكس الثاني . واثار قسطنس اضطهاداً عنيفاً على الارثوذكسيين قال عنه القديس باسيليوس « انني ظننته ابتدأ اضطهاد المسيح الدجال الذي تنبأ عنه بولس الرسول في رسالته الى أهل تسالونيكي » .

ثم ان القيصر كلف سريانوس والي مصر باخطار اثناسيوس بحكم النفي الصادر ضده وبتحويل الغلال التي كانت تعطى لفقراء الارثوذكسيين الى كنائس الاريوسيين . فجاء سريانوس الى القديس ومعه احد رجال الامبراطور المسمى هيلاريوس وطلب منه شفهياً ان يرافقهما فرفض الطلب لعدم وجود أمر رسمي من الامبراطور بيدهما . وقد ساعده على ذلك تعضيد جميع الشعب والاكليروس

له تعضيداً تاماً ولذلك أقسم سريانوس برأس الامبراطور انه لا يعمل شيئاً ضد اثناسيوس حتى ترد اليه أوامر رسمية من مولاه . ومع ذلك فكل هذه الحوادث لم تثن عزم القديس بل ظل مثابراً على اكمال شؤون وظيفته بهمة رفيعة

وبعد مرور ثلاثة اسابيع في سنة ٣٥٦م بينما كان البطريرك يقيم صلاة الغروب بكنيسة العذراء التي بناها البابا ثاؤنا اذا بسريانوس حاصرها بخمسة آلاف جندي فلما شعر البطريرك بذلك اوصى المصلين ان لا يهربوا هربا يوجب الخجل ولا ان يقابلوا القوة بمثلها . والآن لنترك وصف ما جرى حينئذ للقديس نفسه فقد روى بعد ذلك يصف الحادثة قائلا : —

« أما انا فجلست على الكرسي الخاص لي واوعزت الى الشماس ان يتلو المزمور ١٣٦ وكان الشعب يردون عليه قائلين « لان الى الابد رحمته » وحينئذ حان وقت الانصراف وكنا على وشك الذهاب الى منازلنا . ولما كان الظلام خارج الكنيسة حالكاً جداً طرق العساكر جميع الابواب[1] طرقا عنيفا عندما كان الشماس يرتل مزمور الحمد والشكر هذا حتى ان دق الابواب كان يعرف في آذان الشعب الذين كانوا مشتغلين بالصلاة والعبادة وكانوا يعجبون لهذا الطارق ليلا . ولما كان الشعب يرد على الشماس بهذه العبارة « لان الى الابد رحمته » فتحت الابواب قهراً وولجها الجيش الروماني وهو يصيح صياح النصرة والفوز كمن افتتح مدينة قوية وكانت سيوفهم مشهورة في ايديهم تلمع في شعاع سرج الكنيسة المنعكسة عليها فاندفع العساكر في الكنيسة كالسيل الجارف وهرعوا قاصدين اياي . اما انا فوقفت وامرت الشعب بالفرار بقدر الامكان ولكن بعضهم اجتهد ان يعترض العساكر في طريقهم فذبحهم الجنود وداسوهم تحت اقدامهم عندما كانوا يركضون نحو ردهة الكنيسة للقبض على الفارين . وقد ألح علي القسوس لكي أفر ولكني أبيت ذلك وقلت لهم « ان نفسي عندي ليست أعز من نفس أحد الشعب » ولعلمي الاكيد بأني مادمت موجوداً أمام اولئك الذين يسمون خلفي ليقتلوني فانهم يكتفون بي ولا يبحثون على الآخرين بل يتركونهم وشأنهم حيث لاعلاقة لهم معهم . وقلت في نفسي اني لا أهرب حتى ينجو جميع الشعب ثم وقفت

(١) كانت الكنائس في ذلك الحين كأنها حصون او معاقل وفيها كل مايحتاج اليه في وقت الضيق

وطلبت من الحضور أن يصلوا الصلاة الاخيرة وحينئذ أشرت اليهم بالانصراف حالا . ولما انصرف اكثر الشعب جاء الرهبان مع الذين تخلفوا من القسوس وحملوني خارجاً » اهـ

وكانت نجاة القديس اثناسيوس من ذلك الخطر باعجوبة من الله فانه بينما كان قائماً في كرسيه يعظ الشعب ويحثهم على الصلاة اندفع الجنود بشدة الى داخل الكنيسة وكادوا يحيطون بكرسيه لولا ان الله ضرب على عيونهم بغشاوة فما قدروا أن يميزوه وكانت المصابيح قد انطفأت بسبب الهياج فانتهز الاكليروس هذه الفرصة وأنزلوه جبراً من الكرسي وهو يمتنع وألزموه أن يهرب فاجتاز العساكر بطريقة عجيبة بدون ان يراه احد منهم . ولما وصل الجنود الى كرسيه وجدوه فارغاً ففتكوا بالمؤمنين وقتلوا منهم خلقاً كثيراً فأرسلوا للملك يتشكون من الظلم الذي اوقعه بهم سريانوس فبدلا من ان يلبي الملك شكوى الشعب ويرثى لحالهم مدح الوالي على ما عمل

أما القديس اثناسيوس فاختفى في المدينة زمناً ثم فر الى الصحراء ولجأ الى برية طيبه وانفرد فيها متعبداً مع الرهبان ومشاركا اياهم في عوائدهم وهكذا كانت عادة البابا اثناسيوس ان يلجأ في اوقات ضيقاته الى مغاور المتعبدين على طول شاطىء النيل فاذا ماشاهدوه يهرعون اليه من صوامعهم فرحين متهللين فيملوه البشر ويناديهم بقول الكتاب « من هؤلاء الذين يطيرون كسحاب وكحمامات الى بروجها » ثم تراهم يحيطون به وهم يحملون المشاعل ورئيس الدير يسوق مطية البطريرك حتى مكامنهم الحريزة وكان احد الاكليريكيين يأتيه بالقوت الضروري وكان طعامه خبز الفلاحين الناشف الغير المختمر وكان اذا عطش اغترف من ماء النيل براحتيه واذا تعب واحتاج للراحة جلس على قطعة حصيرة رثة او اذا نام افترش الثرى والتحف السماء . وكان يصرف أوقاته مختبئاً في نفق مظلم في الارض او منزوياً في احد القبور القديمة المهجورة وبالجملة فلم يدع مغارة او كهفاً الا وآوى اليه وكان عمره في ذلك الحين ستين سنة

ويجدر بنا هنا أن نذكر ان جبون المؤرخ في كتابه « سقوط المملكة الرومانية » لم يكن يعبأ كثيراً بأمور الدين الا ان سيرة القديس اثناسيوس قد أثرت عليه

كثيراً فكتب عنه بشفقة زائدة ومما رواه انه في اثناء هروبه اختبأ ببئر جافة ولكن خادمة قد خانته واحضرت العساكر ليقبضوا عليه ولكنه كان قد خرج قبل وصولهم اليه . وروى ايضاً انه زار ضواحي الاسكندرية وكانت توجد هناك عذراء في العشرين من عمرها وكانت قد اشتهرت بجمالها الفتان . وفي ليلة من الليالي فاجأها زائر وطلب الضيافة وكان الوقت بعد نصف الليل وكانت اذ ذاك نائمة في مخدعها ولكنها قامت ملبية لذلك الطلب فوجدت بطريركها الجليل وهو ملتف في قميص قصير ورداء احمر ففتحت له وخبأته في منزلها وهناك اطعمته والبسته وصارت كاتبة له لتساعده على مكاتباته مع الكنائس حتى انها هربت تلك المراسلات تهريباً . وهذه القصة روتها الفتاة في اثناء شيخوختها مفتخرة بها

أما الاريوسيون فكانوا يطلبونه ويفتشون عنه بامر الملك في كل أطراف المملكة براً وبحراً كأنه عدو جميع البشر . ولكنه حتى وهو في منفاه لم يكف عن العمل لما فيه الخير للآخرين فحرر احتجاجاً بليغاً وصف فيه صنوف البلايا التي أنزلها اعوان الملك بالارثوذكسيين وقد أتينا على فقرة منها سابقاً وبعث بها الى قسطنس . ثم بلغه ان الاريوسيين يتهمونه بالجبن لهروبه من الاضطهاد فكتب دفاعاً عن نفسه قال فيه « هم يعضون اصبع الندم لانهم لم يتمكنوا من قتلي . والآن هم يلومونني على هربي . غير عالمين انه لو كان في الهرب جناية لكان في الاضطهاد جنايات . انني هربت لئلا أقتل . وهم يقتفون أثري لئلا أنجو من القتل : فليكفوا عن اضطهادي لأكف عن الهرب . وكيف لا يعلمون ان في فراري منهم حجة عليهم . ان المرء لا تفزعه الرقة واللين بل القسوة والشدة بل غلاظة القلب والتوحش »

وفيما كان في مغارته مواظباً على الصلاة نما اليه خبر ان الاريوسيين كتبوا صورة ايمانهم وانهم يكرهون الناس على قبولها والتوقيع عليها وان كثيرين ختموها خوفاً من الملك . فحزن الراعي الصالح لما رأى الذئاب تتلف خرافه ونظير أسد يزأر في البرية كتب أربع مقالات يحث فيها المؤمنين بغيرة شديدة على حفظ الايمان والثبات عليه . ومع ما كان يقاسيه ويعانيه في منفاه من التعب والنصب ما فتيء مهتما بكنيسته فكان يكاتب أساقفتها ويبعث بالرسائل اليهم

وكانت أوامره نافذة المفعول كأنها صادرة منه وهو جالس على السدة البطريركية. وقد كتب عدة خطابات لتعزية الحزانى وارشاد الحائرين عدا عن تآليف فى أهم المباحث كان أبناء عصره في حاجة شديدة لها . ثم وضع منشوراً أرسله للرهبان في مبادىء مهمة وسطر خطاباً لصديقه الحميم سيرابيون اسقف تيوس. وكان أعظم عمل أتاه الـكتاب المهم المتضمن مقالات مسهبة في تفنيد بدعة اريوس

وفى ذلك الحين كان الاريوسيون قد أقاموا على الكرسى الاسكندرى بطريركا دخيلا يدعى جورجيوس من كبادوكية ايضاً نظير غريغوريوس السابق ذكره . وأشاروا على قسطنس ان يكتب رسالة الى ملكي الحبشة ازاناس وسازاناس يخبرهما فيها ان اثناسيوس هرطوقي وسيامته لفرومنتينوس اسقف الحبشة فاسدة . فيقتضى ان يرسلا اسقفهم لينال السيامة الصحيحة من جورجيوس . غير ان ملكي الحبشة لم يعبأا برسالة قسطنس لثقتهما باثناسيوس وفرومنتينوس

وكان جورجيوس هذا قبل تعيينه في الوظائف الكهنوتية سمساراً خادعاً في القسطنطينية ولـكنه كان معروفاً بالعلم وحالما تبوأ الكرسي المرقسى أتى من الاعمال الخبيثة مالا يأتيه انسان ذو عقل وشعور فان مدته في الاسكندرية كانت عبارة عن اضطهاد جديد حل بالمصريين . وفى مبدأ الامر حاول اغراء اساقفة مصر على امضاء قرار اريوسي واذ فشل في مساعيه اشعل نار اضطهاده فكبل اثنى عشر اسقفاً منهم بالقيود والاغلال وزجهم في ظلمات السجون.

ولما صفا الجو للأريوسيين بغياب القديس اثناسيوس عقد الملك مجمعاً في سرميوم (غربي فرنسا) سنة ٣٥٧ م ترأس عليه الاسقفان الغربيان اورزاس وفالانس وحضره قسطنس بنفسه . وقد وضع ذلك المجمع صورة ايمان جديدة حذف فيها لفظة (الجوهر) من قانون المجمع النيقاوى بمعنى ان الآب اعظم من الابن في الرتبة والمجد وقد نجح الاريوسيون فى ارغام اوسيوس اسقف قرطبة على توقيع هذا القرارار بعد ان اثخنوه ضرباً بالعصى حتى تقطع جسمه وكان ليباريوس اسقف رومية قد سئم من منفاه الذى قضى فيه مدة سنتين ونصف فدفعه حب الرئاسة الى قبول التوقيع على ذلك القرار وأقدم على ذلك خصوصاً لما علم بموافقة اسقف قرطبة عليه . فكتب للاريوسيين ثلاث رسائل

رجاهم فيها أن يتوسطوا لدى القيصر كي يعيده الى اسقفيته وأعلن لهم لعنه لاثناسيوس وقطعه كل علاقة معه فرجع الى كرسيه واشترك في تدبيره مع فيلكس الاسقف الاريوسي الى الممات (١)

فلما علم الارثوذكسيون ذلك عقدوا مجمعاً في (اجان) اثبتوا فيه الدستور النيقاوي بدون نقص أو زيادة. وعقد أصحاب مذهب الاتفاق بين الطرفين مجمعاً في (انقره) أيدوا فيه دستور مجمع انطاكيه ومجمع سرميوم ولبث الاريوسيون يتخبطون في أعمالهم وأقوالهم حتى انقسموا الى عدة شيع ومذاهب كانت كل منها تقرر ما يخالف الاخرى. وقد اجتمعت عدة مجامع في انقره وانطاكية وسرميوم للتوفيق بينها فلم تفلح جميعها بل كانت تعمل على توسيع دائرة الخلاف بزيادة.

اما القديس اثناسيوس فقد تصدع بسماع هذه الاخبار المحزنة التي كانت تصله تباعاً ولا سيما سقوط صديقيه اوسيوس وليباريوس. غير ان اوسيوس قيل عنه انه امضى القرار تحت تأثير اضطهاد ثقيل اضعف عقله وكاد يفقده الشعور والادراك ولكنه لم يلبث قبل موته حتى استرد ما عمل وتاب عن الهفوة التي ارتكبها في ظروف صعبة.

واثر عليه كثيراً نبأ اتى ينعى اليه مار انطونيوس الناسك الذي كان

---

(١) ومن المدهش ان الغربيين يحاولون تبرئة ليباريوس من وصمة سقوطه في الهرطقة مع ان تواريخهم المشهورة بتحويل الحق الى باطل لم تجرأ على انكار هذه الحقيقة واليك ما كتبه ليكوري معلم الكنيسة الكاثوليكية نقلا عن اوربي مجلد ٦ ك ١٤ عد ٧١ قال «أما البابا ليباريوس الذي كان منفياً الى بيريا منذ ثلاث سنوات فقد شات روحه من الاهانات والانفراد لاسيما من حزنه لدى مشاهدته فيلكس شماسه الكاذب جالسا في الكرسي الروماني فمضى احدى الصور المذكورة شاجباً القديس اثناسيوس ومشاركا الاساقفة الاريوسيين» اه (تاريخ الهرطقات مع دحضها ص ٨٣) وجاء في كتاب «خلاصة تاريخ الكنيسة» للمعلم لومند الافرنسي ج ١ ص ١٩٢ «اما البابا ليباريوس فكان اولا ابدى عزما شديدا الا انه فشل فيما بعد لما قاساه من زعج المنفى فمضى على شجب اثناسيوس لكنه ندم حالا على ما فعل وفي الحال نهض من سقطته واصلح عثرته» اه وقد اثبت ذلك ايضاً ببراهين لاتدحض بطريركهم كيرلس مقار في كتابه «الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة» فليحكم اصحاب الحجى ويُنصفوا

خير صديق وسند له واستمر القديس فى منفاه مدة خمس أوست سنوات فى نهايتها بلغه خبر موت قسطنس الملك الاريوسى وتولى مكانه يوليانوس الملحد

ومع ان يوليانوس كان يبغض المسيحيين بوجه عام الا ان كراهته لقسطنس دعته ان يأمر باعادة جميع المسيحيين ورؤسائهم الذين نفاهم هذا الملك وقيل انه أمر باعادتهم لـكى يحارب بعضهم بعضاً فتنحل عرى الوحدة المسيحية فرجع البابا اثناسيوس الى الاسكندرية فقوبل فيها بابتهاج ماعليه من مزيد. وأما جورجيوس الاسقف الدخيل فكان له وقتئذ بغض شديد فى قلوب الجميع نظراً لما أتاه من الشرور ليس ضد المسيحيين فقط بل وضد الوثنيين أيضاً حتى ان هؤلاء قتلوه قبل رجوع اثناسيوس بقليل واحرقوا جسده والقوا رماده فى البحر

فاخذ القديس اثناسيوس يصلح ما سبق اتلافه بواسطة الهراطقة وكانت له همة عالية لاتعرف الفتور تخيب آمال جميع أعداء الديانة المسيحية اذ رد الناس عن عبادة الاوثان وعن غواية الهراطقة ولذلك عقد مجمعاً سنة ٣٦٢م لم يحضره سوى ٢٠ من اساقفته الذين كانت البلايا قد ذهبت بمعظمهم وقرر فى هذا المجمع مايجب اتباعه مع الاريوسيين الذين يعودون الى الارثوذكسية . وابلغ قراره هذا الى كل الكنائس ولا سيما كنيسة انطاكية التى انصاعت لارشاداته الحكيمة

فلما رأى يوليانوس الملك الكافر ان رجوع رؤساء المسيحيين دعا الى نموهم بخلاف ما كان يرجو سأل عن السبب فقيل له بواسطة الهراطقة لايمكنك الانتصار على الدين المسيحي مالم تهلك اثناسيوس حامى هذا الايمان .والذي زاده هياجاً على اثناسيوس وصول له خبر عنه بانه عمد بعض النساء اليونانيات اللائي كن وثنيات واعتنقن الديانة المسيحية فأصدر أمراً قاطعاً لوالي الاسكندرية بنفي اثناسيوس من الاسكندرية حالا بحجة ان العفو الملوكى لم يشمله . وهذا ما كتبه يوليانوس للوالي « مع انك مهمل كثيراً في أن تكتب لي عن مسائل متعددة وانا اغضي عن هذا الاهمال الا انه كان يتحتم عليك أن تخبرنى عن تصرفاتك مع اثناسيوس عدو الآلهة وكاره الاوثان وأنت تعلم حقيقة مقاصدي ضد هذا الرجل الذي اخبرتك عنها من زمن مضى . وعليه فانى أقسم بالاله سيرابيس العظيم انه ان لم يبرح اثناسيوس الاسكندرية بل القطر المصرى في أوائل شهر دسمبر فاني أغرم جميع

موظفى حكومتك غرامة قدرها ١٠٠ رطل ذهب قصاصاً لهم . واعلم انى بطىء العقاب ولكنني بطىء العفو والصفح » اه

فبلغ القديس هـذا الامر في شهر اكتوبر سـنة ٣٦٢ م فأسرع ليودع أصدقاءه الذين انفطرت قلوبهم حزناً على ذلك الفراق العاجل أما هو فكان يعزيهم بان هذا الحادث نظير زوبعة عابرة تتلاشى في وقت وجيز . ولما شعر ان الجنود أوشكت أن تقبض عليه نزل حالا في مركب وسار في النيل قاصداً الهروب الى (طيبه) ولما بلغ الحاكم أمر هروبه أسرع بجنوده وتبعه في مركب آخر أكثر سرعة من مركب القديس فلما رأى الذين كانوا مع البطريرك ان سفينة الحاكم اقتربت منهم أشاروا عليه بان يخرج الى البر ويهرب الى البرية ويختبيء فيها ولكنه لم يرد بل أمر رئيس المركب بشجاعة وهدوء أن يوجه السفينة نحو طالبي نفسه كأنه منطلق الى الاسكندرية فلما صار بازاء أعدائه نادى الحاكم على من في مركب القديس مستفهماً عما اذا كان اثناسيوس فيها أم لا فأجابه هو بنفسه « هوذا اثناسيوس قريب منكم » فأسرع الحاكم بالسير صاعداً في النيل أما هو فنزل في ممفيس (جيزه) واستمر بها ريثما يكتب رسالة عيد الفصح السنوية التي كانت ترسل الى كل الكنائس

وبعد ذلك قصد (طيبة) ليختفي هناك فعند مااقترب الى مدينة هرمو بوليس (الاشمونين) التقى به ثيودوروس رئيس دير طابانا بقرب سوهاج وكان قد جاء ليحتفل بقدومه احتفالا باهراً فاستمر البطريرك مدة في هرمو بوليس وانطينو واعظاً ومبشراً الى أن بلغه فى منتصف الصيف ان الخطر محدق به من كل جانب فركب سفينة صغيرة هو والراهبان اللذان كانا يرافقانه على الدوام وحاولوا السفر ولكن الرياح عاكستهم واضطروا ان يقاسوا التعب العظيم في جر السفينة وقضى القديس ذلك اليوم وهو يصلي بحرارة دون ان يلتفت الى رفيقيه ثم استفاق كأنه من نوم وقال لهم « هبوا اني قتلت » ثم صمت لما رأى الراهبين يبتسمان ثم اخبراه انه في حال صلاته علما بالهام الهي ان يوليانوس قتل

وقد حققت الاخبار قول هذين الراهبين فقتل يوليانوس سنة ٣٦٣ م وتولى عوضاً عنه يوبيانوس فهذا نشر حرية الاديان وقرر الغاء الامر الصادر من سلفه

ضد اثناسيوس فرجع القديس الى كرسيه وحال وصوله بعث اليه الملك رسالة فيها يطريه لثباته وشهامته ويلتمس منه ان يرسل له رسالة تتضمن تعاليم الكنيسة الارثوذكسية فتداول اثناسيوس مع أساقفته في أمر هذا الطلب ثم كتب شرحاً للتعاليم القويمة وقع عليه هو وأساقفته وأرسله للملك الذي سر منه جداً وارسل يستدعى اليه القديس لمشاهدته لانه كان مشتاقاً الى رؤيته . فذهب البابا اثناسيوس الى انطاكية فقابله الملك مقابلة حسنة ورجع الى كرسيه بكرامة عظيمة ورأى الجو صافياً امامه فجال في ابروشيته المتعبة يعزى شعبه ويعظهم وكانت نتيجة مساعيه في انطاكية والاسكندرية رجوع عدد عظيم من الاريوسيين

ومع علم الاريوسيين بصحة ايمان هذا الملك فقد تجاسروا وأوفدوا اليه بعضهم وعلى رأسهم رجل كان قد سامه جورجيوس الكبادوكي يدعى لوسيوس . فقابلوا يوبيانوس بانطاكية وطلبوا منه ان يعين للاسكندرية بطريركاً . فاعلمهم انه سبق وكتب الى اثناسيوس ليرجع الى كرسيه فاخذوا يفوهون بعذمات ضد اثناسيوس مما دعى الى سخط الملك عليهم وتقدم احد العساكر وافهم الملك بان هؤلاء هم النفاية الباقية من حزب جورجيوس المحروم فطردهم من امامه طرداً مخزياً ولكنهم تبعوه في طريقه فسخط على البحارة الذين لم يطوحوا لوسيوس في اليم عند سفره معهم من الاسكندرية الى انطاكية

غير ان الدهر لم يبتسم للبطريرك الاسكندري سوى سبعة أشهر اذ مات يوبيانوس الذي كان يرجو القديس كل خير للمسيحية على يديه وخلفه في الملك والنتينوس ومع ان هذا كان موالياً لعقيدة الكنيسة الا انه أخذ لنفسه الغرب وسلم الشرق لاخيه فالنص الاريوسي فأمر حال جلوسه على كرسي الملك بنفي جميع الاساقفة الارثوذكسيين الذين سبق نفيهم بواسطة قسطنس ورجعوا بسماح يوليانوس . وبناء على ذلك أراد والي مصر ان يطرد اثناسيوس من كرسيه ولكن ما شعر بذلك وجهاء الشعب والاعيان حتى تجمهروا وجاؤا الى الوالي محتجين عن بطريركهم بانه لا يدخل تحت هذا الأمر اذ لم يرجع من منفاه بأمر يوليانوس بل بأمر يوبيانوس خلفه . ولما لم يقتنع الوالي اعلنوه بانه لا يمكن نفي اثناسيوس وشعر الوالي بحركة عظيمة قام بها الشعب فادرك ان نفي البطريرك

يجر وبالا عظيما فاظهر رضاء موقتاً

وفي شهر اكتوبر بينما كان القديس مقيما بزاوية في كنيسة القديس ديونيسيوس علم ان الوالي مصمم على القبض عليه فاسرع بالفرار حتى ان جنود الملك فتشوا عنه في تلك الليلة في كل مكان بالكنيسة فلم يقفوا له على أثر . أما هو فاختبأ في قبر أبيه واستمر هنالك اربعة أشهر كانت كلها اضطرابات وقلاقل بسبب ابتعاده مما اضطر الوالي الى ان يكتب لوالنص يقول له « انه لا يسكن هياج القوم الا بوجود بطريركهم بينهم » ولما علم والنص بذلك خاف من ان يغتاظ اخوه والنتينوس عليه وسمح للقديس بالاستقرار في كرسيه فرجع اليه في سنة ٣٦٨م وله من العمر يومئذ ٧٢ سنة

ولم تكن شيخوخته لتحول بينه وبين استئناف العمل الروحي فجدد جهاده مبتدئاً في سنة ٣٦٨ م بترميم كنيسة سيزاريوم التي كانت قد حرقت في شغب احدثه الوثنيون في الاسكندرية في غرة شهر يوليه سنة ٣٦٦ م [١] ثم وضع أساساً لكنيسة أخرى دعيت فيما بعد باسمه . ثم وصل اليه خبر هرطقة ابوليناريوس اسقف اللاذقية الذي اعتقد ان لاهوت المسيح حل محل نفسه فوضع كتابين في تفنيد هذه البدعة . ولم يفتر عن مقاومة المبتدعين في كل مكان بل كان جاداً في استئصال شأفتهم ولاجل ذلك كاتب داماسوس اسقف رومية يحثه على توقيع العقاب الكنسي على اورانس اسقف ميلان ونصير الشيعة النصف الاريوسية فأطاع داماسوس أمره ونفذ رغبته في سنة ٣٧٠ م . وبعد ان طهر

---

(١) هذه الكنيسة كان قد أتم البابا اثناسيوس بناءها في سنة ٣٦١ م وكانت مبنية على اطلال القصر المسمى (سيزاريوم) اي قصر القيصر وهو قصر قديم للامبراطرة الرومانيين وكان لم يزل خاصاً بالامبراطور . وفي مدة الصوم الكبير سنة ٣٥٤م كانت كنائس الاسكندرية تزدحم بجمهور المصلين ازدحاما هائلا فطلب الشعب من البطريرك ان يقيم صلاة العيد في كنيسة سيزاريوم وكان قد تم بناؤها ولم تكرس فخشي وقتئذ اجابة طلبهم بفتح هذه الكنيسة لان هذا القصر لم يكن قد سلم للكنيسة ووضع تحت تصرفها . فضلا عن ان اقامة الصلاة في كنيسة غير مدشنة امر مخالف للقوانين الكنسية . غير ان البطريرك اضطر الى اجابة طلب الشعب فاعتبر ذلك عند اعدائه ذنبا جديدا له . اهـ

الغرب من جرائيم الهراطقة التفت الى الشرق وأخذ في مراسلة القديس باسيليوس اسقف قيصرية الكبادوك وغريغوريوس اسقف نيزينزا وغريغوريوس نيصص الاساقفة الارثوذكسيين وغيرهم من الاساقفة الاريوسيين حاثاً اياهم على قطع دابر الشيع المختلفة ومقاومة مبتدعيها

وفي ذلك الوقت طلب منه ان يقيم أسقفاً لاهالي مدينتين في مقاطعة بنتابوليس فرسم لهم بحسب طلبهم ايسوذورس . وبعد هذا العهد حرم رجلا عظيما هو حاكم (ليبيا) وأرسل منشوراً الى الكنائس يوضح فيه الاسباب التي دعته الى ذلك . وهكذا استمر يجاهر ويكافح ويناضل عن الحق الانجيلي مدة الخمس السنوات التي قضاها على الكرسي بعد رجوعه الاخير حتى انتهت حياته الدنياوية وابتدأت حياته السماوية الخالدة في ٧ بشنس سنة ٩٠ ش وربيع سنة ٣٧٣ م بعد ان جلس على السدة البطريركية ٤٦ سنة وخمسة عشر يوماً . ولما شعر بقرب حلول الاجل أوصى بتعيين بطرس أحد اساقفته خلفاً له

وقيل ان القديس اثناسيوس كان قصير القامة جداً حتى اشار اليه يوليانوس الجاحد بالقزم تعييراً وتقريعا ولكن غريغوريوس النزينزي يؤكد لنا انه كان حسن الطلعة جميل المحيا عليه سيماء التقوى والورع يخال للرائي انه ملك من الملائكة . وينقل عنه انه كان ايضاً محدودبا بعض الاحديداب ذا انف مقوس وفم دقيق ولحية قصيرة متصلة بشاربين كبيرين . وكان ذا شعر خفيف اسمر اللون ضارب الى الحمرة

هذا ولما كان هذا الرجل العظيم قد ساهم الرسل في جهادهم المدهش عن الايمان القويم وشاركهم في اكاليلهم النورانية فقد جملته الكنيسة بلقب « الرسولي » الذي كان يلقب به معاصرو الرسل وخلفاؤهم وتلاميذهم الذين حذوا حذوهم ونسجوا على منوالهم في جهاد الخدمة وتعب الكرازة والمحاماة عن الايمان . وقد شاطرهم ذلك البطريرك جهادهم واستحقاقهم ونال شرفهم ولقب ايضاً « بالاكبر » باعتبار مقامه الذي ارتفع بسبب جهاده وقد قال عنه القديس غريغوريوس النزينزي « ان من يمدح اثناسيوس يمدح الفضيلة نفسها » اه وأما عن تصانيفه فقد قال الانبا قزما « ان من يجد شيئاً منها فليكتبه حالا على قرطاس . وان كان

لايجد قرطاساً فليدونه على اثوابه » اه وابلغ وصف لعظم ذلك الجهاد الذي قام به اثناسيوس ذلك المثل الذي اشتهر حينئذ القائل :

« كل العالم ضد اثناسيوس واثناسيوس ضد العالم »

قال احدهم « ولعل الترجمة اللاتينية لهذه العبارة التاريخية اصل المثل الافرنجي المشهور Athanasius. Contra Mundum اي اثناسيوس ضد العالم الذي يضرب لمن يثبت على رأيه رغم اجماع الناس على معارضته » اه

فلا غرو اذا نظم فيه شاعر الفرنجة من قصيدة سماها « القيثارة الرسولية » قوله :—

اثناسيوس العظيم قلباً   اضحى مليك القلوب طراً
من بولس زانه رداء   فازداد قدساً ونال براً

وبلغ اعجاب الغربيين به ان نقلوا رفاته تدريجاً نحو بلادهم من الاسكندرية الى القسطنطينية فالبندقية ففرنسا فاسبانيا

وللقديس اثناسيوس مؤلفات عديدة جداً وكلها تبحث خصوصاً عن البدعة الاريوسية وما يتعلق بها وهي هذه :—

(١) رسالة ضد الامم (٢) رسالة في التجسد (٣) اربع رسائل ضد الاريوسيين (٤) خطاب ضد الاريوسيين (٥) رسالة في هربه (٦) احتجاج بعث به الى الامبراطور قسطنطين الكبير (٧) تاريخ البدع الاريوسية والمانيكية (٨) كتاب في تجسد الكلمة (٩) رسالة جامعة الى الاساقفة (١٠) رسالة في قوانين مجمع نيقيه (١١) رسالة الى اسقف مصر وليبية (١٢) اربع رسائل الى سيرابيون (١٣) رسالة مجمعي ارميني وسلوكيه المحليين (١٤) رسالة الى روفس (١٥) رسائل الى اهالي انطاكية (١٦) جدول الاسفار الالهية. وله ايضاً رسائل في الخطيئة غير المغفورة وفي سفر المزامير وغيره من اسفار العهد القديم وكذلك تنسب اليه سيرة انطونيوس الناسك

والآن نأتي بذكر بعض ما اثبته العلامة ستانلي من نوادر البابا اثناسيوس واقواله وآرائه ننقله ملخصاً :— (١)

---

(١) عن مجلة الكرمة ٩: ٤ و٥ و٧ معربا بقلم داود افندي فالي

قيل انه سئل عن رأيه في عماد الاشخاص وهم على فراش الموت فأجاب بهذه الاستعارة المفحمة « لقد قال أحد الملائكة لسلف سلفي (أي البابا بطرس خاتم الشهداء) لم ترسل الي هذه الخرائط محكمة الختام وهي خالية خاوية لاشيء فيها؟»

وكان ماراً ذات يوم في احدى ساحات الاسكندرية فلقي دهماء من غوغاء الوثنيين وحدث ان غراباً كان طائراً ينعق من فوقه وهو مار فسأله الغوغاء سخرية ومزحاً ماذا يقول الغراب فضحك اثناسيوس من وراء كمه ثم التفت اليهم مجيباً بقوله (ألا تسمعونه يقول لكم « غاق غاق غداً غداً » فهو ينذركم بشر لاحق بكم غداً اذ يصدر الامبراطور أمراً رسمياً بمنع اقامة عيدكم الوثني) وفعلا تم في الغد ما أنبأهم به من قبل حتى بهتوا ولم يدروا كيف أتاه العلم بتعطيل عيدهم

أما الآراء المسيحية التي كان له الفضل في الدفاع عنها وحفظها سالمة فنها: —

(١) كانت عقيدة اريوس التي تقول بفصل الآب عن الابن مأخوذة عن مبادىء تؤدي الى تعدد الآلهة أو بالحري اعتقاده ان المسيح من جملة المخلوقات جعل عبادته وثنية محضة فقاوم البابا اثناسيوس هذه البدعة معتبراً ان اتحاد الابن بالآب ضروري لفهم الاعمال الالهية على الوجه الافضل

ولما كان في الكتاب ما يدل على عدل الآب ورحمة الابن اهتم البابا اثناسيوس ليزيل كل اعتراض بالتوفيق بين العدل والرحمة . على ان رأيه الاساسي كان ان « الفدا » نشأ عن الحب الغير المنقسم الصادر من الآب والابن على السواء لارجاع الانسان الى الاتحاد بالله

(٢) وكان من رأي اريوس عدم امكان فهم ما يختص بالله الغير المحدود بعقل الانسان المحدود حتى انه قال « ان الله غير مدرك ليس من الناس وحدهم بل ايضاً من نفس الابن الوحيد المولود» (١) فنهض البابا اثناسيوس منادياً بكمال الآداب والطبيعة الالهية معلماً ان الكمال الالهي انما يتمثل امامنا ونتعرف به في صورة الكمال البشري

(٣) وكان اريوس يعتقد بوجود ذوات أخرى تجمع بين بعض صفات الله

---

(١) فيلوستورجيوس ٢ : ٣

وبعض صفات الانسان دون البعض الآخر فانتقل بذلك الى الاعتقاد بدين يخلط ما بين المسيحية والخرافات الوثنية فاثبت البابا اثناسيوس ان الدين ينحصر بين اثنين فقط الله والانسان وحفظ المسيحية ببساطتها من تلاعب أهل البدع

(٤) وكان يذهب البابا اثناسيوس الى اعتبار الاناجيل الاربعة متفوقة عن باقي اسفار الكتاب المقدس اعتقاداً منه بان سر التجسد يتطلب ذلك . وهذا التفوق لا يعتبر امتيازاً كما توهم البعض بل اظهاراً لان سر التجسد هو النقطة الجوهرية في الديانة

وكان في أوائل القرن الرابع ان قام خلاف بسبب اسفار الانجيل فوضع البابا اثناسيوس جدولا بالاسفار الصحيحة الموجودة بيننا الآن وسارت كنائس الشرق والغرب على ترتيبه وسقطت الاسفار المزورة

ومن محاسن أعمال البابا اثناسيوس وفضائله وتسامحه العجيب ما يأتي :—

(١) ألف بين المتوحدين الذين كانوا يعتبرون التزهد التعبدي أفضل من أصول الدين وبين الرهبان الذين كانوا يعتبرون هذه أفضل من ذلك فكان يجتمع بالطرفين وقال غريغوريوس النزينزي انه كان يبرهن للمتوحدين على ان الدين يستطيع ان يكون فلسفياً ويعلم الرهبان بان الفلسفة في حاجة لارشاد الدين

(٢) ومما وضعه من القوانين في مجمع نيقية ان لا يرسم اسقف بايدي أقل من ثلاثة أساقفة وحدث ان اسقفاً توسم الكفاءة في شاب فرسمه اسقفاً فلم يشأ البابا اثناسيوس ان يتمسك بحرفية المبدأ عند ما تأكد من كفاءة الاسقف الموسوم بل زاد ان رقاه مطراناً

(٣) ومع انه اول من وضع كلمة (أومؤوسيوس) أي « مساو في الجوهر » وقد كان هذا التعبير محبوباً لديه للغاية ولبث يعلم به طول حياته وكان قد اقنع مجمع نيقية بضرورة استعماله الا انه اضطر ان يترك استعماله لما رأى كثيرين يسيئون فهمه

(٤) وعقد البابا اثناسيوس مجمعاً عاماً سنة ٣٦٣ م للبحث في أمر الذين كانوا قد ضلوا مع الاريوسيين وأتوا الآن خاضعين نادمين فحكم بقبولهم ووافق الكل على حكمه

وفي هـذا المجمع عمل على حسم الخلاف العظيم الشأن الذي قام حينئذ بين اللاتين واليونان على بعض الفاظ فكان اللاتين يستعملون لفظة « ايبوستاتيس» بالمعنى الذي وردت به في قانون الايمان النيقاوي أي كمرادف للفظة « أوسيا » ويترجمونها بلفظة الجوهر Substantia التي هى ترجمة حرفية للفظة الاصلية « ايبوستاتيس » أما اليونان فكانوا بدأوا يستعملون هذه اللفظة بمعنى«ابروس أوبون » أي « شخص وذات » ودعوا اللاتين سابليوسيين (أي مفرقي الاقانيم على مذهب سابليوس) وفي الوقت نفسه اتهم اللاتين اليونان بانهم اريوسيون. واقترح بعضهم ازالة للخلاف ان تستعمل اللفظتان معاً

فلما رأى البابا اثناسيوس نيران هذا الخلاف تستعر جمع بين الفريقين وخاطبهما بشفقة مبيناً لهما صحيح المعنى المقصود فاذا كلا الفريقين متفق معه فيما اراد فلما أنس منهما ان لا اختلاف بينهما أجاز لكل منهما اختيار ما يشأ من الالفاظ بعد ان قيدهما بما يراد به من الحقائق

(٥) وآخر فضائله انه قام بنصرة القديس باسيليوس الذي كتب اليه يستغيث به من شعبه الذي يعده من اهل البدع فارسل البابا اثناسيوس خطاباً لاهل آسيا الصغرى يقول « ان الذين يتهمون القديس باسيليوس يعذبون انفسهم لغير داع الا انه قد تنزل لضعف الضعفاء فعدوا انفسكم سعداء اذا تولى رعايتكم مثل هذا الرجل الممتلىء حكمة وصدقاً » اه وقد كان القديس باسيليوس يشتهي ان يرى من أحسن اليه ولكن حالت الايام دون امنيته فكتب يصفه عن بعد ملقباً اياه بصموئيل الكنيسة ومثله بمنارة فاروس بالاسكندرية مشيراً بذلك الى انه كان نوراً وهدى للكنيسة في عصره وستكون تعاليمه نبراساً لها في مستقبل عصورها

(٥) بطرس ٢ ـ البطريرك الحادي والعشرون. كان تلميذاً للبابا اثناسيوس الرسولي فتهذب بعلمه وتمثل بقداسته حتى رآه معلمه جديراً بالارتقاء الى رتب الكهنوت فرسمه قساً ونظمه في سلك الاكليروس وبعد ذلك سامه أسقفاً ولكثرة ثقته بعلمه وتقواه أوفده الى سورية سنة ٣٧١ م لمقاومة انتشار البدع فيها

بالاشتراك مع القديس باسيليوس الكبير أسقف الكبادوك في ذلك الجهاد .
ولما شعر القديس اثناسيوس بقرب حلول الاجل أوصى بتعيينه خلفاً له فاطاعة لامره ولمعرفة الشعب بما كان متصفاً به من الفضائل أجمعوا على انتخابه ورفعوه الى الكرسي المرقسي في شهر بؤونه سنة ٩٠ ش و٣٧٣ م في عهد فالنس قيصر

وكان معلمه اثناسيوس قد غرس بفؤاده أصل الكراهة للهراطقة فنسج على منواله في محاربتهم الامر الذي ذكر الاريوسيين بانخذالهم المتوالي أمام القديس اثناسيوس فهاج لذلك هياجهم وقامت قيامتهم على البابا بطرس ووشوا بحقه لدى الملك فالنص الاريوسي بانه لا يستحق أن يكون بطريركا للاسكندرية فصادف قولهم ارتياحاً من فالنص ولشدة تغيظه من أن المصريين انتخبوا لهم بطريركا حسب اختيارهم أراد أن ينتقم منهم في شخص بطريركهم

وكان يوجد رجل مصري اريوسي يدعى لوسيوس نال رتبة الاسقفية بطريقة غير قانونية خارج القطر المصري وقد طمع في الاستيلاء على الكرسي المرقسي في عهد البابا اثناسيوس وقدم للاسكندرية لنوال بغيته ولكنه ما كاد يصل الى بيت أمه حتى انتشر حوله الارثوذكسيون كالجراد وحاولوا الفتك به لولا ان والى مصر أنقذه من أيديهم وطرده الى خارج القطر المصرى لينجو بحياته

فهذا الشقي لما رأى ان فالنص صدق نميمة الاريوسيين ضد البابا بطرس انتهز هذه الفرصة لقضاء مأربه فرضي به الملك بديلا للبطريرك الاسكندري وفي الحال أرسل الى بلاديوس والي مصر الاريوسي يأمره بنفي البابا بطرس ليأخذ مركزه لوسيوس الهرطوقي . وسار لوسيوس الى مصر وخوفاً من هياج الشعب عليه أرسل معه القيصر جيشاً جراراً تحت قيادة ماجينوس أمين خزينة المملكة وأوزويوس بطريرك انطاكية الدخيل وهجم القائد على الكنيسة التى كان فيها البابا بطرس رجاء اغتياله ففر البطريرك هارباً واختفى في قصر خرب قريب من شاطىء البحر وهناك كتب رسالة رعوية لم تزل باقية الى الآن يصف فيها هذه الحوادث التي وقعت يومئذ

وكان داماسوس اسقف رومية قد أتخذ رسولا من قبله الى الاسكندرية يحمل رسائل سلام ومحبة الى البابا بطرس فمند وصوله قبض عليه الوثنيون

وسجنوه ليشتغل في المناجم واذا رأى البطريك الاسكندري انه لافائدة لرعيته من استسلامه للهلاك حول وجهه شطر مدينة رومه ليختفي فيها من وجه الشر ووصل اليها سنة ٣٧٤ م فقابله اسقفها داماسوس بما يليق به من الاكرام واستضافه عنده خمس سنوات كاملة

وكان ذهاب البابا بطرس الى روميه من حسن حظ كنيستها اذ انه حرك الاسقف الروماني على أن يعقد مجمعاً مكانياً يحرم فيه بدع ابوليناريوس ومارسيل ومكدونيوس لينفى عن كنيسة رومية شبهة موالاتها للهراطقة. فخضع داماسوس لمشورته وعقد ذلك المجمع سنة ٣٧٨ م وحرمت تلك البدع وكان القديس ملاتيوس أسقف انطاكية قد اجتمع وقتئذ بتلك المدينة هو و١٤٦ اسقفاً شرقياً فبعث لهم داماسوس بقرار ذلك المجمع فصادقوا عليه جميعهم . فالفضل في تطهير كنيسة رومية من البدع حينئذ راجع الى الكنيسة الاسكندرية الا انها فتحت صدرها للخرافات والبدع بعد انفصالها عن تلك الكنيسة المجيدة مركز الارثوذكسية وخزانة التعاليم الرسولية

أما لوسيوس الاريوسي الاسقف الدخيل فحضر بمن معه من الجنود الى الاسكندرية ودخل اليها دخول الظافر المنتصر فأكرم والي مصر وفادته وساعده على اختطاف الكرسي المرقسي اختطافاً وجلس عليه بالقوة رغم ارادة الشعب الذي أبى مطلقاً أن يعترف بهذا اللص رئيساً عليه . وهجر الارثوذكسيون الكنائس مفضلين الاقامة بمنازلهم على الصلاة خلف الهراطقة . ولما نصحهم القائد وأبوا قبول نصيحته اضطهدهم بشدة

غير ان الشعب، مع كل ماحل به من الويلات لم ينفك طالباً عزل لوسيوس الدخيل واعادة بطريركهم وأساقفتهم المنفيين وكانوا اذا رأوه يقولون له « انك يالوسيوس تحارب الله باضطهاد قديسيه » وفي شهر مايو سنة ٣٧٨ م اذ كان الملك فالنص مشغولا بمقاتلة سكان شمالي أوربا رجع البابا بطرس من رومية الى الاسكندرية لما رأى لوسيوس بدون سند ولا عضد. وحالما وصل الى مقر كرسيه قام الارثوذكسيون على لوسيوس وطردوه خارج الاسكندرية وأجلسوا بطريركهم الشرعي على كرسيه ثانية . فاشتكى لوسيوس الشعب الاسكندري الى فالنص ولكن

هـذا لم يلتفت اليه لانهماكه في الحرب ثم قتل الملك الاريوسي فى السنة ذاتها فخابت آمال لوسيوس

ولما رأى الملك ثيودوسيوس الذى خلف فالنص ان كنيسة القسطنطينية قد تأخرت وانحط شأنها بسبب اهتمام ملوكها باضطهاد الارثوذكسيين أناط البابا بطرس القبطي باصلاحها وذلك لثقة الملوك العظمى في رؤساء الكنيسة القبطية . فاستمر البطريرك الاسكندري مدة يعالج امراض كنيسة القسطنطينية وبعد ذلك كلف صديقه البار غريغوريوس النزينزي بالاهتمام بها فلبى طلبه وبدأ باتمام عمله . ورفع مسيحيو القسطنطينية عريضة لاغريغوريوس ممهورة بامضاء عدد كبير من الاساقفة ومصدق عليها من بابا الاسكندرية يطلبون فيها ان يأتي اليهم لاصلاح كنيستهم فقبل الطلب وجاء الى القسطنطينية ورسم عليها بطريركا واهتم باعادة مجد الكنيسة اليها ومع انه رفض كثيراً أن يرتقى الى رتبة الكهنوت ولكنه قبل اكراماً لخاطر صديقه البابا بطرس

غير أن مكسيموس الكلبي وهو رجل رديء السلوك تظاهر بالصداقة لاغريغوريوس وكان غرضه ان يدس له الدسائس لينال منه كرسى بطريركية القسطنطينية . وفعلا جاء الى الاسكندرية وأخذ يستعمل حيلته ومكره عند البابا بطرس ليحول نظره عن غريغوريوس ويقيمه بدله وكان مكسيموس يصف غريغوريوس بكل الصفات المذمومة فلبساطة البابا بطرس واخلاصه صدق وشاياته وأرسل وفداً الى القسطنطينية ليقوم برسامة مكسيموس . وحال وصول الوفد كان غريغوريوس مريضاً ولكن تقواه أجبرته على أن يذهب الى الكنيسة ليشترك مع المحتفلين برسامة مكسيموس الذى لازال يعتبره صديقاً له . ولكن مسيحيي القسطنطينية حالما شعروا بالامر رفضوا قبول مكسيموس وثاروا عليه وطردوه من المدينة . فسار الى القيصر وتظلم لديه لكي يعيده الى مركزه فلم يصغ لشكواه فأتى البابا بطرس وطلب منه أن يستخدم نفوذه في اعادته . وكانت أخبار صفاته السيئة قد وصلت الى مسامع البابا فلم يشأ أن يساعده بل طلب من الوالي أن ينفيه فنفاه

واستمر البابا بطرس بعد ذلك مواظباً على رعاية شعبه كوكيل أمين حتى أتم

جهاده وتنيح في ٢٠ امشير سنة ٩٧ ش وفي شهر فبرايرسنة ٣٨٠ م

(٦) تيموثاوس ١ — البطريرك الثاني والعشرون . جلس على الكرسي الاسكندري بعد بطرس أخوه تيموثاوس في شهر برمهات سنة٩٧ ش و ٣٨٠م في عهد ثيودوسيوس قيصر وقيل انه كان يلقب بالفقير وذلك لانه وزع كل ما يمتلكه من حطام الدنيا. ومن أمره انه كان تلميذاً للبطريرك القديس اثناسيوس الرسولي وشاطره في كثير من اتعابه ومصائبه . وهو الذي فضح مكيدة الاريوسيين للقديس اثناسيوس في مجمع صور وذلك عند ما أتى الاريوسيون بالمرأة الزانية لكي تتهم اثناسيوس بانه اغتصب بكارتها فوقف امامها تيموثاوس واوهمها بانه هو اثناسيوس مما سجل على المرأة الكذب وعلى محرضيها الخجل

ولم تكن اتعاب هذا البابا بأقل من اتعاب سالفيه فانه كان مشتركا مع أخيه البابا بطرس في معظم اعماله وكان عضواً في مجمع الاسكندرية الذي كان يقوم بتدبير شؤون كنيسة القسطنطينية . وله عمل شريف في المحافظة على قانون المجمع النيقاوي بدون زيادة أو نقص وذلك فان الكنيسة القديمة لم تسلم الا بالعشرين قانوناً النيقاوية ولكن أساقفة رومية اجتهدوا في القرن الخامس ان يعتبروا بعض قوانين مجمع سرديكا كقوانين مجمع نيقيه فقاومهم عند ذلك اساقفة افريقيا وارسلوا الى بطاركة الاسكندرية وانطاكية والقسطنطينية يطلبون نسخاً كاملة لكل القوانين النيقاوية المعروفة عندهم فنسخ البابا تيموثاوس العشرين قانوناً الاصلية ووزعها على كل الكنائس معلماً بان الكنيسة لم تقبل الا هذه العشرين قانوناً

وقد ابتدأ جهاد هذا البابا بعد ذلك فانه ما كادت الكنيسة تتطهر من وباء بدعة اريوس حتى ظهرت هرطقة أخرى قام بنشرها مكدونيوس النصف الاريوسي بطريرك القسطنطينية ومؤداها انكار ألوهية الروح القدس . فانعقد بسببها المجمع القسطنطيني (المسكوني الثاني) سنة ٣٨١م كما سيأتي وحضره البابا تيموثاوس ورهط من اساقفته واشترك مع أعضاء هذا المجمع في القضاء على تلك البدعة وحرموا ايضاً اناساً آخرين لعقائد أخرى شنيعة تظاهروا بها في المسيح

وكان لكرسي الاسكندرية المركز الاول بين كراسى المسكونة أجمع ولكن لما أخذ هذا المجمع في ان يجعل هذا الكرسى في الدرجة الثانية بعد رومية والقسطنطينية التى دعيت « رومية الجديدة » مراعاة لخاطر ملكي رومية والقسطنطينية اللذين ارادا رفع شأن اسقفيتي عاصمتيهما انسحب البابا تيموثاوس هو واساقفته من المجمع وعاد الى مصر احتجاجاً على تصرف المجمع المخالف لتصرف الكنيسة بالاجماع مدة نحو اربعة قرون

ورجع البابا تيموثاوس الى الاسكندرية وصرف ما بقي من حياته في اتمام ما رآه واجباً عليه عمله فكتب تاريخاً لحياة كثيرين من القديسين ووضع قوانين للكهنة وفي أيامه بنيت عدة كنائس واستتيب جماعة كثيرة من مقالة اريوس ثم رقد فى الرب في ٢٦ ابيب سنة ١٠٢ ش و٣٨٥ م

(٧) ثاوفيلس — البطريرك الثالث والعشرون. روى عنه يوحنا النيقاوي المؤرخ القبطى انه ولد من أبوين مسيحيين فى مدينة ممفيس وتيتم منهما وهو طفل وله أخت صغيرة فقامت بتربيتهما جارية حبشية وثنية كانت لابويهما. وحدث أنها ذات ليلة أخذتهما معها الى الهيكل لتؤدى فروض العبادة الوثنية فحال دخولها سقطت الاصنام الى الارض وتحطمت . ففرت بهما الجارية خوفاً من انتقام كهنة الوثنيين واختفت قليلا ببلدة نيقيوس ثم جاءت الاسكندرية . وقد دبرت العناية الالهية أن تأخذهما الى كنيسة مسيحية لكي تتعرف هذا الدين الذي طرقت شهرته كل أذن . فولجت باب كنيسة القديس ثاؤنا وجلست بازاء كرسي القديس اثناسيوس الذى لما رآها مع الطفلين أمر بابقائهم حتى تنتهى الخدمة . ثم استخبرها البطريرك عن حقيقة حالها ولما قصت عليه خبرها ردها الى الديانة المسيحية وأخذ منها الطفلين ووضعهما تحت عنايته الخصوصية . ولما كبرا قليلا وضع الفتاة فى دير لبثت به الى يوم زواجها برجل من بلدة المحلة (غربية) وفيها ولدت كيرلس الذى صار فيما بعد خلفاً لخاله ثاوفيلس

أما ثاوفيلس فنظمه القديس اثناسيوس في سلك تلاميذه فنما عالماً تقياً ولما شوهد فيه من الحذق والنشاط اختاره معلمه كاتماً لاسراره بعد أن رقاه الى درجة

الكهنوت . وبعد وفاة معلمه استمر في مدينة الاسكندرية يخدم في كنائسها الى أن رقد البابا تيموثاوس فانتخب بطريركا مكانه بالاجماع في شهر مسرى سنة ١٠٢ ش و ٣٨٥ م في عهد ثيودوسيوس قيصر لما رآه فيه الشعب من حسن السيرة وعظيم الغيرة على دين المسيح مما جعله موضعاً لثقة ثيودوسيوس الملك الارثوذكسي الذي أمر بتعميم الديانة المسيحية في كل مكان واعتبارها الديانة الرسمية للمملكة الرومانية .

ومما يدل على ثقة هذا الملك بالبطريرك الاسكندري تكليفه اياه بان يصلح ما وقع من الخلل ثانية في مسألة عيد الفصح فانه في سنة ٣٨٧ م صار الفرق بين العيد المصرى والعيد الرومانى مدة خمسة أسابيع كاملة . فوضع البابا ثاوفيلس تقويماً للاعياد لمدة ٤١٨ سنة ووضع جدولا يحتوي على الايام التي يقع فيها عيد الفصح لمدة مائة سنة ابتداء من سنة ٣٨٠ م ولا تزال صورة هذا التقويم باقية الى يومنا هذا وفيها أوضح البطريرك بان السيد المسيح صلب في اليوم الخامس عشر من شهر نيسان (ابريل) لافي الرابع عشر منه . ثم وضع هذه القاعدة وهي : — « اذا كان اليوم الرابع عشر من الشهر القمري يوافق يوم الاحد فعيد الفصح يتبعه باسبوع » اه

ثم ان البابا ثاوفيلس دخل يوماً يصحبه بعض الرهبان الى بستان للقديس اثناسيوس فتذكر انه كان يأ كل مرة مع معلمه هذا وهو كاتم أسراره وقال له القديس انه يشتهي أن ينظف الا كوام التي رآها ويبني في موضعها بيعة على اسمي اليشع النبي ويوحنا المعمدان فتحدث بذلك كثيراً فسمعته امرأة كانت قد أتت من رومه بعد وفاة زوجها ومعها ولداها وصورة الملاك روفائيل فتحركت بغيرة الهية وقدمت الاموال اللازمة لتنظيف الا كوام وبعد اتمام العمل ظهر كنز مغطى ببلاطة قد نقش عليها ثلاث ثيتات (جمع حرف ثيتا القبطي) اشارة الى (ثاؤس) أى الله وثيودوسيوس أى الملك وثاوفيلس أى البطريرك وقد استدل مما كتب على البلاطة ان ذلك الكنز يرتقي الى عهد الاسكندر الا كبر المكدونى فاخبر البطريرك الملك ثيودوسيوس بأمر الكنز فقام الملك الى الاسكندرية بنفسه وعاين الكنز ثم اقتسمه بينه وبين ثاوفيلس . فأنشأ البطريرك بنصيبه

كنيسة في جانب البستان وكنائس جمة على اسم السيدة العذراء والملاك روفائيل في جهات مختلفة بالاسكندرية. ثم شاد جملة أديره منها « الدير المحرق » (١) ورسم ولدي المرأة فيما بعد أسقفين

وكان القديس اثناسيوس قد تنبأ عن تلميذه ثاوفيلس قائلا « انه سيكون مطرقة قوية لهدم معابد الوثنيين » فبدأت هذه النبوة تتم عند ما رأى هذا البابا ان المسيحيين في مصر قد كثر عددهم وقل عدد عبدة الاصنام ونجم عن ذلك ازدحام شديد في الكنائس أثناء احتفالات النصارى في أعيادهم رغماً عما جدده من الكنائس فخطر له بعد استشارة أعيان الشعب أن يخاطب الملك ثيودوسيوس لكي يستصدر منه أمراً بتحويل معابد الاصنام المهجورة الى كنائس. فوهبه القيصر جميع هيا كل الوثنيين ليستولى عليها ويتصرف فيها كما يريد وأمر والي مصر ايفاجريوس أن يساعده بقوته اذا تعرض له احد (٢)

فبدأ البطريرك سنة ٣٨٩ م بهدم اطلال هيكل دارس خاص بباخوس (اله الخمر) فى الاسكندرية وبنى مكانه بانقاضه كنيسة باسم الملك ثيودوسيوس وبينما كان البناؤون قائمين بالبناء عثروا على تماثيل قبيحة الشكل عرضها البابا ثاوفيلس للفرجة اظهاراً لقبح الديانة الوثنية . فتهيج لذلك الوثنيون وقد زادهم غضباً علمهم بان ديانة المسيح ترتفع على اطلال دياناتهم. فاعتصبوا على المسيحيين بقيادة الفيلسوف أولمبيوس وفتكوا بكثيرين منهم وكانوا يقتلون كل من رأوه ماراً بالشوارع حتى اضطر الوالي أن يخاطب الملك عما يعمله تلقاء هذه الحالة . فرد هذا عليه بان المسيحيين الذين قتلوا يعتبرون شهداء ولذلك ينبغي مسامحة قاتليهم من الوثنيين فلما رأى أهل الاسكندرية ذلك ثارت ثورتهم على الاقلية الوثنية منهم

---

(١) سمي المحرق لوجوده بقرب حوض زراعي اشتهر بالحوض المحرق وذلك لنضوب المياه منه قبل غيره من الحياض

(٢) يلاحظ في هذا المقام ان كثيرين يتهمون البابا ثاوفيلس بالتعدي على حرية الاديان لهدم معابد الوثنيين ولكن يلاحظ ايضاً انه لم يقدم على ذلك الا لما رآها مهجورة لاتجرى فيها عبادة فان قسطنطين الملك كان قد ابطل الذبائح الوثنية خصوصاً التي كانت تجري تحت جنح الظلام لانها كانت ذبائح بشرية تعتبر كقتل وجنايات فظيعة . فضلا عن ذلك فان معابد اليهود كانت موجودة ومع ذلك لم يتعرض اليها البطريرك لانهم كانوا يقيمون فيها عباداتهم . ا هـ

فتحصن هؤلاء فى هيكل سيرابيوم وأخذوا يدافعون عن أنفسهم ويصدون هجمات الجماهير المديدة التي قامت ضدهم . وكان هيكل سيرابيوم هذا على جانب عظيم من المتانة والاتساع وكان مبنياً على قمة تل يصعد اليه بسلم يبلغ مائة درجة وكانت حجارته من الرخام والمرمر وحيطانه من داخل مغطاة بالنحاس والفضة والذهب . وفى وسطه ردهة واسعة وتحته سراديب وطرق سرية وهو مقسم الى غرف يختص بعضها بالكهنة وبعضها بالمصلين وبعضها بالضيوف وفيه مكتبة كبرى

ففى هذا الصرح الشامخ تحصن الوثنيون وكانوا كلما شاهدوا مسيحياً قريباً منهم قبضوا عليه وجذبوه عندهم وعذبوه لكي يبخر لاصنامهم واذا أبى كانوا يقدمونه ذبيحة وقد افتخر بعد ذلك هيلاريوس كاهن الاله جوبيتير بانه ذبح مرة بيده تسع ذبائح آدمية على مذابح الاصنام الكاذبة . ولما ازدادت تعدياتهم نصحهم الوالي بالحسنى ليكفوا عن شرهم ولكن أولمبيوس قائدهم كان يغريهم بفصاحته على عدم التسليم . ولما لم يذعنوا اضطر القائد أخيراً يشهر أمر الملك القاضى بهدم هيكل سيرابيوم . فوقع الرعب في قلوبهم وتركوا الهيكل تحت جنح الظلام وتفرقوا أيدي سبا . فلما علم ذلك الوالي والبطريرك أتيا باحتفال عظيم لكي ينقضا هذا الهيكل وكان آخر ما بقى من آثار الديانة الوثنية

وكان فيه صنم كبير جداً يداه ممتدتان من الحائط الواحد الى الآخر وهو مصنوع من الخشب ومغطى بالمعادن ومطعم بحجارة كريمة وقد اسود لونه لتقادم عهده اذ كان موضوع اجلال المصريين مدة ٦٠٠ سنة وكانت تخرج منه أصوات لا يعرف مصدرها فكانوا يعتبرونها دليلا على عظمة هذا الاله الكاذب . فلما تقدموا لتحطيم ذلك الصنم خاف بعضهم اذ كانوا لا يزالون مصدقين بخرافات أجدادهم ووقفوا جامدين ظانين انه اذا كسر هذا الصنم يخرب العالم ولكن البطريرك أمر جندياً باجراء العمل حالا فرفع يده وضرب الصنم ضربة أزعجت جميع المشاهدين كأن عدواً قوياً فاجأهم . ولكنه على أثر ضربة أخرى انكسرت بها رأس الصنم تحول خوفهم الى ضحك عند ما رأوا انه قد خرج من جوفه جملة فيران كانت معششة فيه وحينئذ تقدم الآخرون وأكملوا تحطيمه وأحرقوه وذروا رماده في الريح ونقضوا جميع أبنية هذا الهيكل وبنوا فوقها كنيستان

احداهما شيدت في مكان معبد ايزيس وسميت باسم الملك هونوريوس والاخرى أقيمت على اطلال معبد سيرابيس وعرفت باسم الملك اركاديوس

وقد كتب سقراط المؤرخ الكنسي فيما بعد عن ذلك الهيكل ما يأتي —

« عند ما تهدم هيكل سيرابيس وأصبح أنقاضاً بالية وجدت كتابة منقوشة على حجارته باللغة الهيروغليفية لها شكل صليب وهيئته تماماً. فلما رآها المسيحيون والوثنيون قال كل فريق منهما ان هذه شارات ودلائل من ديانتنا خاصة بنا دون الغير ذلك لان المسيحيين يعتقدون ان الصليب علامة الفداء وتذكار الخلاص الذي عمله المسيح للجنس البشري ولذلك قالوا ان هذه الاشارات التي وجدت على الحجارة تدل على ديانتهم وتنبيء بها . أما الوثنيون فقالوا لايبعد أن تكون هذه العلامات دلائل على المسيح وسيرابيس في آن واحد وذلك لانها مشتركه بين المسيحيين من حيثية الشكل وبين الوثنيين من جهة الكتابة والحفر . وبينما كان الطرفان يتباحثان ويتجادلان في هذا الشأن ظهر لهم وثنى اعتنق الديانة المسيحية وكان ملماً بمعرفة الهيروغليفية عارفاً باللغة المصرية القديمة فترجم لهما هذه الكتابة الموضوعة بشكل صليب واذا هى « الحياة الآتية » فلما سمع المسيحيون هذه الترجمة قالوا لم يبق بعد دليل على انها تشير الى ديانتنا وانها وضعت لتنبيء عنها . ثم ظهرت كتابات أخرى باللغة المصرية أوضحت معنى شكل الصليب هذا ايضاحاً تاماً ومعناها « انه عند ما يبتديء الناس يعيشون العيشة الجديدة (أى يصيرون مسيحيين) فلا بد من سقوط هيكل سيرابيوم » فلما طرق هذا القول مسامع الوثنيين اقتبل الكثيرون منهم الديانة المسيحية معترفين بخطاياهم تائبين الى ربهم عما فرط منهم ثم تعمدوا بعمودية التوبة الصحيحة » اه

وكان لنهر النيل مقياس محفوظ في هيكل سيرابيوم من عهد حكم البطالسة وقد نقله قسطنطين القيصر الروماني الى كنيسته الكبرى سيزاريوم ثم أعيد الى هيكل سيرابيوم بأمر يوليانوس الجاحد . ولما هدم هذا الهيكل حمله المسيحيون باحتفال عظيم الى كنيسته مما حدا بالوثنيين لأن يتنبأوا بغيظ بان الآلهة ستنتقم منهم بانقاص مياه النيل جزاء اهانتهم لها . واتفق ان النيل في تلك السنة لم يرتفع الى معدله فظن ضعاف العقول من الوثنيين أو المسيحيين ان ذلك نتيجة انتقام

الاله سيرابيوم وأخذوا ينقمون على البطريرك والوالي فكتب هذا الى القيصر يخبره بالامر فرد عليه قائلا « اذا كان النيل لا يفيض الا بواسطة السحر أو الرق أو بذبح الذبائح وتقديم المحرقات للاوثان نخير له أن لا يفيض وأن تبقى مصر ظمآنة الى الأبد »

وقد ذهب البابا ثاوفيلس بعد ذلك الى القسطنطينية مرتين الاولى في سنة ٣٩٤ م ليحضر مجمعاً عقد لفحص بعض المسائل ولحضور الاحتفال بتشييد كنيسة كبرى بنيت على اسمي الرسولين بطرس وبولس . وذهب ثانية في سنة ٣٩٨ م ليقيم القديس يوحنا فم الذهب بطريركاً على كرسي القسطنطينية وعاد الى كرسيه

وفي سنة ٣٩٩ م قصد البابا ثاوفيلس ان يضع حداً للخلاف الذي كان قائما بين يوحنا اسقف اورشليم وهو من رهبان وادي النطرون وبين اورنيموس وكان الخلاف بسبب العلامة اوريجانوس فرد اورنيموس بجواب جاف على البابا ثاوفيلس يقول « انك لم تعرف كيف يكون الجدل والمناقشة لانك تعيش مع رهبان يجلون قدرك ويرفعون مقامك »

وكانت حياة البابا ثاوفيلس فيما بعد ذلك مملوءة بالقلاقل والاضطرابات . وقد بدأت اتعابه بسبب بدعة انتشرت بين رهبان سكيتي كان رأسها أفوديوس من بين النهرين مؤداها ان الله ذو صورة بشرية وذو أعضاء جسمية . وفي نفس تلك السنة نشر البطريرك رسالة عيد الفصح السنوية فاغتاظ اولئك الرهبان من عبارة وردت فيها وهي قوله « ان الله روح لا يدركه الفهم وليس هو مجرد انسان يقع تحت الحد والحصر » اه فهاج لذلك هياجهم على البطريرك لما رأوه يخالفهم في الاعتقاد وترك اكثرهم صوامعهم وجاؤا كجيش جرار الى الاسكندرية وعزموا على الفتك بالبطريرك حالما يقع بصرهم عليه واحتشدوا حول داره وهم يتهددونه ويتوعدونه . واذ رأى ان قلوبهم ملأى بالغيظ ولم يجد له عضداً أسرع الى مرتفع وصعد عليه وخاطبهم بعبارات رقيقة تهدىء الخواطر الهائجة ومن ذلك قوله لهم « اني اذا رأيت وجوهكم أشعر كأني أشاهد الله لانكم على صورته ومثاله » فسكن ثورانهم قليلا وكانوا يظنون ان العبارة التي أوردها عن الله في رسالة عيد الفصح اقتبسها من مؤلفات اوريجانوس ولذلك طلبوا اليه

بشدة ان يحرم اوريجانوس وكل من يطالع كتبه فوعدهم بذلك . ثم انعكف على مطالعة مؤلفات اوريجانوس اذ لم يكن قد طالعها قبلا فتبين من بعض ألفاظها ما يشعر بضلاله . وفي اوائل السنة التالية شكل مجمعاً حرم فيه اوريجانوس وندد بتعليمه في رسالة عيد الفصح

وكان يوجد بين رهبان جبل نيتريا (الفرما) اربعة اخوة يلقبون «بالطوال القامة» نظراً لطول قامتهم كان اكبرهم يدعى أمونيوس وهو الذي سافر مع البابا اثناسيوس الى رومية وكان هؤلاء الاخوة من آب واحد وأم واحدة وقد اشتهروا بتقواهم الزائدة وغيرتهم الشديدة على الايمان . وكانوا للبابا ثاوفيلس خير نصير وأفضل مساعد في ما قام به سابقاً من جلائل الاعمال . لذلك رأى ضرورة مكافأتهم على خدمتهم له فعين احدهم ديوسقوروس اسقفاً لواحة هرموبوليس (المنيا والاشمونين) واستحضر لديه الباقين واقام منهم يوساب وانتيموس قسيسين في كنيسة الاسكندرية . وهؤلاء الاخوة كانوا من انصار العلامة اوريجانوس المولعين بمطالعة تصانيفه . فلما رأوا البطريرك قد شجب فيلسوفهم غضبوا وتركوا الاسكندرية بدون اذنه وعادوا الى قلاليهم بالدير والتجأوا الى رهبنتهم وتحزبوا معها وارسلوا وفداً الى أحدهم ديوسقوروس اسقف هرموبوليس وطعنوا له في ثاوفيلس وفي تنعم عيشته فقبل شكواهم وتحزب معهم واصبح الرهبان منقسمين الى قسمين رهبان سكيتي الذين يعتقدون ان الله صورة بشرية ورهبان نيتريا الذين يعتقدون ان الله روح

ثم حدث حينئذ خلاف آخر بين البطريرك وبين ايسوذوروس امين صندوق كنائس الاسكندرية وكانا قبلا صديقين ويظهر ان العداوة نشأت ايضاً بسبب ميل ايسوذوروس لاوريجانوس والاخوة الطويلي القامة [١] بدليل ان ايسوذوروس رجع ايضاً الى دير نيتريا وانحاز لمعضدي اوريجانوس مما حمل البابا ثاوفيلس على ان يظهر مقته لمن خالفوه في الرأي بسبب اوريجانوس وأرسل منشوراً الى رهبان دير سكيتي يأمرهم فيه ان يتجنبوا أولئك الرهبان ثم قطع

(١) ويروى ان سبب الخلاف هو ولع البطريرك بتشييد الكنائس والاديرة وصرف اموال طائلة عليها وكانت رغبة ايسوذوروس توزيع المال على الفقراء والمساكين

اسقف هرمو بوليس لانه قبلهم في شركته . فارسل اليه رهبان دير نيتريا وفداً برأسه أمونيوس اكبر الاخوة الطوال القامة ليحتج على تصرفه ضد اوريجانوس فكان هـذا الاحتجاج سبباً لزيادة الخلاف فرجعوا الى صوامعهم والغضب ملأهم . وخشي البطريرك نتيجة زرع الشقاق بين الرهبان فأخذ معه الوالي وقصد اليهم خوفاً من تعديهم عليه وذلك لـكي يقنعهم ويبرهن لهم من أقوال اوريجانوس انه مبتدع فلم يقتنع الرهبان وقفلوا كنيسة الدير في وجهه وتسلحوا بالنبابيت المغطاة بسعف النخل ظناً منهم ان البطريرك أتى ليقنعهم بقوة الوالي فاستعدوا لمقاومة كل من يعترضهم وبذلك وقعوا تحت طائلة الحـكم الذي يقضي بالحرم على كل من ينحاز الى اوريجانوس

أما الاخوة الطوال القامة فلما رأوا خطر مقاومتهم للبطريرك عظيماً تركوا القطر المصري قاصدين فلسطين وكان جماعة المسيحيين في فلسطين يرمقونهم بعين الاحتقار والفتور لعلمهم انهم محرومون من بطريركهم ولـكن بعض الاساقفة قبلوهم ولما لامهم البابا ثاوفيلس على ذلك لم يعودوا يمتزجون بهم

وكان عدد الرهبان التابعين للأخوة الطوال القامة يبلغ الخمسين فصمموا على الذهاب الى القسطنطينية لرفع دعواهم أمام بطريركها القديس يوحنا فم الذهب . وفي سنة ٤٠٤ مثل أمامه أولئك الرجال وهم بثياب رثة ووجوه شاحبة بسبب مشقة السفر فشفق عليهم وسألهم عما يطلبون فالتمسوا منه أن ينصفهم من بطريركهم أو يرفعون دعواهم الى الامبراطور. فوعدهم فم الذهب خيراً وأعطاهم أماكن لراحتهم وأخبرهم انه سيكاتب أخاه ثاوفيلس في أمرهم . وكان حينئذ بالبلاط الملـكي بعض اكليروس الاسكندرية الذين كانوا قد جاءوا اليه لاشغال تختص بوظيفتهم . فلما استشارهم فم الذهب في الامر حذروه من قبولهم في شركته لان بطريركهم منعهم قد حرمهم وانه اذا قبلهم بدون اذن منه يعتبر عمله اهانة له

غير أن فم الذهب كان قد قبلهم في شركته فلما أحس البطريرك الاسكندري بذلك وبلغه ان الاخوة الطوال عازمون على رفع دعواهم للملـكة افدوكسيا ظن ان فم الذهب هو المهيج لهذه الحركة وغدا الاخوة الطوال عنده أمراً ثانوياً وعول على معاداة فم الذهب خصوصاً عند ما وصل اليه خطاب فم الذهب القائل « اني

فحصتهم باعتناء فلم أجد في اقرارهم ما يخالف الحق على أن الحزن قد استوعب قلوبهم ويخشى أن يقدموا عليك الشكاية للامبراطور فأرجو اذاً أن تصفح عنهم لينتهي الامر والا طرحت هذه الدعوى المحزنة أمام المجمع » فغضب لذلك البابا ثاوفيلس غضباً شديداً ورد عليه بغيظ قائلا « اذا كنت لم تقف على مضمون الدستور الذي وضعه المجمع النيقاوي القاضي بعدم تداخل أسقف أو بطريرك في المسائل التي لاتنحصر ضمن دائرة سلطته فأرجوك أن تتطلع على هذا القانون وتدرسه حتى تريح نفسك من التعرض لي وتكف عن الصدام والجدال معي . أما اذا قضى علي الزمان بالمحاكمة فسوف يحاكمني أساقفة مصريون لا أنت ولا غيرك ممن هم بعيدون عنا يقتضى لوصولنا اليهم أو وصولهم الينا سفر ٧٥ يوماً كاملا »

فقرأ فم الذهب هذا الخطاب الشديد اللهجة بالرضى والاذعان وأخذ يسعى جهده في استرضاء خاطر الاخوة الطوال القامة ولكنهم أصروا على رفع دعواهم للملكة . وذات يوم بينما كانت افدوكسيا راكبة في مركبتها الملكية تقدم الرهبان المصريون وطرحوا انفسهم أمامها وشكوا اليها حالتهم فوعدتهم بالنظر في طلبهم واستدعاء بطريرك الاسكندرية الى القسطنطينية. وكان لهذه الامبراطورة تأثير يذكر على قلب زوجها فأقنعته بضرورة عقد مجمع لمحاكمة ثاوفيلس برأسه فم الذهب . وهذا العمل يعتبر من وجهة قانونية اجحافاً بحق بطريرك الكرازة المرقسية ولهذا عند ما بلغه الخبر استحكم فيه سوء الظن بفم الذهب وكتب الى ابيفانيوس اسقف قبرص الذي كان ضرياً له في شدة الكراهة لمؤلفات اوريجانوس وافهمه بان فم الذهب من انصار ذلك العلامة . فعقد ابيفانيوس مجمعاً من أساقفة قبرص وحرم من يقرأ تلك المؤلفات . ثم تبعه ثاوفيلس في عقد مجمع بالاسكندرية صادق فيه على قرار مجمع قبرص وأرسل قرار المجمعين الى فم الذهب الذي عرف من خلالها المكيدة التي تدبر له فقال « هذان الرجلان يريدان خلعي غير اني سأثبت في مركزي لان الله هو الذي أقامني فيه »

وفي سنة ٤٠٣ م سافر البطريرك الاسكندري الى القسطنطينية فاستقبل فيها



« القديس يوحنا فم الذهب »

باحتفال باهر من بحارة المراكب المصرية التي كانت راسية هناك حاملة ضريبة الحنطة . وكانت الاحوال في القسطنطينية قد تغيرت وتحول قلب الملكة عن فم الذهب بسبب تبكيته لها على افراطها في الخلاعة فطلبت الى البطريرك الاسكندري أن يعقد مجمعاً يحرم فيه فم الذهب ويحكم عليه بالنفي وقد تم ذلك في مجمع عقد

بالقرب من خلكيدون في مكان جميل يدعى بالسنديانة ونفي فم الذهب رغماً عن سخط شعب القسطنطينية على ذلك الامر . غير أن الله أعاده في نفس ليلة نفيه بسبب زلزلة كادت تقوض المدينة وترك البابا ثاوفيلس مدينة القسطنطينية راجعاً الى الاسكندرية

غير انه بعد مدة نصبت الملكة تمثالا لها في ساحة قريبة من كنيسة أجياصوفيا فكانت أصوات الطرب حول تمثالها تختلط باصوات المرتلين في الكنيسة ولذلك ندد فم الذهب بهذا العمل تنديداً قاسياً فعملت مرة أخرى على التخلص منه فطلبت من الاساقفة عقد مجمع آخر يحاكمون فيه فم الذهب مرة أخرى وطلب من البابا ثاوفيلس أن يحضر ولكنه أبى واكتفى بابداء رأيه وهو « ان القانون الثاني عشر من قانون مجمع انطاكية المنعقد سنة ٣٤١ م قرر ان الاسقف اذا عزله مجمع ما لا يسوغ ارجاعه الا عن يد مجمع آخر أعظم من الاول وان الاسقف اذا التجأ الى الامبراطور بغية رجوعه الى وظيفته بدون تبرئة المجمع له يجب عزله أبداً من الوظيفة الاسقفية » اه وبناء على ذلك نفي فم الذهب نفياً مؤبداً حيث قضى نحبه في منفاه هذا

أما الأخوة الطوال القامة فكان قد تم الصلح بينهم وبين بطريركهم وذلك ان البابا ثاوفيلس كان قد اتهم فم الذهب في مجمع (السنديانة) بانه حرض رهبانه على العصيان عليه فطلب المجمع الشهود فى هذه القضية فوجد ان ديسقوروس اسقف هرموبوليس قد تنيح ولم يبق سوى امونيوس أخيه الذي حمل الى السنديانة وهو يحتضر فلما رآه البطريرك في حالة الموت ذرفت عيناه دمعاً مدراراً من شدة التأثر وزال من قلبه كل جفاء

ولا ريب ان تاريخ البابا ثاوفيلس قد تشوه بمقاومته لفم الذهب الرجل الذي أجمعت كل الكنائس على محبته ولكن التاريخ نفسه يخبرنا انه فيما بعد تجلى له سوء صنيعه وشدة تطرفه ضد أخيه فم الذهب فندم على مابدا منه ضده ثم قضى بقية حياته في الاعمال النافعة فأضاف بعض القوانين الى الكنيسة يحتوي أحدها على ان الاكليروس يجب أن يختارهم الاكليروس عند تعيينهم ويختبرهم الاسقف وينتخبهم الشعب بعد تمام رضائه ورغبته . ثم اشتغل في انجاز بعض الامور المهمة

بنشاط تام حتى اصابه الهزال والضعف ومات باراً تقياً كما يشهد بذلك مؤلف كتاب « الدلالة اللامعة » ص١١٧ حيث يقول « ان ثاوفيلس قدمات باراً وانه معدود من كبار معلمي الكنيسة الجامعة » وكانت نياحته في ١٨ بابه سنة ١٢٩ ش (١) و ١٥ اكتوبر سنة ٤١٢ م وخلف لنا تآليف جليلة مملوءة بالتعاليم المسيحية النقية وكلها تدور حول المحبة والرحمة والنصح والتناول والقيامة والعقاب والثواب . وهو أول من أطلق على الكنيسة المصرية اسم « الكنيسة القبطية »

القسم الثانى

رؤساء الرهبنة ومشاهير الكنيسة

وبعض مجهوداتهم

(١) مكاريوس المصري (٢) مكاريوس الاسكندري (٣) باخوميوس (٤) يوحنا (٥) بيمين واخوته (٦) ديديموس الضرير (٧) تأسيس كنيسة مسيحيه ببلاد الحبشة بواسطة اتعاب المصريين (٨) نشر الرهبنه في العالم بواسطة بطريرك الاسكندريه (٩) نشر الدين المسيحي بين السودانيين والبدو بواسطه افاضل الكنيسه القبطيه (١٠) بعض الذين وفدوا على مصر فى هذا القرن لدرس نظام الرهبنه

---

(١) بحسب الجدول الذى وضعه الاسعد ابن العسال من علماء القرن ال ١٣ تعتبر نياحة البابا ثاوفيلس سنة ١٤٧ ش لا في سنة ١٢٩ كما ذكرنا عن الانبا ساويرس المؤرخ وذلك لان ابن العسال يذكر ان مدة رئاسة البابا ديونيسيوس ٤٠ سنة بينما يذكر الانبا ساويرس انها ١٦ فقط ولكننا سنضطر للسير بموجب جدول ابن العسال منذ الآن لانه تام وتاريخ الانبا ساويرس يقف عند القرن الثامن ولهذا لا تعجب ان كنت ترى فيما بعد ان البابا كيرلس ارتقى الكرسي سنة ١٤٧ ش مع انه اخذ مكان سلفه حالا

(١) مكاريوس المصرى — (ابو مقار الكبير) ولد بالصعيد (وقيل

بلدة شنشور بالمنوفية) سنة ٣٠١م من أبوين مسيحيين فقيرين هذباه على روح النسك وكان مشتغلا في حداثته برعاية البقر . واتفق يوماً انه برفقة بعض أترابه سرقوا جانباً من التين الذى لم يأ كل منه هو سوى تينة واحدة ومع ذلك انتبه الى زلته وعرف انه أغاظ الله بها وأخذ يبكي ويندم عليها وبمرارة نفس كان يتذكرها طول حياته .

وقيل ان أبويه رأيا قبل ولادته انه سيولد لهما ولد ينتشر صيته فى كل مكان ولذا سمياه مكاريوس أى طوباوي . ولما نشأ في القامة زوجاه بغير ارادته فتظاهر بالمرض أياماً . ثم استسمح أباه بان يمضي الى البرية لتبديل الهواء وشاهد كل البرية شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً وكأنه علم انها ستكون ميراثاً له ولبنيه من بعده . فترك كل أعماله الاولى وتمسك باذيال الفقر وسعى جهده في اقتناء الفضائل حتى نمى خبره الى أسقف جهته فكرسه شماساً لخدمة الكنيسة . ولما كانت هذه الخدمة غير ملائمة لأمياله أراد أن يهرب الى مكان بعيد عن الأماكن المأهولة وأخذ يباشر فكرته الاولى وكان يصنع سلالا ويعطيها لرجل صالح يبيعها ويأتيه بثمنها مايقتات به . ومن أظهر صفاته التواضع والوداعة حتى ان الشيطان حسده وحرك عليه بعض الاشرار فاتهموه بصنيع فعل الدنس مع عاهرة وضربوه بقساوة وجروه في الشوارع مستهزئين به ولكنه لم يفتح فاه لمخلصه بل صبر على كل ما أصابه . والأبلغ من ذلك انه لم يرفض ما ألزم به وهو انه يعول تلك الامرأة بتقديم الدراهم اللازمة لمعيشتها مدة حبلها فجد في صنع السلال وكان يخاطب ذاته عند ما يستحوز عليه الكسل قائلا « اشتغل بنشاط يا مكاريوس فقد صارت لك امرأة » ولما داهم المرأة الطلق تعذبت جداً واضطرت ان تعترف ببراءة مكاريوس مما اتهمته به فذهب اليه الذين أهانوه وطلبوا منه الصفح عن أذيتهم له

أما هو فخوفاً من ان يجلب له حسن تصرفه كرامة واحتراماً من أولئك الناس هرب من ذلك المكان وتوجه الى صحراء ليبيا ببرية الاسقيط بوادي النطرون وكان قد بلغ من العمر ثلاثين سنة . ثم قصد القديس انطونيوس أبا

الرهبان فقال عنه « هذا اسرائيلي حقاً لا غش فيه » وتتلمذ له مدة ولبس منه اسكيم الرهبنة وأقام ببرية الاسقيط وكان قد شاع صيت فضائله في العالم فهرع اليه الجماهير من المؤمنين ليتعلموا منه . فلما رأى كثرتهم شاد لهم ديراً فخيماً لايزال قائماً الىاليوم وكان يعرف اولا بدير مكسيموس ودوماديوس(١) ثم عرف باسم دير السيدة برموس (اي الدير الذي يسبق دير موسى) واعقبه بآخر وهودير أبي مقار . وكانت تلامذته تنهج على مثاله في حب الفضيلة والتقشف وكانوا جميعاً يداومون الاشتغال بايديهم لاكتساب معاشهم مثله

ولما بلغ الاربعين من عمره سنة ٣٤٠ م التزم ان يرسم كاهنا لخدمة الاسرار الربية وتوزيعها على أولئك السياح العائشين تحت تدبيره . ومن فضائله انه كان يحب الصمت والانفراد ليتمكن من ان يختلي بالله متفاوضاً معه ومناجياً اياه . وكان يفضل عيشــة النسك على عيشة الترف واستمر محافظاً على صرامة عيشته بفطنة تامة . وذات يوم كان أحد تلاميذه يكلمه وقت الظهر وقد شعر بعطش شديد فطلب منه اذناً بتناول قليل من الماء فاجابه قائلا « اكتف الآن بان تستريح تحت هذه الشجرة في ظلها متذكراً بانه يوجد كثيرون من البشر في هذه الساعة سائرين براً وبحراً من دون ان يحصلوا على هذا الفي الذيأعطيلك لتستظل تحته » ثم قال له « تشجع يا ولدي فانا قد جزت مدة عشرين سنة كاملة من غير ان اصنع ما كانت تطلبه مني أميالي الطبيعية لافي المأكولات ولا في المشروبات ولا في النوم . لأني لم آكل سوى كمية قليلة من الخبز الذي كنت قبلان آكله أزنه كيلا يتجاوز القدر المعتاد ولم اكن اشرب الا مقداراً صغيراً من الماء . وأما نومي فكان برهات وجيزة متباعدة غير متصلة وذلك باسناد رأسي على الحائط حينما لم يعد في جلد على فتح عيني » اه

ومن الطرق التي وضعها القديس مكاريوس لرهبانه ليتمكنوا بالسير فيها من اماتة أجسادهم قوله لهم « انه يلزم السائح ان يعود ذاته على الاصوام كأنه يجب ان يعيش مائة سنة وان يضاد ميله ويقهر آلامه النفسانية . وان يتناسى الاهانات

---

(١) هما ولدا فالنتنيانوس الاول قيصر الغرب الذي تولى العرش سنة ٣٦٤ م هجرا العالم بهجة الملك وتتلمذا للقديس مكاريوس

التي تصنع في حقه وان يتجلد في احتمال المكاره . وان يصبر على الاوجاع ويتكبد المصائب كأنه في كل يوم مزمع ان يفارق الحياة . على ان التفكر في النوع الاول وهو استطالة الحياة يحجز عن الراهب والسائح كل نوع من الاهمال والتراخي في الخدمة الالهية المسبب من الخوف ومن الامراض الجسدية . وأما التفكر في النوع الثاني وهو ان كل يوم يمكن ان يكون هو الأخير من الحياة فهذا يصيره ان يحتقر الخيرات الارضية . ويتهاون بالاتعاب والامراض والشدائد متأملا في الوطن الذي كل يوم يمكن ان يدعى من الله للانتقال اليه في الحياة الابدية » اه ولما سئل هذا القديس عن النوع الملائم لحسن الصلاة أجاب قائلا « انه ليس بضروري ان تكون الصلاة مستطيلة بل يكفي ان ترفع الايدي نحو السماء بالقول « يا رب اصنع معي الرحمة بالنوع الذي يرضيك » واما حينما تحاربنا تجربة ما فيلزمنا ان نقول « يا الهي أعني » على ان الله يعلم جيداً ما هو الموافق لنا فلا يتغافل عن معونتنا »

ولكي يواري الله فضيلة صفيه وأعماله النسكية تحت غطاء التواضع جعله وهو يصلي ذات يوم يسمع صوتاً يقول له « انك لم تبلغ بعد يا مكاريوس درجة سامية من الكمال الذي بلغته امرأتان عائشتان في بيت واحد بالاسكندرية وهما فلانة وفلانه » فما سمع القديس هذا الصوت الا ونهض لساعته وجد في السير حتى اذا وصل الثغر المذكور واستدل على بيتهما قرع بابهما ففتحت له أحداها فاستدعاهما وخاطبهما قائلا « اني من أجلكما قد عانيت مشقة السفر على بعد الشقة ومتاعب البرية وما ذلك الا شوقاً لاعلم ماذا تصنعان وما هى حالة معيشتكما» فقالتا له « هل يمكنك ان تجد صلاحاً فى امرأتين متزوجتين يعيشان فى لذة ونعيم ؟ » فألح عليهما فقالتا له « اننا اقترنا بسر الزواج مع أخوين من مدة ١٥ سنة وقد مضت هذه المدة بدون ان تخرج من فم الواحدة كلمة تغيظ الأخرى ولم يحدث بيننا خصام أو شبه خصام قط وان الواحدة منا لا تميز اولادها عن اولاد سلفتها بل تهتم بما يرضي اولاد الاخرى قبل اولادها » ثم قالتا له « اننا قد رغبنا الى رجلينا في ان يمنحانا رضاهما الطوعى لكي ننفرد للعبادة فى أحد اديرة الراهبات ولما لم يصرحا لنا تعاهدنا أمام مخلصنا ان نعيش هكذا

الى آخر رمق من حياتنا . ونطلب منه تعالى ان يساعدنا على القيام بعهدنا »
فلما سمع القديس خبرهما هتف قائلا « حقاً ان الله يمنح المتزوجين كما يمنح المتبتلين وانه تعالى لا ينظر الا للضمائر والقلوب ويمنح روحه القدوس لجميع الذين يخدمونه من أية هيئة كانت »

وفي سنة ٣٧٥ م امر فالنص قيصر الاريوسي بطرد جميع رؤساء الاديرة الذين حافظوا على الايمان الارثوذكسي القديم فنفذ لوسيوس هذا الامر بان نفى القديس مكاريوس وسميه القديس مكاريوس الاسكندري وكثيرين من الرهبان الى جزيرة فيلي في الصعيد الاعلى [١] . وكانت هذه الجزيرة لا تزال وثنية بالمرة وفيها هيكل للاصنام مشهور وكان كاهن هذا الهيكل محترما فى نظر السكان حتى كادوا يؤلهونه . فلما وصل هذان القديسان ومن معهما من الرهبان الى تلك الجزيرة كانت ابنة ذلك الكاهن الوثني مصابة بروح نجس فانطلقت الى الشاطىء الذي رسى فيه القديسان وصاحت قائلة « لم اتيتم يا عبيد الله الى هذا المكان الذى استوطناه من زمن بعيد . أطمعتم فى الاستيلاء على هذه الجزيرة بعد ان استوليتم على القطر كله . ها نحن نتركها لكم اذ لا قوة لنا على مقاومتكم » ولما صلى النساك على الفتاة فارقها ذلك الروح الشرير فبرئت . وللحال اعتمد معظم أهالي تلك الجزيرة الوثنية . ولما سمع الشعب الاسكندرى بهذا الخبر طالب لوسيوس بشدة بارجاع هذين البارين فأصدر أمراً خصوصياً بالرغم عنه باعاده هذين الرئيسين ومن معهما حوالي سنة ٣٧٦ م

وما رجع القديس مكاريوس الى بريته حتى استأنف اعماله التقويه فظل يعلم المتوحدين ويرشدهم الى ان رقد بالرب في ٢٧ برمهات سنة ١٠٨ ش بالغاً من العمر ٩٠ سنة تاركا برية الاسقيط تحاكي السماء موطن الملائكة ومقر التسبيح والتمجيد [٢] وقد نما عدد رهبانه الى ١٥٠٠ راهب . وكانت لهم مكانة كبرى ومنزلة عليا لما اشتهروا به من كثرة الحكمة ووفرة العلم

ولهذا القديس مؤلفات جليلة رد بها على مؤلفات الوثنيين ضد الديانة المسيحية

---

(١) جنوبي اسوان وبينهما ثمانية كيلو مترات وتعرف عند العوام باسم « أنس الوجود »

(٢) سرق جسد القديس ودفن بكنيسة شبشير طملاي بمركز منوف ٤٤٠ سنة ونقله البابا ميخائيل ٣ الى البرية ولم يزل بها لليوم

لم يعثر العالم المسيحي منها او بالحري لم يصل ليده من تلك العصور المتقدمة الا كتاب عظاته المحتوي على خمسين عظة وكتب فى المبدأ باللغتين القبطية لفائدة رهبانه وأمته وباليونانية لفائدة أهل هذه اللغة الذين كانوا منتشرين بمصر. ومع ان اكثر مؤلفات آباء الكنيسة اغتالتها يد الضياع الا ان نسخة عظات هـذا القديس ظلت محفوظة حتى وقف عليها الانكليز وطبعوها بلغتهم ثم ترجموها الى العربية. وللقديس خلاف المواعظ بعض اقوال اخرى روحية منثورة في كتاب بستان الرهبان. وله سبع رسائل لاهوتية طبعت بالفرنسية في مدينة طولوز بفرنسا سنه ١٦٨٤م

(٢) **مقاريوس الاسكندرى.** ولد في الاسكندرية في اوائل القرن الرابع

من والدين فقيرين ولهذا اشتغل خبازاً بضع سنين وكان يصنع الفطائر ويبيعها لينفقها في ما يحتاج ولما كان الله قد انتخبه اناء مقدساً له لبث بين الموعوظين الغير المعمدين ثلاثين سنة. الا انه بعد ما اعتمد وتقوى بالنعمة لم تطب له عيشة اهل العالم فكان يتوق الى سماع اخبار النساك والسياح العائشين في البراري والقفار وعزم على الاقتداء بهم قائلا « ان قيمة نفسى توازي قيمة نفوس اولئك القديسين فلماذا لا انسج على منوالهم »

ثم انطلق الى القديس انطونيوس وتتلمذ له وترهب بوادى النطرون فى ايام الانبا مكاريوس الكبير وبعد ذلك توجه الى برية موحشة واقام يتعبد فيها سبع سنين بغاية التعنف اقتصر فى الثلاث السنين الاخيرة على اكل الحشيش والعروق النيئة المرة. وقدانتهى اخيرا الى حد الامساك فكان لا يأكل الامرة في الاسبوع لاعتقاده ان جسده هذا هو عدوه الالد ويقول عنه انه شريك الشيطان في الاضرار بي فينبغى ان أذله واضعفه حتى لا يقوى على محاربتى.

وكان يصرف نهاره في الترتيل وليله فى الصلاة واذا غلب عليه النعاس كان يعذب نفسه بحيث يبقى أياماً وليالي بدون أن ينام وقد ألزم نفسه بان لا ينام فى كل ليلة أكثر من ساعتين واستمر هكذا طول حياته. ولكنه فى صوم الاربعين المقدسة كان يزداد في تقشفه وقد قضى مرة هذا الصوم واقفاً لم يجلس ولم ينم

بل كان يصلي واقفاً أم جاثياً ولم يأكل ولم يشرب الا في أيام الآحاد

وذات يوم لسعته نحلة فقتلها ولكنه ندم فيما بعد على قتلها واراد الشيطان ان يدخل في عقله الافكار النجسة فمضى وسكن في مكان مملوء بالزنابير لا تقدر الحيوانات ان تسكن فيه خوفاً من لسعاتها فأقام هو فيه ستة أشهر يتحمل لسع الزنابير السامة ولما ترك ذلك المكان كانت هيئته قد تغيرت الا انه انتصر على الافكار الشريرة

وبعد كل ذلك الجهاد الطويل لم يكن يشعر بانه عمل شيئاً يؤهله لنيل الحياة الابدية وماكان يظن انه ابتدأ بالسير في طريق الفضيلة ولهذا عزم على الذهاب الى بعض السياح ليسألهم عن كيفية العبادة الحقيقية ومن ثم قام الى برية الصعيد وتنكر بلبس أثواب خادم لئلا يعرفه أحد وقصد مجمع القديس باخوميوس بصفته عامياً يريد ان يترهب فلما رآه رئيس الدير شيخاً منعه لعدم اقتداره على العيشة المتعبة أما هو فألح عليه بدموع ليقبله فقبله ودفع له جانباً من الخوص لكي يضفره . فانفرد في مكان وظل يشتغل واقفاً على قدميه ثلاثة أيام بلا أكل ولا شرب حتى قال أحد الآباء للقديس باخوميوس « اخرج عنا هذا الرجل لان ليس له جسد »

أما القديس باخوميوس فقد عرفه بارشاد الهي فاستقبله باحتفال عظيم فشق عليه هذا الامر وخرج من تلك البرية ولجأ الى مكان فوق جبال نيتريا . ولم يلبث في هذا الموضع طويلا حتى بلغ خبره الى البطريرك الاسكندري فأرسل اليه أناساً أتوا به ورسمه كاهناً فلما رأى نفسه قد اكتسب درجة كهنوتية أراد ان يزداد في تقشفه واكتساب الكمال فترك كل البراري المعروفة وانفرد في أخوف براري ليبيا التي أطلق عليها فيما بعد اسم برية القلالي نظراً لكثرة القلالي التي ابتناها القديس هناك لتلاميذه الكثيرين

وكان قد التف حوله أكثر من ٥٠٠٠ راهب ومتوحد فكان يرشدهم وينفعهم فضلا عن قيامه بواجبات عبادته الشاقة فكان يصلي في النهار مائة مرة ويقضي أكثر الليل في الصلاة المتوالية . وروى انه بقي مرة يومين كاملين يصلي دون ان يتوه عقله دقيقة واحدة . أما موضوع تأملاته فما كان الا يسوع المصلوب .

فكان يقطع كل أوقاته بالتأمل في آلامه ويرثى لحال أمه التي كانت واقفة تحت صليبه ولهذا أوصى تلاميذه باكرامها والتشفع بها

وقد أتاه يوماً الانبا بلاديوس واعترف عليه بان الافكار الباطلة تزعجه وبين له ميله لترك رياضات الصلاة فقال له القديس اياك ان تغلب بهذه التجربة الشديدة الخطر واني أشير عليك بان تطيل الصلاة كل ما تبلبلت بتلك الهواجس واياك ان تنقص منها شيئاً البتة وقل للعدو ان كنت لا أقدر ان أصلي كما يجب فاني استمر في مخدع الصلاة حباً بالمسيح .

وكان لهذا القديس قوة اخراج الشياطين بمجرد اشارة الصليب . وقد أتى اليه أحد الكهنة مرة وهو يشكو من آكلة مريعة وخر قدامه طالباً عونه فتحنن عليه القديس وشفاه ثم قال له انما أصابك هذا المرض لانك تجاسرت على ان تقدم ذبيحة القداس الالهي في حال الخطيئة المميتة ثم أمره ان لا يقدس قبل ان يتوب لله توبة صادقة

واضطهد فالنص الاريوسي هذا القديس ونفاه مع القديس مكاريوس المصري كما سبق معنا . وحدث بينما كان القديس مسافراً في النيل مع اثنين من قواد جيش الملك دنا منه أحدهما وقال له طوبى لكم انتم الذين تستهزئون بالعالم فاجابه القديس مكاريوس حقاً ما قلت ويا لسوء حظكم انتم الذين لا تدرون ان العالم يستهزىء بكم

ولما رجع من منفاه سكن بريته الاولى ثم مات في ٦ بشنس سنة ١١٢ ش و٣٩١ م وكان عمره ٨٩ سنة . وقد ذكر بلاديوس الذي عاشر القديس زماناً مديداً انه كان قصير القامة وضعيف المزاج . وله قوانين كثيرة طبعت في باريس سنة ١٦٣٧ م ورسالة في نفوس الابرار بعد الموت طبعت في أوترخت بسويسره سنة ١٦٩٦ م

(٣) باخوميوس . هو الملقب بابي الشركة لانه أول من ابتدأ بالعيشة المشتركة في الأديرة تحت قانون واحد ورئيس تعيش الرهبان تحت طاعته . وله بطيبة (١) من أبوين وثنيين مثريين ربياه وأرشداه في الاعتقادات الوثنية الكاذبة

---

(١) هي الآن الاقصر ومن بقاياها مدينة ابو وذراع ابي النجا والقرنة

ولما أدرك رشده حاولا يوماً أن يرغماه على عبادة الاصنام فلعنها وهزأ بعابديها وفي يوم آخر سقياه خمراً كانت قد قدمت للاوثان فتقيأها لساعته فاستنتج والداه من ذلك انه سيكون عدواً للاوثان .

ولما بلغ العشرين من عمره تطوع فى الجيش الرومانى وحارب في بلاد الحبشة تحت قيادة والد قسطنطين الكبير الذى كان وقتئذ قائد جيوش ديوكلتيانوس قيصر وحضر مواقع حربية أظهر فيها شجاعة فائقة وهمة عالية . ودخل يوماً مع بعض الجنود مدينة ديوسبولي حيث كان يقطن كثيرون من المسيحيين الذين شفقة منهم على هؤلاء الجنود قدموا لهم ما لزم من الأكل والشرب وأعدوا لهم وسائل الراحة فتعجب باخوميوس من هذه الشهامة وسأل عن السبب الذى حمل أولئك الناس على معاملتهم بالمحبة والرحمة دون أن يعرفوهم فأجابوه بانهم مسيحيون وديانتهم تأمرهم بصنع الخير مع كل أحد مهما كانت جنسيته وديانته . ومع انه كان قد درس علوماً كثيرة ولكنه لم يعرف شيئاً عن المسيحية التي مال بقلبه اليها وتوسل الى الله قائلا « أيها الاله القادر على كل شيء امنحني ان أعرف بأي نوع تريد أن أسجد لك وأخدمك »

ثم غادر الجندية بعد نهاية الحرب وعاد الى وطنه وذهب حالا الى كنيسة ثيتوسكوبوس وانخرط فى سلك الموعوظين وهكذا في عيد فصح سنة ٣١٤ م اعتنق المسيحية ونال سر العماد من الانبا سيرابيون (سراباموس) اسقف دندره(١) وله من العمر يومئذ خمس وعشرون سنة . وفي ليلة عماده شاهد في الحلم في رؤيا سماوية ان يده اليمنى ممتدة تحت ندى السماء الذي استحال على الفور الى تفاحة بيده وسمع صوتاً يقول له « احتفظ ياباخوميوس على ما يأتي عليك الآن الذى هو علامة النعمة العظيمة التى أراد المسيح أن يسكبها على قلبك »

وبعد عماده شعر بميل زائد نحو عيشة الكمال المسيحى واشتاق للعزلة والانفراد فتوجه الى اسوان وتتلمذ للانبا بلامون أحد شيوخ البرية الذي قال له « ان حياة السواح يا ابني هى أكثر صعوبة مما تتصورها حتى ان كثيرين ابتدأوا بها ولم يستطيعوا أن يتمموها . فتأمل في نوع عيشتي في فصل الصيف آكل

---

(١) على شاطىء النيل الغربي امام بندر قنا



« القديس باخوميوس ابو الشركة »

مرة واحدة في كل يوم وفي فصل الشتاء كل يومين مرة . وطعامي دواماً الخبز والملح دون أن أستعمل زيتاً أو خمراً . كما انني أقضي نصف الليل وأحياناً الليل كله في تلاوة المزامير وفي التأمل في الكتاب الالهي ولهذا أنصحك أن تروض نفسك مدة على هذه العيشة وبعد ذلك تأتي الي وأصيرك رفيقاً لي » فأظهر

باخوميوس مزيد خوفه ولكنه تقوى داخلا بنعمة الله وأجاب الانبا بلامون قائلا « انى أتكل على نعمة المسيح وأستند على صلواتك من أجلي لانال قوة أستطيع بها أن أعيش متمما واجباتي لغاية الموت » فسر القديس بلامون من حسن جوابه وألبسه اسكيم الرهبنة. فسار التلميذ في طريق الكمال وبالغ في اماتة جسده حتى فاق معلمه في صرامة العيش وطول الصوم والسهر. واتفق ان سائحاً مريضاً بمرض الكبرياء كان يصنع العجائب بقوة ابليس حتى انه كان يمشى على جمر نار ملتهب فلا يحترق فجاء الى القديسين وقال لهما هل حصل أحدكما على مثل هذا الايمان الذى حصلت عليه فانى أمشي في وسط النار بدون أن تمسني فأجاب الآب بلامون ان احسنا التواضع فيكون حينئذ ايماننا حسناً. فلما سمع باخوميوس هذا الكلام بدأ يزداد فى فضيلة التواضع وأما ذلك المغرور فأسقطه ابليس في الزنا ومات شر ميتة

وبعد مدة سنتين تباعد يوماً عن قلايته فى مقر قريب من طابانا [1] ليلتقط حطباً ماشياً بين الشوك حافياً كعادته ولما كان يصلي جاثياً ظهر له ملاك الرب وأشار عليه ببناء دير في تلك الجهة التى كانت بلدة قديمة خربة. فمضى الى شيخه وقص عليه الرؤيا ثم ذهبا وسكنا في المكان المعين وبنيا هذا الدير وبعد أن شيدا عدة أمكنة هناك ترك القديس بلامون تلميذه باخوميوس فيها ورجع الى مكان عزلته ولم يعد يواجه احدهما الآخر الا مرة واحدة فى كل سنة. وتوفى القديس بلامون بعد مدة ولكن باخوميوس تعزى بحضور أخيه البكر يوحنا لانه لم يكن قد شاهد أحداً من أقربائه منذ تركه لوطنه وسر لان أخاه اعتنق الديانة المسيحية وعشق سيرة الرهبنة. ولكنه كان غليظ القلب فتعب القديس باخوميوس كثيراً في سبيل تهذيبه حتى صيره انيساً وديعاً وبعد أن قضى خمس عشرة سنة في ذلك الدير مات باراً تقياً

---

(١) وبالقبطية « طابنيسيس » وتعريبها « نخل ايزيس » وهي بلدة تابعة لابروشية دندرة. قيل انها جزيرة في النيل تعرف الآن بجزيرة الغريب. وقيل انها مدينة كانت على الشاطئ الايمن للنيل جنوبي « فاو » بمديرية قنا (٢) للانبا بلامون دير بناحية القصر والصياد بمركز نجع حمادي بمديرية قنا لم يزل عامراً الى اليوم

فاستمر القديس باخوميوس بعد موت أخيه مواظباً على عيشة الوحدة والتقشف في ذلك الدير واخذ الشيطان فى محاربته بالافكار الرديئة التى كان ينتصر عليها بتأمل نار جهنم التي لاتطفا ودودها الذي لا يموت . ثم ظهر له الشيطان بأشكال متنوعة لذيذة ومخيفة ليوقفه عن عبادته ولكنه تسلح ضده بالاسلحة الروحية وقضى بمعونة الله عز وجل اربعين ليلة لم ينم البتة ممارساً الصلوات والقراءة فى الكتب الالهية حتى انغلب العدو امامه كما انه استمر مدة خمس عشرة سنة لاينام فيها الا برهات وجيزة مستنداً على عكازه من دون ان يقرب من الحائط . وقد اعطاه الله سلطاناً على تماسيح نهر النيل فلم تكن تضره ابداً .

واذ كان يصلي ليلة ظهر له ملاك الرب واعلمه بان يتخذ العناية لتهذيب الآخرين فشرع يقبل في ديره جميع الذين احبوا السير على منواله حتى انه في زمن وجيز جداً وجد عنده مائة راهب اما الفرائض الرهبانية التى وضعها فقيل انه اقتبلها من الملاك نفسه

ولا يخفى ان الطريق التي سار فيها الانبا انطونيوس وجعلها فريضة لرهبانه من بعده وهى ان يحصل كل واحد منهم على قوته بتعب يديه كانت عسرة وشاقة وغير كافلة بحفظ الرهبانية ودوامها في عالم الوجود والفضل للانبا باخوميوس صاحب الشركة الذي اتخذ طريقة سهلة قدر الناس بواسطتها ان يعتنقوا الرهبنة وينظموا في سلكها في كل زمان وهى انه وضع كل قنية الرهبان ومحصول تعب ايديهم في مجمع واحد تحت سلطة احدهم وتدبيره وجعلهم يعيشون عيشة روكية ودعا ذلك ايكونونيا (شركة) وفرض عليهم ان يشتغلوا بأيديهم لربح الدير ولكنه ترك الحريه لكل واحد ليشتغل حسب قوته ونشاطه . ولم يكن الرهبان يأكلون الا وهم مجتمعون على المائدة وكما فرض لهم هذا القانون فرض لهم قانوناً آخر لحياتهم الروحية ورسم في ذلك القانون فرائض ليست بمستطيلة جداً اشفاقاً على المتقدمين في السن من الرهبان فكانوا يحضرون يومياً لتلاوتها امام الهيكل بدون كلل ويتناولون الافخارستيا في يومي السبت والاحد. ولما لم يوجد بين الرهبان احد حاصلا على درجة كهنوتية (وحفظ هذا الامر في ديرطابانا بعد موت القديس باخوميوس

مدة تزيد عن المائة سنة) فلهذا كانوا يحضرون بعض الكهنة من الكنائس القريبة لاتمام خدمة القداس . واما الوعظ فكان يصير مرتين او ثلث مرات في كل سنة .

ووضع للرهبان ان يستعملوا الكتاب المقدس بارشاد الرؤساء حتى في وقت شغلهم وان يحفظوا المزاميرغيباً . ومن لم يكن يعرف القراءة فكان يلزم بحفظها قبل لبس شكل الرهبنة ليتمكن من اشباع نفسه بتلاوة الكتب المقدسة . وكان على الرهبان ان يشتغلوا بايديهم للحصول على حاجتهم وترك القديس باخوميوس الحرية لكل واحد ليشتغل حسب قوته ونشاطه وكان كثير النصح لهم بترك الميل لمجد العالم وحدث ان احد الرهبان المكلفين بالنسيج اشتغل في يوم واحد ما يلزمه عمله في يومين ووضعه على باب قلايته لكي يكتسب اطراء القديس فلما رآه وادرك سريرته قال للرهبان الحاضرين « تأملوا ان هذا الراهب يجهد نفسه بالتعب من الصباح الى المساء لاجل الشيطان وهكذا يضني جسده من غير افادة لنفسه » ثم أمر ذلك الراهب بان يحضر في اجتماع الرهبان ويلتمس منهم ان يصلوا لاجله امام الله ليهبه الغفران وفرض عليه ان يبقى في قلايته خمسة اشهر يقتات بالخبز والماء فقط . ولاحظ مرة أخرى ان راهباً كان يصوم كثيراً محبة في نيل الفخر فأمره بان يحضر نصف النهار مع الرهبان الى المائدة ليأكل معهم من الخبز والحبوب المسلوقة افضل من ان يصوم طالباً المجد الباطل

وذكر انه رأى يوماً قوماً من الرهبان الحديثين صاعدين الى شجرة تين ليأكلوا سراً فأمر القديس حينئذ بقطع الشجرة فشفع فيها البستاني الذي كان رجلا فاضلا معتبراً ولم يرد القديس ان يكسر خاطره فلم يقطعها ولكنه صلى وبعد صلاته يبست التينة . ومن القوانين ان يصلي الرهبان اثنتي عشرة مرة نهاراً واثنتي عشرة ليلا ويصوم كل منهم حسب طاقته وغير ذلك من القوانين التي سار عليها غيره فيما بعد . وكان القديس يعامل الرهبان بالحلم والشفقة ولا سيما الشيوخ والمرضى منهم اما الشبان فكان يتصرف معهم بالأناة والصبر ويدرجهم قليلا قليلا في طريق الكمال ولم يلزمهم بتقشفات الدير الاعتيادية كلها بل امر الطباخ بان يصلح لهم طعاماً خصوصياً فلم يعجب الطباخ هذا الامر حتى

انه في بعض الايام لم يهيىء لهم شيئاً من الطعام لانه حسب زعمه لم ير هذا لائقاً بالراهب ومن جهة أخرى كان يجد فرصة لجدل الجدائل لاجل فائدة الدير . فلما علم القديس بفعله هذا أمره ان يأتي بكل ما كان صنع من الجدائل وكان عددها نحو خمسمائة فوضعها كلها امام الرهبان واحرقها ثم قال لهم ان الطاعة لا تأذن للراهب ان يفحص عن تصرفات رئيسه فان ذلك مما لا يسوغ له انما عليه ان يطيع بسرعة وسرور . ومرة اخرى ارسل وكيل الدير ليبيع جدائل الدير وعين له ثمنها فلما مضى ذلك الوكيل اتفق ان اناساً قدموا له اكثر من الثمن الذي عينه له الرئيس فباعها بالثمن الاعلى فاذ علم القديس بذلك وبخه ايضاً على مخالفته واوصاه ان يرد للشاري ما كان اخذه فوق الثمن المعين . ثم عزله من وظيفته وعاقبه بان فرض عليه ممارسة افعال شاقة وامر الجميع ان ينبذوا كتب الهراطقة وكانت قوانين هذه البار محفوظة في كل الاديرة التي كانت تحت اشرافه . وروى كاسيانوس الذي زار أديرة القطر المصري بعد ذلك بأزمنة مديدة انه رأى أولئك الرهبان محافظين تماماً على تلك القوانين لاسيما ما يختص برؤسائهم حتى اذا كان أحدهم يكتب وناداه الرئيس لا يتم كتابة الحرف الذي ابتدأ به بل يقوم اليه عاجلا وشهد بانهم لم يكونوا يضعون في قلاليهم الا الضروري لقوتهم حتى يتلألأ على وجوههم نور الفضيلة وتسطع منها اشعة الصلاح

وكان القديس باخوميوس اشد الناس سروراً بنجاح رهبانه الذين كان يأتي لمشاهدتهم كثيرون ويتعجبون مما يرونه من الصفات المقدسة في اناس يشبهون الملائكة من كل الوجوه . غير ان ابتهاج القديس تحول الى حزن لما اعلن له الله عن حال رهبنته في المستقبل وعن التغيير العتيد ان يحدث فيها من قبل رؤسائها ولهذا شدد على الرهبان بحفظ قانونه جيداً ومقاومة الميل لمجد العالم مقاومة مستمرة بقوله « ترى ما الذي يجعل الانسان ان يهمل ذاته الا اذا انجذب الى محبة المجد الباطل . ولماذا ينتفخ متعظماً مع انه ليس الا تراباً ورماداً . فلنبك بالاحرى على ذلنا وشقائنا مادام لنا زمان للبكاء . حتى اذا انتهت ايام غربتنا لا نحتاج الى زمن آخر لنتوب فيه دون ان نحصل عليه . على انه طالما نحن في قيد هذه الحياة نستطيع ان نندب خطايانا وننوح عليها . واما في جهنم فيقول المرتل « لانه ليس

في الموت ذكرك . في الهاوية من يحمدك » (مز ٦ : ٥) فلتلزمنا تيارات من الدموع لنبكي البكاء الواجب على نفس ثميسة تكون بعد رفضها العالم وما فيه رجعت تشتبك بهمانه وشهواته وتعود الى الافكار اللحمية والرغبات الارضية وعلى هذه الصورة تسقط من جديد في ذلك الأسر الذي فازت اولا بالنجاة منه . فلا نرتضي يا اخوتي الاعزاء بان يفقدنا الحياة الابدية هذا العالم الغرار الفاني الزائل الذي لا يمكننا بوجه من الوجوه ان نتكل عليه » اه

ولما اشتهر أمر القديس باخوميوس وتردد اسمه على الألسنة أتت أخته مريم لزيارته فلم يرد ان يقابلها ولم يسمح لها بالدخول الى الدير بل ارسل البواب يقول لها ان أخاك في سلام وقد ودع العالم فلا يود ان يراه ثانية وان كنت تشتهين التنسك وتصيرين قدوة صالحة للنساء فهو يبتني لك ديراً لتعبدي الله فيه فلبت أخته دعواه وشيد لها ديراً خاصاً سنة ٣٤٠ م واجتمع معها نساء كثيرات يعبدن الله تحت اشراف القديس باخوميوس

واستمر القديس على اسداء النصائح للرهبان الذين يرى فيهم عيباً ولما يراهم باقين في حالتهم الرديئة يصلي من اجلهم دون ان يؤدبهم سريعاً منتظراً فعل نعمة الله في قلوبهم . وكان بين رهبانه عشرة اشخاص متقشفين للغاية ولكنهم كانوا ذوي ألسنة نمامة الامر الذي كان يكرهه القديس جداً . واذا اتفق يوماً ان احدهم جاء اليه يتكلم معه ضد قريبه كان يتركه ويقوم حالا وهو يقول له كلمات المرتل « الذي يقع بقريبه خفية كنت أطرده » وهكذا يصده عن النميمة ولكن هذه الطريقة لم تجعل اولئك العشرة يكفون عن ارتكاب خطيئة النميمة فالتجأ الى الله بالصلوات الحارة مدة اربعين ليلة من دون ان يرقد مطلقاً أو يأكل سوى مرة في كل اسبوع الى ان تنازل الرب وأوقف النمامين عن التكلم بالنميمة . ولما كان يقدم نصيحة لراهب كان يطليها بكل لطف ومحبة واذا لاحظ ان أحد الرهبان تألم من كلمة صدرت منه لا يستريح حتى يزيل منه ما ألم به من جرى كلامه

وأما من جهة الاذى الذي يصدر ضده فكان كأنه عديم الشعور به بل يقبله بكل فرح وسرور . ومن ذلك ان احد رهبان دير طابانا طلب من الرئيس ان يرفعه الى وظيفة ايكونوموس فقال له هذا ان الآب العام باخوميوس لم يسمح

بترقيته فامتلأ ذلك الراهب غيظاً على القديس وذهب اليه مسرعاً فوجده يشتغل مع الرهبان في ظل حائط الدير فانشأ يهينه بكلمات شديدة . أما القديس فأخذ يعتذر له كأنه مذنب في حقه وأمر الرئيس بترقيته وبهذا اللطف عالج حدة الراهب فعدل عن الوظيفة وطلب الصفح والغفران عما افرط به . وكان القديس لايميز نفسه عن الرهبان في شيء لا في زمن الصحة ولا في زمن المرض حتى انه لم يخدم منهم بل بالعكس كان هو يخدمهم ولم يتميز عنهم الا باتعابه وتواضعه وصبره على المكاره

وحوالي سنة ٣١١ م زار القديس اثناسيوس الرسولي جميع ابروشيات كرازته لتثبيت رعيته في الايمان الأرثوذكسي وفي اثناء زيارته لكنائس طيبة رأى ان يمر من ضواحي دير طابانا . فالقديس باخوميوس خرج لملاقاته مع عدد كثير من رهبانه ولكي لا يعرف من البطريرك ولا من رفقائه زج نفسه بين الرهبان الآخرين كأنه أحقر من فيهم ولما قصد البابا اثناسيوس ان يرسمه قساً هرب الى تبنه (١) فقال البابا لاولاده قولوا لابيكم الذي بنى بيته على الصخرة التي لا تتزعزع وهرب من المجد الباطل « طوبى لك وطوبى لاولادك »

وحدث ان شاباً يدعى ثيوذوروس ابن امرأة شريفة الأصل تأمل ذات يوم وهو في الثانية عشرة من عمره في زوال هذا العالم وبطلان أمجاده وادرك انه عديم المنفعة لمن يحبونه فعزم على السير في طريق الزهد وتوجه الى القديس باخوميوس وعرض عليه نفسه فقبله لعلمه ان الله اصطفاه ليكون رئيساً للرهبان بعده

وعلمت أم ذلك الشاب بما نواه وسار فيه فاستولى عليها الحزن وتوجهت الى الدير وطلبت من القديس باخوميوس ان يرد لها ابنها فأجابها انه نذر نفسه لله فالتمست منه ان يدعوه اليها لتراه فأبى ابنها ان يراها معتذراً بقوله « من يضع يده على المحراث لا ينبغي ان ينظر للوراء » . فتأثرت الأم من قساوة ابنها بل من عزمه الشديد على السير في طريق الفضيلة وأحبت ان تقتفي أثره فانضمت الى

---

(١) هي جزيرة قرب دندرة

دير النساء (١)

وقد ميز الله صفيه باخوميوس بموهبة صنع العجائب والتكلم بالنبوات فتوافدت عليه الناس من كل مكان بعضهم لنوال الشفاء وبعضهم للاستشارة في أمورهم . غير ان القديس لم يهتم بشفاء المرضى من رهبانه بل كان يشجعهم على احتمال كل ما يصابون به من قبل الله بشكر زائد حتى يكتسبوا رحمته ورضاه دواماً . وأخص تلاميذه ثيوذوروس المذكور اعتراه يوماً وجع شديد في رأسه وطلب منه ان يشفيه فأجابه « اعتقد جيداً يا ابني بانه لا تأتي علينا الأوجاع والاحزان او أية شدة كانت الا بارادة الله أو سماحه فاحتمل اذاً بصبر واتضاع هذا الوجع الذي ارسله لك الله وانتظر الى ان ينقذك منه تعالى متى يشاء . وانه اذا كان عز وجل يتنازل لان ينجحك بواسطة هذا العذاب مدةمستطيلة من الزمان فيقدم لعزته الشكر عن ذلك نظيرايوب البار الذي فيما بين اوجاعه وآلامه لم يكن يفتر عن مباركة الرب وتأكد ايضاً انه وان كانت الاصوام أو الصلوات وباقي افعال الاماتات ممدوحة بلا ريب فان احتمال ما يفتقدنا به الله من الشدائد بصبر هو أجود واكثر استحقاقاً للمدح » اه

ولما كثر حول القديس ازدحام الناس الذين يقصدون ان يستشيروه في احوالهم بعلمه الالهي أنعم الله عليه بمعرفة اللغات كما انعم بذلك على الرسل وسببه ان راهباً جاءه من رومية وقصد ان يرتشد منه فابتهل الى الله من أجل فائدة هذا الراهب وقال « انت تعلم ايها الاله اني لعدم معرفتي لغات لا اقدر ان امنح ربحاً باسمك للذين يأتون الي من أماكن بعيدة فاما ان تمنحني معرفة لغة من يقدم الي لافيده او لا تدع احداً يأتي الي » فاستجاب الرب طلبه وسمع اعتراف الراهب وارشده

وبعدان بني القديس باخوميوس اديرة كثيرة واجتمع فيهاما ينيف على السبعة الالاف راهب وفي دير طابانا اجتمع ألف واربعمائة راهب اراد الرب ان ينقله اليه . فبعدالصوم

---

(١) صار ثيوذوروس فيما بعد وكيلا على الرهبان للقديس باخوميوس وبعد نياحة هذا القديس أقيم رئيساً عاماً عليهم

المقدس لسنة ٣٤٨ م افتقد الله رهبان اديرة القديس باخوميوس بمرض أمات منهم في مدة وجيزة نحو مائة راهب اكثرهم من الاتقياء . ثم ان القديس باخوميوس مرض اربعين يوماً اجتازها بكل سكينة الروح وبهجة القلب وقبل رقاده بيومين جمع لديه رهبانه وخاطبهم قائلا « اني أشاهد يا اولادي الاعزاء ان الله عن قرب يريد ان يدعوني اليه . اما انا فمن دون خوف اقبل نحو الموت . لاني واثق بصلاح الله الغير المتناهي . فاحفظوا انتم في ذهنكم الاشياء التي اوصيتكم بها مرات كثيرة . فكونوا ساهرين في الصلوات حارين في اعمالكم . واهربوا من المخاطبات مع اولئك الذين يمكنهم ان يسلبوا منكم فضيلة الايمان او يعكسوا استقامة عوائدكم . بل تقدرون ان تتفاوضوا مع أناس خائفين من الله . الذين بواسطة سيرتهم الفاضلة يكونون لديكم نموذجاً صالحاً يفيدكم للبناء ولتعزية انفسكم . فأنا الآن أشعر بانحلال قواي وبدنو ارتحالي بانفصال نفسي من جسدي . فانتخبوا اذاً فيما بينكم بحضوري معكم رجلا يتخذ على ذاته تدبيركم بعد الله مهتما في خلاصكم الابدي . أما انا فأرى ان بترونيوس أليق لهذه الوظيفة » . اه

فوافق كل الرهبان على اختياره وقبلوا بترونيوس رئيساً عليهم وكان هو ايضاً مريضاً وقتئذ في دير آخر . ثم اوصاهم القديس باخوميوس باتباع قوانينه وتجنب الهراطقة وبالثبات في الايمان الارثوذكسي وقدم لهم ثيوذوروس تلميذه ايضاً ليقبلوا رئاسته في الوقت المناسب واذ رأى ملاك الله يتقدم اليه بخطوات هادئة رسم على ذاته علامة الصليب واسلم الروح في ١٤ بشنس سنة ٢٢٢ ش و٣٤٩ م وهو ابن ٧٤ سنة ودفن في المكان الذي أوصى به

وقد ظلت رهبنة هذا القديس قائمة في الشرق حتى القرن الحادى عشر . وقد روى انسلم اسقف هافلبرج بالمانيا من رجال ذلك القرن انه شاهد بالقسطنطينية ديراً باسم القديس باخوميوس وبه ٥٠٠ راهب عاملين بقوانين ذلك القديس العظيم . أما سيرة هذا البار فقد دونها احد رهبانه بالقبطية ونقلها عنه ايرونيموس فديونيسيوس الصغير . وقد عربها بعض القبط ثم ترجمها الموسيو اميلينو الى الفرنسية وطبعها في باريس سنة ١٨٨٩ م . وبعد القديس باخوميوس ترأس

مكانه باترونيوس كاشلوته وبعد هذا ترأس ثيوذوروس المشار اليه اتفاً والذي تنيح وبالدير ثلاثة آلاف راهب ورسم القديس اثناسيوس أموزا اسقفاً على دير طابانا وهو الذي اضطهده غريغوريوس الدخيل وتفاه

(٤) يوحنا الاسيوطي – ولد في ليكوبولي (اسيوط) سنة ٤٠٥ م

من ابوين فقيرين وكان ابوه نجاراً فتعلم صناعته ومارسها الى ان بلغ الخامسة والعشرين من عمره ورأى في نفسه ميلا لعيشة الانفراد فانطلق الى البرية وتتلمذ لناسك شيخ الذي رآه في اتضاع تام فرفعه الى ارفع درجة من الكمال

وكان يوحنا معروفاً بالطاعة الكاملة ومن دلائل ذلك ان معلمه وجد يوماً غصن شجرة فأمره بغرسه وسقيه مرتين يومياً حتى يثمر . فعمل يوحنا بأمر رئيسه الشاق الغير المقبول عقلا وعادة وبكل خضوع وبدون اشمئزاز سار عليه لمدة سنة كاملة وكان يسير نصف ساعة الى العين التي يستقى منها الماء للغصن وامره رئيسه مرة أخرى ان يقلع صخرة عظيمة يعجز كثيرون عن تحريكها فأطاع ولبث يفرغ جهده في قلعها مع علمه باستحالته وقال كاسانيوس « ان هذا القديس بتلك الطاعة العمياء رقى في أمد قريب الى درجة سامية من درجات التأمل والبر »

وبعد نياحة معلم القديس يوحنا زار جملة اديرة مدة خمس سنين تم فيها درس فروض الكمال ثم صعد الى اكمة مرتفعة على جبل بقرب مدينة ليكوبولي ونقر في صخورها مغارة وقطن فيها اربعين سنة لم يشاهده فيها احد ولم يكن يظهر الا من كوة صغيرة في المغارة كان يفتحها نادراً ولم يكن يقتات الا القليل من البقول والماء ومع ذلك كان يبش في وجوه زائريه ومنع النساء من المجيء اليه

وقد اشتهر بحكمته وعلمه بالمستقبلات حتى ان القائد الروماني الذي كان معسكراً في اسوان كان يستشيره في أموره العائلية والسياسية لاعتقاده برجحان رأيه ووفور فضيلته . وطلب منه مرة ان يسمح لزوجته بمقابلته وكانت قد أتت من مكان بعيد لتستشيره فاعتذر له بكونه عزم منذ سكناه بالمغارة على عدم مشاهدة امرأة قط . الا ان القائد قال له ان امرأتي تموت من شدة الحزن اذا لم

تراك فقال له القديس امض وستراني امرأتك في هذه الليلة . فتركه القائد وهو يندهش . وفي تلك الليلة ترأى للمرأة في الحلم ونصحها بان تكون رغبتها من رجال الله لا ان تشاهدهم بل ان تتمثل بافعالهم التي تسمع عنها ثم دعا لها ولزوجها بالبركة ولما اخبرت زوجها بما شاهدت زادت حيرته وزار القديس مقدماً له شكره .

وبعد ذلك هجم البرابرة من الحبشة على الصعيد فخاف القائد واستشار القديس في أمرهم فقال له لا تخش كثرة عددهم اتكل على الله وهو يوقعهم في يدك فتم قوله

وأتاه مرة شريف حبشي كانت امرأته على باب الولادة وطلب منه ان يصلي من اجلها فوعده بنجاتها وسلامة ابنها واخبره انه سيصل اليهما بعد الولادة بسبعة ايام وامره بتربية ابنه فى طريق الفضيلة و بعد ان تتم له سبع سنوات يضعه تحت اشراف أحد السياح ليروضه على عيشة النسك لينشأ سائحا متوحداً

واتصل خبر هذا القديس بثيودوسيوس قيصر الكبير فأرسل يأخذ رأيه في أمر الحرب التى كانت بينه وبين مكسيموس فأعلمه القديس بخبر انتصاره عليه قبل وقوعه فعظم شأن القديس في نظر القيصر وأرسل أترييوس أحد وزرائه يلتمس منه بالحاح أن يأتي الى الملك فأبى يوحنا كلية ترك معبده ولكنه أخبره انه سيغلب فى كل حروبه وبعد قليل يموت

واذ أدرك القديس يوحنا ان زمن نياحته قد أزف أمر أن لا يطلبه أحد مدة ثلاثة أيام وصرف ذلك الوقت مصلياً ثم أسلم الروح في سنة ٤٩٤ م وقيل انه وجد بعد موته منتصباً على ركبتيه

وأطلق على هذا القديس غالباً لقب « نبي مصر » ولم يكن يقتصر على خير نفسه ويكتفي بملازمته للعبادة بل اهتم بخير فقراء مديريته فكلف بعض تلاميذه بجمع صدقات من المحسنين وتوزيعها على المحتاجين . ولما رأى المسيحيون حسن عمله اتفقوا فيما بينهم على أن يقدموا له عشر ايرادهم فكان القديس يجمع هذه الاعشار ويوزعها على الفقراء والبائسين وقد سار هذا المشروع سيراً حثيثاً وبزغت شمسه من اسيوط فانتشرت أشعته على كل مصر ومنها عم جميع الممالك

المسيحية . وقد أسند المؤرخون مبدأ تقديم الاعشار عند المسيحيين الى هذا الراهب الاسيوطي . وبعد هذا العهد كانت هذه الاعشار تجزأ الى ثلاثة أقسام الاول لرواتب الاكليروس والثاني لعمارة الكنائس والثالث للفقراء . ولا تزال هذه القاعدة في كثير من كنائس القطر حيث يجمع من المصلين صدقات على ثلاث مرات

(٥) بيمين السائح واخوته . ولد سنة ٣٥٠م وكان له ستة اخوة هم انو بيوس أكبرهم وبايز وسمعان وألون ونسطور الملقب منذ القديم بالناسك وسارماس الشاب . قيل ان جماعة التدميرين الذين غزوا مصر قبلا استولوا على جميع ممتلكات والد هؤلاء الاخوة ثم أوردوه حتفه . وهؤلاء الاخوة السبعة اتفقوا معاً على اعتناق سيرة الرهبنة واعتزل القديس بيمين عن الناس سنة ٣٨٥م وانفرد فى برية الاسقيط بمصر حيث تبعه اخوته الستة

وكانت العيشة التى آثرها بيمين شديدة وصارمة للغاية اذ كان يقول « ان اللذة الشهوانية تطرد من القلب الندامة وخوف الله كما يطرد الدخان النحل فرائحتها تخمد النعمة وتنزع من النفس التعزية وحضور الروح القدس أيضاً » غير انه رأى فى المستقبل ان هذه العيشة الغير الاعتيادية تنشىء فى الانسان زهواً وفخراً ففضل عوضاً عن ان يصوم ثلاثة أيام او اسبوعاً ان يأكل كل يوم بطريقة تجعله دواماً شاعراً بالجوع . وعوضاً عن أن يسهر الليل كله ينام منه أربع ساعات ويقضي نصف الباقي فى الترتيل والصلاة والنصف الآخر في عمل يده . أما يومه فكان يقضي منه الى الساعة السادسة في عمله والى التاسعة في صلواته وما بقي يجمع فيه البقول التى يأكلها في الغروب

وكان القديس في حياته يكثر من زيارة الشيوخ لكي يستفيد من آدابهم ولم يضجر من تأمل قول الانبا موسى أحد معلميه « يجب ان يكون لخادم الله قلب منسحق بالندامة ولا بد ان يتخشع كل التخشع لاجل ذنوبه ويراها دائماً أمام عينيه على انه لا بد له حينئذ من ان لا يفتكر ابداً في زلات القريب ولا يحكم على احد ما اذا لم يفوض له ذلك اما من باب المحبة واما للقيام بواجبات وظيفته » اهـ

وفي سنة ٣٩٥ م اغار البرابرة على برية الاسقيط فانسحب هو واخوته الى تيرينوث بالقرب من هيكل قديم للاوثان واقام هنالك عدة اعوام يسوس جماعة قليلة بمساعدة اخيه الاكبر انوبيوس وكانوا يكرمون بعضهم اكراماً عجيباً . وحدث ان انوبيوس قضى اسبوعاً في ذلك للمعبد يرجم صباحاً بالحجارة تمثالا كان فيه قصد اهانته ويأتي امامه مساء جاثياً طالباً الغفران . فبيمين الذي شاهد تصرف اخيه هذا سأله عن مغزاه فأجابه اني لاجل تعليمك عملت هذا فالتمثال لم يكن يحزن وقت رشقه بالحجارة ولم يبتهج اذ كنت اطلب منه الصفح فعلى هذا النحو ينبغي ان تتصرف امام احزان وملذات العالم » ومن هذا الدرس تعلم بيمين ان يقول « اني اصم لا اسمع مايقال عني واعمى لا التفت الى نقائص القريب واخرس لا اتكلم فيها ولا احكم عليها بل اترك الحكم لله »

وكان احد السواح المقيمين تحت ارشاده يذهب احياناً الى احدى البلاد القريبة ويبيع لمعلمه ما يشتغله من السلال . فجاءه يوماً طالباً منه ان يرشده الى طريقة يبيع بها السلال فقال له « اذا اراد احد ان يشتريها باكثر من ثمنها فلا تبعها واما بأقل منه فسلم وكن على الدوام منتبهاً لكي يربح الناس منك وسر لانك تخسر لاجلهم » واتفق ان القديس شعر بان رجلا اشترى منه السلال لكي يعمل معه معروفاً فدفع له فضته واسترجع منه السلال قائلا له « لا اريد ان اربح بخسارة الغير »

وادرك القديس معنى قول السيد المسيح « من أحب أباً او أماً او اخوة اكثر مني فلا يستحقني » بمعنى انه لا ينبغي ان يحبهم محبة تعوقه عن اتمام عمل خلاصه . فذات يوم جاءته والدته كي تشاهده فهرب منها مختفياً ولكنها لاحظته فتبعته وهي تبكي متوسلة اليه ان يقف لتشاهده وتخاطبه . اما هو فأجابها « لا تبكي لانك عتيدة ان تشاهديني في السماء الى الأبد اذا سرت في طريقي » ومرة أخرى ارسلت اليه شقيقته تقول ان ابنها مسجون وقد وعدالحاكم باطلاقه اذا طلبت منه ذلك فرد عليها يقول « ليس لبيمين بنون يحزن عليهم فليفحصه الحاكم فان كان مذنباً فليعاقبه وان كان بريئاً فليطلقه » فتعجب الحاكم من فضيلته واطلق الشاب

ولم يكن تصرفه هذا قساوة منه على أهله لان محبته وشفقته تجلت لكثيرين من الحزانى والمصابين الذين كانوا يلجأون اليه فيجدون فيه معزياً جليلا وكان يشعر بعطف كلي على الخطاة حتى انه كان يقول « يجب أن نستعمل مع كل الخطاة كل ماغلك من الرحمة والمحبة لاننا اذا وبخناهم بشدة حينما يصرحون لنا بذنوبهم نزيدهم حزناً ولكن ان كنا نهدىء روعهم ونطلب منهم أن يكفوا عن حزنهم ويلقوا اتكالهم على الله ونحذرهم من العودة للخطيئة في المستقبل يمكننا أن نجذبهم الى التوبة بسهولة »

ولما اشتهر القديس بيمين بصفات حسنة كثيرة في أنحاء القطر وأخصها استقراء الاحوال وكشف المكنونات . أصبح مقصداً لكل متحير وكثر القادمون اليه من كل مكان وقال له أحدهم يوماً لقد كنت أخشى أن توصد في وجهي باب مغارتك لانه زمن صيام فأجابه « انى لا أعرف أن أغلق في وجه أي انسان هذا الباب الخشبي بل انى أجتهد بكل قوتي أن أغلق باب لسانى » والتجأ اليه مرة أحد الرهبان لكى يعين له عملا يقوم به خلاف زرع الاراضي واعطاء محصولها للفقراء فأجابه « ان هذا العمل الحسن لايلزم أن يغير» ولما لامه البعض على تعيين فلاحة الارض كعمل خاص بالراهب قال « ان الذى يريد أن يفعل الخير لايتخير نوعه بل فليعمل ما في قدرته » وحينما طلب منه البعض أن يرشدهم الى كيفية ابادة الأفكار الرديئة أجابهم « اهملوا تلك الافكار نظير المغلوق عليهم من السجن . لاتصغوا اليها ولا ترددوها من جديد في هواجسكم فتبيد من ذاتها كما تهلك الحيوانات التى توجد في مكان ليس فيه هواء » ولما كشف له أحد الرهبان ضميره في انه كان يتعذب من قبل تصورات مختلفة أجابه « كما ان الذباب لايستقر على وعاء مملوء من الماء المغلي الشديد الحرارة بل يستقر على الوعاء المملوء بالماء الفاتر وهناك يتولد الدود هكذا لايستطيع الشيطان أن يضر بتجاربه الذين تتقد في قلوبهم محبة الله بل يستحوذ على الذي يكون قلبه فاتراً فى محبة الله »

وأحد الاخوة ارتكب زلة فتعهد له بان يكفر عنها باماتة ثلاث سنين فقال له « أخاف أن لاتثبت على هذا المقصد يجب أن ترضى باماتة ثلاثة أيام وتعملها بحرارة » وآخر جاء يستشيره في بعض الوسائط التي يستعملها لينجو من تجربة

شديدة وقوية فأمره أن يبعد عن مسكنه مسافة ثلاثة أيام وثلاث ليال ويصوم كل يوم حتى المغرب مدة سنة . وقيل ان راهباً كان متعذباً جداً من أفكار التجديف وحاول مراراً أن يخطر القديس بأمره ولكنه خشي فلمح منه ذلك وطلب اليه أن يكاشفه بأمره فشكى له تجربته فقال له « اذا وسوس اليك الشيطان بمثل هذه الافكار قل له « ان تجديفك يقع عليك أما أنا فلا آخذ منه جزءاً لان قلبي يبغضه » وذات يوم جاءه رجل من سوريه وسأله أي دواء أنفع لصلابة القلب فأجابه « الحرارة في الصلاة والمواظبة » وكان يحث الاخوة على دوام ممارسة الفرائض الالهية ولا سيما سر الافخارستيا فقال لهم « ان الظباء بعد أن تفترس الافاعي في البراري تلتهب من سمومها فتطلب الماء لكي تبرد غليلها هكذا نحن نقدر أن نجتاز بادية هذا العالم بدون أن نبتلع شيئاً من سمها ولا ننجو من ذلك الا بتكرار مباشرة الفضائل الالهية »

وكانت الاجوبة الحكيمة التي يجاوب بها هذا القديس سائليه ناشئة من كثرة استنارته بشريعة الله ومواظبته على مطالعة الكتب المقدسة حتى انه قال في هذا الموضوع « كما ان الماء الجاري على توالي الزمن يتمكن من اقتلاع الصخور الراسخة هكذا المداومة على تلاوة كلام الله تلين القلوب الجامدة » ولكي يعزي ذلك البار الذين كانوا لايجدون تعزية من كلمة الله لعدم فهمها قال لهم هكذا « كما ان الرقاة الذين يرقون الحيات لا يفهمون فحوى تلك الكلمات التي ينطقون بها ومع ذلك تفعل مفعولها في الحيات فتمنعها عن اللدغ هكذا كلام الله اذا تلي يستطيع أن يزعج الشياطين ولو لم يفهمه الذي يتلوه »

وأعطى تلاميذه هذه القاعدة « لاتجاروا هواكم بل قاوموه فى كل حين لان الذين يتبعون أهواءهم لايحتاجون للشيطان ليجربهم فهم أنفسهم مجربون أشداء » وكان يقول « لا يمكن أن يطرد الشر بالشر . اذا فعل معك أحد شراً فافعل معه خيراً لتغلب الشر الذى يفعله معك بالخير الذى تفعله معه » وأضاف الى ذلك مانصه « ان المقلق والمتذمر والمتظلم لايستطيع أحد منهم أن يكون راهباً وكذا ذوو الاميال الرديئة الشديدة ومن يجازى الشر بالشر » وكثيراً ما كان ينصح اخوته أن لايكتموا التجارب في أنفسهم قائلا « لاشيء أحب للعدو من

أن يرى واحداً مصراً على عدم اخبار رئيسه أو مرشده بتجاربه » وقوله « يجب أن تكون عيوب المرء دائماً نصب عينيه بحيث انذلك يمنعنا عن ملاحظة عيوب الغير » وقوله « ان الصوم والانسحاق يمنعاننا عن رؤية زلات الغير ولو كانت تظهر مسوخاً للذين يغفلون عن خطاياهم . فلا ريب ان الذى يحكم على نفسه يقدر أن يعيش فى كل موضع ويحتمل بصبر كل الشتائم » وقال يوماً لراهب « ان من يملك نقاوة القلب هذه التي بها تستحق النفس أن ترى الله هو مقتنع ان فساد قلبه قد جعله أردأ من القتلة أنفسهم » اما اخوه انوبيوس فأثبت هذا الحكم بقوله « ان الدينونةالتي يدين بهاالانسان نفسه تحجب زلات غيره فليس الانسان عادلا الا متى حكم على نفسه » وكان القديس بيمين يستعمل عادة هذا التشبيه وهو « رجلان كان لكل منهما صاحب ميت فى بيته فذهب الواحدالى الآخر وكلاهما يبكي على جسم حبيبه يتأسف عليه ومن ثم سبيلنا ان نشفق بعضنا على بعض ونشفق على زلات القريب » . وللقديس خلاف هذه الاقوال كثير ولا سيما فيما يتعلق بالصمت واحتقار الذات . ومما يؤسف له اننا لم نقف على ما ذكرنا الا في مؤلفات الاجانب لفرط اهمالنا في حفظ آثار آبائنا

وبعد ان مضى البار بيمين مدة في البرية يرشد ويعلم هجم البربر ثانياً على الجهة التى كان مقيما بها وكانوا يقتلون كل من وجدوه امامهم حتى اضطر القديس ان يهرب هو والقديس ارسانيوس سنة ٤٣٠ م واخيراً رقد في الرب في اواسط الجيل الخامس

(٦) ديديموس الضرير . ولد بالاسكندرية سنة ٣١٨ م وأصيب بمرض في عينيه وهو في الرابعة من عمره ففقد بصره ولكن رغبته الشديدة للحصول على العلم ذللت أمامه كل عقبة فلم يمنعه فقد البصر ولا الفقر من تعلم الحروف الابجدية على لوح محفور وبهذه الطريقة تعلم النحو والمعانى والبيان والفلسفة والمنطق والرياضة وفن الموسيقى . وكان متمكناً من كل علم من هذه العلوم تمكناً جعله متفوقاً على أترابه ومناظريه . وقال ايرونيموس « أنه تعلم الهندسة أيضاً التي تحتاج الى النظر اكثر مما سواها حتى كان أعجوبة لكل ناظر اليه

فانتشر صيته وذاع اسمه في كل مكان »

وكان ديديموس صديقاً حميماً للقديس انطونيوس فذات يوم شرعا يتخاطبان عن الكتب المقدسة فسأله القديس فى أثناء مذاكراته العلك لا تحزن على كونك كفيف البصر ؟ فقال له ديديموس ان ذلك ليحزننى جداً . فقال القديس « انى لمتعجب من حزنك على فقد ما تشترك فيه معك أحقر الحيوانات كواسطة للشعور بها ما دام لا شعور عندها غير البصر ولا تفرح متعزياً لان الله خولك نظراً آخر لا يهبه تقدس اسمه الا لمحبيه افأعطاك عينين كأعين الملائكة تبصر بهما الروحيات بل بواسطتهما ادركت الاله نفسه وسطع نوره امامك فازاح دياجير الظلام عن عيني قلبك فاستنرت » فتسلى ديديموس بهذا القول طول حياته

ولما كان شائعاً حينئذ بين كثيرين أن اوريجانوس لا يمتاز عن المبتدعين والهراطقة . وكان هذا العلامة من الواقفين على الحقيقة والعارفين بسلامة ايمان اوريجانوس نشر شرحاً وافياً لكتاب اوريجانوس المسمى « المبادىء » أوضح فيه خطأ الذين يعتقدون فى اوريجانوس الضلال وان مايوجهونه اليه من الانتقاد هو مجرد أوهام لا قيمة لها ثم قال « ان الذين يتهمون اوريجانوس بالابتداع هم عديمو الفهم لا مقدرة لهم على ادراك الافكار العالية والحكمة الغامضة التى امتاز بها ذلك الرجل العظيم الذى يعد من النوابغ المشهورين » اه

وبعد وفاة مقار السياسى مدير المدرسة اللاهوتية عين البابا اثناسيوس ديديموس خليفة له سنة ٣٤٠ م فكان استاذاً ماهراً ومدافعاً قوياً عن الايمان القويم فتقاطر طلاب العلم اليه من كل مكان وتتلمذ له روفينوس وايرونيموس اللذان اتيا مصر لدرس أحوال الرهبنة كما سيأتي . ولما كان كثيرون من ذوى البصر يتلقون العلم عن ذلك الضرير لقب حينئذ « الاعمى البصير »

ولما شاخ هذا الرجل العالم كان حزنه عميقاً على المسيحيين الذين كانوا واقعين تحت اضطهاد يوليانوس الجاحد فصرف يوماً كاملا فى الصلاة والصوم وهو يبتهل الى الله أن يرفع البلاء عن شعبه الى أن اضناه التعب فنام وفي اثناء نومه سمع صوتاً من العلاء يقول له « قم وكل وقل لاثناسيوس ان القيصر قد مات » فكتب تاريخ اليوم والساعة اللذين سمع فيهما هذا الصوت فوافق بالتمام الوقت الذى

قتل فيه يوليانوس

قال سقراط المؤرخ « ان ديديموس كان يعتبره الناس حصناً متيناً وسنداً قوياً للديانة المسيحية حتى قبل أن يتولى رئاسة المدرسة اللاهوتية وهو يعد خصماً عنيداً كسر شوكة اتباع اريوس واذلهم في مناظرته لهم . وله مصنفات عديدة لم يبق منها في عالم الوجود سوى اربعة فقط » اهـ وقد وضع من الكتب كتاب تفسير للمزامير ولانجيل متى ويوحنا وكتاباً في عقائد الدين وكتابين فند فيهما ضلال الاريوسيين وكتاباً في الروح القدس ترجمه ايرونيموس الى اللاتينية وعشرة كتب في تفسير نبوة اشعيا وثمانية في نبوة هوشع وبعث الى ايرونيموس بثلاثة كتب في تفسير آيات من الاسفار المقدسة وكتب خمسة كتب في نبوة زكريا اقترحها عليه ايرونيموس وفسر سفر أيوب وغير ذلك . وايرونيموس تلميذه الذي عدد مؤلفاته كتب عنه في سنة ٣٩٢م يقول «وهو حي الى الآن وقد جاوز الثالثة والثمانين من عمره » وتوفي ديديموس سنة ٣٩٦م

(٧) تأسيس كنيسة مسيحية ببلاد الحبشة بواسطة انجاب المصريين .

في بدء صعود البابا اثناسيوس الرسولي الى كرسي البطريركية حدث حادث تاريخي هو فتح بلاد الحبشة للتبشير بالانجيل وذلك أن أحد فلاسفة مدينة صور واسمه ميروبيوس اراد أن يقوم برحلة رياضيـة لبلاد الهند فاخذ معه اثنين من اقاربه وهما صبيان مسيحيان اسم الاول فرومنتيوس والثاني ايديسيوس ففي اثناء رحلتهم في بحر القلزم (البحر الاحمر) احتاجوا الى طعام فاقتربوا من الشاطىء ورآهم البرابرة القاطنون هناك فهجموا عليهم لينتقموا من بحارة في احدى السفن كانوا قد اساؤا اليهم فذبحوا ميروبيوس وجميع البحارة والركاب ولم يستثنوا الا الصبيين اللذين كانا قد هربا الى مسافة قريبة فوجدوهما تحت ظل شجرة كبيرة يطالعان الكتاب المقدس ويصليان الى الله لينقذهما فاحاطوا بهما وأسروهما وقدموهما هدية الى ملك البلاد في مدينة اكسوم في عاصمة اتيوبيا (الحبشة) في ذلك الحين . فجعل الملك ايديسيوس رئيس سقاته وفرومنتيوس امين صندوقه وعند موت الملك اعتقهما ولكن ارملة الملك طلبت منهما أن يمكثا في بلادها

ليساعداها على تربية أولادها الصغار فقبلا وساعدا الملكة بمشورتيهما في امور الحكومة حتى صارت حكومة الحبشة في أيديهما على توالي الايام . وفي اثناء ذلك استخدما كل نفوذ لهما في نشر الديانة المسيحية وساعدهما على ذلك تجار مسيحيون رحلوا للتجارة في اقاصي تلك البلاد فنبت البذار الذي زرعاه ونما بسرعة

وبعد سنوات عديدة صار ولي العهد راشداً فلم يبق لهما وجه في الاقامة بتلك البلاد فرجعا الي وطنهما اما ايديسيوس فسبق الى صور حيث رسم فيها قساً وأخبر روفينوس كاتب القصة بجلية الخبر ولكن فرومنتينوس عرج على مصر ليسرد الخبر على مسامع البابا اثناسيوس الرسولي

وحدث انه بينما كان هذا البابا جالساً في مجمع مع زمرة من الاساقفة قيل له ان رجلا غريباً وفد حالا من البلاد الحبشية يرغب في مقابلتهم . وعندماحظى فرومنتينوس بالمقابلة طلب اليهم ان يعينوا اسقفاً ليرأس كنيسة الله الصغيرة في بلاد الحبشة فصرح البابا اثناسيوس الى مجمع القسوس المجتمعين حوله قائلا كما قال فرعون عن يوسف « هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله ؟» ثم قام برسامته وتكريسه اسقفاً للحبشة وسافر فرومنتينوس عائداً الى مقر وظيفته فاستقبلوه هناك افضل استقبال وسرت بذكره الاغاني نورد لك هنا مثالا منها تكاد تكون حرفية

حيوا سلامتنا باصوات السرور وتقدموا بمديحه مترنمين
ذا باب رحمتنا مع البر الغزير غيث اتى من فيض رب العالمين

وقيل ان كثيرين من البرابرة شفوا من امراضهم على يده وان عدداً عظيما اهتدى الى الايمان بالمسيح فاقام لهم كنيسة وترجم الكتاب المقدس الى اللغة الحبشية ولم يمض الا القليل حتى قبل معظم الاحباش الديانة المسيحية . . ولقب الاسقف رسمياً في بلاد الحبش (ابا سلامة) اى (ابو السلام) ولغاية يومنا هذا يقال لاسقف الحبشة (ابا سلامة) وصارت الكنيسة القبطية من ذلك اليوم هى صاحبة الحق في ارسال الاساقفة الاقباط اليها

ويقال ان متى الرسول هو اول من نادى بالانجيل في الحبشة وتبعه مارمرقس كاروز الديار المصرية حتى ان فرومنتينوس وجد اثراً للديانة المسيحية في تلك

البـلاد وعلى كل حال فلم تقم للمسيحية قائمة ببلاد الحبشة الا فى عهد البابا اثناسيوس

(٨) *نشر الرهبنة فى العالم بواسطة بطريرك الاسكندرية* . سبق معنا ان الـكاتب لسيرة القديس انطونيوس هو البابا اثناسيوس الرسولي كتبها في حياة القديس انطونيوس نفســه واختلف الرواة في السبب الذي حمل البابا على تحرير تلك السيرة فقال بعضهم انه كتبها تلبية لطلب نساك مصر اثناء اقامته بينهم وقال آخرون انه دونها في رومية حين استضافه اسقفها وطلب منه مسيحيو تلك تلك البلاد الذين كانت قد وصلت الى مسامعهم انباء القديس انطونيوس اللذيذة ان يقص عليهم خبره ولما أخذ يقص عليهم ذلك البطريرك أخباراً عن ابطال الرهبنة ونظامها كانوا يصغون اليه بكل ارتياح وبعد ذلك كتب لهم ترجمة القديس وقوانينه فصادفت منزعاً في نفوس الغربيين وأخذوا في تأسيس رهبانيات كثيرة تسير على نظام رهبنة مصر وكثر اقبال الشبان الذين هجروا العالم وآثروا المـكوث على قمم الجبال والقفار والصحاري والمغائر والوديان كما جرى في براري مصر الشرقية والغربية .

ويمكنا ان نوفق بين الروايتين بما نذكره وهو ان البابا اثناسـيوس كتب تاريخين للانبا انطونيوس أحدهما بناء على طلب رهبان مصر وثانيهما بناء على طلب مسيحيي رومية وهذا هو السبب في وجود بعض اختلاف لايضر بالجوهر بين مؤرخي الشرق ومؤرخي الغرب في ترجمة القديس وذكر ايرونيموس تأييداً لهذا القول « انه لما هرب هذا البطريرك الى رومية أخذ موجز سيرة القديس انطونيوس الذي كان قد ألفه وان اناساً كثيرين بعد ان قرأوا الخبر هجروا العالم وترهبوا » اهـ وكان القديس اثناسيوس قد كتبه باللغة اليونانية وترجمه ايرونيموس الى اللغة اللاتينية .

وانتشر ذلك التاريخ الذي كتبه البابا اثناسيوس عن القديس انطونيوس حتى بلغ مدينة تريف على حدود جرمانيا . وقيل ان اثنين من ندماء الملك سمعا جماعة تقرأ ذلك التاريخ فتأثرا منها جداً وتركا وظيفتيهما وآثرا عيشـة النسك .

وبلغت سيرة انطونيوس اسماع اغوسطينوس وقد قصها عليه بيلانو صديق زاره فأظهر تأثره الشديد وأتت به هذه القصة الى المسيح .

وبالجملة فقد سار خبر القديس انطونيوس الى جميع الاصقاع الغربية حتى في بريطانيا سموا بعض كنائسهم باسم هذا البطل المصري بل وجد على أقدم الانصاب المسيحية في اسكوتلنده نقش يمثل مار انطونيوس مع صديقه الانبا بولا . وكذلك المصورون المسيحيون في اسبانيا وهولاندا وغيرهما صوروه مجاهداً ضد التجربة

(٩) نشر الدين المسيحي بين البدو وتعميدهم بواسطة أفاضل الكنيسة القبطية . من كبار رهبان هذا الجيل الآب موسى القبطي الذي كان يعيش في صومعة موجودة في الصحراء الواقعة بين مصر وفلسطين . وكان مشهوراً بالتقوى وله منزلة سامية لما اجراه الله على يديه من الآيات والمعجزات بين قبائل البدو المقيمين بتلك الجهات تحت رعاية ملكة اسمها مافيا كان زوجها متحالفاً مع الرومان وبعد وفاته صاروا يغيرون على كل بلاد المشرق ولم يكن فالنص الملك الاريوسي قادراً على صدهم عن حدود بلاده لاهتمامه بمقاومة سكان جنوبي فرنسا . فأرسل فالنص للملكة مافيا يطلب عقد صلح معها فاشترطت عليه ان يعين لبلادها موسى اسقفاً مع انها لم تكن مسيحية بعد . فأرسل موسى بأمر الملك ليرسم اسقفاً من بطريرك الاسكندرية ولكنه رأى ان لوسيوس البطريرك الاريوسي مضطهد الارثوذكسيين هو الذي يقوم مقام البطريرك الارثوذكسي فرفض مطلقاً ان يرسم من بطريرك هرطوقي قائلا « انني أحسب نفسي غير مستحق لهذه الوظيفة السامية ولكن اذا كانت دواعي الحال عند الحكومة ماسة لتوظفي فيها فلا مندوحة لي من قبول هذه الوظيفة ولكني لا اقتبلها من لوسيوس ولا هو يضع يده علي ليرسمني لانها يد ملوثه بدماء الابرار القديسين »

فاغتاظ منه لوسيوس وحاول أولو الامر أن يقنعوا موسى بقبول الرسامة ولكنه أبى بتاتاً أن ترتفع يد موسى الاثيمة على رأسه فأخذه الحراس الى احد الاساقفة المنفيين لاجل تمسكهم بالايمان الارثوذكسي فوضع يده عليه ورسمه

ولما تعين موسى أسقفاً انتشرت بواسطته الديانة المسيحية انتشاراً واسعاً بين جماعة البدو . ولما رقي يوستنيان العرش الامبراطورى صارت جميع هذه البلاد مسيحية بالمرة

* * *

فن هنا يتضح ان الكنيسة القبطية لم تقتصر على قبول الايمان المسيحى لنفسها بل عملت على نشر هذا الايمان في الاقطار البعيدة التي لم تكن قد آمنت بالمسيح وككنيسة تبشيرية أرسلت من قبلها مرسلين الى جهات عديدة من أنحاء المعمور لهذه الغاية . وهنا ننقل ما كتبته في هذا الشأن « لجنة التاريخ القبطي » بكتابها « خلاصة تاريخ المسيحية في مصر » ص ٢٣٠ :— « وقد كتبت أخيراً في ذلك الآنسة مرغريت مري تقول « بينما كان المسيحيون في افسس وكورنثوس وغيرهما من الاصقاع عبارة عن جماعات صغيرة متفرقة . كان مسيحيو مصر هيئة منتظمة بلغت من القوة حداً أفضى الى جعل النصرانية الدين الرسمي للقطر المصرى قبل القرن الرابع للميلاد ولهذا يحق لمصر أن تفتخر بانها أول قطر مسيحى في العالم . والفخر الاكبر انها حتى قبل بلوغها هذا الشأو كانت ترسل المبشرين من أبنائها الى سكان أوربا الوثنيين . وقد مخرت سفن أولئك المبشرين في البحر الابيض المتوسط الى أن بلغت سواحل فرنسا الجنوبية . فتخلف بها بعض منهم وواصل الباقون سفرهم على ظهر سفن ساحلية غالباً حتى عبروا مضيق جبل طارق واتجهوا شمالا بمحاذاة سواحل اسبانيا والبرتغال وفرنسا الى أن وصلوا الى التيارات الخطرة التي تكتنف رأس بوشات ثم استقبلوا عرض البحر وشقوا عبابه الى ارلندا الجنوبية فنزلوا بها وبثوا دعوتهم فيها وأسسوا كنيسة بريطانية أرسلت مبشريها بعد ذلك الى الاقطار الاخرى . وليس ذلك فقط بل ان بعض المرسلين المصريين سافروا في الطريق القديم الذي كانت تسير فيه السفن التجارية وبلغوا بريطانيه ذاتها فنزلوا على ساحلها الغربى الذى لبث الفينيقيون قروناً عديدة يؤمونه للتجارة

«وقد جلب المبشرون المصريون معهم الى الجزر البريطانية نظام الرهبنة الذى أحدث أثراً بالغاً في أوربا في القرون الوسطى . وآثار سفراتهم هذه يجدها الباحث مدونه في بيان كتبه يوخريوس اسقف ليون المتوفي سنة ٤٥٠ م وقال فيه « ان

الرهبان المصريين استقروا في فرنسا » اهـ

ويجدها أيضاً في تذكار الرهبان المصريين السبعة الذين ماتوا في ارلندا وخلدوا في دعاء أوينجس وأخيراً يجدها في تاريخ تلك الطائفة التي قطنت جلاستنبري وسارت في حياتها على نمط الرهبان المصريين » اهـ

(١٠) بعضهم الذين وفدوا على مصر في هذا القرن لدرس نظام الرهبنة .

منهم روفينوس [١] وسيدة تدعى ميلانو [٢] وروى الاول عن حالة الرهبنة في مصر حينئذ أخباراً كثيرة منها ان أسقف مدينة اوكير سخيوس أخبره أن في تلك المدينة عشرة آلاف راهب وان معظم الهياكل الوثنية تحولت الى اديرة وان اثني عشرة كنيسة أخرى بنيت في تلك المدينة لهذا الغرض . وشاهد في الفيوم وفي سوهاج أديرة كثيرة تجمع ألوفاً من الرهبان ووقف بالقرب من هرموبوليس (الاشمونين) على دير به خمسمائة راهب بينهم ابولوينوس وقد ترهب وهو في الخامسة عشرة من عمره وهو من أصل طيب وتحصل على كثير من العلوم وكان مقاوماً لجورجيوس البطريرك الدخيل وأقامه البابا اثناسيوس أسقفاً وصار رئيساً على الدير المذكور

وعثر روفينوس في خلوة خلف مدينة انطونيوس (دير البرشا) على راهب يدعى الياس قطن مغارة واسعة مدة سبعة وسبعين سنة قضاها وحيداً . وكان عمره حينئذ ١١٠ سنين والفاه مصاباً بالفالج الذي اهزله واضعفه ولم ير الياس خارج مغارته ولم يسكن مكاناً غيرها كما أنه شفى مرضى كثيرين وكان طعامه ثلاث أوقيات من الخبز يومياً وثلاث زيتونات كل مساء

---

(١) من ايطاليا أتى مصر لدرس قوانين رهبنتها ليستعين بها على تحسين حالة الرهبان الغربيين ، وكان مغرماً بكتابات اوريجانوس وتشاحن بسببها مع صديقه ايرونيموس وبعد رجوعه الى بلاده ترجم كتاب اوريجانوس الموسوم بالمبادىء وصدره بما كتبه بامفيلوس محاماة عن اوريجانوس وبتقريظ ايرونيموس نفسه المصدرة به ترجمته لشرح اوريجانوس على نشيد الانشاد وقد ذيل الكتاب المذكور برسالة منه وضع فيها ما ادخله اصحاب اوريجانوس وخصومه في كتاباته من الزخارف والدسائس المضعفة . (٢) سيدة رومانية من اصل طيب صحبت روفينوس الى مصر ومكثت تتعبد باحد اديرتها حتى قبض عليها الاريوسيون ونفوها

ووجد مغارة أخرى كان يسكنها ثيون وهو راهب اشتهر بعلمه وتضلعه في اللغات اليونانية والمصرية واللاتينية وممن أتوا مصر أيضاً ايرونيموس (١) وكاسيانوس (٢) وقد أظهر هذا دهشته مما شاهده من قساوة الرهبان على انفسهم حتى أنهم كانوا يضطرون الى حمل ما يلزمهم على منكبيهم ويسيرون بهذه الاحمال الثقيلة مسافة قد تزيد عن ثلاثة أو اربعة أميال . وروى عن رؤساء الرهبان حينئذ انهم لم يكونوا يكلفون تلامذتهم باية خدمة وحكى أحدهم بان رئيسه كرونيوس في شيخوخته كان يملأ الجرة ويطوف بها على الرهبان ليسقيهم . ورئيس آخر يدعى ثيوذوروس كان يعد المائدة لتلاميذه ولما سئل في ذلك اجاب « لست سيداً حتى اسمح للناس بان تخدمني » ومن اشهر من وفدوا الى مصر أيضاً القديس ارسانيوس (٣) من مدينة رومية

---

(١) ولد سنة ٣٣١ م في مدينة ستريدون وسافر الى بلاد كثيرة وتقلب في وظائف كهنوتية ثم أتى مصر واغرم بمؤلفات اوريجانوس ثم عدل عنها وصار يقاوم كل من أحبها وبسببها تخاصم مع صديقه روفينوس كما عادت معه استمان في مؤلفاته المديدة بكتب اوريجانوس (٢) مكث في مصر بين سنتي ٣٩٠ و٤٠٣ م ونقل جملة قوانين للرهبنة المصرية الى اللغة اللاتينية لتكون نبراساً لرهبان الغرب

(٣) أصله من عائلة شريفة اختير مؤدباً لاولاد ثيودسيوس قيصر الكبير ولكنه آثر عيشة النسك وهرب الى مصر الى برية شيهات وقدم نفسه الى رئيس دير يدعى يوحنا والتمس منه ان يقبله فلكي يمتحنه الرئيس اعرض عنه هو ورهبانه وجلسوا للاكل وهو واقف امامهم ثم طرحوا له لقمة فتناولها بخضوع وأكلها فقبل بين الرهبان وعينت له صومعة فوق جبل المقطم ولما تولى تلميذه اركاديوس بن ثيودسيوس قيصر الملك احب أن يرقيه ويهبه عطايا فأرسل يقول له « ان من مات عن العالم لايهتم بالدراهم » وطلب منه أن يوزع ما وهبه له لفقراء والمساكين . وقيل أن البابا ثاوفيلس البطريرك أتى لزيارته فطلب منه امراً واحداً وهو أن يعود بدون ان يقابله لانه عزم على أن لايرى انساناً قط . وحدث ان احدى شريفات رومية قدمت مصر لزيارته وسارت اليه من الريف الى البرية مشياً على الاقدام فأبى أن يقابلها فشكت منه للبابا ثاوفيلس فطيب خاطرها وقال لها أن قديساً مثله لا ينتظر منه أن يتطلع الى امرأة

وكان يستشير في أموره راهباً بسيطاً ولما سئل عن ذلك أجاب «اني مع ازدياد تفقهي بعلوم البشر اقل دراية من هذا الشيخ البسيط » ولما كان كثير السكوت سئل عن ذلك ايضاً فقال « كثيراً ما تكلمت فندمت . واما عن الصمت فلم أندم»

وعاش في البرية اربعين سنة اجهد فيها نفسه بالنسك الزائد حتى كان يصرف ليله بالصلاة ولا يرقد سوى ساعتين عند الفجر . وكان يعيش من عمل يديه ووقت القداس يقف خلف عمود حتى لا يراه احد ومن كثرة البكاء زال جمال منظره وسقط شعر جفونه وأنحنت قامته من الكبر ثم تنيح بسلام

الى ديوكليتانوس سنة ٢٨٤ م وكان العامل على مصر يومئذ رجل اسمه اخيلوس انتهز فرصة الارتباكات التي سادت على المملكة الرومانية واستقل بمصر ونادى بنفسه ملكا عليها وجعل مقره طيبة وأقام فيها اربعة اعوام لم يتمكن غالير يوس الوالي الروماني فى خلالها من اخضاعه . فاضطر ديوكليتانوس أن يحضر بنفسه الى مصر ليقتص من اخيلوس على هذه المخالفة والجرأة ويخلص البلاد من يده ولدى وصوله حاصر الاسكندرية وضيق عليها تضييقاً شديداً وبعد ثمانية اشهر فتحها عنوة واستولى عليها فاحرق المدينة وفتك باهلها فتكا ذريعاً

وكان قد ظن أن المسيحيين هم الذين اثاروا هذه الفتنة وناصروا اخيلوس فاستعمل معهم الظلم والعسف وتجاوز الحدود فى ذلك وارتكب مالا يخطر على بال أحد من المآثم والمظالم واختفى أثر اخيلوس العاصى الذى هرب الى داخل البلادفكان القيصر اينما حل يوقع بهم ويقتلهم ويهدم كنائسهم ويخرب معابدهم ويعذب رؤساءهم ويسبي نساءهم واولادهم . وسبى كثيرين من مدينة الاسكندرية وأباح لجنوده باقي اهلها ليفعلوا بهم ما يشاؤون فعاثوا في الارض واهلكوا الحرث والنسل وقتلوا وفتكوا ونهبوا وسبوا واراقوا الدماء انهراً واشتدوا شدة لم يسبق لها مثيل

واستمر ديوكلتيانوس يعذب المسيحيين بافظع انواع العذاب رغبة في تمزيق شملهم وحملهم على السجود للاصنام . وروى بعض الاباء ان ديوكلتيانوس ركب ظهر فرسه وأمر جنده ان لا يتركوا القتل حتى تسيل الدماء على الارض وتعلو حتى تصل الى ركبة فرسه . فكان من الالطاف الالهية أن سقطت به الفرس على الارض فتلوثت ركبتاها بالدم فتم قوله وابطلوا القتل . غير ان كثيرين من المسيحيين كانوا محبوسين وقد حكم عليهم بالموت اوبالنفى ولما شعروا بان ديوكلتيانوس ينوي بهم شراً تركوا مصر وفروا الى بلاد اخرى

وقد استمر الاضطهاد جارياً على المسيحيين فى مصر ثلاث سنوات ففي نهايتها اصيب ديوكلتيانوس بالجنون بعد ان ذاق المسيحيون مالا يوصف من العذاب وروى اوسابيوس المؤرخ الذي اتى مصر بعد هدوء الاضطهاد بقليل ورن باذنيه صدى انين المنكوبين قال : —

« انه يعسر على الكاتب الماهر ان يصف مقدار ما تجرعه الشهداء في صعيد مصر من اعذبة قاسية وآلام تشيب من ذكرها النواصي فقد كانوا يأتون بهؤلاء الشهداء ويخدشون اجسامهم وينزعون عنها الجلد الى ان ينكشف اللحم وهكذا يفعلون بباقي اجزاء الجسم الى ان يموتوا . اما النساء فكانت تربط احداهن في احدى رجليها وترفع فى الهواء بواسطة آلة مخصصة لذلك بعد ان يخلعوا عنها ملابسها ويكشفوا كل جسمها وتظهر امام جمهور المتفرجين بمظهر تنفر منه الانسانية وتأباه النفوس الأبية

« وكثيرون ماتوا بواسطة الاشجار بالطريقة الآتية وهي انهم كانوا يقربون غصنين قويين من شجرتين متقاربتين بآلة وضعت لهذا الغرض ثم يجيئون بالشهيد ويربطونه بهذين الغصنين ومن ثم يتركانها ليعودا الى اصلهما فهذا يعتدل للجهة اليمين مثلا والآخر للشمال والشهيد بينهما تتمزق اضلاعه وتسحق عظامه سحقاً ويتطاير جسمه فى الفضاء

« ولم تكف لهذه الفظائع ايام وشهور بل كانت تستمر سنيناً طوالا وهى فى افظع حالاتها وكثيراً ماكان يصدر حكم بقتل عشرة اشخاص في لحظة واحدة واحياناً يقتلون عشرين رجلا مرة واحدة واحياناً ثلاثين وستين . ومرة حكم على مائة رجل بالموت فماتوا فى يوم واحد مع زوجاتهم واولادهم الصغار وذلك بعد ان ذاقوا من العذاب ألواناً »

وقد روى أوسابيوس ايضاً قائلا « وقد شاهدت بعيني بينما كنت واقفاً بقرب النطع جماً غفيراً من المسيحيين جمعوا لينالوا الشهادة ولكن بطرق مختلفة فكان بعضهم تجز رؤوسهم وبعضهم يحرقون في أتون النار المتقدة حتى ان السيف الذى كانت تقطع به الرؤوس ثلم وفل حده وتحطم تحطيما لكثرة ماسحق من الرقاب. وكذلك السيافون تعبوا وخارت قواهم من ذبح الآدميين فكانوا يستريحون هنيهة ريثما يتنفسون الصعداء .

« فما تقدم يتضح ولاشك اننا شهود عدول على ماشاهدناه باعيننا من الغيرة الخارقة والقوة الالهية الصحيحة والفرح في الروح القدس الذي ملأ قلوب هؤلاء الذين يؤمنون بالمسيح ابن الله ايماناً متيناً جعلهم يقتبلون الموت بصدور منشرحة

وثغور باسمة . حتى انه عند ما كان يصدر الحكم على واحد منهم بالاعدام كان الآخرون يندفعون من كل صوب مزدحمين في المحكمة أمام القاضي معترفين له بانهم مسيحيون غير مبالين بما يلحق بهم من أعذبة مريعة واضطهادات شنيعة بل كانوا يجاهرون بكل جرأة وشجاعة بديانتهم الحقيقية التي تعلم بوجود اله واحد عظيم خالق السماء والارض والبحر وكل مافيها

« ومن العجيب الغريب انه عند ما كان يصدر الحكم النهائي بموتهم كانوا يقابلون هذا الحكم بفرح وتهليل حتى انهم كانوا يرنمون ويرتلون أغاني الحمد والشكر لله الذى أهلهم لأن يموتوا لاجله . وكانوا يظلون يفرحون ويطربون الى آخر نسمة من حياتهم عند ماتفارق أجسادهم أرواحهم

« نعم ان هذا غريب ولكن الاعجب من هذا كله ان الافراد الذين اشتهروا بغناهم وثروتهم والذين عرفوا بطيب محتدهم وشرف نسبهم وذاع صيتهم في الآفاق خصوصاً لانهم برعوا في الفلسفة والعلم ونبغوا في المعرفة والعرفان . هؤلاء كانوا يحسبون كل هذه الامجاد والمزايا من سقط المتاع ويزدرون بها ازدراء في جانب أهمية الدين الحقيقي والايمان الصحيح بربنا ومخلصنا يسوع المسيح » اه

(٢) اضطهاد غاليريوس . سنة ٣٠٤ م وكان غاليريوس صهر ديوكلتيانوس يؤمل من وراء الاضطهادات القاسية التي اضطهد بها المسيحيين ان يفني جموعهم ويقلل عددهم ولكنه رأى ان ذلك الدين كان ينتشر انتشاراً عظيماً جداً كل ما اشتدت عليه الوطأة من الحكومة . فأصدر غاليريوس امراً جديداً في خريف سنة ٣٠٨ م يقضي باعادة الاضطهاد على المسيحيين . وقد اشتد غيظه عند مارآهم لا يخشون الاضطهاد بل كانوا يقابلونه بثبات الايمان وقوة العزيمة . فكلف المضطهدون بتشديد الاضطهاد عليهم وكان العامل على اشعال هذه النار من جديد مكسيميان دازا الذي أفرغ كل مافي وسعه لالحاق كل بلية بمسيحيي مصر فكان يفتك بأغنيائهم ويسخر فقراءهم في مناجم المعادن في مصر واستغنى بهم عن المجرمين الذين كانوا يشتغلون فيها وكانوا يحكمون عليهم بالاشغال المؤبدة

حتى لايحلموا يوماً بانهم سيعتقون من ذلك العمل وكان منهم كثيرون من الاساقفة والرؤساء الذين افتدوا انفسهم على توالي الزمن بشروط معلومة

وفي سنة ٣١١ م ابتلى الله غاليريوس بمرض عضال عز شفاؤه فظن ان ذلك بسبب هياجه على المسيحيين فامر بابطال الاضطهاد وقيل انه اعتنق الديانة المسيحية ولكن المسيح لم يقبل توبته الكاذبة فقضى على حياته

(٣) اضطهاد مكسيميان ومع ان غاليريوس ابطل الاضطهاد الا ان مكسيميان دازا الذي تنازل له ديوكلتيانوس عن العرش سنة ٣٠٥ م لم يكف عن اظهار غيظه وتوجيه شره المسيحيين ففاق جميع اعداءهم فى القساوة البربرية عليهم وامطرهم وابلا من العذاب راح فيه الوف من الشهداء الابرار قال أحد المؤرخين « حتى كانت القتلى منهم تحمل على عجل وترمى فى البحر »

واستشهد حينئذ البابا بطرس البطريرك الثامن عشر الملقب « بآخر الشهداء » وذلك لانه صلى قبل قطع راسه بان يكون دمه آخر دم يسفك من دماء المسيحيين وقد حقق الله سؤله . فان مكسيميان اضطر ان يبطل الاضطهاد لاشتغاله بالقتال مع قسطنطين غير انه هزم اخيراً ولعظم قنوطه تناول سما فاخمدت انفاسه

(٤) تاريخ الشهدا . ودام الاضطهاد على المسيحيين منذ أيام ديوكلتيانوس عشر سنوات متتابعة استشهد فيها الالوف العديدة من المسيحيين وقيل ان الذين قطعت أعناقهم في اضطهاد ديوكلتيانوس فقط سنة ٣٠٣ م لاجل اقرارهم بالمسيح كان نحو ١٤٠٠٠٠ من النفوس ماعدا ٧٠٠٠٠٠ هلكوا بالحبس والنفى . وبعض المؤرخين يقولون ان عدد الشهداء حينئذ يبلغ ٨٤٠٠٠٠ نسمة ويظهر انه مجموع شهداء اضطهادات الثلاثة الملوك ديوكلتيانوس وغاليريوس ومكسيميان . ومن ذلك الحين اخذ عدد الاقباط يتناقص من عشرين مليوناً الى عشرة ملايين

ولما رآه الاقباط من آيات الظلم وقساوة الاضطهادات التي كان يتفنن فيها المضطهدون اعتبروا اول ملك ديوكلتيانوس أقسى ملك اضطهدهم تاريخاً لهم تؤرخ به الوقائع ويسمونه « تاريخ الشهداء » لكثرة ما سفك فيه من دماء

المسيحيين ويبتدىء هذا التاريخ المعول عليه الآن بالكنيسة القبطية من يوم ٢٩ اغسطس سنة ٢٨٤ م ليكون تذكاراً لاولادهم يعرفون منه انهم لم يشتروا حريتهم الدينية الا بدم زكي ثمين . الا ان تاريخ الميلاد القبطى ينقص عن التاريخ المعلوم الغربي ثمان سنين فسنة ١٩٢٣ الحالية هي سنة ١٩١٥ قبطية

(٥) عهد قسطنطين الملك المؤمن . جلس على العرش سنة ٣٠٦ م كان مشهوراً بالرأفة وكمال الشفقة وغاية الشجاعة والبسالة . وكان محباً للديانة المسيحية



« قسطنطين الملك المؤمن »

محامياً عنها . واستنجد به يوماً الايطاليون ليخلصهم من جورمقنتوس ملكهم فسار اليه بعدد قليل من الجنود ولكنه لما رأى كثرة عدد جنود خصمه تردد

في الامر وبينما هو متحير رأى هو وكثير من عساكره شكل صليب على دائرة كوكب الشمس مكتوباً عليه بالرومية « بهذا تغلب » ثم رأى في المنام ايضاً حبراً من أحبار المسيحيين يأمره بان يتخذ صورة الصليب شعار ملكه على سلاح جنوده واعلامه فتقوت عزيمته وأمر فجعلوا شعائر الصليب على جميع الاسلحة والرايات في المملكة الرومانية . وقد كان قبل هذا شعار القياصرة عبارة عن صورة صنمية فاتخذ قسطنطين لنفسه بيرقاً مطرزاً بالقصب ومكللا بالجواهر على شكل صليبي ورقم عليه اسم المسيح بالحروف الرومية وصور المسيح متوجاً بتاج الذهب وأمر جميع جنوده ان يرسم كل منهم صورة المسيح على كنانته وسلاحه ففعلوا جميعاً . وتقدم لمحاربة خصمه ففاز به وانتصر عليه ومن ثم اعتنق المسيحية ونال سر العماد .

(٦) اضطهاد الاريوسيين بمساعدة قسطنس . وملك على الشرق قسطنس ابن قسطنطين سنة ٣٣٧ م فأعز الاريوسيين وناصرهم على الارثوذكسيين فاضطهدوهم اضطهادات مرة توازي اضطهادات الوثنيين . وعزل قسطنس البابا اثناسيوس وعين مكانه رجلا شريراً يدعى غريغوريوس وقواه بجنوده فهجم بهم مرة على المؤمنين بينما كانوا يباشرون العبادة في يوم جمعة الصلبوت وانضم اليهم رعاع اليهود والوثنيين وأخذوا يبطشون بالمصلين فهتكوا حرمة العذارى الطاهرات وقبض غريغوريوس الدخيل على اربعين عذراء وعراهن وضربهن بالسياط وقتل عدداً وافراً من الشعب آملا ان يكون اثناسيوس بين المقتولين فدنسوا الاماكن المقدسة وأحرقوا الكتب الالهية ثم نهبوا خزائن الكنيسة وأمتعتها وقتلوا كثيرين من الرهبان بينما كانوا يدافعون عن كرامة بيت الله

وقد استمر غريغوريوس يرتكب فظائعه حتى انه اضطهد عمة البابا اثناسيوس الى ان ماتت وبعد موتها منع ان تدفن في مقبرة المسيحيين . ثم التهم الاموال التي كانت تجمع للأرامل والايتام . واضطهد الراهب بوتامون أحد اعضاء المجمع النيقاوي وهو رجل لا تزال آثار اضطهادات ديوكلتيانوس له بادية في وجهه وجسمه فأمر غريغوريوس بجلده حتى مات من تأثير الضرب بعد ايام قليلة ولما بلغت اخبار هذه المساوىء مسامع القديس انطونيوس ابي الرهبان كتب رسالة

لاغريغوريوس يلومه فيه على هـذه التصرفات المنافية لروح المسيحية فازدرى بالرسالة ومزقها

وبعد موت غوريغوريوس عين قسطنس مكانه جوزجيوس ضريبه في الشر فجدد اضطهاد الارثوذكسيين وبدأ فظائعه بان طرد ثلاثين اسقفاً من الاسكندرية ونفاهم حتى اختفت آثارهم بالمرة بعد ان عوملوا معاملة قاسية شديدة حتى ان بعضهم مات في الطريق قبل ان يصل منفاه وغيره مات بعد وصوله بقليل

وذكر القديس اثناسيوس في احدى رسائله بعض شرور هذا الوغد بقوله « ولم ينته اسبوع عيد الفصح حتى كنت ترى العذارى الفتيات يطرحن في السجون اضطهاداً وتعذيباً وكان العساكر يربطون الاساقفة بسلاسل واغلال ويجرونهم في الشوارع . وكان اعوان جورجيوس يدخلون مساكن الايتام والارامل عنوة واقتداراً ويسلبون ما فيها . وكانوا يدفنون المسيحيين أحياء تحت جنح الظلام ثم يضعون علامات على منازلهم ليعرفوها حتى اذا اصبح الصباح نهبوا ما فيها بدون مقاوم . ولم يقتصر هذا الشر على الاكليروس فقط بل ان أقاربهم كانوا في خطر لا لذنب بل لانهم أقرباؤهم ولم يقف الاشرار المضطهدون عند هذه الفظائع بل تجاوزوها كثيراً وتمادوا في غيهم وعتوهم لدرجة أوجبت نفور الشعب واشمئزازه من هـذه الحالة حتى ان اعضاء الكنيسة لم يطيقوا تأدية الصلاة فيها بعد عيد الفصح بل كانوا يذهبون الى المقابر ويصلون فيها لانهم كرهوا الصلاة مع جورجيوس فلما علم هذا الظالم الغاشم بكره الشعب له حرض ضدهم ضابطا من الشيعة المانوية اسمه سباسيان فصار نحوهم في نفر من الجند مسلح بسيوف قاطعة وسهام لامعة وحراب نافذة وهجم على هذا الشعب الضعيف في يوم الرب المبارك الذي قدسه لعبادته لا لقتل الانفس البريئة . فلما وصل الى المقبرة لم يجد الا رجالا يعدون على الاصابع لان اكثر الناس قد عادوا الى منازلهم عندما مال النهار فلم يرحم هؤلاء البائسين الابرياء بل أعمل فيهم الصارم البتار وبرهن بعمله هذا على قسوة وعتو وجدا في مثل هذا المتوحش اللئيم وبعد ان أودى بالرجال حول نظره نحو اولئك العذارى الطاهرات فاضرم ناراً تأجج سعيرها وادناهن منها وهددهن بالاعتراف بمذهب اريوس والانحياز اليه

أما هن فلم يعلن عن اعتقادهن ورفضن طلبه هذا كما انهن احتقرن النار وحسبنها ماء زلالا فلذلك اشتد حنق هذا الوحش الضاري عليهن فجردهن من ثيابهن وظل يضربهن على الوجوه حتى تغيرت سحنتهن ولم يكن احد يعرفهن فيما بعد . ولقد ألقى هـذا الضابط القبض على نحو أربعين رجلا وجلدهم بالسياط جلداً تقشعر منه الابدان وترتعد لهوله الفرائص وذلك بان مزق ظهورهم بعصى خضراء قطعت من النخل بشوكها حتى ان بعضهم عملت لهم عملية جراحية لاخراج الشوك من لحمه وبعضهم لم يحتمل العذاب والآلام فمات من شـدة الضرب . أما الذين عاشوا بعد هذه المصائب فنفوا الى الواحات الـكبرى بما فيهم واحدة من أولئك العذارى ولم يكن هذا العاتي يسلم لأقارب الموتى بأخذ جثث موتاهم ولـكن لما تعهد له هؤلاء الأقارب بعدم الاحتفال بموتاهم والامتناع عن تأدية الفرائض الدينية المعتادة لهم أذن لهم أولئك القساة بدفنهم كما وافق أغراضهم حتى يخفوا عن أعين العـالم دلائل قسوتهم وغلاظتهم التي لم تخف بل ظلت ظاهرة في بطون التواريخ الى الآن. وعلى خطة الجهل والعمه هذه سار أولئك المجانين سيراً لم يؤثر فى أهل الايمان الصحيح تأثيراً يذكر لأن أصدقاء وأقارب الذين ماتوا فى هـذا الاضطهاد كانوا يفرحون ويطربون لان اخوانهم بقوا محافظين على ايمانهم الى ساعة موتهم ولو انهم أسـفوا لعدم التصريح لهم بدفن جثثهم وهو عمل يدل على منتهى الفظاظة والخشونة في صدور الفجار الذين تجردوا من الانسانية فأصبحت أعمالهم واضحة عند الله والناس » اه

(٧) يوليانوس الجاحد او المرتد . هو ابن عم أخي قسطنطين الـكبير

ملك سنة ٣٦٢ م وقد رفض الديانة المسيحية وتمسك بالوثنية فتقوى في أيامه وثنيو الاسكندرية وانتعشت مدرستهم الفلسفية. وكان يوليانوس يحترم العجل أبيس معبود المصريين احتراماً عظيما للغاية حتى انه لما كان على أهبة الركوب لقتال سابور ملك الفرس وبعث اليه أوقديقس نائبه على مصر يخبره بان المصريين عثروا على شكل العجل أبيس معبودهم الذي مات وانه تبين لهم انه معبودهم بعينه فرح بذلك واستبشر بالنصر على سابور اذ كان يحب العجل المذكور حباً كثيراً

(٨) اضطهاد فالنص الاريوسى . وجاء بعد يوليانوس يوبيانوس سنة ٣٦٣م وكان مسيحياً أرثوذكسياً فأحسن للبابا اثناسيوس وللارثوذكسيين وتمتعت الكنيسة فى أيامه بسلام وردالى الايمان رجال الجيش الذين كانوا قد زاغوا عن الايمان في أيام يوليانوس واقفرت هيا كل الوثنيين . الا ان مدة هـذا الملك المؤمن لم تطل أكثر من نصف سنة وخلفه فالنص الاريوسى سنة ٣٦٤ م الذي فاق جميع من تقدموه فى اظهار القساوة نحو الارثوذكسيين فنفى أساقفتهم وضيق على المؤمنين كثيراً . وفي عهده حدث اضطراب فى مدينة الاسكندريه وتعدى الوثنيون على كنيسة سيزاريوم وحرقوها فى يوليه سنة ٣٦٦ م

وأقام فالنص بطريركا دخيلا على الـكرسى المرقسي ولـكي يثبت والى مصر الاريوسى مركز هذا الدخيل قصد بفرقة من الجند كنيسة القديس ثاؤنا وهجم على هذا المـكان المقدس وأوقع الرعب فى قلوب المصلين واندس بين الجنود سفلة اليهود ورعاع الوثنيين اذ وجدوها فرصة مناسبة للانتقام من المسيحيين وأخذوا في تدنيس المذابح واهانة المصلين بتوحش زائد ففتكوا بالرجال وهتكوا أعراض النساء داخل الهيا كل . وقد بلغ الفحش بأحد هؤلاء الوحوش أن تعرى عن ثيابه وسط النساء وأخذ يجدف على اسم الله القدوس بألفاظ البذاءة التى ترتعد لها الفرائص

ومع ذلك أصر الارثوذكسيون على عدم اعتبار بطريرك فالنص فاستدعى القائد رؤساء كهنتهم اليه وأخذ يحثهم على الخضوع له بالوعد تارة وبالوعيد أخرى ولما لم يجد منهم أدنى قبول أنزلهم في سفينة محلمة وتركهم تحت رحمة الماء والهواء فهلك بعضهم ونجا البعض الآخر حيث قذفته الامواج الى سواحل افريقية وهليوبوليس (سوريه)

ثم عول بلاديوس الوالي على زيارة الاقبـاط في منازلهم ليقنعهم بوجوب الخضوع للوسـيوس واذ لم يجد منهم الا الرفض والاباء أوقع بهم من الويلات أشدها . ثم استحضر هو والبطريرك الدخيل أحد عشر اسقفاً من أساقفة القطر وعرض عليهم الامر القيصري القاضي بوجوب انـكار لاهوت المسـيح وخيرهم

بين التوقيع عليه والنفي ففضلوا النفى والموت على خيانة الايمان الارثوذكسى فنفوا الى قرية بفلسطين كان معظم سكانها من اليهود المتعصبين ضد المسيحيين

ثم عمد القائد والبطريرك الدخيل الى زيارة الرهبان سا كني أديرة وادي النطرون فسار اليهم بفرقة من الجنود قاصدين ارغامهم على انكار ألوهية الابن فقام الرهبان يدافعون عن أنفسهم دفاع الابطال مفضلين أن يسفكوا آخر نقطة من دمائهم دون أن يثلموا شرف مخلصهم . فضجرا منهم ونفيا رؤساءهم ظنا منهما انهم هم الذين يقوونهم ولكن أملهما خاب اذ رأيا اعانهم أمنع من جبهة الأسد

وكان بين الاساقفة الذين حكم عليهم بالنفي ميلاس اسقف رينوكولور العريش الذي تتلمذ للقديس انطونيوس والذى لم يفارقه الا ليمنح تاج الاسقفية . ومن بديع ما حفظه التاريخ عن هذا الاسقف انه فى الوقت الذي جاءه نواب الوالي يطلبونه للنفى كان مشتغلا بتنظيف قناديل الكنيسة فقابلهم ويداه ملوثتان بالزيت وثيابه يعلوها التراب فظنوه خادماً وسألوه عن الاسقف فذهب بهم الى دار الاسقفية حيث أعد لهم وليمة فاخرة ولما كرروا عليه السؤال قال لهم « أنا هو الاسقف الذي تطلبونه » فاعجبوا باتضاعه وعرضوا عليه الفرار فابى الا الذهاب مع اخوته الاساقفة الذين كانوا يهزأون بالعذاب المعد لهم

ومن الذين قبض عليهم في دير وادي النطرون روفينوس الشاب والسيدة ميلانو وقد ذكرنا أنهما اجنبيان وفدا على مصر ليترهبا فيها . وكان لميلانو يد طولى فى ايواء كثيرين من الرهبان وانطلقت بنفسها للقائد ودافعت عنهم وسجن روفينوس مدة ثم نفى خارج القطر المصرى . ونفيت ميلانو الى قيصرية فلسطين هى وكثير من الاساقفة والرهبان . وكان أهالي قيصرية يترحبون بهؤلاء المصريين المنفيين ويقدمون لهم الاحترام اللائق بهم

ومما يستحق الذكر فى هذا الصدد أن فالنص كان قد نفى أسقف مدينة أورفا (كائنة بين النهرين) بسبب تمسكه بايمان مجمع نيقيه واعترافه بقانون البابا اثناسيوس وأقام بدله أسقفاً آخر وكلف الوالي مودستوس بان يجبر الكهنة والشمامسة على الاشتراك مع الاسقف الجديد والا فينفيهم الى اقاصي المملكة

لجمعهم مودستوس وحاول اقناعهم لـكنه لم يستفد منهم شيئاً بل أجابه أحدهم باسم الجميع قائلا « ان لنا راعياً شرعياً ولا نعرف راعياً غيره » فارسلوا جميعا الى المنفى » فتشجع الشعب بمثالهم وأبوا الاشتراك مع اسـقف الزور . فـكانوا يخرجون من المدينة وقت تلاوة الفرض ويجتمعون في البرية للصلاة . فلما عـلم الملك بذلك اغتاظ على الوالي وأنبه تأنيباً شديداً لعدم اهتمامه في منع هذه الاجتماعات وأمره بان يجمع كل من كان عنده من الجنود ويشتت بهم هذا الجمع . أما مودستوس ولئن كان مقاوماً للارثوذكسيين الا أنه لم يحب أن يبادر الى طريق القساوة فانذر المؤمنين سراً بان لا يمضوا اليوم التالي الى مكان الاجتماع للصلاة لان الملك أمره بان يعاقب جميع الذين يجتمعون فيه . فـكان يؤمل بأن يمنع بهذا التهديد عقد الاجتماع ويهدى بهذه الطريقة غضب الملك . أما الارثوذكسيون فقد ازدادوا بذلك سرعة وتلهفاً للمضى الى مكان الصلاة فبادروا اليه باكراً جداً وكانوا اكثر عدداً من ذى قبل

فلما أخبر الوالي بذلك استولت عليه الحيرة ولم يدر ما العمل الا أنه أخـذ في المسير نحو هذا المـكان وصحبته جنود كثيرون أمرهم بان يقعقعوا ويضجوا ليرعبوا الشعب ويحملوه على الفرار . فلما كان جائزاً فى المدينة شاهد امرأة مسكينة تخرج مسرعة من بيتها ولا تبالي بغلق بابه وعلى يديها طفل وهى تهرول في سيرها وتجر ذيل ردائها على الارض ولا تهتم أن ترفعه عن الثرى حسب طريقة البلاد ومرت هكذا فى وسط صفوف العساكر السائرة أمام الوالي مجدة فى السير بدون أدنى خوف بتة . فأوقفها مودستوس وقال لها : أين تمضين مسرعة أيتها المرأة ؟ أجابته اني ماضـية الى الحقول حيث جمع المؤمنين . قال لها الوالي : ألا تعلمين بأنه قد صدر أمر الملك بقتل جميع الذين يوجدون هناك ؟ قالت له : نعم أعلم ولهذا أنا أجد في السير لابلغ الى ذاك المـكان خوفاً من ان تفوتنى فرصـة احتمال الاستشهاد . قال لها : ولم تأخذين هذا الطفل معك؟ قالت له : لـكي يشترك معي في هذا المجد

فتعجب مودستوس من بسالة هذه الامرأة وعاد الى البلاط الملوكي واخبر الملك بما جرى واقنعه بالعدول عن هذا العمل حيث لا تعود عليـه فائدة من

اضطهاد المؤمنين لان الاضطهاد كان يقويهم ويثبتهم على ايمانهم ويزيدهم شجاعة ومحبة .

(٩) ثيودوسيوس الملك الارثوذكسي . وكانت احوال الارثوذكسيين قد ساءت بعد موت فالنس فاجهد ثيودسيوس قيصر الذي تولى سنة ٣٩٢م ذاته في اعادة مجد المسيحية الى رونقه الاصلي واتحد مع رؤساء الارثوذكسيين على ابطال عبادة الاوثان ورغب الى مجلس رومية ليصدر مرسوماً في هذا الشأن فأبى عليه ذلك فابطل ثيودوسوس المجلس والغاه وخلع اربابه ورسم بهدم جميع معابد الاوثان وهياكلها ونهى عن تقريب القربان لها في البيوت وعن ان تقام فيها شعائر دينية وان تكون الديانة المسيحية الديانة الرسمية في سائر الاقطار الرومانية ونهى عن التفرق في الدين وسلوك مذهب الاعتدال



« ثيودوسيوس الملك الارثوذكسي »

ورسم ثيودوسيوس في سنة ٣٩٥م بمحو الديانة المصرية الوثنية وان لا يباح في بلاد مصر الا التمسك بالدين المسيحي فأغلقت الهياكل والمعابد المصرية ومن ثم

عم الدين المسيحى كل القطر واحتفل النصارى باداء طقوسه علناً . قال بعض المؤرخين « وكان للمصريين يومئذ أربعون ألف صنم للعبادة فحل محلها دين المسيح الآمر بالتوحيد ومع ذلك فقد بقى من العاكفين على دين الوثنية كثير بصعيد مصر ولم يعم هذا الدين الا بتوالي الايام وكرور الاعوام . واشتهر أهل مصر من هذا التاريخ باسم « قبطة مصر » فطائفة الاقباط من أهالي مصر الآن هم المتنصرون من ذرية الامة المصرية القديمة وهم بقية ذلك الشعب الذى قدر واقتدر وفاز واشتهر » اه

°°°°OOO°°°°

الفصل الثانى

مشاهير الشهداء

(١) مارمينا العجايبى (٢) القديسه دميانه (٣) القديسة كاترينا (٤) القديسه ثيوذوره والقديس ديديموس (٥) القديس تيموثاوس وزوجته (٦) شهيدان أجنبيان

(١) مارمينا العجايبى . ولد سنة ٢٥٠ م بمريوط وكان ابوه من مديري الاقاليم في آسيا الصغرى ونقل الى مصر . ولما مات عين مينا فى منصبه . وبعد ذلك وقع اضطهاد ديوكلتيانوس فترك منصبه ولجأ الى البرية غير أن ضميره وبخه على فراره الذى حسبه هروباً من الاعتراف بالايمان فرجع الى المدينة وجاهر بايمانه فحاول الحكام أن يغيروا رأيه شفقة به ولكنه استمر ثابتاً فقبض عليه وعذب عذاباً شديداً وأخيراً قطعت رأسه في ١٥ هاتور بعد أن أجرى الله على يديه المعجزات الكثيرة وبعد زمن وجد جسده فأقيمت عليه كنيسة بامر ملك القسطنطينية بجهة

مريوط لاتزال آثارها ظاهرة للآن وتوجد عدة كنائس باسمائه فى أنحاء القطر

(٢) القديسه دميانه . هى الابنة الوحيدة لمرقس والي البرلس والزعفران ووادى السيسبان باقليم الغربية . وكانت جميلة الطلعة حتى أجمع المؤرخون على تسميتها « ربة الجمال والكمال » ولما بلغت سن الخامسة عشرة نذرت ان تعيش



(القديسه دميانه وحولها العذارى)

بتولا فابتنى لها والدها قصراً خاصاً اعتزلت فيه واعتزل معها أربعون عذراء قبطية من بنات أكابر الولاية

واتفق ان والدها ارغمه ديوكلتيانوس قيصر على ان يبخر للاصنام فلما سمعت ذلك أسرعت اليه وأنبته على سقوطه الشنيع وحضته على الرجوع للسيد المسيح قائلة « خير لك يا أبي أن تموت شهيدا فتحيا مع المسيح من أن تحيا وثنياً فتموت مع الشيطان » اه فتاب وصرح امام القيصر بايمانه فأمر باعدامه . ولما علم القيصر ان ابنته هي التي حرضته على عدم الامتثال لامره انفذ اليها قائداً معه مئة جندي لكي يحملها على انكار ايمانها أو يقتلها . فانتهرت القائد عند ما بلغها امر القيصر وافهمته انها لا تطيعه فشرع القائد يعذبها واللواتي كن معها وتفنن في تعذيبهن والتنكيل بهن فاحتملن كل ذلك بصبر وبعد ذلك قطعت رؤوسهن

ثم جاء القديس يوليوس الاقفهصى كاتب سير الشهداء واخذ الاجساد ودفنها بالاكرام . ثم اثبت سيرتهن في سجل الشهداء وامر قسطنطين الكبير فبنيت كنيسة فوق قبر القديسة ودشنها البابا الاكسندروس في ١٢ بشنس ورسم لها اسقفاً وقسوساً وشمامسة

وللقديسة دميانه دير عظيم ببلقاس يؤمه المؤمنون في ١٢ بشنس من كل سنة حاملين اليه الهدايا وبنيت على اسمها كنائس عديده بالقطر المصرى

(٣) القديسة كاترينه . ولدت بالاسكندرية في ختام القرن الثالث من أبوين وثنيين ولما بلغت من السن ثمان عشرة سنة كانت قد تحلت بالجمال الباهر والعلوم الزائدة التي أوضحت لها بطلان الديانة الوثنية . ورأت ذات ليلة في الرؤيا السيدة العذراء تحمل طفلها يسوع وتطلب منه أن يقبل كاترينه عبدة له وهو يعرض عنها لانها لم تكن بعد قد اعتمدت فاستيقظت من نومها وسعت لنيل العماد حتى نالته ومن ثم ظهرت لها تلك الرؤيا والطفل يقبل اليها ويظهر رضاءه عليها

وفي سنة ٣٠٧ م قدم الى الاسكندرية القيصر مكسيموس الثاني وأصدر أمراً باعدام كل مسيحي لا يضحي للاوثان وحينئذ اشتعلت نيران الاضطهاد

والقديسة كاترينا تواصل جهادها في سبيل تثبيت المؤمنين ولم تكتف بذلك بل بلغت بها الشجاعة أن ولجت هيكل الاوثان ومكسيموس يضحي لها ووبخته على عظم جهله بتقديمه ذبائح لآلهة كاذبة فاندهش القيصر من جمالها المفرط وشجاعتها النادرة واستدعاها الى بلاطه زاعماً انه ينتصر عليها ويفوز بها . أما هي فطلبت منه أن يحضر اليها علماء الوثنية لتباحثهم في أمر دياناتهم . فحضر منهم خمسون عالماً ونزلت معهم في ميدان الجدال وأخذت تبرهن لهم على فساد عبادتهم للجمادات التي لا تحس ولا تشعر حتى افحمتهم وصرح بعضهم بتركه لتلك العبادة من تلك الساعة وبعد أن اوضحت لهم فضل الديانة المسيحية ونقاوة التعاليم الانجيلية قبل الايمان باقي الفلاسفة

ولما انتشر خبر هذه الحادثة خشي الوثنيون انتشار المسيحية بينهم بسببها فحرضوا القيصر على قتل كاترينا والفلاسفة والا زالت عبادتهم فاستحضروا لكي ينكروا دياناتهم فابوا فقتل الفلاسفة وطرح كاترينا في السجن لعلها تتبع ديانته وتقبله زوجاً لان جمالها كان قد سبى فؤاده وجعل ينفذ اليها الرسل لاقناعها باطاعته فكانت ترسل معهم كلمات التوبيخ حتى استحالت محبته غيظاً وأمر الجنود بان يعروها امامه من ملابسها ويعلقوها من يديها ورجليها ففعلوا هكذا وضربوها بمخالب حديدية حتى تمزقت وملأ دمها البلاط واتصلت جراحها ببعضها حتى صارت جرحاً واحداً ثم اعيدت الى السجن ووضعت تحت الحفظ حتى يعود القيصر من رحلته في مدن مصر

وكانت فوستينا امرأة القيصر قد طرق سمعها اخبار كاترينا فعزمت ليلة على زيارتها في سجنها ونامت فرأت القديسة تضع اكليلا على رأسها وتقول لها ان المسيح وهبه اياك فاشتد شوقها اليها وسارت اليها صحبة بيرفيريوس القائد وبعد ان علمتها طريق الحق نالا العماد بعد ايام قليلة

ولما رجع القيصر من رحلته ورأى كاترينا ثابتة على ايمانها جهز لها دواليب مركبة بسيوف بارزة وتحتها شكل صندوق ووضعها فيه ودارت الدواليب ولكنها تحطمت فجاءت اليه امرأته وقالت له الا تكفي هذه العجائب لاقناعك بصحة ديانة كاترينا . واذا علم انها وبرفيريوس صارا مسيحيين قطع رأسيهما

حالا . ثم امر بقطع رأس القديسة فتوسلت الى الله حينئذ ان يجيبها الى امرين الاول ان يخلص الكنيسة من الاضطهاد والثاني ان لا يدع احداً يبصر جسدها بعد موتها . ثم صلت وبعد ذلك قدمت رأسها للجلاد فقطعها وهي في السنة التاسعة عشرة من عمرها

(٤) **القديسة ثيوذوره والقديس ديديموس** . ولدت القديسة ثيوذوره في نهاية القرن الثالث من أبوين مسيحيين عظيمين واتصل خبر جمالها الفتان باولاد الاشراف فطلبوا يدها ولكنها آثرت العفة فنذرت نفسها لله وكانت تقضي أوقاتها بمنزلها تصلي وتقرأ الكتب المقدسة . واشتد اضطهاد ديوكاتيانوس وهي في سن السابعة عشرة واشتكى عليها بانها مسيحية فاستحضرت امام بركولوس الوالي فانذهل والحاضرون معه من فرط جمالها ولما تحقق من شريف نسبها وعظيم أدبها سألها لماذا لا تتزوجين يا ربة الجمال البارع فأجابته لاني وعدت ان اكون عروساً لواحد فقط هو سيدي يسوع المسيح . فاخبرها بالامر الصادر ضد عذارى النصارى بانهن اذا أبين التبخير للاوثان يطرحن في دور البغا فيخسرن بتوليتهن . فأجابته اني واثقة ان مخلصي يحفظني ويحفظ كل الذين يخلصون له العبادة من كل شر ودنس . ولما أطال معها الكلام اجابته جواباً قاطعاً بانها لا تنثني عن عزمها مهما هددها فقال لها اني آسف على جهلك وعنادك وسأمهلك ثلاثة أيام لعلك تثوبين الى رشدك فقاطعته قائلة « هب ان الثلاثة الايام قد انقضت فافعل بي ما تشاء » فأمر الوالي ان تحفظ في مكان أمين

في هذه الثلاثة الايام شاع خبر شجاعتها في كل مكان فمدحت حتى من الوثنيين أما هي فكانت تستعد للموت واذ رآها الوالي بعد الثلاثة الايام ثابتة على عزمها أمر ان توضع في بيوت البغاء لتفتض ولكنها لم تجزع لانها كانت تنتظر خلاص الرب الذي دبر لها طريقة حسنة لنجاتها . وذلك ان شاباً مسيحياً يدعى ديديموس فكر في خلاصها فلبس أثواب جندي وتقلد سيفاً ومشى مسرعاً ينظر نظرة الوقح وطلب الدخول عليها فسمح له الحراس تلقاء مبلغ من الدراهم اعطاه لهم فدخل عليها ولما رأته استولى عليها رعب مقدس فقال لها لا تجزعي

لاني أرسلت من قبل الله لانقذ طهارتك فافعلي ما أقول لك البسي اثوابي هذه وانا ألبس ثوبك وانصرفي متنكرة وانا أقوم هنا عوضاً عنك . فقبلت البتول مشورته وخرجت دون ان يعرفها أحد لانها غطت وجهها بالرداء كمن يستحي ان يراه أحد عند خروجه من مكان رديء .

وبعد ذلك انكشفت حيلة ديديموس فقدم الى الحاكم بثوب القديسة فسأله المغتصب قائلا من ارسلك لتخالف أمر القيصر فأجابه « ان الاله الذي أعبده هو الذي ارسلني لاصنع ما صنعت » فقال له الحاكم « ان لم تخبرنا اين تكون ثيوذوره فوتاً تموت » فأجابه ديديموس « لست اعلم عنها شيئاً الا انها خرجت من ماخور البغاء نقية طاهرة » فسأله الحاكم عن اسمه ومذهبه فاجابه « اسمي ديديموس ومذهبي مذهب النصارى وكنت مقيداً بسلاسل الآثام فحلني السيد المسيح واطلقني بنعمته » فأمره المغتصب ان يسجد للاصنام فأبى ولما رآه ثابتاً في ايمانه أمر بقطع رأسه وطرح جسده في النار .

فسمع خبر الحكم في كل مكان وبينما كان الجند يسوقونه لمكان الاعدام رؤيت ثيوذوره تجري خلفه بسرعة حتى وصلت اليه وقالت له بلهجة التوبيخ « لماذا هكذا يا اخي تختلس اكليلي » ؟ فقال لها « اذكري يا اختي احساني اليكي ولا تكافئيني عليه بعدم المعروف لاني لم اكن أروم بما فعلته الا ان أنال حكم الموت لاجل خلاصي فحكم به علي لا عليك » فأجابته « كلا يا أخي لم يحكم عليك بالموت الا لاجلي واذ كنت قد رضيت لك بان تنقذ بكوريتي ولكن لا أرضى ان تأخذ اكليل الاستشهاد مني فدعني على الاقل اسبقك الى أخذه » واستمرا يتجادلان في من منهما يتقدم الآخر الى الموت وقد أخذت المشاهدين الدهشة وكثيرون منهم سكبوا دموعهم لهذا المنظر المؤثر وتعجب الوالي نفسه مما حصل الا انه لم يجسر ان يطلقهما خوفاً من القيصر فأمر بقطع رأسيهما وهكذا نالا اكليلي الشهادة في سنة ٣٠٤ م

(٥) القديس تيموثاوس وزوجته . كانا من قرية في الصعيد يقال لها

برابي وكان تيموثاوس شماساً في الكنيسة وتزوج من امرأة مسيحية تدعى مورا

ولكنها كانت اقل منه ايماناً . وبعد زواجه بعشرين يوماً حضر ارسانيوس والي انصنا (١) وحاكم بلاد الصعيد الى قريته واستدعى اليه تيموثاوس وأراه آلات العذاب المريعة وهدده بها ان لم يدفع اليه ما عنده من الكتب المقدسة . ويجحد ايمانه المسيحي . فقال له القديس « لو كان لي اولاد لاسرعت بتقديمهم اليك ولا أقدم اليك الكتب المقدسة كما اني افضل الموت ألف مرة من ان أترك دياني المسيحية » ولما قال هذا تقدم الجنود لتعذيبه فأدخلوا في أذنيه سيخاً محمى فعمى فقالوا له ها قد عميت لرفضك السجود لآلهة المملكة فأجابهم « نعم لقد فقدت هذه العيون التي من دأبها النظر الى الاباطيل أما نفسي فيضيئها عينا المسيح » فعلقوه برجليه على خشب وعلقوا حجراً ثقيلا بعنقه وتركوه هكذا وهو يطلب مساعدة نعمة الله »

وعلم الحاكم ان له امرأة تزوجها من مدة قريبة فاستدعاها اليه وحسن لها ان تردع زوجها عن عزمه ليفوز بحياته ويظهر انه كان قد بقي له بصيص من النظر فانطلقت اليه بعد ان لبست افخر ثيابها وتطيبت وجعلت تخاطبه ليرجع عن الايمان وينجو بحياته حتى لا يرملها وهي صغيرة فالتفت اليها القديس ووبخها بصرامة وقال لها « كنت اظنك تشجعيني على احتمال العذاب لاحظى بسعادة الله . لا ان تحثيني على مايفقدني تلك السعادة ويطرحني في أتون النار الابدية فكوني أمينة للمسيح مثلي حتى تشتركي معي في مجده »

فتأسفت مورا على خطيئتها وباشارة زوجها انطلقت الى الحاكم واعترفت امامه بالمسيح فأمر بقص شعرها وقطع أصابعها ثم طرحت في اناء مملوء من الزيت المغلي فلم يؤثر عليها وهي ثابتة صابرة شاكرة الرب الذي خلصها من الضلال وبعد ذلك صدر الامر بصلبها مع زوجها وجعل صليبها تجاه صليبه لكي ينظرا بعضهما

---

(١) انصنا كانت مركز الولاية وخربت منذ زمان بعيد وعلى اطلالها الآن بلدة الشيخ عبادة بمركز ملوي . واريانوس حاكمها هذا الذي اشتهر بقساوته الشديدة على المسيحيين لم يلبث في غباوته بل آمن بالمسيح وذلك انه اذ كان يعذب شهيداً انجرح بسهم كان امر الجلادين ان يرموا به الشهيد فارتد اليه وانغرس في عينه وبعد موت الشهيد نال الشفاء بأزاء قبره بوضع شيء من تراب القبر على عينه واعترف بيسوع المسيح ومات شهيدا

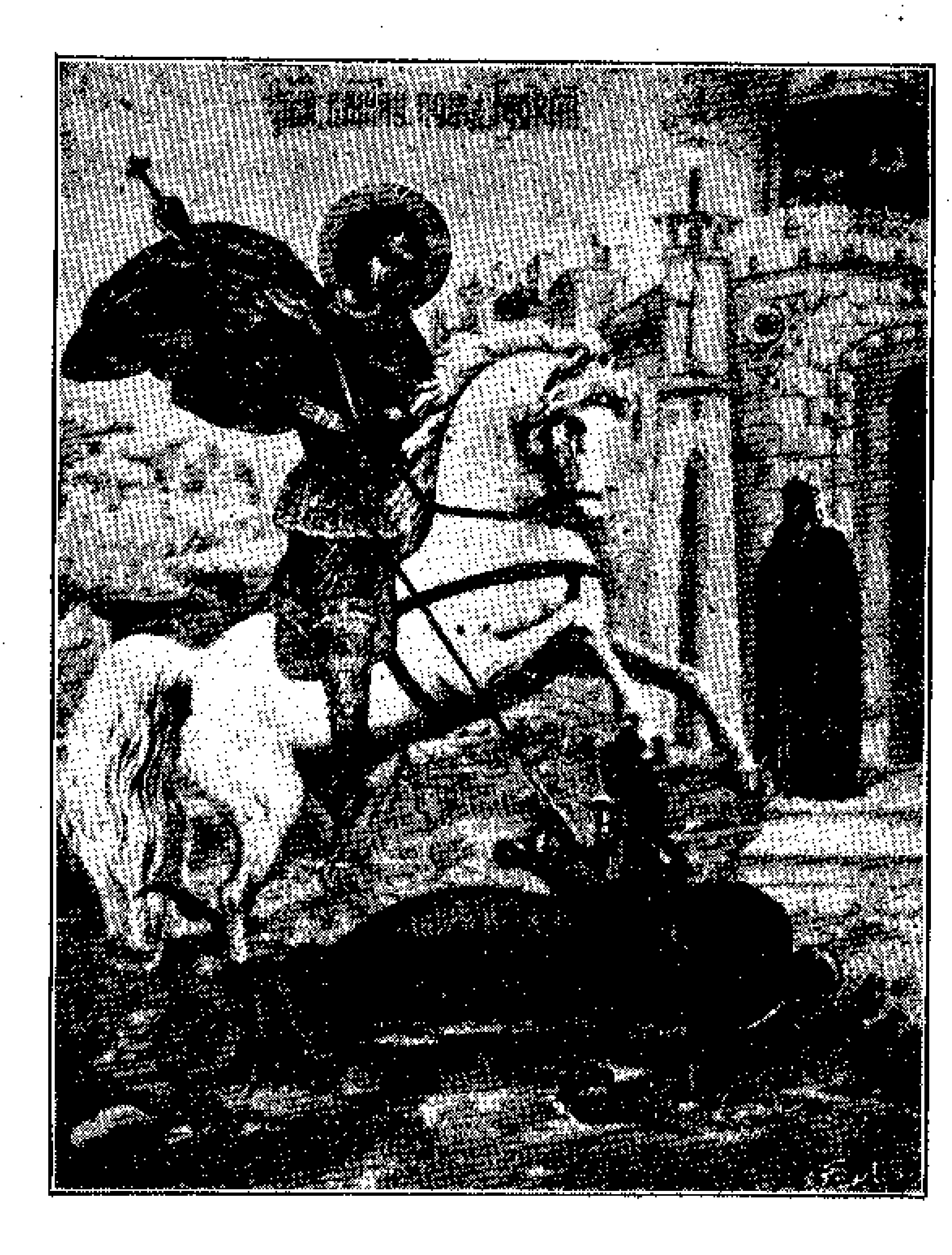
بعضاً فيشتد حزنهما وعذابهما. وفيما كانت ماضية لمحل الصلب قابلتها أمها وطوقتها بذراعيها وهى تبكى بكاء مراً أما هى فلم تظهر حزناً بل فرت من بين يدي والدتها حيث وصلت الى المكان وهناك نالت مع زوجها اكليل الشهادة

وغير هؤلاء الشهداء من لا يحصى عددهم حفظ اسماء بعضهم كتاب السنكسار

(٦) شهيدان اجنبيان ومن الشهداء الاجانب الذين تعترف بهم كنيستنا شهيدان مشهوران عندنا هما :ـ

(١) القديس مركوريوس الشهير بابي سيفين. ولد برومية من أبوين مسيحيين في عهد ديسيوس قيصر وانتظم في سلك الجندية فلقب بمركوريوس اى رئيس الجند وبأبى سيفين اشارة الى سيف الروح الذي كان له خلاف سيف المملكة. وبعد ان جاهد في سبيل رفع شأن الديانة المسيحية استشهد فى قيصرية فلسطين في ٢٥ هاتور سنة ٢٥٠ م. وفي ايام البابا يوحنا الرابع والستين نقلت رفاته الطاهرة الى مصر القديمة في ٩ بؤونه

(٢) القديس جاورجيوس الشهير بمارجرجس. ولد سنة ٢٨٠م بالكبادوك (بآسيا الصغرى). وقد انتظم في الخدمة فى عهد ديوكلتيانوس وارتقى الى رتبة قائد ولما استعرت نار الاضطهاد الذى اثاره هذا القيصر باع كل ما يملكه ووزعه على المساكين استعداداً لحمل الآلام لاجل مخلصه. وبينما كان يوماً سائراً في مدينة نيكوميديه وجد منشور القيصر القاضي باضطهاد المسيحيين فمزقه وتوجه بنفسه الى الملك وانشأ يدافع عن المسيحيين فأمر الملك بتعذيبه فذاق منه انواع العذاب اشكالا والواناً وكان عليها صابراً حتى آمن كثيرون عند ما رأوا عظم ثباته ومنهم الملكة نفسها ومن ثم قطعت رأسه ورأس الملكة معاً في ٢٣ برموده سنة ٣٠٣ م وبعد ما دفن جسده في لد بفلسطين التي هى وطن والدته نقل الى مصر القديمة في ١٩ ابيب. وهذا الشهيد هو موضوع احترام المسيحيين جميعاً لا سيما مسيحيو مصر وروسيا وانجلترا. ويصوره المصورون بهيئة فارس بيده رمح يطعن به تنيناً اشارة الى انتصاره على الشيطان. وبنيت كنائس قبطية كثيرة على اسمه



« الشهيد العظيم مار جرجس »

القسم الرابع

المجامع والبدع والانشقاقات

(١) مجمع نيقية (٢) مجمع القسطنطينية (٣) درجات الكنائس

(٤) اريوس (٥) مكدونيوس (٦) مرقس المصري (٧) شيعة المصلين (٨) خلاف في مقام السيدة العذراء (٩) انشقاق ميليتس

(١) مجمع نيقيه . ويسمى المجمع المسكوني الاول . وكان الداعي لانعقاده انتشار بدعة اريوس الهرطوقي واضطراب الكنيسة وانزعاج المؤمنين بسببها . فكتب القديس الاكسندروس بابا الاسكندرية الى الملك قسطنطين الكبير طالباً منه عقد مجمع مسكوني لفض هذا النزاع وتقرير مسائل أخرى مختلف عليها . وذهب اوسيوس اسقف قرطبة الى الملك وطلب منه نفس الطلب فارتضى قسطنطين وكتب منشوراً يستدعى فيه جميع اساقفة المملكة للاجتماع في مدينة نيقية (١) فلبى الدعوة حالا ٣١٨ اسقفاً من كل أقاليم العالم المسيحى ما عدا القليل والاكثرون منهم كانوا قد اعترفوا بألوهية سيدنا يسوع المسيح وتعذبوا لاجل ذلك في زمن اضطهادات الوثنيين

وكان اعظم الحضور شأناً الاكسندروس بابا الاسكندرية وهو البابا الوحيد في ذلك العصر وكان بحكم وظيفته هو المدعى ضد اريوس وكان بصحبته اثناسيوس رئيس شمامسته وسكرتيره الخاص الغير البالغ من العمر ٢٥ سنة وكانت تلوح على وجهه هيئة الملائكة كما روى صديقه غريغوريوس النزينزي . وكان معهما من ممثلي كنيسة الاسكندرية الانبا بوتامون اسقف هرقلية باعالي النيل والقديس بفنوتيوس اسقف طيبة العليا وكانا قد عذبا في زمن الاضطهاد وقلعت عيناهما بالسيف وكويت حواجبهما بالحديد المحمى بالنار

ويليهم في الاهمية اسطاسيوس اسقف انطاكية ويوساب اسقف قيصرية ومكاريوس اسقف اورشليم وبولس اسقف قيصرية الجديدة ويعقوب اسقف

---

(١) تقع في ولاية بيثينيه وكانت العاصمة الثانية لها بعد نيكوميديا وكان لهذا المجمع تأثير عظيم على اهل تلك المدينة وكان في تلك الايام كلما ارادوا حصر عدد الآباء الذين حضروه اضافوا واحداً على العدد الحقيقي يرمزون بذلك الى ان الروح القدس كان حاضراً معهم

نصيبين وعطاالله اسقف أديسا وحضر غيرهم من ارمينيه وبلاد الفرس وايضاً من الغوط القاطنين عبر نهر الدانوب . ومن آسيا الصغرى يوساب عن نيكوميديا وغيره من انصار اريوس ومارسليوس اكبر معارضي اريوس الذي كان ينوب عن اثناسيوس في مجادلة اريوس اذا غاب . وحضر عن جزيرة قبرص الاسقف اسبريدون وغير هؤلاء كثيرون وكان عدد ممثلي بلاد الشرق يبلغ ٣١٠ والثمانية الباقون يمثلون البلاد الغربية التي كانت اقل مدنية وعلماً . وهؤلاء الثمانية كانوا يمثلون ايطاليا واسبانيا والغال وبريطانيا والاليريكوم (البوسنه والهرسك) والسرب والبلغار أودولماطيا . ولكبر سن سلفستروس اسقف رومية أوفد من قبله نائبين هما وثين وويكندس وكذلك مطروفانوس اسقف القسطنطينية اذ كان مريضاً ارسل القس اسكندر نائباً عنه وكان اهم اساقفة الغرب اوسيوس اسقف قرطبه

وحضر اريوس واتباعه وهم اوسابيوس اسقف نيكوميديا وثاوغنس مطران نيقيه ومارس اسقف خلكيدون ومعهم عشرة فلاسفة وخلاف هؤلاء واولئك كان المجمع مكتظاً بعدد عظيم من الذين أتوا غيرة على لاهوت المسيح ومنهم من أتوا بغية الفرجة لعلمهم باهمية المجمع الذي ضم ممثلي كنائس العالم للبحث في أهم المسائل وبلغ عدد جميع المشاهدين نحو الالفين كان بينهم بعض الفلاسفة الذين لم يسمح لهم بالدخول بل كانوا يقابلون الاعضاء في الخارج ويناقشونهم . وكان الشمامسة لابسين رداء طويلا والاساقفة والكهنة برنساً كبيراً من الصوف وكلها من اللون الابيض

واجتمع المجمع سنة ٣٢٥ م ولا يعرف جيداً الشهر الذي اجتمع فيه المجمع فيقول بعضهم في ٢٠ ايار (مايو) وغيرهم في ١٩ حزيران (يونيه) . أما مكان المجمع فكان في الساحة الوسطى في القصر الملوكي . ودخل بعض موظفي البيت الملوكي ورجال البلاط وعدد من الاسرة المالكة ورام قسطنطين ان يحضر المجمع لكي يزيده شرفاً فقط لانه قال للآباء « ان الحكم على قضايا الايمان لا يختص بسلطة ملك بل انما خصه السيد المسيح بالاساقفة فقط »

فدخل الضابط الذي يتقدمه فوقف الجمع ثم دخل هو ماشياً الهوينا ووضع

في الوسط كرسي من ذهب له فأبى أن يجلس عليه وجلس في آخر المجمع ولكن الاساقفة أشاروا عليه أن ينتقل من مكانه ويجلس في الموضع الذى أعد له ففعل وبعد أن جلس جلسوا وجلس الاساقفة عن يمينه ويساره ويتقدم الجالسون من اليمين البابا الاكسندروس ورئيس شمامسته اثناسيوس ويوساب القيصري ويتقدم الجالسون عن اليسار اوسيوس القرطبي واريوس وأكبر أعوانه واصطف الجمهور على جانبي القاعة

ومن المعلوم ان أوسيوس اسقف قرطبة اعتبر رئيساً للمجمع الا ان الجميع سلموا للبابا الاكسندروس أن يتقدمهم في كل عمل . ثم قام الملك والقى خطاباً باللاتينية ترجمه له يوساب حض فيه على الاتحاد وفض المشاكل بالحكمة . وكان موعد انعقاد الاجتماع في ٢٠ مايو فدارت فيه بعض المناقشات والمفاوضات لغاية ١٤ يونيه عند ماحضر الملك ووضع قانون الايمان فى التاسع عشر من الشهر وختم المجمع أعماله في ٢٥ اغسطس

وكان أهم الحاضرين في ذلك المجمع وقبلة أنظار الجميع اثناسيوس رئيس شمامسة البابا الاكسندروس فهو الذي كان يتولى الدفاع ضد اريوس وأتباعه نظراً لما أظهره من البراعة قبل انعقاد المجمع في مناضلة الاريوسيين فى بعض مجادلات جرت بينه وبينهم فافحمهم وكان يناظرهم في كل مادة من المواد ويكشف مغالطاتهم ويعرضها على المجمع للنظر فيها . فأعجب به الجميع ولا سيما الملك وصار الكل يقصدونه للسلام عليه والتكلم معه ويضربون معه مواعيد لمقابلته وهو مشتغل بفحص الاوراق وأخذها وردها . وقد اعترض الاريوسيون على وجود اثناسيوس بالمجمع بصفة رئيس شمامسة ولكن الملك لم يعبأ باعتراضهم معتبراً وجوده ضرورياً . ولهذا لاتزال الكنائس الغربية تعتبر رتبة « رئيس شمامسة » من الدرجات الكهنوتية وذلك لأن اثناسيوس مع عظم شأنه بمجمع نيقية لم يكن الا رئيس شمامسة

وبدأ المجمع أعماله في فحص ماقدمه الرعاة من الشكاوى ضد اخوتهم وما كان ادهش تصرف الملك اذ أخرج من جيبه ملفاً من هذه الاوراق وبعد أن وبخ مقدميها لعرضهم تهماً ضد اخوتهم وأقسم بالله ان لا يقرأ شيئاً منها ثم طلب

موقداً ودفع اليه تلك المعروضات والتشكيات السرية . ثم أفسح المجال لرئيس المجمع ولكنه بقى فى قاعة الاجتماع واهتم كل الاهتمام بسماع المناقشات وفعلا اشترك في بعضها

ثم انعقدت الجلسة الأولى وكان الملك قد اعطى الحرية لكل من يتفاوض من الاساقفة فكثر الجدال واللغط والغضب وانفضت الجلسة الأولى بدون جدوى . وفى اليوم التالي تقدموا للمناقشة فوقف اريوس وقال « ان الابن ليس مساوياً للآب فى الأزلية وليس من جوهره وان الآب كان في الأصل وحيداً فأخرج الابن من العدم بارادته وان الآب لا يرى ولا يكيف حتى للابن لأن الذي له بداية لا يعرف الازلي وان الابن اله لحصوله على لاهوت مكتسب» فحال سماع الآباء هذه الكلمات ضجوا ضجيجاً هائلا وصموا آذانهم كيلا يسمعوا هذا التجديف . وقرئت بعض اناشيد اريوس فزاد سخط الاساقفة لما حوته من الضلال ولم يطيقوا سماعها فمزقوها مما دعى الى هياج أنصار اريوس واضطر الملك ان يسكتهم بالقوة وأخذ اريوس يدافع عن معتقده فانبرى له اثناسيوس واخمه بردود قوية . وقد وجدت صورة هذه المحاورة بكتاب قديم بمكتبة البطريركية القبطية ندرجها هنا لما فيها من الفوائد الغزيرة : — (١)

« قال اريوس ان سليمان الحكيم تكلم بلسان المسيح قائلا خلقني أول طرقه (ام ٨ : ٢٢) قال اثناسيوس معنى ذلك هو ان الرب ولدني لان النص العبراني يذكر عوض خلقني (قناني) اى ولدني كما يقال قنى بالله ولداً اى ولد ويؤيد هذا التفسير ماورد فى نفس الفصل اذ يقول : منذ الازل مسحت منذ البدء كنت معه قبل ان يخلق الجبال وقبل ان يصنع الارض لما ثبت السموات كنت هناك : وما يتلوه من الاقوال التي تدل على ولادة الابن الازلية كما نص داود النبي « انت أبني وانا اليوم ولدتك ومن البطن قبل كوكب الصبح ولدتك (مز ٥ : ٧و١٠٩ :٣)

ار — ان الابن قال ابي اعظم منى (يو ١٤ : ٢٨) فعلى هذا يكون الابن اصغر من الآب ولا يساويه بالجوهر

---

(١) أخذاً عن الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ج ١ ص ٢٨٩ — ٢٩٢

اث — ان الابن دون الآب لكونه تجسد كما يتضح ذلك من نفس الآية (لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لاني قلت اني ماض الى الآب لان أبي اعظم مني) اي انه بناسوته يمضي الى الآب الذي هو اعظم من ناسوت الابن والا كيف يتكلم بلاهوته انه يمضي الى الآب حال كونه في حضن الآب (يو ١ : ١٨) ويؤيد ذلك انه في نفس الفصل يتكلم باللاهوت ويبين مساواته لابيه بالجوهر بقوله « من رآني فقد رأي الآب وانا في الآب والآب في وكل ما للآب فهو لي وكل مالي فهو له لاننا نحن واحد »

ار — ان المسيح قال « اعطيت كل سلطان في السماء وعلى الارض » (مت ٢٨ : ١٣) فذكر هنا انه نال السلطان من ابيه لانه اعظم منه وغير مساوله

اث — يعني ان الابن بولادته الازلية من الآب قد ملك كل سلطان او انه قال ذلك بحسب كونه متأنساً لانه في اثر هذا القول ساوى نفسه بأبيه بقوله لتلاميذه عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس

ار — ان المسيح نسب ذاته لعدم معرفة ساعة الدينونة بقوله لتلاميذه « واما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها احد ولا ملائكة السموات الا الآب وحده » فاذا كان الابن لايعرف وقت الدينونة فكيف يكون الهاً ؟

اث — ان المسيح قال ذلك لتلاميذه لئلا يسألوه عن هذا السر الذي لايجوز لهم أن يطلعوا عليه كما يقول صاحب السر اني لا أعلم هذه المسألة اي لا أعلمها علماً يباح به لان بطرس قال له يارب انت تعرف كل شيء

ار — ان المسيح قال انا لا اقدر ان اصنع مشيئتي بل مشيئة من ارسلني (يو ٥ : ٣٠) فاذاً هو عبد للآب ودونه

اث — ان المسيح تكلم في مواضع كثيرة بحسب كونه الهاً صار انساناً كقوله « ان شئت فلتعبر عني هذه الكأس » « الهي الهي لماذا تركتني » « اني صاعد الى ابي وابيكم والهي والهكم » ومثل ذلك صلاته الى ابيه مراراً كثيرة . وبصفة كونه الهاً قال « من رآني فقد رأى الاب » « انا في الاب والآب في » « وانا والاب واحد » وفي نفس الفصل الواردة فيه آية الاعتراض قال تعالى « كما ان الاب يقيم الموتى ويحييهم كذلك الابن ايضاً يحيي من يشاء ليكرم الجميع الابن

كما يكرمون الاب » . وغير ذلك كثير من اقوال المسيح التي تصرح بمساواة لاهوته للاهوت ابيه في الازلية والعظمة والقدرة

ار — ان يوحنا قال في بشارته عن الابن « كل به كان وبغيره لم يكن شيء مما كون » (١ : ٣) فهذا القول يدل على ان الابن آلة استخدمها الاب لصنع الخلائق فالابن اذاً ليس الهاً خالقاً

اث — ان الاب خلق بالابن أي بواسطة الابن الخالق كما يقال بنى الملك المدينة بابنه فالملك وابنه يعدان باني المدينة . ولاسيما ان يوحنا صرح بلاهوت الابن وأزليته ومساواته لابيه في الجوهر والقدرة والابداع في بشارته وفي رسائله حيث قال « الذي كان منذ البدء الذي سمعناه الذي رأيناه الذي لمسته أيدينا » (١ يو ١ : ١) وأيضاً « الشهود في السماء ثلاثة الاب والكلمة والروح وهؤلاء الثلاثة هم واحد » (١ يو ١ : ٧) وفي الرؤيا « انا هو الالف والياء البداية والنهاية الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء » (رؤ ١ : ٨) وقوله « للجالس على العرش وللحمل البركة والكرامة والمجد والسلطان الى أبد الابدين » (رؤ ٥ : ١٣) وفي أول الفصل الواردة فيه آية الاعتراض نص البشير بجلاء عن لاهوت الابن بقوله « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » فكيف يكون معنى قوله بعد هذا التصريح أن الابن ليس باله خالق لكنه آلة لصنع الخلائق . وقد اعترف داود النبي بان الابن خالق كما قال « انت يا رب أسست الارض والسموات صنع يديك » ولا ريب ان هذا القول يخاطب به النبي ابن الله كما فهم ذلك الرسول (عب ١ : ١٠) فقد اتضح ان ابن الله خالق نظير ابيه واله مساو له في الجوهر والعظمة والمجد » اه

وطلب من يوساب القيصري وسميه النيكوميدي ان يتبرأا من هرطقة اريوس فوقعا في حيرة وارتباك شديدين ولم يتفقا على قاعدة ترضيهما وترضي المجمع ثم تلا يوساب القيصري عقيدة قال انه تسلمها من الاساقفة الذين سبقوه ظاهرها عكس باطنها

فنصح الامبراطور للحضور ان يوافقوا عليها . وكان يوساب وحزبه يقبلون كل عبارة يبديها الارثوذكسيون ولكنهم يؤولونها بحيث تضعف قوتها في ما

وضعت له وأفاضوا في نصوص الكتاب لتأييد تنصلهم . فسئلوا ان كانوا يقبلون ان يكتب في العقيدة عن طبيعة الابن انه من الله فقالوا نعم لاننا نحن ايضاً من الله والكتاب يقول « لا يوجد الا اله واحد الآب الذي منه جميع الاشياء » (١ كو ٨ : ٦) ويقول ايضاً « هوذا الكل قد صار جديداً . ولكن الكل من الله» (٢ كو ٥: ١٧ و ١٨) فسئلوا اذا كانوا يعترفون ان الابن ليس مخلوقاً بل هو قوة الآب وحكمته وصورته وانه هو الله حقاً : فنظر بعضهم الى بعض وتشاوروا هيساً ثم قالوا . اننا نوافق على ذلك لاننا نحن البشر ندعى صورة الله ومجد الله (١ كو ١١ : ٧) واشياء كثيرة يقول عنها الكتاب انها قوته كقول المزمور «جميع قوة الرب خرجت من مصر » حتى ان الجراد سميت بقوات الرب واما من جهة القول بأنه اله حقيقي فلا مشاحنة فيه اذ انه جعل او تعين هكذا . ولم يلق احد الفريقين اية عبارة يعبر بها عن فكرة الاوقام الفريق الاخر باضعاف قوتها و نفيها

فاقترح اثناسيوس أن تضاف كلمة Homo-ousion اى « مساوى الجوهر » او « ذو جوهر واحد » للتعبير عن هذه الحقيقة بطريقة موجزة واضحة فعارض اليوسابيون فى استعمال هذه اللفظة بدعوى انها ليست من الكتاب وغير ملائمة وقابلة للتأويل ثم اقترحوا استبدالها بلفظة Homoi-ousion اى «مشابه فى الجوهر» والفرق بين الكلمتين حرف واحد وهو « يوتا » باليونانية والقبطية ولكن ما أعظم الفرق بين اللفظين في المعنى ! ! وبقدر معارضتهم بقدر ما ظهر للاغلبية انها هى العبارة المقصودة بالذات للتمييز بين من يؤمن بصحة لاهوت المسيح وبين من يعتقد بما هو اقل من ذلك . فصودق على اقتراح اثناسيوس باغلبية هائلة ولم تزد الاقلية عن سبعة عشر صوتاً وقوبلت هذه النتيجة بالسرور التام وتقرر ان يكون قانون الايمان هكذا : —

« نؤمن بإله واحد الله الآب الضابط الكل الخالق السماء والارض ما يرى وما لا يرى . نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساو الآب فى الجوهر الذى به كان كل شيء هذا الذى من اجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس وصلب

على عهد بيلاطس البنطي تألم وقبر وقام من بين الاموات في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد الى السموات وجلس عن يمين ابيه وايضاً يأتي في مجده ليدين الاحياء والاموات الذي ليس لملكه انقضاء » اه

ويلي هذا القرار الالهي حرم اريوس واتباعه وحرم بدعة سابليوس الذي أذاع اريوس ان معارضيه يقبلونها وبذلك اوضح المجمع النقطتين الاساسيتين في التعليم عن كلمة الله وهما تمييز الاقانيم في اللاهوت وصحة لاهوت المسيح

وقد وقع على هذا القرار جميع اعضاء المجمع برضاء كلي ولم يبق على عقيدة اريوس سوى خمسة أشخاص منهم يوساب النيكوميدي ويوساب القيصري الا انهما أمضيا بعد تردد ولم يلبث سوى الاثنين اللذين حرما بالاسكندرية وهما سيكوندس اسقف بطليموسه وثيوناس اسقف ماريكه وقد وبخ الاول اسقف نيكوميديا لأنه وقع خوفاً من النفي وقال له اني أبلغك من قبل الله بانه في خلال عام واحد سيصيبك ما أصابني

وبعد ان حكم المجمع بحرم اريوس وبدعته أمر بنفيه وبحرق كتبه وباعدام من يتستر عليها . وما يأتي يؤخذ منه رأي المجمع في اريوس وهو من رسالة انفذها المجمع الى كنائس افريقية قال : — «قبل كل شيء وقع البحث امام الملك قسطنطين الكلي التقوى في اثم اريوس ورفقائه وعدم تقواهم وحتم بصوت الجميع ان تعاليمه العديم التقوى ليكن اناثيما وهكذا ايضاً فلتكن اقواله وعباراته التجديفية التي استعملها لانه قال مجدفاً ان ابن الله من القدم وانه وجد زمان لم يوجد فيه وقال ان ابن الله من تلقاء ارادته قادر على الفضيلة والرذيلة وقال انه مخلوق وعمل فكل هذا حرمه . والمجمع المقدس لا يطيق استماع هذا التعليم العديم التقوى أو بالحري هذه السفاهة وهذه الاقوال التجديفية وقد سمعتم أو تسمعون ماذا جرى في حقه لئلا نظهر نحن اننا تعدينا على انسان اخذ استحقاق شره ولكن شره غلب بهذا المقدار حتى أدخل معه في الهلاك ثيوناس المرمريكي وسيكوندس من عكا لانهما حكم عليهما كما حكم عليه » اه

ولما انتهى المجمع من القضاء على اريوس وبدعته صرف همه للفصل في مسائل أخرى

(١) منهامسألة تحديد يوم عيد القيامة فقرر بالاجماع ان يكون العيد المذكور في موعد واحد بجميع البلدان اي يوم الاحد الذي يلي البدر الذي يكون فيه عيد اليهود حتى لا يعيدوا قبل اليهود أو معهم وقرروا ان بابا الاسكندرية هو الذي يبلغ الكنائس الأخرى عن اليوم الذي يقع فيه هذا العيد في العام التالي وذلك لان الاسكندرية في ذلك العهد كانت مركز العلوم الفلكية وجرت العادة وقتئذ ان بطريركها يحسب ميقات البدء بعد الاعتدال للسنة القادمة ويبلغ اسقفي رومية وانطاكية وهما يبلغان سائر الاساقفة

(٢) ثم نظر المجمع في أمر الشقاق الذي أحدثه ميليتس بهضمه كاسقف حقوق رئيسه البطريرك وتقدمه لرسامة اساقفة وقسوس بلا رأي رئيسه فقرر من جهته في القوانين ٥ و٦ و٧ بحفظ حقوق بطريرك الاسكندرية على مرؤسيه واعطاه الحقوق التي كانت لاخويه اسقفي رومية وانطاكية

ثم ارسل المجمع هذه الرسالة الى المصريين بحكمه في هاتين المسألتين وهاك هي : —

« بقى علينا الآن طياشة ميليتس والذين رسمهم والآن أيها الاخوة الاحباء نخبركم قضاء المجمع على هذه القضية . اننا اذا راعينا الحقيقة نجد ان ميليتس لا يستحق اكراماً أو صفحاً على ما اقترفه من أمر الشقاق الذي أحدثه الا ان الشفقة والحنان يحتمان علينا ان نعامله بالرأفة واللطف ولذلك أذن له المجمع بالاقامة في بلدته مسقط رأسه وأمره ان لا يمارس أية وظيفة كهنوتية سواء كانت رسامة احد أو ترشيح احد للرسامة ويتحتم عليه عدم الظهور في أي أقليم أو مدينة بهذا المظهر ولا ان يدعى شيئاً حرمه عليه المجمع بل تبقى له صفته الشخصية فقط . أما الذين عينهم هو في وظائف وتثبتوا فيها بواسطة رسامة قانونية فيجب قبولهم في عضوية الكنيسة بالشروط الآتية وهى : ان تبقى لهم وظائفهم ورتبهم ولكنهم يعتبرون أقل درجة في كل شيء من الآخرين الذين عينهم رئيسنا المحترم البطريرك اسكندر واقامتهم الكنائس الاخرى . كذا لا سلطة لهم على تعيين أو ترشيح من يشاءون ولا ان يعملوا عملا ما بدون تصديق أحد أساقفة الكنيسة الجامعة الذين يعدون من أنصار البابا اسكندر

ومساعديه . وعند موت أحد هؤلاء القسوس الذين سامهم ميليتس سابقاً ينبغي تعيين واحد بدله من الذين تنطبق حالتهم على النظامات الحديثة على شرط أن يكون ذا أهلية واستحقاق فيختاره الشعب ويصدق اسقف الاسكندرية على انتخابه . فهذا الامتياز يمنح لجميع الاساقفة على السواء الا ميليتس فلا يعطى هذه السلطة نظراً لسلوكه السابق المغاير للصواب والتعقل بل يجرد من كل سلطة وسطوة لاجل طياشته وخيلائه ولانه رجل لا يبعد عليه أن يحدث شقاقاً جديداً مثل الذى أتاه قبلا . فهذه المسائل تهم مصر وكنيستها الرفيعة الشأن على الخصوص وعليه فاذا سن قانون آخر غير هذا أو حدثت رسامة كاهن ليست قانونية فيكون لغبطة الحبر المفضال البطريرك الاكسندروس حق التداخل فى هذا الأمر وان يفحصه فحصاً دقيقاً ويبت حكمه لانه ليس بصاحب صوت فقط فى الذى يحدث ولكن له الرئاسة العليا والسلطة التامة في تنفيذ أى عمل يريده

« ولقد يسرنا أيضاً في هذا المقام أن نخبركم بما قر عليه الرأى في مسألة تحديد يوم عيد القيامة المبارك فان هذه المسألة انتهت بمساعدة صلواتكم وأصبح جميع الاخوة المسيحيين في الشرق الذين كانوا يعيدون هذا العيد مع اليهود تماماً يعيدون من الآن فصاعداً مع الرومانيين ومعنا ومع الذين حفظوه منذ القديم معنا » اهـ

(٣) ثم نظر المجمع في مشكلة معمودية الهراطقة التى كانت بين أساقفة افريقيا وآسيا الصغرى وبين أسقف رومية فاعترف المجمع بمعمودية واحدة وحدد أن لا يقبل بعض من الهراطقة الا بالمعمودية لان معموديتهم المعروفة اسما هى بالفعل غير صحيحة لعدم ارتباطها بالاعتراف بالثالوث الاقدس . والبعض الآخر أن يقبلوا بلا معمودية لكون المعمودية المتممة عليهم لبثت غير فاسدة ولا ممسوسة من آرائهم لتعلقها بمواضيع أخرى لا تمس المعمودية

فبذلك رذل المجمع رأي اسقف رومية بخصوص عماد الهراطقة ولقد قال في هذا الصدد بنديكتوس ١٢ اسقف رومية (١٣٣٤ — ١٣٤٢ م) « ان اسطفانوس قد علم بوجوب اعادة العماد الذى يتم على يد الهراطقة وعلم كبريانوس بعكس ذلك أما المجمع النيقاوى فقد خالف هذين التعليمين حيث قرر ان المتعمدين من

أيدي المراطقة عماداً صحيحاً لا يعاد عمادهم بعكس الذين اعتمدوا منهم عماداً فاسداً » اه (١) وقال أوغسطينوس أعظم قديسي الكنيسة اللاتينية «ان الحكم النهائي في قضية عماد الهراطقة كان للمجمع المسكوني الذى له وحده هذا الحق . أما رأي اسطفانوس فانه فضلا عن فساده لم تكن له قوة على اقناع كبريانوس وهكذا كان حكم الكنيسة مجتمعة حجة لاترد لاثبات الحقيقة فيما يختص بالعقيدة الارثوذكسية » اه (٢)

(٤) حكم على ذوي الكهنوت أن يكونوا من أصحاب الزوجات وقد أراد جل الاعضاء أن يقرروا ضرورة تبتل كل رتب الاكليروس الا ان رأيهم لم يقبل وكان أشد معارضيه القديس بفنوتيوس اسقف طيبه الذى أشير اليه بانه فقد عينه اليمنى ويده اليسرى فى الاضطهاد وهو أعزب اذ صرح بانه ليس من الواجب التثقيل على ذوى الكهنوت خشية حدوث ضرر للبيعة عوض النفع فأثر كلامه في الجميع لانهم عرفوا انه لاينتفع من القرار أو عدمه واكتفى المجمع بالحكم على الكهنة المترملين بعدم اعادة الزيجة

وبعد ذلك سن المجمع عشرين قانوناً لم تزل بحمد الله موجودة سالمة الى عصرنا هذا . وهذه القوانين وسائر الاحكام أيضاً أنيط نشرها بكل واحد من أساقفة الكراسي الاولية فى أبروشيته . ومن جملتهم اوسيليانوس في افريقية واوسيوس فى الغرب كله . ولم يذكر شيء بخصوص اسقف رومية البتة يتعلق بنشرها فلا أحد انتظر منه تصديقاً عليها ولا استأذن منه لينشرها . وكان مسألة نشر القوانين في الشرق والغرب تنفى صحة الدعوى بسلطانه فان فحوى القوانين أيضاً ينفيها نفياً واضحاً

وقد اجتهد اساقفة رومية في القرن الخامس ان يجروا بعض قوانين مجمع سرديكا التي توجب استئناف الاحكام ضد الاساقفة الى اسقف رومية الى قوانين مجمع نيقية فقاومهم عند ذلك أساقفة افريقية وارسلوا الى بطاركة الاسكندرية

---

(١) راجع بوسويه فيمقدمة دفاعه عن اقرار الاكليروس الفرنسي رقم ٤٨
(٢) راجع كتاب العماد لاغسطينوس (ك ٢ ف ٤ : ٥ و ك ٣ ف ٢ : ٢)

وانطاكية والقسطنطينية يطلبون نسخاً كاملة لكل القوانين النيقاوية المعروفة عندهم فنقلوا نسختين صحيحتين احداهما من الاسكندرية والاخرى من القسطنطينية فكان فحوى الجواب ان الكنائس الارثوذكسية لم تقبل الا هذه العشرين قانوناً وبعض هذه القوانين يعارض كل المعارضة قوانين مجمع سرديكا التي ارادوا أن يثبتوا بها رئاسة اسقفهم المزعومة ويهدمها واليك هي : —

قال القانون الرابع « ينبغي أن يقام الاسقف على الخصوص من جميع اساقفة الابروشية . فان كان عسراً اما لضرورة شديدة او لبعد المسافة فلا بد من اجتماع ثلاثة معاً بعد اشتراك الغائبين في الاصوات وموافقتهم كتابة وحينئذ يعملون الشرطونية . أما تثبيت الاجراءات فمنوط في كل ابروشية بالميتروبوليت » فهذا القانون فضلا عن ايضاحه مساواة رؤساء الابروشيات بعضهم لبعض بلا امتياز هو ضد العادة المرعية اليوم فى الغرب بان كل اسقف عندهم حتى بطاركة الطوائف التابعة لهم « المعروفة بالمكتلكة » محتاج الى تصديق من البابا أو بالحرى ان هذه العادة الغربية هي ضد المجمع المسكونى وهى لاغية

وقال القانون الخامس « لقد رأينا حسناً أن تعقد مجامع فى كل ابروشية مرتين في السنة لكى تفحص امثال هذه المسائل (الكنسية) باجتماع عمومى من جميع اساقفة الابروشية » وهنا أيضاً مرجع المسائل الكنسية لا الى البابا بل الى مجامع الابروشيات

وقال القانون السادس « لتحفظ السنن القديمة التي في مصر وليبية والخمس المدن بان تكون السلطة على هؤلاء كلهم لاسقف الاسكندرية . بما أن هذه العادة مرعية للاسقف الذي في رومية أيضاً . ومثل ذلك ليحفظ التقدم للكنائس فى انطاكية وفي الابروشيات الاخرى . وبالاجمال ليكن واضحاً ان كل من صار اسقفاً بلا رأى الميتروبوليت قد حكم المجمع الكبير أنه لا يجب أن يكون اسقفاً وأما اذا قاوم اثنان او ثلاثة عن عناد شخصي لصوت الجميع العام رغماً عن كونه مصيباً وموافقاً للقانون الكنسى فليعمل بصوت الاكثرين »

وقال القانون السابع « بما أنها جرت العادة والتسليم القديم ان يكون الاسقف الذي فى ايلية « أورشليم » ذا كرامة فلتكن له التبعية في الكرامة مع

المحافظة على رتبة الميترو بوليت الخاصة بها »

فواضح هنا أن هذين القانونين يثبتان لكل اسقف من اساقفة الكراسى الاولى رئاسته لا كأنهما يثبتان أمراً جديداً بل بناء على العادة القديمة وعلى الخصوص القانون السادس يثبت دائرة الكرسي الاسكندري الذي كانت حقوقه قد ديست من ميليتس الاسقف المبتدع المار ذكره الذي ساقه عناده الى انه داس حقوق البطريرك الاسكندرى وكان يقيم شرطونيات بلا رأيه . ولهذا السبب جدد المجمع وثبت حقوق الاسقف الاسكندرى المداسة لتكون مرعية في دائرته كما أن حقوق أسقف رومية لم تزل مرعية فى دائرته . وكذلك حقوق الانطاكي وحقوق كل أسقف من الاساقفه المتقدمين . ثم قرر في القانون السابع أن تكون التبعية في الكرامة اى الجلسة للاورشليمى بعد الانطاكي

فهذه قوانين مجمع مسكونى صريحة تبين لكل اسقف دائرته ولا تعين ولا تشير الى اسقف عام على كل الكنيسة حالة كون المذاكرة في مثل هذه المسائل كانت توجب ذلك لو كان له أصل أو على الاقل كانت توجب وكلاء البابا أن يدافعوا عن حقوقه ويقرروها (١) ولنختم بشهادة البابا اثناسيوس الرسولي في رسالته الى الانطاكيين وهى : « ان الكنيسة فيها رؤساء كثيرون متساوون في الكرامة يقودهم رئيس واحد ربنا يسوع المسيح » (٢)

* وبعد أن انتهى المجمع من اعماله أولم قسطنطين لاعضائه وليمة عظيمة فى بدء السنة العشرين لملكه اى فى اليوم الرابع والعشرين من شهر يولية فاجتمع الآباء الروحيون على مائدة الملك . ويقول أوسابيوس المؤرخ « ان اجتماع آباء الكنيسة فى سلام وصفاء بهذه المأدبة الفخيمة كان يشبه صورة ملكوت المسيح وقد تجلى هذا المنظر أمامى كحلم اكثر مما هو حقيقة . » اه وكان الامبراطور يحادث ضيوفه بكل بشاشة ثم ألقى عليهم خطاب الوداع ناصحاً اياهم بالتزام خطة السلام . وبعد ذلك وزع عليهم الهدايا وسلمهم الاوامر الى حكام البلاد التي هم تابعون لها آمراً هؤلاء الحكام بأن يوزعوا على الكنائس كل سنة مقداراً من الحنطة لمؤونة رجال الاكليروس والارامل والعذارى والفقراء التابعين للكنائس

---

(١) تاريخ الانشقاق ج ١ ص ١١٧ — ١١٩ (٢) ذوسيثاوس ٧٠٦

ثم طلب منهم البركة وأعد لهم الركائب لعودتهم الى اوطانهم فعادوا اليها بسلام

(٢) مجمع القسطنطينية . « ويسمى المجمع المسكونى الثانى» وسبب انعقاده التعاليم الكفرية التي اذاعها مكدونيوس بطريرك القسطنطينية عن الروح القدس والتي اضطربت البيعة لاجلها. واذ كان الملك ثيودوسيوس الارثوذكسي يرغب في استئصال شأفة البدع والهرطقات أمر بانعقاد هذا المجمع في مدينة القسطنطينية سنة ٣٨١ م

وكان في هذا المجمع رجال قديسون عظام نذكر منهم نكتاريوس بطريرك القسطنطينية وتيموثاوس بابا الاسكندرية وملاتيوس اسقف انطاكية وكيرلس اسقف اورشليم وغريغوريوس الثاولوغوس وغريغوريوس النيسى وامفيلوشوس اسقف ايقونية وبيلاجيوس اسقف اللاذقية وثيوذورس اسقف طرسوس واكاكيوس اسقف حلب وافلوجيوس اسقف اداسيس وغيرهم كثيرون مجموعهم ١٥٠ أباً ولم يكن من رومية أحد لا اسقفها ولا نواب له ولا تليت رسالة من الاسقف نيابة عنه حسب عادة الاساقفة الغائبين ومع ذلك فوافق اسقف روميه وكل الكنيسة الغربية على أعماله ولم يزل هو وكنيسته يعترفون بانه مجمع مسكوني وقال المؤرخ صوزومينوس (فاجتمع من الذين يعتقدون بمساواة الثالوث فى الجوهر نحو ١٥٠ وفى رئاستهم تيموثاوس المتقلد ادارة كرسى الاسكندرية خلفاً لاخيه بطرس الذى كان قد توفى لامن عهد بعيد » (١)

وقد بحث المجمع في جملة هرطقات أهمها هرطقة مكدونيوس المار ذكره الذي اعتقد بان الروح القدس مخلوق . ولما طرحت قضيته امام المجمع بدأ يثبت بدعته فقال ان الروح القدس مخلوق مرتكناً على قول الكتاب « كل به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان » (يو ١: ٣) فأجابوه قائلين « ايها الانسان لا يوجد لدينا الا روح واحد وهو روح الله ومن المعلوم ان روح الله ليس شيئاً غير حياته واذا قلنا إن حياته مخلوقة فعلى زعمك انه غير حى واذا كان غير حى فهنالك الكفر الفظيع والرأى الشنيع » ولما أبى ان يرجع عن افكاره أنزلوه من درجة

---

(١) صوزومينوس ٧: ٧ و٩

البطريركية وحرموا كل من يقول بقوله واثبتوا دستور الايمان النيقاوى الذي كان ينتهي بقوله « نم نؤمن بالروح القدس » فأضاف مجمع القسطنطينية عليه هذا القول « الرب المحيي الكل المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن يسجد له ويتمجد الناطق في الانبياء وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ونترجى قيامة الأموات والحياة الجديدة في العالم الآتي، آمين »

وحرم المجمع كل من يزيد على هذا الايمان الذى سنه آباء المجمع النيقاوي واكمل في هذا المجمع المقدس شيئاً آخر او ينقص منه او يحدد حداً مضاداً لما حدد فيقع هذا الحرم على الكنيسة الباباوية التي زادت بعد الروح القدس المنبثق من الآب لفظة والابن كما ستقف عليه في باب البدع في القرن الثامن .

ثم نظر المجمع في هرطقة أبوليناريوس اسقف اللاذقية ومن امره انه كان شديد المناضلة في اثبات لاهوت المسيح ضد الاريوسيين ولما كانت مناضلته بدون فطنة سقط في البدعة اذ انكر وجود النفس البشرية في المسيح واعتقد ان اللاهوت قام بوظيفتها وامتزج مع الناسوت امتزاجاً كلياً حتى انه احتمل معه اوجاع الصليب والموت وجعل تفاوتا بين الاقانيم الثلاثة فقال ان الروح القدس عظيم والابن اعظم منه والآب اعظم من كليهما فحرم هذا المجمع تعليمه

وكان رئيس المجمع ملاتيوس الانطاكي ثم توفى قبل انحلاله فتولى الرئاسة غريغوريوس الثاولوغوس .وكان متولياً موقتا للكرسي البطريركي بالقسطنطينية قبل ذلك بمدة قليلة ولكن تيموثاوس بابا الاسكندرية قاومه فاستعفى مسروراً لانه علم أن الذى يتولى بعده الكرسى البطريركي ورئاسة المجمع صديقه نكتاريوس

ثم سن المجمع سبعة قوانين تتعلق بنظام الكنيسة وسياستها وروعي في وضعها خاطر ملكي رومية والقسطنطينية فوضعت هذه في الرتبة الثانية بعد رومية ووضعت الاسكندرية بعدهما فاستاء البابا تيموثاوس من تصرف المجمع الذى يدل على تناسيه لجهاد باباوات الاسكندرية الافاضل وعدم اعتبار المعروف منذ القديم وهو ان لكرسي الاسكندرية المركز الاول فاحتج البابا تيموثاوس على هذا القرار وخرج من المجمع غاضباً

ويتبين من مراجعة نص القوانين التي سنها المجمع في هذا الشأن ان اساس النظام الكنسي ليس الاعتبارات الدينية بل المدنية ودونك نص القانون الثاني « لايتعدين الاساقفة الذين خارج اداراتهم على الكنائس التي خارج حدودهم ولا يشوشن الكنائس . بل وفقاً للقانون لاسقف الاسكندرية ان يسوس أمور مصر فقط . ولاساقفة الشرق ان يسوسوا الشرق فقط مع المحافظة على التقدم الذي في قوانين نيقية لكنيسة الانطاكيين . ولاساقفة ولاية آسيا ان يسوسوا امور آسيا فقط . وللذين في البنطس امور البنطس فقط . وللذين في تراكي ان يسوسوا امور تراكي فقط . فلا يتعدين اساقفة خارج ولايتهم لاقامة شرطونيات او معاطاة امور أخرى كنسية من دون ان يدعوا . والمحافظة على القانون السابق تدوينه في الادارات تقتضي صريحاً ان يسوس احوال كل ابروشية مجمع الابروشية كما هو محدد في نيقية . واما كنائس الله التي بين الامم البربرية (يعني خارج المملكة) فيجب ان تساس حسب عادة الآباء المرعية »

والقانون الثالث « اما اسقف القسطنطينية فليكن له التقدم في الكرامة بعد اسقف رومية لكونها (أي القسطنطينية) رومية جديدة » اه

فهذان القانونان ينفيان الرئاسة التي يدعيها الغربيون لاساقفتهم فان القانون الاول منع تعدي أي اسقف كان على حقوق سواه وحكم بان الامور الكنسية المشاعة يفصل فيها مجمع الاساقفة لا اسقف رومية وذلك استناداً على قوانين مجمع نيقية

(٣) درجات الكنائس . ويجدر بنا في هذا الصدد ان نتكلم عن مقام كل كرسي من كراسي الاسقفيات المسيحية لان كلا منها ينازع الآخر في الادعاء بالاسبقية والاعتبار . وكل مدقق في الحوادث التاريخية يقر بان المراكز الدينية كانت تقاس قيمتها بقيمة المدن الكائنة فيها . فانه مع ان الكنيسة في مبدأ الأمر كانت تعلم بالتساوي بين جميع افراد الرتب الكهنوتية ولكنه لما دعا الحال الى عقد مجامع للبحث في المشاكل الدينية احتاج الامر الى واحد ليكون هو المتقدم في تلك المجامع فلكي لا يفهم احد ان هذا التقدم ناشىء عن امتياز

لاسقف عن الآخر قالوا اذا كان المجمع قاصراً على أساقفة مدينة واحدة وما حولها من القرى يكون التقدم لاسقف المدينة . واذا كان المجمع مؤلفاً من اساقفة مدن عديدة يتقدم فيه اسقف المدينة الاكثر شهرة . ويوجد سبب آخر قضى على المؤمنين ان يوجهوا نظرهم الى بعض المراكز الاسقفية اكثر من غيرها وذلك بالنسبة لانها كانت مقراً لبعض الرسل واتصلت الى الاساقفة بسلسلة الخلافة ودعيت « الكراسي الرسولية »

فالمراكز الدينية التي حازت أحد هذين الامتيازين كانت لها أسبقية على التي لم تحزهما ولكن التي امتازت بالاكثر من المراكز التي اقترنت اهميتها المدنية بتسلسل اساقفتها عن خلافة رسولية واشتهرت عن سواها هي في الشرق الاسكندرية . وانطاكية . وأفسس . وكورنثوس . وفي الغرب . رومية . ولما كان المركز الكنسي الذي يفقد اهميته المدنية يفقد اهميته الدينية ايضاً فان كرسي اورشليم فقد منذ القديم اهميته بعد خراب هذه المدينة ولحقه بعدئذ كرسيا أفسس وكورنثوس ولكن الكرسي الاسكندري ارتفع عن بقية الكراسي لان مقره مدينة الاسكندرية كانت عاصمة الديار المصرية وامتازت بانها كانت محط رحال العلوم والمعاملات التجارية للعالم أجمع

ولما تداخل ميليتس المشار اليه انفاً واحدث انشقاقه وتعدى على سلطة بطريرك الاسكندرية برسامة اساقفة بدون أخذ رأيه قرر المجمع النيقاوي ضرورة مراعاة حقوق بطريرك الاسكندرية . وكذلك كرسي رومية عاصمة العالم وقتئذ وانطاكية عاصمة الشرق استمرا متمتمين بحقوقهما منذ عهد الرسل ولكن الكنيسة البابابوية تنادي ليلا ونهاراً ان رئيسها هو رئيس الكنيسة العام واليك الادلة على كذب قولها

جاء في كتاب « مختصر تاريخ الامة القبطية » ص٣٣٧ — ٣٤٠ ما يأتي :

« ان الحق الذي يجب ان يعلن هو ان تقدم الكنائس بعضها على بعض لم يكن مبنياً الا على التقدم المدني المحض . ولذلك فاننا نرى آباء المجمع القسطنطيني (المسكوني الثاني) عند ما اصبحت القسطنطينية مماثلة لرومية في الرفعة المدنية قد بادروا الى مساواتها بها في الرفعة الدينية حيث قرروا في القانون الثالث ان

تكون لها الدرجة الثانية بعد رومية وان تلقب رومية الجديدة وهكذا اصبحت اسقفية القسطنطينية (البيزنطية) التى اغفلها المجمع النيقاوي في قانونه السادس لصغر شأنها وقتئذ مقدمة على اسقفيتي اسكندرية وانطاكية

ولقد جاء في القانون الـ ٢٨ من قوانين مجمع خلكيدون الذى ترذله كنيستنا القبطية وتقدسه الكنيسة اللاتينيه « ان المدنية التي حظيت بالملك (رومية الجديدة) وجب ان تمتاز في المسائل الكنسية أسوة بمدينة رومية القديمة » وجاء ايضاً في القانون الـ ١٧ من قوانين هذا المجمع انه « اذا شاد القيصر مدينة جديدة فلتكن منزلتها الكنسية ملاءمة لمنزلتها المدنيه » على ان ذلك القرار لم يكن من مبتكرات مجمع خلكيدون فقد سبقه اليه مجمع انطاكيه المنعقد سنة ٣٤٢ م اذ قرر فى قانونه الـ٩ «أن يكون النظام الكنسي تابعاً للنظام المدني»(١) وكذلك قرر مجمع تورينو بايطاليا المنعقد سنة ٤٠١م « أن يكون التقدم للاسقف الذي يبرهن على تقدم مدينة اسقفيته من الوجهة المدنية (وذلك على أثر النزاع الذى حدث بين أسقفيتي أرلس وفينا (جنوبي فرنسا) بشأن التقدم الكنسى)

وعلى ذلك يكون تقدم كنيسة روميه الديني قد بني على تقدمها المدني . لما هو معلوم من انها كانت عاصمة العالم الوثني يومئذ . وهذا هو تليمون الكاثوليكي يقول فى تاريخه الكنسى (م ١٦ ص ٧٠٧) « ان مجمع خلكيدون لم يعلل تقدم الكنيسة الرومانية الا بتقدم مدينة روميه مدنياً » وقال سليدن (فى تاريخه م ٩ ص ٢٦٢) « ان ملك فرنسا (فرنسوا الاول) لم يكن ليرى في سلطة البابا وات حقاً الهياً بل بشرياً محصاً » وقال فوشيه فى كتاب حرية الكنيسة الجليكانية (الفرنسية) (م ١ ص ٧١) « لم يكن من سبب في تقدم أساقفة روميه سوى عظم مدينتهم » وأخيراً قال ارهاردوس بيليوس استاذ اللاهوت الادبى في كلية الجزويت بكان بفرنسا في كتابه «أرزاق الكهنة» المطبوع سنة ١٦٤٤م مانصه « ان تقدم البابا وات الرومانيين ان هو الا منة منحت لهم من المجامع والقياصرة (لا من الله) وهكذا كان ذلك التقدم من وضع البشر »

وفضلا عن ذلك فان الدرجة الاسقفية واحدة لايؤثر فيها ارتقاء الايبروشية

---

(١) راجع مجموعة المجامع م ٢ ص ٥٦٦

أو انحطاطها . وهذا هو ايرونيموس يقول في رسالته ال٨٥ الى ايفاجريوم « ان الاسقف ثابت فى وظيفته سواء أقام في روميه أو في رجيو (مدينة صغيرة شمالي ايطاليا) فى القسطنطينية أو في جيبيو (مدينة صغيرة بايطاليا)في الاسكندرية أو فى تانيس » اه هذا فضلا عما اعترف به البطريرك القبطى الكاثوليكي كيرلس مقار في كتابه « الوضع الالهى في تأسيس الكنيسه » « ان تقدم روميه القديمة كان يرمى الغرض منه الى صفة عرش المملكة وبالنتيجة انه لم يكن له أدنى صبغة الهية » اه

واليك شهادة القديس اغناطيوس (وهو من أساقفة روميه) قال « ان جميع الاساقفة الذين تعينوا الى أقاصى المسكونة هم وكلاء المسيح ورأيهم رأي المسيح » (١) والقديس كبريانوس يقول بصريح العبارة « ان الرتبة الاسقفية واحدة » ويقول أيضاً « كما أنها اقيمت كنيسة واحدة للمسيح في كل العالم منقسمة الى اعضاء كثيرة هكذا الرتبة الاسقفية واحدة منقسمة الى عدد اساقفه كثيرين » (٢)

والدليل على صدق هؤلاء الافاضل وعلى ان الكنيسه لم تكن تعتبر في عصورها الاولى أية كنيسة منها أسمى من الأخرى ماتراه فى تصرف الآباء في المجامع المسكونية الاولى حيث كانوا يقررون أحكامهم لاباسم كنيسة خصوصية بل باسم الكنيسه المسيحيه في كل العالم التي تجمع كل الكنائس رسولية كانت أو غير رسوليه. فقط كانوا يقدمون فى الكرامة رئيس الكنيسة الذي يعرفون عنه الغيرة على الايمان والشهرة فى الدفاع عنه كباباوات الكرسى الاسكندري مثلا اذ طلبوا منهم أن يترأسوا المجامع المسكونية الثلاثه الاولى

واذا أردتم برهاناً على ان المجامع لم تكن تحكم الا باسم الكنيسه عامة فاليكم بعض مادونه كيرلس مقار بطريرك الاقباط الكاثوليك في كتابه «الوضع الالهى فى تأسيس الكنيسه » من ص ١٩١ ـ ٢٠٧ « ولكن هل أصدر المجمع النيقاوى حكمه مقيداً باوامر باباويه وهل اعتبر ان مايصدره من الاحكام يكون باسم البابا ؟ ذلك ما يدعيه الغربيون وهى دعوى فاسدة مبنية على أساس واه

---

(١) الى افسس فصل ٣ (٢) في وحدة الكنيسة فصل ٥ ورسالة ٥٥

لانه من الحقائق المقررة ان البابا سلفستروس لم يبعث برسائل للمجمع حينئذ بل ان المجمع أبلغ حكمه لكنيسة روميه أسوة بباقى الكنائس كحكم الهى سماوى مؤيد بالروح القدس ...

«واليكم شهادة القديس اثناسيوس الرسولي الذى قال « ان آباء نيقيه عند ما اصدروا حكمهم في قضية الفصح قالوا « هذا ما وجدناه حسناً » لان هذه المرة كانت الاولى التي فيها سن قانون عام في هذا الموضوع « يوم تعييد الفصح» أما عند الكلام على الايمان فلم يقل الآباء هذا ما وجدناه حسناً بل قالوا « هذا ما تؤمن به الكنيسة الجامعه » ثم جاهروا بمعتقدهم ليدلوا على ان ايمانهم ليس بحديث العهد بل هو نفس الايمان الرسولي وان ما سطرته أيدي هؤلاء الآباء لم يكن من عملهم بل هو الايمان عينه المسلم من الرسل الى الكنائس » اه {١}

وما يقال عن مجمع نيقيه يقال ايضاً عن مجمع القسطنطينيه فانه كان مؤلفاً من ١٥٠ أباً شرقياً ولم يكن لاسقف روميه فيه نصيب البتة حتى انه لما دعي للحضور كباقى الاساقفة اعتذر عن الحضور ولم يرسل حتى من ينوب عنه . وانعقد المجمع بدون ان تكون له أقل علاقة به بالمرة بل وابلغ من ذلك ان التاريخ يشهد ان داماسوس الاسقف الروماني كتب حينئذ لآباء المجمع القسطنطيني المائة والخمسين ليأتوا الى روميه لكي ينضموا الى مجمع كبير كنسى غربي مزمع ان ينعقد ولكن المائة والخمسين أباً رفضوا بتاتاً ان يلبوا هذه الدعوة وأجابوا الاسقف الروماني بشجاعة بان كنائسهم تكبدت الصعوبة حتى خرجت من الزوبعة العظيمة التي صدمتها وأشاروا الى كسل الغربيين الواضح الذين بدل ما انهم يأتون الى القسطنطينيه وذلك في طاقتهم يطلبون سفر الشرقيين الى رومه في الوقت الذي ابتدأت كنائسهم ان تنعتش واصبحت في حاجة الى وجودهم في حضرتها .

وقد اصدر المجمع القسطنطيني حكمه في قضية لاهوت الروح القدس مستنداً لا على صوت الكنيسة الرومانيه التى لم تكن تعرف عن المجمع شيئاً بل على صوت الكنيسة العام كما يشهد بذلك القديس غريغوريوس النيسى أحد أعضاء المجمع حيث يقول في اثبات ان الروح القدس اله حق ومساو في الجوهر للآب

{١} كتابه (الجامع) فصل ٤

والابن « انه يكفينا هذا الدليل التقليدي الذي تسلمناه من آبائنا والذي تسلمه آباؤنا من الرسل » (١) واخوه القديس باسيليوس قال لمكدونيوس قبل اشتهار المجمع القسطنطيني « ان احذر ان تفصل الروح القدس من الآب والابن فان التقليد يمنعك من ذلك . هكذا علم السيد وهكذا كرز الرسل وهكذا حفظ الآباء وهكذا اعترف الشهداء ويكفيك ان تقر بما تعلمت » (٢) فأين صوت الكنيسة البابوية وسلطانها اذاً . ليحكم البابويون عقولهم لعلهم يرتدعون (٣)

وليس من ينكر انه كان للكرسي الاسكندري الاولوية على الكراسي الاسقفية عامة وكان كرسي رومية حسداً منه يتقد غيظاً لتقدم كرسي الاسكندرية عليه واعتبار الملوك له اكثر منه . ولكن بطاركة الاسكندرية الذين اشتهروا بالرقة واللطف وحسن المجاملة رضوا باشتراك اساقفة رومية في حل المشكلات معهم ولو أفضى الى التنازل عن أفضليتهم . ولكن الرئاسة الفعلية والخطاب العام الذي يصدر سنوياً وفيه تاريخ عيد الفصح كان مصدرهما الاسكندرية

أما الكرسي الاوروشليمي فقد استرد مجده في القرن الرابع واخذ يترقى بسبب اعتبار المسيحيين للاماكن المقدسة . ولهذا في القانون السابع من القوانين التي أصدرها مجمع نيقية وضع الكرسي الاوروشليمي في الدرجة الثانية أما الرئاسة العامة فكانت للاسكندرية فعلاً ولرومية ادعاء . ويتضح ذلك من مراجعة التاريخ حيث يقرر ان الذين قاوموا البدع وعقدوا المجامع وترأسوا عليها وقاسوا الويلات في سبيل تأييد الايمان هم باباوات الاسكندرية الذين كانوا يعتبرون مسئولين امام الكنيسه عن حفظ سلامة الايمان بينما كان اساقفة رومية يتمتعون بالراحة حتى ان ليباريوس لما نفي بسبب تمسكه بتعاليم اثناسيوس الرسولي لم يطق النفي فجحد الايمان ورجع الى كرسيه ثانية

قال العلامة ستانلي في كتابه في تاريخ البابا اثناسيوس الرسولي:— « واصبح البطريرك الاسكندري بعد مجمع نيقية « قاضي المسيحية في كل العالم » تطاع

---

(١) مؤلفه ضد انوميوس كتاب ٤ (٢) ضد بدعه سابليوس رسالة ٢٤ (٣) عن كتاب « الوضع الالهي في تأسيس الكنيسه » لكيرلس مقار بالفرنسية ونقلناه عن كتاب « الخريده النفيسة في تاريخ الكنيسه » ج ١ ص ٣٧٦ و ٣٧٩

احكامه في جميع انحاء المعمورة المسيحية في كل الامور الملية دنيويها ودينيها وبلغ نفوذه أو كاد يبلغ نفوذ باباوات رومه فيما بعد في أمور الكنيسة الغربية» اه حتى قال غريغوريوس النزينزي « ان رأس كنيسة الاسكندرية هو رأس العالم» وهذا نص قوله « ان القديس اثناسيوس اذ صار اسقفاً على الاسكندرية اؤتمن على ادارة الشعب ورئاسته وبقول واحد اؤتمن على كل المسكونة » اه (١)

واذ كان يظن اسقف رومية انه الرئيس الاول للكنيسة هدم أمله لما قام قسطنطين الكبير بتشييد مدينة القسطنطينية ولقد منحها كل امتيازات رومية القديمة واقتضى الحال ان يحسب اسقفها بدرجة اسقف رومية . ولم يجسر احد بان ينكر على القياصرة هذه البدعة ففي مجمع القسطنطينية المسكوني المار ذكره أقيم بطريرك القسطنطينية بموجب القانون الثالث في الرتبة الاولى بعد اسقف رومية ووضع كرسيا الاسكندرية وانطاكية بعدهما

اما اذا كان قد أعطى لكرسي رومية رتبة أولى فذلك ليس على كل الكنيسة بل على جميع الكنائس الغربية فقط لانه هو وحده في الغرب مؤسس من الرسل فيما ان في الشرق كراسي كثيرة مثله مؤسسة من بطرس ومن سائر الرسل . كما ان الاعتبار المدني لا الديني هو الذي كان يميز بعض الكراسي عن بعضها كما ذكر

فاذا كان رؤساء كرسي رومية يفتخرون على رؤساء كرسي الاسكندرية بحصولهم على التقدم عليهم في مجمع القسطنطينية فعليهم أن يتأكدوا ان الاسباب التي أوجبت تقدم رومية ان الامبراطره الذين كانوا على مذهب اريوس لم يكونوا يعبأون بها ولا يهتمون بأمرها بل كانوا يصرفون جهدهم فى مقاومة بطريرك مصر والحطمن شأن كرسي الاسكندرية لان هذا الكرسي كان الوحيد المقاوم لهم دون باقى الكراسى الاسقفية فى العالم المسيحى أجمع .

(٤) اريوس . ولد في ليبية القيروان بافريقيا سنة ٢٧٠ م وكان له المام بعلوم كثيرة وبالنسبة لفصاحته ولطف معاشرته ومحبته للمجد الفارغ

---

(١) خطاب ٢١

كان يسعى دواماً لاحداث أمور جديدة فجاء الى الاسكندرية طامعاً بان ينال وظائف كنسية فدخل المدرسة اللاهوتية وتقدم فى علومها تقدماً باهراً وداخلته الكبرياء وأحب أن يرقى درجات رفيعة بواسطة فصاحته

وفي مبدأ أمره انضم الى ميليتس اسقف ليكوبوليس وساعده على العصيان ضد القديس بطرس بابا الاسكندرية ولكنه اذ رأى ان انضمامه لحزب ميليتس لايساعده على التقدم تركه وصالح القديس بطرس فساهه شماساً سنة ٣٠٦م ولكنه كان مشتركا مع ميليتس اشتراكا خفياً

أما هرطقة اريوس التى بدأ باذاعتها في عهد البابا بطرس فكانت علة لنكبات عديدة حلت بالكنيسة . وأساس هذه البدعة ان الكنيسة كانت تعلم منذ القديم بان الله واحد فى ثلاثة أقانيم ولكنها لم تبحث فى نسبة أحدهم للآخر وحقيقة الفرق بينهم ولم تحكم في شيء من هذه القضايا غير انه لما ظهر سابليوس الذى كان ينكر تميز الثلاثة الاقانيم في اللاهوت قائلا انه توجد ثلاثة أسماء لاله واحد مخترعة لتبيان مفاعيل اللاهوت المختلفة فحكمت الكنيسة مضادة له بانه يوجد فرق بين كل من الآب والابن والروح القدس أى انه يوجد ثلاثة أقانيم متميزون في اللاهوت

وكان مذهب أريوس كأنه شرح لتعليم سابليوس فذهب الى أن الابن يختلف عن الآب فى الجوهر وانه (أي الابن) أول وأشرف كل ماخلقه الآب من العدم وانه هو الواسطة التى كون بها الكون . ومع ذلك فهو حسب اعتقاد اريوس أدنى من الآب فى الطبيعة والمنزلة والآب اقدم من الابن لان الابن مخلوق به . وتمكن أريوس بدهائه وفصاحته من أن يجذب اليه بعض الانصار فكانوا يجادلون المؤمنين في شوارع الاسكندرية ويصرخ الواحد منهم في وجه الآخر قائلا « ياهرطوقى من الاكبر . الوالد أم المولود » وآخر يقول « هل من المعقول أن يوجد ابن قبل ولادته » فبالطبع لم يفهم هؤلاء البسطاء السذج ان لفظة ابن نسبية مجازية بل اتخذوها حرفية (١)

---

(١) أنظر لفظة ابن النور ولفظة ابن جهنم وأمثالهما في الانجيل ولا تنس شيوع لفظة ابن السبيل وابن الفضل الخ

ومن حيل أريوس انه جعل شعبه في كنيسة بوكاليس التي رسمه قساً عليها البابا ارشلا انهم يرتلون معاً بعد قراءة كل مزمور كالآتي » المجد للآب بالابن في الروح القدس » ظناً منه ان غالبية الشعب لا يلاحظون تحريفه للاصل الذى هو « المجد للآب والابن والروح القدس » وصار أتباعه يعلمون النساء في الشوارع هذا السؤال « أيمكن أن يوجد ولد قبل أن يولد ؟ »

واذ كان البابا الاكسندروس يعلم أمام اريوس مرة ان الكلمة ابن الله مساو للآب وان له طبيعة وذاتاً واحدة مع الآب عارضه اريوس وحكم ان هذا التعليم هو نفس هرطقة سابليوس وقال ان المسيح غير مساو للآب فى الجوهر والعظمة وانه مخلوق بارادة الآب حادث غير أزلي وانه حال كونه أكمل خلق الله كان بحسب اختياره المعتوق ذا طبيعة متغيرة يمكنه اتيان الفضيلة والرزيلة ولكنه اعتنق الصلاح والفضائل فأشركه الله من أجل أعماله الصالحة بطبيعته الالهية مجملا اياه بهذه الالقاب أى كلمة وابن وحكمة

وان كان اريوس يحسب كقيم هذه الهرطقة الا انه لم يكن مبتدعها على الاصح بل القائم بنشرها وامتدادها ويقال انه أشرب هذه التعاليم من لوسياس الانطاكي . غير أن الذين أخذ عنهم أريوس معتقده لم يكن لهم تأثير كما كان لاريوس الذى تمكن من نشر بدعته وجعل كثيرين يعتنقونها ولعل سبب ذلك هو رد الفعل الناتج من شدة تمسك المؤمنين حينئذ بالامور الروحية واحتفاظهم على معانيها وقوتها احتفاظاً لم يدعهم يسقطون فى أزمنة الاضطهادات المرة

وكان أريوس فى اول امره يبث تعاليمه خفية ولكنه لما أذاع ضلاله جهاراً حرم لاجله مراراً وتكراراً وبسببه انعقد مجمع نيقيه فحكم بهرطقته ونفاه الى الليريكون هو ومن شايعه بعد أن قرر القانون الاتى « ان الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه وانه لم يوجد قبل ان يولد وانه وجد من لاشىء او من يقول ان الابن وجد من مادة او جوهر غير جوهر الله الاب وكل من يؤمن انه خلق او من يقول انه قابل للتغيير ويعتريه ظل دوران » اه

غير انه فيما بعد تمكن اريوس من الرجوع من منفاه بواسطة اخت قسطنطين

الكبير وحاول الرجوع الى مركزه بالاسكندرية ولكن البابا اثناسيوس الرسولي طرده منها فاجتهد اتباع اوسابيوس النيكوميدي نصيره ان يجعلوه يحوز القبول في شركة كنيسة القسطنطينية فاستقدموه اليها واستدعاه الملك ليطلع على ايمانه وكان اتباع اوسابيوس قد قرروا للملك بانه متمسك بالرأي القويم فقدم له صورة ايمانه خطأ واقسم له بانه لم يتمسك ولن يتمسك بايمان سواه. وعنى بهذا الايمان ما كان مكتوباً في ورقة مخبأة معه فأوهم ظاهر كلامه انه متمسك بالايمان القويم فانخدع الملك بهذا القسم وامر ان يقبل في شركة الكنيسة ويعرف عند اسكندر بطريرك القسطنطينية كراع فرفض هذا البطريرك قبوله وجعل يبذل جهده في كشف الحقيقة وان اعتراف اريوس بالايمان القويم انما هو مخاتلة. غير ان الملك بقى مصراً على رأيه وعين يوماً لقبوله

فاما اسكندر وكان قد بلغ سن الشيخوخة فمضى الى الكنيسة موعباً حزناً وجعل يذرف الدموع السخينة طالباً الى الله ان يصرف عن كنيسته هذا الخطب الذي الم بها. وفي ذلك النهار عند العصر اذ كان اتباع اريوس وانصاره يطوفون به في ازقة المدينة باحتفال عظيم حتى انتهوا به الى ساحة المدينة اعتراه رعب واقشعرار فأحس كأن احشاءه قد تمزقت فسقط فجأة ميتاً. وقيل انه فيما كان في وسط ذلك الاحتفال يروم دخول الكنيسة منتصراً فلم يكد يدنو منها حتى شعر بنفسه مضطراً الى قضاء امر طبيعي فانفرد بذلك في مكان خفي. ولما ابطأ في الرجوع ذهبوا اليه فالفوه ميتاً مطروحاً على وجهه ملطخاً بدمائه وامعاؤه مندلقة الى الارض بين الاقذار

اما تعاليمه فلم تمت بموته بل انتشرت بعد موته اكثر مما انتشرت في حياته وامتدت الى امد بعيد وازداد اتباعه كثيراً حتى تمكنوا من محاربة الارثوذكسيين وبعد ذلك وقع الانشقاق بين الاريوسيين فانقسموا الى عدة شيع

وهكذا بقيت التعاليم الاريوسية ممتدة في اسبانيا والولايات الجرمانية اكثر من ٣٠٠ سنة واما بريطانيا فلم تمتد فيها سطوتها الا عند انعقاد المجمع الانطاكي سنة ٣٦٣م وفي ايام ثيوديوس الثاني صدر امر باستئصال الاريوسية وابادتها بموجب قانون تقرر في السلطنة الرومانية وذلك سنة ٤٢٨ م ومن ذلك

العهد الى الآن لم تعرف فرقة بالحقيقة اريوسية حسب تعاليم اريوس . لكن يقال ان سرفتس احياها في حدود القرن السادس عشر وايد هذا القول اراسمس فذاعت تعاليمها وازعجت الكنيسة كما يظهر من حكم كنيسة انكلترا الصادر بهذا الشأن ومآله ان الاريوسيين الذين وجدوا غير قابلي الاصلاح ينفون الى بعض القلاع في شمالي والس او والنجفور لكي يعيشوا هناك من تعب ايديهم ولا يسمح لاحد ان يخالطهم الا خفرتهم ولا ان يخرجوا من هناك حتى يتحقق صدق قدسيتهم ورجوعهم عن غيهم الى الايمان القويم

ولا يفوتنا أن نذكر هنا ان كيرلس مقار بطريرك الاقباط الكاثوليك ذكر في كتابه « الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة » ان الكنائس الغربية جحدت الايمان ثلاث مرات معتنقة مذهب أريوس قال: « على ان الكنائس الغربية لم تجحد الايمان مرة واحدة بل ثلاث مرات : الاولى سنة ٣٥١ م وذلك في مجمع ارلس حيث كان فنسنتوس اسقف كابو نائباً عن البابا ليباريوس. فان هذا الاسقف ومعه جميع الاساقفه الغربيين قد نزلوا على ارادة الامبراطور قسطانس وحكموا على القديس اثناسيوس بالاجرام وقرروا ارثوذكسية الاساقفه الاريوسيين . والثانيه سنة ٣٥٥ م وذلك في مجمع ميلانو حيث صدق ٣٠٠ اسقف غربي على خلع القديس اثناسيوس وقبول الاريوسيين في شركة الكنيسه ولم يفضل العذاب وآلام النفي على جحود الايمان ودوس العدل من هذا العدد الكثير الا ثلاثة أساقفه هم أوسابيوس اسقف فرسايل وديونيسيوس اسقف ميلانو ولوسيفورس اسقف كاجلياري . والثالثه سنة ٣٥٩ م وذلك في مجمع ريميني الشهير حيث اجتمع ٤٠٠ اسقف غربي . ثمانون منهم من الاريوسيين والباقون من الارثوذكسيين وقد آل الامر بهم الا ١٨ منهم الى جحد دستور الايمان النيقاوي والتوقيع على خلع اثناسيوس والاعتراف بارثوذكسية الاريوسيين

أضف الى هذا الالحاد الذي ارتكبه مجموع الاسقفية الغربيه الحاد البابا ليباريوس نفسه بصفته أسقف الكنيسه الرسوليه الوحيدة في الغرب كله فان ليباريوس هذا بعد ان سئم من آلام النفي مدة سنتين وتاقت نفسه الى ان يعود الى التربع على كرسي روميه الكبير ... جحد ايمان نيقيه وقطع القديس اثناسيوس

من شركة الكنيسه واعتنق الاريوسيه {١}

(٥) مكدونيوس عدو الروح القدس . كان اولا من حزب الاريوسيين

وتمكن هؤلاء بواسطة نفوذهم عند قسطنس قيصر من ان يرسموه بطريركا لكرسي القسطنطنية سنة ٣٤٣م فدخل المدينة محفوفاً بالجنود وثار شغب بين المؤمنين والاريوسيين قتل فيه كثيرون . وكان مكدونيوس يضطهد اتباع بولس البطريرك الشرعي المعزول حتى قيل انه ارسل لخنقه

وفيما بعد تغيز قسطنس عليه لانه نقل جثة ابيه قسطنطين من مدفن الى آخر فأمر بطرده من كرسيه فطرد منه سنة ٣٦٠ م . على انه لما كان بطريركا لم يكن يعلم الا تعليم اريوس الا انه لما عزل اراد ان يكون مبتدعا بدعة جديدة . وكان المبتدعون الذين سبقوه قد انكروا لاهوت الآب ولاهوت الابن فاراد هو ان ينكر لاهوت الروح القدس فادعى ان الروح القدس عمل الهي منتشر في الكون وليس باقنوم متميز عن الآب والابن واعتبره انه مخلوق يشبه الملائكة لكنه ذو رتبة اسمى منهم

ثم أخذ يبث ضلاله في كثيرين وكان قد نفي الى مكان يدعى بيلي فشاخ هناك وعاجلته نقمة الله الا أن بدعته استمرت بعد موته وكان اخص القائمين بنشرها تلميذه ماراتنينو اسقف نيكوميديا وامتدت بدعته في اديرة كثيرة للرهبان وانتشرت في تراسه وبيثينيه وكان العامة يدعون اتباع مكدونيوس « اعداء الروح القدس »

ولما رجع البابا اثناسيوس من منفاه الى كرسيه سنة ٣٦٢ م عقد مجمعاً بالاسكندرية شجب فيه هذه البدعة وتبعه بعض الاسافقة فشجبوها . ولما وصل خبرها الى مسامع ثيودوسيوس قيصر أمر بانعقاد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م التأم فيه ١٥٠ اسقفاً شرقياً فحكموا على مكدونيوس وقضى المجمع بسلطانه على تلك البدعة الحديثة الغير البالغة

---

(١) نقلا عن « الخريده النفيسه » ج ١ص ٣٥٧-٣٥٩

(٦) مرقس المصري . اصله من مدينة منفيس (بالجيزة) ذهب الى اسبانيا وتلمذ له اولا امرأة اسمها اغابا ثم جذبت تلك المرأة احد معلمي الفصاحة اسمه البيديوس وهذان الاثنان علما بريشيليانوس الذي سميت البدعة باسمه فيما بعد . اما تعليمهم فكان في اعمقه نفس تعليم المانيين ممتزجاً ايضاً باضاليل اخرى فكانوا يقولون ان النفوس من جوهر الله وانها تنحدر باختيارها الى الارض جائزة في السموات السبع بواسطة درجات قوات للمحاربة ضد الملك الشرير الذي كان يضعها في اجساد لحمية مختلفة ويزعمون بغير ذلك من الاضاليل التي لا طائل تحتها

(٧) شيعة المصلين . وقد انتشرت في سوريا ومصر بدعة مؤداها ان في عقل كل انسان روحاً شريراً لا يمكن ان يفارقه الا بالصلوات المستمرة والترنم المستديم . ومتى هرب الروح هروبا نهائيا تعود النفس الى الله خالية من كل دنس لانها ذرة منه

(٨) خلاف في مقام السيدة العذراء . وقد نشأ في هذا القرن مذهب اعداء مريم الذين يقولون انها لم تلبث عذراء بل ولدت بعد ميلاد يسوع المسيح أولاداً من القديس يوسف . ويقال انه في ذلك الزمان بعينه انتشر تعليم آخر يضاد التعليم المذكور وهو ان في البتول القديسة شيئاً من اللاهوت وقد دعي اصحاب هذا التعليم كوليريديس لانهم كانوا يعبدون العذراء بتقديم بعض أقراص من طحين تسمى باليونانية كوليريديس ومنها اسمهم . وكان اكثر النساء متمسكات بهذا الاعتقاد وكن في بعض الايام يزين عجلة مع كرسي مربع موشح باقمشة من كتان ويقدمن للبتول خبزاً ثم تأخذ كل منهن جزءاً من ذلك الخبز وذلك عبارة عن اقامة قداس . ويظهر انه من هذا المذهب تسرب الى ذهن نبي الاسلام ان المسيح دعا القوم ليتخذوه وأمه الهين من دون الله » من قوله في سورة المائدة

(٩) انشقاق ميليتس . هو أسقف مدينة ليكوبوليس (أسيوط) وقد روى عنه البابا اثناسيوس انه في اثناء اضطهاد ديوكلتيانوس نجي نفسه بأن

ذبح للاوثان رغماً عن النصيحة التي ارسلها اليه اربعة من الاساقفة كانوا في السجن ثم ذاقوا كأس الحمام . ولم يكتف بذلك بل انتهز فرصة غياب البطريرك وجلس على كرسي البطريركية وأخذ يتداخل في شؤونها وصار يرسم قسوساً بل سام اساقفة لابروشيات أخرى غير ابروشيته حتى بلغ عددهم ثلاثين اسقفاً جاهروا فيما بعد بخروجهم على الكرسي الاسكندري واستقلالهم عنه وادخلوا انظمة يهودية في عبادتهم .

فعقد البابا بطرس آخر الشهداء مجمعاً حكم فيه بحط ميليتس من درجته وابلغه الحكم فلم يذعن بل صرح بانشقاقه وظاهره اريوس الهرطوقي . وبعد هذا كله اعتزل ميليتس في بلدته عن كل عمل . وفيما بعد نظر مجمع نيقية في امر انشقاق ميليتس فقرر بشأنه ما ذكر بالرسالة التي ارسلها للكنيسة المصرية وذكرت في الكلام على اعمال مجمع نيقية

وقد رضخ ميليتس لحكم هذا المجمع وخضع للبابا الاكسندروس خليفة البابا بطرس الى ان مات سنة ٣٣٠ م بعد ان انضم للاريوسيين في حربية البابا اثناسيوس الرسولي . وقد خلفه في رئاسة حزبه يوحنا اركاف الذي اشتهر بعدائه للبابا اثناسيوس . أما حزب ميليتس فقد بقي بعد موت اركاف قائماً في مصر حتى القرن الخامس وكان يقوده بعض الرهبان الذين ادخلوا على مبادئه شيئاً من قوانين اليهود والسامريين



القرن الخامس

القسم الاول

تاريخ البطاركة

(١) كيرلس ١ (٢) ديوسقوروس ١ (٣) تيموثاوس ٢ (٤) بطرس ٣
(٥) اثناسيوس ٢ (٦) يوحنا ١

••••••••

(١) كيرلس ١ — البطريرك الرابع والعشرون . وهو ابن اخت البابا ثاوفيلس ولهذا اعتنى بتربيته وتعليمه اعتناء زائداً فأدخله اولاً للمدرسة اللاهوتية بالاسكندرية فدرس العلوم الفلسفية التى تلزم لكل من يقوم مدافعاً عن الدين المسيحى ضد الهراطقة والمبتدعين . وبعد ذلك ارسله الى جبل النطرون الى برية القديس أبى مقار ليتتلمذ لسيرابيون الحكيم الذي أوصاه البابا ثاوفيلس بان يهذبه بعلوم الكنيسة فاقام هناك خمس سنين يقرأ الكتب الالهية ولم يكن ينقطع عن المذاكرة حتى في أغلب الليالي . فكان يقف يقرأ وفي يده سيف حديد فاذا نعس ينخسه فيستيقظ . ولبث مواظباً على ذلك حتى برع في فهم الاسفار المقدسة براعة غريبة . ومن ثم استدعاه خاله الى الاسكندرية وبقى معه في قلايته يقرأ بين يديه . ولما رآه مستحقاً للرتب الكهنوتية رسمه شماساً وكلفه بالقيام بالوعظ فحاز اعجاب سامعيه وكان موضوع فرح جميع الكهنة والعلماء حتى انهم كانوا اذا تكلم يشتهون ان لا يسكت لحلاوة ألفاظه

ثم انعكف على مطالعة اقوال آباء الكنيسة حتى ألم بها الماماً كلياً . ففرح به خاله البابا ثاوفيلس وشكر الرب الذى رزقه ولداً روحانياً مثل هذا نشأ

بالنعمة والحكمة وكانت له سيرة حسنة . فاشتهر بشهرة عظيمة وحاز صيتاً بعيداً حتى انتخبه الشعب والاكليروس بصوت واحد لتبؤ الكرسي المرقسي خلفاً لخاله ثاوفيلس في هاتور سنة ١٤٧ ش حسب جدول ابن العسال و١٢٩ ش حسب تاريخ الانبا ساويرس وسنة ٤١٢ م في عهد ثيودوسيوس قيصر الصغير ولو انه قام وقتئذ حزب آخر طالباً تيموثاوس رئيس الشمامسة ليكون بطريركاً الا ان مساعي هذا الحزب لم تنجح فتوطد كيرلس على الكرسي البطريركي حيث قام بجهاده العظيم



« البابا كيرلس الاكبر »

ووقت تولي هذا البطل لكرسي البطريركية كان في مدينة الاسكندرية كثيرون من الهراطقة واليهود الذين عظمت شوكتهم وصار لهم نفوذ عظيم . فالهراطقة تقووا بسبب تظاهرهم بالعبادة الشاقة حتى صار لهم اسقف خاص يدعى

ثيوبمتوس . واليهود جملت لهم الرشوة مكانة عند الولاة والقضاة .

فبدأ هذا البطريرك جهاده باضطهاد النوفاسيين أتباع نوفاسيانوس الهرطوقي الذين كانوا يأبون ان يحلوا الناس من خطاياهم فناصبهم وأوضح لهم سوء معتقدهم الذي يجعل الله جلت قدرته عديم الرحمة. ولما لم يرعووا عن غيهم ألزمهم بالخروج من المدينة وطرد اسقفهم وجرده من جميع أملاكه ومقتنياته وأخذ منه ذخائره التي كانت تحت يده. أما اليهود فع انهم أفرغوا كنانة جهدهم حتى يفسدوا عقول الحكام والولاة بالهدايا ولكنهم لم يفلحوا . وبالنسبة لكراهتهم الشديدة للبابا كيرلس أشاعوا ذات ليلة ان النار اشتعلت في كنيسة القديس اسكندر فالتزم المؤمنون بناء على هذا الخبر أن يبادروا اليها من كل جهة زاحمين الشوارع كباراً وصغاراً مسرعين لاطفاء النار. فانتهز اليهود هذه الفرصة وشرعوا يفتكون بهم ويهدرون دماءهم بقساوة وحشية . ولما اتضحت جلية الامر صباحاً قامت قيامة المسيحيين وعزموا على الانتقام من اليهود ولما لم يقدر البابا أن يمنعهم تنازل لهم بعد عناء شديد بان يكتفوا بطردهم من المدينة بدون أن يمسوا أحداً بضرر فطردوهم وهدموا كل مجامعهم واستولوا عليها وما فيها. ولما بلغ الامر لاورستا والي المدينة لام البطريرك على ذلك فاخبره انه لولاه لجرت دماء اليهود في الشوارع كالانهار . وفي هذا الحين أيضاً جرت حادثة الفيلسوفة هيباشا الشهيرة التي غدر بها بعض الطائشين بدون ترو وبدون أن يعلم البابا كيرلس مطلقاً

وهذه الحوادث جرت في بدء رئاسة البابا كيرلس ثم اشتغل بعدها بوضع مقالات وميامر حتى ان اكثر رؤساء الاسكندرية استخدموا نساخاً لينقلوا اليهم ما وضعه هذا البطريرك . وكان قد سمع بان يوليانوس الفيلسوف والملك الكافر وضع عشرة كتب ضد الدين المسيحي وكانت موضوع فخر الشبان الوثنيين فحاول أن يجمعها ويحرقها ولما لم يتمكن من ذلك كتب الى القيصر ثيودوسيوس يستعين به على ذلك فلبى القيصر طلبه وجمع كتب يوليانوس وأبادها وأرسل يلتمس منه أن يصلي من أجله . ثم أخذ البطريرك في الرد على أقوال يوليانوس وطفق يفندها جميعها حتى قضى عليها

وكان هذا البابا على رأي خاله ثاوفيلس البطريرك من جهة فم الذهب ولذلك

لم يذكر اسمه في صلوات القداس . وكتب اليه اتيكوس بطريرك القسطنطينية فطلب اليه ان يذكره بحسب عادة الكنيسة نظراً الى البطاركة المؤمنين فلم يرض بذلك. فاتفق يوماً انه رأى في الحلم القديس يوحنا فم الذهب في الكنيسة مع زمرة من الملائكة متسلحين وهم يخرجونه خارجاً . وبينما هو على هذه الحال اذا بالسيدة العذراء قد حضرت وطلبت الى القديس يوحنا من اجل كيرلس ليبقيه في كرسيه . فتنبه حينئذ البابا كيرلس وعلى الفور أخذ يكرم القديس يوحنا وضم اسمه الى قائمة اسماء القديسين(١) وأمر الرعية كلها باكرامة

وفي ذلك الحين ظهر نسطور بطريرك القسطنطينية المنافق وابتدع هرطقة شنيعة مؤداها انكار الوهية السيد المسيح وابتدأ فيها بانكار كون السيدة العذراء والدة الاله قائلا «اني اعترف موقناً ان كلمة الله هو قبل كل الدهور الا اني انكر على القائل بان مريم والدة الله فذلك عين البطلان لانها كانت امرأة والحال انه من المستحيل ان يولد الله من امرأة ولا انكر أنها ام السيد المسيح الا ان الامومة من حيث الناسوت» اه وبذلك قسم هذا المبتدع السيد المسيح الى شخصين معتقداً ان الطبيعة الالهية لم تتحد بالانسان الكامل وانما ساعدته في حياته فقط . فامتدت بدعته حتى وصلت الى رهبان مصر وبعض الاكليريكيين القبيحي السيرة فتأثر بعضهم من براهينه السفسطية وأرادوا ان يقلعوا عن تسمية السيدة العذراء بوالدة الاله . وحالما طرقت هذه الاخبار اذن البابا كيرلس أسرع وكتب في رسالة عيد الفصح يفند هذه البدعة تفنيداً قوياً وأرسل هذه الرسالة الى الرهبان الذين ماكادوا يطالعونها حتى زال كل ريب منهم . وانتشرت هذه الرسالة في جهات عديدة حتى وصلت الى القسطنطينية وتداولها المصريون فيها وبواسطتها تعزى الشعب القسطنطيني وتمكن في الايمان المستقيم

---

(١) كانت هذه القائمة عبارة عن لوحات مصنوعة اما من الخشب او العاج او الذهب او الفضة ومحفورة عليها الاسماء التي تذكر في القداس وهي (١) اسم العذراء مريم والرسل وبعض مشاهير القديسين و (٢) اسماء الاشخاص المعروفين الذين ماتوا على المبدأ الديني الصحيح و (٣) اسماء بعض الاشخاص الاحياء الذين ترى الكنيسة انهم مستحقون للاكرام والاجلال

أما نسطور فلم يرتدع ببراهين هذه الرسالة بل ازداد غياً وأوعز الى أحد كهنته المدعو أفوسيوس ليرد عليه مبرراً فيها رئيسه . وشرع نسطور يذيع عن القديس كيرلس بانه تابع لابو ليناريوس الهرطوقي وأنه اخترع هذه التهم ضده وحرك رهبان مصر ليشيعوا عنه أمثال تلك الاقوال الباطلة. أما البطريرك الاسكندري فكراع امين أرسل لنسطور رسالة يبرر فيها نفسه مما اشاعه عنه ويوضح له حقيقة الايمان وينصحه بمحبة اخوية ان يعدل عن رأيه ويصلح خطأه وختمها بقوله «وعلى ذلك انا أكد اني مستعد لاحتمال كل سوء وعذاب السجن والموت لاجل ايمان يسوع» فازداد نسطور شراً وأصر على ضلاله وكتب الى القديس بتكبر ووقاحة محتقراً اياه ومزدرياً به ومخبراً اياه ان العائلة الملوكية راضية عليه وعلى اعماله

وكان لرؤساء الكرسي الاسكندري نواب في مدينة القسطنطينية للقيام بمصالح البطريركية فى البلاط الملوكي . فخاطبهم البابا كيرلس بشأن نسطور لكي يلاحظوا تصرفاته ويحيطوه علماً بها. ولكن حدث ان كهنة نسطور تكلموا مع نواب القديس كيرلس قائلين بان اسقفهم صحيح الايمان وأنه يرغب فى السلام فمع كون النواب كانوا يعرفون عن نسطور عكس ذلك فقد كاتبوا رئيسهم بهذا الامر وأرسلوا اليه صورة مفادها أن نسطور مبتدع. فبعد فحص القديس كيرلس لتلك الصورة أرسل اليهم طالباً اخفاءها والسعي لدى نسطور ليوقع على صورة الايمان الصحيح لتكون اساساً للصلح

وكان القديس كيرلس قد كتب بنفسه لنسطور عدة رسائل يقنعه فيها بالاقلاع عن غوايته ولكن نسطور احتقر رسائل القديس ولم يقتنع بها وينحاز الى الايمان الرسولي. وابتدأت تتقاطر على القديس كيرلس الرسائل من كل جهة تسأله بأن يوضح لهم حقيقة الايمان ليروا ما ذهب اليه نسطور فى الاعتقاد . فكان يجيب كل سائل بما يشفي الغليل برسائل اشتهر أمرها وحازت رضاء الجميع

ولما رأى القديس كيرلس ان القيصر يدافع عن نسطور ويحامي عنه لاعتباره اياه رجلا فاضلا عالماً كتب اليه رسالة يوضح له فيها ضلال نسطور وكتب أيضاً رسائل اخرى لبعض افراد العائلة القيصرية شرح فيها سر التجسد . فكتب

رسالتين احداهما للملكة افدوكسيا زوجة القيصر وبولكاريا شقيقتها . والثانية لاركاديا وماريا شقيقتي القيصر مذ كانتا ناذرتين العفة لله مع بولكاريا . مبيناً لها في هاتين الرسالتين حقيقة الايمان والاضرار الناشئة للدين المسيحي من بدعة نسطور ويحرض على العمل لاستئصال شأفة هذه المنازعات

وفي سنة ٤٣٠ م وفد على القسطنطينية من اوربا اسقف من اتباع بيلاجيوس (وهم قوم يجولون في البحار والقفار لا مقر لهم) مع جماعة من رفاقه فكتب نسطور الى كليستينوس اسقف روميه يعلمه بوصول هذه البعثة التي تعتبر تابعة له ويسأله رأيه فيما يجب ان يجريه معهم . وقصد بهذه الحيلة أن يستميل اليه جانب الاسقف الروماني ضد خصمه كيرلس ولذلك ختم رسالته اليه بالشكوى من معاملة كيرلس له وتفهيمه آراءه . ولما لم يرد عليه الاسقف بسرعة كتب اليه نسطور ثانياً في هذا الصدد فجاوبه كليستينوس بانه لم يستعجل في الرد ليتمكن من معرفة الموضوع . ولما كان الاسقف الروماني عالماً بتفوق البابا الاسكندري عليه في علم اللاهوت كتب يطلب منه ايضاحاً للمسئلة فكتب اليه القديس كيرلس كتاباً يعلمه فيه بحقيقة نسطور وارسله مع واحد مخصوص اسمه بوسيذونيوس واوصاه بان لا يعطي اسقف روميه الكتاب مالم يتحقق ان نسطور كتب له

فلما وقف اسقف روميه على الحقيقة عقد مجمعاً حكم فيه على نسطور بانه هرطوقي مبتدع وكان قرار المجمع تهديداً لنسطور لكي يقلع عن ضلاله ولذلك كتب اليه اسقف روميه يقول «ان لم ترفض واضحاً وبنية مستقيمة هذا التعليم المضل ولا تعتقد الاعتقاد الصحيح بسيدنا يسوع المسيح في مدة عشرة أيام فانا افصلك من شركتي واقطع كل علاقة معك» وارسل هذا القرار الى القديس كيرلس ليعلن نسطور به . فأرسل هذا البابا الى بعض اساقفة الشرق يطلب منهم ان يقنعوا نسطور بالرجوع عن آرائه ومنهم اكاكيوس مطران حلب الشيخ البالغ من العمر يومئذ مائة سنة . ثم عقد مجمعاً في الاسكندرية قرئت فيه كل رسائله فارتاح اليها وحكم بصحتها وحرر رسالة لنسطور بين فيها كيف ينبغي ان يؤمن . ثم وضع القديس كيرلس اثني عشر بنداً يشمل كل بند منها على قضية

وحرم كل من يعمل بخلاف ذلك وكلف نسطور بان يمضي عليها . وهذه هي الاثنا عشر بنداً التي أصدرها : —



« البابا كيرلس الاول وهو يخطب »

(١) من لم يعترف ان عمانوئيل هو اله حقيقي ومن اجل هذا ان العذراء الطاهرة هي والدة الله كونها ولدت جسدانياً الكلمة المتجسد الذي من الله لكون الكلمة صار جسداً فليكن محروماً

(٢) من لم يعترف بان كلمة الله الآب صار واحداً مع الجسد كالاقنوم وان المسيح واحد فقط مع جسده وهو اله وهو انسان فليكن محروماً

(٣) من فرق من بعد الاتحاد بالمسيح الواحد الى اقنومين وطابقهما في بعضهما بعضاً بالمصاحبة فقط ام بالعظمة ام بالقدرة ام بالسلطان ولم يحسن ان يوحدهما بوحدانية طبيعية فليكن محروماً

(٤) من ميز تلك الاصوات المذكورة في كتب الانجيليين ام في رسائل الرسل ام نطق بها الآباء القديسون ام قالها المسيح على ذاته وفرزها الى اقنومين ام الى اثنين قائم بذاته ويفهم ان البعض منها هي لائقة لانسان خصوصي وحده فقط كأنه غريب عن كلمة الله وان البعض منها ملائمة لله فهو يخصها لكلمة الآب وحده فقط فليكن محروماً

(٥) من تجاسر وقال ان المسيح الذي يستعمل السلطان الالهي انه انسان ساذج ولم يحسن ان يقول انه اله بالحقيقة وابن واحد بالطبيعة الذي كالاتحاد الاقنومي واشترك معنا في اللحم والدم لكون الكلمة صار جسداً على ما في الكتب فليكن محروماً

(٦) من قال ان كلمة الآب هو اله ام رب المسيح وليس يحسن الاعتراف بان المسيح نفسه هو اله وهو انسان لكون الكلمة صار جسداً على ما في الكتب فليكن محروماً

(٧) من قال ان الله الكلمة كان يفعل في الانسان يسوع وان عزة ابن الله الوحيد اتصلت به كأنه آخر غير الكلمة فليكن محروماً

(٨) من تجاسر وقال ينبغي ان يسجد للانسان الذي اصعد الى السماء مع الله وان يمجد معه او يسمى معه الهاً كان واحداً مع آخر وهو يضطر ان يعترف ان زيادة في كل حين ولا يمجد عمانوئيل بسجدة واحدة ويوصل اليه هذا المجد فقط لكون الكلمة صار جسداً فليكن محروماً

(٩) من قال ان ربنا يسوع المسيح الوحيد كان ممجداً من قبل الروح القدس بقدرة غريبة منه وانه بنعمة الروح كان يستعمل تلك القدرة والسلطان على خروج الارواح النجسة وبه يتم الآيات اللاهوتية في البشرية ولا يقول ان الروح خاصة له وانه كان يفعل به آيات اللاهوت فليكن محروماً

(١٠) ان الكتاب المقدس يقول ان المسيح صار رسولا وعظيم أحبار ايماننا وانه قرب نفسه لله لاجلنا ولاجل خلاصنا بخوراً طيباً لله الآب فأما من قال ان كلمة الله ليس هو الذي صار رسولا ورئيساً للكهنوت وتجسد وصار انساناً مثلنا بل انه أخذ جسداً خارجاً عنه وهو انسان فقط من امرأة دون الكلمة .

ثم ومن قال أيضاً ان المسيح قرب نفسه لله الآب لاجل نفسه ولم يحسن القول انه قرب نفسه لاجل خلاصنا نحن البشر فقط لانه لم يحتج الى قربان اذ لم يعرف خطيئه فليكن محروماً

(١١) من لم يعترف بان جسد الرب شاف محي كونه لكلمة الله الآب ويعكس الحق ويقول انه آخر خارج عنه اجتمع بالتمجيد وكان فيه فقط بحلوله ظاهراً يقول انه محي على ما قلنا . لكون الله الكلمة كان ساكناً فيه غير متحد به باتحاد اقنومى ولم يحسن كما سبق قولنا انه معطي الحياة كونه صار لكلمة الله خاصة الذي هو قادر ان يحي الكل فليكن محروماً

(١٢) من لم يعترف بان الله الكلمة تألم في الجسد وصلب في الجسد وذاق الموت وانه بكر الاموات مثلما انه الحياة وهو المحيي كالاله فليكن محروماً — اه

***

فلما وصلت كتابات القديس كيرلس الى نسطور رفض التوقيع عليها بحجة عدم استقامتها وأخذ يكتب على كل فصل منها فصلا ضده ختمه بالحرم . وكتب كثيرون من اساقفة نسطور ضدها منهم اندراوس اسقف سميساط وثاوذوريتوس اسقف كورش الذي كتب بايعاز يوحنا بطريرك انطاكية وكتب أيضاً في تجسد الكلمة ضد آراء القديس كيرلس وكتب ايبا اسقف اداسيس (أورفا) مدافعاً عن نسطور . وهكذا انقسمت الكنيسة الى شطرين فكانت كنائس روميه وأورشليم وآسيا الصغرى تابعة للبابا كيرلس . وكنيسة انطاكية تابعة لنسطور

ولما انتشرت رسائل البابا الاسكندري في القسطنطينية اقتنع بها الشعب وأبغضوا نسطور للغاية . ولكن نسطور استعمل نفوذه عند القيصر ضد خصومه غير ان هذا وقف في ذلك الحين على رسالة كتبها اليه القديس كيرلس يطلب فيها عقد مجمع عام ويقول له فيها « ان آباءك كانوا غيورين على مجد الكنيسة فيلزمك ان تأمر بعقد مجمع عام تفحص فيه قضية نسطور الذي يحاول ان يشتت بيعة المسيح ونحن تلقاء ذلك نصلي من أجلك ومن أجل مملكتك »

وكان بعض رهبان القسطنطينية قد جاهروا ضد نسطور فطردهم واضطهد بعضهم اضطهاداً شديداً فانضم الشعب القسطنطيني الى القديس كيرلس في طلب

عقد المجمع وكان لما قرأ القيصر الرسالة الكيروليسية تحرك بقوة الرب ولبى الطلب وأمر بعقد مجمع مسكوني وأرسلت مكاتيب الدعوى الى الاساقفة ونادى بان يكون هذا المجمع بمدينة افسس سنة ٤٣١ م وعين لافتتاحه يوم عيد العنصرة

فتقاطر الاساقفة من كل مكان الى هذا المجمع واتى البطريرك الاسكندري يصحبه خمسون اسقفاً مصرياً في مقدمتهم شنوده الاخميمي وبقطر السوهاجي الراهبان وحضر يوبيناليوس اسقف اورشليم فاستقبلهم ممنون اسقف افسس وهو مصري الاصل هو وكثير من الاساقفة القويمي الرأي وضموا اصواتهم الى صوت اخوانهم المصريين ففاقوا في العدد خصومهم النسطوريين

وجاء نسطور الى افسس ومعه اربعون أسقفاً من التابعين له وتأخر عن الحضور اساقفة الشرق ويوحنا الانطاكي ونواب اسقف روميه . وبعد ان انتظرهم المجمع ستة عشر يوماً أرسلوا يعتذرون عن تأخرهم ويعدون انهم بعد خمسة أو ستة أيام يصلون. ثم فهم المجمع من مطرانين شرقيين نقلا عن فم يوحنا الانطاكي بانه لا مانع من انعقاد المجمع قبل مجيئه الى افسس . وكان البابا الاسكندري قد أخذ تحريراً ملوكياً يأمر بعدم تأجيل العمل. وفوق ذلك فقد دعت اعذار صحية الى الاستعجال في فتح المجمع وقبل انعقاده أخذ بعض الاساقفة يترددون على نسطور وينصحونه بالحسنى لكي يكف عن عناده ويسالم القديس كيرلس فلم يذعن لهم

وقد بدأت جلسات المجمع تحتشد في شهر يونيه من تلك السنة وأرسل الى نسطور ليحضر فأبى ولما وصل الخبر الى القيصر اعتذر لديه نسطور بانه يخشى من الذهاب الى المجمع وحده لئلا يقتل لان اعداءه اكثر من انصاره ولما كان القيصر لم يحضر المجمع ليترك له الحرية التامة ارسل من قبله نائباً يدعى كانديديانوس نسطوري المذهب وأوصاه القيصر بالمحافظة على النظام فقط دون التداخل في شؤون الاساقفة. قيل ان هذا النائب اراد قبل انعقاد جلسات المجمع ان يضطهد الارثوذكسيين لكي يخافوا ويحكموا لصالح نسطور فأخذ القديس كيرلس ومن معه وحبسهم في مكان فيه حنطة فسأل البطريرك اصحابه أي شيء تحت أرجلنا قالوا له قمح فقال : « الشكر لله المبارك الذي أعطانا الغلبة لانهم جعلونا في بيت الحياة » غير ان ذلك لم يؤثر على الارثوذكسيين بل زادهم ثباتاً في ايمانهم

وكان المجمع مؤلفاً من مائتي أسقف تحت رئاسة البابا الاسكندري (١) وحال انعقاده اعترض نسطور عليه طالباً منه انتظار نواب بقية الكنائس وساعده مندوب القيصر في هذا الطلب . أما الآباء فلم يرجعوا عن عزمهم لمعرفتهم بسوء نيته . ولما كان رؤساء المجمع يقيمون الصلاة انفرد عنهم نسطور وأبى حضور المجمع فأنفذوا اليه ثلاثة أساقفة يسألونه أن يحضر معهم للصلاة فلم يمكنهم مندوب القيصر من مقابلته وتكررت له الدعوة ثلاث مرات بواسطة الاساقفة والانذارات وأخيراً كتب نسطور كتاباً موقعاً عليه هو و١٦ مطراناً و٥٠ اسقفاً يقول فيه انه لايحضر المجمع قبل وصول يوحنا الانطاكي وأساقفته . فلم يبال المجمع بهذه الاعتذارات الباطلة وأخذ في عقد الجلسة الاولى

فتليت رسائل القديس كيرلس وبنوده الاثنا عشر ورسالة كليستينوس اسقف روميه الى نسطور وقرار مجمعي رومية والاسكندرية فصدق المجمع عليها بانها ارثوذكسية . وصدق على الاحكام السابقة من بيلاجيوس وكليستينوس الهرطوقيين . وقرر أن لا يسن قانون غير دستور الايمان المعروف وأن لا يزيد أحد فيه ولا ينقص منه شيئاً وحرم كل من يفعل خلاف ذلك

أما حكم المجمع ضد نسطور فهذا نصه : — «حيث ان نسطور الكلى النفاق قد رفض أن يخضع لصوت دعوتنا اياه ولم يقبل الاساقفة الذين أرسلناهم اليه من قبلنا فلم يمكننا أن نتأخر عن أن نفحص تعاليمه الآتية . ولاننا تحققنا من رسائله وتآليفه ومن أقواله ومناضلته عن آرائه قبل افتتاح هذا المجمع فى هذه المدينة مما ثبت عليه بشهادات راهنة بانه قد اعتقد الاعتقاد الاثيم فالتزمنا ضرورة بناء على القوانين المقدسة بان نبرز ضده هذا الحكم ليس من دون حزن ودموع فهو تعالى بواسطة هذا المجمع المقدس فليعدمه الدرجة الاسقفية وليكن مفروزاً من أية شركة كهنوتية » اهـ ثم كتبوا اعلاناً الى نسطور هذه صورته « من المجمع

---

(١) يدعي الباباويون ان البابا كيرلس كان نائبا عن اسقفهم في المجمع اذ اقامه رئيساً عليه عوضاً عنه والقول ساقط من اصله اذ لو كان كيرلس نائباً عن اسقف رومية او رئيساً من طرفه كما يدعون ما الحاجة الى أرسال النواب من قبل اسقف رومية ولماذا لم يذكر في امضاءات البابا كيرلس انه نائب عن اسقف رومية جرياً على العادة لو كان ذلك صحيحاً ؟

المقدس للملتئم في أفسس برحمة الله تعالى وبموجب مراسيم ملكنا الكلي العبادة والحسن الديانة الى نسطور يهوذا الثاني . اعلم انه لاجل تعاليمك الاثيمة النفاقية وعصيانك على القوانين قد عزلت وقطعت من هذا السينودس (المجمع) بموجب قوانين الشرائع الكنسية وحكم عليك بالفرز من كل درجة والعدم من كل وظيفة والابتعاد عن كل خدمة كنسية » اه

ثم ان هذا المجمع فى تحديده أعلن بحسب تعليم القديس كيرلس والتعليم المحفوظ في الكنيسة من عهد الرسل بان سر تجسد ابن الله قائم فى اتحاد لاهوته مع ناسوته في اقنوم الكلمة الازلي بدون انفصال ولا امتزاج . وان مريم العذراء هي والدة الاله . وكانت الجلسة الاولى قد استغرقت من الصباح الى المساء وقد مكث الشعب الافسسي النهار كله منتظراً حكم المجمع .

وحالما أعلن الحكم ضد نسطور كانوا يصيحون «ليحيي كيرلس عضد الايمان» و « ليحيي الاساقفة الشرفاء المحامون عن لاهوت سيدنا يسوع المسيح وعن الامومة الالهية لمريم البتول » ثم ان الشعب أوقدوا شموعاً ورافقوا الآباء الى منازلهم وكانت النار توقد كالنجوم فى الشوارع واستمر الشعب يسبحون الليل كله

غير أن نسطور لم يرجع عن غيه واصر على عناده وقصد ان يشين شأن البابا كيرلس ويعزله عن كرسيه مستعيناً بمندوب القيصر . فهذا النائب ارسل نسطور الى الملك مصحوباً بكتابات له لم يخبر فيها باخبار المجمع الحقيقية بل طعن فيه وفي تصرفاته وكتاباته وملأها بالاقاويل الكاذبة والتهم الشنيعة ضد القديس كيرلس وممنون اسقف افسس بانهما ظالمان قاسيان

والذى عكر صفو السلام اكثر هو انه بعد خمسة أيام وصل يوحنا الانطاكي ومعه اثنان وثلاثون اسقفاً . فحالما علم بما قرره المجمع امتلأ غيظاً ونسب كيرلس الى الاستبداد والفساد واعتبر عمل المجمع عجلة ثم الف بوقاحته مجمعاً لصوصياً مركباً من اربعين اسقفاً نسطورياً وحكم فيه بجسارة حكماً غيابياً بقطع القديس كيرلس وممنون اسقف افسس من درجة الكهنوت ورفض الاثنى عشر قضية المختصه بالايمان وبفصل آباء المجمع من الشركة الى ان يتوبوا ويجتمعوا ثانية ويلغوا ما قرروه ويحرموا بنود كيرلس الاثنى عشر . وارسل هذا القرار الى

القيصر وامرأته والاكليروس وشعب القسطنطنية والمجلس الاعلى وأضاف عليه تحارير تتضمن الطعن على البطريرك الاسكندري والمجمع واسباب ابطائه ويطلب اعادة فحص القضية

وفي ذلك الحين وصل نواب اسقف روميه الى افسس وهما الاسقفان اركاديوس وبروياكتوس والقس فيلبس . فاجتمع مجمع القديس كيرلس مرة ثانية في ١٠ يونية وقرئت فيه اعمال الجلسة الاولى ورسالة اسقف رومية. وفي اليوم التالي عقدت الجلسة الثالثة فوقع فيها نواب اسقف رومية على اعمال المجمع السابقة وفي ٢٦ يونيه عقدت جلسة رابعة بناء على طلب القديس كيرلس وممنون اسقف افسس ضد يوحنا الانطاكي لقطعه اياهما فعقدت في اليوم التالي جلسة خاصة دعي فيها يوحنا مرة ثالثة بانذار . فانفذ رئيس شمامسته الى المجمع ومعه كتاب يتضمن اقواله فابى المجمع الا حضوره شخصياً فاجابهم يوحنا ان ينتظروا امر القيصر . فحكم المجمع حالا بالقطع على يوحنا وعلى ثلاثة وثلاثين اسقفاً معه وأظهروا براءة القديس كيرلس وممنون اسقف افسس . وللمجمع أيضاً جلستان سادسة وسابعة ففي السادسة اثبت دستور الايمان المؤلف في المجمعين الاول والثاني . وفي السابعة حررت اسقفية قبرس من الخضوع لبطريركية انطاكية وسنت ثمانية قوانين لم تزل الى اليوم

اما يوحنا الانطاكي فكتب الى القيصر ضد مجمع القديس كيرلس ملتمساً منه ان يحضر امامه ثلاثة اساقفة من كل حزب الى نيكوميديا . ولما اطلع القيصر على كل الاخبار الكاذبة التي وصلت اليه من حزب نسطور دون ان يطلع على اخبار المجمع الحقيقي اصدر امراً ملوكياً للقديس كيرلس وللمجمع مؤنباً موبخاً محرضاً على الاتحاد وزيادة الفحص عما يخص الايمان وامر بعقد مجمع جديد يقرر فيه قرارات جديدة يتفق عليها الجميع .

فالشرقيون كتبوا للقيصر يشكون من سوء معاملة كيرلس لهم أما المجمع القانوني فجاوبه يعلمه بحسن صنيعه وخوفاً من ان يقع جوابه في ايدي اضداده وجه نظره الى القديس دلماتيوس وهو رجل كان جندياً في الحرس الامبراطوري واصبح زاهداً حتى ظل مقيما في صومعة ثمان واربعين سنة . فارسل اليه القديس

كيرلس ولشريكه في الرهبنة اوطاخي رسالته للقيصر مع رجل امين ضمن قصبة يتوكأ عليها كمكاز حيث امكنه بهذه الطريقة ان يجوز الحراس براً وبحراً وهو يتظاهر بانه شحاذ حتى اوصل الرسالة الى دلماتيوس الموما اليه . فلما اطلع على الخبر طلب جميع الرهبان الذين فى اديرة القسطنطنية وسار هو فى مقدمتهم باحتفال مشى فيه جميع سكان هذه المدينة الكبرى وهم يرتلون المزامير بحماس شديد الى ان بلغوا البلاط الامبراطوري حيث واجهوا القيصر ثيودوسيوس واخبروه بالحقائق فاقتنع بها . فخرج دلماتيوس من حضرة الملك ورجع الى كنيسة القديس موكيوس وخطب في الجمهور الارثوذكسي المتحشد فيها مبشراً بان القيصر ادرك الصواب وسمح لنواب مجمع القديس كيرلس ان يطلعوه على صورة اعمالهم . فلما اطلع القيصر عليها ارتاح وطاب خاطره ووعد الارثوذكسيين بالتعضيد والمساعدة

الا ان الامور لم تستقر على ذلك لان كونتاً اسمه ايريناوس وقد صار فيما بعد مطراناً على صور غير فكر القيصر وخدعه مرة اخرى فاصبح حائراً لا يدرى كيف يفعل ولكن اكاسيوس الشيخ اسقف حلب ابدأ له رأياً هدأ روعه وهو ان يعزل القديس كيرلس وممنون ونسطور فابرز القيصر حكماً قضى فيه بذلك وقبض على القديس كيرلس وممنون وسلما الى الكونت يعقوب ليسجنهما اما نسطور فاحتفظ به كانديديانوس الامير

فاغتم آباء المجمع لهذه الاهانة التي حصلت للقديس كيرلس وحرروا رسائل عديدة الى الاكليروس القسطنطيني والى غيرهم محتجين بشدة على التعدي الذي حصل وهؤلاء طلبوا من القيصر ان يفحص عن الحق فسمح بحضور ثمانية اشخاص بالنيابة عن كل حزب لترفع الدعاوى أمامه وكان من حزب يوحنا ثاوذوريتوش اسقف كورش وبولس اسقف حمص فقابلهم في خلكيدونية

اما القديس كيرلس فشرع في مدة سجنه أن يؤلف تفسيراً مطولا لحروماته الاثنى عشر . وبعد ان اقتنع القيصر أمر بطرد نسطور الى ديره القريب من انطاكية وباعادة كيرلس وممنون الى منصبيهما . وأقام على كرسى القسطنطنيه واحداً من رجال كيرلس اسمه مكسيميانوس . وأمر بنهى المجمع وبرجوع الاساقفة

الى مراكزهم فقام القديس كيرلس من افسس الى الاسكندرية وهناك قابلته رعيته بابتهاج عظيم وجاء الجمع يهنئونه بانتصاره على عدو المسيح . وعقب وصوله كتب رسالة مطولة الى القيصر أوضح فيها الحق نافياً عنه كل ما عزي اليه من التهم

ولم يكتف النسطوريون بذلك بل اوقدوا نار الشقاق وعقدوا مجمعين احدهما فى طرسوس والآخر فى انطاكية اعادوا فيهما حرم كيرلس وبنوده ورفضوا احكام المجمع الافسسى واعتبروا اعضائه لصوصاً وكيرلس ذئباً خاطفاً وتمسكوا بمبادىء نسطور. فاستاء القيصر من تصرفهم هذا واشار عليه مكسيميانوس بطريرك القسطنطينية ان يطلب بابا الاسكندرية ويوحنا الانطاكى ويأمرهما بالاتحاد والوفاق . فلم يرتض القديس كيرلس فى مبدأ الامر بصلح يثلم شيئاً من الآراء القديمة الا انه أخذ يراسل يوحنا الانطاكى وأرسل اليه كاسينوس وأمونيوس الشماسين صحبة اريسطولاوس المعتمد القيصري الى انطاكية برسالة تتضمن قبوله اياه في شركة الكنيسة ان كان يوقع على الصك المرسل معهم والمتضمن حرم نسطور ورفض بدعته . فلما وصل هؤلاء الى انطاكية وجدوا البطريرك فى مجمع عقده مع اساقفته . فلما عرض عليه الصك قبل التوقيع عليه بعد تغيير بعض كلمات لم يفهمها وارسله للقديس كيرلس بيد بولس مطران حمص . فلما وصل هذا الى الاسكندرية سمح له القديس كيرلس ان يلقى خطاباً ففاه بخطاب بليغ سر به السامعون واظهروا استحسانهم بالتصفيق المتكرر له وكان ذلك سنة ٤٣٣م

ثم انه كان قبل هذه الحوادث قد ارسل القديس كيرلس رسالة كانت عنده من اقوال القديس اثناسيوس الرسولي الى انكيطس اسقف كورنثوس فوقعت في أيدى الحزب النسطورى فشوهوها ببدعتهم الاثيمة ولما حضر مطران حمص الى القديس كيرلس اعترض عليه بفحوى تلك الرسالة فأعطاه القديس الصورة الصحيحة فبعد ما قرأها تحقق صحتها ورجع الى يوحنا الانطاكى وأطلعه عليها وزاد هذا اقتناعاً شرح كيرلس بنوده الاثنى عشر التى كان فيها بعض العبارات البعيدة المعنى وهكذا تسالم البطريركان واستلم يوحنا رسالة القديس كيرلس المتضمنة قبوله فى الشركة

غير ان بعض الاساقفة الارثوذكسيين لم يعجبهم صلح القديس كيرلس مع

يوحنا الانطاكى ولاموه على عبارتين وردتا في قرار الصلح وهما اولا قول يوحنا « لانه صار اتحاد الطبيعتين فلذلك نعترف بمسيح واحد وابن واحد ورب واحد وبحسب معنى هذا الاتحاد الخالي من الاختلاط نعترف بان القديسة هى والدة الاله » وثانياً قوله « واما الاقوال الانجيلية والرسولية المقولة عن الرب فتعلم ان علماء اللاهوت يجملون بعضها عامة كأنها تفى لأقنوم واحد ويفصلون بعضها لاختلاف الطبيعتين وينسبون تلك الواجبة لله للاهوت المسيح وينسبون الوضيعة لناسوته » ومن الذين عارضوا القديس كيرلس على قبوله لهذا القرار اكاكيوس اسقف ميليتينى واولجيوس كاهن القسطنطينيه وغيرهم ممن قالوا ان قرار يوحنا هذا دك اركان مجمع افسس

كما ان اساقفة الشرق لم يوافقوا على هذا الاتفاق ورفضوا الاشتراك مع القديس كيرلس وخرجوا من تحت طاعة يوحنا واستقلوا بانفسهم تابعين مذهب نسطور . ومع ان اسم القديس كيرلس صار يتردد على كل فم واصبح مشهوراً بالغيرة الحقيقية على سلامة الايمان الى ان بعض الاساقفة الاشرار نظير اوثاريوس والاديوس ومكسيميانوس كانوا يشيعون عنه بانه هرطوقى تابع لتعاليم ابو ليناريوس المبتدع وقد زوروا رسالة هرطوقية ووضعوا اسمه عليها ونشروا منها نسخاً عديدة فى جهات مختلفة كما انهم زوروا عن القديس كليستينوس اسقف رومية على لسان القس فيلبس احد نوابه بانه برر نسطور الى آخر ما هنالك من الاقاويل التي شاعت ووصلت الى مسامع القيصر حتى اضطر القديس كيرلس ان يضع عدة مؤلفات فى سر التجسد مبرراً نفسه من كل ما اشيع عنه . وقد ظهرت اخلاقه المسيحية عند ما صفح عن ثاوذوريتوش اسقف كورش دون ان يضطره الى نفي الاعتراف بالاهانات التي وجهها الى شخص القديس وبذلك اكتسب محبة الجميع

وقضى ما بقي له من الحياة بعد ذلك الجهاد الطويل فى خدمة مخلصة بكل امانة وعاش خمساً وستين سنة قضى منها زهاء الثلاثين سنة فى رئاسة الكرسي الاسكندرى ثم تنيح بسلام فى ٣ ابيب سنة ١٧٩ ش ٤٤٤ م

اما مؤلفاته فهى جليلة الشأن وهذه اسماء المحفوظ الآن منها . —

(١) تفسير الاسفار الخمسة وسفر اشعياء واسفار الأنبياء الصغار وانجيل يوحنا (٢) كتاب ضد نسطور (٣) وآخر ضد يوليانوس (٤) رسائل عديدة فى الثالوث الاقدس (٥) رسائل عديدة فى التجسد (٦) في العبادة الروحية (٧) مواعظ ورسائل (٨) كتب عديدة شتى. ويطلق على احد الليتورجيات (القداديس او صلاة القربان) اسم القديس كيرلس وهو القداس الذى وضعه مار مرقس الرسولي ولكن لما كان القديس كيرلس قد رتبه نسب اليه

(٢) ديوسقوروس - البطريرك الخامس والعشرون. ارتقى الكرسى

المرقسي في مسرى سنة ١٧٩ ش و٤٤٤ م في عهد ثيودوسيوس قيصر الصغير خليفة للقديس كيرلس وكان ضريبه فى شدة الغيرة على سلامة كنيسة المسيح. وفي ايام هذا البابا انشطرت الكنائس المسيحيه الى شطرين وهما ذوو الطبيعة الواحدة وذوو الطبيعتين ولنأخذ في استدراج تلك الحوادث الخطيرة لكي نقف على الحقيقة وندرك سر هذا الانشقاق

انه حال قيام ديوسقوروس على الكرسى الاسكندرى لم تكن الكنائس المسيحية على وفاق تام مع بعضها وعلة ذلك طمع اساقفة رومية الغير المتناهى ورغبتهم التي لاحد لها فى السيادة العامة على الكنيسة المسيحية في كل العالم. ولم يكن الاسقف الرومانى يخشى بطش أحد من رؤساء الكنائس سوى بابا الاسكندرية. فان القسطنطنية مع كونها كانت عاصمة المملكة الجديدة ولكن بطاركتها كانوا ضعيفى الشوكة وكثيراً ما تداخل بطاركة الاسكندرية واساقفة روميه في شؤونها بينما الاسكندرية مع كل الجهاد الذي قامت به امام اعداء الكنيسة وازدياد المقاومات ضدها كل يوم بسبب ذلك فانها لبثت محتفظة بمقام الرئاسة الفعلية

ولقد سعى اسقف رومية سعياً متواصلا للاتحاد مع بابا الاسكندرية كما يظهر ذلك من خطاب ارسله ليو الى ديوسقوروس فى شهر يونيه سنة ٤٤٥ م يلتمس منه فيه المؤاخاة والعمل على التداخل في اهم الامور سوية ما دام الاثنان متساويين في الرتبة والدرجة الا ان بابا الاسكندرية ضرب بخطابه عرض الحائط

وهزأ به لما يعلمه من غاياته الدنيئة

ولم يكن اسقف رومية وحده هو الذي يحسد رؤساء الكرسي المرقسي لكن اساقفة الشرق بأسرهم كانوا يغارون منهم لتحويل القياصرة على آرائهم في المسائل الكنسية وذلك لما احرزوه من الصيت الجليل في العالم المسيحي اجمع بسبب مقاومتهم للهراطقة وانتصارهم على اعداء الديانة نظير اريوس ونسطور حتى اعتبر رأى رؤساء الكنيسة الاسكندرية هو رأى المملكة ذاتها . لهذا السبب كان اسقف رومية واساقفة الشرق يتحينون الفرص المناسبة لاذلال شأن الكرسي المرقسي فقاد لهم الحظ ظهور بدعة جديدة فى ضواحى القسطنطنيه

وذلك انه كان فى ايام البابا ديوسقوروس اشمندريت رئيس دير في القسطنطنيه اسمه اوطاخي عدو ألد لنسطور لم يكتف بما حدده المجمع الثالث المسكونى ضد تعليمه بل تطرف فى تعبيره عن سر التجسد الى ان قال بوحدة طبيعة المسيح وان جسده مع كونه جسد اله ليس مساويا لجسدنا فى الجوهر لأن الطبيعة البشرية على زعمه قد ابتلعت واندثرت فى الطبيعة الالهية

فثاوذوريتوش اسقف كورش الذى اشتهر باعتناقه لمذهب نسطور وتطوعه للدفاع عنه اخذ يكتب ضد اوطاخي ويشهر بتعليمه حتى بلغ الامر البابا ديوسقوروس فظن ان النسطوريين الذين كسر شوكتهم سلفه القديس كيرلس يتحفزون للقيام تخوفاً من ان يضيع مجهودات سالفيه ولما هو معروف عن فساد مبدأ ثاوذوريتوش وتعريضه برسائل القديس كيرلس كتب ضده للقيصر ثاودوسيوس الثاني مظهراً الخوف من ان الكنيسة الانطاكية أوشكت ان تكون كلها نسطورية . ولشدة ثقة القياصرة بغيرة آباء الكنيسة القبطية على سلامة الايمان اصدر ثاودوسيوس قيصر أمراً ضد الانطاكيين وحظر على ثاوذوريتوش الخروج من دائرة ابروشيته

غير ان الانطاكيين وطنوا أنفسهم على الدفاع فأرسل البطريرك دمنوس سفارة الى القيصر لتعرفه بان اوطاخي مبتدع مثل ابوليناريوس ولكنهم لم يفلحوا . فقام اوسابيوس اسقف دوريليوم من اعمال فريجيه احد المتحزبين

لنسطور يحج أوطاخي . ولما لم يقنعه قصد القسطنطينية سنة ٤٤٨ م وشكاه الى فلابيانوس بطريركها وكان هذا أيضاً نسطورياً فشكل مجمعاً اقليمياً مركباً من ٢٩ اسقفاً و٢٣ ارشمندريتاً ودعي أوطاخي الى هذا المجمع فامتنع في مبدأ الامر خوفاً من غدر المجمع به ولكنه حضر في الجلسة السابعة بصحبة صديقه خريسافيوس من موظفي بلاط القيصر. فسأل أوسابيوس أوطاخي « هل يعترف بان المسيح مساو للآب في جوهر اللاهوت ومساو لأمه في جوهر الناسوت ؟ فاجاب بانه يعترف بان للمسيح من طبيعتين قبل الاتحاد وانه بعد الاتحاد طبيعة واحدة . فحكم على أوطاخي بانه مبتدع وجرده المجمع من رتبته الكهنوتية ثم أيد مذهب نسطور بانه ذو طبعين من بعد الاتحاد

ولئن كان أوطاخي في مبدأ أمره قصد بعقيدته ازالة بدعة نسطور غير أن تطرفه في المدافعة نظمه في سلك الهراطقة الا انه بعد صدور الحكم عليه أخذ يرفع صوته قائلا انه مظلوم وكان اسقف رومية مقصداً لكل مبتدع اذ كان يسره ليحس بانه رئيس الكنيسة العام ان يرفع رؤساء الكهنة دعاويهم اليه. ولما كان مستقيمو الرأي يطرحون مشا كلهم أمام أبصار باباوات الاسكندرية لم يكن يطلب مساعدة اسقف رومية الا المبتدعين الذين كانوا يشتكون اليه ويملقونه فكان ينتصر لهم رغماً عن ضلالهم . فلهذا لما رأى أوطاخي نفسه قد شجب رفع اليه أمره فرد عليه لاون اسقف رومية برسالة معزية سنة ٤٤٠ م يشجعه فيها ويدعوه ابنه في الايمان الكاثوليكي لانه تحقق صدق عقيدته !!

ثم ذهب اوطاخي صحبة صديقه خريسافيوس موظف البلاط القيصري المذكور ورفع دعواه أمام القيصر وتظاهر بانه محكوم عليه جوراً الى ان رضي القيصر بعقد مجمع مسكوني في مدينة افسس (١) وأرسل القيصر الى ديوسقوروس

---

(١) ان وقائع هذا المجمع والمجمع الذي عقد بعده بخلكيدون مأخوذة اصلا عن كتاب « اعمال مجمع خلكيدون » وهو تاريخ طبع بالعربية في رومية سنة ١٦٩٤ م بأمر الكنيسة الرومانية لهداية مخالفيها ولكنها لما رأت ان به حقائق كثيرة تتنافى مع رأيها ندمت على طبعه ونشره وحرقت ما تمكنت من جمعه وقد اخذنا نحن صورة هذه الحوادث عما كتبه المرحوم الايغومانوس فيلوثاوس بكتاب « تاريخ الانشقاق » ج ١ وعما نقل عن كتاب اعمال مجمع خلكيدون بكتاب « الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة » ج ١

البابا الاسكندرى ثلاثة مكاتيب الاول يطلب فيه منه ان يحضر معه عشرة مطارنة وعشرة أساقفة ويبادر الى افسس ويمنع قبول ثاوذوريتوس . والثانى يأمر فيه بقبول الاشمندريت برسوم بين آباء المجمع بصفته قائم مقام جميع الارشيمندريتين الشرقيين . والثالث يمنع حضور ثاوذوريتوس ثم يقول له « وانا نظن ان بعضاً من اتباع نسطور يجتهدون وقصدهم ان المذكور يحضر في المجمع المقدس . فلاجل ذلك قد تحسن برأينا أن نرسل لحضرتكم هذه الرسالة وبها نعرف قدسك وقدس المجمع اننا مقتدون بقوانين الآباء الاطهار ونوهب لقدسك سلطاناً ونجعلك متقدماً ليس فقط فيما يخص ثاوذوريتوس بل وبما يخص كل المجمع المقدس الخ » اه

فلما شعر فلابيانوس بطريرك القسطنطينية بانه سيقع تحت الحرم نظير باقى النسطوريين التجأ الى اسقف رومية ملجأ الهراطقة وكتب اليه يستعين به (١) وكان قد وصل حينئذ للاون أسقف رومية اعلان من القيصر ثيودوسيوس يقول فيه « أنه عهد بفض المشاكل الى مجمع يلتئم فى مدينة أفسس تحت رئاسة البطريرك الاسكندرى » فحالما وقع بصره على هذا الخبر طار شعاع الشر من

---

(١) كتب الآب ملاتيوس الارثوذكسي يستجير عند ما قاومه لغير سبب داماسوس اسقف رومية. فاستاء القديس باسيليوس الكبير من استخفاف داماسوس بقوانين الكنيسة واستجار بالبابا اثناسيوس الرسولي وبعث يقول له « ان نشر الوية السلام فوق ربوع كنيسة انطاكية منوط بك وحدك . لان ما أصاب هذه الكنيسة يفتقر الى شفقتك الانجيليه وحكمتك الرسولية . ان كنيسة انطاكيه أيها القديس لم تمزقها ايدى الهراطقه بل ايدي اولئك الذين يدعون انهم ارثوذكسيون (يريد اساقفة روميه) وهم شر من الاريوسيين (راجع رسالته الـ٦٦) ثم اعقبها برسالتين أشد منها لهجة قال فيهما « ان الهراطقة يحتمون بالاساقفة الرومانيين الذين يغرسون بذور الشقاق اينما حلوا » (رسالة ٦٩ و ٨٠)

ثم كتب القديس باسيليوس لاوسابيوس اسقف ساموساط الذي كان موفداً لروميه لفض ذلك النزاع يقول « لقد علمت بما جرى بينك وبين الرومانيين . وكنت اود لو لم يكن عندي به علم لان ذلك الانسان (داماسوس اسقف روميه) متكبر متغطرس ومن طبيعة اولئك المتغطرسين ان يتفخوا كلما لاطفتهم . على اننا لا ننتظر غير رفق الله بنا فان ادركنا فحسبنا ذلك والا فاي تعضيد يمكن ان ننتظره من الغربيين الغلاظ الاكباد الذين لا يعرفون الحقائق ولا يحتملون ان يتعلموها . اي تعضيد يمكن ان ننتظره من اولئك الذين فضلا عن تشيع ادمغتهم بالآراء الفاسدة يحاربون من يذكر لهم الحقيقة فيغرسون الهرطقه بايديهم » (رسالة ٢٣٦) اه فليقرأ الباباويون لعلهم يعتبرون

عينيه واحتدمت نار الغيرة والغيظ في قلبه وكشر عن ناب العداء والخصام نحو ديوسقوروس ونسى « محسوبه » اوطاخي الذي وعده بالمساعدة . ولما لم يحصل على أمنيته بالسيادة يوماً ما ويدعى ولو مرة واحدة ليرأس ولو مجمعاً واحداً امتنع عن الحضور الى أفسس وأرسل نواباً الى المجمع كما هي عادته في اظهار الابهة الفارغة وهم الاسقف يوليوس والقس ريناتوس والشماس ايلاريوس وكاتب ليكتب الوقائع التي تصير يدعى دولشيسيوس . وأعطاهم مكتوباً الى الملك ورسالة أخرى الى فلافيان وهي المعروفة «بالطومس » او « بطومس لاون » (١) شرح فيها رأيه في هذا المعضل وكان على أتم الموافقة لمعتقد نسطور . وهذه الرسالة التي ارسلها لفلابيانوس فقط كان يجب أن يرسلها رأساً الى المجمع ولكنه استبد برأيه مصمماً على اعتبار المجمع غير قانوني حتى قبل أن تعقد جلساته ويظهر تقريره . ومن هنا يتضح أنه كان عازماً على مقاومته ولو قرر كل صواب مادامت الرئاسة انتزعت منه واعطيت لخصمه ديوسقوروس واذ وصل نواب هذا الاسقف تلقاهم فلافيان بمزيد الاحترام واستضافهم عنده بكرم زائد

ولما تكامل عدد اعضاء المجمع اجتمع في كنيسة السيدة العذراء ١٣٠ اسقفاً وارسل القيصر اثنين من قبله نائبين عنه وهما البيذيوس والاجيوس وامرهما بان الذين كانوا قضاة في امر أوطاخي يحضرون بدون ان يفوهوا بكلمة وان لا يحضر المجمع ثاوذوريتوس البتة ولا احد من زملائه ومما قاله لهما في الرسالة التي زودهما بها « تصرفا في الامور بأحسن نظام . واحضرا في مجلس الشرع واعلمانا الامر كله » اه

وترأس المجمع ديوسقوروس بابا الاسكندرية بأمر القيصر ثم جلس بعده نواب اسقف رومية ثم يوبيناليوس اسقف اورشليم فدمنوس اسقف انطاكية ففلابيانوس اسقف القسطنطينية فاسطفانوس الافسسي فاسقف قيصرية . ولما افتتحت الجلسة الأولى تليت تحارير الملك واثبت قبول نيابة نواب رومية . ثم قرىء الامر بقبول برسوم . ثم طلب رئيس المجمع (ديوسقوروس) من نواب القيصر ماعندهم في ذلك فقرئت رسائل القيصر الى نوابه والمجمع بخصوص اجراءات افلابيانوس

---

(١) طومس كلمة يونانية معناها كتاب او رسالة

ثم شرعوا فى موضوع الايمان فقال نائب اسقف رومية ان قدس اسقفهم لاون ارسل معهم رسالة فامر الرئيس بقبولها . ولما قدمت الى القس يوحنا سكرتير المجمع ليتلوها رأى نفسه مضطراً الى قراءة رسائل اخرى من القيصر الى رئيس المجمع قبل رسالة اسقف رومية .فتليت رسائل القيصر وبعد ذلك قال الرئيس « يظهر لنا ان القيصر أمر بعقد هذا المجمع بسبب المشاغبة التى جرت فى القسطنطنية ولذلك يلزمنا ان نبحث اولا في هذه المسألة وبعد ذلك نقارنها باعمال آبائنا القديسين التي فرضوها فى المجامع المقدسة » فوافق المجمع على رأيه .

حينئذ قال اسقف اورشليم ينبغي ان يحضر اوطاخي بنفسه للمجمع ويدافع عن نفسه . فجاء اوطاخي وقدم اعترافاً مثل اعتراف المجمع الثالث بدون ان يذكر شيئاً عن المسألة المختلف عليها فقرىء . ثم طلب البيدوس المقدم قرأة بقية الاعمال فقبل الرئيس طلبه وسأل اباء المجمع عن رأيهم فاجابوا بالقبول الا نواب رومية فانهم طلبوا قراءة رسالة اسقفهم الى فلابيانوس قبل قراءة الاعمال . فوقف اوطاخي واشتكى للمجمع ضد هؤلاء الرجال لانهم لما اتوا المدينة اقاموا فى بيت فلابيانوس الذى احسن وفادتهم وقدم لهم هدايا جزيلة والتمس من المجمع أن يمنعهم عن ابداء رأيهم لئلا يحكموا عليه تبعاً لأهوائهم . فعمل الرئيس برأى الجمهور وقرئت الاعمال فظهر منها ان أعمدة الايمان الاقوياء هم باباوات الاسكندرية الافاضل الذين جاهدوا جهاد الابطال في الدفاع عن تعاليم المسيح وحفظوها نقية سالمة فعبقت رائحة فضيلتهم في المجمع كالعبير وذكر بالاخص القديس كيرلس على اثر قراءة رسائله التى أقر المجمع عليها جميعها . ثم قال افسطاثيوس مطران بيروت ما فعل كيرلس حين فهمت كتاباته على غير معناها الى ان اورد عنه قوله « لا ينبغى لنا ان نفهم طبيعتين بل طبيعة واحدة متجسدة في الله الكلمة » وهذا القول اثبته القديس كيرلس بشهادة القديس اثناسيوس الرسولي فاجاب المجمع « ليس من يقول ان المسيح اثنان بعد الاتحاد ولا من يفصل الغير المنفصل »

ولما وصلوا في القراءة الى سؤال اوسابيوس لأوطاخي « هل تعتقد بطبيعتين

في المسيح بعد التجسد » عارض آباء المجمع بحدة وقام جملة من الاساقفة الحاضرين وصرخوا بأعلى اصواتهم « ارفعوا اوسابيوس واحرقوه . ليشق الى اثنين كما حاول ان يقسم المسيح . كل من يقول بطبيعتين محروم » فقال ديوسقوروس « هل تسلمون بان المسيح بعد التجسد صار له طبيعتان ؟ » فأجاب الآباء بالاجماع « كل من يقول بطبيعتين بعد التجسد فليكن محروماً » فقال ديوسقوروس « لنؤيد هذا الكلام » فقال الآباء بالاجماع « لأنه اعتقاد الآباء »

وبعد ذلك سأل رئيس المجمع الاعضاء عما يرونه في اوطاخي . فاجاب اسقف اورشليم بما انه اعترف بايمان مجمع افسس الاول (المسكوني الثالث) فانا أرى انه ارثوذكسي واحكم بتثبيته في درجة الكهنوتية وفي ديره . فوافق باقي الاعضاء على رأيه بقولهم « يظهر من قول اوطاخي انه ارثوذكسي » فلما رأى الرئيس هذا الاجماع قال « اني قد ثبت انا ايضاً حكم هذا المجمع وحكمت بان يحصى اوطاخي في عدد الكهنة ويتولى ديره كما كان سابقا »

ثم قدم للمجمع احتجاج من رهبان اوطاخي على حرم فلابيانوس لهم فقال لهم الرئيس « لا يحلكم من حرمكم الا اعترافكم بالايمان الصحيح » فصاح كبيرهم « ان ايماننا هو ايمان مجمعي الآباء في نيقية وأفسس . ايمان اثناسيوس وكيرلس وباقي الاساقفة الارثوذكسيين » فرأى اسقف اورشليم ان يقبلوا في شركة المؤمنين فرضي المجمع بذلك وبرأهم جميعاً

وبعد فحص قضايا كثيرة نظير هذه قال الرئيس « يجب ان نطبق أعمالنا على اعمال الآباء الذين سبقونا » ثم اتفقوا على ان تقرأ اعمال المجمع الثالث فقرىء ايمان المجمع وحكم في الجلسة السادسة بالقصاص على الذين يعلمون الضلال

وكان اوطاخي قد ادعى بتحريف اعمال مجمع القسطنطينية مستشهداً بنقيب الوظائف الملوكية فعارض كلامه فلابيانوس . فطلب الرئيس البينة كتابة فقال له فلابيانوس « انك قطعت امامي السبيل لايراد كل احتجاج وان كان حقاً » فاستشهد البابا ديوسقوروس بالمجمع المقدس على انه لم يمنعه عن شيء وكرر طلب الاحتجاج منه فاستمر فلابيانوس على عناده من الجهة الواحدة لم يتنازل عن قوله بطبيعتين بعد الاتحاد وأيد رأيه غير مكترث بتحديد المجمع الافسسي الاول.

ومن الجهة الاخرى لم يؤمن على الحكم الذي اصدره بحل اوطاخي وبالحالة هذه ظهر مضاداً لأولئك الآباء . فتعين لهم حينئذ عزله من الرئاسة وحكم بذلك جميعهم واحد بعد واحد بما فيهم البابا ديوسقوروس رئيس المجمع

ثم نظر في الجلسة الثانية شكايات كثيرة قدمت الى المجمع ضد أساقفة نسطوريين وبناء عليها حكم المجمع بتجريد كل من ثاذوريتوس اسقف كورش وتهمته النسطورية وطعنه في حق القديس كيرلس وهيبا واسقف الرها ودمنوس اسقف انطاكية لمدافعته عن تعليم نسطور وعين بدله مكسيموس . وايريناوس اسقف صور الذي كان نسطورياً ومتزوجاً بامرأتين ورسم عوضاً عنه فوتيوس. ثم عرض المجمع اعماله على القيصر فأمن على تحديدهم وحكمهم وتقرر حرم فلايانوس وستة من اساقفته وكل من لا يقول أن طبيعة واحدة للكلمة المتجسد حسب اعتقاد كيرلس والمجمع المقدس

واننا نضرب صفحاً عن كل ما يدعيه رؤساء كنيسة رومية بان هذا المجمع استعمل القوة في تنفيذ جميع قراراته وتسميتهم اياه « بالمجمع اللصي » الذي سمي به مجمع أفسس الاول من النسطوريين وغير ذلك مما لا يستغرب صدوره من قوم أكل حب الذات صدورهم وأفقدهم عقلهم فجعلهم يهرفون بما لا يعرفون. وقد كان من المنتظر ان يختلق اساقفة رومية مثل هذه التهم لما يجدون انفسهم خلواً من فضائل يجارون بها باباوات الكرسي المرقسي وكل من يقف على حوادث ميل اساقفة رومية للرئاسة العامة وكيف انهم في سبيل الحصول عليها أراقوا دماء الابرياء لا يندهش اذا سمعهم ينددون بالمجمع الثاني في افسس

واننا لفي غاية العجب كيف انهم يعتبرون المجمع الثالث المسكوني الافسسى الاول ويؤمنون على أعمال رئيسه القديس كيرلس وفي الوقت نفسه يشجبون المجمع الافسسى الثاني مع ان المعارضين والذين وقعت عليهم الاحكام في كلا المجمعين هم رؤساء الحزب النسطوري الذين حضروا المجمعين وقاوموهما فهل غيرت الايام قلب اسقف رومية من نحو النسطوريين ام ان الميل لمقاومة البابا الاسكندري ألزمه بان يتنازل عن المعتقد القديم رغبة في ان يجد طريقة لمقاومته فاعتنق مذهباً باطلا ليؤيد مركزه بانصاره ؟ ومن يطالع كتابات الغربيين عن نسطور لا يعسر

عليهم ان يلمس أثر ميلهم اليه واجتهادهم في الاعتذار عنه

ومما يوضح ما نقول هو انه حدث بعد انقضاض مجمع أفسس الثاني ان نواب اسقف رومية خرجوا منه بالخيبة اذ لم يتمكنوا من نجاة فلابيانوس وحزبه فتجمهروا معاً عصبة واحدة وانطلقوا الى رومية يشكون لاسقفهم ما أصابهم من الخذلان وكان اسقف رومية يتوهم ان الرسالة التي ارسلها لفلابيانوس يتخذها المجمع كقانون للايمان او كوحي الهي فلما خاب رجاؤه من ذلك أضمر سوءاً لجميع آباء المجمع وعلى رأسهم ديوسقوروس ويلوح لنا ان الشيطان كان يرسم في مخيلة اسقف رومية صورة سلطته العامة على كل الكنائس وبذلك يفقده صوابه ويسهل له ارتكاب كل محرم في سبيل الحصول على تلك السيادة الموهومة

فأخذ لاون الاسقف الروماني يعمل جهده في الحط من قوة خصمه وتخفيض شأنه فلم يدع واسطة لمقاومة البابا الاسكندري ومناجزته الا وطرق بابها فكتب كتاباً الى ثيودوسيوس قيصر يقول له فيه ان الديانة المسيحية تكاد تضمحل مالم يلغ حكم ديوسقوروس في مجمع افسس . ثم كتب لبولكاريا شقيقة القيصر وكتب لكنيسة القسطنطينية يحرضها على نبذ قرارات المجمع . ولما لم تفده كل هذه الحيل والوسائل رمى نفسه بين يدي فالنتنيان قيصر رومية والتمس منه ان يطلب من ثيودوسيوس قيصر الشرق ان يسمح باقامة مجمع عام في رومية حيث يكون نفوذه أقوى من نفوذ خصمه . قال المؤرخون « ان محبة الذات او خذلانه في نيل الرئاسة المطلقة اضطراه الى سكب دموع غزيرة كاذبة امام افدوكيا زوجة قيصر رومية وأمه ابلاكيديا لكي تحملا القيصر على الكتابة لثيودسيوس فلم يسع فالنتنيان الى الاجابة لكثرة الالحاح وكتب لزميله قيصر الشرق » . غير ان ثيودوسيوس القيصر الارثوذكسي أبى اجابة الطلب لثقته في البابا ديوسقوروس ورد على قيصر الغرب قائلا « ان ما جرى يكفي وهو حسن ولا حاجة الى مجمع آخر » ومما ينبغي الاشارة اليه ان فالنتنيان كان يلقب لاون في جواباته لثيودوسيوس بالبابا الاعظم الا ان ثيودوسيوس كان يسميه البطريرك المحترم أو رئيس الاساقفة الموقر . وكان تاريخ هذه الخطابات في فاتحة سنة ٤٥٠ م

غير ان الحظ قد عاد وخدم لاون فانه في شهر يوليه من تلك السنة انتقل ثيودوسيوس الى رحمة مولاه بدون خلف فقامت مكانه بالملك اخته بولكاريا الراهبة ونكثت عهد العفة وتزوجت بقائد جيشها مركيانوس وسلمته ادارة المملكة . فلما تغيرت احوال المملكة استحضر لاون اسقف رومية زعماء الحزب النسطوري ليستعين بهم على ديوسقوروس ومنهم ثاوذوريتوس اسقف كورش وهيبا اسقف الرها وغيرهما وبعث بانصار السوء هؤلاء الى مركيان قيصر يلتمسون منه السماح بعقد مجمع تفحص فيه اعمال مجمع افسس

فلما رأى البابا ديوسقوروس ان لاون تمادى في عدوانه وأفرط في المعاكسة شرع في حرمانه وتجريده من وظيفته وذلك لانه سعى في ابطال قرارات مجمع نظامى شرعى فجمع مجمعاً قطع فيه لاون من شركته لقبوله اولئك الهراطقة . وهذا المجمع عقد بعد موت ثيودوسيوس قيصر وبذلك ينهدم قول المفترين الذين يدعون بان بابا الاسكندرية كان يعمل ما يعمل معززاً بقوة القيصر .

وكان موظفو بلاط قيصر الشرق الجديد بعضهم يتحزب لنسطور والبعض الآخر للارثوذكسيين الا ان الحزب الاقوى كان نسطورياً وذلك لان بولكاريا وزوجها مركيان كانا من هذا الحزب . وكانت بولكاريا شديدة الكراهة للبابا ديوسقوروس بالنسبة لما وصل اليه من السلطة والنفوذ . فرأت هذه الفرصة مناسبة لهدمه واتخذت ذريعة لذلك اتهامه بالهرطقة . وكان اول عمل عدائي وجهته لديوسقوروس هو انه كان لهذا البابا نائب في القسطنطينية فارتقى بواسطته الى كرسي البطريركية : فابتدأت بولكاريا مقاومتها لديوسقوروس بان أجبرت نائبه بالقسطنطينيه على حرم اوطاخى ونسطور والمصادقة على مبادىء لاون .

ثم كتب مركيانوس زوج بولكاريا الى لاون يقول له فيه « انى مستعد لعقد مجمع تحت رئاستك واذا كان فى السفر مشقة عليك فأنا أقوم مقامك لرئاسة المجمع» فرد عليه لاون بانه ينبغي في هذا المجمع البحث عن طريقة يتمكنون بها من الصفح عن الاساقفة الذين سلكوا مسلك ديوسقوروس ووافقوا على رأيه . وكان يؤمل لاون ان يكون مقر المجمع رومية غير ان القيصر لم يكن يرغب ذلك

فأصدر أمراً باقامته في مدينة نيقيه مما اساء لاون ومنعه عن الحضور فأرسل نواباً عنه ادعى فيما بعد انهم ترأسوا الجلسات باسمه ولكن الحقيقة ان مركيانوس انتخب تسعة عشر عضواً من كبار المملكة ليترأسوا المجمع بالنيابة عنه.

أما الذين حضروا هذا المجمع فمن قائل انهم ٣٣٠ ومن قائل انهم ٥٠٠ وقيل ان البابا ديوسقوروس لما حضر مع أساقفته وشاهد ذلك الجمع الغفير هتف نحو القيصر قائلا « أيها الملك الاعز ما هذا الجمع الذي أراه وما سبب اجتماعه . ان الايمان لفي غاية الكمال والآن لسنا ننتظر قيام هرطقة توجب اجتماعاً مثل هذا فدع الاساقفة ليذهب كل الى مركزه » فأجابه بعضهم « ان القيصر ليس يتحقق ان كان المسيح طبيعة واحدة أم طبيعتين » فوقف البابا ديوسقوروس وقال « ان اعتقاد البيعة لا ينبغي ان يزاد عليه أو ينقص منه فالمسيح واحد بالطبع والجوهر والفعل والمشيئة كما كرز الاباء » ولما تردد قايل مثل هذا الكلام قال ديوسقوروس « اسألكم فأجيبوني . لما دعي المسيح الى عرس قانا الجليل دعي انساناً ام الهاً فأجابوه انساناً. قال لهم ولما حول الخمر كان تحويله باللاهوت ام بالناسوت . او فوض اللاهوت ان يعمل ذلك وللناسوت ان يسكت . وان كان حسب رأيكم باللاهوت فليس ذلك بعجب عجيب وامر غريب اذ كان اللاهوت قادراً على كل شيء وانما العجب بالناسوت لاتحاد اللاهوت به. وها أنا اقول ان ذهبي الفم يدعو مريم والدة الله . ولم يقل والدة نصف الله . وكيرلس يدعو المسيح الهاً واحداً بالحقيقة وابناً واحداً بالحقيقة وان اتحاد اللاهوت بالناسوت يماثل الفولاذ اذا عبر الكور واتحد بالنار فيصير طبع النار وطبع الحديد شيئاً واحداً. اما احتجاجكم عن ذلك بايجاب وقوع الآلام على اللاهوت فمنا الدليل الكافي من الشهداء الذين لما كانوا يعاقبون ماكانت تعاقب انفسهم وتتألم والله قبل الآلام بجسده ولاهوته منزه عن قبول الآلام بالكلية» اهـ

فاقتنع كثيرون بهذا الكلام ثم خطب البابا ديوسقوروس داعياً للملك حتى انزعج المقطوعون واللاونيون واختلوا بالملك ووشوا اليه بحق البابا ديوسقوروس بانه يريد سلب سلطانه وان لاون يرغب بحط ديوسقوروس استقرار الكلمة له وان ترك الحرية لديوسقوروس لا تتمم اغراضهم وطلبوا منه الحرية في اعمالهم

ليخرجوا ديوسقوروس من المجمع. فلم يكد عدد المجتمعين يكمل حتى صدر اليهم الامر حال وصولهم الى نيقيه بان يرحلوا الى خلكيدون بالقرب من البوسفور وعقد المجمع بها وافتتحت الجلسات في اليوم الثامن من شهر اكتوبر سنة ٤٥١م في كنيسة خلكيدون. ولما عقدت الجلسة الاولى كانت اول طلبات نواب لاون اخراج ديوسقوروس من المجمع . ولما لم يقبل رئيس المجمع ذلك أصر النواب على طلبهم معترضين بلسان اوسابيوس عدو اوطاخي بان ديوسقوروس عقد مجمعاً بدون استئذان الكرسي الرسولي (الروماني) واضافوا بان ديوسقوروس الذي أتى ليدان لا ينبغي له الجلوس معنا لان ذلك يجلب علينا احتقاراً . فازدري نواب الحكومة بكلام هؤلاء الاشرار وقر رأيهم على بقاء ديوسقوروس في المجمع. وأجاب هذا البابا على تهمتهم بكل ثبات قائلا «اني لم أكن في حاجة الى استئذان اسقف روميه في عقد المجامع التي صدر أمر القيصر بتشكيلها» ثم طلب قراءة القرارات التي صدرت في المجمع الاخير مما يخص الايمان فاجابه الرئيس «ينبغي ان تصبر الى قراءة الاعمال»

وكان لاون قد أعاد ثاوذوريتوس الى كرسيه فسمح له بالدخول الى المجمع حينئذ فاحدث دخوله ضجة عظيمة سمع فيها صوت اساقفة مصر وايليريا وفلسطين يقولون « ارحمونا يا قوم . قد اضمحل الايمان . اعلموا ان القوانين توجب طرد هذا خارجاً فاطردوه انتم عنا »

فأجاب أساقفة الشرق النسطوريين «لقد ارغمنا ديوسقوروس فوقعنا على اوراق بيضاء اطردوا اتباع ماني وابوليناريوس مضادي الايمان اطردوا ديوسقوروس » .

قال المصريون « ان ثاوذوريتوس شتم المسيح ولعن كيرلس فان قبلناه أهنا المسيح ورفضنا كيرلس »

واخذ الفريقان يتحاوران معاً بمثل هذا الكلام وشرع كل حزب في ان يوجه الى الآخر شديد المطاعن حتى اشرف المجمع على ان يكون ميداناً للمحاربة لولا ان مندوبي الحكومة استعملوا نفوذهم في اعادة النظام والسكينة ووقف واحد منهم وخطب في المجمع قائلا « انه لا يجدر بالاساقفة وائمة الدين ان

يأتوا مثل هذه الاعمال المشينة من صياح وصراخ بل يجب عليهم ان يكونوا قدوة للشعب في الهدوء والسكينة . ونحن نرجوكم ان تستعملوا البرهان بدل البهتان والدليل عوضاً عن القول وأميلوا آذانكم لسماع ما يتلى عليكم »

ثم أخذ الكاتب يتلو قرارات مجمع افسس الثاني وكان اعضاء الحزبين يقاطعونه بضجيج الاستحسان أو الاستهجان . وكان البابا ديوسقوروس في وسط ذلك الهيجان ساكناً هادئاً مستعملاً الحكمة مجرداً سيف البرهان عوضاً عن الثرثرة الفارغة التي كانت سلاح نواب رومية الوحيد وكان مما فاه به في هذا المجمع قوله «قد علمتم ان القيصر لم يجعل لي وحدي الامر بل ليو بيناليوس وتلاسيوس ايضاً ومنح لهما التدبير فنحن بما حكم به أذعن لنا المجمع بأسره فلماذا ينسبون الي وحدي تدبير هذه الامور حالة كون سلطان الثلاثة متساوياً وقد استصوب المجمع ما حكم به فأقروا بأصواتهم ووضعوا خطوطهم بأيديهم واخبرنا القيصر بذلك وهو ثبت بأمر عال كل ماحكم به المجمع المقدس» اه

فأجاب أساقفة الشرق ما معناه « انهم لم يشتركوا في حرم فلابيانوس الا تحت تأثير الارهابات والتخاويف » وكان معظم المتكلمين شمامسة . فاعترض الاساقفة المصريون على تداخلهم الغير قانوني طالبين اخراج كل من ليس له حق الكلام في المجمع فلم يسمع لهم ولم يجب طلبهم

وبعد ذلك سأل رئيس المجمع المشتكين على ديوسقوروس «من الذي ارغمكم على الامضاء ؟ » أجابوه ديوسقوروس ورهبان اوطاخي الذين عددهم ٣٠٠ راهب فأجابهم أساقفة مصر « لو كنتم مسيحيين حقاً لما ارهبكم التهديد لان الارثوذكسي لايخاف . ها نحن الآن مستعدون للموت دون ان نحيد قيد شعرة عن ايماننا فلو كنتم مؤمنين حقاً لما وقعتم على الاوراق حسب ادعائكم لان المسألة تختص بجلالة الايمان الذي ينبغي للمؤمن الحقيقي ان يسفك آخر نقطة من دمه في سبيل تأييده »

ولما استأنفوا قراءة بقية الاعمال كثر الهياج واللغط فاظهر نواب الحكومة الاستياء الشديد مرة أخرى فقال ثاودوريتوس ان كتبة ديوسقوروس هم علة هذا الضجيج . فأجاب البابا بهدوء « لا يوجد معي سوى كاتبين فقط وهما لا

يقويان على احداث مثل هذا السجس »

ثم سئل البابا ديوسقوروس لماذا لم تقرأ رسالة لاون في المجمع فأجاب أمرت بقراءتها مرتين . فسألوا يوبيناليوس شريكه فقال « أجلنا قراءتها حتى ننتهي من قراءة رسائل القيصر وبعد ذلك لم يطلب منا قراءتها »

وبينما كانت تقرأ الاعمال كان أساقفة الشرق يعترضون اعتراضات سقيمة فتارة ينكرون ماقالوه أو كتبوه حتى قال لهم ديوسقوروس « لقد تجاسرتم على نكران كل شيء فالافضل ان تقولوا اننا لم نكن حاضرين بالمرة » وأخرى يعترضون على البابا الاسكندري بما أمنته عليهم أهواؤهم فمن ذلك انهم أخذوا عليه قوله في مجمع أفسس « اني أفحص قوانين الآباء الذين اجتمعوا في نيقية وفي أفسس » ولما اعترض اوسابيوس على لفظة « أفحص » اجاب البابا ديوسقوروس « ان الفحص لازم لان مخلصنا قال « فتشوا الكتب » ولكن كان لكم وجه للاعتراض لو قلت أجدد »

ولما قرىء ايمان اوطاخي قال البابا ديوسقوروس « فان كان اوطاخي يذهب بخلاف مذهب البيعة فهو لا يستحق العقاب فقط بل النار ايضاً أما أنا فهمي بالايمان ولست بشأن احد من الناس بل فكري شاخص الى اللاهوت فلا أبالي بأحد ولا أهتم بأحد سوى بنفسي وبالايمان المستقيم الصحيح »

وبعد ذلك أنكر باسيليوس خطابه المحرر في دفتر الاعمال فقال رئيس المجمع « اذاً لماذا وقعت على القرار بحرم فلابيانوس » فأجاب « اني التزمت ان أطاوع ١٣٠ أسقفاً » فقال له ديوسقوروس « الآن من فمك تتبرر ومن فمك تدان لقد استحيت من الناس وأهنت الايمان خوفاً منهم »

واذ رأى الاساقفة الشرقيون ان قولهم « أجبرنا على التوقيع » يوجب عليهم شديد اللوم قالوا أخيراً « أخطأنا كلنا ونطلب الغفران » ولاجل ذلك قبلوا وانتقلوا الى الجهة الاخرى التي كان فيها الاساقفة النسطوريون فقالوا لهم « مبارك قدومكم » .

ثم سألوا البابا ديوسقوروس لماذا حكم على فلافيان بالحرم والنفي فأجاب « ان الاسباب التي بني عليها الحكم على فلافيان واضحة صريحة هي انه كان

يعتقد بوجود طبيعتين للمسيح بعد التجسد . أما أنا فلي شهادات من أقوال الآباء اثناسيوس وغريغوريوس وكيرلس تؤيد انهم كانوا يعتقدون بعدم وجود طبيعتين للمسيح بعد التجسد بل ان الكلمة المتجسدة اتخذت طبيعة واحدة فقط . فاذا كان في اعتقادي خطأ فيكون أسه من خطأ هؤلاء الآباء المحترمين الذين أقول أنا بقولهم ولا أحول عن مبدأهم . وحتى يكون المجمع على ثقة من قولي أخبره اني نقلت أقوالهم هذه بالحرف الواحد واعتنيت كثيراً في ضبطها على الاصل والتحقق من صحتها » اه

وكان نواب لاون يتذمرون من ترك الحرية لديسقوروس ليبدي أفكاره فأجابهم الرئيس «ان هذا المجمع يقتفي آثار العدل والحق في أعماله فهو يمنح حرية الافكار الصحيحة لجميع الاعضاء على السواء » وبذلك انتهت الجلسة الاولى وعينوا موعداً لانعقاده بعد خمسة أيام

غير ان اساقفة الشرق ومندوبي اسقف روميه رأوا ان السماح لديوسقوروس بالكلام في المجمع يؤول الى تبرئته ولهذا استعجلوا فطلبوا عقد المجمع بعد ثلاثة أيام بدل خمسة وجعلوا حضور المجمع قاصراً على أساقفة الشرق وبعض أساقفة الغرب ومنعوا أساقفة مصر ومندوبي الحكومة وديوسقوروس بل وضعوا على باب بيته حراساً حتى لا يتمكن من الخروج . ولما حاول الخروج ليحضر المجمع منعه الحراس باسنة رماحهم

وفي تلك الجلسة بل المؤامرة التي تشابه من كل الوجوه مؤامرة كهنة اليهود على المخلص استحضر النسطوريون شهوداً زوراً قدموا عرائض يطعنون بها عرض البابا ديوسقوروس بما طعن به الاريوسيون البابا اثناسيوس الرسولي قبله ثم وضع المجمع حكمه بتجريده من رتبته بدون ان يؤتى به ليدافع عن نفسه واعلن بالحكم حالا وأرسل الحكم الى القيصر وزوجته وأساقفة مصر الموجودين بخلكيدون وكل ذلك جرى بغاية الاستعجال الامر الذي جعل مندوبي الحكومة يحتجون ويطلبون سحب الحكم ولكن بدون جدوى . فحري بالمؤرخين اذاً ان يطلقوا على هذا المجمع لقب « اللصي » فالحقيقة تؤيده عليه وتنفيه عن مجمع افسس الثاني

غير ان مقاومى البابا الاسكندري رأوا فيما بعد ان حكمهم باطل وغير معتبر شرعاً لعدم قيامه على أسباب قانونية توجب عزل خصمهم وكادان يذهب صرخة في واد بالنسبة لمعارضة مندوبي الحكومة له فجددوا النظر في قضية البابا ديوسقوروس وطلبوه للحضور ولكنه لما علم ان مندوبي الحكومة انسحبوا من المجمع امتنع وقال لمن دعوه «اني قصدت مراراً الذهاب الى المجمع فمنعني الحراس الواقفون على باب منزلي» وكان سبب امتناع البابا عن حضور ذلك المجمع علمه بسوء نية اعضائه وشر ماعزموا عليه وهذا مافهمه ممن أرسلوا اليه ليدعوه الى المجمع

أما المجمع فأيد الحكم على البابا ديوسقوروس وكان من بين أعضائه من لايريد الحكم عليه ولكنهم اضطروا خوفاً من بطش القيصر . ولما اطلع البابا على قرار عقيدتهم وطلب منه توقيعه قرأه امام بعض أساقفته فملقوا عليه حاشية من اربعة أركان الورقة المكتوب فيها تفيد حرم هذه العقيدة ومن يتمسك بها

ولما بلغ مركيان رفض ديوسقوروس التوقيع على قرار المجمع هو وأساقفته هم بقتله فأشير عليه باحضاره امامه فأمر به فحضر وأومأ الى ديوسقوروس ان يذعن لرأي القيصر ليستمر في مركزه فقال ديوسقوروس «ان القيصر لايلزمه البحث في هذه الامور الدقيقة بل ينبغي له ان يشتغل بأمور مملكته وتدبيرها ويدع الكهنة يبحثون عن الامانة المستقيمة فانهم يعرفون الكتب وخير له ان لايميل مع الهوى ولا يتبع غير الحق» فقالت بولكاريا زوجة القيصر وكانت جالسة بأزائه «يادسقوروس قد كان في زمان آبي انسان قوي الرأي مثلك فحرم ونفي من كرسيه (تعني به يوحنا فم الذهب) فقال لها «نعم وقد علمت ماجرى لامك وكيف ابتليت بالمرض الذي تعرفينه الى ان مضت الى جسد القديس يوحنا واستغفرت فعوفيت» فحنقت بولكاريا من قوله ولكمته فانقلع له ضرسان بالنسبة لشيخوخته وتناولته أيدي الرجال فنتفوا أكثر لحيته فأخذ ضرسيه وشعره وأرسلهما لابنائه في مصر قائلا لهم «هذا ثمر جهادي»

حينئذ أصدر القيصر أمراً بنفيه الى غاغرا (١) وذهب يقوده الجند الى منفاه وهم يعاملونه بقساوة كلص قاتل وكان مرافقاً له من اكليروسه القديس مكاريوس

---

(١) هي جزيرة بفلاغونيا من آسيا الصغرى

اسقف اتكو والقس بطرس والشماس ثاويسطس كاتب سيرته وتوجه الى محل نفيه فمر بيت المقدس وفلسطين وعرفهم ايمانه فتبعوه وقالوا بقوله وقدم عدة اساقفة على أمانته . وبعد نفيه حاول اعضاء المجمع ان يجبروا اساقفته على التوقيع على قرارهم ولكنهم ابوا بتة ولما وعدوهم بحمايتهم من المصريين اذاهم وقعوا رفضوا اطاعتهم وهكذا انفض هذا المجمع بعد ان شق كنيسة المسيح

اما خصوم البابا الاسكندرى فلما رأوا ان السماء والارض تعلنان ظلمهم له ادعوا زوراً وبهتاناً بانهم حرموه ونفوه لانه شريك اوطاخي وتلك تهمة كاذبة فالكنيسة القبطية تشجب اوطاخي وتعتبره هرطوقياً والفرق ظاهر بين اعتقادات اوطاخي واعترافات وأقوال البابا ديوسقوروس التي صرح بها في بهرة المجمع منكراً فيها الامتزاج والاختلاط والاستحالة بكل صراحة ورفض أوطاخي ما دام حائداً عن استقامة الايمان العام . وتبعته في ذلك الكنائس التي تعتبره كالكنيسة القبطية والسريانية وغيرها . وقد كتب وهو في منفاه رسالة ضد اوطاخي الى شخص اسمه ابريطن مسجلة ضمن كتاب « اعترافات الآباء » يقول فيها « يجب علينا ان نقلع ونخرج عن كل من يقول ان الله الكلمة تألم بلاهوته أو مات واما نحن فما نؤمن هكذا بل ان الله الكلمة صار جسداً بحق وبقي بلا ألم ولا موت بالجملة بلاهوته . لكن قوماً يظنون ويقولون اننا اذا قلنا ان المسيح تألم بالجسد لا باللاهوت نوجد في هذا القول موافقين لمجمع خلكيدون ونحن نجيبهم ونقول « اذا كان أهل مجمع خلكيدون يعترفون ان الله الكلمة تألم بالجسد لا باللاهوت فانا نوافقهم » ثم يختم البابا ديوسقوروس كلامه بطبيعة واحدة للأقنوم الواحد الذي هو الابن الواحد المتجسد مستشهداً باثناسيوس كما تقدم وبكيراس » اهـ

واذا اعترض الغربيون بقبول ديوسقوروس لاوطاخي في مجمع افسس الثاني فنقول ان ذلك لا يؤخذ دليلا على اشتراكه معه في الهرطقة وذلك لان اعتراف اوطاخي كان في ظاهره مستقيماً موافقاً لايمان المجامع السابقة ولم يكن حجاب هرطقته مكشوفاً بعد . وعندما ظهرت حقيقة معتقد اوطاخي رفضه البابا الاسكندري ورفض القول بتغير وتألم اللاهوت ورفض آراء ابوليناريوس بانكار النفس

الناطقة ورفض التعليم بالاختلاط والامتزاج والاستحالة خلافاً لاوطاخي ولم يكن يقع شيء يؤثر على وحدة الكنيسة لولا سوء تصرف نواب رومية

واستمر البابا ديوسقوروس في منفاه حتى توفى في أول توت سنة ١٩٥ ش و ٤٥٧ م بعد ان قضى فيه نحو اربع أو خمس سنين يعانى آلاماً شديدة من سكان ذلك المكان القساة بصبر تام كما كان قد سبق واحتمل بكل اناة وسكون تلك الاهانات المرة التي اهانه بها انصار مجمع خلكيدون في القسطنطينية وسلك بغاية الحكمة والرصانة ولم يرد بكلمة واحدة على اولئك السفلة الذين كانوا يشتمونه ويحتقرونه اثناء مروره بالشوارع

وروى ان البابا ديوسقوروس ومن كان معه من الاساقفة المصريين شرعوا في منفاهم ينشرون نور الانجيل ويبشرون أهل ذلك المكان حتى تمكنوا من ان ينصروا كثيرين منهم وقد أظهر الله على أيديهم آيات وعجائب

وحدث ان تاجراً مصرياً زار البابا ديوسقوروس في منفاه فتألم لما شاهد ما وصل اليه من الاحتقار فذكره البابا بما أصاب الرب يسوع من الهوان وأعطى التاجر تلميذ البطريرك قطعة ذهبية ذات قيمة لينفق منها على معلمه ووعد ان يرسل غيرها فلما علم البابا ديوسقوروس بذلك قطع القطعة ووزعها على فقراء المكان ضد رغبة تلميذه . ومما أجراه هناك من المعجزات ان اعسم طلب منه بحرارة ان يسمح له بنقطة دم يمسح بها نفسه فشرط له القديس جزءاً من جسمه وأعطاه من دمه ما ادهن به وصلى عليه ففاز بالشفاء الكلي وارتفع شأن البطريرك الاسكندري في عيون أهل منفاه بعد ان كانوا يعاملونه بقساوة وأصبح موضوع احترامهم واكرامهم

وقال الانبا ساورس المؤرخ « وقد استمر ديوسقوروس بجزيرة غاغرا حتى أخذ اكليل الشهادة من مركيان الملك » اه ولعله يقصد انه مات من شدة ما لاقى من الصعوبات من ذلك الملك . فناحت الكنيسة المصرية على رئيسها واستمرت محافظة على الايمان الذي قضى حياته في الدفاع عنه . ومع ان الحكومة حاولت ان تقيم للمصريين بطريركا خلافه الا انهم رفضوا مطلقاً الاشتراك مع الهراطقة واشتركت الكنيسة الحبشية مع أمها الكنيسة القبطية في رفض قرارات مجمع

خلكيدون وابت الاعتراف بسلطة البطاركة الاروام الذين كان القيصر يعينهم على الكرسي .

فليقل لنا البابويون . من كان يعترف بسلطان اسقفهم العام على الكنيسة حينئذ . ولماذا لم يخضع البابا ديوسقوروس له اذا كان يعرفه رئيساً له واذا كان البابا ديوسقوروس عاصياً فكيف نرى شعباً باجمعه يطيعه وهو الرئيس الاصغر ويعاند الرئيس العام عليهم أي اسقف رومية . فلا يستطيع ان يسلم من له قليل من العقل انه لم يكن يوجد في تلك الامة التي كان عددها حينئذ يربو عن العشرة الملايين ولو مليونٌ واحدٌ مستنيراً يعرف ان اسقف رومية هو رئيس الكنيسة الاعظم فيخضع له ويسلم برأيه .

اما الذين سلموا في مصر برأي مجمع خلكيدون فلم يكن بينهم مصري وطني واحد ولكن جميعهم كانوا من الفئة اليونانية القاطنة بمصر وهي الفئة التي كانت تروج بهذه البلاد كل بدعة يبعثها الينا الغرب ولا ريب ان الطائفة الاريوسية التي شغلت الكنيسة المصرية مثلا كانت بالضرورة يونانية بينما ان الشعب الارثوذكسي الذي كان يسميه اعداؤه بالسابليين أو فيما بعد بالاوطاخيين كان بالضرورة وطنياً وهذه الطائفة الوطنية الارثوذكسية او ان شئت قل المصرية كانت تشمل تلك الهيئة العظيمة نعني بها هيئة المتعبدين والرهبان وهؤلاء كانوا اقباطاً صميمين كما يتبين جلياً من اسمائهم ومن جهلهم اللغة اليونانية وكانت تشمل ايضاً الجزء الاكبر من مسيحيي الاسكندرية . ونفس الهيئة اليونانية بمصر هي التي كدرت سلام كنيستنا بالتسليم برأي المجمع الخلكيدوني وصار الاقباط من تلك الساعة يلقبون اتباع ذلك المجمع بالسنوديين (أي المجمعيين) او الامبراطوريين احتقاراً لهم كما اختصت الكنيسة المصرية نفسها وكنائس سوريا التي على مذهبها بلقب « الارثوذكسية » اي ذوات الرأي المستقيم

ومع ان اسقف رومية تمكن بواسطة مجمع خلكيدون من سحق خصمه العنيد ديوسقوروس الا انه لم يكن راضياً تمام الرضا على ذلك المجمع وذلك لانه لم يتحصل على غايته القصوى التي كان يسعى اليها وهي التصديق من الامبراطورة أو المجمع بأولوية الكرسي الروماني واعطائه الرئاسة على باقي

الـكراسى فضلا عن ان المجمع قرر في المادة الثامنة والعشرين تجريد كرسي رومية من هذه الدعاوى الفارغة وبان لاحق له في الاسبقية على الـكنائس الشرقية . وقد اغتاظ لاون لانه كان يقصد ادخال هذه العبارة في القرار الذى صدر بحرمان ديوسقوروس وهى « نحن نواب بابا رومية رئيس الـكنيسة الجامعة نحرم ديوسقوروس بمصادقة المجمع » الا ان المجمع (ويظهر انهم نواب الحكومة في ذلك المجمع) رفض هذه الجملة واكتفى بالثانية وهى (رئيس اساقفة رومية العظمى) ونفس بروتيريوس الذى عينه المجمع الخلـكيدوني بطريركاً لمصر بدل ديوسقوروس مع انه صافى لاون وصادقه الا انه لم يتنازل له عن أولوية الـكنيسة القبطية في اصدار رسائل عيد الفصح التى كان يكتبها بطاركة مصر على الدوام

(٣) تيموثاوس ٢ ـ البطريرك السادس والعشرون . لم يكن أوقع حزناً في نفس المصريين نظير الخبر الذى انبأهم بان رئيسهم ديوسقوروس قد عزل بدون حق شرعى فأخذ منهم الغيظ كل مأخذ واستمروا معتبرين اياه الرئيس الوحيد وبسبب ذلك اشتعلت نيران البغضاء بين المصريين وبين الرومانيين المقيمين في مصر

ولما نفى القيصر البابا ديوسقوروس ارسل مندوباً من قبله بصحبة اربعة اساقفة لانتخاب بطريرك جديد للمصريين فهاج لذلك سخط المصريين عامة وعارضوا شديد المعارضة في اقامة خلف لبطريركهم طالما كان حياً . غير ان القوة تغلبت وأقام الحزب الروماني شخصاً يدعى بروتيريوس بصفة بطريرك على الاسكندرية . وكان هذا الرجل موضع ثقة البابا ديوسقوروس حتى عهد اليه بادارة الـكنائس اثناء غيابه الا انه لم يراع الامانة وصادق على اعمال مجمع خلـكيدون وعلى رسالة لاون علناً لينال عطف منتخبيه الأروام

ولما قضي الأمر برسامة بروتيريوس قامت قيامة الامة المصرية واشتد هياجها ضد ذلك الخائن المنافق حتى اضطرت الحـكومة لأن ترسل جنوداً من قبلها لأخضاع هذا الشعب الثائر . ولـكن المصريين قاوموا تلك القوة باستبسال

حتى هزموها فغضب الوالي وعول على الانتقام منهم فقطع جراية الخبز التي كانت تصرف للتكايا والمساطب وقفل الحمامات العمومية ومنع المجتمعات . ثم ارسل يطلب قوة أخرى من الامبراطورة فأمدته بالفي رجل ولكنهم لم يقووا على قمع الثورة حتى اضطر الوالي اخيراً ان يعقد صلحاً شروطه ابطال كل الاوامر السابقة التي اصدرها ضد المصريين مع استمرارهم على عدم اعتبار الرجل الذي عينته الامبراطورة بطريركاً بدون رضاهم . وكانوا قد عقدوا مجمعاً عظيماً حرموه فيه لموافقته الخلكيدونيين ولقبوله مركز بطريرك لا يزال حياً

اما بروتيريوس الذي كان عارفاً بشدة كراهة الشعب له لم يكن ينتقل من مكان الى آخر الا بحراسة بعض العساكر . ولما رأى هذه القوة طوع أمره أخذ يسطو على الكنائس والأديرة ويسلبها وينهب مالها حتى جمع ثروة وافرة جعلته مطمح انظار اللصوص . فسطوا على منزله في احدى الليالي وقتلوه وسلبوا كل ما وصلت اليه ايديهم . وقيل انه لما شاع الخبر جاء بعض الرعاع وسحبوا جثته وطافوا بها في شوارع المدينة وبعد ان مثلوا بها أشنع تمثيل حملوها الى الملعب الذي بناه بطليموس وطرحوها للنار المضطرمة فالتهمتها

ولا ريب ان ما وقع ببروتيريوس هذا كان عقاباً من الله لما أتاه من الفظائع ومنها قتل القديس مكاريوس اسقف ادكو كما سيأتي في تاريخ هذا البار

غير ان الاساقفة الارثوذكسيين استمروا بدون بطريرك في حياة البابا ديوسقوروس ثم بلغهم خبر نياحته فبكوه بحرقة واستدعوا تيموثاوس ويلقب بايلورس من منفاه الى الاسكندرية وكان متأصلا أي من القائلين بوحدة المسيح الطبيعية وكان مركيان القيصر المحامي عن مجمع خلكيدون قد مات وتولى عوضاً عنه لاون التراكي . فانتهز الاساقفة تلك الفرصة وأسرعوا في تنصيب تيموثاوس على كرسي البطريركية في بابه سنة ١٩٥ ش و٤٥٧م في عهد ذلك القيصر وهذا البابا قال عنه يوحنا النيقاوي المؤرخ « انه عاش عيشة صالحة بينما كان راهباً في دير القلمون بمديرية الفيوم الى أن تعين قساً في كنيسة الاسكندرية ثم خلف ديوسقوروس بعد وفاته وهو مثال التقوى والدين »

وكان والي الاسكندرية متغيباً عنها أثناء انتخاب هذا البطريرك فساءه اجراء

الانتخاب بدون اذنه وشرع في نفيه من الاسكندرية لولا ما عرفه في الشعب من احترام رؤسائه الارثوذكسيين . أما البابا تيموثاوس فاستمر مجاهداً ضد أنصار المجمع الخلكيدوني الذين هددوا سلامة الكنيسة فحرم جميع الكهنة الذين تبعوا بروتيريوس وأصروا على التمسك بمبادئه وعقد مجمعاً حكم فيه بحرم المجمع الخلكيدوني ورسالة لاون وتبرأ من كل شركة مع كنائس رومية وانطاكية والقسطنطينية التي كانت في بدء الامر ارثوذكسية ولكنها انحازت فيما بعد للخلكيدونيين بتأثير القيصر وامرأته

فرفع أولئك الكهنة المحرومون وعددهم ١٤ من مائة اسقف أو اكثر شكواهم الى القيصر والى بطريرك القسطنطينية . وأرسل أيضاً البابا تيموثاوس وفداً من الاساقفة والقسوس بكتاب الى القيصر وعضد هذا الوفد جماعة قوية الشوكة ظهرت في القسطنطينية لمقاومة المجمع الخلكيدوني وابطال قراراته . ومع ان القيصر كان من أنصار مجمع خلكيدون ولكنه لم ير بداً من الامر بطلب جميع رؤساء الديانة في المملكة بأسرها لعقد مجمع عام تفحص فيه أعمال مجمع خلكيدون عما اذا كانت صحيحة أو باطلة. ويقول المؤرخون ان معظم الاساقفة اضطروا أن يراعوا خاطر القيصر ويؤيدوا معتقده فأقروا بصحة قرارات مجمع خلكيدون الا اسقفين فقط اشتركا مع تيموثاوس البابا الاسكندري في اعتبارها باطلة

ومع ذلك لم يجسر القيصر ان يمد يده بسوء الى البطريرك الاسكندرى خوفاً من هياج المصريين عليه . وكادت الامور تهدأ لولا ان اسقف رومية استمر في طغيانه وأقنع الامبراطور بضرورة نفي بابا الاسكندرية . فصدر الامر لوالي الاسكندرية بذلك فأسرع هذا بسرور ونفى تيموثاوس وأخاه اناطوليوس الى غاغرا سنة ٤٦٠ م

وبعد نفي هذا البابا انتخب الملكيون (١) رجلا يدعى تيموثاوس كان يلقب

---

(١) سمي انصار مجمع خلكيدون بالملكيين لانهم كانوا على رأي الملك أو الامبراطور الروماني في الديانة لان جل الملوك الرومانيين بعد هذا التاريخ كانوا من اقوى انصار الخلكيدونيين ومن اشد اعداء الارثوذكسيين . ودعي الارثوذكسيون بالمتأصلين اي الذين لم يغيروا معتقدهم

« صاحب القلنسوة البيضاء » قيل انه كان ذا صفات حسنة استمال بها قلوب الشعب اليه مع انهم كانوا يعتبرونه دخيلا ولكنه كان يذكر فى القداس اسم البابا ديوسقوروس الامر الذى أساء اسقف رومية والامبراطور وسر منه الارثوذكسيون الذين كانوا يقابلونه بالتحية قائلين « اننا وان لم نقر على انتخابك فاننا نحبك للغاية » وقيل انه لما رجع تيموثاوس الارثوذكسى من النفى الى كرسيه مرة ثانية رجع تيموثاوس الملكى الى ديره بدون أن يقاوم أقل مقاومة

واستمر البابا تيموثاوس الارثوذكسى منفياً مدة سبع سنوات حتى آل الملك الى باسيليكوس الارثوذكسى فالتمس منه قويو الرأي ان يعيد بطريركهم من منفاه فأمر بعودته ورجع البابا تيموثاوس الى مقره وحال وصوله الى الاسكندرية عقد مجمعاً سنة ٤٦٨ م بلغ عدد أعضائه ٥٠٠ من الاساقفة حكم فيه ثانية برفض مجمع خلكيدون وأقر على التعليم بوحدة المسيح الطبيعية ورفع قراره الى القيصر فقبل القرار وأصدر منشوراً ضد المجمع الخلكيدوني ورسالة لاون قبلته كل الكنائس الرسولية وصار مذهب الطبيعة الواحدة الديانة الاولى فى المملكة عموماً . واستمر البابا تيموثاوس فى جهاده حتى توفى في ٧ مسرى سنة ٢١٨ ش و ٤٧٧ م

(٤) بطرس ٣ — البطريرك السابع والعشرون . ويلقب « ببطرس منغوس »

كان قبل رسامته قساً وربما كان تلميذاً للبابا ديوسقوروس وكان صديقاً لسلفه البابا تيموثاوس أقيم بطريركا في توت سنة ٢١٩ ش و ٤٧٧ م في عهد زينون قيصر . ولم يكد يعتلى الكرسى البطريركى حتى عقد مجمعاً بالاسكندرية حرم فيه مجمع خلكيدون ورسالة لاون . وكان القيصر الارثوذكسى باسيليكوس قد نزل عن الكرسي ورجع اليه زينون الخلكيدوني وكان هذا مغتاظاً على البابا بطرس لانه عين بطريركا بدون تصريح منه فاتخذ عقده لهذا المجمع وسيلة لاضطهاده فأمر بنفيه ورجوع تيموثاوس صاحب القلنسوة البيضاء الا ان البابا بطرس لم يفارق الاسكندرية بل لبث مختفياً فيها مدة خمس سنوات

ومنعاً للقلاقل فكر تيموثاوس هذا ان يعين قاعدة يجرى بموجبها انتخاب

البطاركة بالاسكندرية فتألف وفد يرأسه رجل يدعى يوحنا التلاوي (نسبة الى تلامنوفية) وسار لمقابلة القيصر يرجوه ان يترك الحرية للاقباط فى انتخاب بطاركتهم . فظن القيصر ان يوحنا رئيس الوفد يسعى في الحصول على البطريركية ضد رغبته فحلف يوحنا امامه بانه لا يبغي ذلك ولهذا اجاب القيصر طلب الوفد. غير انه بعد موت تيموثاوس سنة ٤٨٢ م رشح يوحنا نفسه لمركز البطريركية وأرسل يعلن جميع الاساقفة بانتخابه . وممن اخطرهم بذلك اسقف رومية والقيصر وبطريرك القسطنطينية . فوصلت رسالة اسقف رومية في ميعادها وتأخرت رسالة القيصر وبطريرك القسطنطينية . فحقد القيصر عليه لمكاتبته اسقف رومية قبله وتذكر وعده بعدم قبول البطريركية . فارسل القيصر الى اسقف رومية يعلمه بانه غير راض على انتخاب يوحنا لبطريركية الاسكندرية لان ذلك يدعو الى ازدياد الاضطرابات وانه عازم على اعادة بطرس بطريركها الحقيقي . وكان اسقف روميـة قد انتفخ بالرسالة التى ارسلها اليه يوحنا وتوهم ان له حق الرئاسة في انتخاب باباوات الاسكندرية ولذلك جاوب القيصر بانه راض عن يوحنا لا بطرس

فاستخف القيصر باوهامه الفارغة وطرح خطابه في سلة المهملات وأمر بنفى يوحنا وبرد البابا بطرس من منفاه . أما يوحنا فلم يرجع الى مصر بعد نفيه مع انه رفع دعواه الى اناستاسيوس خليفة زينون لوجود معرفة قديمة العهد بينهما ظنها تنفعه ولـكن القيصر أعرض عنه واكتفى بتعيينه اسقفاً في احدى الابروشيات

وبعد رجوع البابا بطرس من منفاه تلقى رسـالة من اكاكيوس بطريرك القسطنطينية يرجوه فيها ان يقبله في امانته . وكان اكاكيوس من انصار مجمع خلـكيدون ولـكنه ندم فيما بعد واراد ان ينضم للارثوذكسيين وذلك انه بينما كان البابا بطرس هارباً من امام الخلـكيدونيين ومعه الانجيل المقدس قابله الشماس يوليانوس الاسكندرى الذى كان بالقسطنطينية وقال له : —

« انى لما كنت فى القسطنطينية أرسل الي اكاكيوس شماسـاً يدعونى الى المـكان الذى كان يبيت فيه فلما سرت اليه قال لي ايها الشماس يوليانوس هل انت مزمع ان تشترك معى فى الصلاة أم لا فاجبته قائلا لا . لان ذلك من المستحيل فانه لا توجد هنا الارثوذكسيه يعني لا تصل . ثم امرنى أن أجلس و كنا كلانا

منفردين في ذلك المكان ولما حمل الانجيل قال لى هكذا انطلق الى الاسكندرية وفتش على الانبا بطرس وأحلف له كما حلفت لك انا الآن بقولي وحق الكتب المقدسة اني ارغب من كل نفسي ان اتوب واطرح عني هرطقة مجمع خلكيدون الدنسة فانى بينما كان المغبوط تيموثاوس موجوداً في هذه المدينة بمنزل (باسيليكوس) ارسلت نحوه شماسي (كريزاريون) وبيده كتابي المخطوط بيدي وفيه تبت وحرمت مجمع خلكيدون وطومس لاون والاوطاخيين وكل هرطقة غير ان ثيوكتيستيس الوالي المتنق مذهب اوطاخي المعترف بتعليم باطل لما وجد الشماس في الساحة اخذ من يده الكتاب وقرأه ووجد انى قد حرمت فيه أوطاخي فضرب الشماس وطرده ومزق الكتاب ولم يكن ليعلم بذلك تيموثاوس المغبوط لانه كان ساكناً في الدور الاعلى . وقد كنت ظننت ان الشماس طرد بايعاز الطوباني تيموثاوس وبما ان الحزن استولى علي بسبب ضرب شماسي لبثت لأبدى ادنى حركة خائفاً على تكدير سلام تلك الايام وحيث اني الآن أخشى أن تدركنى ساعة الموت ويحل بى قضاء الله أطلب وانا مستعد ان افعل كل ما يريح فؤادك وانى لمتندم وتائب وحارم لكل هرطقة » (١)

ثم طلب البطريرك اكاكيوس من الشماس يوليانوس المذكور ان يحمل اليه رسالة للبابا ويتوسط عنده ليقبله ومن ثم تبادلت بين البابا بطرس واكاكيوس جملة رسائل حتى تحقق البطريرك الاسكندري صدق توبة البطريرك القسطنطيني واتفقا معاً على الاتحاد ووعد اكاكيوس باقناع الملك برفض مجمع خلكيدون وارسل البابا بطرس بعض شيوخ الرهبان الاتقياء الى القسطنطينية ليحضروا المجمع الذي عقد فيها سنة ٤٨١ م لاجراء مراسيم الاتحاد ووضع مندوبو الكنيسة منشوراً مشهوراً باسم « هيوتيكن » اي « كتاب الاتحاد » وحكم فيه على تعاليم اريوس ونسطور واوطاخي معاً واثبتت بنود كيرلس وايدت مجامع نيقية والقسطنطينية وافسس ورفض طومس لاون ومجمع خلكيدون . ورفع المنشور الى الملك فصادق عليه وامر بتنفيذه وارسل الى جميع الاساقفة والقسوس والرهبان والعلمانيين في الاسكندرية ومصر وليبية والخمس المدن الغربيه

---

(١) حسن السلوك في تاريخ البطاركة والملوك ج ١٦١:١

ثم تبادلت رسائل اخرى في امر هذا المنشور بين البابا بطرس واكاكيوس حتى اتفقا عليه وبناء على ذلك قبل رؤساء الطبيعة الواحدة التوقيع على « كتاب الاتحاد » فامضاها البابا بطرس منغوس بطريرك الاسكندرية وبطرس القصار اسقف انطاكية . وأمضى عليها من رؤساء أنصار مجمع خلكيدون اكاكيوس اسقف القسطنطينية وكاد المشروع يتم لولا ان بعض اساقفة مصر ومنهم يعقوب اسقف صا ومينا اسقف منية طامة لما شعروا بأن بطريركهم اتحد مع اكاكيوس بطريرك القسطنطينيه الذى كان معروفاً عندهم بالتحزب لمجمع خلكيدون ولطومس لاون ظنوا ان بطريركهم بقبوله التوقيع على « كتاب الاتحاد » وافق انصار مجمع خلكيدون وطومس لاون فانفصلوا عن شركته غير ان البطريرك تلافى الخطر وأرسل فاستدعى الى الاسكندرية جميع الاساقفة وعقد مجمعاً اطلعهم فيه على ما دار بينه وبين بطريرك القسطنطينية من الرسائل وقرأ لهم « كتاب الاتحاد » فاقتنع جميعهم سوى بعض المتحزبين الذين لبثوا مصرين على عنادهم وأطلق عليهم لقب (الاسيفاليين) « اى الذين بلا رأس » لانهم حرموا من رأسهم أو قائدهم

ثم ان اسقف رومية الذى كان مبدأه ومبدأ اسلافه وخلفائه ان يزيدوا الشقاق استحكاماً في الكنيسة المصرية وان يوجدوا شقاقاً آخر بين كنائس الشرق والغرب جرياً وراء مآربهم الشخصية فلهذا قاوم مشروع الاتحاد لا لسبب الا لأنه لم يخرج من تحت يد جنابه . كما ان بعض المتحزبين من انصار مجمع خلكيدون كتبوا رسالة لأكاكيوس يلومونه فيها على اشتراكه مع منغوس . فلم يكترث اكاكيوس لكتاباتهم بل اقنع كثيرين منهم على موافقة كتاب الاتحاد . وبعضهم لم يوافق وأرسل واحد منهم يدعى كيرلس وهو رئيس دير الذين لا ينامون الى اسقف رومية يستنجد به فارسل اسقف رومية لسفيريه بالقسطنطينية ان لا يعملا شيئاً بلا اتفاق مع كيرلس . وعوضاً عن ان يخاطب رؤساء الديانة في الامر كتب للقيصر طالباً نفى منغوس واعادة يوحنا التلاوى وسحب كتاب الاتحاد وارسال اكاكيوس الى رومية ليعتذر عن نفسه . فرد عليه القيصر بان يوحنا نفى لحنثه في القسم وان منغوس صحيح الايمان . واستأ

اكاكيوس من كتابات اسقف رومية التي تدل على كبرياء متناهية وأصر على الأشتراك مع البابا بطرس . فعقد اسقف رومية مجمعاً حرم فيه البابا بطرس واكاكيوس . ولما بلغهما الخبر عقد كل منهما في عاصمة بطريركيته مجمعاً حرم فيه اعمال مجمع خلكيدون ورسالة لاون

ثم توفى اكاكيوس وجاء بعده افراويطاوس ولم تطل حياته نخلفه اوفيميوس فأرسل اليه البابا بطرس خطاباً عن رسائل سلفه افراويطاوس يحرم فيه المجمع الرابع وكان اوفيميوس هذا على مذهب الملكيين فقطع الملاقات الارثوذكسية مع البابا بطرس . والذين اتحدوا مع باباوات الاسكندرية جهاراً من بطاركة القسطنطينية هم افراويطاوس سنة ٤٩١ م وتيموثاوس ١ سنة ٥١١ م وانتيموس سنة ٥٣٥ م وسرجيوس سنة ٦٠٨ م وبيروس سنة ٦٣٩ م وبولس سنة ٦٤٣ م وبطرس سنة ٦٥٢ م وتوما سنة ٦٥٦ م وثيوذوروس سنة ٦٦٦ م ويوحنا سنة ٧١٢ م . واستمر هذا البابا على كرسيه مدة ثمان سنوات وثلاثة أشهر ثم لحق بآبائه في ٢ هاتور سنة ٢٢٥ ش واكتوبر سنة ٤٩٠ م

(٥) اثناسيوس ٢ — البطريرك الثامن والعشرون . ولما تنيح البابا

بطرس قدم للكرسي الاسكندري اثناسيوس في شهر كيهك سنة ٢٢٥ ش و٤٩٠ م في عهد زينون قيصر انتخبه الشعب والاكليروس باجماع الآراء وكان كاهناً في بيعة الاسكندرية ووكيلا لكنائسها مشهوراً بصلاحه واستقامة ايمانه . ويلقب بالصغير تمييزاً له من البابا اثناسيوس الرسولي الملقب « بالكبير ». ولم يكن في ايام هذا البطريرك في الاسكندرية بطريرك آخر سواه وخضعت ابروشيات القطر المصري باجمعها له وذلك لان الكنائس الرسولية باجمعها رفضت اعتبار مجمع خلكيدون وحرمت رسالة لاون

وقد صرف هذا البطريرك همته مشتركا مع القيصر اناستاسيوس في اعادة السلام الى الشرق عموماً ومصر خصوصاً . وكانت رغبة القيصر لن لا تقوم المنافسات الدينية مرة أخرى بل ينبغي ان تترك الحرية لكل انسان في اختيار أي مذهب أو دين يعتقد به . ولما رأى بعض الاساقفة ميالين للبحث والجدال

عزم على تغييرهم كي لا يكدروا صفو جو الكنيسة مرة أخرى . وبذلك ساد روح السلام على الكنائس بأسرها الا الكنيسة الكاثوليكية التي لم يكف رؤساؤها المحترمون عن معاكسة كل من لا يوافقهم على اعتبار مجمع خلكيدون . وما أحسن قول بعضهم في ذلك « انهم (اساقفة رومية) لم يكفهم مقاومة الأحياء بل كانوا يجتهدون في معاكسة أناس انتقلوا الى الدار الأخرى فكانوا يطلبون بالحاح شطب اسم ديوسقوروس بابا الاسكندرية واكاكيوس بطريرك القسطنطينية من بين اسماء الاساقفة . بينما كان هذان في دار لا رئيس فيها الا الله وحده والتي يقول كل مسيحي حقيقي انه لا يحب البقاء فيها اذا صح ان حضرات اساقفة رومية وكلاء بطرس هم المفوضون فيها » اه

ولم يظهر من الارثوذكسيين الذين اتحدوا مع الكنيسة القبطية أقل تحزب حتى انه لما توفى اكاكيوس بطريرك الاسكندرية وخلفه افراويطاوس نسج على منواله متبعاً « كتاب الاتحاد » رافضاً مجمع خلكيدون . غير ان اوفيميوس الذي خلف افراويطاوس كما سبق طرد الارثوذكسيين فغضب عليه القيصر وعقد مجمعاً حكم عليه فيه بالنفي وأقام بدله مكدونيوس

واقام البابا اثناسيوس الثاني على الكرسي المرقسي نحو سبع سنين كانت كلها خالية من الاضطراب وكانت الكنيسة سالمة من كل اضطهاد وتوفى في ٢٠ توت سنة ٢٢٩ ش و٤٩٧ م

(٦) يوحنا ١ــ البطريرك التاسع والعشرون . كان يلقب « بالراهب »

رسم بطريركاً في باؤونه سنة ٢٢٩ ش و٤٩٧ م في عهد لاون قيصر لاشتهاره بالحكمة والتعقل اللذين عرف بهما سلفه . فسلك مسلك من تقدمه من الآباء القديسين وكانت البيعة والشعب في ايامه في أمن وسلام .

ولما توفى زينون وقام مكانه انستاسيوس البار رأى ان مكدونيوس بطريرك القسطنطينية قد قطع العلاقة مع الكنيسة الاسكندرية واثبت أعمال مجمع خلكيدون وأخذ يكاتب اسقف رومية فأخذ القيصر يقنع مكدونيوس بان يحرم المجمع الرابع فأبى . ولذلك عقد القيصر مجمعاً بالقسطنطينية سنة ٥١١ م

حكم فيه بازاله عن كرسيه ونفيه وأقيم عوضاً عنه رجل فاضل يدعى تيموثاوس وحال ارتقائه عقد مجمعاً أيد فيه الامانة الارثوذكسية وحرم مكدونيوس وارسل اليه الحرم مع سفارة وكان الخلكيدونيون يرفضون التسبيحات الثلاثة وهى « قدوس الله قدوس القوي الخ » لان بها القول « يا من صلبت عنا » وكان مكدونيوس قد أبطلها من كنيسة القسطنطينية فاعاد القيصر ترتيلها ثم حرم المجمع الخلكيدوني وعقد وفاقاً مع يوحنا بابا الاسكندرية وساويرس بطريرك انطاكية الذي خلف بطرس القصار

واستمرت البلاد المصرية في عهد البابا يوحنا في أمن وطمأنينة دون كل المملكة الرومانية التي كانت في قلاقل مستمرة . ويلاحظ ان القلاقل لم تكن لتنشأ في مصر لولا تداخل اسقف رومية في شؤونها فكانت وظيفته كوظيفة من يحرك النار اذا هدأت لكي يزداد اضطرامها . وفي هذا الوقت كانت يد هذا المدعى أقصر من ان تمتد الى الكنيسة المصرية فساد فيها روح السلام . غير انها تكدرت أخيراً بسبب داء عياء أصاب كثيرين من الأهالي . ثم تنيح البابا يوحنا في الرابع من بشنس سنة ٢٣٤ ش و٥٠٧ م بعد ان أقام على الكرسي نحو تسع سنوات

ooooooooo

القسم الثانى

مشاهير الكنيسة

(١) شنوده (٢) ايسيذوروس (٣) مكاريوس

ooooooooo

(١) شنوده . ولد هذا الانبا (١) ببلدة شندويل (٢) من ابوين مثريين كانا

---

(١) انبا كلمة دخيلة على اللغة العربية ومعناها سيد وباضافة الالف واللام اليها هكذا الانبا يعني السيد (٢) بجوار اخميم بمديرية جرجا

يمتلكان قطعاناً كثيرة من الاغنام و كان شنوده يرافق الرعاة الى المراعي و نبتت في قلبه وهو في سن الحداثة بزور التقوى فكان يصرف وقته في الحقل في الصلاة والعبادة والصوم ويترك طعامه للرعاة

ولما اخبر الرعاة والده بذلك أخذه الى دير بالصحراء قرب سوهاج كان الرئيس فيه الانبا بيجول وطلب منه ان يضع يده عليه ليباركه فقال له الانبا بيجول « باركني انت لانك ستصير اباً لجماعة كثيرة »

و نشأ شنوده نشأة صالحة واعتنى خاله بتربيته تربية حسنة ومن معاشرته للرهبان الاتقياء اقتبس عنهم كل الفضائل وفاقهم في الزهد وصار راهباً صالحاً استحق ان يتقلد رئاسة الرهبان بعد خاله فجعل يشتغل بهمة عالية فنظم ادارة الدير ووسع نطاقه وبلغ عدد الرهبان في عهده ٢٢٠٠ بالدير الابيض و١٨٠٠ بالدير الاحمر (١) واكسبه جهاده الحسن نفوذاً سامياً ليس على الرهبان فقط بل على جميع البلاد المجاورة لذلك الدير وكان يأتي اليه أكابر الامة ليستشيروه في امورهم المهمة فكان يكشف لهم ما خفي من اسرارهم حتى اعتبروه كأحد الانبياء العظام الذين يخاطبون الله رأساً

وحدث مرة ان قائداً رومانياً كان سائراً للقتال فمر في طريقه على دير الانبا شنوده ليأخذ رأيه في الحرب وكان الانبا شنوده قد اعتزل في مكان بعيد للعبادة واوصى الرهبان بمنع كل زائر يقطع عليه اختلائه مع الله . فلما جاء القائد اخبره الرهبان بالامر ولكنه صمم على ان لا يبرح الدير الا اذا قابله وضرب بعسا كره حول الدير واستمر الرهبان يقدمون الطعام للجنود حتى ملوا فاوفدوا للانبا شنوده كاتبا كان له دالة عليه ليدعوه للقائد وينقذهم من هذه النفقات . فلما علم الانبا شنوده بالامر قام لمقابلة القائد وقضى معه وقتاً ثم طلب منه القائد ان يهبه احدى حياصاته (احزمته) ليتمنطق بها وقت الحرب فأعطاه احداها . قيل انه لما حمى وطيس الحرب لبس ذلك القائد الحياصة فهزم اعداءه هزيمة تامة

وكان الانبا شنوده شديد الغيرة على الديانة المسيحية فذات يوم اتاه بعض

---

(١) الدير الابيض ويسمى دير الانبا شنوده وبجواره الدير الاحمر أو دير الانبا بيشوي ، وهما قائمان للآن غربي سوهاج

الكرامين الاقباط طالبين منه ان ينصفهم من سيدهم الوثني الذي لم يدفع لهم اجورهم بحجة ان الكروم لم تثمر جيداً . فسار الانبا شنوده الى ذلك الوثني برهط من رهبانه والزمه بدفع حقوق المسيحيين فدفعها مكرهاً . وحدث ايضا ان رجلا يدعى بطرس جاءه طالبا بركته فوبخه توبيخاً شديداً لانه كان متزوجاً بابنة اخته. فقال له الرجل ان للفتاة ارثاً لم يرد ان يزوجها لاجنبي خوفاً عليه . فمنفه القديس شنوده وقال له « ألم تقرأ ما ورد فى الانجيل « ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » ؟ فلما سمع الرجل ذلك بكى وطلب من الاب ان يرشده الى طريق الخلاص فأرشده وقام الرجل واحضر ٥٠٠ قطعة من الذهب وقدمها للقديس ليوزعها على الفقراء تكفيرا عن خطيئته. فأبى الانبا شنوده ان يمسكها بيده وأمره أن يبحث عن شخص امين ينفذ له غرضه . فسار الرجل حتى وصل الى انبا بولس رئيس دير بوش وسلمه المبلغ وعاد الى امرأته وكشف لها ماجرى ثم وهبها املاكها واملاكه وطلقها ورجع الى دير الانبا شنوده وقضى بقية حياته راهباً

ولما تولى البابا كيرلس الاول الكرسى البطريركي راى في الانبا شنوده رجلا فصيحاً غيوراً على كنيسته القبطية وتعاليمها الارثوذكسية فكان يهتدى برأيه في كثير من المسائل العويصة . وفى سنة ٣٤١ م استصحبه البابا كيرلس هو والقديس بقطر السوهاجى الى مجمع افسس المسكوني الثالث فاظهر الانبا شنوده كفاءة علمية كبرى في دحض بدعة نسطور المنافق [١] وقيل ان انبا شنوده دخل مرة الغرفة التي كان الاساقفة يتحاورون فيها وكان في وسطها كرسي وضع عليه الانجيل المقدس . فجاء نسطور ورفع الانجيل عن الكرسى وجلس عليه . فاحتدم الانبا شنوده غيظاً من هذا التصرف المعيب وتقدم الى نسطور وصفعه على وجهه قائلا « لماذا تحب ان تكرم نفسك اكثر من كتاب الله ؟ » فقال

{١} لم نجد بين اسماء القديسين المصريين الذين تعتبرهم الكنيسة الكاثوليكية اسم الانبا شنوده وذلك لمقاومته انصار الطبيعتين وفاتهم انهم باسقاط هذا القديس من بين القديسين قد ناقضوا البابا كيرلس الكبير عماد الارثوذكسية المعتبر عندهم عموداً للدين الذي قرر ان انبا شنوده لم يكن قديساً فقط بل قديساً ونبياً ايضا (الاجرومية القبطية لمالون الجزويت ص ٣ و ٤)

نسطور عنه فقيل له انه احد رهبان مصر فاحتج هو وأنصاره على السماح لراهب بالدخول في مجمع الاساقفة ثم سأل القديس قاصداً الاستهزاء به من انت ؟ فاجابه الانبا شنوده بقوة عارضته قائلا « ألا تعلم من انا. انا رجل ارسله الله ليزيح النقاب عن شرورك ويطلب لك القصاص على خطاياك وغرورك » فلما سمع نسطور هذه الكلمات خر على الارض كمن اصابه صرع . قيل ان البابا كيرلس فى تلك الآونة رقى الانبا شنوده الي الدرجة الكهنوتية التي تخوله الحضور في مجمع الاساقفة

وبعد انتهاء المجمع عاد الانبا شنوده الى رهبانه . وفيما بعد اذ علم ان هناك من يحاولون العبث بالتعليم « بطبيعة المسيح الواحدة المتجسدة » ذلك التعليم الارثوذكسي الذي اجمعت عليه الكنيسة منذ تأسيسها وثب وثبة الاسد وباشتراكه مع القديس ديوسقوروس البابا الاسكندري حارب أولئك المعتدين وكاد يقضى عليهم وعلى ما يحاولون لو لم تحل دون ذلك منيته حيث رقد بالرب فى ٧ ابيب سنة ١٦٨ ش

وللانبا شنوده مواعظ بليغة ومؤلفات نفيسة وضعها باللغة القبطية وبقيت محفوظة بالدير الابيض حتى عثر على بعضها المسترماسبرو وعلى البعض الآخر المستر زويجا فالمسيو ميلينو الذى نشرها بالفرنسية سنة ١٨٨٩ م

(٢) ايسوذوروس الفرمي . ولد في مدينة الاسكندرية سنة ٣٧٠ م من عائلة شريفة نظراً الى التقوى والغنى وكانت بينه وبين البابوين ثاوفيلس وكيرلس صلة قرابة . وقد ترَبى من حداثته تربية حسنة فنشأ عالماً باصول الدين وباقي العلوم ولا سيما اللغة اليونانية حتى انه اعتبر احد آباء الكنيسة الجامعة وأحد علماء عصره

ولكن فضله ظهر واضحاً عند ما طرح مجد العالم خلفه وازدرى بملذاته وآثر عيشة الوحدة والزهد فاحسن بكل مايملك على الفقراء والمساكين وهرب ليلا وانفرد يعيش سائحاً مع بعض النساك في جبل صغير قريب من مدينة بيلوسيوس المدعوة الآن فرموس (١) ولذلك دعى باليوناني وباقى اللغات الغربية ايسوذوروس بيلوسيوطا وبالعربي ايسوذوروس الفرمي

---

(١) بيلوسيوس باقليم الوجه البحري وكانت اقوى حصن حربي على حدود مصر من الشمال الغربي

وصرف هذا البابا جملة سنين مواظباً على العبادة وكان محباً للصمت ميالاً للانفراد للصلاة والتأمل مع الله واظهر قساوة شديدة على جسده فأذله بالتقشفات الشاقة والاصوام الزائدة . وفيما بمدرأى نفسه مدعواً الى الانذار بالتعاليم المستقيمة والمجاهدة عن الحقائق الدينية والآداب فقام بذلك دون ان يخشى عظماء العالم . وعقب اقتباله درجة الكهنوت شرع في وضع رسائل عديدة ومتباينة المواضيع ووجه كل خطاب منها الى كل شخص ذي دعوة أو رتبة أو وظيفة خصوصية من كل سن وجنس ورتبة حتى انه اتصل الى ازمنتنا هذه من رسائله ما يتجاوز الالفين . وفحوى رسائله يدل بالاخص على الروح المسيحية التي كانت تملأ قلبه وتبرهن على تعمقه في معرفة الكتب المقدسة فكان بارعاً في تشويق الناس الى الفضيلة وتكريههم في الرزيلة وبليغاً في معرفة تواريخ البيعة والقوانين والتهذيبات الكنسية المختصة بكل ذي وظيفة منها . وكانت رسائله تقابل من الجميع بثناء زائد حتى ان بعض المؤرخين يقول انها لم تكن اقل اعتباراً من انفاس القديس يوحنا فم الذهب نظراً الى الغيرة على استئصال الرزائل والعوائد الرديئة وتهذيبها بموجب تعليم الانجيل

وكان القديس قد طالع ما كتبه القديس يوحنا فم الذهب بكلف زائد وتشبع من روحه لا سيما من كتابه المدعو « واجبات الكهنوت » واقتفى أثره ونسج على منواله حتى انه استحق ان يدعى تلميذاً خصوصياً له . وكان اعتباره القلبي لفم الذهب شديداً بهذا المقدار حتى انه لم يكتف بان يسلك بموجب تعليمه فقط ولكنه كان يدافع عنه بجرأة أمام قريبه البابا ثاوفيلس البطريرك الاسكندري . وهذه المدافعة هيجت عليه اعداء القديس فم الذهب فاتهموه معه بتهم كثيرة تحمل بسببها اضطهادات قاسية . وهكذا بعد وفاة البابا ثاوفيلس بذل مجهوده لدى خليفته وابن اخته البابا كيرلس ليوضح له سمو فضل القديس يوحنا وحمله على ان يضع اسمه بين اسماء القديسين وكان للبابا كيرلس في محاربته للنسطوريين النصير الشديد

ومما حرره هذا القديس فيما يختص بواجب ذوي الرتب الكهنوتية أمام الاهانات التي تصادفهم قوله : « اننا نخطىء على حد سواء حينما ننتقم لانفسنا

بأخذ الثأر عن الاهانات الصادرة في حقنا وحينما لا ننتقم عن الاهانات الصادرة في حق الله . فيجب علينا اذاً ان نحتمل بدعة وصبر الاهانة حينما تلحق باشخاصنا فقط وان نستعمل الحنو والتساهل في غفرانها . واما حينما تلحق الاهانة بالعزة الالهية فوقتئذ يكون عدلا وواجباً ان نتصف بالغيرة وان نظهر الغيظ المقدس والغضب المؤسس على حب الله من اننا نحتمل ذلك بجبانة ونخشى بدناءة اغاظة غيرنا ولكن نحن نصنع ما يضاد هـذا الأمر على خط مستقيم . أي اننا نتقد غضباً ونشتعل بنار الغيرة ضـد اعدائنا فيما يصادفنا واما فيما يخص الله وكنيسته فنحن فاترون متغاضون خالون من كل حرارة . فموسى الاكثر حلماً ودعة من جميع الناس قد احتمى غضباً ضد الشعب الاسرائيلي حينما صنعوا العجل الذهبي ليسجدوا له . وفي هـذا الحادث ظهر غضبه اكثر قداسة من أي تنازل وحلم ودعة كانت . وايليا تسلح بالغيرة المتقدة ضد عابدي الاصنام . والقديس يوحنا المعمدان ضـد هيرودس الملك . والقديس بولس الرسول ضد عليم الساحر . فهؤلاء القديسون انتقموا من الاهانه المتصلة بالله في الوقت عينه الذي فيه كانوا يتغاضون عن الاهانات التي تتصل باشخاصهم . فأي نعم ان الله هو اكثر اقتداراً بما يحد على الانتقام لذاته بعدله الرهيب ولـكنه مع ذلك أراد تعالى ان الناس الصالحين يشتركون في المحاماة عن الحق منتقمين بقدر ما هو ممكن لديهم عن الافتراء المصنوع في حق عزته الالهية . فهذا هو الترتيب الذي كان القديسون يتصرفون بموجبه وبه كانوا يحصلون على ثبات فضيلتهم وفلسفتهم الحقيقية » اه

وغيرة القديس ايسوذوروس المقرونة بالشجاعة في تهذيب الآخرين امتدت الى رئيسه اوسابيوس اسقف بيلوسيوس خليفة الانبا آمون فاذ رآه يتصرف تصرفات غير عادلة وينشىء خطابات بعدم حكمة حتى انه سبب شكوكا كثيرة فى كنائس الاقليم المصري أخذ يجابهه بالحقيقة ويعلمه بانه شـط عن الصواب . وابلغ من ذلك قيام القديس بتوبيخ حاكم المقاطعة وتأنيبه على المظالم التي كان يرتكبها وعلى عدم مراعاة حقوق الـكنيسة

وقد اتت توبيخاته هذه باثمار تامة وكان اسلوبه في التوبيخ بديعاً يتضح من قوله فى احدى رسائله « امر ضروري هو ان نوبخ البعض بقساوة والبعض

بعذوبة وليونة لانه لايمكن اكتساب الجميع بنوع واحد ولا يستطاع معالجة الامراض كلها وشفاؤها بدواء هو هو بعينه » اه

والمعلوم ان الافاضل الذين أخذوا على انفسهم تقويم المعوج واصلاح الفاسد يكثر اعداؤهم والناقمون عليهم ولا عجب ان وجد كثيرون ينقمون على القديس ايسذوروس ويضطهدونه . أما هو فلم يكن يتألم من اضطهاداتهم لانه كان يعلم انه في هذا الطريق سار القديسون قبله فكان يتسلح بقوة وصبر وثبات على الاحتمال بدون ضجر . وتمكن اعداؤه من طرده من مكان نسكه وأرسلوه الى المنفى فكانت غبطة القديس بما جرى له شديدة حتى انه خاطب صديقاً له في احدى رسائله قائلا « انه ان كان من يصنع الواجب عليه ويتمم حسناً التزاماته يقتضي ان يعامل بالردي وان تحيق به الاضطهادات والمصائب وان من يصنع الشر يلزم ان يمدح ويكافأ بالانعامات فلا شك بأنه يجب على الانسان ان يختار النوع الاول بصنيع الخير دون ان يلتفت مطلقاً الى الاضطهاد الذي يلحق به من جرى ذلك لاننا اذا قطعنا النظر عن المجازاة السماوية عينها التي وعد الله ان يجازي بها الفضيلة ثم عن العقاب المريع نفسه المعد في جهنم للانتقام عن الرزيلة . فالفضيلة وحدها وبذاتها هي اكليل ومكافأة البار . كما ان الشرير يجد قصاصه وعقابه في الشر والرزيلة . ولهذا تجد الفضيلة دائماً محبوبة على حد سواء ولو انها اضطهدت بالتهم الباطلة نفسها . والرزيلة هي دائماً مستحقه البغضة مهما تشرفت من الناس الضالين » اه

وقد شاهد القديس مبتدعين كثيرين وانتشرت في أيامه هرطقات متعددة ولكن جميعها لم تكن كافية لان تبلبل افكاره اذ كان يعلم انه لا بد ان تأتي العثرات (مت ١٨: ٧) ويتأكد ان هذه الامتحانات التي تتلقاها الكنيسة آيلة لنجاحها ولا بد ان تنتصر عليها أخيراً

ولما أكمل القديس جهاده رأى في نفسه اضطراماً شديداً للوصول الى مقر الراحة الابدية ولهذا حينما داهمه المرض الاخير تعزى وابتهج وهكذا رقد بالرب بهدؤ وسلام في ٤ شباط سنة ٤٤٥ م

(٣) مكاريوس اسقف ادكو [1] هو أحد مشاهير النساك ومن أبطال الكنيسة القبطية في هذا القرن الذين دافعوا بكل قوتهم وضحوا حياتهم في سبيل تأييد اعتقادها الذي حفظته الكنيسة منذ نشأتها سالما وهو مايختص بوحدة مخلصنا الطبيعية . وكان من حداثته متصفاً بالوداعة والتواضع ولما رسم اسقفاً لابروشية ادكو كان يصعد على المنبر ليعظ الشعب فيشتد بكاؤه ونشيجه ولما سئل عن سبب بكائه اجاب « اني اشاهد خطايا الشعب كما ينظر الزيت في الوعاء »

وظهرت غيرته على مجد ابن الله ومحافظته على كرامته في هذه الحادثة وذلك ان بعض الوثنيين كانوا يختطفون اولاد المسيحيين ويقدمونهم ضحية لاصنامهم فلما سمع القديس هذا الخبر قام الى بلدة الوثنيين المجاورة لمدينة ادكو يصحبه ثلاثة رجال فقط . ولما انتهوا الى الهيكل وشاهدوا ابنيته الشامخة والتفاف الوثنيين حوله كالجراد والاسلحة بأيديهم طار لب الثلاثة الرجال لاسيما عندما فاجأهم الوثنيون وهم يتقدمون نحو الهيكل وقالوا للقديس «لماذا اتيت الى هنا وما حاجتك عندنا » اما القديس فلم يتطرق اليه وجل بل اجابهم بمثل حماستهم قائلا « لقد جئت لارى ما تفعلونه بأولاد المسيحيين الذين تختطفونهم لتقدموهم ذبيحة لآلهتكم الكاذبة . فقالوا له ان هذا الخبر كاذب ومن ابلغك اياه نمام . فأجابهم ان كنتم صادقين فدعوني اتبين الامر بنفسي في داخل الهيكل فسمحوا له بالدخول ودخل معه رجل واحد ممن كانوا معه نظراً لخوف الاثنين اللذين بقيا خارجاً . وما تقدم القديس داخل باب الهيكل حتى رأى عشرين رجلا بأسلحتهم متقدمين اليه وهم يهددونه بدنو اجله وحملوه ليقدم ذبيحة لاحد آلهتهم ولم يؤخرهم سوى ان رئيس كهنتهم هوميرس لم يكن موجوداً فاستدعوه وقد انتهز الرجل الذي كان مغلولا مع القديس هذه الفرصة وأسر اليه قائلا : هذا وقت الصلاة فأجابه القديس « لاتخف لابد ان يسوع ينقذنا من هذا الموت المريع » ولم ينته من

---

[1] وجد بالفاتيكان كتاب قديم بخط اليد يؤخذ منه ان ناسخه تلقى ما فيه من الاقوال عن لسان البابا ديوسقوروس البطريرك الاسكندري نفسه حينما كان في منفاه . وهذا الكتاب يحتوي على تاريخ سفرة ديوسقوروس الى مجمع افسس وما تم فيه . ومن ذلك الكتاب أخذت ترجمة القديس مكاريوس أسقف ادكو . وادكو هذه بمركز رشيد بمديرية البحيرة

هذه الكلمة حتى سمع الاثنان على الباب صوت ويصا احد المؤمنين يطلب اطلاق سراحهما فان هذا المؤمن لما علم بانطلاق القديس للهجوم على هيكل الوثنيين خشي عليه منهم فجمع عدداً غفيراً من المؤمنين وسار الى الهيكل وكسر الباب وخلص القديس وزميله من الموت وهما على حافته . وقيل انه استخدم قوته في حرق جميع الاوثان التي وجدها في الهيكل وطاف البلدة يحرق كل ما تصل اليه يده منها حتى ان الاهلي اذ رأوا آلهتهم تحرق امامهم دون ان تقوى على انقاذ نفسها أو تؤذي من اهانها اعتمد منهم كثيرون

وبعد ذلك أمر ثيودوسيوس قيصر بعقد مجمع في افسس تفحص فيه هرطقة اوطاخي فسار القديس الى الاسكندرية ماشياً على قدميه وفي عزمه ان ينطلق أيضاً الى مجمع افسس ماشياً ولما كان القيصر ارسل سفينتين لنقل البابا ديوسقوروس وحاشيته تقدم ربانهما الى القديس مكاريوس وبعد ان اوضح له صعوبة السير على الاقدام الى افسس طلب منه ان يشرفه بنزوله في مركبه فأبى القديس وقال له « لا تحلو لي الراحة في سبيل خدمة الله بل يطيب لي معها التعب » ولكن ربان السفينة لم يتركه بل استمر يلح عليه ويلتمس منه الركوب معه فقال له القديس « الله يباركك يا ابني لا تلحف في طلبك اذ لا يمكني الركوب كما اني لا املك شيئاً ادفعه لك كاجر » فقال الربان : اذا كان الاجر هو الذي يمنعك من السفر معي فسافر في مركب البطريرك مجاناً فابتهج القديس وسر لانه استحق ان يرافق خليفة مار مرقس ولكنه اتخذ له مكاناً قصياً من السفينة وجلس فيه . غير ان البابا ديوسقوروس لما علم بوجوده استدعاه اليه وأجلسه في مكان مناسب ولما كان القديس لا يعرف الا لهجة واحدة من لهجات اللغة القبطية كان المترجم ينقل أقوال كل منهما للآخر

ونظر احد الشمامسة الى القديس بازدراء ودهش كيف يحتفل البطريرك واساقفته برجل بسيط كهذا ليس له المام بالعلوم واللغات فوبخه البطريرك توبيخاً شديداً والزمه بان يطلب منه الصفح والقديس لا يعلم ما جرى ولم يشعر الا والشماس يسجد امامه فاقامه متحيراً وسأل عن السبب فأفهمه اياه البطريرك وطلب للشماس العفو فأجابه « التمس من المولى ان يغفر خطاياك يا ابني »

ومن ذلك الحين صار القديس موضوع احترام جميع المسافرين في السفينة ولما وصل الى مجمع افسس قام بخدمات جليلة لبطريركه . وفي مجمع خلكيدون المرذول أظهر غيرة كلية وثباتاً عجيباً في المحافظة على ايمان الكنيسة القديمة فحكم عليه بالنفي مع بطريركه ديوسقوروس

ولكنه فيما بعد تخلص من النفي بمساعدة تجار مصريين كانوا قد انتهوا بسفرهم الى حيث منفى الآباء وجاء معهم متنكراً موفداً من قبل البابا ديوسقورس لتثبيت المؤمنين . وكان وصوله في الوقت الذي ارسل فيه مركياتوس قيصر رسولا من طرفه يحمل صورة قرار مجمع خلكيدون لارغام المصريين على التوقيع عليها . فجمع رسول القيصر اكليروس الاسكندرية وعظماءها وأخذ يحضهم على الاعتراف بطبيعتين ويحسن لهم قبول طومس لاون فانتصب الانبا مكاريوس وأخذ بشجاعة فائقة يلقي على مسامع الحاضرين خطبة زيف فيها ذلك الاعتقاد وروى وقائع ذلك المجمع المزور وبرهن على ان اعماله كانت خلافاً لكل قانون ديني ومدني

وحدث ان بروتيريوس الذي اقامه البابا ديوسقوروس وكيلا عنه قبل ذلك المذهب مشترطاً رسامته بطريركا فحنق الانبا مكاريوس لرؤيته رجلا يخون من ائتمنه وطفق يوبخه توبيخاً عنيفاً فاغتاظ منه بروتيريوس ودفعه بقدمه في بطنه فسقط على الارض وتوفى للحال بالنسبة لشيخوخته . وكان البابا ديوسقوروس قد تنبأ له قائلا « انك تنال الشهادة في الاسكندرية لاجل دفاعك عن ايمان ابن الله » فتم قوله ونال القديس اكليل الشهادة

(٤) بعض مشاهير . واشتهر في هذا القرن ايضاً آباء كثيرون بالفضيلة والتقوى منهم الانبا ايسوذوروس تلميذ القديس مكاريوس المصري والايغومانوس يوحنا استاذ القديس ارسانيوس الروماني والقس يحنس القصير[1] وانبا بشوي والقديس موسى الاسود الحبشي ويضيق بنا المقام عن ذكر تاريخهم وفي كتاب السنكسار عنهم ما يغني

---

(١) ولهذا القديس دير بمركز ملوي باسمه يقال في بعض الروايات انه لما اضطهد المماليك الاهالي لجأ المسيحيون منهم الى هذا الدير والى قربة الشيخ عباده لاعتقاد المسلمين بانهما مسكونان بالشياطين (تقويم المؤيد لسنة ١٩٠٨ ص ٢٩٤)

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

(١) اركاديوس واضطهاد مركيان وبولكاريا (٢) اضطهاد ليو ومساعدة باسيليكوس وزينون المؤمنين

---

(١) اركاديوس واضطهاد مركيان وبولكاريا وملك بعد ثيودسيوس على الشرق ابنه اركاديوس سنة ٣٩٥ م فسار على منهج أبيه وأمر بأن تغلق جميع هيا كل الاصنام في ديار مصر ومنع التدين الا بالدين المسيحي . فتأيد هذا الدين وصار الناس يدخلون فيه أفواجاً حتى هجرت هيا كل الاصنام فأعطى القيصر بطريرك الاسكندرية تصريحاً ليتصرف فيها كما يشاء فهدمت وأقيم مكانها كنائس وضيق اركاديوس على الاريوسيين وأمر بأخذ الكنائس منهم بعد ان حكموها نحو اربعين سنة واسقط من جيشه من كان اريوسياً وطرد من كان في ديوانه وخدمه منهم .

وملك بعد اركاديوس ابنه ثيودوسيوس الصغير سنة ٤٠٨ م وبعد موته خلفته اخته بولكاريا سنة ٤٥٠ م وكانت قد نذرت الرهبنة ثم نكثت العهد وتزوجت برجل متقدم في السن من اكابر المجلس يدعى مركيان . ويلاحظ انه بعد ان ملك ثيودسيوس الكبير سنة ٣٨١ م عمت مصر الديانة المسيحية وزادت العناية بتشييد الكنائس وفتح المدارس وتأسيس الاديرة وايقاف الاطيان والرزق عليها . وكانت بولكاريا تحسد رؤساء الكرسي الاسكندري على ماوصلوا اليه من الشهرة والاعتزاز وحصولهم على شرف سام يفوق شرف

الملوك وخشيت امتداد نفوذ بطاركة القبط في القصر الملكي وارتفاع كلمتهم على كلمة الحكام الرومانيين وخافت من استقلال هؤلاء البطاركة ببلادهم وتأكدت ان ذلك في امكانهم لعلمها بان البطريرك الاسكندري يستطيع ان يقيم ويقعد بلاده بكلمة تصدر منه . فعملت على اذلال شرفهم في شخص البابا ديوسقوروس ورأى اسقف رومية ان ذلك من مصلحته ليحل محل البطريرك المصري في السطوة والنفوذ فاتفق معها على تدبير مكيدة لذلك القديس فابتدعوا هرطقة مؤداها ان في السيد المسيح طبيعتين ومشيئتين وأرادوا ان يرغموا البابا ديوسقوروس وكنيسته على التسليم بها والا يطرد من مركزه وتضطهد كنيسته وكانت النتيجة انهم عقدوا ذلك المجمع الشرير بخلكيدون وحكموا فيه بنفيه وكتب مركيانوس الى جميع مملكته يأمر بقتل كل من لا يقول بقول مجمع خلكيدون فاضطهد الكنيسة المصرية اضطهاداً عنيفاً ومع ذلك لم توافق الملك والملكة على رأيهما واستمرت معترفة برئاسة بطريركها عليها . وأدى كل ذلك الى تعاظم اسباب الشحناء والبغضاء بين الاقباط الوطنيين وبين الرومانيين المقيمين بمصر وزادت عوامل الجفاء والخصام بينهما خصوصاً عند ما عينت الملكة بطريركاً لمصر غير ديوسقوروس تخضع له الاروام اما الاقباط فأبوا الاعتراف بسلطته عليهم مطلقا ورفضوا جميع قرارات مجمع خلكيدون رفضاً باتاً وكانوا يعتبرون ان الهزء بأعماله برهان على صدق وطنيتهم واخلاصهم لبلادهم وحبهم لكنيستهم . وسارت الكنيسة الحبشية على عقيدة أمها الكنيسة القبطية وأبت الخضوع لبطاركة بولكاريا ورفضت مطلقاً رسامة مطارنتها بيد غير يد بطريرك الاقباط الارثوذكس ولا تزال على هذا الرأي الى يومنا هذا

واستفحل الخلاف بين المصريين والاروام الذين كانوا معضدين من الحكومة . وانتشب القتال مراراً بينهم وبين المصريين فأريقت دماء كثيرين من هؤلاء . ولما أقيم بروتيريوس بطريركا من قبل الحكومة ولم يسلم برئاسته الارثوذكسيون حمل عليهم مندوب الملكة بفرقة من الجند كانت معه حال اجتماعهم ليلة عيد القيامة للصلاة ففرق شملهم وقتل كثيرين منهم واستولى على أمتعة الكنائس وأموالها وسلمها للبطريرك الدخيل

(٢) اضطهاد ليو ومساعدة باسيليكوس وزينون المؤمنين :

والقيصر ليو الذي جاء بعد بولكاريا سنة ٤٥٧م كان يميل الى ترك الحرية للمصريين في مايختص بدينهم لولا اغراء اسقف رومية اياه على اضطهادهم فشدد عليهم ونفى بطريركهم وسفك دماء ثلاثين الفاً من مسيحيي الاسكندرية بدعوى انهم خالفوا رأيه ، وملك بعده باسيليكوس سنة ٤٧٤ م وكان قويم المعتقد فأحسن الى الارثوذكسيين وعقد مجمعاً بالقسطنطينية برئاسة البابا تيموثاوس بطريرك الاسكندرية الذي استدعاه من منفاه وحكم فيه برفض أعمال مجمع خلكيدون وأيد الاعتراف بالطبيعة الواحدة وقرر حرم نسطور واوطاخي

وجلس بعده على العرش زينون الملك البار سنة ٤٧٧م وكان في مبدأ الامر خلكيدوني المذهب فنفى البابا بطرس منغوس من الاسكندرية ولكنه فيما بعد اعتنق مذهب الطبيعة الواحدة فرد البطريرك من المنفى وعقد بمشورته وبمشورة بطرس القصار البطريرك الانطاكي واكاكيوس بطريرك القسطنطينية مجمعاً في هذه المدينة وحكم فيه برفض اعمال المجمع الخلكيدوني فأيد هذا الحكم واثبته بمرسومه المسمى هينوتيكن « أساس الاتحاد » وكاد ينجح في لم شمث المتنافرين لولا معارضة اسقف رومية ومقاومته كما هو شأن أساقفة رومية الذين كان من دأبهم ان يوسعوا فرجة الخلاف في الكنيسة المصرية لاعتقادهم ان صيدهم لا يحلو الا في الماء العكر . غير ان معارضة اسقف رومية لزينون لم تعد بفائدة فأعز هذا المتأصلين التابعين للبابا ديوسقوروس ورفع شأنهم وكان يحمل الى دير ابي مقار بوادي هبيب كل سنة ما يحتاج اليه من القمح وغير ذلك

القسم الرابع

البدع والانشقاقات

(١) مجمع أفسس المسكوني الثالث (٢) نسطور (٣) اوطاخي (٤) بدعة رهبان سيكتي (٥) بدعة مجمع خلكيدون

(١) **مجمع أفسس المسكوني الثالث** . انعقد سنة ٤٣١ بأمر ثيودوسيوس قيصر تحت رئاسة البابا كيرلس الاسكندري حضره مائتا اسقف لمحاكمة نسطور الذي انكر ان السيدة العذراء والدة الاله وعلم باقنومين في السيد المسيح فحكم المجمع بجرم هذه البدعة وأثبت انه في السيد المسيح اقنوماً واحداً وطبيعة واحدة من بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة ثم وضعوا مقدمة دستور الايمان التي هي « نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الاله لانك ولدت مخلص العالم أتى وخلص نفوسنا . المجد لك ياسيدنا وملكنا المسيح فخر الرسل اكليل الشهداء تهليل الصديقين ثبات الكنائس غافر الخطايا نكرز ونبشر بالثالوث المقدس لاهوت واحد نسجد له ونمجده يارب ارحم يارب بارك آمين » ثم أمروا بان يقرأها كل المسيحيين من الكهنة والشعب شيوخاً وصبياناً ورجالا ونساء في الصلوات والقداسات . وبعد ان ثبتوا الكنيسة بالقوانين انصرفوا الى بلادهم

هذا واننا نختم الكلام على هذا المجمع بقسم من القانون الثامن من قوانينه يتعلق في ادارة الكنائس واستقلالية كل واحدة منها وهو : « لا يجوز لاحد من الاساقفة الوقورين ان يمد يده الى ابروشية غير ابروشيته ليست له من القديم ومنذ البدء تحت رئاسة أسلافه وان كان احد وضع يداً واغتصب ابروشية وجعلها في دائرته فليردها لكي لا نخالف قوانين الآباء ولا يدخل دخان سلطة عالمية تحت برقع الخدمة الكهنوتية ولا نضيع الحرية رويداً رويداً ونحن غافلون . الحرية التي منحها لنا بدمه الخاص ربنا يسوع المسيح محرر جميع البشر فقد رأى المجمع المسكوني ان تحفظ لكل ابروشية حقوقها القديمة القائمة لها منذ الابد سالمة صحيحة وفقاً للعادة المرعية منذ القديم بان كل ميتروبليت له الرخصة ان يحصل على المساواة في الاعمال لصيانته وان برز أحد بقانون يخالف القوانين المسنونة الآن فقد رأى المجمع المسكوني المقدس ان يكون ذلك لاغياً » اهـ

(٢) نسطور . ولد بجرمانيقية المعروفة الآن بمرعش في سورية واظهر

في مبدأ أمره غيرة ضد الاريوسيين والابوليناريوسيين حتى ارتقى الكرسي القسطنطيني وقال في خطاب يوم رسامته « سلمني أيها الملك الارض خالية من الهراطقة فاسلمك السما » ولكنه كان يخفي تحت هذا التظاهر الكاذب كبرياء شديدة وقال بعضهم « ان نسطور حارب جميع الهرطقات ليمهد السبيل الى هرطقته» فانه ما عتم ان جلس على الكرسي حتى أخذ يعلم انه لما كان الجزء اللاهوتي من طبيعة المسيح لم يولد من العذراء فلا يحق ان تسمى أم الله بل والدة المسيح الانسان وقصد بذلك ان يمهد السبيل الى انكار ألوهية المسيح الذي قسمه الى شخصين معلماً ان اللاهوت لم يتحد بالناسوت بل ساعده فقط . وصرح مرة في خطبة قائلا « كيف اسجد لطفل ابن ثلاثة شهور قد سجد له المجوس » وقال ايضاً « كيف يكون لله أم فاذاً يستحق المعذرة الحنفاء الذين كانوا يأتون بأمهات الهتهم في ملاعبهم وقد كتب الرسول عن لاهوت المسيح انه بلا أب ولا أم ولا ميلاد . ان مريم لم تلد الهاً بل ما يولد من الجسد ليس الا جسد وما يولد من الروح فهو روح . ان الخليقة لم تلد الخالق بل ولدت انساناً آلة للاهوت » اه

فلما سمع مؤمنو القسطنطينية هذا الكلام من نسطور قاموا ضده ونادوا بسقوطه ولكنه تشبث بخطائه وأتاه مرة بعض الرهبان يعلمونه عدم مطابقة اعتقاده للأيمان القديم فأمر بسجنهم في الكنيسة وأمر خدامه بنزع ملابسهم وضربهم فصاروا يرفسونهم ويلطمونهم واوثقوهم بعامود ثم هشموا اكتافهم وطرحوهم على الحضيض وكانوا يضربونهم على بطونهم

ولما انتشرت بدعته قاومها البابا كيرلس كما ذكر وقرر حرمه ونفي الى ديره الاول عله يرعوى عن غيه فلم يقلع عنه بل صار ينفث سمومه برهبان ذلك الدير ولذلك نفي الى أخميم بصعيد مصر واخيراً مات ذلك الشقي بغوايته وقيل انه لشدة يأسه كسر رأسه

أما اتباع نسطور فاهتموا بنشر بدعته بعد موته وأسسوا لهم مدرسة بالرها ثم طردوا منها فلجأوا الى نصيبين وشرطنوا لهم رئيساً اطلقوا عليه لقب « جاثليق » واستمروا يذيعون بدعتهم ويوجد منهم لليوم فريق في جبل سنجار

على حدود العجم وفي ملبار بالهند

(٣) اوطاخي . كان راهباً مترأساً على دير بالقرب من القسطنطينية به ٣٠٠ راهب وكان قد قاوم نسطور واساقفته برسالة وشكاه لمجمع أفسس حيث ذهب بشخصه ليشهد على ضلاله ولهذا كان اصدقاء البابا كيرلس يعتبرونه من المحامين عن الايمان . وفي سبيل المدافعة عن مقام المسيح ضد نسطور تطرف في التعبير عن طبيعته فقال ان طبيعته الناسوتية اندمجت في اللاهوتية وحرم هذا التعليم في المجمع الافسسي الثاني سنة ٤٩٤ م الذي ترأسه البابا ديوسقوروس الا ان اوطاخي اعترف بايمان مجمع نيقيه فحل من حرمه وقام بنشر مذهبه الآب بارسوما وتلميذه صموئيل بين الارمن سنة ٤٦٠ م الا ان السوريين تركوا بعدئذ نظام التعليم الاوطاخي بفضل جهاد الآب بطرس القصار البطريرك الانطاكي

(٤) بدعة رهبان سكيتي . ومؤداها ان الله ذو صورة بشرية واعضاء جسمية . وقد كان من انصارها راهب اسمه سرابيون قد بلغ من الكبر عتياً وكان مبجلا معتبراً في ديره ببرية شيهات وهذا كان يعبد الله كأنه انسان بحصر اللفظ . ولبث على اعتقاده هذا مدة من الزمن حتى وقعت بينه وبين رئيس الدير وشماس عالم مباحثة اقتنع منهما بخطائه . واهل هذه البدعة سلموا بها من سقم فهمهم للكتاب المقدس وأخذهم بمعناه الحرفي وتفسيرهم لما جاء فيه عن الله كأن له عين أو أذن أو يمين أو شمال أو وجه الخ تفسيراً حرفياً . ولما اقتنعوا بوجوب تفسير بعض اقوال الكتاب روحياً اقلعوا عن بدعتهم الوخيمة

(٥) بدعة مجمع خلكيدونيه . وهو ان للسيد المسيح طبيعتين ومشيئتين وهو اعتقاد يقرب القائلين به الى مذهب نسطور المبتدع القائل بشخصين في السيد المسيح . وليس من ينكر ان الكاثوليك يعتقدون ان المسيح اثنان لان اصطلاحهم على القول بان المسيح اقنوم الهي بحت لا ينفي اعتقادهم بانه اثنان بعد قولهم انه كيانان وشيئان وذاتان وطبيعتان بل لا ينفي قول لاون اسقفهم

في طومسه المشهور « وحقاً يأتي المسيح اثنان (اثنين) الاله والانسان » (١)

أما الذين يخشون من ان التسليم بطبيعة واحدة في السيد المسيح يجرهم الى الاعتقاد بالاختلاط والامتزاج فليسمعوا قول القديس ساويرس الانطاكي « اننا اذا قلنا بطبيعة واحدة للسيد المسيح من طبيعتي اللاهوت والناسوت نقول ايضاً ان ذلك يكون بغير امتزاج ولا اختلاط ولا فساد بل مع بقائهما على ما كانتا عليه فطبيعة الانسان من طبيعتي النفس والبدن وطبيعة الجسم من طبيعتي الهيولي والصورة من غير ان تنقلب النفس بدناً ولا الهيولي صورة وبالعكس » اه (٢)

والغريب ان البابويين الذين ينكرون وحدة المسيح الطبيعية في الوقت نفسه يسلمون بها باعتقادهم ان السيدة العذراء هى أم الله لان اعتقادنا بان العذراء هى أم الله هو عين الكفر ان لم نسلم بطبيعة واحدة في المسيح وفي ذلك يقول أحد الآباء سائلا المخالفين « هل ولدت مريم الهاً أم انساناً فان قلتم الهاً ضللتم لأن الله لا يولد وان قلتم انساناً كانت أم انسان لا أم اله وذلك تنكرونه وان قلتم ولدت الهاً وانساناً كانت أم اله وانسان فلها ابنان احدهما اله والآخر انسان وهذا قول ينقضه العقل ويزيفه فاذاً لا يصح الا ان تقولوا ان الاله والانسان صارا واحداً ولذلك مريم ولدت واحداً فالذي ولدته لا الهاً بالاطلاق ولا انساناً بالاطلاق ولا الهاً وانساناً بل الهاً متأنساً وهذا هو الحق » اه

وليس من ينكر ان الكنيسة الرومانية قبل الانشقاق وبعده أحياناً كانت تسلم برأي الكنيسة القبطية أى بطبيعة واحدة للسيد المسيح واليكم شهادة صاحب كتاب « تاريخ الانشقاق » وهو أحد كهنة كنيسة الاروام الارثوذكس التي تتفق مع الكنيسة البابوية لامعنا في هذه القضية قال فى ج ١ ص ١٩٢ « وكان معلمو الغرب على الغالب متفقين مع الاسكندريين في المنهج والتعبير كما يتضح من رسائل يوليوس بابا رومية الى ديونيسيوس اسقف قبرص فى اواسط القرن

---

(١) راجع كتاب اعمال مجمع خلكيدون المطبوع بالعربية برومية سنة ١٦٩٤ م (٢) مختصر تاريخ الدول لابن العبري ص ١٤٧

الرابع حيث ينكر الاعتراف بطبيعتين استناداً على قول الانجيل « والكلمة صار بشراً » وقول بولس « رب واحد يسوع المسيح » ويعترف بطبيعة واحدة للاهوت الغير المتألم والناسوت المتألم » اه

والاسقف الروماني انوريوس فى سنة ٦٢٥ م دافع عن مشيئة واحدة في السيد المسيح بشهادة مؤرخى الكاثوليك انفسهم فقال ليفونسيوس ليكورى أحد الذين يعترفون بقداستهم فى كتابه « تاريخ الهرطقات » ص ١٠٨ ان انوريوس قال « اننا نعتقد مشيئة واحدة فى المسيح لان اللاهوت لم يأخذ خطيئتنا بل طبيعتنا كما خلقت قبل انفسادها بالخطية » اه وقال ليفونسيوس أيضاً « ان البعض من المؤرخين الكاثوليك استنتجوا من هذا ان انوريوس سقط في هرطقة المونوطوليتيين » اه وشهد بذلك ايضاً المعلم لومندا اليسوعى مؤلف كتاب « خلاصة تاريخ الكنيسة » ج ١ ص ٢٨ و٢٨٩

ووافق انوريوس على الاعتقاد بمشيئة واحدة أسقف رومانى آخر وهو يوحنا الرابع سنة ٦٤٠ م كتب للملك قسطنطين الثاني يحامى عن انوريوس يقول « ان البعض كانوا يعتقدون ان في يسوع المسيح ارادتين متضادتين فلهؤلاء أجاب البابا انوريوس ان يسوع المسيح الأله الكامل والانسان الكامل اذ أتى ليصلح فساد الطبيعة البشرية حبل به وولد دون خطيئة وكذلك لم تكن مشيئتان متضادتان ومشيئة جسده لم تضاد قط مشيئة روحه » (تاريخ الهرطقات ص ٣٠٩)

وقال ليفونسيوس أيضاً تعليقاً على ذلك « لا ننكر ان انوريوس أخطأ اذ أمر بالصمت على من يقول ان فى المسيح مشيئة واحدة لانه متى كان الكلام في ضلال فالامر بالصمت عنه يكون نفس محاماة الضلال وحينما وجد الضلال وجب اشهاره ومصادمته وبهذا قام نقص انوريوس » (الهرطقات ٣٠٩) اه فها قد رأينا ان أعظم قديسي الكنيسة الكاثوليكية يجاهر بخطأ ونقص أحد باباواتها فاين اذاً تلك العصمة الموهومة ؟

وجاء في كتاب « الايمان الصحيح في السيد المسيح » ص ١٤٢ الذي ألفه اسقف روماني خطابا لرؤساء كهنة القبط والحبش والارمن والسريان يستدعيهم

به الى الانضمام لرأيه في الطبيعة والمشيئة ما نصه :ـ « ان الكنيسة الكاثوليكية تطعن بالحرم من لا يعتقد بان المسيح هو طبيعة واحدة للكلمة المتجسدة وان سألت اين يوجد هذا الحرم اجيبك على الفور كما تدون في المجمع الازاني المنعقد بامر القديس مرتينوس البابا سنة ٦٤٩ م في القانون الخامس بهذه الالفاظ « من لا يعتقد بموجب رأي الآباء القديسين انها موجودة طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة في المسيح خاصة وحقاً دلالة على ان المسيح الاله اخذ جوهرنا كله كاملا ما عدا الخطيئة فليكن محروماً » اه والادهى ان هذا القانون لم يصدر قبل المجمع الخلكيدوني بل بعده وهو يدل صراحة على ان الكنيسة البابا وية كانت تحرم من لا يقول بطبيعة واحدة في المسيح

وقال صاحب كتاب « تاريخ الهرطقات » عن المسيح ليلة آلامه « فان كان الناسوت وحده قد اطاع وصلى وتألم واذا لم تكن تقدمة المسيح وصلاته وتوسطه افعالا صادرة عن الكلمة بل عن الناسوت فقط بنوع ان الاتحاد اقنومى لم يساعد بشيء ليكون مبدأ افعاله كاملا فينتج من ذلك ان ناسوت المسيح كان يفعل من ذاته وان كان الامر كذلك فيجب ان يقال انه كان حاصلا على قيام بنفسه وكان له اقنوم خاص متميز عن اقنوم الكلمة وها هوذا في المسيح اقنومان كما يزعم نسطور » اه فليسمع البابا ويون قول قديسهم هذا الذى نقض به رأي برويار اللاتيني الذى كان يزعم ان ناسوت مخلصنا وحده اطاع وصلى وتألم وان تقدمته وصلاته وتوسطه لم تكن افعالا صادرة عن الكلمة كأنه مبدأ طبيعى وفعال بل انها كانت افعال الناسوت خاصة وانه في مدة وجوده فى القبر بطل ان يكون ابن الله الى غير ذلك من الآراء المرذولة التي كان يمكنه ان يوفر على نفسه تعب الرد عليها بتلك المحاولة اذا سلم بوحدة المسيح الطبيعية

وفي كتاب « اعتراف الآباء » المعتبر بكنيستنا القبطية طائفة كبيرة من شهادات الآباء العظام المعترف بقداستهم من كل الكنائس المسيحية تشهد بطبيعة واحدة للسيد المسيح فننقل بعضها عن كتاب « نفح العبير » ص ٢٠٦ ـ ٢٢٦ :ـ

قال القديس اغناطيوس البطريرك الانطاكي الاول الشهيد في رسالة له « نحن نؤمن ان المسيح الاله تألم بالجسد كالانسان وهو غير متألم كالاله وذاق الموت

بالجسد وهو غير مائت كالاله فاذا سمعت ان الله تألم عنا وان الله الـكلمة مات لاجلنا فافهم انا نوصل الطبائع الى وحدانية اللاهوت والناسوت »

وقال القديس اغريغوريوس العجائبي من كتاب له فى الامانة « الله الحقيقى الغير جسد ظهر فى الجسد وهو تام في اللاهوت الحقيقى الـكامل ليس هو شخصين ولا هو طبيعتين ولا نقول انا نعبد رابوعاً الله وابن الله وانساناً والروح القدس ومن أجل هذا نحرم المنافقين »

وقال القديس اثناسيوس الرسولى من مقالة له على التجسد الالهي وقد استشهد بها القديس كيرلس الاسـكندرى اكثر من مرة وهى واردة في تاريخ المجمع الافسسي دفعتين في الجزء الاول والثالث « وليس نقول عن هذا الابن الواحد انه طبيعتان واحدة نسجد لهـا والاخرى لا نسجد لهـا بل طبيعة واحدة لله الـكلمة المتجسد »

وقال ايضاً في رسالته الى ابيكتيتوس وقد استشهدها القديس كيرلس وتحررت في تاريخ المجمع المسكوني الثالث الافسسى دفعتين في الجزء الثاني والثالث هكذا « وكيف يتجاسر الذين يدعون مسيحيين على أن يشكوا في هل ان السـيد الذي ولد من مريم هو ابن الله بالجوهر والطبع وانه بحسب الجسد هو من زرع داود من جسد القديسة مريم ومن هم الذين يتجاسرون بهذا المقدار حتى يقولوا ان المسيح الذي تألم وصلب بالجسد ليس هو رب ولا مخلص ولا اله ولا ابن الآب »

وقال القديس باسيليوس الـكبير في تفسيره قول الحـكيم « ان الرب خلقنى » « وليس انا نقول على الابن الوحيد انه اثنان ولا نقول ان اللاهوت (منفرد) بذاته ولا اللاهوت بذاته بل نقول طبيعة واحدة واقنوماً واحداً »

وقال القديس اغريغوريوس اخو باسيليوس المشار اليه في مقالة له على عماد سيدنا وصوت الآب الشاهد له بالنبوة هكذا : — قال (اعني الله الآب) « هذا هو ابنى الحبيب الذي به سررت » ليس هو ابني وآخر ابن مريم « ليس هو واحداً الذى ولد فى المغارة وآخر غيره سجدت له المجوس . له هو الذى اصطبغ وغيره لم يصطبغ بل هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت »

وقال القديس يوليوس اسقف رومية المومأ اليه في رسـالته المذكور انه

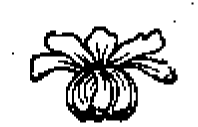
ارسلها الى ديونيسيوس اسقف قبرص في اواسط القرن الرابع « وبالضرورة يلزم الذين يعتقدون بطبيعتين أن يسجدوا للواحدة ولا يسجدوا للاخرى وان يعتمدوا بالتي للاهوت ولا يعتمدوا بالتي للناسوت ولكن ان كنا نعتمد بموت الرب فهي طبيعة واحدة نعترف بها للاهوت الغير المتألم والجسد المتألم لكي تكون صبغتنا هكذا في الله وتكمل بموت الرب »

وقال القديس غريغوريوس النزينزي الناطق بالالهيات في مقالته على اللاهوت « هو ابن واحد وليس المسيح طبيعتين بعد الاتحاد ولا مفترقاً ولا مختلطاً في ما اجتمع من الجهتين طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت اجتمعتا الى وحدانية وصارتا واحداً »

وقال القديس المعظم يوحنا الذهبي فم في المقالة الثالثة من تفسيره رسالة افسس « ولكني أبين الامر ان الله الكلمة اخذ الانسان كله من طبيعتنا وهو كامل في كل شيء وله اقنومه فيه اعني الكلمة فلأجل هذا نقول عنه انه طبيعة واحدة الله الكلمة صار جسداً »

وقال القديس ثاودوطس اسقف انكوريا من خطبة له على الميلاد السيدي وتليت خطبته هذه في المجمع الافسسي المقدس وسجلت بالجزء الثالث من تاريخ المجمع المشار اليه « لان الذي اتحد لايسمى اثنين بل واحداً وان قسمتهما بالعقل وتأملت كل واحد منهما بمفرده فقد حللت الاتحاد والوحدة »

وخير مانختتم به هذه الشهادات شهادة البابا كيرلس الاسكندري فى ختام كتابه الى ثيودوسيوس قيصر « اننا لانرى الناسوت من اللاهوت ولا نرى الكلمة من الناسوت بعد ذلك الاتحاد الغامض الذي لايمكن تفسيره بل نعترف بان المسيح الواحد هو من شيئين قد اجتمعا الى واحد مؤلف من كليهما لا بهدم الطبيعتين ولا باختلاطهما بل باتحاد شريف فى الغاية بوجه عجيب » اه



القرن السادس

القسم الاول

تاريخ البطاركة

(١) يوحنا٢ (٢) ديوسقوروس٢ (٣) تيموثاوس٣ (٤) ثيودوسيوس١

(٥) بطرس ٤ (٦) دميان

....

(١) يوحنا ٢ — البطريرك الثلاثون . قضى بضع سنين راهباً قبل رسامته مقيما في دير الغار الذي كان على مقربة من بلبيس (بمديرية الشرقية) وكان يلقب بالحبيس بالنسبة لبقائه مترهباً في مكان واحد مدة طويلة . وكان ذا قرابة بسلفه البابا يوحنا الاول . وحال ارتقائه الكرسي المرقسي في باؤنه سنة ٢٣٤ ش و٥٠٧ م في عهد اناستاس قيصر كانت الكنيسة المصرية قد أخذت قسطها من الراحة والحرية فاتسع نطاقها واستردت مافقدته من المراكز الدينية بسبب الاضطهاد . وتلقى هذا البابا عقب جلوسه على السدة البطريركية رسائل عديدة من رؤساء الاساقفة الارثوذكسيين يهنئونه بوظيفته ويؤيدون له الاعتراف بالايمان الصحيح ويرفضون كل هرطقة خصوصاً هرطقات نسطور وأوطاخى وابوليناريوس معترفين بوحدة المسيح الطبيعية

وكانت الرسائل متبادلة على الأخص بينه وبين بطريرك انطاكية المدعو ساورس الذي اشتهر بالتعصب للطبيعة الواحدة وبمقاومة مجمع خلكيدون . وكان قبل رسامته مقيما في الاسكندرية ثم اختير بطريركياً لانطاكية . وقد أسف

القيصر فيما بعد لتعيينه اياه بطريركاً على انطاكية لانه كان لا يعرف للتسامح في عقيدته معنى وقد حاول القيصر ان يجعله يتنازل عن مبدائه سواء بالقوة أم باللين فلم يجد الا الأباء الشديد

فأرسل الانبا ساويرس بطريرك انطاكية هذا الذي جلس على كرسي القديس اغناطيوس الكبير سنوديقاً الى البابا يوحنا الاسكندري بالاتحاد في الامانة ويبشرفيها بالاتفاق بينهما في الأمانة الواحدة الارثوذكسية التي للآباء القديسين. فقبلها البابا يوحنا شاكراً هو واساقفته وقرأوها في كنائسهم وفي جميع انحاء الكرازة المرقسية واصعدوا صلوات وشكروا السيد المسيح الذي أعاد الاعضاء المقطوعة الى مواضعها. وكتب ايضاً البابا يوحنا الى القديس ساويرس جواباً يشرح فيه الامانة المستقيمة ففرح به هذا الآب فرحاً عظيماً. وأقام البابا يوحنا بطريركاً احدى عشرة سنة وتنيح في الثاني عشر من بشنس سنة ٢٤١ ش و٥١٧ م

(٢) ديوسقوروس ٢ - البطريرك الحادي والثلاثون. ولما تنيح البابا

يوحنا كان له كاتب يدعى ديوسقوروس ابن عم البابا تيموثاوس الأول. وكان رجلا كاملا محبوباً من الشعب حتى طلب القيصر نفسه تعيينه. الا ان الكنيسة القبطية لم تكن لترضى مطلقاً بتداخل القياصرة في انتخاب بطاركتها. فهدأ ديوسقوروس خواطر الشعب بوعده اياهم برفض تعيين القيصر ويسلم ذاته لهم لينتخبوه او لا ينتخبوه حسب ما يتفق مع ارادتهم ومع قوانين الكنيسة. فلبث المصريون مدة دون ان يرسموه حتى هدأت الاحوال فأقيم بطريركاً بكنيسة مار يوحنا وتمت رسامته في شهر هاتور سنة ٢٤٢ ش و٥١٧م في عهد اناستاس قيصر باحتفال عظيم. وقام البطريرك بالخدمة وتناول الاسرار المقدسة.

وقد امتدح المؤرخون هذا البابا بالنسبة لحسن تصرفاته وجميل طباعه التي يندر من يتصف بها. وعقب رسامته مباشرة كتب رسالة الى الآب ساويرس يذكر له فيها نياحة البابا المغبوط يوحنا وجلوسه بعده على الكرسي الرسولي،

فكتب اليه يعزيه ويعلمه انه مشترك معه في الامانة المستقيمة التي ينبغى المداومة على التعليم بها والمحافظة عليها

وحدث ان القيصر اناستاسيوس غضب على قوم بالاسكندرية فخاف الجميع وطلبوا من البابا ديوسقوروس ان يذهب لمقابلة القيصر في القسطنطينية ويتوسط لديه حتى يرضى عليهم . فسافر البطريرك الى القسطنطينية وتمكن من الحصول على عفو عام للكل . وقيل ان هذا البابا الموقر صادف تعديات كثيرة واهانات مرة من انصار مجمع خلكيدون في القسطنطينية ولكنه احتملها بصبر تام ولم يرد ان يجاوب اولئك الاشرار بكلمة واحدة بينما كانوا يوجهون اليه قوارص الكلام اثناء مروره في شوارع القسطنطينية العمومية

ولم تطل حياة هذا البطريرك العظيم فلم يلبث على الكرسى البطريركي سوى ثلاث سنين وفي قول آخر سنة واحدة ونصف وتنيح في السابع عشر من بابه ولحق بآبائه في سنة ٢٤٤ ش و٥٢٠ م

(٣) تيموثاوس ٣ — البطريرك الثاني والثلاثون . اختير للكرسى البطريركي في هاتور سنة ٢٤٤ ش و٥٢٠ م فى عهد يوستينوس قيصر الاول لما اتصف به من التعقل والحكمة وكان من المتمسكين بوحدة المسيح الطبيعية والمتعصبين ضد مجمع خلكيدون نظير ساويرس بطريرك انطاكية ولذلك جدد منه العلاقات حال استلامه مقاليد الرئاسة وحرر له رسالة متضمنة الايمان الصحيح . واتفق بعد سيامته ان توفى انستاسيوس القيصر المؤمن وأقيم بعده رجل ردىء من أنصار مجمع خلكيدون اسمه يوستينوس سنة ٥٢٧م ، فلما جلس على كرسي القيصرية بذل جهده ليعيد كل المؤمنين الارثوذكسيين الى اعتقاد مجمع خلكيدون ووجه نظره بالاخص لمسيحيي مصر قاصداً اضطهادهم لانهم كانوا اكثر من غيرهم كراهة لمجمع خلكيدون ورسالة لاون . وعين لذلك قوة عسكرية وفدت على الاسكندرية لكي ترغم أهلها على قبول قرارات المجمع الخلكيدوني

ولما عرف البابا تيموثاوس الخطر المحدق برعيته أرسل وفداً الى القيصر يطلب منه الغاء هذه الاجراآت خوفاً من حدوث ثورة تصطك من هولها الركب .

وتقابل هذا الوفد مع امراة القيصر وكانت على مذهب المصريين فأقنعت القيصر بالعدول عما دبره بخصوص ذوي الطبيعة الواحدة فقبل وأرسل الاوامر الى جيشه بمبارحة الاسكندرية والذهاب الى اقاليم شمالى افريقيا الغربية

ولكن القيصر عاد فيما بعد وشرع في عقد مجمع بالقسطنطينية الغرض منه اجبار الارثوذكسيين على اعتناق مذهب الخلكيدونيين ودعا اليه جميع رؤساء الكنائس فحضر منهم كليسوس اسقف رومية وابوليناريوس الذى صيره القيصر بطريركا ملكياً على الاسكندرية فيما بعد واوطيخوس بطريرك القسطنطينية والاساقفة الذين تحت ايديهم

وكان أول من حتم عليهم القيصر بحضور المجمع البابا تيموثاوس بطريرك الاسكندرية وساويرس بطريرك انطاكية . فأما البطريرك الاسكندرى فلما كان يعلم غرضه السيء أبى قبول هذه الدعوة واستمر في مركزه مدبراً رعيته. فهاج لذلك غضب القيصر وأمر بالقبض عليه لينفى فتعرض لهذا الامر الارثوذكسيون وهددوا كل من يمد يده الى بطريركهم . فأمر الملك والي الاسكندرية بان يردهم بالقوة فحدثت اذ ذاك مجزرة عظيمة أسفرت عن قتل عدد عظيم من الارثوذكسيين وبذلك أمكن للوالي القبض على البطريرك ونفيه . فاستمر ثلاث سنوات في المنفى قاسى فيها شدائد عظيمة جداً وبعدها رجع الى مركزه

أما الآب ساويرس بطريرك انطاكية فانه قبل دعوة القيصر لحضور المجمع في القسطنطينية وذهب اليه ومعه بعض علماء الاساقفة منهم فيلوكسينوس اسقف مابوغ . فلما وصل الى القسطنطينية اكرمه الملك في البداية اكراماً عظيما ظاناً انه بذلك يستجلبه الى الخلكيدونية ويساعده على تعميم اعتبار طومس لاون . ولكنه لما جاء يوم انعقاد المجمع حضر جميع الاساقفة إلى الآب ساويرس الشجاع فقال ان لم يحرموا اولا طومس لاون والمجمع الخلكيدونى المرذول فلا أقبل الاجتماع مع أحد . في الحال أمر القيصر باضطهاده فنزلت عليه البلايا وحلت به الشدائد والقى في السجن هو وبعض اساقفته والبعض الآخر نفي واقيم مكانه رجل خلكيدوني المذهب يدعى بولس . وبعد سنتين افرج عنه بسؤال الملكة ثيوذوره المؤمنة فهرب من القسطنطينية وجاء القطر المصري فقابله البابا تيموثاوس

بكل احترام وخوفاً من سطوة الحكومة كان يهرب من مدينة الى مدينة ومن دير الى دير حتى انطلق أخيراً الى مدينة سخا (بمديرية الغربية) واختفى في بيت ارخن [١] يدعى درتاوس كان مشهوراً بالاهتمام بامور الشيوخ والرهبان الذين رفضوا ضلال يوليانوس الهرطوقى وكان الاب ساويرس يكاتب الاساقفة أصحابه الذين بالاسكندرية ويعزيهم ويصبرهم ويوصيهم ان يثبتوا على الشدائد.

أما البابا تيموثاوس فبعد رجوعه من منفاه لبث مستمراً على مبادئه الارثوذكسية حتى ظهر يوليانوس الاليكريشي من القسطنطينية وأخذ في نشر بدعة اوطاخي لخرمه وفصله من شركة الكنيسة . وخرج الآب ساويرس من مكمنه واشترك مع البطريرك الاسكندرى في مقاومة هذه البدعة وكتب الآب ساويرس رسالة الى يوليانوس يفند له فيها بدعته . ثم قضى البابا تيموثاوس ما بقي من حياته مجاهداً في سبيل الامانة المستقيمة مشتركا مع الآب ساويرس ودحض جميع مقالات يوليانوس . وكانت مدة مقامه بطريركا على كرسى الاسكندرية سبع عشرة سنة وتوفى فى الثالث عشر من امشير سنة ٢٦٠ ش و٥٣٦ م

(٤) **تيودوسيوس ١** ـ البطريرك الثالث والثلاثون . وبأمر الله اجتمع الاساقفة والشعب الارثوذكسى بعد نياحة البابا تيموثاوس الثالث وبتدبير السيد المسيح اتفقوا على اختيار الآب ثيودسيوس لكرسى البطريركية . في ابيب سنة ٢٦٠ ش و٥٣٦ م في عهد يوستنيانوس قيصر الاول وكان معروفاً بالعفة مشهوراً بالنبوغ في العلوم الكنسية . وبعد رسامته عقد مجمعاً حرم فيه مجمع خلكيدون ورسالة لاون وسائر الهراطقة وخصوصاً يوليانوس الذي كان ينفث سمومه في القويي الرأي حينئذ بالديار المصرية . فاغتاظ يوليانوس وأراد ان يدبر له مكيدة . فوقع نظره على ارشدياقن البيعة الاسكندرية . وكان رجلا طاعناً في السن يدعى قيانوس وكان قائماً وقت رسامة البابا ثيودوسيوس بطريركا مع الاساقفة والكهنة واستمر في البيعة حتى نصبوه وكتبوا تقليده وقدموه لرتبة الرئاسة على الكرسى الرسولي وكملوه باتفاق جميع الشعب المسيحى المحب لله .

---

(١) كلمة يونانية معناها هدية الله

فاحتال يوليانوس الهرطوقي وبعض الاشرار نظيره على قيانوس هذا وخدعوه بقولهم له انه كان ينبغي ان تكون رتبة البطريركية له لاسواه واستمروا يغشونه حتى اغتر بأقوالهم الرديئة وسمح لهم ان يأخذوه الى بيت قس رديء الفعل محب للمال يدعى ثيوذوروس وهناك رسموا قيانوس بطريركا . ثم مضى يوليانوس الهرطوقي الى صديقه يوحنا والي الاسكندرية وأجزل له الهدايا ورشاه بالأموال حتى رضي بطرد ثيودوسيوس البطريرك من كرسي الاسكندرية وأخفى اولئك الاشرار عن الوالي ما دبروه بخصوص اقامة قيانوس مكانه . ثم قاموا في الحال وعزموا على الهجوم على البطريرك ليلا . وبينما كان القديس في تلك الليلة قائماً بصلاة نصف الليل اذا به يسمع ضجة عظيمة ادرك منها عظم الخطر المحيط به فخرج من مخدعه حالا وهرب الى جهة حرمانوس ومكث هناك ستة شهور دون ان يعلم القيصر بكل ما جرى

وقد صادف البابا ثيودوسيوس متاعب جمة من اولئك الأوباش أي قيانوس المخالف ومن معه . وكان الوالي مجتهداً في انقاذه منهم خوفاً من اغتيالهم له فتشاور مع بعض الآباء وانزلوه في مركب في البحر ومضوا به الى قرية مليج من اعمال مصر واجتمع في الاسكندرية حينئذ ثلاث فرق من المسيحيين احداها (المستقيمو الرأي) وقد نسبوا لبطريركهم المنفي ودعوا بالثيودوسيين والثانية (الخياليون) اتباع يوليانوس وسلفه اوطاخي والثالثة (الخلكيدونيون) أو الملكيون التابعون لمذهب المملكة

واستمر البابا ثيودوسيوس سنتين في منفاه حتى قلق الارثوذكسيون وطلبوا من الوالي بالحاح ان يعيده لهم فخاف منهم واخرج قيانوس من المدينة وأرسل يخبر الملكة الارثوذكسية بذلك . فلما بلغ الخبر مسامع الملكة كلمت زوجها بحكمة محدثة اياه بكل ما جرى للبابا ثيودوسيوس . ففرح القيصر في قلبه بماحل بمن لم يشاركه في أمانته الفاسدة الا انه ترك الحرية لزوجته تعمل ماتريد . فتصرفت الملكة بتعقل وأرسلت الى والي الاسكندرية تستخبر منه عن قانونية رسامة ثيودوسيوس

فجاء رسل الملكة الى الاسكندرية وحال وصولهم اخبرهم الوالي وكل من نال

رشوة من قيانوس ان رسامة قيانوس حق وانه هو الاولى في الرسامة. غير ان قولهم لم يثبت اذ اجتمع نحو مائة وعشرين رجلا من الكهنة ومقدمي المدينة وكتبوا تقريراً يعترفون فيه بقانونية بطريركية ثيودوسيوس. ثم اجتمعوا برسل الملكة في البيعة واجتمع معهم جميع اهالي الاسكندرية وأخذوا يستفهمون من جميع الحاضرين عن ثيودوسيوس وهل رسامته شرعية فاجمعت كلمة الكل على صحتها وانها تقدمت رسامة قيانوس بشهرين. وبينما هم يبحثون حضر قيانوس نفسه امام تلك الهيئة واعترف بالحقيقة طالباً الصفح عن تعديه ووضع توقيعه مع المعترفين وصرح بانه خادم مطيع للبابا ثيودوسيوس وانه يرتضي بان يكون ارشدياقناً كما كان. ففرح الجميع بذلك ممجدين الله وزاد سرورهم برجوع بطريركهم المغبوط اليهم بسلام

ولما رجع البطريرك الى كرسيه خضع قيانوس له ثم تقدم بالشكر لرسل الملكة وارسل معهم رسالة للقيصر وامرأته يخبرهما فيها بكل ما جرى فلما وصل الرسل وسلموا الرسالة للقيصر واطلع على كل ما فيها اضطربت افكاره الخلكيدونية وقال في نفسه هوذا أنا سلمت كرسي الاسكندرية لثيودوسيوس ولكني لا أضمن مساعدته لي على تعميم عقيدتي ولواضفت الى كرسيه جميع ولايات افريقيه. وفي الحال أملى عليه الشيطان كتاباً لوالي الاسكندرية ومقدميها وللبابا ثيودوسيوس ليجتذبه فيه الى اعتقاد مجمع خلكيدون وطومس لاون ويساعده على نشره ووعده مكافأة على ذلك ان يمنحه كرسي البطريركية والولاية في مصر ويكون جميع اساقفة افريقية تحت طاعته. ثم هدده بأنه اذا لم يطع ولم يرض فليخرج من البيعة ليمضي الى حيث يشاء

فلما قرأ البابا المجاهد المغبوط البطريرك ثيودوسيوس المعترف بالمسيح كتاب القيصر هتف امام رسل الملك والوالي والجمع المحتشد قائلا « ان ابليس أخذ السيد المخلص واصعده على جبل عال وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له كل هذه اعطيكها ان سجدت لي. هكذا انتم أتيتم تعدوني بان أصير غريباً عن المسيح الملك الحقيقي حباً في مجد الدنيا الباطل » ثم رفع يديه أمام الجميع وقال « بالحقيقة أحرم طومس لاون ومجمع خلكيدون وكل من يعترف بهما فهو محروم من الآن

والى الابد آمين » ثم قال للوالي ولجميع جيش القيصر « ليس لمولا كم سلطان الا على جسدي الفاني ولكن نفسي في يد مخلصي والآن هوذا البيع وكلما فيها امامكم ومهما أردتم فافعلوه وأما انا فتابع لايمان آبائي الذين تقدموني اثناسيوس وكيرلس وديوسقوروس وتيموثاوس وغيرهم الذين صرت أنا نائباً لهم بغير استحقاق » ثم قام وخرج وقال « من كان يحب الله فليتبعني » فخرج وراءه الارثوذكسيون. ولم يشأ الوالي ان يقبض عليه بل تركه يذهب الى حيث يشاء كأمر القيصر فخرج من المدينة وقوة السيد المسيح ترشده بل ان الوالي نفسه اهتم بأمره وأعد له كل ما يحتاج اليه وحمله في مركب الى صعيد مصر حيث أقام هناك اربع سنين يعلم الشعب والكهنة والرهبان في الديارات ويثبتهم على الامانة الارثوذكسية ويصبرهم على احتمال الاضطهاد حتى الموت

أما رسل القيصر فرجعوا اليه واعلموه بالخبر فاندهش هو وجميع رجال بلاطه من ثبات ثيودوسيوس على أمانته ورفضه كل تلك الهبات . وأقام القيصر عوضاً عنه رجلا يدعى بولس النيسى وكان هذا الرجل اجنبياً عن مصر شب ودب في طرسوس. وبدون ان يعلم المصريون من أمره شيئاً رسمه القيصر في القسطنطينية فصار هذا الرسم قاعدة لبطاركة الملكيين ان يرسموا بالقسطنطينية ويسيروا للاسكندرية . وقد تم هذا كله سنة ٥٤١م . وجاء بولس الى الاسكندرية تحرسه قوة عسكرية هائلة ولكن المصريين لم يقبلوه ولم يعبأوا به ولم يحسبوا لوجوده بطريركا عليهم أدنى حساب ولم يفاتحه أحد منهم بكلمة واحدة بل كانوا يلقبونه يهوذا الثاني . ولم يكونوا يعرفون لهم بطريركا آخر سوي ثيودوسيوس المنفى الذي كانوا يطيعونه ويخضعون لاوامره التى كان يرسلها اليهم

واستمر بولس سنة على هذا المنوال حتى اضطر أخيراً ان يخبر القيصر بأن المصريين يهربون منه كما يهرب الحمل من الذئب . فرد عليه القيصر بكتاب يأمره فيه أن يغلق ابواب البيع التي بمدينه الاسكندرية ويختم عليها بخاتمه ويجعل عليها حراساً حتى لايدخلها أحد مطلقاً . وقنع بوليس من الرئاسة بوضع يده على الكنيسة الكبرى المسماة بالكنيسة القيصرية ثم استحوذ بمساعدة الجيش على عدة كنائس مهمة غيرها .

أما المسيحيون فلما سمعوا بأمر قفل الكنائس حزنوا حزناً مفرطاً ومكثوا سنة كاملة بدون ان يصلوا في كنيسة ما ولم يكن يعزيهم ويصبرهم سوى كتب بطريركهم المنفي التي كانت ترد اليهم بين آن وآخر . ولما زاد قلقهم اجتمعوا وتشاوروا في بناء بيعة فتم لهم ذلك وبنوها بقوة المسيح غربي الاسكندرية فى الموضع المعروف بالسواري والصربيون على اسم الانجيليين ثم بنوا كنيسة أخرى شرقي الملعب غربي الاعمدة قليلا على اسمى قزمان ودميان وبنوا كنائس أخرى سموا احداها الكنيسة الملائكية نكاية فى الكنيسة القيصرية

فلما علم بذلك القيصر انفذ وفتح جميع البيع وجعلها تحت سلطان الخلكيدونيين . فلما علم البابا ثيودوسيوس ناح وبكى وطلب الرب من اجل ثبات أمانة شعبه وكان يصلي ويقول « يا ربي يسوع المسيح انت اشتريت هذا الشعب بدمك الشريف وانت المهتم بهم فلا تتخل عنهم بل لترعاهم عنايتك »

ولم يكن بولس البطريرك الدخيل مبغوضاً من المصريين فقط بل من بعض الرومانيين ايضاً بالنسبة لدناءة اعماله . ولما رأى قوة الحكومة تحت يده شرع فى ان ينتقم من الجميع . وبدأ اعماله بنقل ايلياس قائد جنود الوجه القبلي الى مكان آخر حتى يضعف قوة الاقباط فى الصعيد . فشعر بيوس احد شمامسة الكنيسة الاسكندرية بالأمر فأرسل كتاباً لأيلياس يخبره به فوقع الكتاب فى يد أحد اتباع بولس فجاءه به ولذلك أمر بولس بالقبض على الشماس المسكين متهماً اياه باهمال مصلحة الكنيسة وتبديد ايرادها وسلمه الى عهدة درون والي مصر فاستمر يعذبه الى ان أسلم روحه

فرفع اقرباء الشماس بيوس دعواهم الى القيصر فأمر بعزل درون الوالي وعين بدله ليبريوس وأمره باجراء تحقيق دقيق فى قضية بيوس ولكن بولس البطريرك الدخيل ودرون الوالي السابق أخذ كل منهما يلقى التبعة على الآخر فاسفر التحقيق عن ادانة كليهما فحكم بالاعدام على درون وبالنفي على بولس وحكم عليه بالعزل والحرمان من بطريركيتي انطاكية واورشليم . وعين القيصر عوضه رجلا يدعى زيلوس . ولم يكن لهذا البطريرك أي اعتبار لدى الاقباط وعاملوه بنفس المعاملة التي عاملوا بها بولس قبله غير معترفين بأحد رئيساً عليهم

سوى ثيودوسيوس .

وحدث ان يوستينوس قيصر توفى وملك عوضه يوستنيانوس وكان أشد كرهاً للارثوذكسيين غير انه في مبدأ أمره نهج منهجاً يختلف عن خطة سلفه وأظهر ليناً نحوهم وأمر باستحضار ثيودوسيوس اليه من النفي وترك له نوعاً من الحرية واذ خاف لئلا يؤول ذلك الى تعميم الارثوذكسية تظاهر بانه يريد عقد مجمع بالقسطنطينية ينهى فيه القضايا التي تدور عليها المنازعات وكتب رسالة مملوءة عطفاً للبابا ثيودوسيوس ووعده بان لا يلحقه أذى وأوصى حامل الرسالة ان ينطلق به حتى يتقدمه الى العاصمة

فعزم البطريرك على مقابلة القيصر واستعان بقوة السيد المسيح وأخذ معه عدداً من علماء كهنته ولما وصلوا الى القسطنطينية دخل الى القيصر وامرأته فلما عاينوا سكينته وتواضعه وفضله استقبلوه حسناً وأنزلوه فى مواضع أعدوها له ومن معه . ثم استدعاه القيصر اليه مراراً وهو يكلمه بكل رقة ليستميله الى جانب مجمع خلكيدون ولكنه لم يفلح في تغيير عقيدته . ولما تقابل معه البطريرك ثالث دفعة وأخذ يعده بالكرامة ان هو أطاع رأيه قال له « لا حياة ولا موت ولا غلاء ولا عري ولا سيف يصد قلبي عن أمانة آبائي » فغضب عليه الملك وألقاه فى احد سجون القسطنطينية مدة وبعد ذلك نفاه واستمر فى المنفى حتى ادركته المنية فرقد فى الرب بعد ان قضى مدة اثنتين وثلاثين سنة بطريركا صرف منها ٢٨ سنة فى أماكن النفى ووضع من المقالات والتعاليم فى مدة بطريركيته الشيء الكثير. وانتقل بسلام الى السيد المسيح الذي كان يحبه في اليوم الثامن والعشرين من شهر بؤونه سنة ٢٨٣ ش و٥٦٨ م

وكانت علاقة هذا البابا بالآب ساويرس بطريرك انطاكية متينة للغاية. وكان الآب ساويرس في مدة البابا ثيودوسيوس لازال في بيت دروتاوس المار ذكره وكان هذا الرجل قد امكنه ان يمضي الى ارسطاماخوس الوالي وسأله ان يترأف على شيوخ الرهبان الذين في البرية بان ينعم عليهم ويمكنهم ان يبنوا بيعاً عوضاً عما أخذه منهم الهراطقة . وكان الآب ساويرس قد وضع كتباً قهر بها انصار الطبيعتين واستمر مجاهداً طول حياته حتى مر عليه ثلاثون سنة منذ رسم بطريركا

على انطاكية وهو صابر على اضطهاد المخالفين . ثم تنيح مسروراً بمقابلة المخلص الذي دافع عنه طول حياته

(٥) بطرس ٤ ــ البطريرك الرابع والثلاثون . لما نفى يوستنيانوس قيصر البابا ثيودوسيوس المرة الأخيرة وضع منشورات بحرم بعض مشاهير المصريين والفلسطينيين وارسل لبطريركه زويلوس في مصر ان يوقع عليه فرضي في مبدأ الامر ولكنه رجع وامتنع فنفاه وعين غيره رجلا يدعى ابوليناريوس الذي أتى من القسطنطينية الى الاسكندرية بلباس قائد ومعه قوة عسكرية لتوطيد رئاسته فلما قدم الاسكندرية ودخل الكنيسة نزع ثياب الجند ولبس ثياب البطاركة وقدس فهم الناس برجه فانصرف وجميع عسكره وأظهر انه أتاه كتاب من الملك يقرأه على الناس وضرب الناقوس في الاسكندرية يوم الاحد فاجتمع الناس للصلاة حتى لم يبق احد فصعد المنبر وقال : — « يا أهل الاسكندرية ان لم تتركوا مقالة ديوسقوروس أخاف عليكم لئلا يرسل القيصر من يقتلكم ويستبيح اموالكم ونساءكم » فهموا برجه وهو على المنبر فأشار الى العسكر فوضعوا السيف فيهم فقتل من الناس عدد كثير وفر منهم عدد وافر الى الديارات بوادي هبيب واخذ الملكيون كنائس المتأصلين وأمر القيصر ابوليناريوس ان يجتهد في مقاومة الارثوذكسيين حتى لا يظهر احد من اساقفتهم بمدينة الاسكندرية ومن يومئذ صار كرسي الارثوذكسيين بوادي هبيب

وبعد وفاة البابا ثيودوسيوس أظهر ابوليناريوس فرحه لظنه بأن الجو قد خلا له ليعلن رئاسته العامة على الكنيسة القبطية . وعمل وليمة للكهنة وأهل المدينة وتوهم أنهم يوافقونه لأن الآباء الاساقفة لم يكن أحد منهم يستطيع الظهور بالاسكندرية بالنسبة لتشديد القيصر عليهم . ولكن بمشيئة الله تولى الاسكندرية رجل فاضل فسمح للارثوذكسيين ان يقيموا لهم بطريركا في السر . فخرجوا الى دير الزجاج (١) كأنهم يريدون الصلاة وارسلوا الى الوجه البحري واحضروا ثلاثة اساقفة وأقاموا قساً يدعى بطرس بطريركا وتعزى به الشعب

---

(١) كان بأرض بلدة معمل الزجاج بمركز كفر الدوار وخرب من زمن بعيد

وتقوت أمانتهم ولكنهم لم يكونوا يقوون على الدخول به الى المدينة علانية خوفاً من ان يعلم بذلك ابوليناريوس أو القيصر وكان ذلك في مسرى سنة ٢٨٣ ش و٥٦٨ م في عهد يوستينس قيصر الثاني

فلبث البطريرك مقيماً بمكان يبعد عن الاسكندرية مقدار تسعة أميال في بيعة على اسم يوسف البار وكانوا يحملون اليه جميع ما يحتاج . غير انه فيما بعد شعر ابوليناريوس بالأمر فغضب جداً وكتب للقيصر يعلمه بما كان ولكن قبل وصول كتابه الى يوستنيانوس ضربه الرب بمرض عضال قضى على حياته . أما البابا بطرس فكان بهي الطلعة جميل الصفات محباً للمتعلمين ولهذا استخبر عن كاتب له يكون ملماً بعلوم الكنيسة فارشدوه الي راهب يدعى دميان بدير تابور فمضى اليه البطريرك وتحدث معه وطلب منه ان يشترك في اتعاب تدبير الكنيسة ورجاه بان يذهب ليقيم معه في الدير . فأطاعه دميان ومضى معه الى حيث يقيم . وكان هناك اديرة كثيرة العدد يسكنها جمع غفير من الرهبان وبجوارها ٣٠ ضيعة تسمى (سكاطينا) سكانها ارثوذكسيون . وكانت الأديرة والضيع جميعها تحت ادارة البابا بطرس . وفي أيام هذا البابا وفد على مصر يعقوب البرادعي وكان من امره ما سيذكر في سيرته

أما شعب انطاكية فلم يكن اضطهاده أهون من اضطهاد شعب مصر . وبعد وفاة الآب المغبوط ساويرس أجلسوا مكانه انساناً اسمه ثاوفانيوس واقاموه في دير يعرف بدير امونيوس لان الهراطقة هناك كانوا نظير هراطقة مصر يضايقون الاساقفة المستقيمي الايمان . ثم ان البابا بطرس قضى حياته مجاهداً في كرم الرب حتى تنيح بعد سنتين من رسامته بطريركا في الخامس والعشرين من بؤونه سنة ٢٨٥ ش و٥٧٠ م ومن ايام البابا بطرس صارت قاعدة لزمن طويل ان يرسم البطاركة بدير أبي مقار بوادي هبيب

(٦) دميان — البطريرك الخامس والثلاثون. ولما تنيح البابا بطرس أجلسوا

مكانه كاتبه دميان الراهب في مسرى سنة ٢٨٥ ش و٥٧٠م في عهد يوستينس قيصر الثاني وكان قبل ذلك قد أقام في دير ابي يحنس ست عشرة سنة تحت ارشاد رجال

قديسين يتعبد بتقشف زائد . ومن ثم انتقل الى دير تابور اي دير الآباء في زمان عمارة الاربعة الاديرة بوادي هبيب وحالما ارتقى الكرسي البطريركي قاوم بعض الذين بقوا من حزب ميليتس لما اشتهروا به من الافعال الرديئة وقد كانوا مختلطين بالرهبان فأمر بطردهم خوفاً من أن يفسدوا عقولهم

ولما تنيح الآب ثاوفانيوس بطريرك انطاكية أقيم مكانه رجل من كهنة البيعة يدعى بطرس وكان غليظ القلب مظلماً في أفكاره مضطرب العقل مقاوماً للامانة المستقيمة . وبالنسبة للاتحاد الذى كان بين الكنيستين كتب بطرس هذا الى البابا دميان سنوديقاً ففرح به في مبدأ الامر ولكنه بينما هو يفحص الكلام المدون فيه وجد فيه عثرة في الاعتراف بالثالوث المقدس ومؤدى كلام بطرس ان تعليم الثالوث فى غير محله ولا داعي لذكره بالمرة فطلب ان يجذبه الى الايمان برفق حتى لاينثلم الاتحاد بين الكرسيين وكتب اليه مقالة يذكر فيها اعتراف المجامع المسكونية والآباء القديسين بالثالوث المقدس . فلم يرعو بطرس عن غيه وكتب للبابا دميان رسالة شديدة اللهجة يؤخذ منها انه مصر على ضلاله فعقد البابا مجمعاً حكم على بدعته بالحرم وعليه هو بالقطع وكان سبباً لوجود خلاف بين المصريين والانطاكيين مدة عشرين سنة حتى قصف الله عمر بطرس المخالف

واستمر البابا دميان يسوس رعيته باهتمام مجتهداً في الابتعاد عن كل مايولد الانشقاق وهو منزو في صومعة بدير وادي النطرون نظراً لقيام الملكيين وأخذهم جميع كنائس الاسكندرية وكان ابوليناريوس بطريرك الملكيين قدمات سنة ٥٦٩ م وخلفه بطريرك آخر اسمه يوحنا اصله من قواد الجيش تمت رسامته في القسطنطينية وأرسل الى مصر ليقبض على ايراد الكنائس فيها. والتاريخ يصف يوحنا هذا بمحبته للسلام والهدوء ولهذا لم يستعمل القوة فى اجبار الاقباط على ترك مذهبهم بل تركهم يعبدون الله بحرية تامة

أما البابا دميان فقضى بقية حياته بوضع الميامر والمقالات ومقاومة أصحاب البدع الذين كانوا يأتون اليه ويجادلونه فكان الرب يعطيه الغلبة عليهم الى ان تنيح بسلام الرب في شيخوخة حسنة بعد ان أقام بطريركا مدة ست وثلاثين سنة. وكانت وفاته في اليوم الثامن عشر من بؤونه سنة ٣٠٩ ش و ٦٠٣ م

القسم الثانى

مشاهير الكنيسة

(١) يعقوب البرادعي (٢) من هم اليعاقبه (٣) بعض مشاهير

ooooooooo

(١) يعقوب البرادعي . وفد على مصر في ايام البابا بطرس الرابع . كان كثير العبادة والزهد لا يلبس سوى خرق البراذع فسمى البرادعى ويلقب بالزنزلي ايضاً . ولد في بلدة تيلا على مسافة ٥٥ ميلا من الرها بمقاطعة ايطاليا فى أواخر القرن الخامس . ونشأ اولا في دير بالقرب من الرها يدعى دير الشقوق وبعدوفاة اسقف هذه المدينة رسم اسقفاً عليها سنة ٥٤١ م

ثم توجه الى القسطنطينية ليدافع عن الايمان الارثوذكسي ويفتقد الآباء البطاركة الذين طرحوا في السجون وتحصل بواسطة مساعدة الملكة ثيوذورة المؤمنة على ان يرسم من الثلاثة بطاركة المعزولين وهم ثيودوسيوس الاسكندري وساويرس الانطاكي وانتيموس القسطنطيني مطراناً عاماً على كل الكنائس الارثوذكسية

وقبل رسامته كانت ايدي ملوك الروم تعبث بانصار الطبيعة الواحدة وكاد هؤلاء ييأسون اذ مات بعضهم والبعض الآخر أسر فنهض يعقوب واشتغل مدة اسقفيته كلها وهى ٣٣ سنة في لم شعث طائفته وكان لابساً برذعة بمثابة ثوب شحاذ يطوف بها في انحاء الولايات الرومانية لكي يضم سكانها الى حظيرة الكنيسة القبطية ويدخل في اذهانهم مذهبها واعتقادها بهمة لا تعرف الكلل ماشياً تحت الاخطار والاهوال من بلد الى بلد لا يعرف الخوف ولا يشعر بالخطر المحدق به من موظفي الحكومة ومن الكهنة الرومانيين

وصار يشرطن قسوساً واساقفة ويضم الشيع المتفرقة الى مراكز معلومة ويوفق بين المتخاصمين وهدى اتباع اوطاخى وجعلهم يتركون اعتقادهم الفاسد ويتمذهبون بمذهب الكنيسة القديم . الى ان جدد للارثوذكسيين مركز بطريركيتهم في انطاكية وترأس مجمعين كرس لهم فيهما بطريركين واحداً بعد الآخر بعد وفاة القديس ساويرس وهما سرجيوس وبولس

وهكذا استقر مذهب الطبيعة الواحدة في كثير من جهات آسيا الصغرى وما بين النهرين وسوريا وقبرص وفلسطين وبلاد الارمن وانقسمت طوائفه الى ثلاث وهي السريان والارمن والمصريون وتنطوي تحتهم الحبشة . فالسريان كان عندهم ١١٦ اسقفاً وبطريرك انطاكي يسمى دائما اغناطيوس ومركزه ماردين . والارمن لهم ايضاً بطريرك يقيم في استراغ ويسمى العام . ويرجع الكل في امرهم الى البطريرك الاسكندري

والذي حدا بيعقوب للحضور الى مصر هو السعي في اعادة السلام بين كنائسها وكنائس سوريا وسبب ذلك ان يعقوب كان قد رسم بطريركا ارثوذكسياً لانطاكية يدعى بولس ولكن لسبب الاضطهاد الذي لحق به اضطران يوافق الخلكيدونيين . فاستاء يعقوب منه وأصدر قراراً بحرمه وكان بولس قد فرق القسطنطينية بعد ان جاهر امام الامبراطور بارثوذكسيته وتاب عن زلته وأتى الى يعقوب فقبله وضمه الى عضوية الكنيسة. غير ان المصريين عابوا على يعقوب قبوله بولس مرة اخرى حتى ان البابا بطرس أصدر قراراً بحرم بولس فحضر يعقوب الى مصر للمفاوضة في هذا الامر وترأس مجمعاً عقد في الثغر الاسكندري اقتنع فيه برداءة سلوك بولس وسيرته السابقة بالاسكندرية مسقط رأسه فسلم يعقوب بعزله ولكنه يبقى عضواً في الكنيسة لانه تاب وأعلن عزله بواسطة ثلاثة اساقفة ومن ثم سافر يعقوب من مصر ليباشر جهاده

اما بولس فكان له انصار عديدون رفضوا قرار مجمع الاسكندرية بشأنه وكاد الشقاق يستفحل فعزم يعقوب على زيارة مصر ثانية فى ايام البابا دميان الـ٣٥ ولكنه أصيب بمرض في الطريق فعرج على دير فى حدود مصر ولما بلغ البطريرك الاسكندرى خبر مرضه ذهب اليه ليزوره فوجده قد مات في سنة ٥٧٨م . وقد

شهد المؤرخون بان هذا الرجل كان باراً تقياً وقادراً فى فصاحته وعلمه وانه لولم يهيء الله وجوده لما قام للقويمى الرأى قائمة وبعد موته ترك الكنائس الارثوذكسية نامية احسن نمو في كل تلك الاماكن . وجملة ما كرز من الكهنة والشمامسة مائة الف قسيس وشماس وعشرين اسقفاً ومطرانا وبطريركين

(٢) من هم اليعاقبة ؟ . ويدعى المؤرخون اللاتين والاروام ان اصحاب مذهب الطبيعة الواحدة قد اكرموا يعقوب المذكور بتسميتهم يعاقبة باسمه. ولذلك دعا الخلكيدونيون الكنيسة القبطية بالكنيسة اليعقوبية وهو قول ملقى على عواهنه يدل على جهل قائله اذ لاتوجد هناك علاقة بالمرة بين الكنيسة القبطية ويعقوب كما ان يعقوب لم يكرز فى مصر بل كان يكرز في الولايات الاخرى .

ويظهر ان الخلكيدونيين قصدوا باطلاق لقب « اليعقوبية » على الكنيسة القبطية ان ينتقموا لانفسهم منها لانها اطلقت عليهم لقب « الملكيين » ولكن لسنا بمخطئين في تسمية الكنيسة الرومانية بالكنيسة الملكية لانها انحازت الى الملك او الامبراطور الروماني مذهباً وسياسة . واول من اطلق اسم اليعاقبة هو افتيخوس بطريرك الملكيين في القرن العاشر ولكنه اطلقه على السريان الذين كانوا خاضعين رسمياً ليعقوب البرادعى . ولما نشرت كتابات افتيخوس بين الافرنج ورأى بعض مؤرخيهم ان تعاليم الاقباط لا تختلف عن تعاليم السريان تخرج هؤلاء المؤرخون من هذا الرأي الى تسمية الاقباط باليعاقبة ايضا

وربما اطلقوا هذا اللقب سهواً اوجهلامنهم ولكنه كان سبباً في جر كثيرين الى الوقوع في هذا الخطأ حتى من بعض ابناء الكنيسة القبطية ومنهم ابن العسال وابو دقن الذي قال ان هذه التسمية وصلتنا من ابي الاسباط اتماماً لنبوة الملاك جبرائيل للعذراء ان المولود منها « يملك على بيت يعقوب الى الابد » وقال المقريزي المؤرخ المسلم « ان اصحاب مرقيان دعوا اصحاب ديوسقوروس باسم اليعاقبه او اليعقوبية واطلقوا عليهم جميعاً هذا الاسم واختلف في تسميتهم بذلك فقيل ان ديوسقوروس كان يسمى قبل بطريركيته باسم يعقوب وانه كان

يكتب وهو منفي الى اصحابه بان يثبتوا على أمانة المسكين المنفي يعقوب . وقيل بل كان له تلميذ اسمه يعقوب وكان يرسله وهو منفي الى اصحابه فنسبوا اليه . وقيل بل كان يعقوب تلميذ ساويرس بطريرك انطاكية وكان على رأي ديوسقوروس فكان ساويرس يبعث يعقوب الى سائر المسيحيين ويثبتهم على امانة ديوسقوروس فنسب النصارى الى يعقوب المذكور » اهـ وقال آخرون ان ذلك نسبة الى يعقوب الرسول

فيتضح ان المؤرخين الذين اتفقوا على تسمية كنيسة مجمع خلكيدون بالكنيسة الملكية لم يتفقوا في روايتهم على نسبة تسمية اليعاقبه للكنيسة القبطية وكل اقوالهم في هذا الشأن مردودة اذ قد التبس عليهم فيها وجه الصواب لاسيما وان البابا ديوسقوروس لم يعرف باسم يعقوب ولم يكن له تلميذ بهذا الاسم ولم يبشر يعقوب الرسول بمصر ولا كرز يعقوب البرادعى بمصر راداً الاقباط الى مذهب الطبيعة الواحدة بل كانوا هم المتمسكين به دون غيرهم ولم يعرف الاقباط منذ اول عهدهم بالمسيحية الى اليوم الا بالاقباط الارثوذكس وكنيستهم « الكنيسة القبطية الارثوذكسية »

(٣) **بعض مشاهير.** وممن اشتهر في هذا القرن من الاقباط :

اولا — يوحنا البرلسي . أحد الذين وضعوا كتاب السنكسار (١) راهب برية شيهات ثم رسم اسقفاً على البرلس في رئاسة البابا دميان الـ ٣٥

ثانياً — قزمان . أولع بالسياحة فطاف أماكن عديدة ومع انه وضع كتباً كثيرة الا انه لم يبق منها الا كتاب « وصف البلدان طبقاً لقواعد الدين المسيحى » .

ثالثاً — ديوسقوروس . عالم قبطى وضع كتاباً في علم النبات بناء على طلب أميرة رومانية

---

(١) ان الذين جمعوا كتاب السنكسار واهتموا بتدوينه هم (١) يوليوس الاقفهصي (نسبة لاقفهص بمركز الفشن) وكان معتنياً بآثار الشهداء في اضطهاد ديوكلتيانوس في آخر القرن الثالث (٢) يوحنا البرلسي (نسبة الى البرلس بمديرية الغربية) (٣) ميخائيل اسقف اتريب (من اطلالها تل اتريب بجوار بنها العسل)

رابعاً ـ أعمال أخرى للمصريين . وكتبت في هـذا القرن نسخة من سفر التكوين محفوظة في مكتبة فينا ببلاد النمسا وهى تحتوي على اكثر من ٨٨ صورة. كما ان علماء العالم بأسره كانوا يفدون على الاسكندرية لتصحيح ما بايديهم من النسخ القديمة التي لا يوجد من يعرف باصولها سوى علماء الاسكندرية

القسم الثالث

الدولة والكنيسة

(١) اناستاسيوس (٢) يوستينوس ١ (٣) يوستنيانوس ١
(٤) ثورة الاقباط في عهد موريس

oooooooo

(١) اناستاسيوس . تولى هذا الامبراطور سنة ٤٩١ م وكان واقفاً على احوال مصر وملماً بكل ما فيها لانه مكث بها مدة منفياً من وجه سلفه وكان مقيماً في مركز منوف بمديرية المنوفية حيث كان له اصدقاء كثيرون . وحدث ان احد الاعيان اشار عليه بزيارة راهب اشتهر بالتقوى يدعى ارميا يقيم في احدى بلاد ذلك المركز ليدعوله بالخير . فزاره يصحبه بعض اصحابه الذين طلبوا من الراهب ان يباركه فباركهم جميعاً ولم يبارك اناستاسيوس ببركة خاصة . وبعد انصرافهم صرح اناستاسيوس بحزنه لذلك وأظهر خوفه من ان يكون الراهب قد عرف ان خفاياه سيئة فأبى ان يباركه فحاول اصحابه ان يزيلوا هذا الظن منه ولكنهم لم يفلحوا فعادوا الى الراهب واخبروه بالأمر فاستدعاه اليه ولما اختلى به هو وثلاثة من اصحابه اخبره بانه رأى يد الله مرفوعة فوق رأسه فلم ير

ما يجمله يباركه بعد الله ثم أوصاه قائلا « ان الله الذي عينك لمنصب الملك يطلب منك ان تعيش صالحاً بعيداً عن الافعال الرديئة غير موافق لانصار مجمع خلكيدون لأن من يصادق على ذلك المجمع يحل عليه غضب الله »

وقد تمت نبوءة الآب ارميا لجلس اناستاسيوس على عرش الملك وطلب بعض وجوه الاقباط من هذا الآب ان يوفد اليه بعض تلاميذه لزيارته فأرسلهم تحت رئاسة راهب يدعى وريدنوس من أقارب ذلك الناسك واوصاهم بان لا يقبلوا منه هبة أو عطية الا ان يكون بخوراً وبعض أوان تحتاج اليها الكنائس . ولما كان هذا الامبراطور منفياً بنى كنيسة أرسل اليها مع اولئك الرسل أواني من الذهب والفضة وبخوراً ونذوراً عظيمة المقدار كما انه أهدى بعض اصحابه من المصريين هدايا فاخرة وعين بعضهم في وظائف سامية في الحكومة

وصفوة القول انه لم يقم بين القياصرة من عمل مثله على اسعاد مصر وارجاع السلام اليها . وكان نظير سلفه في احترامه للمذهب القديم وامداده لذويه بعمارة كنائسهم واديرتهم واحسانه الى رهبانهم ودفع المرتبات السنوية لهم . ولما رأى ان الانشقاقات الدينية هي التي تبدد السكينة نفى كل الاساقفة الغربيين الذين رآهم ميالين لزرع بذور الخصام والمنافسة فهدأت الأحوال في كل الكراسي البطريركية الا في كرسي رومية فان اساقفته كانوا قد استمرأوا عيشة المناشذة والمناجذة فخرج من بين تابعيهم رجل يدعى ويطاليانوس متململا بأخذ الثأر للكثلكة وهو في الحقيقة انما يطلب الملك لجمع الجموع الكثيرة حوله وحاول ان يغتصب العرش من اناستاسيوس ولكنه انهزم شر هزيمة

وفي ايام هذا القيصر هجم الفرس على مصر وانتشب القتال بينهم وبين الرومانيين مدة أصيبت فيها البلاد بمجاعة فادحة . وفي اثناء اشتدادها تبرع أحد المسيحيين اليهود بتوزيع مقدار عظيم من الحنطة على المحتاجين في يوم عيد القيامة فتزاحم الجياع على ابواب الكنائس حتى هلك منهم ٣٠٠ ألف نفس في ذلك اليوم

(٢) يوستينوس ١ – تولى سنة ٥١٨ م وكان رجلا عامياً أمياً فتشيع

للمجمع الخلكيدوني جهلا منه وصرف همه في مقاومة الارثوذكسيين . ومن دلائل الغطرسة التي درسها عن اسقف رومية أمره بقطع رأس القديس ساويرس بطريرك انطاكية . ففر القديس من وجهه ولجأ الى مصر فأخذ في اضطهاد بطريرك الكنيسة القبطية وأمر بنفيه وبسبب ذلك جرت مذبحة هائلة هلك فيها نحو مائتي ألف نفس . ثم نفى اساقفة ارثوذكسيين في جهات كثيرة

(٣) يوستنيانوس ١ – تولى سنة ٥٢٧ م وكان في اوائل ملكه مشغولا بتوطيد دعائم عرشه وبعد ذلك اهتم باجراء صلح بين الكنيستين اليونانية والرومانية . ثم أدار وجهه نحو المصريين فاضطهدهم بشدة قاصداً ان يرغمهم على الاعتراف بقرارات مجمع خلكيدون واضطهد الاب ثيودوسيوس طويلا كامر بسيرته وخلع الاساقفة الارثوذكسيين في القسطنطينية وارغم كثيرين بعد التعذيب على الاعتراف بالطبيعتين

غير ان الملكة ثيوذورة وسائر علماء البلاط كانوا من حزب المتأصلين أو ذوي الطبيعة الواحدة ولم يكونوا راضين بهذه المعاملة الرديئة والقساوة الشديدة اللتين سار بهما الملك ضد الارثوذكسيين وكانوا يعزون المضطهدين ويقومون بكل ما يحتاجه المسجونون من القوت . وكان لثيوذورة السلطان المطلق على زوجها لجمالها وحكمتها فنصحته بالتزام خطة الاعتدال فهدأ قليلا ولكنه رجع الى تهوره فيما بعد واضطهد الارثوذكسيين وسلب كنائسهم حتى اضطر الاقباط الى تشييد خلافها وسموا احداها الكنيسة الملائكية نكاية في الكنيسة القيصرية الكبرى التي اغتصبها منهم القيصر

وحدث مرة انه أمر اسقفاً ارثوذكسياً ان يعترف بقرار مجمع خلكيدون أو يعمل اعجوبة فاجابه ان العجائب لغير المؤمنين وطلب من الله ان يظهر اعجوبته في نفس الملك فاصبح وجهه متورماً فجزع وطلب من زوجته ان تطلب من الراهب ان يصلي من اجله فصلى فنال الشفاء . واعتزل الراهب مدة الصوم الكبير فوشى الخلكيدونيون للملك فاستدعاه اليه فأبى بحجة ان قانون الوحدة يوجب عدم تركها قبل يوم خميس العهد ولكن الملك عاجلته المنية قبل مجيء ذلك اليوم

وقد ساعد ولاة مصر بطاركة الأروام على سلب حقوق بطاركة المصريين . فتعصب الاقباط ضد اليونانيين وابطلوا لغتهم من كنائسهم ومجتمعاتهم وصاروا يصلون بلغتهم الاصلية وترجموا كل الكتب الدينية اليها

وفي عهد هذا القيصر حدثت فتنة في الاسكندرية بسبب بطريرك الأروام فانتهزها اليهود وفتكوا بكثيرين من المسيحيين. ولبث الخلكيدونيون يعيثون في الأرض فساداً واشتد غيظ المصريين من القيصر عند ما أصدر أمراً يحرم فيه اوريجانوس بطل الكنيسة الاسكندرية حتى لم يعد يطيق أي مصري ان يرى رومانياً أمامه فانفصلوا عنهم وصاروا قسمين واختص كل جماعة منهما بلون فاختار المصريون اللون الأخضر والرومانيون الأزرق

(٤) ثورة الاقباط فى عهد موريس . وجاء بعد يوستنيانوس يوستينس ٢ سنة ٥٦٥ م وكان أشفق على العباد من سلفه ويظهر ان ذلك من تأثير زوجته ابنة اخت الملكة ثيوذورة فترك الناس يدينون بما يشاؤون فتمكنت الكنيسة القبطية من استرجاع مراكز كثيرة من التي اغتصبت منها وتحسنت احوال شعبها ورعيتها . وخلف يوستينوس طيباريوس ٢ سنة ٥٧٨ م الذي تنازل عن الملك لموريس سنة ٥٨٢ م وفي اوائل حكمه حدثت ثورة في مصر في الوجه البحري تحت زعامة ثلاثة أخوة من الاقباط هم ابوسخيرون وميناً ويعقوب من بلدة عقيلة (١) وسببها ان حاكم قسم سمنود (غربية) التى القبض على رجلين قبطيين من ذوي الوجاهة والاعتبار احدهما يسمى قسا بن صموئيل والآخر بانون بن آموني فهجم الثائرون على الرومانيين في جهة بنا وابي صير (بالقرب من سمنود) وطردوهم منها فارسل واليها الى الامبراطور يشكوه أمره فأمر الامبراطور يوحنا والي الاسكندرية بقمع الثائرين الذين كانوا قد وضعوا يدهم على أقاليم الوجه البحري وحاولوا الاستيلاء على الاسكندرية فاغتصبوا الحنطة التي كانت مرسلة اليها .

وحدثت من جراء ذلك مجاعة اهتاج منها سخط القوم على الوالي وكادوا

---

(١) هي الآن زاوية صقر بمركز ابي حمص بحيرة

يفتكون به لولا بعض اعيان الاقباط الذين ردوا عنه اعتداء الغوغاء

ومع ان يوحنا والي الاسكندرية كان صديقاً للثلاثة الاخوة الا انهم استمروا في مقاومتهم فعزله القيصر وعين بدله رجلا يسمى بولس وتمكن اسحق ابن اكبر الثلاثة الاخوة من الانتصار على الرومانيين فاستولى على كثير من مراكبهم وسعى خلفهم الى قبرص يكتسح امامه قوتهم الحربية حتى خاف الامبراطور من سوء النتيجة وطلب الى يولوجيوس بطريركه في مصر ان يعقد صلحاً مع الثلاثة الأخوة .

وكان يوليوس البطريرك الروماني على جانب عظيم من دماثة الاخلاق فاكتسب رضاء المصريين عنه واجتمع مع الثلاثة الاخوة لأجراء الصلح في مسقط رأسهم فأبوا القبول الا اذا أعاد الامبراطور صديقهم يوحنا الوالي فاجاب طلبهم ورجع الوالي الى منصبه وعين لقيادة الجيش رجلا يدعى ثيوذوروس

وحدث ان قائد الجيش الجديد أخذ القبطيين المأسورين وثلاثة آخرين من عظماء المصريين كانوا قد سجنوا معهما واوقفهم على شاطىء النيل المقابل للشاطىء الذي احتشد عليه الثائرون وأمرهم بطرح السلاح والا يقضي على الخمسة الرجال فتوسل المأسورون الى الثائرين ان يكفوا عن القتال شفقة بهم فالقى معظم هؤلاء الاسلحة وعبروا النهر وتقابلوا مع اصحابهم المقبوض عليهم ولم يبق في ساحة النزال الا الثلاثة الأخوة وبعض اصدقائهم وظلوا يقاتلون الجيش الروماني باستبسال ولكنهم غلبوا أخيراً وفروا الى مدينة صان (شرقية) فقبض عليهم الرومانيون ومضوا بهم الى الاسكندرية ومروا بهم في الشوارع ليعتبر بهم العصاة ثم طرح الثلاثة الاخوة وابنهم اسحق في السجن . ولبث يوحنا الوالي يدافع عنهم طول مدة ولايته بدون جدوى حتى تعين مكانه وال جديد فقطع رؤوس الأخوة ونفى اسحق نفياً مؤبداً . وأمر الامبراطور بأخذ ممتلكات الثائرين وحرق مدينتي عقيلة وصان

ولم تكد نار هذه الثورة تخمد حتى قامت ثورات اخرى فى خمس مدن وهى صان وخربتا وبسطة وسنهور وأخميم وغيرها وانتهت جميعها بمذابح وحشية من الوطنيين الذين لازمهم الفشل فى كل تدبيراتهم

وبالجملة فلم يكد ينتهي القرن السادس حتى بلغت العداوة بين المصريين والرومانيين اشدها خصوصاً عند ما أنفذ القيصر أمراً الى نائبه بمصر بطرد جميع الاقباط من خدمة الحكومة وعدم قبول احد منهم فى مصالحها قصداً منه فى اذلالهم فكان ذلك من اقوى البواعث على قنوط الاقباط واعتزالهم الروم بالكلية وقطع كل العلاقات معهم . وكان كل ما اشتد الضيق بالاقباط كلما ازدادوا تمسكا برأيهم وطمعاً في نوال الاستقلال الديني الذي اشتروه بسفك دماء الالوف المؤلفة منهم

القسم الرابع

البدع والانشقاقات

(١) اختلاف فى ماهية جسد السيد المسيح (٢) اختلاف آخر فى ماهية الاقانيم الالهية وفي لاهوت المخلص وناسوته (٣) بدعة بقية حزب ميليتس (٤) الاسيفيا ليون (الذين بلا رأس) (٥) نزاع بسبب العلامة اوريجانوس (٦) نزاع على الثلاثة التقديسات (٧) مسألة الفصول الثلاثة

....

(١) **اختلاف فى ماهية جسد السيد المسيح** . غلبت بين انصار الطبيعة الواحدة فى هذا القرن اختلافات قامت بسبب البحث في ماهية جسد المسيح . فيوليان الهيليكار نسوسي سنة ٥١٩ م اعتقد ان الطبيعة الالهية اتحدت بجسد المسيح منذ حبل به حتى تغير الجسد فى طبيعته وصار عديم الفساد فوافق على ذلك قيانوس ومنه تسمي المعتقدون بهذه العقيدة قيانيين . وانقسم المقرون بهذا

التعليم الى ثلاثة أحزاب . فنشأ بينهم اختلاف في هل كان جسد المسيح مخلوقاً أم غير مخلوق فانقسموا الى قسمين سمي الواحد بعبدة المخلوق والآخر بتبعة الغير المخلوق وخرج منهم حزب ثالث اعتقد ان جسد المسيح قابل الفساد ولكن بقوة اللاهوت لم يصر بالحقيقة فاسداً . وأقلع الغيانيون ورجعوا الى حضن الكنيسة في عهد البابا الاكسندروس ال ٢ بعد ان تمسكوا بضلالهم ١٧٠ سنة

وعارض رأي يوليانوس طائفة اخرى علمت بان جسد المسيح كان نظير جسدنا قابل للفناء والفساد فالذين يسمون بالكربتيكوليين ولاسيما ثيومستيوس شماس اسكندري استنتجوا من هذا التعليم ان المسيح وان كان باللاهوت يعلم كل شيء ولكن ناسوته يجهل اموراً كثيرة ولانهم يعتقدون بوحدة المسيح الطبيعية استنتج الآخرون من تعليمهم انهم اشركوا الطبيعة الالهية في الجهل ولهذا سموا اغنيتيين . وروى موسهيم المؤرخ البروتستانتي ان البابا ثيودوسيوس الاسكندري كان من أصحاب هذا الرأي وانه حمل فى حدة الجدال ضد الهراطقة على ان يقول « ان انسانية المسيح كانت تجهل اليوم الاخير » فقالوا انه نسب الجهل للاهوت لاعتقاده بوحدة الطبيعتين . الا ان هذا الرأى لم يدم لان الذين صرحوا به في معرض الدفاع عن الايمان انتبهوا الى غلطتهم وعدلوا عنها

(٢) اختلاف آخر فى ماهية الاقانيم الالهية وفى لاهوت المخلص

وناسوته . وروى مؤرخو اللاتين والاروام ان البابا دميان البطريرك ال ٣٥ ذهب بان لكل من الاقانيم الثلاثة وجوداً خاصاً وان للثلاثة معاً وجوداً رابعاً عاماً وهكذا قامت شيعة مربعي اللاهوت وسموا اربعيين أو دميانيين . وعنها انشقت شيعة قاومت تعليمها باتباعها مذهب سابليوس القديم . ثم قام واحد من معلمي الفلسفة في الاسكندرية اسمه استفانوس النيوبي ذهب انه لافرق بين اللاهوت والناسوت فى المسيح فتبعته شيعة سميت بالنوبيين . الا ان كل هذه الاختلافات التي قامت بين أشياع الطبيعة الواحدة تلاشت جميعها عند ماقام يعقوب البرادعي وأخذ يؤلف بين آرائهم ويرد من ضل منهم الى محجة الصواب . وصاروا الكل على رأي واحد هو رأي ديوسقوروس البابا الاسكندري

(٣) بدعة بقية حزب ميليتس . وظهرت بدعة أخرى بين الذين بقوا من حزب ميليتس الذي انشق عن الكنيسة فى عهد البابا بطرس آخر الشهداء فكانوا اذا قصدوا ان يقدموا الاسرار الالهية يقضون الليل كله يترنحون بشرب الخمور وحجتهم في ذلك ان السيد المسيح قبل ان يسلم لتلاميذه السر المقدس شرب معهم خمراً . فقاوم البابا دميان هذه الفيئة ولما لم يذعنوا امر بنفيهم من بين الرهبان خوفاً من ان تمتد البدعة اليهم

(٤) الاسيفياليون (الذين بلا رأس) وهم الذين انفصلوا عن الكنيسة فى ايام البابا بطرس مغوس البطريرك ال ٢٧ لانه قبل الاتحاد مع بطريرك الاسكندرية الذي كان أحد الذين حكموا على البابا ديوسقوروس . ثم انقسمت هذه الشيعة الى احزاب ثلاثة هى الانثروبومرفيتيين والبارسنوفيتيين والأسأسنتيين وتبع هذه الاحزاب أحزاب أخر وقد بقى من كهنة الذين لا رأس لهم اربعة قسوس في ايام البابا دميان وكانوا يسكنون شرقي مصر فتسلط عليهم فكر شيطاني بانهم يقيمون لانفسهم اسقفاً خوفاً من ملاشاة ذكرهم فاختاروا أكبرهم بارسنوفة ورسمه الثلاثة القسوس اسقفاً . فلما سمع اهل غربي مصر منهم بذلك غضبوا جداً لانهم فعلوا ذلك بغير مشورتهم فانفصلوا عنهم ولم يساعدوهم وبذلك لم يكن لهؤلاء من يعمدهم او يقربهم او يصلي لهم فوسموا لهم اسقفاً ولكنهم استمروا ينقصون شيئاً فشيئاً حتى بادوا بالكلية

(٥) نزاع بسبب العلامة اوريجانوس . ان الحروم الكثيرة التي صدرت ضد العلامة اوريجانوس لم تؤثر على مقامه ومركزه عند رهبان مصر المطلعين بتدقيق على مؤلفاته العديدة والعارفين باتعابه وطهارة سيرته . فترجم انسان اسمه بلاتر في الغرب بعض مؤلفاته الى اللاتينية . وفي الشرق ولاسيما في سوريا وفلسطين كان الرهبان يدافعون عنه بغيرة صحيحة ووافقهم على ذلك بعض الاساقفة ولا سيما ثيوذورس الذي من قيصرية كبدوكية

فحدث ان افرآم بطريرك انطاكية حكم على اوريجانوس وأضاليله لاعتباره

اياها مساعدة مذهب الطبيعة الواحدة الذي كان يكرهه فطلب اولئك الرهبان من بطرس الاورشليمي قطع افرآم فأبى وارسل مندوبين من قبله الى القسطنطينية ليقدما ليوستنيانوس قيصر شكاية ضد اوريجانوس . فعقد القيصر مع مينا بطريرك القسطنطينية مجمعاً أصدر منه أمراً مستوفياً بجرم اوريجانوس وعقائده ونهى عن مطالعة كتبه . وبعد ذلك حكم في مجمع مسكوني عظيم جمعه القيصر سنة ٥٥٣ م على آراء اوريجانوس بانها سامة للكنيسة

(٦) نزاع على الثلاثة التقديسات . ان الكنيسة منذ القديم رتبت قرأة التريساجيون (أي الثلاثة التقديسات) وقيل ان اول من اذاعها هو اغناطيوس الثاوفورس والذي أمر بترتيلها قبل قرأة الانجيل هو بطرس الرسول

وجاء في كتاب البصخة المطبوع حديثاً « ان يوسف ونيقوديموس لما شرعا في تحنيط السيد أمسك يوسف يده وقال هذه اليد العظيمة التي كونت المخلوقات وانا اكفنها ففتح المسيح عينيه وتبسم في وجهه فصرخ عند ذلك يوسف قائلا « قدوس الله الخ » اه وهذا نصها : —

« قدوس الله قدوس القوي قدوس الحي الذي لا يموت . يا من ولدت من العذراء ارحمنا »

« قدوس الله الخ . يا من صلبت عنا ارحمنا »

« قدوس الله الخ . يا من قمت من بين الاموات وصعدت الى السموات . ارحمنا »

ولما ظهر نسطور بطريرك القسطنطينية واراد ان يحذف من طقوس الكنيسة كل ما يدل ولو ظاهراً على نسبة الآلام للاهوت منع اطلاق لقب والدة الاله على السيدة العذراء ولما رأى ان بعض عبارات هذه التقديسات تخالف مبادئه حذفها واكتفى بان تكون هكذا « قدوس الله قدوس القوي قدوس الحي الذي لا يموت . ارحمنا » وامر جميع الكنائس بترتيلها على هذه الصورة فخضعت لاشارته الكنائس التي نشأ فيها ودرس علومه بينها وهي كنائس سوريا والشرق

وفي ايام البابا بطرس مغوس بطريرك الاسكندرية كان معاصراً له الأب بطرس القصار بطريرك انطاكية أحد الذين وقعوا على منشور الاتحاد فأشار البطريرك الاسكندري على البطريرك الانطاكي بأن يعيد للثلاثة التقديسات ما حذف منها لكي تحفظ كما رتبت في العصر الرسولي . فاصدر بطريرك انطاكية منشوراً لجميع الابروشيات التابعة له يأمر فيه بترتيل الثلاثة التقديسات كما وضعها الرسل فعملت الكنائس بأمره ولا سيما كنيسة القسطنطينية

ولما انتشرت هذه الزيادة لم يرض عنها الخلكيدونيون فاشاعوا بأن بطرس القصار يقصد بذلك ان ينسب للاهوت الولادة والآلام والموت واطلقوا عليه لقب « صالب اللاهوت » غير ان الملكة ثيوذورة اقنعت القيصر يوستنيانوس فصدق عليها رسمياً . قال العلامة موسهيم المؤرخ « وكانت النتيجة ان المسيحيين الغربيين رفضوا الترنيمة لانهم فهموا انها تشير الى صلب الاقانيم الثلاثة وأما المسيحيون الشرقيون فاستمروا يستعملونها دائماً الى وقتنا هذا بدون خطيئة لأنهم يعيدون الترنيمة الى المسيح وحده أو الى اقنوم واحد فقط في الثالوث » اهـ (١)

فيفهم من قول هذا المؤرخ ان الذين ابوا ان يرتلوا التريساجيون بالصورة الاصلية ظنوا ان ذكر قدوس فيها ثلاث دفعات في كل مرة اشارة الى الثالوث الاقدس فلهذا حكموا بانها بدعة ولكن الكنيسة لا تعتبرها هكذا ولم تقصد بها ان تخاطب الثالوث الاقدس كأنها تقول « قدوس الله الاب قدوس القوي الابن قدوس الحي الذي لايموت الروح القدس » بل المراد مخاطبة الابن المتأنس فقط معترفة في الاولى بولادته وفي الثانية بصلبه وفي الثالثة بقيامته وصعوده .

قال الشيخ حبيب ابو رابطة أحد علماء الكنيسة السريانية في القرن الحادي عشر من رسالة له ضد احد النساطرة أيد بها التقديس المثلث كما تترنم به الكنيسة القبطية « ان الاربعة الحيوانات رتلوا التقديس المثلث بقولهم «قدوس قدوس قدوس الرب الاله القادر على كل شيء الذي كان والكائن والذي يأتي»

---

(١) تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٢٢٠

(رؤ ٤ : ٨ و٩) ولا ريب انهم كانوا يخاطبون الابن فقط كما يستدل من قرينة الـكلام ومن مراجعة (رؤ ١ : ٧ و٨ و٢٢ : ١٢ و٢٠) وان اعترض معترض بان قول الحيوانات « والذي يأتي » انما يريدون به اقنوم الابن لـكن لا يفهم منه سوى كونه لاهوتاً مجرداً فنجيبه قائلين . ان هذه العبارة التي قيلت من بعد التجسد لا يراد بها في الانجيل أو خلافه الا الابن حالة كونه متجسداً . فاسمع ماذا قال الملاكان وقت صعود المسيح له المجد « ان يسوع هذا ارتفع عنكم الى السما سياتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً الى السما » (اع ١ : ١١) اهـ

وقال العلامة موسهيم أيضاً « وحدثت منازعة جسيمة بين اليونانيين سـنة ٥١٩ م في انه هل يليق القول ان أحد الاقانيم صاب فاستعمل كثيرون هـذه العبارة لـكي يلحوا على الناطرة الذين تطرفوا في تفريق طبيعتي المسيح والرهبان السيكثيون في القسطنطينية الذين هم أصل هذه المنازعة ولـكن الآخرين حسبوا هـذه العبارة مطابقة لضلال صالبي اللاهوت أو الافتيخيين فرفضوها ووافق أورمسداس اسقف رومية حين استشاره الرهبان السيكثيون وحصلت منازعات جسيمة سامة . وأخيراً المجمع الخامس ويوحنا الثاني خليفة اورمسداس استرجع الصلح للـكنيسة باستصواب استعمال العبارة » اهـ (١)

ولا تزال كنيستا الموارنه والسريان الـكاثوليكيتين التابعتين لقصر الفاتيكان ترنمان هـذه الترنيمة في جمعة الحاش (الآلام) وتشيران بها الى اقنوم الابن المتأنس . ومؤلف كتاب « تاريخ سوريا » وهو ماروني ذكر في كتابه ج ٥ص ١٤٩ عن مؤسس كنيستهم وهو يوحنا مارون مايأتي « ويعزى الى يوحنا مارون رسالة في التريساجيون أي التقديسات الثلاثية قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لايموت عنوانها جواب على من يزعمون اننا نعزو الصلب الى الثالوث الاقدس اذ نزيد على التقديسات « يا من صلبت من أجلنا » ثم ذكر في ص ١٥٠ فقرة من كتاب ليوحنا مارون في هـذا المعنى في شرح رتبة القداس فصل ١٩ قال فيها « اننا نبين لسؤالـكم أيها الابناء الاحباء هل ينبغي أن يترنم بالتقديسات مع الزيادة عليها « يامن صلبت من أجلنا » ومتى يترنم بذلك ؟ فاعلموا ان هـذه

---

(١) تاريخ الكنيسة ص٢٤٤

التسبحة توجه تارة الى الثالوث الاقدس وتارة الى أحد الاقانيم الالهية فقطواذا وجهت الى الثالوث الاقدس المسجود له لم يسغ البتة أن يلحق بها «يامن صلبت»..... ومتى وجهت هذه التسبحة الى الابن فلا مانع من أن يزاد عليها ذكر الآلام والصلب والموت والدفن والقيامة وباقي أسرار تدبير تخلصنا اذ لامراء ان الابن ألم وصلب ومات من أجلنا » اه هذا وان يوحنا مارون المشار اليه قضى حياته يدافع عن وحدة مشيئة المسيح خلافاً لمذهب الكنيسة البابوية بان في المسيح طبيعتين ومشيئتين

(٧) مسألة الفصول الثلاثة . علمنا انه كان من أنصار الطبيعة الواحدة

في بلاط القيصر الملكة تيوذوره المشهورة بالتمسك بايمانها ودوميتيانوس كاتم أسرار القيصر فانضم اليهم ثالث وهو تيوذوروس القيصري المذكور الذي كان القيصر يعتبره ويجله فسافر الى القسطنطينية وبينما كان يوستينانوس ينكل بالارثوذكسيين أقنعه بالاتفاق مع الملكة ان مجمع خلكيدون أخطأ بقبوله النسطوريين قبل أن يحرم مؤلفاتهم ثم أفهمه ان الخلكيدونيين قبلوا بينهم تيوذوروس المبسوسيتي وثاوذوريتوس اسقف كورش وايباس الذي من اديسا (الرها) وان هؤلاء هم أصل الشيعة النسطورية والمدافعون عنها وكتب كل منهم كتاباً ضد القديس كيرلس ومع كل ذلك قبلهم المجمع الخلكيدوني وأعز شأنهم. فلما وقف يوستنيانوس على الحقيقة أصدر سنة ٥٤٤ م منشوراً يحرم فيه الفصول الثلاثة وهي مؤلفات تيوذوروس المبسوسيتي وكتابات ثاوذوريتوس ضد القديس كيرلس والرسالة التي أرسلها ايباس خطاباً الى مارس الفارسي ثم حرم مؤلفيها وطلب من جميع البطاركة والاساقفة في أنحاء المملكة الرومانية المصادقة على هذا الحرمان والتوقيع على المنشور الصادر به وكان عبارة عن تسفيه أعمال مجمع خلكيدون وتسفيه آراء القائلين بصحة قراراته لان أولئك الكتاب الثلاثة كانوا من معضديه فاضطر كثيرون من الاساقفة على توقيع المنشور وتهدد من يمتنع بالعزل

وكانت الملكة تيوذورة قد استدعت ويجيليوس اسقف رومية الى حرم مجمع

خلكيدون ومساعدة البطاركة انثيموس القسطنطيني وثيوذوروس الاسكندري وساويرس الانطاكي والقول بقولهم فاجاب طلبها ووافق على رأيها وحرم من يعتقد بطبيعتين في المسيح ولا يعترف بجوهر واحد فقط ومن يقول انه صلب من حيث هو انسان ولا يعترف ان ابن الله نفسه صلب وشجب الفصول الثلاثة ومؤلفيها النسطوريين الذين قبلهم مجمع خلكيدون . أما اساقفة افريقية والالبريكوم فالزموه ان يسترجع ذلك الشجب لانه لا أحد منهم يحسبه اسقفاً وأخاً ان لم يستصوب الفصول وذلك المجمع

وبعد ذلك طلب منه يوستنيانوس ان يمهر منشوره فراوغ كثيراً وماطل فطلب منه القيصر بأن يحضر الى القسطنطينية فقام من رومية وبينما كان يركب السفينة في نهر تيبر أخذ شعب رومية يرشقه بالحجارة قائلا « فليرافقك صيتك الردي . فليرافقك الموت . لقد صنعت شروراً في رومية . فلتلاقينك الشرور حيث تذهب » ولما قابل الملك سلمه كتاباً معروفاً « باسم جوديكاتم » حكم فيه على الفصول الثلاثة وقد اجتهد في مجمع عقد فى العاصمة ان يقنع الاساقفة الغربيين ليمضوه فلم يستطع بل قاموا ضده وطعنوا فيه بانه خان الايمان ودنس الكنيسة بعقيدة خبيثة (فليسمع الذين ينادون بعصمة باباواتهم في تعاليمهم)

ولم يكتف يوستنيانوس بذلك بل عقد مجمعاً ثانياً سنة ٥٥١ م دعا اليه اساقفة افريقية والكريكيوم وأمرهم بشجب مجمع خلكيدون فلم يوافقه منهم كثيرون. وفي تلك السنة نفسها اصدر امراً ثانياً صد مجمع خلكيدون أشد من الاول وطلب من اسقف رومية ان يوقع عليه فأبى وفر واختبأ بكنيسة مار بطرس بالقسطنطينية فطارده يوستنيانوس ولكنه تمكن من الهروب الى خلكيدون وبعد ذلك أمنه الملك على حياته ليحضر مجمعاً مسكونياً عقده في القسطنطينية سنة ٥٥٣م وحضره ١٦٥ اسقفاً خلكيدونياً حكموا جميعهم على الفصول الثلاثة! وكان ويجيليوس فى المدينة متمارضاً فعرضت عليه قرارات المجمع ليوقعها فامتنع فنفاه القيصر ثم ندم وأمضى تلك الاحكام وعاد الى كرسيه ولكنه وجد اساقفته قد انفصلوا عنه لانه بامضائه على ذلك القرار قد رذل مجمع خلكيدون

وقد حضر هذا المجمع ابوليناريوس البطريرك الامبراطوري بالاسكندرية

أما الكنيسة القبطية فمع كونها كانت ترى قرارات يوستنيانوس طبقاً لاعتقادها ولكنها أبت ان تشترك معه في تدبير المكائد للآخرين ورفضت منشوره رفضاً قطعياً اذ كانت قد آلت على نفسها ان لاتحرم انساناً انتقل من هذا العالم الى العالم الآخر بل أذا رأته مخطئاً اكتفت باشهار خطائه

فالآن لنا فرصة نقارن فيها بين تصرفات اساقفة رومية وتصرفات بطاركة الاسكندرية وكيف ان هؤلاء كانوا يترفعون عن السعي للايقاع بالغير بينما كان اولئك لايجدون فرصة يتمكنون فيها من نشر الأذى على رؤساء الكنائس الأخرى حتى ينتهزوها . ولنا ايضا ان نقارن بين ارتياب اساقفة رومية بايمانهم وتمسك بطاركة الاسكندرية به . وكيف لا يخجل الغربيون اذا ذكروا مع تاريخ اسقفهم ويجيليوس تاريخ ديوسقوروس البابا الاسكندري ورأوا البون العظيم بين تلون ذاك وثبات هذا وكيف ان التهديدات المرة لم تزعجه بل استمراً محافظاً على ايمان كنيسته الى ان جاد بآخر انفاسه . واما اسقفهم فكان يتلون كل يوم بلون وسهل عليه اخيراً ان يسلم في ايمانه حباً في سواد عيون الفخفخة الكاذبة .



القرن السابع

القسم الاول

تاريخ البطاركة

(١) انسطاسيوس (٢) اندرونيقوس (٣) بنيامين ١ (٤) اغاثو
(٥) يوحنا ٣ (٦) اسحق (٧) سيمون ١

••••••••

(١) انسطاسيوس . البطريرك السادس والثلاثون . كان من أبوين وجيهين أقيم بعد البابا دميان وكان رجلا حكيما مزينا بالفضائل وكان قساً في كنيسة الانجيليين وكنيستي قزمان ودميان بالاسكندرية مشهوراً بالتضلع في كتب البيعة وفهم الامانة فاجمعت كلمة الشعب على انتخابه في أبيب سنة ٣٠٩ ش و٦٠٣ م في عهد فوقا قيصر المغتصب وقد عرفنا فيما سبق ان البطاركة كانوا ممنوعين من الدخول الى الاسكندرية ولكن هذا البابا كان قوي القلب يمضي الى المدينة ويدخلها في كل وقت ويرسم فيها الكهنة . ثم أخذ يعمل مع قومه حتى استرد ما استولى عليه الملكيون من كنائس المتأصلين ورمم منها ما انشعث في أيام الاضطرابات . فأخذ البيعة التي هي بربوة اثارأت وبيعة على اسم رئيس الملائكة ميخائيل . وكان له تعب عظيم من جماعة تيباريوس وابلساريوس الذين صار عليهم اسم قيانوس وأصحاب المجمع الخلكيدوني

وعين وقتئذ رجل شرير يدعى أولوجيوس بطريركا للملكيين وكان حانقا على البابا انسطاسيوس جداً وحاول ان يوقع به ولكن الله لم يسلمه في يديه وفي

الغالب كانت وظيفة البطاركة الملكيين سياسية أكثر منها دينية بدليل انه لم يكن لهم عمل سوى تنفيذ ارادة الامبراطور واتفق انه قام حينئذ رجل يدعى فوقا وقتل القيصر وجلس موضعه وكان ظالماً عاتياً فكتب له اولوجيوس في البابا انسطاسيوس باقوال كاذبة منها قوله ان البطريرك لما كرز في بيعة يوحنا المعمدان حرمه هو وجميع الملوك المنتصرين للمجمع الخلكيدونى فلما سمع فوقا ذلك كتب لوالي الاسكندرية أن يغتصب من البطريرك بيعتي قزمان ودميان وجميع اوانيها ويدفعها لاولاجيوس. فأخذت البيعة بالقوة ورجع البابا انسطاسيوس الى الدير وقلبه ملآن بالحزن .

وفي ايام البابا انسطاسيوس افتتح كسرى ملك الفرس بلاد الشام ووصل حدود مصر يتهددها ويتوعدها وكان كثيرون من مسيحي سوريا قد فروا الى مصر ملتجئين اليها من ظلم الفرس فعمل البابا انسطاسيوس كل ما في وسعه لتخفيف ويلاتهم وتنفيث كربهم . وكان البطريرك الروماني الذى خلف تاودروس الذى جاء بعد أولوجيوس يدعى يوحنا المقلب (بالرحيم) وذلك لانه كان على جانب عظيم من رقة الاخلاق المسيحية فتسابق مع البابا الاسكندرى في مؤاساة هؤلاء المنكوبين والحق يقال ان يوحنا قدم مساعدة تذكر للبابا انسطاسيوس اذ كان أوسع منه ثروة لأن البطاركة الملكيين كانوا واضعين ايديهم على ايراد الكنائس القبطية ودخلها كله ولم يكن لدى البطريرك المصرى سوى ما يجمعه من المحسنين لسد احتياجاته . فسار البابا انسطاسيوس مع يوحنا بغاية الوداد والصداقة الخالصة من كل نفاق لما تبينه فيه من التقوى الصحيحة

وكان البابا انسطاسيوس في ايامه يشتهى ان يجمع الله بين الكرسيين الاسكندرى والانطاكي الذى فرقه بطرس فسمع الله لطلبته ومات بطرس المذكور وجلس عوضه على كرسى انطاكية رجل صالح عالم يدعى اثناسيوس فسبق البابا انسطاسيوس وكتب له سنوديقاً مملوءاً حكمة وجعله فيه شريكا له وأخاً في اصلاح ما أفسده بطرس الضال فقبل انستاسيوس رسالته وجمع الاساقفة واخبرهم بالامر فسروا جميعاً لعودة الاتحاد بين كرسيي ثيودوسيوس وساويرس اللذين كانا يعملان لتأييد الايمان جنباً الى جنب فقام الاب اثناسيوس وأخذ

معه خمسة أساقفة وسار فى موكب الى الاسكندرية فلما وصل اليها وبلغ خبره البابا الاسكندرى قام باكليروسه وخرج ماشياً حتى تلقاه بالتسبيح والفرح ودخلوا جميعاً الدير القائم على ساحل البحر شرقي بحرى الاديرة وجلسوا هناك بسلامة ثم أقاموا الصلاة وتناولوا من الاسرار المقدسة وخطب فيهم الآب اثناسيوس خطبة بليغة واستمر ضيفاً كريماً لدى البابا انسطاسيوس شهراً كاملا وهما يتحاوران ويتسامران فى الامور الروحية

وكان البابا انسطاسيوس مهتما بامور البيعة بحرص عظيم ومشتغلا بالعلوم الروحانية وأقام على الكرسي اثنتى عشرة سنة حافظاً للامانة المستقيمة كتب فيها اثني عشر كتاباً رتبها على حروف الهجاء القبطى أى انه ابتدأ فيها أول سنة بحرف (الفا) وفي الثانيه بحرف (فيتا) وهكذا الى ان كتب الكتاب الثانى عشر ووسمه بحرف (لفلا) ثم أراد السيد المسيح أن ينقله الى كورة الاحياء فى الثالث والعشرين من كيهك سنة ٣٢٠ ش و٦١٤ م

(٢) اندرونيقوس — البطريرك السابع والثلاثون . جلس على الكرسى بعد البابا انسطاسيوس فى امشير سنة ٣٢٠ ش و ٦١٤ م فى عهد هرقل قيصر وكان عالماً غنياً جداً محباً للصدقة شماساً فى كنيسة الانجيليين وكان أهله من مقدمى المدينة حتى انهم ولوا ابن عمه ديوان الاسكندرية ومن أجل قوة سلطانه لم يقدر الهراطقة أن يخرجوه من الاسكندرية الى الاديرة فأذنت له الحكومة بالبقاء في الاسكندرية بغاية مايكون من الحرية فجلس فى قلاية في بيعة الانجيليين أيامه كلها ولذلك مد السلام رواقه على الكنيسة المصرية طول حياته

وكان كسرى ملك الفرس قد استولى على مصر سنة ٦٢٠ م ولشدة تضييقه على المصريين لم يتمكنوا من اقامة خلف للبابا اندرونيقوس وكان يوحنا بطريرك الملكيين قد توفى قبل البطريرك المصرى بسنة ولم يتمكن هرقل قيصر الرومان لمشغوليته بالدفاع عن القسطنطينية عاصمة ملكه ان يعين لهم بطريركا فى مصر فاستمرت الكنيستان المصرية والرومانية بلا رئيس حتى شرع المصريون في انتخاب بطريرك لهم فتنبه الاروام وأرادوا محا كانهم خوفاً من أن يستقل

البطريرك المصرى ويستولى على ايراد الكنائس الذي صار في حيازتهم ولم ينتظروا أمر القيصر بل انتخبوا رجلا يدعى جرجس ورسموه بطريركا لهم أما الاقباط فوقع اختيارهم على رجل خائف من الله مؤمن اسمه بنيامين من دير يعرف بدير قنوبوس أتى اليه في ذلك الوقت لان هـذا الدير لم تخربه الفرس مع ما اخربوه وكان بنيامين هذا من أهل مريوط (١) من عائلة اشتهرت بالثروة الكثيرة والنفوذ الواسع مما ساعد هذا البطريرك فى ما قام به من الاعمال العظيمة لخير الكنيسة وجعل له شهرة فائقة وكان في الدير تحت ارشاد شيخ قديس يدعى ثاؤنا رباه بخوف الله حتى برع في العلوم الروحية وبلغ درجة فائقة فى القداسة وكانت اكثر قراءته فى انجيل يوحنا حتى حفظه ورأى في احدى الليالى في نومه رجلا فقيراً وقف به وقال له « افرح يابنيامين الحمل المتواضع والراعى معاً الذى يرعى قطيع السيد المسيح » فاضطرب مما سمع واخبر به معلمه فافهمه ان هذا صوت شيطان ليقوده الى الكبرياء ثم قال له ان لي خمسين سنة فى هذا الدير ولم أر شيئاً مثل ذلك

غير ان بنيامين كان يتزايد كل يوم في الفضيلة حتى كان وجهه يتلألأ كوجه ملاك ولكثرة اعجاب معلمه به أخذه ومضى به الى البابا اندرونيقوس وشرح له حاله فطلب البابا ان يقدمه اليه فلما شاهده رأى نعمة المسيح عليه فسأله عما شاهد فروى له الحقيقة فامسكها البطريرك تلك الليلة ولما كان الصباح عزم ثاؤنا على الرحيل للدير ببنيامين فمنعه البطريرك عن ان يأخذه وابقاه لديه ثم رسمه قسيساً وصيره وكيلا له وفرح به البابا اندرونيقوس فرحاً عظيما ولما دنت وفاته أوصى ان يكون بعده ثم تنيح البابا اندرونيقوس بعد ماقضى على كرسي البطريركية ست سنين ورأى اضطهاد الفرس الكريه للمسيحيين وصبر على ماحل به ومات شيخاً وهو حافظ الامانة المستقيمة امانة آبائه وكانت نياحته في ٨ طوبه سنة ٣٢٥ ش و ٦٢٠ م

(٣) بنيامين ١ . البطريرك الثامن والثلاثون . جلس على الكرسي

---

(١) هي الان تبع الفيتة بمركز كفر الدوار وخربت من زمان بعيد

الاسكندري في امشير سنة ٣٢٥ ش و ٦٢٠ م في عهد هرقل قيصر بعد معلمه اندرونيقوس . وجميع بطاركة الكرسي المرقسي قبل البابا بنيامين كانوا من الاسكندرية وهو اول بطريرك اقيم من المدن والبلاد وكان مسقط رأسه مريوط كما ذكر وكانت حياته كلها سلسلة أوجاع وآلام . فانه لم يكد يرسم بطريركا حتى أوفد هرقل قيصر الرومان والياً الى أرض مصر يدعى كيروس ليكون بطريركا ووالياً عليها . ولكي ينال هرقل رضاء المصريين كلف كيروس بنشر مشروع الاتحاد الذي سيأتي ذكره القائل بان للمسيح « مشيئة واحدة » بدل قولهم « طبيعة واحدة » . فأبى البابا بنيامين قبول اي تعليم يؤثر على ماتقلده من آبائه. فأخذ الوالي فى اضطهاده حتى رأى حياته في خطر وقيل ان ملاك الرب تراآى له وقال له « اهرب انت ومن معك من هنا لانه شدائد عظيمة تنزل عليكم ولكن تعز فلا يستمر هذا الجهاد سوى عشر سنين » فكتب منشوراً الى سائر الاساقفة فى اقاليم مصر ينصحهم فيه ان يختفوا من وجه التجربة الآتيه عليهم. وجمع كهنة الاسكندرية وأوصاهم بالسهر على الرعية ثم خرج من طريق مريوط وهو ماش على رجليه ليلا ومعه اثنان من تلاميذه حتى وصل الى اسقيط القديس مكاريوس وكان هذا عقب الخراب الذى دهم هذه البرية من الفرس فلم يجد فيها الا نفراً قليلا فتركهم وانصرف الى الصعيد وسكن هناك في بلاد تيباس واختفى فى دير صغير حتى تمت العشر سنين

وفي هذه الاثناء هجم العرب على مصر بقيادة عمرو بن العاص واستولوا عليها وقرب عمرو منه كبار الاقباط وكان بينهم رجل يسمى شنوده فتقدم اليه وأعلمه بخبر البطريرك وما كان من أمر هروبه واختفائه وطلب منه أن يأمر بعودته فلبي طلبه وكتب اماناً وارسله الى جميع الجهات يدعو فيه البطريرك للحضور دون ان يخاف مطلقاً ولما حضر وذهب لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع أكرمه واظهر له الولاء واقسم له بالامان على نفسه وعلى رعيته وقيل انه طلب منه ان يصلي لاجله حتى اذ رجع منتصراً من حروبه الاخرى يجيبه الى كل مايطلبه فدعا له البطريرك وتم لعمرو ما اراد بدعائه وعزل البطريرك الذى اقامه هرقل . ورجع البابا بنيامين الى مركزه معززاً مكرماً وهكذا عادت المياه الى

مجاريها بعد غياب ثلاث عشرة سنة منها عشر سنين في عهد هرقل وثلاث سنين قبل ان يفتح المسلمون الاسكندرية واعطاه عمرو الكنائس التي اغتصبها الاروام ثم اخذ في جذب الذين اضلهم هرقل فرجع منهم كثيرون وظهر الارثوذكسيون الذين كانوا مختفين حسب مشورة بطريركهم ثم ظهر ملاك الرب للبطريرك طالباً منه ان يبني بيعة بدير مطرا لانه لم يتجنس بافعال الخلكيدونيين الرديئة دون كل الكنائس والاديرة التي هتكوا فيها الاعراض واهرقوا فيها الدماء

ثم وجه البطريرك التفاته نحو الاديرة التي أخربها الفرس اثناء تملكهم لمصر واجتهد في تصليحها فرمم عمارات اديرة برية شيهات بوادي النطرون فبنى دير الانبا بشوي واعاد اليه رهبانه ولما نما عددهم واخذوا قسطهم من الراحة قصد بهم الى دير ابي مقار فرمموه وبنوا به كنيسة عظيمة ودعوا البطريرك لتكريسها. وكان شنوده كبير الاقباط حينئذ قد كلف البابا بنيامين ببناء كنيسة على اسم القديس مرقس ولكن الأجل لم يفسح له

وكان مع هذا البطريرك انسان مملوء نعمة وحكمة اسمه اغاثو وكان قساً في الكنيسة وهو من اهل مريوط كان في زمن هرمل يتزيازي العلمانيين في مدينة الاسكندرية ويطوف في الليل ليثبت الارثوذكسيين المختفين ويقضي حوائجهم ويناولهم من الاسرار المقدسة وفي النهار كان يحمل على كتفه قفة فيها آلات النجارة ويتظاهر امام المضطهدين بانه نجار حتى لا يعترضوا سبيله . فمكث هكذا ١٠ سنين الى حين ظهور المسلمين ورجوع البابا بنيامين فجعله وكيلا له في تدبير البيعة . واصيب البابا بنيامين بمرض في رجليه استمر فيه سنتين وقبل وفاته ارسل مطراناً جديداً الى الحبشة ومعه راهب اسمه تكلاهيمانوت عرف بقداسته وتقواه ولا زال الحبش يكرمونه ويجلونه الى هذا اليوم ويقولون انه اول من اوجد الرهبنة في بلادهم . ثم لحق البابا بنيامين بآبائه وتنيح في اليوم الثامن من طوبه سنة ٣٦٤ ش وسنة ٦٥٩ م بعد ان جلس على كرسي البطريركية تسعاً وثلاثين سنة

اما البطريرك الروماني كيروس فقد مر بنا خبر عزله وقيل انه لشدة حسرته لسبب خيبته وفشله مص خاتماً مسموماً فمات لوقته ولا يعلم من من القيصر او

الملكيين بمصر اختار خلفه بطرس الذي لما عرف ان للبابا بنيامين السلطة والرئاسة في مصر لم يعجبه البقاء فيها فآب الى القسطنطينية مع المهاجرين اليها واستمر الكرسي الروماني بعد بطرس خالياً مدة ستين سنة

(٤) اغاثو — البطريرك التاسع والثلاثون . جلس على كرسي البطريركية بعد معلمه بنيامين وكان صالحاً كاسمه وهومن الاسكندرية واحزنه كثيراًرؤية اولاده فيايدي الامم وتحت سلطانهم . ولما فتح العرب عدة ولايات وجزرللروم في امشير سنة ٣٦٤ ش وسنة ٦٥٩ م في عهد خلافة علي بن أبي طالب . نهبوا كل ما فيها وسبوا اهلها وأتوا بهم الى مصر فكان البابا اغاثو يبتاع منهم الرجال والنساء بالفضة والذهب ويأتي بهم الى بيوت المسيحيين خوفاً من ان يسلموا

وقد تضايق هذا البابا كثيراً من تصرفات رجل اسمه ثيودوسيوس من اتباع كنيسة الأروام بمصر كان رئيساً في جماعة الخلكيدونيين فهذا مضى الى دمشق وقدم رشوة وافرة الى الخليفة يزيد بن معاوية واخذ منه أمراً يتسلط به على شعب الاسكندرية ومريوط وكلما يتبعها واستمد هـذا الرجل سلطته من الحاكم الاسلامى بواسطة الخداع والمكر فسعى في مضايقة البابا اغاثو واقلقه وطلب منه مالا واخذ منه ٣٦ ديناراً جزية كل سنة عن تلاميذه وقرر عليه دفع كل ما ينفقه على النواتية في الاسطول . ثم ضيق عليه ضيقاً عظيماً فما كان البابا يستطيع الخروج من باب قلايته حتى ان ثيودوسيوس أوصى اتباعه قائلا « اذا رأيتم بابا الارثوذكسيين خارجاً ليلا أو نهاراً ارجموه بالحجارةواقتلوه وانا المجاوب عنه » وكان غرضه من ذلك ان يكون بطريركاً عوضه اما البابا اغاثو فكان يصلي من اجله حسب وصية السيد المسيح

وفي ايام هذا البطريرك عمرت البيعة التي على اسم ابي مقار وكثر الاخوة حتى انهم بنوا القلالي بقرب البهلس . وحدث ان رجلا تقياً حكيماً يدعى يوحنا من سمنود كان راهباً بدير انبا مكاريوس في الاسقيط اصيب بمرض عضال عديم الشفاء وفي ذات ليلة رأى في نومه انساناً مهيباً لمسه فأبراه وخاطبه بان يقوم بالواجب الذي سيكلف به فقام من وقته ومضى الى دير من اعمال الفيوم ومعه

تلميذاه واختفى هناك . فظهر للبابا اغاثو في رؤيا ايضاً من قال له ادع اليك القس يوحنا ليمينك ويساعدك وهو الذي يجلس بعدك على الكرسي . فانفذ كهنته الى انبا مينا اسقف الفيوم يطلب منه ان يرسل يوحنا اليه . ومع ان اسقف الفيوم كان يحب يوحنا الا انه لم يستطع مخالفة البطريرك . فأتى يوحنا الى الاسكندرية ففرح به البابا واشار عليه البعض بان يرسمه اسقفاً لبعض الكراسي ولكنه أبى

وقضى البابا اغاثو بقية ايامه مهتماً برسامة الكهنة المستحقين للشرطونية الخائفين من الله والناس يشكرون الله على افعاله حتى اكمل كل ايامه بشيخوخة حسنة وأقام ١٧ سنة على كرسيه وتنيح في ١٦ هاتور سنة ٣٨٣ ش وسنة ٦٧٧م وجعل جسده مع البابا بنيامين .

وحدث عند ما توفى هذا البطريرك ان اسرع ثيودوسيوس الخلكيدوني الى البطريركية وأوصد جميع ابوابها وختمها بالشمع الاحمر بدون مسوغ شرعى وبدون قانون يخول له هذا التداخل المذموم واستاء الارثوذكسيون من هذه الوقاحة وقاومه ارخن بسخا يدعى اسحق مستعيناً عليه بوالي سخا ورفع الارثوذكسيون الامر الى الوالي المسلم فنظر في الامر ورفع هذا الحيف الثقيل الى ان انتقم منه الرب بضربة قوية في احشائه وهى علة الاستسقاء وصار يأكل بدون شبع حتى مات ميتة سيئة

(٥) يوحنا ٣ــ البطريرك الاربعون. بعد نياحة البابا اغاثو كان الآب يوحنا قد حاز صيتاً حميداً واكتسب شهرة فى القداسة والفضيلة فانتخب بالاجماع لكرسى البطريركية في اول كيهك سنة ٣٨٣ ش و٦٧٧ م فى عهد خلافة معاوية بن ابي سفيان وكان ابن ثيودوسيوس الخلكيدوني قد تولى عوضه ولكنه كان احسن منه اخلاقاً وصار للبابا يوحنا كالولد وكان يحبه ويثق به ويهديه الى الطرق المستقيمة

وكانت معظم الكنائس الارثوذكسية فى الاسكندرية حينئذ فى يد الملكيين منذ وضع اليد عليها ثيودوسيوس فلما استولى عبد العزيز على مصر اتخذ له كاتبين

ارثوذكسيين وهما اثناسيوس وكان له ثلاثة اولاد وهو من اهل الرها من اعمال سوريه والآخر اسمه اسحق له ولد واحد من شبرا . فكتب البطريرك الى هذين الكاتبين يعرفهما حال الكنائس وكيف هي بيد الخلكيدونيين الذين لقلة عددهم لم يكونوا يشغلونها بل اغلقوها وختموها بالشمع حتى لا يصلي فيها الارثوذكسيون . واستخدم هذان الكاتبان نفوذهما وارسلا رسلا الى الاسكندرية كلفاهم بفتح الكنائس وتسليمها جميعها للبطريرك القبطي .

وكان هذا البابا بهي الطلعة يلوح لكل من يرى وجهه انه يرى وجه ملاك وقد اوتي من عند الله نعمة شفاء المرضى وعفة النفس والجسد ومسالمة جميع الناس حتى بلغ صيت افعاله الحميدة الى العظماء فاجزلوا له الهدايا . وحدث ان الوالي وهو سعيد بن يزيد مضى الى الاسكندرية كعادة من يتولى ليأخذ خراجها بدون ان يبلغ خبر وصوله اذن البطريرك فلم يخرج لمقابلته فسعى حينئذ قوم اشرار من الاروام في مقدمتهم ثاوفانيس وهو زوج اخت ثيودوسيوس الخلكيدوني وقالوا للوالي ان البطريرك ابى الاحتفاء بك لكثرة تبجحه وازدياد كبريائه ووفرة ماله . فغضب الوالي واستدعاه اليه وأوقفه بين يديه وسأله عن سبب تأخيره عن الخروج للقائه فأجابه « يعلم الله انى لم افعل هذا لغلظ رقبة ولكن لعدم علمي وذلك لضعفي ولعدم امكاني الخروج من المدينة الى موضع آخر » فاضطرم غيظ الوالي وسلمه لجنوده الى ان يقوم بدفع مائة ألف دينار . وكان ممن استلموه رجل يدعى سعد عديم الرحمة قاسي القلب فأخذه الى بيته اول يوم في جمعة الآلام ليعذبه حتى يقوم بالمال

وكان مع البطريرك رجلان من أولاد الاخيار اراس القس الامين على مال البيعة معروف بالدعة عند كل أهل المدينة والشماس كاتبه رجل حكيم محب للناس . فلما أوقف ذلك الرجل البطريرك أمامه وقال له اريد منك المائة الف دينار التي أمر الوالي ان تقوم بها فاجابه البابا بسكينة وهدوء « اتطلب مني مائة الف دينار ولا أملك منها الف درهم لان الهي في شريعتي امرني ان لا اقتني المال لانه أصل كل الشرور . فكل ماتشاء افعل جسدي بيدك ونفسي بيد الله » فلما سمع الكافر ذلك حنق على البابا للغاية وأمر ان يحضر له وعاء نحاس مملوءاً جمراً وأوقف

البطريرك عليه ليقول انه يقوم بالمال حتى ذاب شحم القدمين من قوة النار ولكن البطريرك لم يتحرك ولم يلفظ كلمة استغاثة كأنه كان واقفاً على وتير الفراش غير ان الله جلت قدرته اوقع بزوجة الوالي ضيقاً فأنفذت رسولا يقول له « احذر أن تفعل سوءاً بالبطريرك رجل الله لاني بليت الليلة بسببه »

فأمر الامير سعيد بان لا يمسه بسوء بل يجتهد ليأخذ منه مايقدر عليه بلطف. فعاد سعيد الى بيته وكان يوم ثلاثاء البصخة وأخذه الى السجن والاغلال في عنقه والسلاسل في يديه ورجليه وجعل يتهدده بان يدفع المال واستحضر له ثياب يهودي واقسم انه اذا لم يدفع ما هو مقرر عليه يلبسه اياها و يلطخ وجهه برماد ويطوف به حول المدينة . أما البطريرك فكان يجاوبه بكل شجاعة قائلا « لا تستطيع ان تمد يدك الي بسوء بغير أمر الله» فقال له اني اترك نصف المبلغ فادفع النصف الآخر لكى اطلقك . فأجابه البابا كل ما أملكه هو ثيابي التي على جسدي واستمر الرجل ينازعه الى ان انتهى بالقيمة المطلوبة الى عشرة آلاف دينار . فأفهمه البطريرك انه لا يقوى على دفعها

واتصل الخبر بالكتاب الاقباط الموظفين بالاسكندرية ان المبلغ انتهى الى عشرة آلاف دينار فأوعزوا اليه سراً ان يقبل الدفع وهم يجمعونها خوفاً من ان يجرى على البيعة اضطهاد بسبب ذلك ثم تقدموا الى الوالي وطلبوا منه ان يحضر البطريرك امامه ليسمع قوله فلما شاهد وجهه الملائكى رق لحاله واستحضر له وسادة ليجلس عليها ثم قال له الوالي « السلطان لا يقاوم » فاجابه البطريرك « يطاع السلطان فيما يجب ويخالف فيما يبغض الله فقد قال الانجيل « لاتخافوا ممن يقتل الجسد وليس له سلطان على النفس ولكن خافوا ممن يقدر ان يهلك النفس والجسد جميعاً يعني الله القادر على ذلك وحده » فقال له الوالي « الملك يحب الحق والصدق » فأجابه البطريرك « الهى كله حق وليس فيه كذب بل يهلك من ينطق بالكذب » فقال له الوالي « كل مادفعه لك النصارى فادفعه لي ولا اطلب منك سواه » فأشار الموظفون على البطريرك ان يقبل فقبل واطلقه الوالي بكل كرامة ففرح المؤمنون ونال اعداء البيعة خزي جسيم

وخرج البطريرك من دار الأمارة راكباً والارثوذكسيون يحيطون به

واستمروا يسبحون ويرتلون حتى وصلوا الى البيعة وكان يوم خميس العهد فصلى على اللقان وغسل أرجل الشعب وأقام الصلاة وقرب الاسرار ورجع الى قلايته بسرور زائد يمجد الله

أما ثاوفانيس رئيس مريوط الذي اشتكى البطريرك فغضب عليه الامير لاشتهار فضائحه وسلمه الى أحد كتابه ليلقيه فى السجن ثم أرسل من يقتله بعد أن عذبه عذاباً شديداً . وأعطى الله البطريرك حظوة ونعمة لدى الوالي فأمر في جميع المدينة أن لايخاطب أحد البطريرك الا باللين ولا ينبغى لاحد أن يذكر أمامه عنه كلمة سوء وأن لايتعرض له أحد لافي دخوله ولا في خروجه . وقد ساعد الرب البطريرك فجمع هو والاراخنة والكتاب المؤمنون وجميع الشعب الارثوذكسى حتى أوفى الامير ماقرر له ، وبعد ذلك اهتم مع رعيته ببناء بيعة القديس مار مرقس الانجيلى وأتمها في ثلاث سنين بكل زينة واشترى لها دوراً كثيرة وأملاكا بمصر ومريوط والاسكندرية وبنى طاحون كمك ومعصرة زيت حار .

ومما حدث في أيامه اشتراك الارثوذكسيين مع أهل اغراوه وأهل اسخيطس لانهم كانوا خلكيدونيين وكان هذا البابا كثير الصدقات فحدث فى زمنه غلاء استمر ثلاث سنين وأعانه الله على القيام بحال ضعفاء المدينة طول تلك المدة ولولاه لهلكوا من شدة الجوع فكان يدفع لهم قوتهم دفعتين في كل جمعة ويدفع لهم أيضاً دراهم .

وقد شاء الرب أن يصاب بمرض النقرس فى رجليه فتعذب منه كثيراً وسافر الوالي الى مصر فسار معه الى ان وصلا اليها فلحقه نخس فى جنبه فأخبر الوالي بذلك فحزن عليه وأنفذ الكتاب ليفتقدوه وأعدوا له مركباً لينحدر الى الاسكندرية وحال وصوله كان الآباء الاساقفة قد علموا بخبر مرضه فدخلوا اليه وكان صحبتهم غريغوريوس اسقف القيس ويوحنا اسقف نقيوس ويعقوب اسقف اروواطه ويوحنا اسقف سخا وتيدر اسقف مليدس وجماعة من الشعب وكانوا كلهم في حزن عميق لعلمهم بدنو أجله ثم حملوه الى بيعة مار مرقس التى بناها هو وأدخلوه أمام المذبح الكبير فوقف بقوة الروح وقال صلاة الشكر

وبعد ان اكملها اعترته غيبوبة فحملوه الى مخدعه وفيه أسلم الروح فى ١٠ كيهك سنة ٣٩٢ ش وسنة ٦٨٦ م وجعل جسده في المكان الذى بناه لنفسه قبل نياحته فى كنيسة مار مرقس الرسول

وبعد نياحته أصدر عبد العزيز أمراً يقضى فيه على الاقباط بان لاينتخبوا بطريركهم الا في بابليون وكانوا قبلا ينتخبونه فى الاسكندرية ومن ذلك الحين لغاية القرن الحادى عشر والبطاركة ينتخبون ببابليون ولكن رسامتهم تتم فى كنيسة الملائكة بالاسكندرية كما انه على البطريرك المنتخب ان يدفع مبلغاً من المال لكنائس الاسكندرية لاجل تعميرها وحفظها من الزوال

(٦) اسحق — البطريرك الحادى والاربعون. وكان قبل نياحة البابا يوحنا

انه طلب من الرب ان يرشده الى من يصلح للجلوس بعده على الكرسى ولما علم عن أخ تقى متعبد فى دير ابى مقار كان قد تتلمذ لزكريا ايغومانس ذلك الدير والذى ارتقى فيما بعد الى كرسي اسقفية مدينة سياس فكتب البطريرك واحضره اليه وطلب منه ان يكتب كتاباً فافسده حتى لايعين فى وظيفة ما زهداً منه فى مجد العالم فلما علم البطريرك نيته قال له حسنا ما كتبته ووضعه تحت عنايته . وكان هذا الراهب يدعى اسحق مجتهداً في أعماله وفى الكتابة والنسخ فأشركه معلمه معه في خدمة البيعة وحدث بعد نياحة البطريرك انه اجتمع الاساقفة وفي مقدمتهم غريغوريوس اسقف القيس ويعقوب اسقف ارواط ويوحنا اسقف نيقوس وجماعة من الشعب وتشاوروا مع كهنة الاسكندرية ومع الكاتب المتولي واتفقوا على أن يقدموا الشماس جرجس من سخا بطريركا بدون أخذ رأي الوالي وكان حينئذ عبد العزيز بن مروان وقالوا في أنفسهم ان تقمقم علينا الوالي اخبرناه اننا أقمنا جرجس بطريركا بوصاية سلفه يوحنا . ثم أخذوا الشماس وقسموه قساً وألبسوه اسكيم الرهبنة وأذاعوا الخبر بانه غداً يقام البطريرك وغاب عن ذاكرتهم قول الرب « في قلب الانسان مشورات كثيرة ولكن مشورة الرب هى التى تثبت »

فلما كان الغد اجتمعوا بارشدياقن المدينة وكان اسمه مرقس وهو رجل فاضل

فنعهم وقال ان لم تحضروا يوم الاحد كما جرت العادة لا أرسمه . وحينئذ وصل قوم من أتباع الوالي وطلبوا أخذ البطريرك الذي رسموه ليمضوا به الى الوالي في مصر فساروا بهم وهناك ظهر ان الذي أوصى به البابا يوحنا هو اسحق لا جرجس فغضب الوالي وأمر بتقديم من سبقت الوصاية عليه وقد حاول الشماس أن يدفع أموالا يستميل بها الوالي الى حزبه ولكنه لم يفلح فقطعه الاساقفة من درجته ثم عادوا الى الاسكندرية ووضعوا الايدي على الآب اسحق وأجلسوه على الكرسي في نفس الشهر والسنة اللذين توفى فيهما سلفه في عهد خلافة عبد الملك بن مروان

ومن أمر هذا البابا انه ولد في شبرا من أعمال الغربية وقيل من البرلس من ابوين اشتهرا بالغنى والشرف ولما تقدم قليلا في العمر أدخل المدرسة فكان فيها آية في العلم والتقوى حتى عين كاتباً في الديوان فنال ثقة جميع رؤسائه وأصبح معروفاً بالصفات الحسنة عند الجميع. وكان في عيشته متقشفاً للغاية يلبس على جسده من داخل لباس شعر وفوقه رداء فاخر وكان يكتفي من الطعام بما يسد سغبه

وقد حركه والداه الى الزواج كثيراً بدعوى اقامة نسل ولكنه أبى وتبينت اغراضه السامية عند ما استعفى من وظيفته وقصد دير أبي مقار وتتلمذ للاسقف زكريا وقد لاح له من جمال وجهه وبهاء طلعته وحسن صفاته انه من عائلة ذات شرف نخشي سطوة اهله وارسله الى الطرانه ليقيم بها عند احد الكهنة الافاضل حتى يقف على حقيقة امره

وكان ذووه بعد مبارحته لهم قد اخذوا يبحثون عليه في كل مكان ولا سيما في الاديرة حتى كلفوا البطريرك بان يساعدهم في التفتيش عنه ولكنهم لم يفلحوا ولم يعثروا له على اثر فحزنوا عليه حزناً مفرطاً . وبعد ذلك استدعاه الاسقف زكريا والبسه اسكيم الرهبنة ووضعه تحت ارشاد شيخ يدعى الانبا ابراهيم وامره بان يذهب ليختفي في دير (باماهو) حتى ينتهي الانزعاج الحاصل بسببه . فاستمر الشاب اسحق في ذلك الجبل مدة ستة اشهر خطر له في نهايتها ان يزور اهله ليهدي بالهم ويوفر عليهم تعب البحث عنه . فعرض الامر على الشيخ ابراهيم واقنعه به

فسارا معاً الى بلده حتى صارا بالقرب منها وقد آذنت الشمس بالمغيب فقلا الى مكان يملكه اهله ليبيتا فيه فوجدا راهباً استقصى منه عن احوال اهله فحدثه بما جرى لهم بعد فراقه ولذلك عرفه بنفسه وطلب اليه ان يستدعي له رجلا يدعى الشماس فيلوثاوس من اقربائه وكان مملوءاً من خوف الله فلما تقابل معه طلب منه ان يخبر اهله بأمر مجيئه بشرط ان يضمن له عدم حجزهم اياه والسماح له بالرجوع الى الدير . فقبل ذلك وانطلق الى والدي اسحق واخبرهما بالامر فذهبا الى مكان التقائهما ومعهما جمع كثير من اهله ومعارفه وكانت ساعة التقائهم بها مفعمة بالسرور الزائد . ثم التمسوا منه ان يبقى عندهم شهراً فقبل وبعده رجع الى سلطه الاسقف زكريا ولبث عنده حتى استدعاه البطريرك اليه كما سلف

ولما جلس هذا البابا على الكرسي المرقسي أخذ في اتمام واجباته فأقام البيعة الكبيرة التي للقديس مرقس وكانت حيطانها قد مالت وجدد عمل البطريركية بالاسكندرية وعلى يديه تجددت كنائس عديدة للارثوذكسيين لم يتمكنوا من ان يبنوها اولا وبنى بيعة بحلوان وسبب بنائها ان الوالي ابتنى له بها قصراً وأمر أراخنة الصعيد وسائر الاقاليم بان يبني كل واحد منهم لنفسه مكاناً بحلوان وقد أصيب هذا البابا بمصائب متنوعة بعضها من اثناسيوس جابي الخراج ولكنه فيما بعد كف عن ايصال الأذى اليه عند ما أشرف ابنه على الموت فاضطر لان يستدعي البطريرك ليصلي عليه وبواسطة صلاته نال ابنه الشفاء

وعقب ذلك حضر للبطريرك وفد من احدى ممالك السودان يشرح له سوء الحالة في تلك البلاد ويقول له انه لم يبق عندهم من الاساقفة ما يكفي للخدمة الدينية ويطلب تعيين من يلزم . وكان حينئذ خلاف شديد بين ملكي النوبة وملك الحبشة بسبب ان الاول كان مسيحياً بالاسم واتفق مع المسلمين على محاربة الثاني وغرضه من ذلك الحصول على العبيد المخصصين للجزية السنوية فخشي البطريرك ان يرسل اساقفة لئلا ينالهم أذى من جرى هذا الخلاف فرأى ان يكتب للملكين ليصطلحا ويكفا عن المشاحنة وكتب لملك النوبة الذي أظهر المداوة للمسيحيين يقول له « ان عليك مسئولية عظمى من الله اذا عملت على تعطيل بشارة الخلاص وتسببت في خراب الكنائس الجنوبية واضمحلالها »

ويظهر انه كتب اليه يحذره من التحالف مع المسلمين

فسعى قوم من اهل العسكر لدى عبد العزيز والي مصر قائلين انه اخذ في مكاتبة ملوك السودان والحبش ليتحد معهم على خلع نير المسلمين عن مصر . فغضب الوالي وقبض على البطريرك وأمر بقطع رأسه ولكن بعضهم توسط في الأمر ورجا الوالي ان ينتظر حتى تسترجع الخطابات ويعرف ما فيها . فارجأ الوالي تنفيذ الحكم على البطريرك وانتهز كتاب الاقباط الماهرين تلك الفرصة وكتبوا خطابات قلدوا فيها خط البابا اسحق وسطروا بها كل ما في الخطابات الأولى وحذفوا منها كل ما يخص المسلمين وانما فعلوا هذا الامر خوفا على البطريرك ولئلا يلحق البيعة ضرر . وقبل ان يصل البطريرك الى الوالي عرفوه ان الرسل حضروا ومعهم الخطابات فاسرع في طلبهم وقرأ الكتب فلما وقف عليها لم يجد شيئاً يذكر فسكن غضبه واتقد للوقت واعاد البطريرك الى الاسكندرية لكنه حرمه فيما بعد من مزايا كثيرة . واستمر البطريرك بعد ذلك مجاهداً في خدمة كنيسته حتى أتى على الكرسي البطريركي ثلاث سنوات وتوفى في اليوم التاسع من هاتور سنة ٣٩٥ ش و٦٨٢ م وبعد نياحته جعل جسده في المكان الذي انشأه في بيعة مار مرقس .

(٧) سيمون ا ـ البطريرك الثاني والاربعون . وبعد ان تنيح البابا اسحق كان الشعب والكهنة مهتمين في من يقدمونه بعده على كرسي البطريركية . فوقع بين كهنة بيعة مار مرقس الانجيلي وكهنة بيعة الانجيليين في المدينة خصام . فبعضهم كان يزكي يوحنا الايغومانوس بدير الزجاج بدعوى انه رجل عالم كاتب وآخرون يرشحون انساناً يدعى بقطر ايغومانوس دير قسر وكان رجلا فاضلا وقد مال الكتاب الاقباط الى رأي كهنة بيعة الانجيليين لانها هي البيعة الكبيرة وكان بها مائة واربعون كاهناً غير ان الفريق الاول الذي رشح يوحنا كانت يساعده الكاتب المتولي وكتب تادرس ارخن مدينة الاسكندرية الى الوالي يذكر لهم يوحنا ايغومانوس دير الزجاج وهو الذي وقع عليه الاختيار ليكون بطريركا .

غير ان ارادة الله له تصادق على تعيين هذا أو ذاك بل أقامت رجلا كان في دير الزجاج قديس خائف الله فاضل عالم يدعى سيمون من بلاد الشرق سرياني الجنس ارثوذكسي المذهب جاء به أبواه الى الاسكندرية منذ صباه ودفعا به الى ذلك الدير اكراماً لجسد القديس ساويرس البطريرك الانطاكي الذي كان مدفوناً فيه وفي أيام البابا اغاثو اخذ تادرس ارخن الاسكندرية المذكور سيمون هذا الى يوحنا ايغومانوس دير الزجاج ليدرس عليه العلوم فنال منها قسطاً وافراً حتى رآه البابا اغاثو لائقاً لدرجة الكهنوت فرسمه قساً وكان الثاني بعد معلمه يوحنا في طقس الدير . فكتب الامير وارسل يستحضر يوحنا فسار معه سيمون تلميذه وبعض كهنة الاسكندرية والأرخن تادرس فلما وصلوا دفعوا الكتاب للأمير وفيه اسم يوحنا فطلب ان ينظره فلما حضر امامه سر به جداً لانه كان شخصاً بهي المنظر ثم سأل الاساقفة عنه فأطروا حسن سلوكه ولهذا اظهر موافقته على تعيينه بطريركا

وكان هذا التدبير خلافاً لمشيئة الله ولذلك تحرك احد الاساقفة يقول هذا لا ينبغي ان يكون لنا بطريركا . فنزل على الجميع سكوت حتى لم يقو على مجاوبته احد فسأله الوالي من تراه يصلح اذاً . فاجابه ان المستحق لهذه الرتبة هو سيمون. فامر الوالي باحضاره ولما شاهده سأل عن جنسه فقيل له انه سرياني من اهل الشرق . فقال للأساقفة أما كان الافضل ان تختاروا لكم بطريركاً من بلادكم فاجابوه ان الذي اخترناه أحضرناه بين يديك والامر لله ولك . فسأل الوالي سيمون عن يوحنا وهل يليق ان يكون بطريركا فاجابه انه لا يوجد في كل مصر ولا في الشرق من يستحق هذه الرتبة مثل يوحنا فهو ابي الروحاني من صغري وسيرته كسيرة الملائكة . فتعجب الامير من كلامه وحينئذ خرج صوت من جميع الاساقفة والكتاب والاراخنة قائلين ليحي الله الامير لنا سنين كثيرة سلم الكرسي لسيمون فهو مستحق للبطريركية فلما سمع الامير شهادتهم عن انسان غريب لم يعرفوه الا منذ يومين فقط سمح لهم باقامته بطريركا فمضوا به وقدموه على الكرسي في بيعة الانجيليين في شهر كيهك سنة ٣٩٥ ش و٦٨٩ م في عهد خلافة عبد الملك بن مروان ولقد امتنع سيمون كثيراً عن قبول الرسامة

ولكنه رضي اخيراً وقبل يوحنا ذلك بكل فرح وابتهاج حباً في راحة رعيته وميلا منه الى السلام والوئام . وكانت نتيجة هذا ان العواطف الحسنة والمحبة المتبادلة ملأت قلب سيمون وأفعمت فؤاد يوحنا فعينه سيمون وكيلا له ومتصرفا وكان يهتدي برأيه ويسير على نصيحته مدة الثلاث سنوات التي عاشها يوحنا بعد تعيين سيمون وعند وفاته وضع البطريرك يده على عينيه وكفنه بنفسه وأخذ بركته ودفنه وأقام عنده اربعين يوماً حتى بنى له قبراً ووسعه حتى اذا مات يدفن معه فيه

ثم كتب البابا سيمون سنوديقاً الى يوليانوس بطريرك انطاكية وارسلها مع اساقفته يذكر له فيها الاتحاد بين الكرسيين الاسكندري والانطاكي . فلما وقف عليها وجدها مملؤة من الحكمة والعلم ففرح جداً وخطب في بيعته باسم البابا سيمون وكتب له جوابها وأعاد رسله باكرام زائد فكان فرح عظيم من الشعب الارثوذكسي وسلام واتحاد في البيعة التي كانت تنمو كل يوم وقد بقى هذا البطريرك يحافظ على نواميس الرهبنة كما لو كان في ديره . وكان البابا سيمون على جانب عظيم من التقوى والتقشف ولم يكن يعطى نفسه راحة ولم يمتعها بطيب الأكل بل كان غذاؤه دواماً خبزاً وملحاً مخلوطاً بكمون وبقل وماء وقيل انه لم يأكل لحماً قط ولم يكن يحضر مع الاساقفة ولا الكهنة لانه كان يطلب الانفراد لاتمام قوانين الصلاة وكان اذا قابل الكهنة يحرضهم على النسك والامانة ويوبخهم على عيشة الافراط حتى ضجر منه بعض الكهنة العالميين وصاروا يبغضونه بغضاً شديد وتآمروا فيما بينهم على اهلاكه فمضى قوم منهم الى بعض السحرة وقدموا له مالا ليركب لهم سما قاتلا فأخذوا السم ووضعوه في الاناء الذي كان يشرب فيه البطريرك وجاؤا به اليه ليشرب منه . وكان قد تناول من الاسرار الربانية فلم ينله سوء فأعادوا عملهم مرة ثانية فلم يصب بأذى وتم قول الانجيل « يحملون حيات وان شربوا سما مميتاً لا يضرهم » (مر ١٦ : ١٨)

فاندهش الكهنة والساحر مما جرى فأخذوا تيناً وجعلوا فيه سما أقوى فعلا عن الاول وكلفوا أحد الكهنة بان يطعمه اياه صباحاً قبل أن يأكل شيئاً فلما

تناولن منه تحركت عليه أحشاؤه ولزم الفراش مريضاً واستمر كذلك اربعين يوماً وهم ينتظرون موته غير ان الرب أقامه صحيحاً . اما اولئك الاشرار فقد جزاهم الرب حسب فعلهم وذلك ان الوالي لما جاء الى المدينة ورأى البطريرك متغيراً مما جرى له سأل عن السبب فقيل له من الكتاب ان اربعة من الكهنة سقوه سما فأمر بحرقهم احياء مع الساحر فلما اخرجوهم الى موضع يسمى الفاروس لكي يحرقوا ركع البابا على وجهه امام الوالي وبكى بدموع غزيرة وطلب منه ان يعفو عنهم ولا يؤذيهم بسببه فتعجب الوالي من جميل اخلاقه وعفى عن الكهنة ولكنه احرق الساحر عبرة لسواه

وبعد ذلك ولى الأب يوحنا النيقاوي تدبير الاديرة وكان من امره ما سيأتي ذكره في باب المشاهير . ثم ولي بعده آخر اسمه مينا من دير ابي مقار وكان رجلا وجيهاً قوي الحجة محباً للأخوة وحدث ان الاساقفة اجتمعوا عند الوالي للبحث في بدعة الطلاق التي تفشت بين بعض اغنياء الاقباط وكان بينهم اساقفة من اتباع الهراطقة ثاوفيلسطس الخلكيدوني وتاودرس الاوطاخي وجرجس البرسنوفي وغيرهم وبينما كانوا مجتمعين في احد الاعياد طفق الوالي يشنع عليهم بانهم كفرة يجعلون لله زوجة وولداً ثم عيرهم بعدم اتفاقهم والتفت الى كل من الثلاثة الاساقفة الهراطقة وسأله « من من هؤلاء الاساقفة الثلاثة اقرب اليك » فأجاب كل منهم « البابا سيمون » ثم سأل البابا سيمون اخيراً هكذا فأجابه بصوت عال وقال « لا احب ولا اقترب الى واحد من هؤلاء وانا احرمهم واحرم هرطقاتهم واعتقاداتهم المرذولة » فصادق الجميع على كلامه واجابوا ان قوله هو الصواب

وجرى بعد ذلك ان نصارى بلاد الهند وخاصة اقليم مليبار كان منهم من هاجر من بلاد سوريه وبعضهم آمن بكرازة توما الرسول وساروا على منوال نصارى الشرق بواسطة معاشرتهم لهم وصاروا يساسون دينياً من بطاركة انطاكية كما تساس الحبشة من الاسكندرية ولذلك كانوا معتادين ان يرسلوا الى بطريرك انطاكية وفداً يرسم لهم من هم في حاجة اليهم من الاساقفة ولما لم يتمكن الوفد من الوصول الى بلاد سورية لما كان في طريقها من الموانع والعثرات جاء الى الاسكندرية الى البابا سيمون يطلب منه ان يقيم لهم اسقفاً للهند فخشي البطريرك

بأس الوالي واعتذر بانه لا يمكنه أن يقوم بهـذا العمل بدون اذن منه . فخرج الوفد من عنده فاجتمع به قوم من أتباع مجمع خلـكيدون وحضروا به الى بطريرك الملـكيين فأخذ انسانا من مريوط ورسمه لهم أسقفاً ووسم لهم كاهنين وسيرهم سراً الى الهند

وبعد أن ساروا مدة عشرين يوماً قبض عليهم فى الطريق قوم من العرب فهرب القس الهندي وعاد الى مصر ومضوا بالثلاثة وأحضروهم موثقين الى الخليفة مروان في دمشق فلما علم انهم من مصر ومريوط اقتص منهم وأرسلهم الى ابنه عبد العزيز والى مصر موبخاً اياه لعجزه عن معرفة الامور الجارية في بلاده ويخبره ان بطريرك النصارى المقيم بالاسكندرية قد بعث باخبار مصر الى الهند مع رسل من قبله ويأمره بضربه مائتي سوط وتغريمه بمائة الف دينار يرسلها له بسرعة مع الرسل الواصلين اليه

فوصلت الاخبار الى عبد العزيز في الساعة الثانية من الليل وكان البابا سيمون حينئذ بحلوان صحبة أحد أساقفته فأرسل واستحضره لديه مع اثنين من كتبته وهدده بالقتل ان لم يعترف بالحقيقة فروى له الخبر بان قساً هندياً جاء يطلب منه اقامة اسقف فاجتمع بدون اذن من الوالي فلم يصدقه بل زاد في توعده وأخبره بما حكم به عليه الخليفة وهدده بهدم جميع البيع وقتل كل الاساقفة فطلب منه أن يسأل الاشخاص الذين قبض عليهم ليعرفوه ان الذي أرسلهم خلافه . فقال له الوالي انا لا أعرف بطريركا بالاسكندرية سواك فأبى البطريرك أن يخبره بما فعل بطريرك الملـكيين لئلا يوقعه فى بلية شأن المسيحى الحقيقى الذي لا يسعى في ضرر الآخرين . ولما كان الوقت ليلا طلب البطريرك من الوالي مهلة سبعة أيام ليدعو فيها الله ليكشف عن الحقيقة فقال له لعلك تريد أن تهرب أو تقتل نفسك فأجابه اني تحت تصرفك فمها أردته بي فافعله فأعطاه مهلة ثلاثة أيام فخرج من عنده وسأل الله بدموع أن يظهر براءته فعند مغيب شمس اليوم الثاني نظر أحد كتبة البطريرك القس الهندى ماشياً على شاطىء البحر فمضى به الى البطريرك فأخذه فى اليوم الثالث الى الوالي والتمس منه أن يعفو عمن يقع عليهم اللوم بعد ظهور الحقيقة فوعده بذلك فقدم اليه القس الهندي فأعلمه بكل ماجرى فلما علم

الامير الحقيقة أرسل المندي الى السجن وأمر بطلب بطريرك الملكيين وكتب الى أبيه يخبره ان بطريرك النصارى بالاسكندرية ليس له ذنب فيما جرى وذكر له صلاحه وفضيلته. ثم تقدم البطريرك للوالي طالباً منه أن ينجز وعده بالعفو عن المذنبين فعفى عن المندي وبطريرك الملكيين واطلق الاساقفة الى كراسيهم وامر لهم ان يبتنوا بيعتين بحلوان وكان الاساقفة ينفقون من عندهم على عمارتيهما ووكل الوالي غريغوريوس اسقف القيس بتشييدهما

ولم يكد البابا سيمون يتخلص من هذه المحنة حتى وقع في غيرها فان قساً يدعى مينا كان أقامه وكيلا على الوقف وترك له حرية التصرف على كل ماتملكه البطريركية غير انه أساء التصرف وبدد أموال الوقف وسار سيرة غير حميدة وكان البطريرك ينصحه دواماً قائلا له « احذر من أن تبقى في منزلك شيئاً مما لله لئلا ينزل بك البلاء » فلم يسمع لقوله بل سلط لسانه على البابا سيمون وأنشأ يسلبه بالاقاويل الكاذبة . فوقعت عليه من قبل الله صاعقة قوية عقدت لسانه عن الكلام . فحزن البطريرك لاجله ولاجل مال البيعة الذي كان تحت يده وسأل السيد المسيح ان يقيمه . فلما كان نصف الليل بلغ البابا ان مينا على حافة الموت فأرسل من قبله كاتباً يسأل زوجته عما اذا كان زوجها أخبرها بشيء عن مال الوقف فلما وصل الكاتب الى البيت علم ان مينا قد مات . ولما توفى ألبسوه ثوب الكهنوت وأضجعوه على السرير كعادة أهل الاسكندرية فدخل اليه رسول البطريرك وانحنى عليه ليقبله فقام لوقته وتعلق برقبته وقال « الله الواحد اله الآب الطوباوي البابا سيمون » . وأخذ الرجل يبدي علامات شكره لله الذى أعاد اليه الحياة بدعاء البابا سيمون . فأسرع التلميذ وأخبر البطريرك بما جرى ثم توجه القس مينا الى البابا سيمون وسلم له جميع مال البيعة وطلب منه الصفح عن كل ما فرط منه . أما البابا سيمون فوسم جملة أساقفة مختبرين في العلوم منهم زكريا اسقف سخا واطلموس اخوه اسقف منوف العليا وغيرهما وأقام تسع سنين ونصفاً ثم اعتل في يوم الخميس وكان حينئذ بحلوان بسبب رسامته الاساقفة وارسالهم الى الجهات المختصة بهم فقال لتلميذه هيا بنا نمضي الى وادى هبيب لنأخذ بركة الآباء القديسين فمضى الى الاديرة وبعدها رجع للاسكندرية حيث توفى في الرابع والعشرين من

ابيب سنة ٤٠٢ ش و ٧٠٠ م ودفن بدير الزجاج كطلبه وقيل ان المسلمين سموه فمات مسموماً .

القسم الثانى

مشاهير الكنيسة

ooooooooo

يوحنا النيقاوي (١)

كان اسقفاً لابروشية نقيوس في النصف الثاني من القرن السابع . ولما كان خبيراً باحوال الرهبان قلده البابا سيمون البطريرك ال ٤٢ رئاسة الادرة . وحدث ان احد الرهبان المحبين للشهوات أخرج عذراء من ديرها ودخل بها وادي هبيب وارتكب معها الاثم . فلما ظهر ذلك بين الرهبان جزعوا وارتعبوا وانتهى الخبر الى مسامع الانبا يوحنا فقام بتأديب الراهب وضربه ضرباً وجعاً حتى مات بعد عشرة ايام من شدة الضرب

فلما بلغ الاساقفة في مصر خبر موت الراهب اجتمعوا سراً وسألوا الانبا يوحنا عن القضية فاعترف امامهم انه هو الذي ضربه فاوجبوا عليه القطع لكونه تعدى على الواجب وحرموا عليه ان يتقدم لرفع الاسرار الربية بل يتناولها كراهب . فلما سمع الحكم وقف في وسطهم وقال « لقد قطعتموني ظلماً هكذا يجعلكم الله غرباء عن كراسيكم الى تمام الزمان الذي حكمتم به علي » وجرى فعلا ان بعض الاعيان كانوا يخالطون غير زوجاتهم ولما منعهم الاساقفة وشوا بهم الى

(١) نسبة الى نقيوس بمركز منوف وتسمى باللغة القديمة (ابشاتي) وبقربها الآن زاوية رزين وآثار الكنائس باقية بها

الحاكم فاستحضرهم من بلادهم وظل مدة يستجوبهم حتى مات الانبا يوحنا وكان حينئذ قد بلغ من العمر أقصاه ويظهر ان تلك الاساءة أحزنته فقضت عليه

وكان هذا الانبا كثير الاطلاع على صحف الاقدمين حاصلا على قسم موفور من المعارف الدينية والأدبية ومن أهم مآثره المؤلف الذي وضعه في تاريخ مصر باللغة القبطية وهو يعد من أفضل كتب التاريخ نظراً لاحتوائه على كثير من الحوادث التي جرت في ايام الفتح العربي ومنها ما وقع في ايامه وشاهده بعينه . وقد وجد ما دونه به مطابقاً لما كتبه كبار المؤرخين عن تاريخ مصر القديم . وقد ترجم هذا المؤلف الثمين من القبطية الى اليونانية فالعربية فالحبشية ولكن لم تبق من ترجماته سوى النسخة الحبشية التي نقلها الى العربيــة الشماس غبريال المصري الراهب الذي كان قائداً للجيش الحبشي منذ ٣٠٠ سنة . وقد اهتم الدكتور زوتنبرج بنشر هذا التاريخ باللغتين الفرنسية والحبشية معاً

oooooooo

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

(١) هرقل (٢) فتح الفرس (٣) عودة هرقل لفتح مصر (٤) أصل المقوقس (٥) الفتح الاسلامي (٦) محاولة سرقة رأس مار مرقس (٧) فتح السودان والخمس المدن الغربية (٨) الاقباط في صدر الحكم الاسلامي (٩) خلافة مروان بن الحكم

oooooooo

(١) هرقل . في زمن تولي فوقا كرسي القيصرية قام ضده هرقل والي افريقية قاصداً الاستقلال بحكم مصر فناصره المصريون على فوقا لاسيما أهالي نقيوس الذين اعترفوا بحكم هرقل عليهم وساروا اليه تحت رئاسة اسقفهم ثيوذوروس ووكيله مينا . ولكن جيش هرقل هزم أخيراً وأسر الاسقف ووكيله فرفعا الكتاب المقدس بايديهم ليعفوا عنهما ولكن بعض انصار فوقا اتهموهما بكسر رأس تمثال لملكهم كان بنقيوس فقطع قائد جيش فوقا رأس الاسقف وعذب وكيله بالجلد بالسياط الى ان دفع ثلاثة آلاف قطعة من الذهب فدية ولكنه مات بعد يومين من اطلاقه من شدة ألم الضرب . ورفع القائد يد القساوة على الذين تظاهروا بالميل لهرقل فجلد كثيرين منهم وقطع رؤوس الباقين .

غير ان هرقل عاد فشد ازره وهجم على الاسكندرية وقام المصريون باسرهم معه . وكان يوجد راهب بسمنود يدعى ثاوفيلس اشتهر بالقداسة وقضى اربعين سنة فوق قمة عامود يعبد الله فتوجه اليه قائد جيوش هرقل واستفهم عن مصير جيشه فتنبأ له خيراً وفاز القائد بجيش فوقا واستتب الملك لهرقل في مصر سنة ٦١٠ م

(٢) فتح الفرس . ولم يكد يتم النصر لهرقل حتى قام الفرس لغزو بلاد الشرق وبعد ان أتموا فتح بلاد الشام وأخذوا خشبة الصليب الى بلادهم زحفوا على القطر المصري وتمكنوا من الاستيلاء عليه فهجموا على الكنائس والاديرة وعاثوا فيها فساداً . واعلن القائد الفارسي في الاسكندرية انه مستعد ان يعطي كل مصري من ابن ثمان عشرة سنة الى ابن خمسين عشرين ديناراً فلما خرجوا الى خارج المدينة سلط عليهم السيوف فقتل منهم ثمانين ألف رجل . ولما فعل هذا رحل الى الصعيد وكان في مدينة نقيوس قوم دسوا اليه بان الرهبان الذين في الجبال والمغاير وعددهم سبعة آلاف راهب يملكون خيرات جزيلة فارسل جيشه ليلا وأحاط بهم وفي الصباح أمر بقتلهم جميعاً . وبلغت الاديرة التي أخربوها

بضواحي الاسكندرية ٦٢٠ ديراً كان يسكنها رهبان.وواهبات ودمروا أديرة الرهبان بوادي النطرون . وبقيت مصر في يد الفرس عشر سنوات ساموا فيها المصريين الخسف والعذاب أشكالا

(٣) عودة هرقل لفتح مصر . وفى مدة فتح الفرس لمصر كان هرقل مشغولا بتوطيد ملكه على جميع المملكة الرومانية ولما تم له ما أراد حول وجهه نحو مصر ارادة استخلاصها من يد الفرس الا انه شعر بضرورة الاتحاد مع الاقباط ليفوز بغرضه فاستدعى اليه اثناسيوس بطريرك انطاكية وطلب منه الانضمام للكنيسة الملكية فأبى مدافعاً عن ايمانه القديم قائلا « لو اعتقدت ايها الملك الجليل بطبيعتين فى المسيح فينبغى ان تسلم ان لكل طبيعة منهما فعلا خاصاً قائماً بها وانها تفعل على حدتها بدون اتحاد الطبيعة الاخرى واشتراكها فى الفعل. فيكون المسيح اذاً بناء على هذا الاعتقاد واحداً بالاسم واثنين بالفعل لان الفاعل فيه ليس واحداً بل اثنان » فمال هرقل الى كلامه ومضى الى القسطنطينية وسأل سرجيوس بطريركها عما اذا كان الفاعل فى المسيح واحداً أم اثنين فأجابه ان الفاعل واحد لان المشيئة واحدة والارادة واحدة غير منقسمة فاقتنع بذلك وأراد ان يوحد المذاهب المسيحية على هذا المبدأ وهو ان المسيح واحد وفعله واحد ومشيئته واحدة بدون ان يأتي بذكر للطبيعة الواحدة أو الاثنتين

ثم كلف هرقل سرجيوس بطريرك القسطنطينية وكيروس أحد أساقفة المملكة الغربية وبعض أساقفة اليونان بان يضعوا منشوراً يسمونه « الاكثيسيس » أي « مشروع الاتحاد » لا يذكرون فيه اسم المجمع الخلكيدوني الذي يبغضه المصريون بل يقررون فيه ان للمسيح « مشيئة واحدة » ومن ثم عين كيروس المذكور بطريركاً للاسكندرية وانفذه الى مصر بهذا المنشور وطلب من بطريرك الاقباط ان يقبله فرفض بحجة انه لا يبحث فى منشور يحرره ملك كل اهتمامه بالغزو والفتح ولا شأن له بالمسائل الدينية . ولما رأى كيروس بطريرك الملكيين ان الاتفاق السياسي بين هرقل والمصريين يتوقف على الاتفاق الديني حاول ان يرغم البطريرك القبطي البابا بنيامين على توقيع المنشور رغماً فهدد حياته وحياة

كثيرين من وجهاء الاقباط حتى اضطر معظمهم ان يتركوا مدينة الاسكندرية وهرب البابا بنيامين ولما لم يقف له على أثر قبض على أخيه مينا وانزل به بلايا عظيمة واشعل في جنبه المشاعل حتى خرج شحم كليتيه الى جنبه وسال على الارض وقلع اسنانه باللكم لاعترافه بالامانة الارثوذكسية . وكان هرقل قد أوصى جنوده بانه اذا قال احد ان مجمع خلكيدون حق أعفوا عنه ومن قال انه ضلال اطرحوه في البحر ففعلوا ذلك وملأوا جلة جوالق رملا وطرحوا مينا في البحر وهم يمسكون الجوالق وقالوا له قل ان مجمع خلكيدون حق ونحن نرحمك فأبى وكان هذا على ثلاث دفعات ثم دفعوه الي عمق المياه فراح شديد التمسك بايمانه .

وكان البابا بنيامين قد أوصى الاساقفة ان يختفوا من وجه الاضطهاد فأطاعه بعضهم وبقي الاكثرون فلما أمر هرقل بالزام الارثوذكسيين بقبول مجمع خلكيدون ضل عدد كبير من اولئك الاساقفة بعضهم بالعذاب وآخرون بالمواعيد وغيرهم بالخداع ومن هؤلاء كورش اسقف نقيوس وبقطر اسقف الفيوم

ثم اقام هرقل اساقفة خلكيدونيين في بلاد مصر كلها الى انصنا وكان يبلي الارثوذكسيين بلايا صعبة وما زال يطارد رعاتهم ويضطهدهم ويذل افرادهم ويغتصب كنائسهم ويسلب منازلهم وهم صاغرون ويفتك بهم وهم صابرون بدون ان يتبصر في عواقب الامور حتى اشرفت مملكة الرومان على الهلاك واصبحت في حال انحطاط زائد بسبب التعصبات الدينية والاختلافات المذهبية

وقد رجعت سلطة الرومانيين الى مصر في وقت بلغ فيه سخط المصريين عليهم اشده لاسيما لما رأوا ان ملوك القسطنطينية كانوا يرون شغلهم الوحيد هو ارغامهم المصريين على التمذهب بمذهب مجمع خلكيدون ولكن هؤلاء لم يغفلوا عن هذا فثبتوا في مبادئهم وحفظوا لغتهم وحافظوا على شريعتهم الدينية وترجموا جميع تعاليمهم الى لغتهم ولا يخفى ان ذلك جمع كلمتهم وشد عرى اتحادهم فقووا وثار في خاطرهم امر الاستقلال. ولهذا السبب كثرت القلاقل في البلاد وصغرت الحكومة الرومانية في عيون المصريين لاسيما لأنهم كانوا يشاهدون قرب سقوطها وما كان يهددها من كل الجهات . فاستعمل الحكام والولاة العنف والقوة في تنفيذ

اغراضهم فكان هـذا داعياً الى انقلاب الاهالي على الحكام وتعديهم عليهم والسعي في اخراجهم

وكانت معظم هذه القلاقل تتناول الوجه البحري . اما الوجه القبلي فكان احسن حالا وانعم بالا لان الامبراطرة لم يكونوا يهتمون به كثيراً فكان اهله معروفين بالغيرة الدينية والعمل على تقدم المسيحية وارتقائها فأزهرت فيه واشرق نورها ولهذا السبب عينه نجد للآن ان اغلب الاقباط يسكنون الوجه القبلي لأنه كان اكثر أماناً لهم من الوجه البحري

(٤) أصل المقوقس . وقد اقام هرقل على مصر والياً من قبله هو « المقوقس » ومقوقس على ماذكر بعضهم كلمة يونانية معناها حاكم والعرب يسمونه عظيم القبط اما اسمه فكان جرجس بن مينا وهو يوناني الاصل الا انه كان يميل للقبط ويرثي لحالهم . ولا ريب في رومانية المقوقس اذ لم يكن قياصرة الرومان يقيمون ولاة بمصر الا اذا كانوا من جنسيتهم . واذا كان الامر كذلك فلماذا تواطأ المقوقس مع العرب على قومه الرومان ؟ الواضح ان المقوقس لما رأى انتفاض قصبة المملكة الرومانية في مصر وكان محباً للمال للدرجة القصوى ضم لحوزته كل الضرائب التي كان يأخذها من المصريين للحكومة . ولما رأى ان هرقل مزمع أن يعيد سلطته لمصر ولا بد يطالبه بدفع ما اختلسه من المال اضطر ان يسهل للعرب سبيل الاستيلاء على مصر

وروى المؤرخون ان محمداً صاحب الشريعة الاسـلامية أرسل في السنة السادسة للهجرة كتاباً الى المقوقس يدعوه فيه الى الاسلام فأكرم المقوقس رسله وأرسل معهم هدية من ضمنها جارية قبطية تسمى مارية اتخذها سرية فرزق منها بولد سماه ابرهيم ولـكنه لم يعش ولم ترزق منه بغيره . وقد استنتج ان من ذاك الحين كان بين المقوقس وزعماء العرب صـلات وعلاقات سرية . وقيل ان المقوقس كان يراسل صاحب الشريعة الاسـلامية وبقي السر مكتوماً لا يعلم به أحد حتى استخلفه عمر بن الخطاب فتم للمقوقس ما أراد من استيلاء العرب على مصر.

وقال ان الخطاب الآتي هو الذي أرسله نبي المسلمين للمقوقس : —

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبدالله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدى . اما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام . اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فعليك اثم كل القبط . يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » الله

رسول محمد

وهذه صورة جواب المقوقس : — « بسم الله الرحمن الرحيم . لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط . أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت ان نبياً قد بقي وكنت أظن انه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك و بعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم وكسوة واهديت لك بغلة لتركبها والسلام » والكتابان مرتاب فيهما

(٥) الفتح الاسلامي . وكان جيش العرب في فاتحة هذا القرن حاملا لواء الظفر في كل مكان وظل يخترق الهضاب والبطاح ويجوب الفيافي والبلاد حتى وصل الى حدود مصر تحت قيادة عمرو بن العاص فدخل مدينة العريش وذلك في سنة ٦٣٩ م ومنها وصل الى بابيس وفتحها بعد قتال طال أمده نحو شهر ولما استولى عليها وجد بها ارمانوسه بنت المقوقس فلم يمسها بأذى ولم يتعرض لها بشر بل ارسلها الى ابيها في مدينة منف مكرمة الجانب معززة الخاطر فعد المقوقس هذه الفعلة جميلا ومكرمة من عمرو وحسبها حسنة له

واحتلت جيوش العرب الوجه البحري فصاروا يرتكبون فيه الفظائع فوقف في وجههم اثنان من الاقباط هما ميناوقزمان وترأسا جماعة مدربة فكانوا يدفعون عنهم غائلة الاعتداء الاجنبي عربياً كان أم رومانياً . قيل ان عمرو عند ما وصل الى نقيوس فتك باهلها فتكا ذريعاً ولم يبق أحداً ممن كانوا في الشوارع أو الكنائس وصار يتقدم الى داخل البلاد حتى وصل الى بابيليون ودام القتال بين عمرو وبين الروم سبعة أشهر كان يتظاهر المقوقس في اثنائها بانه

ضد العرب وهو معهم نخابر الروم في أمر التسليم بالتي هي أحسن فأبوا كل الا باء فانسحب من الحصن ولم يبق فيه سوى عدد قليل من القبط لم يقووا على مقاومة العرب فعمدوا الى الهرب قاصدين منف فتتبعهم العرب وكان يفصلها جسران من المراكب فرفعها القبط فبقي العرب محاطين بالماء من كل الجهات ٠

ولما رأى المقوقس اشتداد بأس العرب تفاوض معهم فكتب اليه عمرو يقول ليس لك ولقومك سبيل للنجاة الا اذا اخترت واحداً من هذه الشروط (١) اما الجزية (٢) أو الاسلام (٣) او استمرار القتال . فجمع المقوقس رجال حكومته وتفاوض مع رسل من قبل عمرو واتفق رأيهم على ايثار الجزية ورضوا بها على صلح يكون بينهم يعرفونه . فاجتمع المقوقس وعمرو وتقرر الصلح بينهما بوثيقة مفادها ان يعطي الأمان للاقباط ومن اراد البقاء بمصر من الروم على انفسهم واموالهم وكنائسهم وفي نظير ذلك يدفع كل قبطي دينارين ما عدا الشيخ والولد البالغ من العمر ١٣ سنة. والمرأة واحصي من دفع الجزية في تلك السنة من القبط فكان عددهم ستة ملايين . وكان عدد الاقباط قد نقص بعد اضطهاد ديوكلتيانوس ولكنه أخذ يتزايد بعد انتشار المسيحية حتى بلغ مجموعهم ابان دخول العرب اربعة وعشرين مليونا تقريباً

ولما رأى هرقل ما كان من استيلاء العرب على مصر مات محزوناً مرذولا واقسم عمرو الايمان المغلظ بتنفيذ وعده مع المصريين . وذكر المؤرخون انه بعد استتباب السلطان للعرب في مصر وبينما كان الفاتح العربي يشتغل في تدبير مصالحه بالاسكندرية سمع رهبان وادي النطرون وبرية شيهات ان أمة جديدة ملكت البلاد فسار منهم الى عمرو سبعون ألفاً حفاة الاقدام بثياب ممزقة يحمل كل واحد منهم عكازاً فخاف عمرو ان يكون هذا الجيش قوة مقاومة ولكنهم تقدموا اليه وطلبوا منه ان يمنحهم حريتهم الدينية ويأمر برجوع بطريركهم من منفاه فاجاب عمرو طلبهم وأظهر ميله للاقباط فازداد هؤلاء ثقة به ومالوا اليه خصوصاً لما رأوه يفتح لهم الصدور ويبيح لهم اقامة الكنائس والمعابد في وسط الفسطاط الذي بناه بمساعدة الاقباط وجعله عاصمة الديار المصرية ومركز الامارة على حين انه لم يكن للمسلمين معبد فكانوا يصلون ويخطبون في الخلاء

وقرب عمرو اليه كثيرين من الاقباط واعتمدعليهم فى اصلاح شؤون البلاد ووظفهم بوظائف عالية فكان منهم الحكام والرؤساء والكتاب وجباة الخراج فقاموا بخدمة البلاد بامانة حتى عم الرخاء وساد الامن وقسم عمرو القطر المصرى الى كور أو أعمال يرأس كلا منها حاكم قبطى تأتيه القضايا ينظر فيها ويصدر أحكامه . وخطب عمرو في جيش المسلمين وكان من خطبته قوله « حدثني عمر أمير المؤمنين (رضه) انه سمع رسول الله (صلعم) يقول ان الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فان لكم فيها صهراً وذمة فكفوا أيديكم وعفوا فروجكم وغضوا أبصاركم » اه ثم بنى عمرو جامعه المعروف بهمة مهندس قبطى يدعى بقطر

وذكر ابن القفطى وابو الفرج الملطى وغيرها ان عمرو لما فتح الاسكندرية كان من جملة علمائها رجل اسمه يحيي (يوحنا) الغراماطيقى فدخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه عمرو وسمع من الفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها أنسة ما هاله ففتن به وكان عمرو عاقلا حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكان لايفارقه . ثم قال له يحيي يوماً « انك قد أحطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الاصناف الموجودة بها فما لك به انتفاع فلا نعارضك فيه وما لا انتفاع لك به فنحن أولى به » فقال له عمرو « ما الذى تحتاج اليه » قال « كتب الحكمة التى في الخزائن الملوكية » فقال له عمرو « هذا مالا يمكني أن آمر فيه الا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » فكتب الى عمر وعرفه قول يحيي فورد عليه كتاب عمر يقول فيه « وأما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها مايوافق كتاب الله (القرآن) ففى كتاب الله غنى عنها وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليها فتقدم باعدامها » فشرع عمرو في تفريقها على حمامات الاسكندرية واحراقها في مواقدها فاستنفدت في مدة ستة أشهر فاسمع ما جرى واعجب

(٦) محاولة سرقة رأس مار مرقس . بعد استيلاء المسلمين على الاسكندرية دمروا أسوار المدينة واشعلوا النيران في معظم الكنائس وبينها الكنيسة القديمة لمار مرقس حيث كانت بقايا جسم القديس مدفونة . ويؤخذ

من رواية الانبا ساويرس المؤرخ ان بقايا القديس خلصت بمعجزة المية لانه بينما كانت النيران متأججة في الكنيسة دخل اليها بحارة المراكب وفتشوا تابوت القديس ظانين ان فيه مالا ولما لم يجدوا اخذوا الثياب من على جسمه وبقيت عظامه فيه . وجاء بعد ذلك رئيس مركب شنوده احد عظماء الاقباط فوجد رأس القديس فأخذها وخبأها في جوف مركبه ولما اراد ان يسيره خارج الاسكندرية لم ينتقل فأخبر شنوده بذلك ففتش السفينة فوجد بها رأس القديس فمضى واعلم البابا بنيامين بالخبر وكان شنوده قد شاهد في رؤيا القديس مرقس يطلب منه ان يبني له كنيسة في موضع عينه له فاعترف بان شكل الرأس كالشكل الذي شاهده في الرؤيا وحالا اخذها من المركب فاقلعت فوراً وجميع الذين شاهدوا هذه الاعجوبة كانوا يمجدون الله.وقيل ان عمرو بن العاص عند ما قص عليه البطريرك هذه المعجزة اعطاه ١٠٠٠ دينار لكي يبتني بها كنيسة احتراماً للرأس وسميت بالمعلقة وكانت قائمة جنوبي الاسكندرية

وعاد البابا بنيامين الى المدينة والرأس في حضنه وصنع لها تابوتاً من الابنوس وبني عليها بيعة ومن ذلك الوقت صار كل البطاركة الذين يرسمون يضمون الرأس امامهم وقت التكريس مغطاة ببرقع جديد ويقدمونها للشعب لتقبيلها وفيما بعد جدد هذه البيعة البابا يوحنا السمنودي البطريرك ال ٤٠ وفي مدة البابا زكريا البطريرك ال ٦٤ وجد احد الامراء الاتراك رأس القديس مار مرقس ولما سمع بان المسيحيين يعلقون عليها اهمية كبرى عزم على حملها الى القاهرة وتمكن الشماس بقيرة احد مستخدمي الحكومة ان يشتريها منه بمبلغ ٣٠٠ دينار وقدمها للبطريرك حيث كان في دير ابي مقار .وفي ايام البابا خريستوذلو البطريرك ال٦٦ كانت الرأس المقدسة محفوظة في منزل ابي يحي بن زكريا وقد مرض مرضاً شديداً فخشي المؤمنون ان تختم الحكومة بيته بعد موته لحفظ ما فيه فأخذوا تابوت الرأس وحملوه الى بيت مجاور واذ رأوا المحل غير آمن ارادوا نقله الى بيت الاب مانهوب راوي هذا الخبر ولكن هذا الرجل الذي كان مقرياً للسلطان ابى حفظ التابوت عنده فعهد به الى القس سمعان . الا ان رجلا افريقياً اسمه على ابن بكير من اهالي برقة وقف على سر المسألة ورفعه الى الحاكم في رسالة فلقي

القبض على كل المتهمين بالامر ولما سئلوا انكروا ثم الاسكندرية كوكب الدولة طلب منهم ان يردوا رأس القديس او يدفعوا مبلغ عشرة آلاف دينار التي كان يظن بحسب فكره ان اليونانيين كانوا مستعدين لدفعها ثمناً لباقي الاعضاء وبعد ان لبثوا مكبلين بالحديد ٢٧ يوماً دفع احدهم ابو الفتح ٦٠٠ دينار فاطلق سراحه بعد ثلاثة ايام واعيدت رأس القديس الى المسيحيين فكانت موضوع احترامهم في مدة حكم الملك الكامل . ووجدت راس القديس في منزل ابن السكرى حيث كانت قد اكتشفت من عدة سنين مضت

وقيل ان رجلا رومياً اشترى الرأس في عهد البابا خرستوذولو بازبعمائة دينار وبنى عليها حائطاً خشية له وصول الايدي اليها وان البابا مرقس الى [illegible] الدار وبقت هناك الى ثاني يوم وكيرلس ابن لقلق الـ ٧٥ لما وضعت عليه اليد خرج الى دار ابن السكرى التي فيها الرأس . وقيل انها كانت رأس البابا بطرس خاتم الشهداء لان رأس مار مرقس كانت معه على جسده لما نقله الروم الى البندقية والله اعلم

وكنيستنا القبطية تخبر ان رأس الرسول مرقس نقلت من دار ابن السكرى الى ضريح البطاركة بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية ولم تزل باقية فيه وذلك انه لما جلس البابا بطرس الـ ١٠٤ واحتضن الرأس علم ان هناك من يحاولون سرقة الرأس فأمر بحفظها بكل عناية في ضريح البطاركة بالاسكندرية

(٧) فتح السودان والخمس المدن الغربية : وكانت البلاد السودانية والخمس المدن الغربية قد صارت قبيل الفتح الاسلامي العربي كلها مسيحية تعترف بسيادة بطريرك الاقباط عليها . وكان السودان عبارة عن ممالك مسيحية عديدة مستقلة ومنظمة . فسير اليها عمرو قوة عسكرية تحت قيادة عبدالله بن سعد فلزم قتالهم مدة وفي اثناء محاصرته لمدينة دنقلة دمر كنيستها الكبرى فجزع النوبيون وسلموا للعرب فاشترط عليهم هؤلاء ان يسمحوا للمسلمين بالاقامة معهم وان يبنوا لهم جامعاً يتعهدونه بالمرمة والنظافة ثم حكموا عليهم بدفع ضريبة سنوية من العبيد الاقوياء وكان هذا مبدأ تجارة الرقيق . أما الخمس المدن فلم يستطع

عمرو اخضاعها واكتفى بما أخذه منها من الغنائم والأسرى الذين جعلهم عبيداً .

(٨) الاقباط في صدر الحكم الاسلامي . وكانت مدة ولاية عمرو بن العاص في مصر وخلافة عمر بن الخطاب أحسن أوقات الراحة التي ذاقها الاقباط وقيل ان قبطياً فقيراً اتى عمر الخليفة وشكا اليه ان بن العاص لطمه فاستدعى عمرو وقال له « ولد الناس احراراً فلماذا تستعبدوهم » وأمر القبطي ان يلطم الامير . ولكن لما تولى الخلافة عثمان بن عفان سنة ٦٤٤م فصل عمرو وعين بدله عبدالله بن سعد فاشتد على الاهالي وجمع منهم ضرائب باهظة فجبا في اول سنه اربعة عشر مليوناً من الدنانير بزيادة مليونين عما كان يجبوه عمرو فسر الخليفة بهذه الزيادة وقال لعمرو « يا أبا عبدالله درت اللقحه باكثر من درها الاول » فأجابه عمرو « لقد أضررتم بولدها ان لم يمت الفصيل » أي ان هذه الزيادة لابد ان تضر اهل البلاد اذ لم يزد عددهم عن الاول

وفي اثناء ذلك انفذ الروم حملة من جنودهم لاسترجاع مصر من المسلمين وفي اثناء قتالهم بالاسكندرية كانوا يعيثون فساداً في القرى وينهبون ما بها ويقتلون سكانها فخشي القبط استيلائهم على البلاد مرة ثانية فناصروا العرب وباء الروم بالخيبة والخذلان

وبعد انتهاء دولة الخلفاء الراشدين بموت علي بن أبي طالب الذي خلف عثمان بن عفان ابتدأت الدولة الاموية التي كان اول خلفائها معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٦١ م . وفي مبدأ الدولة الاموية كان الاقباط ملازمين الهدؤ والسكينة لاستقامة الحال معهم وظلوا محافظين على شروط معاهدتهم مع عمرو فلم يطلبوا الاستقلال وكان حينئذ في استطاعتهم نواله اذا طلبوه . ولما زادت شرور عبدالله ابن سعد طلبوا استبداله بصديقهم عمرو فأعيد اليهم فصار فرحهم عظيماً ولما مات حزنوا عليه وكان لهم الحق في ذلك الحزن لأنه لم يتول مصر واحد أحسن اليهم مثله كما سترى . واستخلف الخليفة معاوية على مصر بعد عمرو سعيد بن يزيد فاضطهد بطريرك الاقباط اضطهاداً شديداً

(٩) خلافة مروان بن الحكم سنة ٦٨٤ م . ولى على مصر ابنه عبد العزيز وكان فى مبدأ امره محاسناً الاقباط ولما بنى مدينة حلوان نقل اليها بيت المال وكان الأمين عليه رجل قبطي يسمى انتناس وابتنى بها القصور الشاهقة ولعلمه بان الاقباط هم اصحاب البلاد وذوو الثروة والاقتدار كلف اغنياءهم ان يبني كل منهم له داراً بمدينته الجديدة ولكي يحبب اليهم سكناها أمر البطريرك ببناء بيعتين فيها لكي يزيد في حسن رونقها بالنسبة لجمال الكنائس في تلك الايام وقد سبق معنا انه وكل بعمارة البيعتين الانبا غريغوريوس اسقف القيس(١) وكان بين عبد العزيز والبابا اسحق ال ٤١ ائتلاف فكان البطريرك يكثر التردد على حلوان لزيارة الأمير

وبعد ذلك داخل عبد العزيز فكر بعد ان أخضع البلاد كلها له بانه لا يوجد فيها من له السلطان مثله الا البطريرك فتغير عليه وامر الاقباط بان لا ينتخبوا بطريركهم بعيداً عنه أي فى الاسكندرية كما جرت العادة بل فى بابيليون وأعلى الضرائب عليهم وكان الاكليروس الى ذلك الحين معافين من الجزية فالزم كل واحد منهم بدفع دينار فى السنة والبطريرك بثلاثة آلاف دينار . ولما انتهى اليه خبر الانحطاط الزائد الذى وصلت اليه المملكة الرومانية لم يعد يعبأ بمهادنة الاقباط فمد اليهم يد الاذى وشرع فى نهب اموالهم وسلب مقتنياتهم وأمر بكسر الصلبان التي فى كورة مصر حتي صلبان الذهب والفضة ثم كتب عدة رقاع وجعلها على ابواب البيع بمصر والريف يقول فيها « محمد أعظم رسل الله وعيسى ايضاً رسول الله والله لم يلد ولم يولد »

••••○○○••••

القسم الرابع

البدع

(١) مشروع هرقل (٢) بدعة الطلاق

---

(١) بمديرية المنيا كانت مدينة عظيمة اشتهرت بصناعة المنسوجات الصوفية التي كانت تسمى بالمرعز وقد تخربت الآن ولم تبق الا اطلالها

(١) مشيعو هرقل . وقد مر بنا الكلام عنه في حوادث « المملكة والكنيسة » موجوات في المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة ولقب بمذهب مونوتيليته . ومع ان بطريرك الروم الارثوذكس بالقسطنطينية قبله حينئذ الا ان راهباً يونانياً اسكندرياً يدعى صفرونيوس قاوم هذا المذهب واذاع في انحاء كثيرة تعليم المشيئتين وفيها بعد لقيم بطريركاً لاورشليم فجمع مجمعاً يدعمه برأيه الا ان القيصر اثبت التعليم بمشيئة واحدة في مجمع عقده بالقسطنطينية تحت رئاسة سرجيوس بطريركها وتبعه في الراي خلفاؤه بيروس وبولس وبطرس وتوما وثيودوروس ويوحنا . ودعا سرجيوس انوريوس اسقف رومية لقبول مذهبه الجديد فقبله ونادي به الا ان خلفاءه شجبوه وكذلك قسطنطين اللحياني حرم تعليم المشيئة الواحدة وبطاركة القسطنطينية وانوريوس في مجمع عقده سنة ٦٨٠م ونقض اليونان حرم هذا المجمع بقرار في مجمع آخر سنة ٧١٢م ثم ايدها مجمع آخر وهكذا استمر الشقاق سائداً بينهم الى ان بطل التعليم بالمشيئة الواحدة من الكنائس الخلكيدونية ولم تستمر تعلم به الا كنيسة الموارنة التي اسسها يوحنا مارون لان هذا قضى حياته يدافع عن ذلك التعليم وسارت طائفته على مبدئه الى ان انضمت للكنيسة البابوية سنة ١١٨٢ م

(٢) بدعة المطرود . وجرى في ايام البابا سيمون ال ٤٢ ان قوماً من الاقباط تركوا نساءهم واخذوا غيرهن فجعل الاساقفة يردعونهم عن هذا العمل فاغتاظوا منهم ومضوا الى الوالي وقالوا له ان الاساقفة منعونا عن الزواج واضطرونا الى ارتكاب فعل الزنا فغضب وجمع الاساقفة من كراسيهم الى مدينة الاسكندرية فاجتمع منهم ٦٤ اسقفاً ولم يعلموا سبب حضورهم ولما علموا السبب اطلعوا الوالي على الحقيقة وبعد مناقشة فيما بينهم حكموا بقطع اولئك القوم ان لم يتركوا النساء الغريبات

••••••••

القرن الثامن

القسم الاول

تاريخ البطاركة

(١) الاكسندروس ٢ (٢) قزمان ١ (٣) ثيوذوروس (٤) خائيل ١
(٥) مينا ١ (٦) يوحنا ٤

(١) الاكسندروس ٢ ـ البطريرك الثالث والاربعون . وبعد وفاة البابا سيمون لم يتمكن الاساقفة من اقامة خلف له فخلا الكرسي بعده ثلاث سنين وبعد ذلك طلب اثناسيوس احد موظفي الاقباط في الديوان من الوالي ان يسمح للأنبا غريغوريوس اسقف القيس ان يتولى ادارة اعمال الكنيسة فكتب له امراً بذلك واستمر الانبا غريغوريوس اربع سنوات يدير الحركة حتى سنة ٧٠٣ م فقد انتخب باجماع الآراء القس الاكسندروس من نباموسير وكان راهباً وديعاً عالماً بالكتب المقدسة وبعد الاستئذان من الوالي أقيم بطريركاً في يوم عيد مار مرقس الذي هو آخر برموده سنة ٥٠٤ ش و٧٠٣ م في عهد خلافة عبد الملك بن مروان وكانت ايامه الاولى كلها صفاء وهناء وشمل الجميع سرور عظيم وساد السلام على البيعة المقدسة
غير ان الشيطان الذي لا يدع كنيسة الله في راحة اثار ضيقا تألم هذا البابا

بسببه كثيراً وذلك انه بعد عبد العزيز ولى الخليفة ابنه عبدالله على مصر فسار في طريق الجور حتى ان البطريرك لما مضى للسلام عليه كعادة البطاركة سأل عنه فقيل له انه بطريرك النصارى فقبض عليه وسلمه لاحد حجابه وقال له انزل ما تريد به من الهوان حتى يدفع ثلاثة آلاف دينار فاخذه واقام مدة ثلاثة ايام والمسيحيون يتوقعون ان يتنازل عن شيء من القيمة فلم يمكن ولهذا وقع خوف عظيم على جميع المؤمنين بالنسبة لذلك المبلغ الباهظ الذي لم يكن في طاقتهم دفعه ثم تقدم الشماس جرجس الى الحاجب وقال له « هل تطلب نفس البطريرك أم المال » فاجابه المال فقال له اذا سلمه لي مدة شهرين انا أطوف به على اولاده المؤمنين فاجمع له هذا المال فجال به الشماس في الوجه البحري حتى حصل على المال وسلمه للوالي .

ثم تولى بعد عبدالله الامير قرة سنة ٧٠١ م وكان متولي ديوان الاسكندرية من الاقباط رجل يدعى تاودروس كانت بينه وبين البطريرك عداوة فلما وصل قرة الى مصر توجه اليه البطريرك ليؤدي واجب السلام عليه فنسج على منوال سلفه وقبض عليه وألزمه ان يدفع من المال مقدار ما دفع لعبدالله فقال له البطريرك اني لا أملك هذا المبلغ لان مخلصنا أمر جميع تابعيه بان لا يقتنوا ذهباً ولا فضة وما اتاه عبدالله معي كان من قبيل الظلم الفاحش وقد استعطيت كل المبلغ الذي ارغمني على دفعه فطلب منه الوالي ان يبرر كلامه هذا بقسم فابى البطريرك ان يحلف فقال له الوالي لا بد من دفع هذا المبلغ ولو بعت لحمك فالتمس منه البطريرك ان يسمح له بزيارة الوجه القبلي ووعده بان يرسل له كل ما يتحصل عليه ففرح اهل الصعيد بالبطريرك فرحاً عظيماً لعدم مشاهدتهم بطاركة بعد البابا بنيامين الذي كان مختفياً عندهم . وحدث ان سائحاً يدعى فيلسطس وهو مقيم على صخرة وكان معه ولداه الراهبان . فأمرهما بان يهيئا له مكاناً خلاف الصخرة . فبينما هما ينظفان الارض وجدا كنزاً عظيماً في خمسة أوان فأخفيا عنه واحداً واظهرا له الاربعة فشكر الله وقال هذا نصيب البابا الاكسندروس الذي رأى الرب ضيقته . ثم استدعى كاتب البطريرك والراهب جرجس وكيله واعطاهما الاربعة أوان ليسلماها للبطريرك . فجربهما الشيطان فدفناها اما الراهبان فقسما

ما اختلساه وتركا عيشة الرهبنة ولبسا الملابس الفاخرة وظهرا بمظهر سيء حتى ارتاب في امرهما الوالي فقبض عليهما فاعترف احدهما بكل ما جرى وان الاربعة أوان الباقية طرف وكيلي البطريرك فامر حالا بغلق الابسقوبيون (الدار البطريركية) واخذ كل ما فيها من الأواني والذهب والفضة والكتب والمقتنيات واستحضر البطريرك وهم بقتله بسبب قوله انه ليس معه ذهب وكبله بالحديد وطرحه في السجن سبعة أيام ثم أخرجه ليقوم بدفع ال ٣٠٠٠ دينار فرجع يستعطي من المسيحيين حتى تحصل على المبلغ ودفعه

ولم يكد يستريح من هذه المشقات حتى سعى به أناس أشرار لدى الوالي بان لديه قوماً يضربون الدنانير وبينما كان جالساً في الساعة التاسعة من النهار لتناول طعام الافطار رأى ان البطريركية قد أحيطت من كل جانب بالجنود فقبضوا عليه وعلى أصحابه وطرحوه على الارض وضربوا أصحابه وعوقبوا حتى سالت دماؤهم وكادوا يموتون . وما زالوا يوسمونهم اهانات وضربات حتى اليوم الثاني من امشير سنة ٣٤٠ ش اذ تحقق لهم كذب التهمة التي وجهت اليهم

ولم تكف هذا البطريرك البائس هذه البلايا الخارجية ولم تقف ويلاته عند هذا الحد حتى قامت عليه زوابع داخلية من نصارى الاسكندرية وكهنتها طالبين منه أن يؤدي لكنائسها ما كان مقرراً على البطريركية دفعه لها وكانت هذه العوائد قد انقطعت من مدة سنين بسبب الغرامات الفادحة التى اضطر البابا الاكسندروس أن يقوم بدفعها للحكومة . فأخذ البطريرك يترضاهم ويطيب خاطرهم بالكلام اللين معتذراً عن عدم الدفع بما شاهدوه من نهب جميع مال البيعة حتى صارت الكاسات التى كانت ترفع فيها الاسرار المقدسة من زجاج عوضاً عن الذهب والفضة ولكنهم لم يرعوا وأخذوا يوجهون اليه شديد التوبيخ فعرفهم ان كنائس الاسكندرية لاحق لها في ما تطلب لان تلك المرتبات كانت انعاما من الحكومة وأول من رتبها قسطنطين الكبير للمساعدة ولكنها انقطعت فيما بعد . فصارت البطريركية تجري صرفها باختيارها . فلما سمعوا هذا الكلام ضجوا وطلبوا منه بالحاح أن يدفع مالهم فلما رآهم لا يرتدعون بالكلام اللين انتهرهم وطردهم من عنده فخرجوا يشنعون عليه ولم يكفوا عن المقاومة الا بعد مدة

وكان في أيام هذا البابا على كرسى انطاكية البطريرك يوليانوس الذى اقام على الكرسي من ايام البابا يوحنا بطريرك الاسكندرية الى ايام البابا الاكسندروس ثم توفى وحاول اساقفة المشرق اقامة آخر عوضه فمنعهم الوليد الوالي بدعوى انه لايمكن اقامة اسقف في حياته . ولكنهم عمدوا الى انسان خائف الله يدعى ايليا واجلسوه على الكرسى وحال جلوسه كتب سنوديقاً الى البابا الاكسندروس صحبة اسقف يدعى استفانوس فجاء الى البابا بينما كان يتفقد ديارات وادي هبيب فقبله بفرح وكتب للبطريرك الانطاكي جواباً لرسالته

وكان ارخن مدينة الاسكندرية يدعى تادرس فاستعان به لدى الامير طبيب يدعي انوبيس من اهل الاسكندرية لكي يقدمه بطريركا وكان رومياً خلكيدونياً وذلك ايضاً بمساعدة كاتب اسمه انسطاسيوس من الاسكندرية دفع للوالي الف دينار ليوافق على رسامته بطريركا فقبل الوالي هذا الطلب واقيم هذا الهرطوقي بطريركا وكان يهزأ بالبابا الاكسندروس لاسيما اذا لحقته تجربة حتى ظهرت افعاله الرديئة فقام عليه الشعب طالباً قطعه فاحتمى بالبابا الاكسندروس والتمس منه أن يغفر له مابدا منه ورغب أن يقبله في الامانة الارثوذكسية فصفح عنه . ثم حدث حينئذ وفاة ايليا بطريرك انطاكيه فقام عوضه اسقف تقى يدعى اثناسيوس فكتب هذا سنوديقاً للبابا الاكسندروس فجاوبه عليها جواباً مملواً بعبارات المحبة .

ولما تولى حنظله بن صفوان سنة ٧١٣ م أراد ان يرسم على أيدى كل من النصارى صورة الأسد . ثم قبض على البطريرك ليسمه فامتنع فلم يدعه الوالي فالتمس منه أن يسمح له بمهلة ثلاثة أيام فدخل البطريرك الى مخدعه وسأل الرب ان لا يتركه يوسم بل ينقله من هذا العالم بسرعة فنظر الله لضيقته وافتقده بمرض فى اليوم الثالث وكان يتزايد عليه كل يوم وقبل وفاته أرسل قوماً من قبله للوالي يستعطفونه لكي يسمح له بالانطلاق الى كرسيه لاشتداد المرض عليه فابى الوالي ظاناً انه يكذب ولما اشتد عليه المرض استدعى تلاميذه وطلب منهم أن ينزلوه فى مركب الى الاسكندرية فبعث الوالي قوماً وراءه ليمسكوه ويحضروه امامه فوجدوه قد توفى فقبضوا على تلاميذه وعذبوهم عذاباً شديداً وكانت مدة اقامة هذا

البابا على الـكرسى ٢٤ سنة ونصفاً وكانت وفاته في٢ امشير سنة ٤٣١ ش و٧٢٦م

(٢) قزمانه ١ ـ البطريرك الرابع والاربعون . كان راهباً قديساً من

برية ابي مقار وكان من اهل بناموسير فأجلسوه على الـكرسي البطريركي بغير اختياره فى شهر برمهات سنة ٤٣١ ش و٧٢٦ م في عهدخلافة هشام بن عبدالملك وكان ميالا الى الانفراد والعبادة ولما رأى رتبة البطريركية ثقلا عظيما عليه وواجباً خطيراً غير قادر على القيام باعبائه اخذ يتوسل الى السيدالمسيح بحرارة ليلا ونهاراً ان ينقله من هذا العالم فلما كان تمام خمسة عشر شهراً تنيح بمجد وكرامة في آخر يوم من بؤونه سنة ٤٣٢ ش و ٧٢٧ م

وكان بظاهر مريوط دير يعرف بطمنوه تحت رئاسة رجل اسمه يحنس اعطى نعمة جزيلة وكان الرب يشرفه بصنع العجائب على يديه وكان له تلميذ يخدمه اسمه ثيوذوروس فاق من في الدير بافعاله الصالحة وفي حياة البابا الا كسندروس قال له معلمه يحنس . اعلم يا بني انه في السنة التي يتنيح فيها الا كسندروس أتنيح انا معه وانت تجلس على كرسى الرسول الجليل مار مرقس وليس بعد البابا الا كسندروس ولـكن بعد الذى يأتي بعده

(٣) ثيوذوروس ـ البطريرك الخامس والاربعون. فتم قول هذا الشيخ

الجليلى اذان الاراخنة والا كليروس حالما سمعوا نبأ وفاة البابا قزمان اهتموا بانتخاب من يصلح للبطريركية فذكر لهم بمشيئة الرب الاب ثيوذوروس من دير ابي يحنس فمضوا الى الدير وأخذوه وأحضروه الى الاسكندرية وكرسوه فى شهر ابيب سنة ٤٣٢ ش و٧٢٧ م فى عهد خلافة هشام بن عبد الملك ونالت الـكنيسة في أيامه اكمل قسط من الراحة بفضل عدالة الخليفة هشام . الا ان البطريرك صادف متاعب جمة لدى مشاهدته الفظائع التي أتاها الولاة واستمر صابراً على مارأى حتى افتقده الرب واخذه اليه بشيخوخة حسنة وبنعمة السـيد المسيح كانت البيعة تنمو بلا مقاوم لها ولا شقاق فيها في جميع ايامه واقام على الـكرسى الرسولي ١١ سنة ونصفاً وتنيح في سابع يوم من امشير سنة ٤٤٤ ش و٧٣٨ م

وبعد وفاة هذا البابا استمرت الاضطهادات قائمة على قدم وساق فلم يتمكن المصريون من اقامة خلف له وزادت الصعوبة حينما بدا الانشقاق بين كنائس الاسكندرية وباقي الكهنة في القطر المصري . فانتهز الخلكيدونيون هذه الفرصة وعقدوا مجمعاً بمصر واحضروا ثلاثة اشخاص ليختاروا منهم واحداً ليجعلوه بطريركاً .

ولما بلغت فظائع القاسم الوالي الى الخليفة أمر بطرده من مصر فذهب بعض الاساقفة وقابلوه وهو منطلق وطلبوا منهم السماح لهم باقامة بطريرك فطلب منهم رشوة فأبوا ان يعطوه وتنبأوا عنه بانه لا يرجع الى مصر مرة أخرى . فرجع الاساقفة فوجدوا الخلكيدونيين قد سبقوا وأخذوا واحداً منهم كان خياطا يدعى قزمان وجمعوا مالا طائلا وقدموه للقاسم قبل سفره ليأمر باقامته بطريركا ووسموه مفتخرين على الارثوذكسيين

وتولى مصر بعد القاسم جعفر بن الوليد فاجتمع مجمع الاساقفة في ٢٨ مسرى سنة ٤٤٤ ش وكان معهم كهنة الاسكندرية والاراخنة . وكان بين هؤلاء الاساقفة الذين اجتمعوا لتقدمة البطريرك الانبا موسى اسقف اوسيم فمضوا الى الوالي وسألوه ان يأذن لهم باقامة بطريرك فقال لهم اذا استقر رأيكم على واحد أروني اياه فانطلقوا الى بيعة أبي شنوده في مصر وشرعوا يصلون ويطلبون من الله ان يوفق لهم من يصلح للبطريركية فذكر لهم ابرام اسقف الفيوم الانبا بطرس اسقف مريوط وكان هذا قد أقام جميع ايامه في برية أبي مقار ولكنه كان ضعيفاً لكبر سنه فلم يقر الرأي عليه فاجتمعوا في اليوم الثاني فقدم احد الشعب اسم احد الاساقفة فقال اسقف مصر اذا رضي به الجميع فهو أصلح من سواه فقال المقدم انتخاب البطريرك من حق الشعب والرسامة من حق الاساقفة فقال اسقف الفيوم لكم الحق في ان تنتخبوا أى انسان ولكن اذا لم يكن صالحاً في نظرنا فلا نرسمه واستمروا في مباحثة ومناقشة مدة عشرة ايام فكان كهنة الاسكندرية وبعض الاساقفة متفقين على رسامة واحد ويقولون لا نرسم سواه وكان اساقفة الصعيد غير موافقين على رسامته فلما كان يوم ١٤ توت وقع بينهم انشقاق عظيم لحقهم بسببه حزن وبكاء فاستحضروا بينهم الانبا موسى اسقف اوسيم

والانبا بطرس اسقف ترنوط وكان الاول مريضا والثاني معه مقيمين بجبل اوسيم بدير نهيا الذى في بر الجيزة غربي مصر فاستدعيا الى المجمع فجاؤا بالانبا موسى محمولا على قطعة خشب نظراً لضعفه وعدم اقتداره على ركوب الحيوانات وأتى الانبا بطرس راكباً دابة . وحضرا الى المجمع ورأيا المناقشات الحادة التي كانت تجري فيه وكل حزب يتشبث بتزكية من وقع اختياره عليه وكان الانبا موسى ملقياً وسط المجمع من شدة الوجع فغضب من هـذا الانشقاق وأمسك بيده جريدة وطرد كهنة الاسكندرية واتباعهم الذين كانوا اكثر تعصباً وانقضى النهار ولم تتفق الآراء على أحد .

فلما كان نصف الليل استيقظ شماس مع الانبا موسى وقال له أعرف انساناً يستحق الانتخاب دون غيره فسأله عنه فأجابه هو القس خائيل ببيعة ابي مقار وهو انسان فيه روح الله ومشهور بالتقوى والعلم فصرخ الانبا بطرس وقال هذا الشماس تكلم بروح المسيح وفي الغد عند ما ذكر اسم هذا القس اجمعت الآراء على انتخابه وقاموا بسرعة وتوجهوا للوالي واخبروه بما جرى وسألوه ان يكتب لشيوخ وكهنة وادي هبيب ليسلموا لهم الآب خائيل المذكور فكتب لهم وبينما كانوا ذاهبين اليه قابلوه في الطريق مع زمرة من الرهبان قاموا من الدير وقصدوا المضي الى الوالي ليلتمسوا منه رفع الحيف عن الكهنة لا سيما الغرامة الباهظة الذى كانت تدفع عند انتخاب البطاركة فشكروا السيد المسيح على هذا التدبير الحسن ورجعوا به الى قصر الوالي فوافق عليه فمضوا واقاموه بطريركا باحتفال عظيم في ١٧ توت سنة ٤٤٥ ش وسنة ٧٣٩ م وحدث بعد رسامته مطر استمر ثلاثة ايام فتفاءل الشعب خيراً وذلك لانقطاع المطر عنهم مدة سنتين ،

(٤) خائيل ١ — البطريرك السادس والاربعون . جلس على كرسي البطريركية

في ١٧ توت سنة ٤٤٥ ش وسنة ٧٤٣ م في عهد خلافة هشام بن عبد الملك وسمى نفسه خائيل أي الاخير ولم يرض ان يدعى ميخائيل تواضعا منه حتى لا يكون اسمه كاسم رئيس الملائكة ونال حظوة لدى الوالي حوثرة الذى كان يحضره ويتحادث معه في أمور شتى ولما آلت الخلافة الى مروان تقدم اليه قوم من

الخلكيدونيين برئاسة بطريركهم قزمان برشوة قائلين كان لنا كنائس كثيرة بمصر اخذها منا الاقباط وليس لنا الآن بيعة واحدة ونرجو ان تكتب للوالي ان يسلمنا بيعة ابي مينا بمريوط فأعطاهم الخليفة اوامر الى الوالي عبد الملك ليكشف الحال بين الارثوذكسيين والخلكيدونيين ليعرف من بنى هذه البيعة ليسلمها اليه. فاستدعى الوالي بطريركي الاقباط والروم وكان الصوم قد قرب ورافق البابا خائيل موسى اسقف اوسيم وتادرس اسقف مصر وطالت المناقشة بين الطرفين مدة اربعين يوماً حتى مل الوالي وطلب من وكيل له اسمه عيسى ان يستكتب كلا الطرفين حقيقة مستندة فتقدم اليه الخلكيدونيون بالهدايا وجمع البابا خائيل اساقفته وكتب كتاباً مملوآً بالادلة الكافية لاقناع الوالي بان كنيسة مار مينا ملك الارثوذكسيين غير ان الرشوة أعمت عيني الذي كلف بالبحث فى القضية ومال الى جانب الخلكيدونيين مع ظهور الحق في جانب الارثوذكسيين غير ان الله لم يدعه يقرر شيئاً فعزل قبل ابداء الحكم وولى آخر عادل فلما سمع اقوال الطرفين حكم باثبات ملكية الكنيسة للارثوذكسيين ولما رأى الخلكيدونيون حبوط مؤامراتهم الشيطانية حاولوا الاتحاد مع الارثوذكسيين ولكن بعد استجوابهم اتضح لهم سوء نيتهم فأبوا قبولهم

وحدث بعد ذلك انه كان فى دنقله من بلاد النوبة ملك شرير يدعى ابراهيم وقعت بينه وبين اسقفها كرياكوس خصومة بسبب اجتهاد الاسقف في ردع الملك عن خلاله الرديئة فاغتاظ الملك منه وكتب للبطريرك طالباً قطعه والا يحمل رعاياه على السجود للاصنام فبعث البطريرك اليه يسترضيه ولكنه اصر على عناده فحضر كرياكوس الاسقف الى مصر وانعقد مجمع بسببه رأى ان يبقى كرياكوس باحد اديرة الاسكندرية ويرسل اسقف آخر للنوبة خلافه فلم يرض كرياكوس قبول هذا الحكم لانه مظلوم فحكم المجمع بتوقيفه عن الخدم بالكنيسة وكرسوا اسقفاً آخر يدعى يؤانس وارسلوه ليأخذ مركزه ومضى كرياكوس الى دير من اديرة النوبة ومضى فيه بقية حياته منفرداً عن العالم

وجرى بعد ذلك ان تولى حفص بن الوليد فاضطهد المسيحيين اضطهاداً مريعاً للغاية واعتنق كثيرون الاسلامية وفر الاساقفة الى الاديرة خوفاً من خطر

السقوط فجمع البطريرك والاساقفة مجمعاً حكم فيه بضرورة استمرار الاساقفة في كراسيهم وحرم من يتجاوز هذا الحكم.

ثم آل الحكم بعد حفص الى عبد الملك بن مروان فاستفرغ جهده في مضايقة الاقباط وقبض على البابا خائيل وطلب منه مبلغاً جسيما لا يقوى على القيام بدفعه فأمر ان يقتل البطريرك وتوضع رجلاه في خشبة عظيمة وتطوق رقبته بطوق حديد ثقيل وكان معه انبا موسى اسقف اوسيم وتادرس اسقف مصر وغيرهما فوضعوهم في خزانة مظلمة نقرت في صخر لا تصل اليها أشعة الشمس واستمروا في هذا الضيق من ١١ توت الى ١٢ بابه وكان معهم ايضاً ٣٠٠ من الرجال والنساء وكان المرضى والمعتلون يأتون الى البطريرك في السجن لكي يصلي عليهم ويشفيهم وكان بعضهم محكوماً عليه بالسجن لذنب جناه فانتهز البابا خائيل تلك الفرصة وجعل ينصحهم ليتركوا آثامهم ويتوبوا الى الله فرجع منهم كثيرون

وكان على مائدة الخليفة رجل مؤمن فكان مراراً يفتقد البطريرك ويعزيه ويطيب خاطره . فلما تمت سبعة عشر يوماً من الشهر المذكور أمر الوالي باحضار البطريرك ومن معه وطالبه بدفع المبلغ فالتمس منه البطريرك ان يترك له فرصة يمضي فيها الى الصعيد وما يتمكن من الحصول عليه من المسيحيين يدفعه له . فسار الى الصعيد وناله تعب جسيم وكان المصريون قد أصابهم العسر المالي بسبب كثرة المغارم الفادحة . لكن البابا خائيل كان يمر بينهم كملاك سلام يشفي المرضى بقوة الرب ويرد الذين هجروا الايمان الارثوذكسي وأتى الوالي بما جمعه فلم يرتض به وألقاه في السجن فشعر بذلك كرياكوس ملك النوبة فغضب وقدم بجيوشه الى مصر وقتل من كان في طريقه من المسلمين حتى جاء الفسطاط فعسكر فيه وهدد عبد الملك الوالي فاطلق البطريرك ورجاه ان يتوسط بينه وبين ملك النوبة فأجرى بينهما صلحاً . ومن ثم صار البطريرك موضوع احترام الوالي لا سيما لانه شفى له ابنته التي كانت مصابة بروح نجس

وبعد اطلاق سراح البطريرك رفع الاسرار المقدسة في بيعة الشهيدين سرجيوس وواخس وتناول من يده جمهور غفير من الشعب وقد منع أحدهم لانه أكل قبل مجيئه الى الكنيسة وعلم ان قوماً من المسيحيين كانوا يأكلون قبل

التناول ولا يعتبرون ذلك خطيئة فأصدر منشوراً قضى فيه بمنع جميع الذين يتقدمون للتناول وهم غير صائمين . ثم ابتدأ بتعمير الكنائس التي كانت في زمان البابا الاكسندروس قد سلب منها رخامها وخشبها فأعادها الى رونقها الاصلي

غير ان الزمان على ما يظهر لم يدع الكنيسة المصرية تذوق طعم الراحة وقتاً الا ليذيقها الشقاء أوقاتاً فقد حضر مروان الى مصر ونكث هو وعبد الملك عهدهما للاقباط وأخذا في اضطهادهم بقساوة بربرية حتى هاج هياج الاقباط وقاموا يدافعون عن انفسهم ببسالة وتمكنوا من ان يهزموا جيش مروان ولكنه فيما بعد استجمع قواه وقاتلهم بشدة وكانت الكنيستان القبطية والرومية بجانب بعضهما في الدفاع ضد مروان فهزم الاقباط أخيراً وقبض على البطريركين القبطي والرومى . وقد افتدى قزمان بطريرك الاروام نفسه بدفع ألف قطعة ذهب أما البابا خائيل فارسل اليه الوالي يقول ادفع مقدار ما دفع قزمان وانا اطلقك فاجابه ليس في يديّ شيء وانا اجعل نفسي عوضاً عن المال . فثقل رجليه بقطعة حديد وألقاه في السجن وابتدأ يعذبه مدة تسعة أيام ثم أحضره لديه وأمسك بيده وجذبه على وجهه وطرحه على ركبتيه وكان في يده قضيب فضربه به مائتي دفعة على رأسه بكل قوته ولكن عناية المسيح لم تسمح بان يناله ضرر وبعد ذلك أمر الوالي بضرب عنقه وانزل قلنسوته على وجهه حتى تؤخذ رأسه فقدم رقبته بسرعة وشرع السياف في الضرب وكان يصيح انه سيأخذ رأسه ثلاث دفعات كما جرت العادة وفي ثاني دفعة عدل الوالي عن قتله لما سمع انه كان ينصح البشامرة الثائرين من الاقباط بالعدول عن مقاتلته وارتأى أن يرسله الى رشيد وكلفه بان يكتب للثائرين يأمرهم بالكف عن العصيان مخبراً اياهم بان كل ما ناله من الاذى حدث بسبب عصيانهم

فلما بلغ الخبر البشامرة الثائرين تهيجوا اكثر وقاوموا مقاومة عنيفة حتى اكرهوهم على الهرب بعد ان أصيبوا بخسائر فادحة . فعزز مروان قوة جيشه وسمح لهم ان يذيقوا الاقباط العذاب اشكالا وألواناً فاوقعوا بهم من الويلات ما تصطك لسماع اخبارها الركب وتشيب لها نواصي الولدان . ومما زاد الخطب هولا ان في سنة ٧٥١ م دخل أبو العباس مصر بجيش زاخر وهو يقصد أخذها

من يد مراوان . وكان الاقباط في ضيق شديد فانحازوا اليه وطلبوا مساعدته وعند ما وصل السفاح الى مصرعسكر بجيشه على شاطىء النيل تجاه مروان الذي كان لا يزال قابضاً على البابا خائيل وموسى اسقف اوسيم وبعض الاساقفة .

ولما علم مروان ان بعض الاقباط عقدوا صلحاً مع ابي العباس اشتد به الغضب واستدعى اليه البطريرك واوقفه امام الاقباط الذين كانوا مع خصمه في الجهة المقابلة وأمر جنوده باهانته فمدوا اليه ايديهم بسرعة وشرعوا ينتفون شعر لحيته من عارضيه ورموا شعره في البحر . وكان المصريون وجيش ابي العباس يشاهدون ذلك بغيظ شديد وكانوا يتمنون لو يجدون مراكب يعبرون بها النهر ليقتصوا من مروان على هذا الظلم الفظيع . ثم عادوا الى الانبا موسى واذاقوه العذاب مما لا يطيق احتماله الاقوياء فضلا عن شيخ ضعيف مثله

ثم رحل مروان وأمر ان يقف البطريرك ومن معه في الشمس على الشاطىء واستمر بقية اليوم وليلته وفي الغد جاء مروان ومعه الجلاد وجلس على شاطىء البحر وأمر باحضار البطريرك اليه فأبى الاساقفة الذين معه الا مرافقته فجاؤا جميعهم الى مروان وأوقف البطريرك بين يديه عشر ساعات ووجهه اليه وحوله عدة سيوف مسلولة وآلات الحرب . واما الذين رافقوا البطريرك من الاكليروس والشعب وعدتهم عشرة فاوقفهم على يساره في ناحية وسلمهم الى قوم قساة وجعل مع كل واحد ثلاثة من الجنود وجعلوا يضربونهم باعصاب البقر ولما اشتدت حرارة الشمس أعد مروان آلات العذاب المختلفة لانهم لم يتفقوا على طريقة يقتلونهم بها . وكان البابا خائيل في تلك الاثناء يبسط يديه ويصلب على وجهه ويبارك من معه . وكان الاقباط وجيش ابي العباس يشاهدونهم من البر الشرقي وجماعة من المسلمين يبكون عليهم . ثم أمر مروان يزيد أقسى جنوده ان يأخذ البطريرك الى بحري المتنزهات فاقتيد ومن معه بفظاظة متناهية والبطريرك يصلي للرب ان يثبت ايمانهم . وقد بلغت القساوة على اولئك البائسين مبلغاً استدعى اشفاق عبدالله بن مران الكبير فبكى عليهم وتقدم وهو يسكب الدموع الغزيرة الى ابيه طالباً منه ان يطلق سراحهم ثم قال له . انت تعرف اننا

لا نقدر على مقاومة جيش الخراسانيين فنضطر الى الذهاب للسودان واهله كما نعلم من اولاد هذا الشيخ البطريرك فان قتلته لا يقبلونا

فتطلع مروان الى جيوش الخراسانيين فرآهم في كثرة ازعجته وايقن انه لا يقوى على محاربتهم فاعاد البطريرك ومن معه الى الاعتقال وكان ذلك المكان بالجيزة وكان فيه أربعة سجون فأدخلوهم فيها موثقين وربطوا في قدم كل واحد منهم قطعة حديد ثقيلة وجعلوهم خلف ثلاثة ابواب من الخشب دون أن يشاهدوا ضوءاً أو ينفذ اليهم هواء وكان واحد منهم ينظر الى الشرق وآخر للغرب. واستمروا في ضيق شديد حتى أشرفوا على الموت غير انهم تعزوا باقوال البطريرك الممزوجة بالمواعيد الالهية التي كانت تخفف عنهم آلامهم وتنبأ لهم الانبا موسى انهم يخرجون من السجن ومروان في قيد الحياة . ولم يجسر احد بالسؤال عنهم والا عرض نفسه للموت . واستمروا عشرة ايام والكنيسة تصلي من أجلهم

وقد تمت نبوة الانبا موسى عند ماقام الخراسانيون وعدوا البحر الى الجهة الغربية وضيقوا الخناق على مروان وجيشه فانهزم امامهم وترك جيشه وهرب وجاء ابنه الصغير ليحرق السجن الذى كان فيه البطريرك بالنار وما كادت النار تشتعل حتى اكرهه اعداؤه على الهروب وجاء بعض ذوى الشفقة واطفأوا النار واطلقوا المسجونين وحلوا قيودهم وجاءوا بهم الى كنيسة مار مرقس بالجيزة وكانت ليلة الاحد الاول من مسرى [١]

ولما استولى ابو العباس على مصر أحسن الى المسيحيين ورثى لحالهم وسامح البشامرة الثائرين بالخراج ودفع لهم خراجاً وطلب منه البطريرك ان يعطيه مؤونة للبيع في كل البلاد فأجابه الى ما التمس . غير ان هذه الراحة لم تدم سوى اربع سنين كانت كاحلام النائم وتغيرت بعد سفر السفاح من مصر وتركه الولاية لسواه فأساء الولاة التصرف واعادوا الكرة على النصارى فهم البطريرك يدافع

---

(١) اما أسماء الذين كانوا معتقلين مع البطريرك فهي : — البطريرك وموسى اسقف اوسيم ويحنس كاتب سيرة البطريرك واسقف طنبدا وميناكاتبه وزكريا اسقف اتريب وبطرس اسقف بوصير وجرجس تلميذه واثناسيوس ارشي بيعة ابي مقار ويعقوب اسقف سنجار وتلميذه بطرس من سمنود

عنهم محتجاً بما اظهره ابو العباس من الامان لهم ولكنه لم يفلح فى دفاعه عنهم واستمر المسيحيون في ضنك حتى شوهدت مياه النيل ناقصة عن منسوبها المعتاد ذراعين وذلك لاظهار قوة الله . وكان الاساقفة حينئذ قد أخذوا يتوافدون على البطريرك فى عيد الصليب كما جرت العادة ان يعقدوا مجمعين فى السنة

ولما كان اليوم السابع عشر من شهر توت وهو يوم عيد الصليب فكر الاساقفة ان يقيموا صلوات خصوصية فيها يرفعون تضرعاتهم لله حتى يرحمهم ويزيد في مياه النيل وتقدموا يصحبهم جميع كهنة الجيزة وا كثر اهل الفسطاط وحملوا الاناجيل والمباخر ودخلوا البيعة الكبيرة التي كانت للقديس مرقس وكان أساسها في البحر ولم تكن البيعة تسع الناس لكثرتهم حتى ان باقيهم اقام بالحقول والحدائق

فتقدم البطريرك ورفع الصليب وكان معه انبا مينا اسقف منف يحمل الانجيل المقدس وباقي الكهنة يتبعونهما وهم يحملون الصلبان والاناجيل المقدسة ووقفوا على شاطىء البحر قبل طلوع الشمس وصلى البطريرك وانبا مينا والشعب يردعليهم « كيرياليصون » (يارب ارحم) الى تمام ثلاث ساعات من النهار حتى بهت جميع الموجودين من يهود ومسلمين وغيرهم من صراخهم الذي سمعه الله تعالى اسمه وزاد النيل ذراعاً فبلغ الخبر مسامع الوالي وجميع الناس فغار علماء المسلمين والتمسوا منه ان يرافقهم فى الغد لاقامة الصلاة حتى يرفعوا مياه النيل كالنصارى. فالتزم من ثم الوالي ان يدعو ارباب الاديان ليصلوا الى الله بشأن ذلك فدعا علماء الاسلام فصلوا وجاء بعدهم حاخامات اليهود فصلوا والمياه لم ترتفع بل اخبرهم احد قياسي النيل ان مازاده امس نقصه اليوم

فاغتاظ الوالي والمصلون وامر بالكف عن اقامة الصلاة بالمرة خوفاً من ان يزيد النيل مرة ثانية بصلاة الاقباط فيعتريهم الخجل الا انه لما رأى الخطر يتهدد البلاد من قلة المياه اضطر ان يدعو النصارى للصلاة فحضر البطريرك وحاشيته واحتفل برفع الاسرار الربية واستمروا الى الساعة السادسة من النهار ولما القوا مياه غسل الاوانى المقدسة في البحر حلت على مائه البركة الالهية واخذ يرتفع حتى زاد ثلاثة اذرع

فأحب ابو عون الوالي النصارى وواساهم وعمل الخير في كنائسهم. واستمر البابا خائيل بعد ذلك يجاهد في خدمة الله فكان يطوف على رعيته مفتقداً اياها شافياً المرضى راداً الضال. ثم كاتب البقية الباقية من حزبي ميليتس ويوليانوس المرطوقيين ليردهم عن ضلالهم فلم يردوا عليه فسار اليهم بنفسه واخذ يقنعهم فلم يسمعوا قوله فتركهم ساخطاً عليهم فحل عليهم غضب الله واصابهم وباء شديد فافنى جلهم

اما كنيسة انطاكية في عهد البابا خائيل فكان قد توفى بطريركها اثناسيوس واقيم بعده يوحنا الذي اقام ثلاث سنين ثم لحق بسلفه واستمر كرسيه بعده شاغراً. وحدث بسبب البطريركية نزاع شديد بين بعض اساقفة سوريا وبين البابا خائيل وذلك ان امرأة المنصور ابي جعفر كانت عاقراً فسمعت عن تقوى اسحق اسقف حاران وعمله العجائب فاستدعته فحضر لديها وصلى لاجلها فتم لها ما ارادت ورزقت ولداً فصار الاسقف اسحق عندها موضوع الاكرام والتبجيل. وحدث بعد وفاة يوحنا بطريرك انطاكية ان اسحق سأل الوالي ان يخلفه فأجيب سؤله حالا وتهدد بالموت كل من يتعرض له. وقيل انه تسبب في قتل مطرانين قالا له انك بصفتك اسقف حاران لا يلزمك ان تتقوى بالسلطان وتغتصب الكرسي

وبعد ذلك كلف الخليفة بان يكتب الى والي مصر يأمره بان يتمم كافة رغائب اسحق لدى بطريرك مصر. ثم كتب كتاباً الى البابا خائيل وارسله صحبة مطراني دمشق وحمص وكاتبين له أحدهما قس والآخر شماس. فلما اطلع البابا خائيل على الكتاب لم يقدم رأياً قبل مشورة الاساقفة فاستدعاهم اليه ولبث مجتمعاً بهم مدة شهر وقرر أخيراً انه لا يشترك مع بطريرك أخذ رتبته بقوة السلطان. وكان الامر للوالي من قبل الخليفة انه اذا رفض بطريرك مصر اجابة طلب اسحق يرسل اليه. فخير البطريرك بين المصادقة على بطريركية اسحق وبين السفر للسلطان فقبل السفر لولا شفقة الوالي عليه لشيخوخته ومشقة الطريق وحاول ان يقنعه بالمصادقة فأبى واخذ يتأهب للسفر ولم يؤخره عنه الا بلوغه خبر وفاة اسحق سبب النزاع وقيام آخر مقامه يدعى اثناسيوس وهذا ايضاً توفى في اليوم الثالث لرسامته

وقام بعده رجل كان خلكيدونياً واعتنق الامانة الارثوذكسية يدعى جرجس فلم يمر عليه الا القليل حتى قبض عليه وأودع السجن بسعاية اسقف من اساقفته يدعى داود يرغب ان يأخذ مكانه وكانت أمه خادمة لابي جعفر المنصور . ومن ذلك الحين انقطعت العلاقات بين الكنيستين الانطاكية والاسكندرية مدة ما . وكانت البيعة فى ايام البابا خائيل الاخيرة فى سلام . ثم تنيح ومضى الى الرب فى ١٦ برمهات سنة ٤٦٨ ش و٧٦٧ م بعد ان أقام على الكرسي ثلاثة وعشرين عاماً .

(٥) مينا ١ — البطريرك السابع والاربعون . وبعد نياحة البابا خائيل اجتمع الشعب والاساقفة لانتخاب خلف له فذكر القس مينا الراهب من سمنود ببيعة ابي مقار وكان قيماً من شبو بيته وتلميذاً للبابا خائيل . وما جلس على الكرسي فى شهر برمودة سنة ٤٦٨ ش و٩٦٧ م فى عهد خلافة المنصور بن محمد حتى أخذ يصلح ما أفسدته يد الاضطهاد وذاقت الكنيسة طعم السلام بعد ان حرمت منه مدة طويلة . غير ان الشيطان عدو السلام اثار الشر على البابا مينا بواسطة راهب يدعى بطرس من قرية تسمى دسيمه طمع فى نوال الاسقفية ولم ينلها لعدم استحقاقه فأخذ يشيع المذمات على البطريرك حتى استدعاه اليه وجعل ينصحه لكي يعدل عن شره فلم يرعو بل سافر الى سورية وزور مكاتيب باسم البابا مينا الى بطريرك انطاكية ومطارنته يقول فيها ان كنيسة مصر وقعت فى شدة وأصيبت باضطهاد عظيم فاعتنى به البطريرك وجمع له مالا وزوده بتوصيات الى العظماء لينال منهم خيراً واستمر مستعملا غشه حتى وصل الى مدينة دمشق التي يقيم بها الخليفة فبدأ يذيع الاخبار بان بيت مال الخليفة خال من المال وبطريرك نصارى مصر له دراية بعمل كيميا الذهب ولاجل هذا ملأ كنائسه من الاواني المصنوعة من الذهب والفضة وعزز كلامه هذا بدفع رشوة لموظفي بلاط الخليفة حتى يقدموه له

وكان ابن الخليفة قد مات فلما وقع نظره على بطرس رآه يشبه في صورته صورة ولده الميت فدخل به الى زوجته النائحة لكي تتعزى فسرت بمرآه وأقام

عندهم عدة شهور ونال حظوة في عيني الخليفة حتى صرح له باستعداده لقضاء جميع ما آربه فطلب منه ان يقيمه بطريركا عوض مينا بطريرك مصر فكتب الخليفة الى الوالي عبد الرحمن وكلفه بان يجهز لبطرس ثياباً فاخرة ويرقم عليها بالخط العربي « بطرس بطريرك مصر » وكتب اسم الملك فكتب بطرس من جهله بعد اسمه لفظة « عبد الملك »

ولما وصل الخبر للوالي أرسل يستدعى البطريرك القديس فتوسل الى الرب ان يخلصه من هذه التجربة وسار للوالي الى مصر منشرحاً لاستحقاقه ان يتألم من أجل المسيح . فاعلمه الوالي بجلية الخبر فشخص الى بطرس وشجبه بشجاعة فأراد الوالي ان يقنعه بالحسنى باطاعة امر الخليفة فاجابه « لا ينبغي ان اطيع الخليفة وأقاوم الله » فسأل الوالي بطرس عما يريد ان يفعله فاجابه انه يزوم ان يستحضر لديه كل الاساقفة ويلزمهم بطاعته ويشخص الى الاسكندرية ليستلم كنائسها فاعتقل البطريرك وتادرس اسقف مصر حتى يدعو البطريرك بقية الاساقفة فكتب اليهم يستدعيهم الى الفسطاط فاسرعوا في الحضور وقام بطرس يوم الاحد بينما كانوا يقيمون الصلاة في الكنيسة وتقدم بجسارة وصعد الى الهيكل ليقول صلاة الشكر كالبطريرك والقلنسوة المكتوب عليها اسم الملك على رأسه فلما شاهد الآباء الاساقفة هذا التصرف الشنيع أسرع انبا مينا اسقف صنبو وأنبا موسى اسقف أوسيم وأمسكا بالقلنسوة ورميا به من على الهيكل وقال له بقية الاساقفة « لا تقف أمام الهيكل لئلا تنجسه » فأمر بان توضع في رقابهم وأرجلهم السلاسل الحديدية وطرحوا في السجن فاستمروا فيه أياماً قلائل وطلب بطرس من الوالي ان يأتي بهم من السجن ويوقفهم بين يديه ففعل فأمر بطرس ان يستحضر الاواني المصنوعة من الذهب والفضة لتحمل الى بيت الملك فاجاب البطريرك بان الكنيسة لتوالي الاضطهادات عليها عدمت كل اثاثها » وقال له بطرس « انا أعرف ان لديك كتاباً تستطيع ان تصنع به ذهباً وفضة » فاجابه البطريرك «اني لا أعرف شيئاً من ذلك » فحلف بطرس برأس الخليفة ان يلزم البطريرك ومن معه ان يشتغلوا في طلي المراكب بالزفت فلزم البطريرك والاساقفة هذا العمل مدة سنة ووجوههم تكاد تصهرها الشمس حتى كان يبكى عليهم كل من شاهدهم

ثم أعيدوا الى السجن وما زال بطرس يطالبهم بتسليم أواني الكنائس

وكان الوالي غير راض على تصرف بطرس القبيح ولكنه لم يشأ مقاومته خوفاً من الخليفة . غير انه لما رآه تجاوز الحد في شره عنفه على ما يأتيه ضد كبير النصارى . فهدده بطرس قائلا « أتريد ان أطيع البطريرك وأخالف الملك » فخشي الوالي ان ينم فيه لدى الخليفة فقبض عليه وكبل يديه ورجليه بالحديد وطرحه في السجن وألقاه في مطبق ضيق وأفرج عن البطريرك ومن معه فضوا الى الاسكندرية ودخلوا البيعة بفرح عظيم وواصلوا جهادهم في خدمة الكنيسة

ولما تمت ثلاث سنين وبطرس في السجن تغير الوالي الذي كان عقته وعين عوضه فاطلق جميع المسجونين ومنهم بطرس فانطلق الى الخليفة وأعلن اسلامه وروى من الاخبار الكاذبة ضد البطريرك والوالي المعزول ما شأت له نياته السيئة وطلب من الخليفة ان يعطيه قوة كبيرة لكي ينتقم من البطريرك أشر انتقام لكن الرب لم يسمح فقبل وصوله الى مصر مات الخليفة فخزي بطرس ومضى الى بلده فعرفه كل من التقاه وأبى جميع معارفه الاختلاط به حتى اضطر ان يستغفر الاساقفة ليرضى عنه الناس ولكنهم رذلوه وظل مرذولا حتى مات أشر الميتات .

وبعد ذلك تنيح البابا مينا بسلام بعد ان مضى مدة ثمان سنين على الكرسي المرقسي وكانت وفاته في آخر يوم من طوبة سنة ٤٧٨ ش و ٧٧٦ م

وبعد وفاة البابا مينا بقيت البيعة بدون بطريرك حتى اجتمع الاساقفة وفكروا في اقامة خلف له وذكروا عدة اسماء وأقاموا عدة أيام حتى ينتخب الرب من دعاه لهذه الخدمة . وكان آباؤنا اذا اجتمعوا للاتفاق على اقامة بطريرك يكتبون أسماء كثيرة في رقاع صغيرة ويضعونها على الهيكل ويصلي الاساقفة والكهنة والشعب الارثوذكسي الى الرب بنية خالصة ويصيحون (كير ياليصون) ثم يجعلون غلاماً صغيراً يمد يده ليأخذ رقعة من جملة الرقاع فالذي يخرج اسمه يقدمونه بطريركا

فلما فعلوا ذلك كان ببيعة القديس أبي مينا قس اسمه يوحنا تلميذ للبابا خائيل وهو مولود في نبا وأبي صير وترهب في وادي هبيب ولم يكن اسمه بين

للمكتوبين فذكره لهم شيخ شماس معدداً فضائله فكتبوا اسمه وصلوا وفعلوا كما تقدم ذكره ثلاث دفعات فخرج إسمه في الثلاث المرات والجميع يتعجبون ويقولون « حقاً مستحق » فقدموه وجلس على الكرسي

(٦) يوحنا ٤ ـ البطريرك الثامن والاربعون . وبعد جلوس البابا يوحنا على الكرسي المرقسي في شهر أمشير سنة ٤٧٨ ش و٧٧٦ م في عهد خلافة محمد المهدي كتب سنوديقاً ممتلئة حكمة الى الآب المغبوط جرجس بطريرك انطاكية يجدد له فيها اتحاده معه في الامانة . وكان الآب جرجس قد القي في السجن كما ذكر وجلس عوضه ابن خادمة الخليفة الذي لم يخاطب الكرسي الاسكندري بتة حتى مات وعاد الآب جرجس بعد عشر سنين وجلس على كرسيه ثانية فلما وقف على رسالة البابا يوحنا سر منها للغاية ورد عليها بمثلها

وكان البابا يوحنا حسن الخلق والخلق ونال حظوة عند الملوك والولاة مداوماً لعمل الخير فاهتم ببناء بيعة ومسكن بطريركي فشيدهما باتم زينة وزين كل بيع الاسكندرية بمساعدة الولاة والشعب . وفي أيامه كان علم السلام يخفق على الكنيسة بأسرها حتى عمل تذكاراً له بهذه المدينة وانتشرت سيرته الصالحة على كل لسان حتى ان المخالفين كما هي عادتهم أخذهم الحسد وكان رئيس الهراطقة حينئذ رجل يسمى يوليانوس وكان طبيباً ماهراً مشهوراً ومحترماً لدى الملوك المسلمين لاجل صناعته فحاول كثيراً ان يستولي على بعض الكنائس القبطية غير انه لم يستطع لهياج الشعب وخاب مسعاه فضلا عن ان تهمه لم تلق من يصغى اليها لثقة الجميع باستقامة البطريرك الاسكندري

فواصل البابا يوحنا جهاده في بناء البيع حتى ان الشعب الارثوذكسي لما شاهد شغفه بتشييد الكنائس كان الكثيرون منهم يسلمون له أموالهم ليبني بها البيع تذكاراً لهم . وكان فى بيعة ابي مينا قيما يدعى مرقس من الاسكندرية اشتهر بتقواه وعلمه واجادة القراءة والترتيل فى الكنيسة حتى كان الكثيرون يبكرون الى البيعة لئلا تفوتهم قراءته فاتخذه البطريرك له تلميذاً وقدمه فى الرتب الكهنوتية ولكنه كان يزداد تواضعاً وطلب منه معلمه أن يلبسه اسكيم الرهبنة

فأخذه الى دير ابي مقار وكرسه فيه وتنبأ عنه أحد الشيوخ قائلا « انه سيكون خليفة مرقس الرسول »

ولما رجع البطريرك من الدير طلب منه رجلان صالحان يدعى احدهما كوريا والآخر برنابا أن يستأنف اهتمامه ويشيد كنيسة باسم الملاك ميخائيل فكلف شماسه مرقس بالاشراف على عمارتها فكان نشيطاً ناجحاً في عمله. فوسوس الشيطان الى يوليانوس الهرطوقي ان يذكر أمام الخليفة ان البابا يوحنا أخذ أملاك الحكومة وبنى فوقها كنائس غير انه بعد الفحص ظهر كذب ذلك المخالف وجعل الرب في قلب الخليفة ان يأمر البطريرك باتمام البيعة فتم بناؤها في مدة خمس سنين وكانت تدعى بيعة التوبة . وكان مساعداً للبطريرك شماس كاتب اسمه يوحنا صار فيما بعد اسقفاً لكرسي سخا بعد وفاة البطريرك

وبعد ذلك نزل غلاء عظيم على مدينة الاسكندرية فحل البلاء بكثيرين من الناس حتى حزن قلب البابا عليهم وصلى طالباً رفع هذا الويل عنهم وكلف تلميذه مرقس أن يمد يده لاغاثة كل محتاج وكانت مخازن البيعة وحسابها تحت يده واستمر يحض الاغنياء على مساعدة الفقراء حتى شفق الرب ورفع الغلاء

وحينئذ تنيح الاب جرجس بطريرك انطاكية وأقيم عوضه انسان قديس يدعى كرياكوس فلما اتصلت به اعمال البابا يوحنا كتب اليه يجدد معه علاقة الاتحاد التي كانت قد انقطعت مدة بسبب الاضطهاد الذى كان واقعاً على الكنيستين فرد عليه البابا يوحنا برسالة كلها اخلاص ومحبة

وحدث أيضاً ان انبا جرجس اسقف مصر تنيح فكتبت رعيته الى البطريرك تلتمس منه اقامة شماسه مرقس عوضه فأجاب طلبهم واستدعى الشماس ليقيمه اسقفاً فأبي بتة فشدد عليه وأرغمه على قبول القسوسية ليصير اسقفاً بعدها ولكنه التمس منه ان يعفيه من هذه الخدمة الشاقة فلم يقبل البطريرك طلبه فلاذ مرقس بالهروب واضطر البطريرك ان يكرس لشعب مصر قساً يدعى ميخائيل اسقفاً لهم

فحقد البطريرك على مرقس بسبب هروبه منه وكتب لشيخ قديس بالبرلس يسمى جرجس يخبره فيه انه وجد على مرقس لعصيانه عليه وعدم قبوله للاسقفية،

فأرسل اليه الشيخ جرجس يقول له ان عدم قبول الاسقفية من الله الذى سيجعله بطريركا بعدك . فتعجب البطريرك وطلب الشماس مرقس اليه ورفع شأنه ووضعه عنده موضع الاحترام والتبجيل

وتوجه البطريرك الى فسطاط مصر ليجمع خراج الكنائس فحرك الشيطان واليا مبغضاً للمسيح على ان يهدم بيع مصر ولكن الرب اماته قبل ان يبدأ بعمله المذموم وعين مكانه انسان محب للنصارى فساعدهم على ترميم البيع التي كان سلفه قد شرع فى هدمها . وكان البطريرك قد قضى اشغاله بمصر وعول على العودة للاسكندرية وكان عيد الميلاد قد قرب فطلب منه شعب مصر ان يبقى عندهم ليرفع لهم الاسرار المقدسة ويناولهم . فلما دخل البيعة رآها بغير سقف فتنهد وطلب من الرب ان يقويه ليكمل بناء كافة البيع غير ان الرب ابقى هذا العمل الجليل لخليفته . فلما اكمل الخدمة شعر بضعف اصابه ولحقه وجع برأسه فطلب من الاساقفة ان يمضوا به الى الاسكندرية ليموت فيها فحملوه فى مركب وكان معه ميخائيل اسقف مصر وجرجس اسقف منفيس فلما وصل الى الاسكندرية ثقل عليه المرض ولحق بآبائه بعد ان اوصى بمرقس ليكون بعده في اليوم السادس عشر من شهر طوبه سنة ٥٠٢ ش و٧٩٩ م . قيل ان يوم موته هو يوم ميلاده ويوم تعيينه بطريركا . واقام على الكرسى اربع وعشرين سنة

....

القسم الثانى

مشاهير الكنيسة

(١) انبا صموئيل اسقف اوسيم (٢) انبا موسى اسقف اوسيم

....

(١) انبا صموئيل اسقف اوسيم . عاش عيشة الزهد فلم يقتن لنفسه شيئاً من مقتنيات العالم فلم يكن له سوى ثوب واحد وكان بهي الطلعة حسن السيرة يعظ الخطاة والمرتدين عن الايمان فيسمعون له ويطيعون قوله . وكان مع البابا الاكسندروس الثاني وقت ان دعاه جابي الخراج وهو ينوي به شراً ففرا كلاهما معاً فتبعهما الجابي فوجد البطريرك قد مات والقى القبض على هذا الآب وأتى به الى عبدالله الوالي الذى اتهمه بانه حرض البطريرك على الهروب وطلب منه ان يدفع عوضه ألف دينار : وكان الانبا صموئيل فقيراً لا يملك قوت يومه فاعتذر للوالي بعدم قدرته على دفع المبلغ فلم يقبل منه وسلمه الى شرطيين لتعذيبه فاخذاه وقدماه الى قوم من البرابرة لهم طباع الوحوش فجذبوه وصاروا يجرونه في شوارع مصر حتى أتوا به الى باب بيعة مارجرجس وجمع كثير يجري خلفه

وبعد هـذا العذاب عادوا يطالبونه بدفع المبلغ ولما رأوه عاجزاً عن تقديمه نزعوا عنه ثوبه وألبسوه مسح شعر وعلقوه بذراعيه وهو عريان وجميع الشعب ينظرونه وهم يضربونه بسياط من جلود البقر حتى جرى دمه على الارض واستمروا معه على هذا الحال اسبوعاً وكبار الموظفين يتوسطون له عند الأمير وافهموه بان لا يد له في هروب البطريرك حتى اطلقوه بعد ان تجرع كؤوس الآلام اشكالا ولا ريب ان ذلك العذاب قضى عليه فلحق بآبائه

(٢) انبا موسى اسقف اوسيم . من اعلام آباء الكنيسة في هـذا الجيل نشأ على حب الطهارة والبتولية من صغره وتعلم علوم البيعة وصار شماساً ثم قصد برية شيهات وترهب عند رجل قديس فمكث في خدمته مدة ثمان عشرة سـنة سالكا طريق الفضيلة والنسك الزائد . ولما اشتهر أمره أختير أسقفاً لاوسيم فرعى رعيته أحسن رعاية ولم يقتن شيئاً في كل زمانه وعرف بالتقوى والشجاعة وكان يقضي جل أوقاته في الاصوام والصلوات حتى لم يكن يتيسر للناس مقابلته الا في يومى السبت والاحد . وكان غيوراً على الايمان المستقيم ففي اول رسامته كان في مدينة اوسيم اديرة كثيرة لاصحاب ميليتس المنشق فوعظهم بكلام كثير وكان جلهم قد لبسوا الاسكيم من يده فلما لم يطيعوه نفاهم جميعاً

وأعطاه الرب موهبة صنع الآيات والعجائب فشفى كثيرين من أمراض مختلفة وتنبأ كثيراً عن حوادث قبل وقوعها فكان كما قال . وقبل انتخاب البابا خائيل الاول كان والى مصر يضايق الاقباط فتنبأ الانبا موسى عن آخرته السيئة وتم قوله وتولى بعده حفص بن الوليد فطلب منه الانبا موسى أن يسمح لهم بانتخاب بطريرك فسمح لهم

ولما جرى الاضطهاد على البيعة هرب كل الاساقفة الى كراسيهم الا ان ابروشية الانبا موسى تعلقت به لكي لا يتركها فريسة للذئاب فكان يطوف الجيزة وأعمال مصر مفتقداً المؤمنين ومثبتاً اياهم . واتاه يوماً بعض أراخنة مصر وطلبوا اليه ان يصلي الى الله ليرفع الكرب عنهم وعن شعبه لانهم كانوا قد أحصوا الذين اعتنقوا الاسلام فوجدوهم اربعة وعشرين الفاً فقال لهم آمنوا يا أولادي « ان الوالي الذى يضطهدكم يهلك في بحر هذا الشهر » فكان كما قال ولما بلغ أمره حوثرة الوالي الذى خلف ذاك قرب اليه القديس وكان يستشيره في الامور المهمة

وحدث بعد ذلك خلاف بين الارثوذكسيين والخلكيدونيين على البيع فخاف الشمامسة ان يدفع الخلكيدونيون رشوة للوالي فيسلم لهم في بيع الارثوذكسيين ولذلك طلبوا من الانبا موسى ان يرشي الوالي مثلهم فاجابهم « يا أولادى لا يليق بالبطاركة والاساقفة ان يدفعوا رشوة لاحد كما لا يليق بهم ان يأخذوها من احد فان الله لا يتخلى عنا حسب وعده » وقد حقق الرب قوله فحكم بالكنيسة للارثوذكسيين

وفي أثناء ثورة البشامرة ضد الحكومة سأل تلميذ له عن النتيجة فأجابه لا يترك الله بيعته الى التمام بل يخلصها وهذه المملكة تبيد وتحل أخرى محلها . وبعد مدة وجيزة ضيق ابن مروان الوالي على البابا خائيل فاتى هذا صباح يوم احد الى إوسيم والجنود تقوده فعندما ابصرهم الانبا موسى قال هذا هو اليوم الذى اتوقعه ومن اراد ان يبذل نفسه فليتبعني لأني اشتهي من زمان ان اسفك دمي الدنس عوضاً عن الدم الزكي المسفوك عنا . ولكن عظيم هو حزني لان جيل القديسين قد اضمحل وافتقرنا جداً اذ لا نجد انساناً يشاركنا في هذه التضحية .

ولبس القديس ثوباً وترك جميع ما في بيعته وتبع البطريرك ولما مثلوا أمام

الوالي طرح الانبا موسى على ركبتيه ورفعت رجلاه الى فوق وضرب بدبابيس نحاس على جنبيه ورقبته وكان الجنود المكلفون بضربه يقولون له اعطنا مالا ونحن نتركك فلم يكن يجاوب بكلمة واحدة

وأمر الوالي بقطع رقبة البطريرك وساقه السياف الى موضع القتلى فجرى الانبا موسى خلفه ولم يشأ ان يتركه فمنعه السياف وهو لا يمتنع حتى غضب منه ورفع عليه دبوس نحاس ليضربه به فقد القديس رأسه الا ان بعض الموظفين منعوا الجلاد من ان يضربه. وكان الجنود يشهدون عنه قائلين بلغتهم العربية « نعم هذا الخادم لربه » ثم وضع في السجن مع البطريرك وقيدت رجلاه مع كثيرين من الاساقفة فتنبأ لهم الانبا موسى بانهم يخرجون بالسلامة وتم قوله لان مروان مضطهدهم انهزم فخرجوا من السجن سالمين الى كراسيهم

واستمر القديس موسى مرافقاً للبابا خائيل طول ايام تجاربه ولما اكمل ايام جهاده مرض وعرف ان وفاته قد دنت فاستدعى اليه رعيته واوصاهم ثم باركهم وتنيح بسلام

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

(١) هرقل (٢) فتح الفرس (٣) عودة هرقل لفتح مصر (٤) أصل المقوقس (٥) الفتح الاسلامي (٦) محاولة سرقة رأس مار مرقس (٧) فتح السودان والخمس المدن الغربية (٨) الاقباط في صدر الحكم الاسلامي (٩) خلافة مروان بن الحكم

عهد الدولة العباسية (١٢) خلافة ابي جعفر المنصور (١٣) خلافة هرون الرشيد

(١) **عصبة بن عبد العزيز** . وولي بعد عبد العزيز على مصر ابنه عصبه (ويسميه الانبا ساويرس الاصمع) فبذل جهده في اضطهاد الاقباط وساعده على ذلك شرير يدعى بنيامين كان شماساً في الكنيسة ولكنه اعتنق الديانة الاسلامية وتصادق مع عصبه وصار يوغر صدره على الاقباط حتى فسر له الانجيل باللغة العربية وكان يقرأ كتب النصارى عله يجد فيها طعناً بالمسلمين وتمكن من ان يجعل عصبه يستخدم ضدهم كل طريقة جائرة ليقلل عددهم ويذل من شأنهم فألزمهم بدفع مغارم باهظة . ولما رأى الاقباط ان المسلمين معافون من دفع الجزية التي قد اصبحت وقراً ثقيلا على عاتقهم بسبب الزيادات التي كان يضعها عليهم الولاة خلافاً للعهد وما كان يصيبهم من متولي الخراج من الجور والعسف في تحصيلها آثر بعضهم الاسلام تخلصاً من المغارم الفادحة ومن هؤلاء بطرس والي الصعيد وتادرس اخوه وثاوفانس ابن عمه مريوط وكهنة وعلمانيون لا يحصى عددهم

وتسبب عن اقبال الاقباط لاعتناق الاسلام نقص في الايراد فوشى اليه بنيامين بان الرهبان قوم اغنياء ينفقون من أموالهم الوافرة على طيب المأكول ولذيذ المشروب فاراد عصبه ان يعوض بما يفرضه عليهم ماخسره من الذين اسلموا. فانتدب صاحباً له يدعى يزيد ومعه آخر فأحصى جميع الرهبان في سائر الاماكن ولا سيما في وادي هبيب حيث وجد اكثر من ستة آلاف راهب وفرض على كل واحد منهم ديناراً وامرهم ان لا يرهبوا احداً بدون اذنه ثم ألزم الاساقفة بدفع الفي دينار كل سنة خلاف الجزية المقررة عليهم

غير ان الله لم يسمح لعصبه ان يستمر في طغيانه فأدبه تأديباً قاسياً وذلك انه لما كان يوم سبت النور دخل الى كنيسة حلوان ووقع بصره على صورة السيدة العذراء وابنها السيد المسيح في حضنها فسأل الاساقفة عنها فافهموه مغزاها

فلأ فه بصلقا وتفل عليها وأخذ يجدف قائلا من هو المسيح حتى تعبدوه واقسم انه اذا طال به الزمن سيمحق كل النصارى . ولكنه في تلك الليلة انزل الله به انتقاماً سريعاً وفي صباح عيد القيامة توجه الى ابيه وهو جالس مع اعيان الامة وقص عليه حلماً هائلا شاهده وهو انه أبصر انساناً بهياً جالساً على عرش وحوله ألوف وربوات يحملون السلاح فسأل من هذا الذي اخذ الملك من أبي فقيل له انه يسوع المسيح ملك الملوك ورب الارباب الذي بصقت في وجهه ثم تقدم احد الجنود وطعني بحربة في جنبي . ولم يكد ينتهي من قصته حتى ضربه الله بحمى قتالة لم تمهله سوى ساعات قليلة تجرع فيها مر العذاب فحزن عليه ابوه حزناً مفرطا ولحقه بعد اربعين يوماً

وكان الموظفون المسلمون اقل علماً بشؤون وظائفهم من الموظفين الاقباط وقد فكروا مراراً في الاستغناء عنهم ولكنهم رأوا ان الاحوال لا تستقيم بدون وجودهم فكان بقاء الاقباط في وظائفهم سبباً من الاسباب التي كانت تخفف من وطأة الاضطهاد عليهم ولو ان الموظفين لم يكونوا يستطيعون المجاهرة بالدفاع عن اخوتهم . ومع ان الحكومة كانت تدرك شدة الحاجة اليهم في اعمالها الهندسية والطبية والحساب وفي كل شغل يحتاج الى الذكاء والانتباه الا انها لم تعفهم من اضطهادها وجورها مراراً حتى اضطر كثيرون منهم الى السير تبعاً لرغبة رؤسائهم فاهملوا في اتمام واجبات دينهم التي كانت توجب السخط عليهم .

(٢) خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٥ وولاية عبد الله ابن أخيه .

تولى عبدالله هذا مصر وكان كريهاً للنصارى فاشتد عليهم وبلغ ظلمه عنان السماء حتى انه كان في اكثر اوقاته اذا جلس على المائدة يأمر بذبح بعض الاقباط أمامه ليتلذذ برؤية دمهم يسيل على الارض أو يطير على مائدته . فاحتمل الاقباط من الاهوال ما يشيب لهولها الولدان وحكم بالموت على كثيرين منهم وقضوا شهداء ولكن الحكومة لم تسمح بدفن جثثهم الا اذا دفع اهلوهم مبلغاً من المال فاضطر كثيرون الى اعتناق الدين الاسلامي . وغيرهم هاجروا القطر المصري هرباً

من الضيق الذي استحكمت حلقاته عليهم . وآخرون ماتوا من شدة الجوع . وهدمت كنائس كثيرة وتعطلت شعائر العبادة في كثير من الانحاء حتى عزل عبدالله فتنفس المضطهدون الصعداء

وفي اول هذا الجيل امر عبدالله ان تجعل الكتابة في دواوين الحكومة بمصر باللغة العربية وكانت الى ذلك الحين بالقبطية وكان القائم بها وبسائر الاعمال الادارية الاقباط تحت رئاسة انتناس الذي كان اميناً على بيت المال كما تقدم فعزله وولى مكانه ابن يربوع الفزاري من اهل حمص . ولما رأى القبط ان هذا التغيير يعود عليهم وبالا ويأول الى رفتهم من وظائفهم جدوا في تعلم اللغة العربية فاتقنوا في الكتابة والحساب بها في وقت قصير بل تفننوا فيها وجعلوا لحساباتهم قواعد وروابط مخصوصة . ونقلت ايضاً اسماء البلاد الى العربية فتحرفت عن اصلها كما نرى

(٣) ولاية قرة بن شريك سنة ٧٠٩ م . وقد سار قرة على منوال سلفه في اضطهاد الاقباط وعاملهم بطريركهم بقساوة بربرية وثقل الجزية على الرهبان وامر بضم تركة كل قبطي غني يموت الى حوزته . وكان قد مات كاتب في ديوان الاسكندرية وغيره كثيرون فأخذ مالهم ثم نفذ امره على الاساقفة وزاد عليهم مائة ألف دينار غير المقرر عليهم . واشتد قرة في جوره فكان يحتقر عبادة الاقباط ويدخل احياناً الى كنائسهم ومعه رجال حاشيته ويوقفهم عن صلاتهم . ولما عمت الويلات ظهر ان الاقباط يهجرون بلادهم بكثرة متناهية فكلف رجلا من سخا يدعى عبد العزيز بالوقوف في وجه كل الهاربين وتقييد كل من يراه هارباً وارجاعه الى مكانه

وكأنه لم يكف البلاد ما اصابها من الوالي فحل بها وباء عظيم حصد الالوف من الارواح ولكنه أحسن اذ دخل قصر قرة فنهب نساءه وكان هو يهرب منه الى كل مكان ولكنه اصابه وأودى بحياته

والذي جاء بعد قرة لم يلبث سوى ثلاثة اشهر خربت فيها اكثر كنائس الاسكندرية واخذت اعمدتها الرخام والمرمر وباقي انواع الزينة والزخرفة

ووضعت في الجوامع التي لم تكن تزيد الا بقلة الكنائس

(٤) خلافة سليمان بن عبد الملك سنة ٧١٤ م وولاية اسامة بن يزيد.
وعين الخليفة سليمان اسامة جابياً لخراج مصر فلم ير الاقباط حاكماً اشد منه قساوة واعظم شراسة فكانت مدة ولايته عليهم من أبلغ ايامهم هولا . ولما رأى انه يوجد في برية شيهات وحدها عدد عظيم من الرهبان خشي قيامهم ضد الحكومة الظالمة فأمر بمنع الترهب وبالغ في التنكيل بهم ليفل جموعهم فزاد الضريبة الموضوعة عليهم ورتب طريقة جديدة بها يتأكد من دفعهم اياها فأمر بان يلبس كل راهب خاتماً من حديد في أصبعه مكتوباً عليه اسمه واسم ديره يسلمه اليه جابي الخراج عند ما يدفع ما هو مقرر عليه من الجزية واذا وجد واحد منهم غير لابس له تقطع يده واذا أصر على المخالفة يقتل

وتكرر الهجوم على الاديرة وهدمها وقتل من بها من الرهبان غير الحاملين هذا الوسم ولم يكن يحصى عدد من قطعت ايديهم لهذا السبب ومن حلقت لحاهم وقلعت عيونهم وجلدوا بالسياط وكثيرون ذاقوا باقي انواع العذاب التي أودت بحياتهم وكانت تضم ممتلكاتهم الى مال اسامة الخاص . وكان من محبته للمال يأمر الولاة بان يتهموا الاقباط بما هم براء منهم حتى يتمكنوا من اعدامهم واحضار مالهم اليه بل أمرهم قائلا « سلمت اليكم أنفس الناس فتحصلوا ما تقدرون عليه من أساقفة او رهبان او كنائس او كل الناس واحملوا الي القماش والمال والبهائم وكلما تجدونه ولا تراعوا احداً وفي أي موضع نزلتموه فاخربوه » فكانوا يخربون البيوت والكنائس ويقلعون الاعمدة والاخشاب ويبيعون ما يساوي عشرة دنانير بدينار فارغم الاقباط على اخفاء كل ما عندهم وتظاهر اغنياؤهم بالفقر وكثيرون منهم صاروا يحملون امتعتهم ويفرون بها من البلاد فلكي يتلافى اسامة هذا الخطر اصدر امراً يحتم على كل من يمر في النيل صاعداً او نازلا او من يبرح مصر بأخذ جواز للسفر حتى اذا انتقل من مكان الى مكان داخلها وان يدفع مقابل ذلك عشرة دنانير او ستمائة قرش صاغ ومن يخالف هذا الامر فمنهم من يقتله ومن يصلبه ومن يقطع يديه ورجليه حتى خلت الطرق من المارين

فيها وانقطع السفر وكف البيع والشراء لقيام الناس حول دار اسامة شهرين او اكثر لاستخراج جواز المرور . واذا اتلفت العوارض جواز انسان وبقي معه قطعة منه او تغير رسمه يلزمه ان يستخرج عوضه . ومما يحكى ان ارملة سافرت في النيل مع ابن لها بعد دفع المفروض ونيل تذكرة المرور بكل مشقة نظراً لضيق ذات يدها . فحدث وهي في اثناء المسير ان ابنها هـذا تطاول الى النيل مستقياً فاختطفه تمساح وابتلعه وثيابه والناس ينظرون وكانت تذكرة المرور في جيبه . فلما وصلت المرأة المكان المقصود اعترضها صاحب التذاكر وأبى الا ان تبرز تذكرتها فاخبرته ما كان من امر ضياع ابنها على مشهد من الناس فأغلق أذنيه عن صراخها ولم يفرج عنها حتى باعت كل ما في يديها ودفعت الفلس الاخير

ثم انفذ اسامة رسلا للرهبان ليفحصوهم فوجدوا بعضهم بغير الخاتم الذي أمر ان يوضع في يد كل راهب فاحضروهم اليه فنهم من ضربت رقبته ومنهم من مات تحت السياط ثم انه سمر باب احدى الكنائس بالحديد وطلب منهم الف دينار وجمع مقدمي الرهبان وعذبهم وخيرهم بين ان يدفع كل واحد منهم ديناراً أو يهدم البيع ويخربها ويهلك جميع الاساقفة . فقلقت الكنيسة كلها وارتفعت الاصوات الى العزة الالهية لتدفع عنهم هذا البلاء فسمع الله صوتهم

(٥) *خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ٧١٧ م* . وتولى الخلافة عمر بن عبد العزيز فرفع اليه المصريون شكواهم على اسامة فارسل خلفاً له ايوب بن شرحبيل وأمره ان يقبض على اسامة ويكبله بالحديد ويسمر يديه ورجليه باطواق من الخشب ويرسله اليه ففعل فمات اسامة في الطريق . أما ايوب بن شرحبيل فكان عادلا نزيهاً فاجرى الحق مجراه وأنسى المصريين ما كان من استبداد اسامة وغلاظته فألغى الضرائب عن الرهبان وخفف الخراج عن اهالي البلاد فأحبوه وزادوا في اعتباره

وكان على الجيش في مصر حيان بن شريح فبلغ عمر انه يطلب الانقباط بالذين اسلموا بالجزية فتظلم عليه ذلك فكتب له « أرى ياحيان ان تضع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة فان الله تعالى قال « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا

سبيلهم إن الله غفور رحيم » وقال «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون بدين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » فاجابه حيان « أما بعد فان الاسلام قد أضر بالجزية حتى سلفت من الحارث بن ثابتة عشرين الف دينار تممت بها عطاء اهل الديوان فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر بقضائها فعل» فكتب اليه عمر « أما بعد فقد بلغني كتابك وقد وليتك جند مصر وانا عارف بضعفك وقد أمرت رسولي بضربك على رأسك عشرين سوطاً فضع الجزية عمن أسلم قبح الله رأيك فان الله بعث محمداً (صلعم) هادياً ولم يبعثه جابياً ولعمري لعمر أشقى من أن يدخل الناس كلهم الاسلام على يده » فرفعت الجزية عمن أسلم من النصارى ووزعت على اخوانهم الباقين على دينهم وكذلك كانت توزع جزية من يموت منهم على الاحياء ويلزمون بادائها طوعاً أو كرهاً

(٦) **خلافة يزيد بن عبد الملك سنة ٧٢٠ م.** ولى على مصر بشر بن

صفوان ومع انه انتهج منهجاً حسناً الا ان يزيد ألزمه بان يضع على الكنائس والاساقفة الخراج الذي رفعه عنهم عمر سنة واحدة وزاد في الضرائب فاصبحت الاقامة في البلاد وبالا على اهلها فتركها منهم كثيرون لا سيما عند ما أتى امر من يزيد يشدد على الوالي بان يحتم على كل من يقيم في البلاد ان يكون على دين محمد مثله ومن لا يريد فليخرج منها تاركا كل مايملك . فاعتبر الاقباط السماح لهم بالخروج من البلاد رحمة منه فهجرها كثيرون حتى اقفرت مديريات بجملتها وترك الموظفون منهم وظائفهم ووضعت على الذين لم يتمكنوا من الفرار جزية باهظة واعتنق كثيرون الدين الاسلامى فراراً من المغارم . وانتهز المتعصبون هذه الفرصة وهدموا كنائس كثيرة

ثم تولى حنظلة بن صفوان فشرع يتمم امر الخليفة بكسر جميع الصلبان التي في سائر الاماكن ومحو الصور التي في الكنائس وتحويلها الى جوامع . وتولى بعد حنظلة جملة ولاة لم يكن شغلهم سوى التفنن في تعذيب الاقباط وسلب مالهم

(٧) خلافة هشام بن عبد الملك سنة ٧٢٤ م . كان عادلا محباً في اجراء الانصاف بين افراد رعيته فشكا اليه الاقباط من ظلم عمال الخراج فأصدر أمره للوالي بوجوب معاملتهم بمقتضى العهد الذى بيدهم ولـكن لم يجد هذا نفعاً ولا فائدة بل كان سبباً في مشاركة الوالي مع عمال الخراج على التضييق والتشديد عليهم . ولما لم ير الاقباط من الولاة الا الاصرار على عدم تغيير خطتهم وشاهدوا سيل الظلم قد طفح . نزعوا في ولاية الحسن بن يوسف وجباية رجل ظالم اسمه عبد الله الى التوقف والمقاومة وعزموا على القيام بثورة يدافعون فيها عن حريتهم وحياتهم

وقد بدأت هذه الثورة سنة ٧٢٥ م فاعتصب اهل تنو ويمى وقربيط وعامة اهل الحوف الشرقي (الشرقية) بالوجه البحرى وتوقفوا عن دفع الاموال فارسل اليهم الوالي جنداً فحاربوهم وقتل في هذه الواقعة من الفريقين خلق كثير وهزم الاقباط اخيراً لندرة تدربهم على القتال غير انهم لم يهربوا بل استمروا واقفين امام جيوش اعدائهم حتى ذبحوهم عن آخرهم

ولما بلغ الخليفة خبر هذه الحادثة وعرف سببها خشي سوء العاقبة بانتقاض جميع الاقباط في الوجهين القبلي والبحري فعزل الوالي المذكور وولى مكانه حفص بن الوليد وأمره ان يحصي اهل البلاد ويوزع عليهم الخراج بطريقة عادلة والا يخرج في ربط الجزية عن حد ما صولحوا عليه مع عمرو بن العاص وبمقتضى العهد الذي بيدهم . ففعل كما أمر وبلغ عدد القبط في هذا الاحصاء اكثر من خمسة ملايين من الذين يدفعون الجزية عدا النساء والشيوخ والصبيان فاستراح الاقباط من الاضطهاد مدة سبع سنوات بل تمكنوا في زمن ولاية الوليد بن رفاعة من الحصول على اذن ببناء كنيسة بمصر القديمة على اسم مار مينا فاغتاظ وهيب اليحصبي وتجمهر كثيرون من المتعصبين وحاولوا احباط عمل الـكنيسة ولـكن الله اوقف اعتداءهم بارسال ضربتين على سكان مصر وهما الجوع والوباء فافنيا منهم الالوف

(٨) ولاية حنظلة بن صفوان . هذه ثاني مرة تولى فيها مصر وكانت سنة

٧٣٦ م وكان هذا الرجل ظالماً عاتياً غشوماً رغم رغبة الخليفة اليه ان يعامل الناس بالرفق واللين والمعروف . وكان عمله كاسمه فلم يكتف بالضرائب المفروضة على الانسان من ابن عشر سنين الى ابن مائة ففرضها على الحيوانات وحكم بقطع يد كل مسيحي لا يكون معه وصل بالبراءة او لاتوجد على يده صورة الاسد . ولم يقف حنظله عند هذا الحد بل لما أراد ان يبني له دوراً بالفسطاط فاستخدم فيه الاقباط وضغط عليهم ضغطاً شديداً لم يطيقوه فهاجوا في مدن بناوصا وسمنود وما يجاورها وفي بلاد الصعيد وقاموا على عمال الخراج واخرجوهم من بلادهم وحصلت بينهم وبين جنود الوالي واقعة عظيمة قتل فيها كثيرون

كل هذا وحنظلة لا يزيد الا جوراً وعسفاً فشكوه الى الخليفة فعزله وولى مكانه حفص بن الوليد ثانية فلم يسر هذه المرة فى خطة مولاه فزاد الضرائب واشتد على المسيحيين وطفق ينهب أموالهم ويجور عليهم فعم البلاء الذي حمل الناس على اكل الجيف وصار يموت من اهل القاهرة كل يوم ١٥٠٠ نفر

وبلغ الاقباط خبر موت الخليفة هشام فتأسفوا وحزنوا لانه لم يكن يميز في أحكامه بين احد مهما كان دينه . وفي ايامه حارب المسلمون الروم وأسروا منهم خلقاً كثيراً فكان الاقباط يشترون منهم عدداً وافراً ويطلقون سراحهم فنالوا اكمل فخر وأجل ثناء

(٩) خلافة الوليد بن يزيد سنة ٧٤٣ م . ولى على مصر حسان بن عتاهية الذى زاد الضرائب وضايق الاهالي واضطهد الاقباط فأبدل بحفص ثالثة فلم يسر الا على خطة اضطهاد المسيحيين واثقال كاهلهم بمضاعفة الخراج وامرهم ان يعتنقوا الاسلام كرهاً فسقط منهم عدد ليس بقليل قيل انهم ٢٤ الفاً عدا من ثبت على ايمانه ونال اكليل الشهادة

وخشي كثيرون من الاساقفة نتيجة هذه القساوة وخافوا على انفسهم من السقوط ففروا من ابروشياتهم وكمنوا في الاديرة تاركين رعيتهم فريسة للذئاب وكانت تلك فرصة أخرى كثر فيها الذين اعتنقوا الاسلام اما تخلصاً من اضطهاد شنيع او باغراء الولاة الذين وعدوهم بالمغفرة اذا نطقوا بالشهادة فقط ويلبثون

مسيحيين فعلا ومسلمين اسما ولكن النتيجة كانت سيئة في الحالتين لان اولاد هؤلاء المساكين صاروا مسلمين فعلا لا اسما

وفي ذلك الوقت قام مروان بن محمد سنة ٧٤٤ م واغتصب الخلافة من ابرهيم بن الوليد وولى مصر حونرة بن سهيل فاراح الاقباط قليلا من ذلك الظلم الهائل الذي كان واقعاً على رؤوسهم ولذلك صرف بطريرك الاقباط حينئذ وهو البابا خائيل الاول اكثر اوقاته في قبول توبة الذين انكروا الديانة المسيحية .

(١٠) ولاية عبد الملك بن مروان سنة ٧٥٠م . تولى مصر بعد حونرة فانتهز انشغال مروان فى القتال وشن الغارة على الاقباط واضطهدهم اضطهاداً فظيعاً . وفى اثناء ذلك أتى مروان فاراً من وجه ابي العباس الملقب بالسفاح الذي نزع منه جميع الولايات ولم تبق له سوى مصر فاراد ان يحتفظ بها ولكنه وجدها فى اضطراب بسبب سوء ادارة الولاة وعمال الخراج

وكان قبط الوجه البحري فى الجهة المعروفة بالبشمور وهى مديرية الدقهلية والمنزلة ودمياط وفى جهة شبرا بسنبوط قد قاموا على عمال الخراج وقتلوهم فجرد الوالي عساكره فحاربهم الاقباط وانتصروا عليهم دفعتين وكان القائد للبشموريين رجل قبطي منهم يسمى مينا بن بقيرة . وبعد ان تمتع الاقباط مدة بالراحة استجمع مروان قوته وحاربهم فهزمهم هذه المرة وتركوا ميدان القتال وتحصنوا فى بلادهم فلم يتمكن مروان من متابعتهم بسبب الوحل الذي كان فى طريقهم فضرب العساكر حولهم يحرسونهم فكان البشموريون يخرجون اليهم ليلا من طريق يعرفونه ويقتلون من قدروا على قتله ولما طال عليهم الامر رحلوا عنهم

وجاء أبو العباس الى مصر فلم يقو مروان على الوقوف أمامه فهرب الى الوجه القبلي وسمح لعساكره ان ينهبوا البلاد فصاروا يقتلون الاراخنة ويسبون نساءهم واولادهم ويسلبون اموالهم ويهدمون الكنائس . وفيما هو هناك اغتصب اهل طحا (بمديرية المنيا) وتوقفوا عن دفع الخراج فارسل اليهم اميراً من امرائه

فقتل ونفى كثيرين منهم واستباح كل مالهم وكان عدد سكان هذه المدينة اكثر من ٢٠٠٠٠ نفس كلهم نصارى فهدم كنائسهم ولم يبق فيها غير واحدة كانوا التزموا بثلاثة آلاف دينار في نظير بقائها فأعطوا ألفين وعجزوا عن الباقي فجعل ثلثها جامعاً

ثم ولج عساكر مروان الاديرة ونهبوها واغتصبوا الراهبات طمثك اعراضهن واكراههن على البغاء وظلوا يقتلون وينهبون البلاد وأخربوها من منف الى مدينة تاوصنا . وامعنوا في اثناء سيرهم في الافساد حتى وصلوا الى الشرق بجهة اخميم وكان هناك دير راهبات تسكنه ثلاثون عذراء فنهبوه ووجدوا بين العذارى صبية ترهبت وهي ابنة ثلاث سنين وكانت ذات جمال بارع فراقت في نظرهم وارادوا ان يقترعوا عليها ولكنهم استحسنوا ان يأخذوها هدية للسلطان . فلما سمعت قولهم تقدمت الى قائدهم وقالت له انا أعبد الله بطهارتي منذ سنين ولا يجمل بكم ان تفسدوا عبادتي واذا أوليتموني هذا المعروف انا أكافئكم عوضه بدواء أصفه لكم يحمي اعناقكم من فعل السيوف فتعجبوا من كلامها فقالت لهم ان آبائي كانوا قوماً مقاتلين ومن الشجعان وقدموا لي دواء كانوا يدهنون به اذا خرجوا للقتال فكانت السيوف الحادة تكل ولا تضر اجسادهم وان كنتم لا تصدقون فها أنا أدهن رقبتي به وليستحضر أشجعكم أحد سيف ويضربني به فلا بد ان يرجع مفلولا وقصدت بذلك ان تدبر طريقة للموت دون ان تنجس جسدها الطاهر

ثم دخلت قلايتها وأخرجت قنينة فيها زيت قد صلى عليه القديسون وكانت محتفظة به فدهنت به رقبتها ووجهها وجميع جسدها ثم جثت وبدأت تصلي وهي تمد عنقها للسياف فظن الجهال ان الامر صحيح ولم يعلموا ما في قلبها ثم قالت لهم « من كان فيكم قوياً وسيفه ماض قاطع فليتقدم » فوثب شاب شجاع بسيف يفتخر به فسترت وجهها بردائها وأحنت رأسها وقالت له أضرب بكل قوتك ولا تبال فضرب القديسة فطارت رأسها فعلموا حينئذ انها خدعتهم فندموا وحزنوا حزناً عظيماً ووقع عليهم خوف شديد ولم يلتفتوا بعدها لراهبة أخرى بل تركوهن ومضوا يمجدون الله

ثم رجع مروان من الصعيد فوجد جيوش أبي العباس قد حلت قرب الفسطاط فاطلق فيها النار . وفي هذه الاثناء كانت البيعة معرضة للسقوط في كل مكان ولم يكن فيها أمن لأحد من بنيها الا للذين لجأوا الى برية النطرون أو الاماكن المنفردة في الجبال . ولم يأتهم الفرج الا بعد انتصار أبي العباس على مروان وقتله اياه وبموته انقرضت الدولة الأموية وقامت مكانها الدولة العباسية واستولت على مصر

أما حالة الاقباط في ذلك الوقت فكانت سيئة للغاية فالاضطهادات والأوبئة والمجاعات كل هذه فتكت بهم فتكا ذريعاً وتسبب عن ذلك نقص عظيم في عدد هذه الامة التعيسة الحظ السيئة البخت . وباختلاط القبط بالعرب أخذت لغتهم تنحط شيئاً فشيئاً حتى لم يبق منها بتوالي الايام الارسمها واقتصروا على استعمالها في الطقوس الكنسية ولولا ذلك لا محي أثرها بالكلية . وما الفضل الا لرؤساء الدين الذين كانوا يعلمون الناس ان المحافظة على لغتهم الاصلية ولو بغير المعاملة بها في الاحوال المعيشية من الواجبات الدينية

(١١) مصر فى عهد الدولة العباسية سنة ٧٥١ م . ولما كان الاقباط قد ظاهروا ابا العباس على مروان نادى العباسيون بعد استتباب الملك لهم بالامان على المسيحيين وكانت نواياهم لاقباط مصر حسنة الا أن بعد البلاد عن مركز الخلافة وعدم بقاء الولاة في مناصبهم جعلهم يستبدون ويعملون فى الناس كيفما شاءوا كما كان يفعل الولاة فى ايام الدولة الاموية وبعضهم لعلمه ان منصبه غير باق له لم يكن يهتم الا بمصلحته الشخصية

(١٢) خلافة ابى جعفر المنصور سنة ٧٥٤ م . ولى عنه بمصر يزيد بن حاتم فاوقع ببطريرك الاقباط البابا مينا الاول أضطهاداً عظيما فساء الاقباط ما لحق برئيسهم من الاهانة وانعكست الحال ثانية فتمرد قبط رشيد وسخا وغيرهما وجاهدوا بالعصيان وطردوا المستخدمين من بلادهم وصاروا يديرون أعمالهم بانفسهم وأرسل والي مصر جيشاً قوياً ليحاربهم ويخضعهم ولكن الاقباط استطاعوا ان يفوزوا بذلك الجيش كله ولو كان مسموحا لهم ان يتدربوا على القتال ويحملوا

الاسلحة لانتصروا على الجيش الثاني الذى حاصرهم ولـكنهم انـكسروا بعدأن ثبتوا أمام اعدائهم مدة ثبوت الرواسى حتى اضطروا الى أكل جثث الموتى

(١٣) *خلافة هرون الرشيد سنة ٨٧٦ م* . ولى مصر علي بن سليمان فاشتد غضبه على النصارى وعمد الى ما كان يلجأ اليه غيره من الولاة السالفين وهو هدم كنائسهم فعزم على هدم كنائس الفسطاط ففرض عليه النصاري خمسين الف دينار لـكى يتجاوز لهم عن كنيسة كانت قائمة في حصن قسطنطين فأبى وهدم جميع الـكنائس ولم يبق منها سوى كنيسة انبا شنوده الواقعة بين الفسطاط وبابيليون .

وتولى بعد على موسى بن عيسى فاراح الاقباط وأذن لهم ببناء الـكنائس التي تهدمت وكان ذلك بمساعدة الليث بن سعد وعبدالله بن لهيعة القاضيين ومشورتهما بحجة ان بناءها من عمار البلاد فشدداهم على ذلك . وخلف موسى بعض ولاة لم يعرفوا لهم عملا سوى اضطهاد الاقباط . وكأن المصائب أبت الا ان تكون وقفاً على هؤلاء المساكين فتوالت المجاعات التي فتكت بثروتهم وصار الفقراء يموتون جوعاً أو تقتلهم الحكومة تخلصاً من اعالتهم . ومن الغريب ان أحد ولاة مصر تنبه الى أن المجاعات تتوالى بسبب اهمال تطهير الترع وتنظيم أحوال الري فساق اليها عدداً عظيما من الاقباط ليس لديهم قوت يوم فماتوا من الجوع وبقيت جثثهم مكومة في الاماكن التي ماتوا فيها ونشأ عن عفونتها طاعون زاد في شقاء البلاد

وكان من رأي هرون الرشيد أن لا يبقى والي مصر حاكما لها اكثر من سنة وكان يشدد عليهم باجراء قواعد العدل والانصاف فاستراح الاقباط فى مدة خلافته من الاضطهاد غير انه كان ينظر اليهم والى بطريركهم بعين الريب خوفاً من انتقاضهم عليه فبذل جهده في التضييق عليهم . ولما تولى مصر اخوه عبيدالله ابن المهدي اهدى الخليفة فتاة مصرية آية فى الجمال فطاب بها قلبه وحدث انها مرضت فحزن كثيراً وبحث عن أمهر الاطباء ليعالجوها فانتدب له عبيد الله يوليانوس بطريرك الاروام فى مصر وكان طبيباً بارعاً فداوى محظية الخليفة ولما برئت رغب اليه هرون ان يطلب منه أجراً فسأله بعض الـكنائس القبطية فاجيب

سؤله و نال مناه . وشيد البابا يوحنا الـ ٤ كنيسة عظيمة للملاك ميخائيل فاغتاظ منه الاروام وشكوه للخليفة ووجدها الوالي فرصة مناسبة لفرض غرامة باهظة على البطريرك فدفعها هذا راضياً دون ان يوقف بناء الـكنيسة يوماً واحداً

وبلغ الولاة الذين تقلبوا على مصر في مدة سبع سنوات سبعة آخرهم يسمى اسحق بن سليمان الذي لما وصل الى مصر زاد فى خراج المزارعين زيادة اجحفت بهم فخرج عليه اهل الحوف فحاربهم فقتل كثير من اصحابه فـكتب الى الرشيد بذلك فعقد لهرثمة بن أعين فى جيش عظيم وبعث به فنزل الحوف فتلقاه أهله بالطاعة وأذعنوا فقبل منهم واستخرج الخراج كله . وفي سنة ٧٩٨ م ولي الليث ابن الفضل فبعث بمساح يمسحون الاراضى ومن جملتهم اراضى أهل الحوف فانتقص لهم من القصبه أصابع فتظلموا الى الليث فلم يسمع لهم فتجهزوا وساروا الى الفسطاط فخرج اليهم الليث فى اربعة آلاف من جنده والتقى بهم فانهزم عنه الجند وبقى فى نحو المائتين فحمل بمن معه على أهل الحوف فهزمهم حتى بلغ بهم غيفة وبعث الليث الى الفسطاط بثمانين رأساً من رؤوس الثائرين

القسم الرابع

البدع

••••••••

التعليم بانبثاق الروح القدس من الآب والابن

••••••••

علمت الـكنيسة منذ البدء بان الروح القدس منبثق من الآب فقط كما نص

الانجيل المقدس بالحرف الواحد (يو ١٥ : ٢٦) وفي المجمع القسطنطيني المسكوني الثاني المنعقد برئاسة البابا تيموثاوس البطريرك الاسكندري ال ٢٢ حرم من يقول أو يعلم بغير ذلك . وسارت الكنيسة على هذا المبدأ الى نهاية الجيل الثامن حتى ظهر لوكيوس المبتدع في عهد لاون الثالث اسقف رومية سنة ٨٠٨ م وعلم في فلسطين اولا بان الروح القدس منبثق من الآب والابن فشجبه الاساقفة وطردوه من بلادهم فلجأ الى رومية فلم يتفق له النجاح فتوجه الى فرنسا وفيها تمكن من ان ينفث سمومه بين الاكليروس مساعدة كرلوس الاكبر ومن ثم رجع الى رومية ببعض اتباعه فقاومهم لاون الثالث الذي جلس على الكرسي الروماني سنة ٧٩٥ م . ولما رأى هذه البدعة تمتد في رومية ولم يكن في كنيسته رجال متضلعون في العلوم اللاهوتية ليدفعوها طلب من توما بطريرك أورشليم ان يرسل اليه رجالا حكماء اتقياء ينقذون كنيسة رومية من ضلا . لكن القيصر اضطهد رسل بطريرك أورشليم ولم يدعهم يصلون الى رومية وعقد مجمعاً سنة ٨٠٩ م قرر فيه الزيادة وحاول اقناع اسقف رومية بها فلم يفلح بل جاوبه لاون « اني لا أعلم ما اذا كان الآباء القدماء عملوا عملا أفضل بتركهم هذه الكلمة ولا اقدر ان أؤكد انهم لم يعلموا جيداً هذا الأمر كما نعلمه نحن لاني لا اجاسر ان أشبه نفسي بهم فضلا عن ان أفضل نفسي عنهم ومهما كانت غايتنا حسنة فيجب علينا ان نخشى لئلا نضر نحن ما هو في ذاته حسن بعدنا عن النهج القديم في التعليم . لان الآباء لما منعوا كل زيادة في الدستور لم يقسموا النيات الى نية صالحة ونية رديئة بل منعوا الزيادة منعاً مطلقاً حتى انهم لم يسمحوا ولا بان يفتكر احد لماذ عملوا هكذا » اه

ولكي يمنع لاون كل تغيير في دستور الايمان عقد مجمعاً سنة ٨١٠م ونقش الدستور على لوحين من فضة باليونانية واللاتينية صحيحاً سالماً بدون الزيادة ونصبهما امام الباب المقابل قبري بطرس وبولس وكتب عليهما هذا العنوان « انا لاون قد نصبت هذين اللوحين حباً بالايمان الارثوذكسي وحفظاً له » (١) وكان لكرلوس قيصر في ايجاد هذه الزيادة مصلحة خاصة اولا لكي يثبت سلطته على

---

(١) ملاتيوس ٨ : ١٤ : ٦

اسبانيا التي نشأت عندها هـذه الزيادة ثانياً لـكي يفصل الغرب عن الشرق في العقيدة ويحفظ استقلاليته فتأمل

ولما أقيم بناديكتوس الثالث على الـكرسي الروماني قام عليه قوم وعزلوه واهانوه ونزعوا عنه حلة الـكهنوت وحبسوه وانتخبوا بدلا منه قساً مقطوعاً يدعى انسطاسيوس فقام الشعب ضدهم وطرد انسطاسيوس واعاد بناديكتوس فسيم من مجمع الاسـاقفة (١) ولما كانت بدعة الانبثاق آخذة في الامتداد بين الشعوب الغربية كتب دستور الايمان بحروف لاتينية خالياً من الزيادة وسن قانوناً بوجوب تعليمه لـكل واحد من الشعب الايطالي منعاً لدخول الهرطقة وكتب رسائل الى بطاركة الشرق بان رؤساء كهنة رومية لا يقبلون الشركة مع أحد ما لم يكن محافظاً على دستور الايمان سالماً كما سلمت المجامع المسكونية السبعة وحددت المحافظة عليه بان الروح القدس ينبثق من الآب فقط لا من

---

(١) نقل المؤرخون ان بين البابا لاون الرابع والبابا بناديكتوس الثالث قام في سنة ٨٥٣ بابا اسمه يوحنا الثامن وهو المعروف بالبابا حنه لانه كان انثى جرمانية وقصتها كما رواها موسهيم المؤرخ في كتابه ص ٣١٤ هي كما يأتي : — «كانت ابنة مرسل انكليزي ترك انكلترا ليبشر الصكصونيين المهتدين حديثاً فولدت في انكاهيم وحسب قول المؤلفين المتنوعين دعيت حنه واغنس واغبرت وايزيبلا وماركريت ودوروثي وجدت فاشتهرت منذ حداثتها بذكاء العقل وحب العلم واذ لحظت من راهب شاب من فولدا الغرام بها انسرقت من والديها وهي مغرومة به ايضاً وتزيت بزي الذكور ودخلت دير فولدا واذ لم ترتض بالحجز هنا انسرقت ايضاً مع محبوبها ومضيا الى انكلترا ثم الى فرنسا وايطاليا واخيراً الى اثينا في بلاد اليونان حيث انصبا على طلب العلم . وحين مات الراهب كانت حنه عديمة التعزية فتركت اثينا واتت الى رومية حيث فتحت مدرسة وحصلت على شهرة عظيمة بالعلم والقداسة الكاذبة وحين مات ليون الرابع سنة ٨٥٥ م انتخبت بابا وجلست على الكرسي البابوي نحو سنتين ممدوحة السيرة بدون ان يشك أحد في جنسيتها ولكنها أخذت واحداً من اهل بيتها يمكنها ان تثق به الى فراشها فحبلت منه . واخيراً اذ كان زمانها لتضع اقرب مما كانت تظن تجرأت في اسبوع الآلام ان تشترك مع كل اكليروسها في الطقس السنوي وفيما كانت مارة في الشوارع بين كنيسة ماراكليمندس والمرسح اتى عليها آلام شديدة ووقعت الى الأرض بين المزدحمين وفيما كان الواقفون عليها يجتهدون في ان يعالجوها ولدت ابنا فأفات الولد والبعض يقولون ماتت ايضاً حالا والآخرون يقولون عاشت وارسلت الى السجن حالا هدفاً للمن العموم (انظر بورو بلاتينا)

الابن كما علم ابناء الفساد . وقد حافظ اكثر خلفاء هذا الاسقف على سلامة دستور الايمان الى ايام استفانوس الخامس نحو سنة ٨٩٥ {١}

ولكن نيقولاوس خليفة بناديكتوس سنة ٨٥٨ م حاول ان يدخل الزيادة في بلاد البلغار فقاومه فوتيوس بطريرك القسطنطينية في مجمع عقد بهذه العاصمة وقع عليه نواب الاسقف الروماني بهذه العبارة « انه يجب ان لا يسن قانون جديد بل ان يصدق على دستور الايمان النيقاوي » أما خلف نيقولاوس يوحنا الثامن سنة ٨٧٢ م فانه قرر حرم كل من يعترف بالزيادة وكتب لفوتيوس يدافع عن كنيسته بقوله « اننا نحن فضلا عن كوننا لا نقول ذلك (يعني « المنبثق من الآب والابن ») نحكم بان الذين تجاسروا من الاصل أن يعلموه هم مخالفون للوصايا الالهية ومغيرون للاقوال اللاهوتية أقوال السيد المسيح والرسل وسائر الآباء الذين التأموا مجمعاً وسلموا الدستور المقدس ونحسبهم مع يهوذا لانهم ارتكبوا ارتكابه لا بانهم دفعوا جسد الرب للموت بل بانهم شقوا وفصلوا المؤمنين أعضاء جسده بعضهم عن بعض ودفعوهم بذلك للموت الابدي أو بالحرى خنقوا انفسهم كما فعل التلميذ الملتوى المذكور »

ولكن فرموزوس سنة ٨٩١ م قبل الزيادة فشجبه خلفه استفانوس السادس سنة ٨٩٧ م وأخرج جثته وحاكمها وقطع أصابع يده التي كان يقدس بها القرابين ويبارك الشعب والقى تلك الجثة فى نهر تيبر فعثر بها صياد ودفنها الان سرجيوس الذي جلس على كرسي رومية سنة ٩٠٥ م اخرجها وبعد ان فصل الهامة عنها طرحها في النهر ثانية واعاد رسامة كل الذين رسمهم بدعوى انه لم يكن اسقفاً شرعياً ولبثت الزيادة تتنقل بين ايدي اساقفة رومية فواحد يقبلها وآخر يشجبها حتى قام بناديكتوس الثامن سنة ١٠١٢ م فقرر قبولها رسمياً سنة ١٠١٤ م فتم بذلك انشقاق الروم عنهم كما قرروا قبلا الاعتقاد بطبيعتين ومشيئتين في السيد المسيح فكان الانشقاق بينهم وبين الكنيسة المصرية

واليك شهادات الآباء المعترف بقداستهم من كل الكنائس والتي تبرهن على ان اعتقاد الكنيسة منذ عصورها الاولى هو ان الروح القدس ينبثق من

---

(١) ملاتيوس ٩ : ٧ : ٤

الآب فقط :—

قال القديس اثناسيوس الرسولي «ان لنا الهاً واحداً وهو الآب الذي لا بداءة له وهو مبدأ الاشياء كلها لان منه الكلمة يولد والروح ينبثق »

وذكر القديس كيرلس الاسكندري في الحرم التاسع « ان الروح خاص بالابن فجاوبه » ثاوذوريتوس عما يعني بقوله فاجابه « ان الروح القدس ينبثق من الله الآب حسب قول المخلص لكنه ليس غريباً من الابن » وقد شرح قوله « ليس غريباً من الابن » بقوله في رسالة الى نسطور « انه ليس غريباً من الابن بحسب الجوهر . يعني مساوياً له في الجوهر للأبد »

وقال الاسقف الروماني داماسوس سنة ٣٦٦ م في اعتراف ايمانه الذي كتبه للاسقف باولينوس « انه يقبل قبولا كاملا اعتقاد المجمع الثاني المسكوني في انبثاق الروح القدس ويلعن كل من يتجاسر ان يقول «ان الروح القدس كان بواسطة الابن والذين لا ينادون بكل حرية ان للروح القدس جوهراً واحداً أو سلطة واحدة مع الآب والابن » (١)

وقال القديس باسيليوس الكبير « في مقالته المشهورة بالرد على انوميوس « كما ان الروح القدس ليس له الولادة بحالة ما هكذا والابن ليس له الانبثاق وكما ان الابن ليس هو من الروح القدس هكذا والروح القدس ليس هو من الابن وكما ان الابن مولود من الاب وحده هكذا والروح القدس ينبثق من الاب وحده »

وقال القديس غريغوريوس نيصص في ميمره المختص بالافادة والتفهيم عن اللاهوت « ان الخاصة الانبثاقية هي موجودة في الآب فقط »

وقال القديس يوحنا فم الذهب في ميمره الذي على البنديكستي « ان الآب علة واحدة للابن والروح القدس »

وقال أوغسطينوس في رده على هرطقة اريوس فصل ٢٣ « لا يظن ان الروح بواسطة الترتيب هو منه (أي الابن) كما انه هو ذاته (الابن) من الآب بل كلاهما من الآب . الابن يولد والروح ينبثق »

---

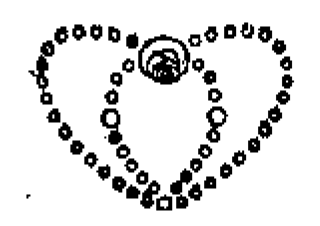
(١) تاريخ الانشقاق ١ : ١٥٩ و ٢١٥

وقال ايرونيموس في مخاطبته داماسوس « اننا لمؤمنون بالروح القدس أيضاً الذي من الآب خاصة ينبثق » {١}

ونختم بان ننقل ما وجد من الشهادات في كتب الاقباط التبع المطبوعة برومية التي تصرح بانبثاق الروح من الآب واليك هي : —

ورد في ص ٢٥٧ و٢٥٨ من كتاب الخولاجي المطبوع برومية سنة ١٤٥٢ش و١٧٣٦ م ما يأتي « الروح القدس الغير المستحيل المتسلط المحي المنبثق من الآب الذي نطق في الانبياء حل على آبائنا كوعد المسيح وتكلموا بكل لغة »

وورد في كتاب اللقان والسجدة المطبوع برومية سنة ١٤٧٨ش و١٧٦٢ م في صحيفة ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤١٦ و ٤١٧ قول صريح بان الروح منبثق من الآب فقط فليراجع في محله ولعلهم بعد ذلك يرعوون



{١} مجلة صهيون سنة ٢٩ : ٧ ص ٢١٣

القرن التاسع

القسم الاول

تاريخ البطاركة

....

(١) مرقس ٢ (٢) يعقوب (٣) سيمون ٢ (٤) يوساب (٥) خائيل ٢
(٦) قزمان ٢ (٧) شنوده ١ (٨) ميخائيل ١

....

(١) مرقس ٢ ـ البطريرك السابع والاربعون . بعد وفاة البابا يوحنا ٤ اجتمع الاساقفة والشعب الارثوذكسي بالاسكندرية وتشاوروا في من يقيمونه بطريركا فاتفقت كلمتهم على القس مرقس وكتبوا الى انبا ميخائيل اسقف مصر بشأنه فمضى الى الوالي يطلب منه الترخيص للمسيحيين بتكريس بطريركهم فأذن له .

ولما بلغ القس مرقس خبر اختيار الشعب له وهو من عائلة مشهورة في الاسكندرية بالشرف والتقوى عول على الهروب فارسل الانبا ميخائيل يفتش عليه حتى وجده وبعثه الى الاسكندرية وقدم في اليوم الثاني من أمشير سنة ٥٠٢ ش و٧٩٩ م في عهد خلافة هارون الرشيد . وحال جلوسه على الكرسي قرأ على الشعب حقيقة اعتقاد الارثوذكسيين واظهر ضلال المجمع الخلكيدوني .

وبعد تكريسه باسبوع كانت جمعة الرفاع فمضى الى دير الزجاج ليقضي فيه

ايام الصوم بالصلوات ومن هناك ارسل الى انبا ميخائيل اسقف مصر يخبره فيه بعزمه على الذهاب الى الوالي بعد عيد الفصح ليسلم عليه ويطلب منه الترخيص ببناء الكنائس المتهدمة . فلما جاء عيد الفصح قصد البطريرك فسطاط مصر ليسلم على الوالي فتلقاه الانباء ميخائيل باحتفال عظيم ثم استأذن في الدخول على الوالي فسر منه جداً واعجب بحسن كلامه ووعده بقضاء جميع مآربه وخرج من عنده يستشير أولاده في الأمر الذي يلتمسون من الوالي ان يجيبهم اليه فأقروا على طلب بناء البيع فزاروه في اليوم التالي والتمسوا منه ذلك فأعطاهم أمراً ببناء كافة البيع فاهتم البابا مرقس بالكنائس وعمر ما خرب منها

ثم سعى في تجديد العلاقات بين الكنيستين الاسكندرية والانطاكية وكتب سنوديقاً الى كرياكوس بطريرك انطاكية فتلقى منه جواباً حسناً . وعمل بعد ذلك على رد الضالين وكان حينئذ منهم قوم يعرفون باتباع بارسنوفة الذين لا رأس لهم السابق ذكرهم واستمروا لغاية البابا مرقس مصرين على انفصالهم فحزن عليهم وصلى الى الرب لكي يساعده على ردهم فسمع الله له وجاءه رئيسا تلك الشيعة مستغفرين عن ذنوبهما فاراد ان يختبر توبتهما فافهمهما ان ما نالاه من الرتب الكهنوتية بايدي الهراطقة باطل فقبلا ان يقبلهما بدون رتب كهنوتية ومن ثم أتى بهما ورسمهما اسقفين ببيعة مار مينا بمريوط في ١٥ هاتور احدهما لمدينة طنطا والثاني لاتريب (بجوار بنها)

فلما نظر البرسنوفيون ماكان من انضمام رئيسيهما للكنيسة الارثوذكسية كتبوا للبابا مرقس ايضاً لكي يقبلهم ويأتي اليهم ليكرس بيعتهم فلبى نداءهم وانطلق اليهم واظهر رضاءه عنهم وأقام لهم قداساً وناولهم من الاسرار المقدسة وكان فرح عظيم حتى انه بعد ايام رأى ان البيعة التي كرسها للبرسنوفيين ضيقة فدعا الصناع وانفق عليها حتى اتسعت ودعيت « بيعة البطريرك » ولما رجع الى الاسكندرية طلب منه وجهاء الشعب ان يبني بيعة السيد المخلص ويوسعها لأنها في وسط المدينة فاعتذر لهم خوفاً من ان تهيج عليه الاشرار ويسعوا ضده بالوشاية لدى السلطان ولكنهم ألحوا عليه فاجاب طلبهم وبدأ في تهيئة الكنيسة حتى أتمها بكل زينة فكانت موضوع فرح الارثوذكسيين وكدر

للخلكدونيين واجتمع الاساقفة وكرسوها في عيد الصليب في ١٧ توت

واعطى الله هـذا البابا موهبة اجراء الآيات والعجائب فكان يدهن الكثيرين من المرضى بزيت باسم السيد المسيح ويصلي عليهم فيبرأون عاجلا وكثيرون تم لهم الشفاء بصلواته . وفي تلك الايام اقام البابا رجلا على الخدمة البطريركية كان مملوآ حسداً لكل انسان وخصوصاً لكاتب البطريرك فكان يشيع عنه كل قبيح حتى وصل الخبر للبابا مرقس فطفق ينصحه بان لا يعود فيما بعد يذيع مذماته ولكنه لم يسمع النصيحة بل استمر في شره حتى كان يوم عيد نياحة البابا يوحنا لحضر ذلك الشرير وابتدأ يتكلم في حق الكاتب . فضجر منه البطريرك ولعنه ان كان ما يتكلم به زوراً فاقسم انه يتكلم حقاً ولأنه حلف كذباً أصيب سريعاً بالفالج الى يوم وفاته

وظهر في ذلك الحين جراد كثير في البحيرة والاسكندرية فأكل جميع أثمار الارض والكروم فحزن البطريرك وأمر جميع الشعب الارثوذكسي ان يخرجوا بالمباخر والصلبان والاناجيل ليسألوا الله ان يرفع عنهم هذا الغضب فما كادوا يصلون الى المكان الذي انتشر فيه الجراد وارتفع صوت صلاتهم حتى رأوه يتعالى الى الجو ويسقط في البحر

وبينما كان البطريرك راجعاً الى مصر وهو يفتقد رعيته اجتاز ببلدة تسمى اغروة نخرج الكهنة والشعب يستقبلونه بالاكرام كالعادة وكان بين المحتفلين به انسان به روح نجس فصرعه بين الناس فطلب البابا مرقس ان يقدم اليه ثم رسم على وجهه علامة الصليب وهو يصلي نخرج منه الشيطان وقام سالماً . ومع انه شفى كثيرين من مرضاهم كان هو نفسه مصاباً بمرض عضال استمر به اثني عشرة سنة دون ان يطلب الشفاء منه بل كان يشكر الله على الدوام الذي جربه نظير باقي اصفيائه

أما الشيطان فلم يطق ان يرى كنيسة الله ناجحة فأخذ يكيد لها وذلك انه في ذلك الحين هجم مسلمو الاندلس على مصر وبدأوا ينهبون كل ما تصل اليه أيديهم ويقبضون على النصارى ويبيعونهم كالعبيد لا فرق بين رومانى وقبطى . وقد أظهر البابا مرقس في هذه الازمة شجاعة نادرة المثال فكان يشتري كثيرين

من القسوس والشمامسة والعذارى والنساء والأولاد وبلغ عدد ما اشتراه منهم ست آلاف نفس . وكان عند ما يشتريهم يسلمهم كتب انعتاقهم حالا ويقول لهم من أراد منكم البقاء عندي أسلمه للمعلمين يعلمونه علوم البيعة ومن أراد الرحيل الى بلده ادفع له ما يوصله اليها . واستمر مثابراً على هذا الجهاد الحسن حتى شاع ذكر فضائله واقترن اسمه بكل مدح وثناء

وسلط الشيطان قوماً أشراراً على بيعة المخلص فاطلقوا يدهم فيها فنهبوا كل ما بها ولم يبقوا شيئاً وذلك لانهم كانوا قد رأوا جثث بعض موتاهم ملقاة على بابها فظنوا ان النصارى قتلوهم وأخذوا يضطهدونهم بشدة حتى لبس البابا مرقس في تلك المدة ثياب الحداد على ما لحق كنيسته من الويل ومع ما كان محيطاً به من الاخطار لم يتأخر لحظة واحدة عن اتمام واجباته وكان اولاده يأتون اليه معزين اياه ويسألونه الذهاب الى بيوتهم وهو يأبى حتى قام الارخن مقار النبراوي من كرسي سمنود ومضى الى عبد العزيز المتولي على المشرق واوقفه على ما أتاه الاشرار ضدهم ظلماً وكيف ان بطريركهم اضطر فراراً من الاضطهاد ان يختبيء مع اساقفته في أحد الاديرة المقفرة فأعطاه الوالي كتاباً ليأوي البطريرك اليه حتى يزول الخطر فاقام البطريرك بنبروه مدة

ومع ذلك لم يكن هذا البابا يتخلى عن الاهتمام بالبيع المقدسة واعادة الاعضاء التي افترقت من كنيسة انطاكية بواسطة ابرهيم المطران . وجرى حينئذ على برية الرهبان بوادي هبيب بلايا عظيمة ولما وصل خبرها مسامع البابا مرقس زاد حزنه فنظر الرب لكثرة همومه واراد ان يريحه من تعب هذا العالم فظهر له مرقس الرسول في رؤيا يقول له « افرح يا مرقس خليفتي لانك ستعتق من هذا الجسد » ولما استيقظ من النوم كلف الاساقفة بعمل قداس وتناول الاسرار المقدسة ثم أسلم الروح فكفنه الآباء والاساقفة ودفنوه ببيعة نبروه بعد ان أقام على الكرسي مدة عشرين سنة وقيل اكثر وكانت نياحته في الثاني والعشرين من برموده سنة ٥٢٥ ش و٨١٩ م وكتب في ايامه رسائل كثيرة

(٢) يعقوب ـ البطريرك الخمسون . كان قساً بدير أبي مقار ترك وادي

هبيب على أثر خراب الاديرة ومضى الى دير في طيبة وهناك تجلت له رؤيا علم منها ان الرب يدعوه للذهاب الى البرية المقدسة فعاد اليها مسرعاً

أما الارثوذكسيون فبعد موت البابا مرقس لحقهم حزن عظيم لاسيما لوفاته بعيداً عنهم وكان الخطر قد زال فاجتمع الاساقفة والشعب وطلبوا من الرب ان يرشدهم الى الراعي الأمين فذكر عدد غير قليل و بينهم القس يعقوب فاجمعوا على انتخابه واستدعوه من دير ابي مقار وهو لا يعلم وساروا به الى مدينة الاسكندرية وكرسوه بطريركا وهو يبكي في شهر بؤونه سنة ٥٢٥ ش و٨١٩ م في عهد خلافة عبدالله المأمون

وحال جلوسه على الكرسي قاوم اصحاب البدع ولاسيما اتباع المجمع الفاسد الخلكيدوني واتباع اوطاخي الذين ينكرون آلام المسيح بالجسد وفي بعض الايام قدم الاسرار المقدسة ليناول الشعب . وكان بعض الهراطقة قد حضروا للصلاة على سبيل التفرج واختلطوا بالارثوذكسيين فلما علم البابا بذلك رفع صوته بشجاعة قائلا « أية خلطة لاولاد الله مع اولاد بليعال » فخزي المخالفون وخرجوا جميعهم متسربلين بثياب الخجل وكان فيهم رجل موسر موظف بجباية خراج الاسكندرية وكانت له دالة عند الاندلسيين فمضى مسرعاً اليهم متكلما بحق البطريرك حتى غير قلب الوالي عليه وارسل الهرطوقي يهدد البطريرك قائلا له « سأفقدك السلام وأشتت شعبك حتى اذا رفعت صوتك في الكنيسة قائلا « السلام لكم » لا تجد من الشعب من يرد عليك « ومع روحك » غير ان البابا تنبأ قائلا له « الشر الذي تتوقعه غيرك لا بد يحل بك » وقد تم قوله اذ بعد قليل تشاجر الرجل المخالف مع آخر فقتله وسلب جميع ماله ووقع الرعب في قلوب باقي المخالفين وصار بطريركهم يوقر البابا يعقوب ويجله

وكانت اعمال هذا البابا تتقدم وتنجح الا ان الاخطار الاخيرة التي وقعت بالبيعة أورثتها فقراً عظيما فساعد البطريرك بعض المساعدة رجل قريب له من وجهاء نبروه ارسل اليه ما تحتاجه البيع . وقد زاده شعوراً بالفاقه مطالبة بعض الكنائس له بالخراج الذي كان مقرراً لها على البطريركية فلم يقو على اجابة طلبها وكان شماس اسمه جرجس بكنيسة الاسكندرية أخذ يتكلم معه بجسارة وطلب

منه ان يعود الى ديره اذا لم يقوم بتأدية خراج البيع فتألم منه البطريرك حتى لم يكد الشماس يصل الى بيته وقد أصابته حمى عظيمة قضت عليه عاجلا فاندهر المطالبون بالخراج وهدأوا

ولما جاء الصوم المقدس قصد دير أبي مقار ليقضيه فيه كما جرت عادة الآباء البطاركة واخذ معه للرهبان كل ما يحتاجون اليه من الخيرات . وكان في ايام رهبنته قد بدأ بعمارة هيكل على اسم القديس شنوده قبل هيكل القديس أبي مقار فكمله وجدد البيع ليأوى اليها الرهبان عوض البيع المتهدمة

فاغتاظ الشيطان من نجاح عمله وكان له شماس يعتني به ليقدمه في درجة الكهنوت فسولت له نفسه ان يتصرف تصرفاً سيئاً فكان يعمل ما يشاء بدون استئذان رئيسه ومن ذلك انه ضرب احد التلاميذ حتى مات فلما شاهد ذلك خفراء الدير شددوا على البطريرك ليعطيهم القاتل ليقتلوه فاجتهد البابا ان يخلصه فلم يفلح ولما علم الخفراء انه يعتنى به طلبوا منه مالا جزيلا ولما لم يكن معه ساعده الاساقفة والشعب حتى وفى ما طلبوه وخلص الشاب من ايديهم

ثم قصد البابا يعقوب الصعيد ليفتقد الشعب والاديرة فقوبل بمقابلة عظيمة، وبعد ذلك جاء اليه رجل كان رئيساً على بعض البلاد يدعى عبد العزيز وطلب منه ان يرسمه اسقفاً فلم يرض ان يخرج على قوانين البيعة فاغتاظ عبد العزيز وطاف بلاداً كثيرة يضطهد اهلها ويذلهم حتى أوقع بلايا شتى بأناس كثيرين ولذلك طلب الارخن مقار النبراوى من البطريرك ان يرسمه وكان عبد العزيز قد توعد امام مقار قائلا « ان لم يجتمع بي البطريرك أهدم البيع واقتل الاساقفة » فسار اليه يعقوب يصحبه القس يوساب الذى صار فيما بعد بطريركا ولما كان يوساب خائفاً من مواجهة عبد العزيز هدأ البطريرك اضطرابه وقال له «لا تخف فاننا لا نشاهده حياً » وفعلا فقد جاء الخبر بانه بينما كان شارعاً في هدم أحد الحصون وقع عليه حجر قضى على حياته الشقية

ثم تولى بعده ولده المدعو علي فمنع الظلم واستراح الكثيرون ورجع الرهبان الى وادى هبيب بعد هروبهم منه ورأى البابا يعقوب ان هيكل القديس شنوده لا يسع الرهبان فبني بيعة باسم أبي مقار وكرزها في اول يوم من برموده

وكان يوم تذكار للبطريرك

وكان مقار النبراوي يشتهي ان يرى البطريرك فدعاه الى منزله ليبارك عائلته فجاء اليه البطريرك وعمل له وليمة عظيمة وقدم صدقات كثيرة وبينما كان السرور شاملا مرض ابن الارخن ومات فجزع الجميع أما البطريرك فأظهر السكون التام وطلب الغلام ورسم على وجهه علامة الصليب وصلى لاجله فرد الرب اليه الحياة ومجد الجميع الله وزاد الارخن في عمل الخير نحو المحتاجين ودفع ثلث ماله للارامل والايتام وبنى في مدينة اورشليم بيعة لاستراحة الارثوذكسيين وهي تعرف ببيعة المجدلانية وتعهد بان لا يرد لأحد سؤالا ولا يغلق بابه في وجه أحد

ولما انتشر ذكر البابا يعقوب واشتهرت اعماله الصالحة سمع به الآب ديونيسيوس بطريرك انطاكية واشتهى ان يراه وجهاً لوجه ولم يمنعه سوى كثرة الحروب التي استمرت قائمة في ارض مصر اربع عشرة سنة . واتفق له فيما بعد المجيء الى مصر مرتين الاولى ليحتج امام عبدالله بن طاهر والي مصر على تصرفات أخيه في اديسا حيث بلغ من الظلم والغشم مبلغاً عظيما وقد تحصل ديونيسيوس على جواب من عبدالله لأخيه يحذره فيه من اتيان أي تعد على الكنائس في انطاكية . ونزل بطريرك انطاكية في مدينة صان (شرقية) فخرج سكانها وعددهم نحو ثلاثين ألف قبطي يتقدمهم البابا يعقوب والاساقفة واستقبلوا الآب ديونيسيوس استقبالا عظيما حتى كتب هذا البطريرك بعد رجوعه لكرسيه عن الاقباط يقول « وجدت بطريركهم واساقفتهم اتقياء ورعين متواضعين يحبون الله ويخافونه من كل قلوبهم وقد اكرموا مثوانا وأظهروا لنا كل بشاشة ولطف مدة وجودنا في مصر مما نشكرهم عليه شكراً مستفيضاً »

وكان البابا يعقوب يعلم ان تلميذه يأتي اعمالا بغير ارادته فدعاه اليه ونصحه بعدم الاستمرار في طغيانه خوفاً من وقوع بلايا على الكنيسة فلم يطع قوله وأصيبت الكنيسة بنكبة فشدد الوالي على البطريرك في طلب الخراج ولم يكن معه فاضطر ان يقدم له أواني البيعة . غير انه بينما كان الصائغ يكسر كأساً مقدسة جرحت يده وسال منها دم كثير فخاف الوالي ومن معه وامر ان لا يكسر منها شيئاً وأعادها الى البطريرك وشدد عليه في دفع الخراج فنالته صعوبة شديدة

حتى وفاه . وبعد ذلك عزل الوالي وأصيب بمرض عياء فكلف أولاده ان يردوا المال للبطريرك ففعلوا كما اوصاهم

وتولى على جباية الخراج رجل يدعى ايليا بن يزيد وفي ايامه تنيح اسقف بالصعيد على كرسي قاو فاوفد اهل المدينة انساناً للبطريرك ليقيمه عوضه فخشي الرجل ان يمتنع البطريرك عن رسامته فمضى الى الجابي وقدم له مالا ليأمر البطريرك برسامته فأبى البطريرك مخالفة القوانين الكنسية ولكن الاساقفة خوفاً من حدوث ضيق على البيعة بسبب ذلك ألزموه بان يرسمه ولكن هذا الاسقف لم يكد يصل الى ابروشيته حتى مرض ومات

وبعد ذلك توجه البابا يعقوب لافتقاد الكنائس والشعب ولما وصل الى ضيعة تسمى تسمت احضروا له شاباً به شيطان قد أخرسه وأصمه وسألوه ان يضع يده عليه فصلى ودهنه بزيت فخرج منه الشيطان فوراً وتكلم وسمع . ثم اشتهى البطريرك ان يقيم بمدينة تنتدا اياماً قليلة لدى مروره عليها وهو يطلب من الله ان يريه من سيكون خليفة له فعلم ان انه تلميذه سيمون

وكانت عادة هذا البابا اذا اراد ان يقيم اسقفاً ان يسهر ويصوم حتى يظهر له الله اعماله وكان يحفظ ايام نياحة الآباء البطاركة من مرقس الرسول الى مرقس ابيه بالروح ويعيد لهم . ثم اراد السيد المسيح ان يخلصه من مشقات الحياة فاعتل وضعفت قوته وتنيح في ١٤ امشير سنة ٥٤٤ ش و٨٣٦ م وليلة موته سمع يقول في الساعة الرابعة من الليل « يا أبوي ديوسقوروس وساويرس ها أنذا أجى اليكما » وكانت مدة جلوسه على الكرسي ١٨ سنة و١٨ شهراً ودفن حيث توفى بتنتدا

(٣) — ٢ـ البطريرك الحادي والخمسون . ولما تنيح البابا يعقوب

قدم بعد مدة يسيرة عوضه الآب سيمون وهو من مدينة الاسكندرية من اصل شريف وكان مقيماً بقلاية البطريرك وتربى منذ صباه مع البابا مرقس . ولكن البابا سيمون لم يقم على الكرسي المرقسي سوى خمسة شهور و١٦ يوماً وتنيح في ٣ بابه سنة ٨٣٧ م على قول من روى انه عاش هكذا وسنة ٥٤٨ على

قول من روى انه عاش ثلاث سنين وسبعة أشهر وقضى مدة رئاسته كلها وهو مصاب بداء المفاصل يتوجع منه وجعاً شديداً الى ان اسكنه الرب الراحة الأبدية .

وبعد نياحة البابا سيمون اجتمع الاساقفة واعيان الطائفة ليقيموا عوضه فاختلفت كلمتهم وذلك لان اهل الاسكندرية افتكروا ميلا منهم للمجد العالمي ان يقيموا رجلا علمانياً (متزوجاً) لانه كان غنياً وذا اعتبار يدعى اسحق وكان على رأس هذا الحزب زكريا اسقف اوسيم وتادرس اسقف مصر وكلفاه ان يكتب كتاباً لكهنة الاسكندرية يمدحهم فيه بالخير الجزيل

وكان في ذلك الزمان اساقفة قديسون يغارون على بيعة الله منهم انباميخائيل اسقف بلبيس وانبا ميخائيل اسقف صا وانبا يوحنا اسقف بنا وغيرهم فلما بلغهم ما نوى عليه الاسقفان واهل الاسكندرية اجتمعوا وتوجهوا الى الاسكندرية ووبخوا الذين فكروا بانتخاب رجل متزوج مخالفة للشريعة . ووفقت النعمة الالهية حينئذ ان يذكر قس فاضل يدعى يوساب كان مقيماً ببيعة ابي مقار فاتفقت عليه كلمتهم وارسلوا وفداً يستدعيه وقالوا اذا كان الرب قد اختاره نجد باب قلايته مفتوحاً ولما وصلوا اليه الفوه قائماً يغلق باب قلايته خلف تلاميذه وقد خرجوا ليملأوا الماء وقالوا له انك تدعى للبطريركية فبكى بكاء مراً وامتنع فأخذوه عنوة في اليوم الثاني عشر من هاتور عيد الملاك ميخائيل وودعه آباء الدير بحزن عميق وساروا به حتى أتوا الى الاسكندرية واعلموا الوالي وكان اسمه عبدالله بن يزيد باختيارهم لهذا الآب وطلبوا اخذ رأيه قبل تكريسه فامتنع لان اسحق المذكور كان قد وعده بألف دينار اذا جلس على الكرسي ثم قال لهم اذا اردتم ان يرسم هذا بطريركا فاعطوني ماوعدني به اسحق .

فلبث الآباء الاساقفة في منزل الوالي متوسلين حتى يصادق لهم على الانتخاب وهو يأبى طالباً منهم المال حتى أغضبهم ففهموه انهم ليسوا تحت سلطانه بل تحت سلطان والي مصر وعرفوه انه اذا لم يقرهم على رأيهم ينطلقون الى فسطاط مصر ويطلبون من واليها ترخيصاً فلما رأى ثباتهم اذن لهم فاجتمعوا في بيعة مارمرقس

وتمموا الرسامة في ٢١ هاتور سنة ٥٤٨ ش و٨٣٧ م في عهد خلافة المأمون وخلافة محمد المعتصم

(٤) يوساب — البطريرك الثاني والخمسون . كان من ابوين فاضلين بمدينة منوف العليا معروفين لدى الحكام و بعد موتهما تركا له ثروة طائلة و بقي يوساب يتيماً حتى نظر اليه ارخن تقي كان متولياً بادارة مصر اسمه تادرس من نيقيوس فأخذه اليه ليصيره له ولداً فاقام عنده مدة حتى رأى في نفسه شوقاً للمعيشة النسكية فأخبر الأرخن بعزمه ولما لم يقدر ان يحوله عن غرضه ارسله الى مدينة الاسكندرية الى البابا مرقس وكتب له كتاباً يذكر له فيه تاريخ حياته . وقبل قيام يوساب الى البطريرك وزع كل امواله على الفقراء والمساكين

ففرح به البابا مرقس وسلمه الى شماسه ليعلمه الكتابة باللغة اليونانية فكان ذكياً غير انه لم ينثن عن عزمه فلما اقام عند البطريرك مدة التمس منه ان يسمح له بالذهاب الى البرية فسر من ميله الصالح وارسله سريعاً الى دير ابي مقار ووضعه تحت ارشاد ايغومانوس يدعى بولس وفي سنة ٧٩١ م استحضره البطريرك فاقام عنده مدة ولما اراد الرجوع الى البرية رسمه قساً وارسله فمكث هناك مدة من السنين . ولما اعتل الشيخ بولس معلم يوساب وقف على خدمته بدون انقطاع ليلا ونهاراً وتحصل على بركته وقبل وفاته تنبأ عنه بانه سيكون رئيساً للكرسي وينال تعباً جزيلا

وحال رسامة هذا البابا كانت البيعة تنوء تحت عبء فقر مدقع فشرع يغرس كروماً وينشيء طواحين ومعاصر ولكن بعد قليل اخذت نبوة الشيخ تتم اذ انتشر وباء عظيم في شرقي مصر وغربيها وحدث غلاء فاحش فأصيب من اهوالهما الكثيرون من رعية البابا يوساب وناله حزن عظيم على ما جرى لهم وهو يدعو الله ان يرفع هذه الويلات عنهم . ولشدة التجارب التي اكتنفته لم يتمكن من مكاتبة بطريرك انطاكية مع انه كان يشتهي ان يجدد العلاقة بين الكنيستين ولكنه لم يجد يوماً واحداً يستريح فيه ويتمم هذه الامنية المقدسة

وحدث ان اسقفاً على كرسي تنيس يدعى اسحق سعى به بعض شعبه بكلام

ردىء لدى البطريرك وطلبوا منه خلعه والاهجروا الارثوذكسية . وبمثل ذلك تصرف اهل مصر مع اسقفهم وتوعدوا برجمه ان لم يرفعه البطريرك من ابروشيتهم . فكان ذلك سبباً في زيادة احزان هذا البطريرك التعيس فصلى الى الرب ان يثبت شعبه وكهنته وطلب جميع الاساقفة من كل الاماكن واوقفهم على ما جرى فرأوا حفظاً لسلام الكنيسة ان يرفعوا الاسقفين من كرسيهما وكان البطريرك يتنهد على ما جرى

وجرى ان اهل البشمور خرجوا على الحكومة وجاهروا بعصيانهم فكتب الوالي الى الخليفة المأمون يأخذ رأيه في ذلك وكان الخليفة محباً للنصارى بسبب معاشرته لعلمائهم فحضر الى مصر ومعه ديونيسيوس بطريرك انطاكية فلما علم البابا يوساب بخبر مجيئهما سار الى الفسطاط ليسلم عليهما ففرح به كلاهما ثم كلفه الخليفة ان يقوم بديونيسيوس بطريرك انطاكية الى اهل البشمور ليقنعاهم بالخضوع له بالحسنى والا يسلط عليهم سيف انتقامه

فقام البطريركان وسارا الى البشموريين وأخذا ينصحانهم ويوبخانهم على افعالهم ولما لم يسمعوا لقولهما ويخضعوا لمشورتهما رجعا الى المأمون واخبراه باصرارهم على العناد فأرسل اليهم افشين الوالي ليقنعهم بالقوة . ثم سأل الآب ديونيسيوس عما دعاهم الى العصيان فتأسف وحدث الخليفة بما سمع من ظلم الولاة فقال له المأمون لاتفه بمثل هذا الكلام لان متولي الخراج كانوا من قبل أخي المعتصم ولو سمع ما قلت لما أبقاك بمصر ساعة واحدة . فاسرع الآب ديونيسيوس ليودع البابا يوساب وعيناه تفيض بالدموع وسافر عاجلا . وبعد رحيله بلغ المعتصم الخبر فارسل وراءه من يقتله ولما لم يتمكن من العثور عليه غضب جداً . وبعد ان توفى المأمون وملك المعتصم عوضه هرب الآب ديونيسيوس ولم يقم بانطاكية حتى عاهده الخليفة على ان لا يقتله فرجع اليها

ولما كان البابا يوساب بمصر رأى ان اسحق الذي كان مرشحاً نفسه للبطريركية محتقراً من جميع الطبقات فاحب ان يوآسيه فدعاه اليه وطيب خاطره بالكلام الحسن وقلده وكالة البطريركية فانشرح صدره واعلن خضوعه له ولما حضروا في بيعة السيدة العذراء بقصر الشمع يوم عيد الشعانين رسم الارخن اسحق

شماساً امام عدد كبير من الشعب

ولما كان المأمون بمصر اعطى البابا يوساب فرماناً بخط يده باقراره رئيساً عاماً روحانيا على الامة القبطية وجميع كنائس مصر وخدامها غير انه لم تكد تنتهي هذه الحوادث حتى دخل الشيطان في نفسي اسقفي مصر وتنيس المقطوعين فضيا الى افشين الوالي بعد ان قمع ثورة البشموريين ودسا اليه بان البطريرك هو الذي حرض البشموريين على العصيان واخبراه انه مجتمع في البيعة مع ما لا يحصى من الشعب وكلهم طوع امره . وكان الافشين حينئذ سكرانا فغضب ووجه أخاه الى البيعة بجند كثير ليحضر البطريرك ليقتله فسار امامهم اسحق اسقف تنيس حتى دخلوا البيعة واشار الى البطريرك وكان في الهيكل فدخل اليه اخو الافشين ليأخذ رأسه امام المذبح فسقط السيف من يده على عامود رخام وانكسر فاشتد غيظه واستل مدية كانت معه وطعنه بها . فاضطرب جميع المصلين وصاحوا بصوت عظيم متوهمين انه مات ولكنهم عند ما اقتربوا اليه وجدوا السكين قد مزقت ثيابه وقطعت منطقته ولكنها لم تمس جسده

فلما نظر اخو الافشين هذه الاعجوبة اخذه ليمضي به الى اخيه كما أمره وفيما هم يجذبونه تعلق به الشعب وهم يبكون فهدأهم وخرج وهم يتبعونه فغضب اخو الوالي ورفع يده وضربه بسوط على رأسه فانجرحت عيناه ودخل الى الافشين وحدثه بخبره مع الاسقفين وكيف انه قطعهما ولكي ينتقما منه دبرا له هذه المكيدة . فلما تحقق الافشين برأة البطريرك استشاط غيظاً على الاسقفين وعول على الانتقام منهما فتقدم اليه البطريرك حينئذ وطلب منه العفو عنهما كما تأمر ديانته فتعجب الوالي من هذه المبادىء السامية واطلق الاسقفين . ولما بلغ الخليفة خبر هذه الحادثة ارتفعت قيمة البابا يوساب في عينيه وأمر باكرامه .

وبعد ذلك اراد البطريرك ان يرسم اسقفين لابروشيتي مصر وتنيس عوض المقطوعين فرسم اسحق الارخن الذي صيره شماساً ونائباً عنه اسقفاً على اوسيم ورسم آخر اسمه ديمتريوس على تنيس وبقي فسطاط مصر تحت تدبير اسقف اوسيم الذي استمر مشرفاً على الكرسي الى نهاية حياته

ثم وجه البطريرك نظره نحو الحبشة والنوبة وافتقدهما برسائل بعثها يستفسر فيها عن حال الكنائس فيها ولم يتمكن من انجاز مشروعات مهمة بسبب الخلاف الذي كان قائماً بين ملوك الحبشة وولاة مصر وهو يطلب من الله ان يحل السلام ليبلغ غرضه . ولبثت الحرب قائمة بين الفريقين اربع عشرة سنة وبعد ارسل الخليفة المعتصم لجعل حراساً على الطريق التي بين مصر وبين النوبة والحبشة وكان ملك النوبة حينئذ يدعى زكريا فكتب اليه المعتصم يطلب منه ان يدفع خراج اربع عشرة سنة والا أشهر عليه السيف . وكان لوالي مصر كاتب بالصعيد يسمى جرجس فكتب للبطريرك يعرفه بما جرى فانتهز هذه الفرصة وارسل كتاباً لملوك الحبشة يعرفهم فيه انه انقطع عن الكتابة اليهم بسبب ما حل به من الاضطهاد ونصحهم بتجنب الخلاف مع المسلمين وهذه الرسالة بلغها لزكريا بواسطة والي اسوان

فلما وصل كتاب الخليفة الى ملك النوبة ارسل ابنه الى مصر بهدايا جزيلة وابتعد عن التحزب اكراماً لخاطر البطريرك . فاستقبل البابا يوساب جرجس بن ملك النوبة بفرح عظيم ثم ودعه ليقوم الى الخليفة ببغداد فتلقاه المعتصم باحترام زائد وانتهى الخلاف على ما يرام

وكان في بلاد الحبشة حينئذ اسقف يدعى يوحنا وسم بيد البابا يعقوب وحدث ان ملك الحبشة انهمك في حرب فعمد اهل البلاد الى طرد الاسقف من البلاد بايعاز الملكة واقاموا آخر عوضه . فأتى يوحنا الى مصر ونزل في دير البرموس الذي ترهب فيه بوادي هبيب . وبعد قيامه من الحبشة أصيبت بنكبات مختلفة ورجع الملك وهو لا يدري ما جرى فلما وقف على الخبر ارسل حالا الى البابا يوساب معلناً خضوعه له ومعتذراً عن ضلال القوم ومخبراً اياه بما اصاب البلاد من الأوبئة وتأخير المطر بعد ترك الاسقف يوحنا لها والتمس السماح بعودة الاسقف على جناح السرعة . فاستدعى البطريرك يوحنا وعزاه وثبته ودفع له نفقة السفر وسيره الى الحبشة ففرح به الملك فرحاً عظيماً وعمل الشيطان في قلوب بعض الاشرار فتقدموا الى ملك الحبشة طالبين منه ان يأمر الاسقف بالاختتان اسوة بهم والا طردوه ثانياً نخشي الاسقف من تعب الطريق

اذا رجع لمصر ثانية ووافقهم على ما طلبوا

ثم اهتم البابا يوساب برسامة اساقفة كثيرين أوفدهم الى كل موضع من كرسي مار مرقس الرسول الى افريقية والخمس المدن ومصر والحبشة والنوبة . ولم يكد يشعر بالسرور حتى بلغه خبر من الخليفة يأمر به والي مصر ان يجرد الكنائس من زيناتها ويأخذ منها الاعمدة الرخام . وكان وصول ذلك الامر وتدبيره بواسطة رجل نسطوري يدعى لعازر . ولما وصل مصر اجتمع عليه امثاله من الهراطقة الخلكيدونيين المقيمين بالاسكندرية ولم يكفوا عن السعي ليلاً ونهاراً يحسنون له هدم البيع ويرشدونه الى ما فيها من الاعمدة حتى أتوا الى بيعة الشهيد مار مينا بمريوط واوقفوه على جمال رونقها فتعجب وبهت من حسن زينتها وقال هذا ما يحتاج اليه الخليفة

فلما بلغ الخبر البطريرك تقدم اليه وقال له هوذا كل الكنائس امامك فافعل بها كما أمرك الخليفة فقط ارجو منك ان تحفظ هذه الكنيسة ومهما طلبته مني اعطيك فأبى المخالف سماع كلامه وشرع في أخذ الرخام الملون والبلاط النادرمن تلك البيعة . ولما وصل الرخام الى مدينة الاسكندرية لحق البطريرك والشعب حزن عظيم واهتم البابا يوساب باصلاح ما عبثت به أيدي الاشرار من كنيسة مريوط وساعده الرب حتى أعاد اليها بهاءها الأصلي

وقد انتقم الرب من لعازر المذكور انتقاماً مريعاً فأصيب بداء عضال القاه طريحاً في الفراش لا يقوى على الجلوس أو القيام مدة طويلة ناله فيها فقر مدقع وضنك شديد حتى اضطر ان يلتجيء الى البابا يوساب ويلتمس منه الصلاة لاجله فقابل البطريرك شره بالخير وعداوته بالمحبة وأواه عنده ولكن كلمة الرب كانت قد نفذت فيه فراح ضحية قساوة قلبه واهانته مقادس العلي

ومن المخالفين الذين كانوا بمدينة الاسكندرية رجل خلكيدوني من ذوي اليسار خرج يوماً ليتنزه في كرومه فوجد احدى سواقيه مكسورة فطلب لها نجاراً فقيل له عن عن نجار شيخ وكان يوم الجمعة العظيمة فأبى النجار ان يشتغل في ذلك اليوم الذي صلب فيه مخلص العالم فأخذ الهرطوقي يجدف بكلام رديء على كلمة الله فوبخه الشيخ ومضى الى البطريرك بوادي هبيب وروى له الخبر فتنبأ

البابا يوساب قائلا « تخرس الشفاه المتكلمة بالالحاد » وبعد وقت وجيز أصيب ذلك الخلكيدوني بالفالج وانقطع لسانه عن الكلام الى يوم وفاته حتى اضطر بطريرك الملكيين المدعو صفرون ان يوقر البابا يوساب ويحضر عنده ليسلم عليه .

وحدث بعد ذلك ان توفى الانبا اسحق اسقف اوسيم فاقيم مكانه الشماس يوحنا بسؤال وجهاء مصر وقدم على كرسي اوسيم الشماس بقيرة ولكنه تنيح بعد مدة وجيزة وكان للانبا اسحق تلميذ يدعى تادرس كان يلتمس كرسي اوسيم بدون رضاء الشعب فامتنع البطريرك عن رسامته فترك تادرس خوف الله واستعان بعلي بن يحيى الارمني الوالي وتوسل اليه ان يلزم البطريرك برسامته فابى البابا يوساب مطلقاً ان يثلم قوانين الكنيسة فحنق عليه الوالي حنقاً عظيما وشرع في هدم بيع فسطاط مصر وبدأ بهدم بيعة « المعلقه » القائمة بقصر الشمع فهدم أعلاها والبابا يوساب يبكي بكاء مراً وأخيرا تقدم اليه قوم وطلبوا منه ان يعدل عن رأيه خوفاً من ضياع البيع ويرسم ذلك الانسان وهو مسئول عن نفسه . فلم يكف الوالي عن الغضب بل طلب ثلاثة آلاف دينار مقابل عدم هدم البيع . فقلق الشعب والاساقفة وقسطوا المال عليهم حفظاً للبيع فهدأ غضب الوالي وأمر برسامة الاسقف فرسم غير ان الله انتقم من الوالي شر انتقام فقتل في الحرب بعد قليل

ودخل الشيطان قلب يوحنا اسقف مصر فكان يطلب من البطريرك ان يرفع رتبته وكان حينئذ بمصر قاض يدعى محمد بن عبدالله رجل شرير قاس وكان يمقت المسيحيين ويجدف على عبادتهم فصاحبه اسقف مصر ليتمكن به من الحصول على أمانيه وملأ قلبه بالغيظ على البابا يوساب ففكر القاضي في أي سبيل يسلكه ليسيء الى البطريرك

وذات يوم دعاه اليه وكان خبر اتفاق اسقف مصر معه قد بلغ مسامعه فاستند على ذراع القدير وأتى اليه فوجد معه جملة اساقفة انحازوا لاسقف مصر فلما مثل البطريرك امام القاضي سأله بحدة قائلا « من الذي جعلك رئيسا على كافة النصارى » فاجابه البطريرك عاجلا « الله » فالتفت القاضي الى الاساقفة

وقال لهم عليكم من الآن أن تنكروا رئاسة هذا عليكم مكتفين برئاسة اسقف مصر » فأظهروا الطاعة ومن ثم وبخهم البابا يوساب باللغة القبطية على ضلالهم وكان أحد علماء المسلمين الجالسين يفهم تلك اللغة فابلغ القاضي ما قاله البطريرك فغضب منه وقال له « هل لك أن تقاوم سلطاني » فاجابه البابا بشجاعة « اذا استطعت ان تحجب ضوء الشمس بكفيك أمكنك أن تفعل ما أمرت به لان بيدي اعتماداً من الخليفة وهؤلاء الاساقفة تحت سلطاني ولي الخيار في عزلهم اذا انحرفوا عن جادة الصواب » فهدأ القاضي وطلب منه أن يطلعه على الاعتماد وكان بيد البابا يوساب اعتمادات منحت له من الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق فلما وقف عليها القاضي أطلقه بكرامة فخرج البطريرك وهو يطلب من الله لاجل الاساقفة قائلا « يارب لا تقم لهم هذه الخطيئة »

ولم يكد يسلم من هذه التجربة حتى أثار عليه الشيطان غيرها وذلك انه كان من عادة البطاركة ان يبعثوا ارساليات الى بلاد الحبشة وغيرها من افريقية وكانت تلك الارساليات تؤلف من شبان من افريقية كان ملوك الحبشة والنوبة يهدونهم الى البطاركة رجاء تعليمهم قواعد الدين المسيحى وارسالهم ليكرزوا بين المسيحيين وغيرهم فى بلاد افريقيا . فكان البابا يوساب يعتنى بتعليم هؤلاء الشبان ففتح لهم مدرسة في البطريركية واهتم بان يقدم لهم جميع حاجاتهم فبسعاية اسقف مصر المقطوع علم القاضي بأمرهم فأرسل من أتى بهم اليه من البطريركية رغماً واستدعى البطريرك وعنفه قائلا « لاينبغى لك ان تختطف أبناء المسلمين لتنصرهم » فاجابه البابا « هؤلاء نصارى أولاد نصارى ارسلوا الي من ملكى النوبة والحبشة » فأتي القاضي بالاولاد امام البطريرك ولعظم التهديد اعترفوا بالاسلام امامه وهو يذرف الدموع السخينة . فقال له القاضى « هاهم قد اصبحوا مسلمين فخذ ثمنهم واتركهم » فاجابه « لا يصح لي ان اعمل على استعباد الاحرار اما انت فسيطالبك الرب ويقاضيك على ذلك » فأمر القاضي باقتسام الاولاد بين اعيان المسلمين فاتخذوهم عبيداً وخداما

وفي السنة الخامسة عشرة من بطريركية البابا يوساب اي في سنة ٥٦٢ ش توفى الآب ديونيسيوس بطريرك انطاكية واقيم عوضه آخر اسمه يوحنا وكان

رجلا كاملا فكتب رسالة محبة الى البابا الاسكندري كالمادة وارسلها مع مطراني اوفيمية وحمص فتلقاها بسرور وقرأها على مسمع الشعب وكان لذلك القاضي المذكور نائب بالاسكندرية يفوقه ظلماً وشراً يدعى محمد بن بشير فاشار عليه بعض الاشرار ان يهين البطريرك أمام المطرانين السوريين فاطاع مشورتهم واستدعاه اليه مع المطرانين وسأله عن الغلمان الذين أمره قاضي مصر بعدم قبولهم فاجابه لم أرهم منذ أخذوا مني فأمر به فضربه الجنود على رقبته بغير رحمة ولكموه لكما موجعاً مدة طويلة ولبثوا يضربونه وهو مطرق برأسه لا يرفعها ولم يسمع منه سوى قوله « اشكرك يا سيدي يسوع المسيح » فبكى جميع المشاهدين وتعجب المطرانان من ثباته وبعد خروجه من حضرة القاضي كتب رسالة لبطريرك انطاكية وودع رسوليه وهما يطوبانه على حسن جهاده

وفي السنة الثامنة عشرة من بطريركيته ولي على مدينة الاسكندرية هرثمة بن نصر وكان ظالماً عاتياً فأتى هو وسراريه الى البطريركية وأكل وشرب معهن ثم قام وطاف جميع مساكن البطريركية حتى انتهى الى المخدع الذي يضطجع فيه البابا فطرده منه وادخل سراريه اليه ونام معهن فيه . فانتقم منه الله بمرض اصابه في احشائه واوقفه على حافة الموت . وبعد وشي اليه بان ملوك الروم يعطون البطريرك مالا وهو يكاتبهم ويحثهم على المجيء لمصر فأمر باعتقاله في موضع ضيق وعول على معاقبته الى ان يدفع له ألف دينار وما زال يعذبه وهو صابر حتى استقر الحال على اربع مئة دينار

وفي اثناء ذلك كانت ضربة القاضي تزاد كل يوم والدم يتدفق من جسمه دون ان يستريح ليلا ونهاراً وضاعت فيه حيلة الاطباء واستمر يتهدد البطريرك حتى دفع المبلغ ولم يكد يستلمه حتى أذيع خبر موته وخرج البابا من السجن محفوفاً بالاكرام واستمر مجاهداً ومحتملا التعب حتى اراد الرب ان يريحه من هذا العالم فنقله اليه في اليوم السابع من مرضه وتنيح في ٢٣ بابه سنة ٥٦٧ ش و٨٤٩ م وكان يوم احد وقت تناول الاسرار . وكانت مدة قيامه على الكرسي ١٢ سنة وقيل ١٨ و١١ شهراً

وقبل موته كان قد تنبأ بان الله سيعاقب قاضي مصر على ظلمه فتم قوله

وارسل الخليفة رسولا من قبله ليكشف احوال مصر فوقف على مظالم القاضي فأخذه وحلق لحيته ورأسه وأشهره في شوارع مصر ونهب كل ما جمعه ظلماً ثم نفاه ببغداد وظل منفياً حتى موته . ولما سمع قاضي الاسكندرية بذلك هرب سراً ولم يعد يسمع عنه خبر

(٥) خائيل ٢ — البطريرك الثالث والخمسون . وبعد ان تنيح البابا يوساب أقرت جميع اصوات الكهنة وابناء الامة على اختيار الآب خائيل من دير ابي يحنس خلفاً له وسيم بطريركا في ٢٤ كيهك في نفس السنة التي توفي فيها سلفه في عهد خلافة المتوكل بن المعتصم ولم يكد يجلس على الكرسي حتى تعرض له الولاة الظالمون طالبين منه مبالغ طائلة على سبيل رشوة او يمنعونه من الجلوس على الكرسي فاضطر ان يبيع ذخائر الكنيسة ويوفي المطلوب . ولم تطل مدة هذا البابا سوى سنة واحدة وخمسة أشهر لم يحدث في خلالها ما يستحق الذكر سوى ما جرى على طائفته من الاضطهاد ثم توفي في ٢٢ برمودة سنة ٥٦٨ ش و٨٥١ م

(٦) قزمان ٢ — البطريرك الرابع والخمسون . وبعد وفاة البابا خائيل اجتمع مجمع الكهنة والاعيان وانتخبوا بالاجماع لكرسي البطريركية الآب قزمان من رهبان دير ابي مقار وتمت رسامته في ٢٤ ابيب في نفس السنة التي توفي فيها سلفه في عهد خلافة المتوكل وهو من سمنود وجرت في ايامه اضطهادات عنيفة وسنت قوانين صارمة ضد المسيحيين

وفي ايام هذا البابا امر قيصر الروم بمحو الصور من الكنائس فبعث اليه هذا البابا وناظره حتى اقنعه ورجع به الى حسن الاعتقاد فرسم باعادة الصور الى ما كانت عليه . ولبث البابا قزمان على كرسي البطريركية سبع سنوات وسبعة أشهر و١٣ يوماً ثم توفي في خلال تلك القلاقل التي كانت تهدد سلام طائفته وكانت نياحته في ٢١ هاتور سنة ٥٧٦ ش و٨٥٩ م

(٧) شنوده ١ — البطريرك الخامس والخمسون. وبعد نياحة البابا قزمان

حدث اختلاف بين الاساقفة في من يخلفه ولكنهم عادوا واتفقوا على تقدمة الآب شنوده من رهبان دير ابي مقار وأصله من البتنون واتفق انه دخل الكنيسة فجأة في وقت تلاوة القداس وكان الكاهن يقول «مستحق وعادل» فسر الشعب لهذا الاتفاق واعتبروه صوتاً سماوياً يزكي الاب شنوده فاجروا تكريسه في ١٣ طوبه في السنة التي توفي فيها سلفه في عهد خلافة المتوكل في كنيسة القديس ابي مرجه

وكان هذا البابا عالماً تقياً فحالما استلم عصا الرعاية سعى جهده في ملاشاة البدع وابادة المرطقات من بين المؤمنين . وكان أهالي قرية في مريوط لا يزالون متمسكين ببدعتي ابوليناريوس واوطاخي فسار اليهم وأرشدهم الى الاعتقاد الصحيح حتى أتى بهم الى الرأي الصواب ثم قصد الوجه القبلي ليفتقد رعيته فوجد نصارى البابنا قد خرجوا على اسقفيهما واعتنقوا بدعتي سابليوس وفوتيوس اللذين كانا يعتقدان بآلام لاهوت المسيح وقت الصلب فأخذ يقنعهم من أقوال الاباء القديسين بخطأ اعتقادهم وطلب منهم الانقياد لاسقفيهم اللذين حادوا عن تعليمهما ولبث يرشدهم حتى عادوا الى حضن الكنيسة

غير انه في عهد الخليفة المنتصر تولى مصر يزيد بن عبد الله سنة ٨٦١ م وكان هذا الوالي ظالماً قاسياً فأتى بالبابا شنوده اليه وأمره أن يدفع له خمسة آلاف دينار وقرر عليه ان يقوم بدفع مثل هذا المبلغ سنوياً . ولما أدرك البابا شنوده انه ليس في طاقته القيام بدفع مثل هذه الضريبة الفاحشة لاذ بالهروب واختفى في أحد الاديرة البعيدة. ولما لم يعرف الوالي مقره شرع ينهب الكنائس ويسلب الكهنة ويهين الرعية فلما سمع البطريرك بان أولاده يعذبون مضى الى الوالي وسلم نفسه له فداء لراحتهم فأمسكه الوالي وشدد عليه ليدفع سبعة آلاف دينار منها أربعة آلاف خراج الكنائس مدة سنتين وثلاثة آلاف خراج الرهبان سنة واحدة فأخذ الاساقفة والقسوس يجدون في جمع هذا المبلغ من الشعب ليقوموا بدفعه ولكنهم لم يتمكنوا الا من جمع أربعة آلاف دينار قدموها للبطريرك فسلمها للوالي وتعهد له بدفع مثلها سنوياً اذا عفى عنه فقبل وأطلقه

وبعد ذلك بقليل استولى على كرسي الخلافة المعتز بالله سنة ٨٦٦ م فانتخب

البطريرك رجلين من كبار الاقباط المعتبرين من الشعب وهما الارخن ساويرس والارخن ابراهيم وأوفدهما الى الخليفة ليبسطا له ماذاقته مصر من المر والعلقم لجور ولاتها وظلم حكامها ويرجواه بان يرحم بلادها ويقيم فيها نصاب العدل والشفقة ودعا لهما البطريرك بالتوفيق فلما مثلا بين يدى الخليفة أحسن استقبالهما وأجاب مطلبهما وأعطى لهما أمراً يقضي بان جميع الاراضي والكنائس والاديرة وأواني المذبح التي سلبت منهم أيام التمدي والاعتساف ينبغى ان ترجع اليهم ثانية فجاء الرسولان الى البابا شنوده بذلك القرار فكتب منه عدة صور أرسل لكل أسقف فى القطر المصرى صورة منها طالباً منهم ان يشكروا الله على هذه المنحة العظيمة ويقدموا الثناء الواجب للخليفة

وقد أنجز هذا البطريرك اصلاحات عديدة فى القطر كانت البلاد فى حاجة شديدة اليها ومن أعماله المبرورة انه انتهز عهد الراحة فى ولاية مزاحم فاشتغل بتوصيل المياه الى مدينة الاسكندرية فى قناة بنى لها صهريجاً مرتفعاً فى المدينة ومد منه المواسير والمجاري الى المنازل والمساكن فصار سكان الاسكندرية يشربون ماء زلالا أفضل من مياه الوقت الحاضر وعمت بواسطة هذا الخليج المياه لسقى الاراضي فكانت سبباً فى زيادة الخصب والنماء

وقد ميز الرب هذا البابا بان أجرى على يديه آيات وعجائب ومنها انه حدث فى أيامه شرق عظيم بسبب عدم نزول الامطار فجاء اليه الكثيرون فى ليلة أحد الاعياد وهم يشتكون من قلة المياه التي كادت تدفعهم هم ومواشيهم الى الخطر وطلبوا منه أن يطلب من الله لكي يمنع عنهم هذا البلاء. فلما بدأ الصباح احتفل بالعيد وفى حال تقديم الاسرار الربية توسل الى القدير ان يفرج كرب شعبه فلم يكادوا يخرجون من الكنيسة حتى فتحت السماء طاقاتها وهطلت الامطار والجميع بفرح يمجدون الله

وحدث فيما بعد لما استتب الملك في مصر لاحمد بن طولون انه أخذ ينظر الى البطريرك القبطى نظر النفور والكراهة لتوهمه بانه فى امكانه ان يقاومه ولذلك كان يتحين الفرص المناسبة لاضطهاد الاقباط الى ان رأى ما يبرر تداخله فى شئونهم عند ماقام شماس قبطى خائن وطلب من البطريرك ان يرسمه اسقفاً

وقدم له رشوة مقابل ذلك فوبخه البابا شنوده على تصرفه الرديء رافضاً رشوته متوعداً اياه بتجريده من رتبة الشموسية اذا لم يكف من عمله السيء

فاراد الراهب ان ينتقم لنفسه فاغرى راهباً سورياً بقليل من المال اعطاه اياه لكي يعترف بانه البطريرك امام ثلاثة شهود من المسلمين لايعرفون البطريرك ذاتياً وكتب له امامهم صكا بانه اقترض منه مبلغاً جسيما جداً يدفعه له بعد مدة. وبعد ذلك عزم الشماس على تقديم السند للقاضي ليخلص له حقه من رئيسه غير انه قبل ان يتمم عمله شعر به كبار المستخدمين الاقباط فاخطروا البطريرك بالامر وفي الحال استدعى لديه أحد أعيان المسلمين المعروفين بالشرف والصدق وطلب منه ان يحضر امامه الثلاثة الشهود من المسلمين حتى يميزوه من بين الجالسين ان كانوا يعرفونه فلما حضروا لم يستطيعوا تمييزه واعترفوا انه ليس هو الشخص الذي شهدوا عليه ومن ثم علمت الحقيقة وكيف دبر ذلك الشماس المكيدة ليوقع ببطريركه . ولما رفع الشماس دعواه وطلب البابا شنوده امام القاضي طلب الشهود ليقرروا الحقيقة فما وقع نظرهم على الشماس حتى اخذوا يوبخونه على وقاحته المتناهية فاتشح بالخزي وندم على مافعل مستغفراً رئيسه

وقد نسج كثيرون من المسيحيين بالاسم على منوال ذلك الشماس فكانوا يتهمون اخوانهم تهماً باطلة حتى ينالوا حظوة لدى الولاة المسلمين الذين كانوا يتذرعون بتلك الوشايات الكاذبة الى اضطهاد الاقباط فادعى راهب على البطريرك انه يعرف علم الكيميا وعنده من الذهب والفضة مالا يحصى ومن ذلك ان راهباً من اعمال البشمور قدم لابن طولون شكوى كاذبة يدعى فيها ان بطريرك النصارى يجمع الاموال بطريق الاختلاس ويبذرها . فقبض الوالي عليه مع رهط من اساقفته وغلهم بالقيود وساقهم الى بابليون مصر حيث خلع عنهم ملابسهم الكهنوتية والبسهم ثياباً قذرة واركبهم على دواب بدون براذع وامر ان يطاف بهم في الشوارع ليكونوا موضوع سخرية وهزء الناظرين . وبعد نهاية هذا التحقير وضع البطريرك في سجن لبث فيه شهراً كاملا وهو يتعذب من مرض المفاصل ثم اتى به امام الوالي فلم يستطع المبلغ الكاذب ان يثبت تهمته واشتد غيظ الاقباط عليه وقصدوا ان يفتكوا به فاسرع وطرح نفسه تحت قدمي

البطريرك ملتمساً منه العفو عما نزل به فعامله البطريرك معاملة المسيحي الحقيقي وصرح له بصفحه عنه وبرهن على ذلك بان اعطى له مبلغاً من المال واركبه جملا يصل به الى بلدته ووهب له ثلاث حلل ثياب واظهر له منتهى اللطف حتى عنفه وكيله على هذا اللين المتناهي الغير المحمود لشخص لا يستحق سوى القصاص الشديد . وقد صدق ظن هذا الوكيل فان ذلك الراهب رجع الى شره وعمل على اضطهاد المسيحيين وذهب الى الاسكندرية وشرع يضطهد التجار والمسافرين فرفعوا أمره الى الحاكم وثبت له صدق شكواهم فأمر بضربه باعصاب البقر حتى تمزق لحمه وقضي عليه من تأثير الضرب

وادعى راهب آخر بما هو اعظم من جميعه بقوله ان البطريرك اغتصب بعضاً من المسلمين وردهم عن الاسلام جبراً وجعلهم نصارى ثم صيرهم رهباناً ولكي يؤكد للوالي صدق قوله طلب منه ان يسير معه جنداً الى احدى الاديرة ليحضر منها من كان مسلماً ثم اكرهه البطريرك على النصرانية والرهبنة ولما وصل الى الدير اخذ يملق بعض الرهبان ليجذبهم اليه فلم يوافقوه فأمر الجند بالقبض عليهم واتوا بهم الى الوالي فاقام الرهبان الادلة القاطعة على انهم مسيحيون اولاد مسيحيين وكان هذا الراهب يكره راهباً آخر من دير ابي يحنس فأكد للوالي انه كان مسلماً فاستحضره وجلده بالسياط ليعترف بذلك ولما رأى اصراره ارسل الراهب الشرير مع بعض الجنود الى البطريرك ليأتوا به اليه حتى يدافع عن هذه التهمة فبينما كان الراهب بقلاية البطريرك وقع بصره على بعض صناديق فتوهم انها مملوءة مالا فاحضرها لدى الوالي ولكنها لما فتحت وجدت مملوءة بنسخ قديمة بخط اليد ذات اهمية كان البطريرك مولعاً بجمعها فلحق الراهب الخجل ولذلك اتهم تلاميذ البطريرك بانهم سرقوا الاموال التي احضرها فبدأ الوالي يحقق هذه التهمة الجديدة ولكن البطريرك اثبت برأة تلاميذه وبين فساد التهمة الموجهة ضده موضحاً بان دخله لا يكاد يكفي نفقاته التي ينفقها دوماً على الكنائس دون ان يدخر شيئاً له

فصدقه الوالي واشتد غيظه على ذلك الراهب النمام وصرف الرهبان الذين اتهموا بانهم كانوا مسلمين الى اديرتهم وافرج عن البطريرك وحاشيته وضرب على

ذلك الراهب الكاذب غرامة جسيمة ألزمه بدفعها

وهكذا استمر اشرار الرهبان الذين كانوا يسعون لبث الفتن لعدم موافقة الآباء على تقليدهم الوظائف الدينية العالية لعدم لياقتهم رغماً عن المبالغ التي كانوا يعدونهم بنقدها وآخر تلك الحوادث ان راهباً طاعناً في السن اتفق مع بعض اليهود على تجديد اضطهاد النصارى فاخذوا يطوفون ليهيجوا المسلمين عليهم في كل مكان متذرعين بالتهمة المقدمة وهي انهم يسعون لرد المسلمين الى المسيحية فقام عليهم المسلمون يقتلون الكثيرين منهم وينهبون اموالهم ثم اوقعوا بالبطريرك واساقفته واجبروا الحاكم على اضطهادهم

وكان البابا شنوده قد اعتاد هو وبعض الاكليروس والشعب ان يتوجهوا سنوياً الى دير ابي مقار في برية شيهات قبيل عيد الفصح . وحدث في احدى السنين ان العربان الذين كانوا يملأون تلك البرية تعدوا على المسيحيين ونهبوا متاعهم ولم يقفوا عند هذا الحد بل هجموا في يوم الخميس الكبير على الدير حال ازدحامه بالمسيحيين لكي ينهبوهم ويخربوا الدير فاستولى الخوف الشديد على الرهبان والشعب وانزعجوا جداً عند ما رأوا خطر الموت يهدد اليهم فرفعوا اصواتهم بالبكاء والنحيب وبينما هم كذلك تقدم البابا شنوده بشجاعة وخرج بعكازه الى العربان الهائجين دون ان يمنعه استعطاف ابنائه كي لا يخرج وتقدم الى الاشرار وطلب منهم ان يأتوا اليه ليقتلوه فلما رأوا منه هذه البسالة وتطلعوا الى هيئته الموقرة رجعوا الى الوراء تاركين الدير ولما اظهر الرهبان خوفاً من قيام العربان عليهم مرة اخرى ابتنى لهم في كل دير حصناً منيعاً

وبالجملة كانت حياة البابا شنوده مملوءة بجلائل الاعمال واستمر مجاهداً على كرسي البطريرك ١١ سنة و٣ شهور و١٨ يوماً ورقد بالرب في ١٤ برمهات سنة ٥٩٧ ش و٨٦٩ م

(٨) ميخائيل ١ ـ البطريرك السادس والخمسون . أقرت اراء جميع ابناء الطائفة والاساقفة بعد نياحة البابا شنوده على اختيار الآب ميخائيل خلفاً له وكانت رسامته في شهر برمودة في نفس السنة التي توفي فيها سلفه في عهد خلافة

المعتمد بن المتوكل ولم يتعرض لرسامته احمد بن طولون لانشغاله في الحرب مع ابنه . فقد كانت عادة الولاة التعرض للشعب في تنصيب بطاركة عليهم رغبة في سلب اموالهم . ولما رأى البابا ميخائيل الجوصافي امامه نهض الى تعمير الكنائس التي تهدمت في ابان الاضطهاد وتشييد بعضها مما أزيلت معالمه . وكانت فاتحة اعماله عقيب رسامته بقليل قبوله دعوى تلقاها من مسيحيي دنوشر من اعمال سخا يطلبون منه الحضور مع الاساقفة لتدشين كنيسة بنيت باسم ماربطلومايس الشهيد . وفي صباح اليوم الذي عين لتكريس هذه الكنيسة سار البطريرك مع الاساقفة وكثير من الشعب الى الكنيسة للقيام بالفروض الدينية ولكنهم لم يجدوا اسقف الكنيسة فأخذ البطريرك في اتمام الخدمة الدينية مع اساقفته حتى انتهى الى رفع القرابين بدون ان ينتظر قدوم ذلك الاسقف وبعد تقديم الحمل وحال تلاوة صلاة الشكر دخل اسقف سخا المشار اليه وهو ممتلىء غيظاً لان البطريرك تعدى على حقوقه ورفع القرابين في ابروشيته وكنيسته بدون اذن منه . ثم سار نحو المذبح وامسك القربانة وطرحها في الارض وخرج غاضباً ولم تكن تلك القربانة قد تقدست بعد فاستبدلها البطريرك بغيرها وتم القداس واعطى البركة للشعب

وفي اليوم التالي عقد البطريرك مجمعاً من الاساقفة الذين شاهدوا تلك الحادثة واجمعت الآراء على قطع ذلك الاسقف الشرير واقامة آخر بدله فكان ذلك مدعاة لزيادة التهاب حرارة الغيظ في نفس الاسقف واراد ان يكيد لرئيسه فتوجه الى احمد بن طولون وكان حينئذ على أهبة القيام الى سوريا للحرب وفي احتياج للأموال للصرف منها على الجيش فلما علم بذلك الاسقف المعزول ذهب اليه واخذ يهون الامر عليه قائلا ان بطريرك الاقباط عنده من الاموال والثروة ما يكفي لهذه النفقات وما هو اكثر منها وان مثله لا يحتاج لغير القوت والملباس وانه لا يتأخر عن المساعدة ببعض ما عنده لو طلب منه ذلك فشكره ابن طولون واستدعى اليه البطريرك حالا وقال له « انت تعلم ان مساعدتنا للخليفة بالرجال والاموال أمر واجب ولا يخفى عليك الحروب القائمة علينا بسوريا واستمدادنا للقيام بها واحتياجنا للنفقات وقد علمت انك ذو ثروة وافرة ومثلك لا يحتاج

لغير الطعام واللباس وقد استدعيتك بالاكرام لتدفع لي بطيب خاطر ما لديك لمساعدتنا فتحظى من الخليفة بالرضا ومني بالمنة الجزيلة » فعلم البطريرك ان هذه مكيدة محبوكة فأخذ يحتج ويدافع عن نفسه مبرهناً للوالي كذب التهمة التي وجهت اليه من ذلك الاسقف الخائن . ولكن ابن طولون لم يقبل منه اعتذاراً وطلب منه ان يسلمه جميع الاواني الذهبية والفضية الموجودة في الكنائس القبطية في القطر المصري وكل معدن يمكن تحويله الى نقود فرفض البطريرك هذا الطلب بتاتاً معتذراً بان هذه ملك لله لا له ففي الحال قبض عليه وزجه في السجن مع شماس له يدعى ابن المنذر وقد بقي هذا البطريرك المسكين سنة كاملة في السجن

وكان في معية ابن طولون اثنان من كتبة المسيحيين مقربين اليه احدهما يدعى يوحنا والآخر موسى فاجتهدا في انقاذ البطريرك بالاتحاد مع وزير الوالي احمد بن المارديني . وكان لهذا الوزير كاتبان في ديوانه وهما يوحنا ومقار ابنه فوقعا عليه وطلبا منه ان يكشف للحاكم حقيقة الامر ويسعى في اطلاق سراح البطريرك تلقاء مبلغ يقدمونه له فداء له وللكنائس . ولما علم ابن طولون ان السجن والموت لا يرعبان البطريرك ولا يحملانه على تسليم أواني الكنائس قبل وساطة وزيره بشرط ان يضمن كاتبان البطريرك ليدفع عشرين ألف دينارفاضطر البطريرك البائس حباً في خلاص ابنائه من شقاء يحيط بهم واضطهاد يقع فوق رؤوسهم ان يكتب صكا على نفسه متعهداً بدفع المبلغ على قسطين ريثما يتمكن من جمعه من ابنائه وكان عليه ان يدفع النصف بعد شهر والنصف الآخر بعد اربعة شهور .

ولما حان ميعاد القسط الاول دفع اولئك الكتاب الفي دينار وتبرع الوزير بألف واقترض البطريرك من التجار المسلمين سبعة آلاف فصارت الجملة عشرة آلاف سددها لابن طولون وأخذ بعد ذلك يجتهد في الجمع ليفي دين التجار من جهة ويسدد القسط الثاني من جهة أخرى فقرر على كل اسقف مبلغاً وافراً ولكن كل ذلك لم يكف فجعل يزيد من الضرائب على ابناء الكنيسة وفرض على كل راهب ديناراً فلم يف ذلك ايضاً بالمطلوب . ولما ضاق به الامر بدأ يبيع

بيوتاً موقوفة للكنائس واراضي خارج الفسطاط كان يسكنها جماعة من الاحباش وأضاف ثمنها الى المال الاصلي فظهر ان كل هذه المبالغ زهيدة بجانب المطلوب فضلا على ان الاربعة الاشهر المضروبة لدفع نصف الغرامة الثاني كانت قد مرت مر السحاب فوقع البطريرك في يأس وقنوط ورأى الموت المريع امام عينيه ولكن كل خوفه كان على حياة يوحنا الكاتب وابنه اللذين ضمناه في تسديد الغرامة

فاضطرته الحالة القصوى الى رسم عشرة اساقفة على عشرة ابروشيات كانت خالية حينئذ مقابل مبلغ دفعه كل واحد منهم . وقد تألم البابا ميخائيل اشد الألم لذلك غير ان عذره واضح حيث انه لم يأخذ لنفسه شيئاً مما جمع بل دفع تلك النقود لرفع ضيم واضطهاد كان وقوعهما محتما على أمته كما انه لم يقل أحد من المؤرخين ان البابا ميخائيل كرس اسقفاً غير كفؤ لانه قدم ذهباً وفضة (١)

وقد انتهز اليهود هذه الفرصة وأخذوا يساومون البطريرك على كنيسة للاقباط كانت قد خربت وتهدمت ولم تكن تؤدى فيها خدمة فاضطر البطريرك أن يبيعها اياهم ولم تزل تحت يدهم الى يومنا هذا (٢) وباعهم أيضاً أرضاً بالبساتين لدفن موتاهم بها . ثم عمد الى طريقة أخرى يجمع بها بعض المال وهي تأجير مقاعد

---

(١) قالت المؤرخة الانكليزية مدام بوتشر : — « ولا يغرب عن ذهن اللبيب ان اساقفة الاقباط قديماً دفعوا تلك المبالغ فدية لكنيستهم ولكن اساقفة الكنيسة الانكليزية الذين يتمتعون بالسلام والامن في ظل حكومة ملك مسيحي لا يزالون يدفعون الى يومنا هذا مبلغاً لا يقل عن ٣٠٠ جنيه يؤدونها ضريبة للحكومة ولرئيس الاساقفة يوم رسامتهم » اهـ (٢ : ٢٧٤)

(٢) كان ببابليون كنيس لليهود بني قبل خراب اورشليم للمرة الثانية بنحو ٤٥ سنة ولما ظهرت المسيحية بمصر اعتنقها اغلب اليهود وتحول الكنيس الى كنيسة . ولما حدث الانشقاق بين الكنيسة القبطية واليونانية استولى الملكيون على تلك الكنيسة وبقيت فى حوزتهم حتى انقرضوا في الجيل التاسع فاستولى عليها القبط ولما رأى اليهود ضيقة البابا ميخائيل وحاجته الى المال ليسدد غرامة ابن طولون استأجروا منه هذه الكنيسة لمائة سنة وقيل انهم اشتروها وعلى كل حال فهي في يدهم الى الآن ويعتبرونها من اقدس الاماكن اذ يزعمون ان فيها قبر ارميا النبي

خاصة بالكنائس للأغنياء . ولما لم يكن كل ذلك كافياً للسداد رأى أن يسأل المشرفين على ادارة كنائس الاسكندرية لكي يبيعوا النقوش والزخارف الموجودة في كنائسهم ويرسلوا له ثمنها ليدرأ به آلام الاضطهاد . فقاومه اكليروس الاسكندرية مقاومة شديدة ولكنهم لما رأوا ضيقته رضوا بشرط ان يؤدي هو وخلفاؤه الف دينار كل سنة لكنائس الثغر الاسكندري

وبعد ذلك كله وجد البابا ميخائيل ان جميع ماتحصل عليه أقل من المطلوب فانطلق الي تانيس وهو في حيرة كبرى وبينما هو كذلك وافى راهب الى تلاميذه بثياب بالية وقال لهم قولوا لمعلمكم ان الرب يمزق عنه صك الغرامة بعد اربعين يوماً. قال هذا واختفى عنهم وحاولوا بعد ان أخبروا البطريرك ان يجدوه فلم يقفوا له على أثر . ولم تمض الاربعون يوماً حتى مات ابن طولون وخلفه ابنه خمارويه فطيب خاطر البطريرك ومزق صك الغرامة وأطلقه مكرماً معززاً

وقد استمر البابا ميخائيل على الكرسي البطريركي مدة ٢٥ سنة وشهر واحد و٩ أيام وتوفى في ٢٠ برمهات سنة ٦٢٠ ش و٨٩٤م

OOOOOO

القسم الثانى

المملكة والكنيسة

(١) سرقة اهالي البندقية لجسد القديس مرقس (٢) خلافة المأمون (٣) المتوكل وابنه المنتصر (٤) المستعين وغيره (٥) المعتز (٦) احمد بن طولون

••••••••

(١) سرقة اهالي البندقية لجسد القديس مرقس – لبث خلفاء مار مرقس

يتنخبون على قبره وكذلك ظلوا مدة الثلاثة القرون الاولى يدفنون بجانبه . وشهد السنكسار (٤ ابيب) أن كنيسة القديس مرقس ببوكاليا كانت لاتزال تضم جسده في القرن الخامس وشهد أيضاً بانه كانت هناك كنيسة أخرى جنوبي الاسكندرية باسم القديس مرقس ايضاً . وقد ظلت كنيسة بوكاليا قائمة للقرن السابع ثم خربت على يد العرب . ثم صغرت تلك الكنيسة واطلق عليها اسم « الكنيسة التي تحت الارض »

قال ابو المكارم المؤرخ « لما حصل الخلاف في الايمان الارثوذكسي بمدينة خلكيدون سنة ٤٥١ م طلب الملكيون ان تقسم كنائس الاسكندرية بينهم وبين القبط فاختص الملكيون بالكنيسة التي تحت الارض والتي أبقي بها جسد الرسول واختص القبط بالكنيسة الاخرى الجنوبية التي نقل اليها رأس الرسول فما كان من الافرنج الا ان سرقوا هذا الجسد بوضعه في عمود مجوف من الرخام ولما وصلوا بغنيمتهم الى البندقية قابلهم اهاليها بفرح عظيم وجعلوا جمهوريتهم الحديثة تحت حماية الاسد المرقسي لما كان لمرقس الانجيلي من المآثر بايطاليا » اه

ووجدت قطعة في احدث الكتب التاريخية البولاندية وهي تخبرنا عن كيفية سرقة اهالي البندقية لجسد الرسول مرقس وهاك ملخصها : —

« الامبراطور ليون الارمني الذي حكم من ٨١٣ الى ٨٢٠ منع رعيته من معاملة مدينة الاسكندرية تجارياً نظراً لامتلائها وقتئذ بالمسلمين أعداء اليونانيين واللاتينيين . ومع ذلك فبعض التجار البندقيين كانوا ملزومين بحكم العواصف والرياح ان يلتجئوا الى ميناء الاسكندرية ليمضوا فيها بعض الزمن الى ان يتمكنوا من استئناف المسير وفي ذلك الحين عزم سلطان مصر على تشييد قصر فخيم له في قاعدة ملكه فأمر برفع العمدان وألواح الرخام المزينة بها الكنائس وباقي الاثارات ليقيمها في قصره وقد هدمت كنيسة مار مرقس الموجود ببوكالي القريبة من شاطيء البحر كغيرها وأخذت اعمدتها وأحجار الرخام الموضوعة بها حول قبر الرسول وأرسلت الى مصر رغماً من معارضات وتوسلات البطريك واكليروس المدينة

وفي هذه الاثناء فكر التجار البندقيون في مشروع خطير وهو اخذ بقايا القديس الذي هو عندهم موضع احترام وتبجيل كي يذهبوا كل يوم للسجود امام قبره ولما رأوا ان في استعمال القوة هياج الشعب المسيحي ضدهم عزموا على ارشاء حراس قبر القديس بقولهم ان بقاياه ستحفظ في بلد مسيحية وتكون موضع احترام وتعظيم ساكنيها بدلا من تركها في بلدة قد لا تمكث بها طويلا بل تلعب بها أيدي الكفرة واما عندهم فيمكنهم ان يحرصوا في المحافظة على بقايا القديس حيث تكون في مأمن من كل طاريء وقد اقتنع الحراس بهاته الوعود والاقوال وسلموا بقاياه الى هؤلاء التجار ووضعوا جثة أحد القديسين مكانها فأقلع البندقيون بالجثة الى ايطاليا ولكى يخلصوها من العمال المسلمين وضعوا فوق الصندوق قطعاً من لحم الخنزير الذي تحرمه الشريعة الاسلامية . ولما وصلوا الى البندقية عرضوا الجثة على حاكم المدينة الذي وضعها فى كنيسة قصره ريثما يتمكن من تشييد معبد يليق بهذا القديس العظيم. ومن ثم أسعدت تلك المدينة بامتلاك تلك البقايا المقدسة ويتخذ اهالي البندقية مار مرقس نصيراً لهم ويعتقدون انه سبب سعادة جمهوريتهم ويحيون ذكرى ذلك النقل فى أول فبراير » اه

ولقد يوجد بالبندقية نسخة اصلية يونانية من انجيل القديس مرقس يقال انهم اخذوها بين سنة ١٤٥٢ م و ١٤٧٢ م ووجود هذه النسخة الاصلية باللغة اليونانية مما يكذب ادعاء الغربيين ان مرقس الرسول كتب انجيله برومية باللغة اللاتينية ويثبت انه كتب في مصر باللغة اليونانية ومنها نقل الى القبطية

(٢) خلافة المأمون سنة ٨١٣ م . وبعد موت هرون الرشيد وقع خلاف

بين ابنيه وقام كل منهما يطالب بالخلافة فانتهز مسلمو الاندلس هذه الفرصة وهجموا على مصر . وكثيرون من الاقباط الذين اختام الذل ساعدوا الاندلسيين على اخذ الاسكندرية ولكن مسلمي الاسكندرية قاوموا الاندلسيين واشتبكت الحرب بين الفريقين مدة اطلق فيها البغاة ايديهم لسلب ونهب الاقباط فهجموا على البيوت والمنازل فنهبوها ثم دمروا الكنائس ومنها كنيسة المخلص واغتصبوا مافيها من الامتعة وسلبوا الاواني المقدسة وأتموا بالمقادس . وغارت قبائل

العرب على وادي النطرون فاخربوا اديرته ونهبوها وفتكوا برهبانها وطردوهم فلم يبق منهم الا القليل . وآلت ولاية مصر بعد ذلك لرجل اسمه عبد الله بن طاهر فاباح لجنوده نهب الاديرة واحراق الكنائس والتمثيل بعابديها

واستقل المأمون بن الرشيد فيما بعد بالخلافة وولى مصر اخاه المعتصم فوكل عنه عمر بن الوليد فغار وجار فقام الاقباط بثورة تعتبر آخر ثوراتهم قاصدين بها التخلص من النير الاجنبي الثقيل فامتنع اهل الوجه البحري عن دفع الخراج فكان بينهم وبين عساكر الوالى حروب هائلة قتل فيها من الفريقين خلق كثير وقتل عمير فاستخلف مكانه عيسى الجلودي واقتدى اقباط الصعيد باهل الوجه البحري فاصبحت البلاد جميعها في حالة فوضى فقدم اليها المعتصم باربعة آلاف جندي وقتل اهل الحوف . واستمر الاقباط ثائرين واخرجوا العمال لسوء سيرتهم والولاة يوقعون بهم ويقتلون ويأسرون حتى بلغ خبر الثورة للخليفة المأمون فقدم الى مصر وشاهد ظلم الولاة فسخط على عيسى وحل لواءه وأخذه بلباس البياض عقوبة له وقال له « لم يكن هذا الحدث الا من فعلك وفعل عمالك حملتم الناس ما لا يطيقون وكتمتم الخبر حتى تفاقم الامر واضطربت البلاد »

ثم حمل المأمون على البشموريين بعساكره فشتت شملهم وفرق جمعهم ودخل بلادهم وقتل رجالهم وسبى نساءهم واطفالهم وسلب اموالهم وهدم كنائسهم وبالجملة لم يبرح تلك الجهة حتى خرب منازلهم وجعل بلادهم العامرة اطلالا بالية ومن ثم ذل القبط ولم يتجرأوا فيما بعد على المقاومة . وكان المسلمون في اثناء قيام المأمون باخضاع الثائرين الاقباط يطوفون في البلاد لينتقموا منهم فقتلوا كثيرين ونهبوهم واخذوا عدداً كبيراً منهم وباعوهم كالحيوانات حتى اضطرت الطبقة السفلى الى اعتناق الدين الاسلامى هروباً من تلك الفوادح التي كانت ملمة بهم . فأخذ عدد الاقباط يقل حتى صار اقل من عدد المسلمين . وقبل هذا الزمن كان المسلمون لا يوجدون الا في الجيش أو في المدن الكبرى فامتلأت بهم حتى القرى الصغيرة لاعتناق ربع سكان القطر المصري الديانة الاسلامية وهؤلاء صاروا يفلحون اراضي اخوانهم الاقباط الباقين على دينهم ويغتصبونها منهم

وبهذا زاد عددهم وقويت شوكتهم

وحدث في اثناء وجود المأمون بمصر ان مر بقرية طأ النمل ولم يشأ ان يعرج عليها لصغرها فخرجت خلفه عجوز قبطية وطلبت منه ان يشرفه قريتها فلبى دعوتها وقامت العجوز وولداها بتقديم طعام فاخر له وجنوده حتى استعظم ذلك ولما اصبح الصباح وعزم المأمون على الرحيل حضرت اليه العجوز ومعها عشر وصايف في يد كل وصيفة طبق عليه كيس من ذهب مطبوع في عام واحد فاندهش المأمون وطلب منها ان تعيد ذهبها فأبت وقالت له لا تكسر قلوبنا ولا تحتقرنا . ولما سألها من أين لك كل ذلك تناولت قطعة طين وقالت له « ان هذا الذهب من هذا الطين . ولا تنس عدلك يا أمير المؤمنين » فاعجب بها وبسعة حالها وقبل هديتها وأقطعها عدة ضياع ووضع عنها خراج مائتي فدان

ومكث المأمون بمصر مدة شهرين حتى نظم احوالها ومن ثم برحها الي بغداد فبلغه ان الدواوين صارت على خطة لا يرضاها من حيث قبول الزيادات في الاراضي ونزعها من يد من كابد مشقات وتحمل نفقات جسيمة في اصلاحها وتسليمها لمن يدفع الزيادة من غير كلفة ولا تعب فاصدر أمره بعدم قبول هذه الزيادات مادام يكون الناس قائمين بدفع ما عليهم من الأموال

(٣) خلافة المتوكل سنة ٨٤٧ م وابنه المنتصر سنة ٨٦١ م .

وولى الخليفة المتوكل على مصر ابنه المنتصر وكانا كلاهما يبغضان الاقباط . ومع انهما كانا يشعران بشدة الحاجة اليهم في انجاز الاعمال الهندسية والحسابية والطبية وغيرها الا انهما عاملاهم بالقوة والجور قاصدين ان يغيرا هيئة مملكتهما بمحوهم فاضطر الاقباط الى الاهمال في واجبات دينهم وتراخوا في خدمة الحكومة .

وبلغت الاستهانة بالاقباط الدرجة التي لم يكتفوا فيها بأن ينهبوا حجارة الرخام والمرمر الموجودة في كنائسهم ونقلها الى بغداد لتوضع في قصور الخليفة بل قاموا الى مدافنهم في القطر ونبشوا قبورهم التي كانوا يعنون بتشييدها وأزالوها ولم يبقوا فيها حجراً على حجر

واستمر الخليفة المتوكل يصدر أوامره ضد جميع المسيحيين المقيمين فى مملكته خصوصاً فى مصر راغباً ازعاج خاطرهم وتكدير صفوهم . ومنطوق تلك الاوامر يفيد على انه قصد بها اذلال شأن المسيحيين واضعاف حميتهم . فالنساء فى ذلك الحين كن يلبسن المناطق والاحزمة والجياصات حباً فى الحشمة والتواضع فصدر أمر المتوكل بمنعهن عن لبس ماتعودنه والزام الرجال بلبس الطيالس العسلية وشد الزنانير وان يخيط كل رجل على ثيابه قطعتين طول الواحدة اربعة قراريط ولون كل واحدة تختلف عن الاخرى ولون الاثنتين يخالف لون الثياب . أما النساء فاذا أردن الخروج يتنقبن ببرقع عسلي اللون وهو ما كان خاصاً بالبغيات . وحظر على النصارى أيضاً ان يركبوا سوى البغال والحمير الحقيرة ببراذع قذرة عليها علامة خاصة ويعملوا كرتين فى مؤخرة البرذعة والركابات تكون من خشب واللجام قطعة من حبل

وأمر الاقباط ايضاً بان يجعلوا على ابواب دورهم صور شياطين وقرود من خشب ومنعوا من اشعال النور فى احتفالاتهم او اعراسهم وان لايطبخوا طعاما على مرأى من الناس كما جرت عادة الفقراء فى كل بلاد المشرق وان يساووا قبورهم بالارض وحجز عليهم استعمال الصليب المقدس فى احد الشعانين وأمر بهدم كنائسهم المحدثة وأخذ العشر عن منازلهم

ثم بعد ذلك باربع سنين أمروا ان يلبسوا دراعيتين على الدراريع والاقبية ونشر الخليفة اوامره هذه فى كل الاماكن فذل الاقباط ذلا عظيما ولم يعودوا يرفعون رؤوسهم وأسلم منهم عدد لايحصى والذين لم يسلموا كان كثيرون منهم لايقوون على التظاهر بالمسيحية وكانوا اذا اجتمعوا للصلاة لايستطيعون رفع أصواتهم بل يصلون باصوات ضعيفة حتى لا يسمعها المسلمون فيهجمون عليهم ويدنسون مقادسهم ويطردون من فيها وينهبونها ويخربونها

وقد ضجر الاقباط من كثرة توالي تلك الاوامر الصارمة ولا سيما لبس الرجال المنطقة التي كانت خاصة بالنساء فكان الاساقفة يبذلون جهدهم ليحملوهم على الخضوع لهذه الاوامر حقناً للدماء وافهموهم ان لبس المنطقة حتى فى أوقات الصلاة من دلائل الحشمة ولكي لا يجعلوهم يزدرون بركوب الحمير قالوا لهم بان

السيد المسيح نفسه ركب جحشاً وان الخيول للمتكبرين ولا تستعمل الا في الحروب .

وبعد ذلك صدر أمر اكثر قساوة وهو عدم الاستعانة بالاقباط في أعمال الحكومة فرفت منهم كثيرون وانحط بذلك شأن عائلات كثيرة أصابها الفقر المدقع . ولم يقف الامر عند هذا الحد فصدر أمر يراد به القضاء على المسيحية في مصر وهو ابطال الصلاة على كل ميت واغلاق جميع الكنائس فلا تؤدى فيها خدمة واستئصال جميع الكروم ومنع بيع النبيذ حتى لا يجد الاقباط خمراً لاتمام سر الافخارستيا . ويقول المؤرخون « وقد نفذ هذا القرار الاخير بالدقة حتى صار من المستحيل ايجاد عنب او نبيذ في جميع أنحاء القطر المصري . الا ان الكهنة الذين كانوا لايهابون الموت لم يكفوا عن تأدية هذا السر المقدس وكانوا يبذلون قصارى جهدهم ليحصلوا على الخمر من خارج القطر المصري . ولكن هذا العنب كان ينشف حين وصوله لمصر ويصير زبيباً فيضعه الكاهن في الماء برهة ثم يعصره قبل ان يختمر لعدم وجود وقت كاف . ومن ذلك الحين صار الاقباط يستعملون على الدوام نبيذاً غير الخمر للمناولة » اهـ

وفي نحو سنة ٨٥٢ عزم الرومانيون على استرداد مصر من يد العرب فسارت جيوشهم واحتلت دمياط وكان عملهم هذا آيلا الى ضرر مسيحيي مصر والاقباط منهم بنوع خاص فضايقهم الوالي خوفاً من ان يقوموا بمساعدة للرومانيين اخوتهم في الدين . ولكي يزيد من ضيقة الاقباط طلب منهم مبلغاً طائلا واذ لم يتمكنوا من تأديته نهب القسوس وقفل جميع الكنائس في الفسطاط وبابيليون الا واحدة

(٤) ظهرف المستعين سنة ٨٦٢ م . وقد قتل المتوكل بيد ابنه المنتصر

وجلس بعده على كرسي الخلافة ولكن لم تطل مدته اكثر من سنة فملك بعده المستعين الذي اراح الاقباط ورد لهم ماسلب منهم من الكنائس فاصلح المتخرب منها من الاسكندرية شمالا الى اسوان جنوباً وصارت تمارس فيها الخدمات الكنسية كالعادة

(٥) خلافة المعتز وغيره سنة ٨٦٦م. عين لمصر رجلا تركيا يدعى مزاحم بن خاقان وكان الاتراك يحتقرون العرب فوجد في ولايته نوع من العدل والتساوي بين الاقباط والمسلمين ، وبعد مزاحم تولى رجل تركي اسمه بيك سنة ٨٦٨م ولكنه لم يحضر الى مصر بل اوفد مندوبين من قبله احدهما احمد بن المدبر لجمع الضرائب والآخر احمد بن طولون لقيادة الجيش. فتجبر اولهما على الاهالي وضاعف الضرائب على المسيحيين والمسلمين سواء ولكن وطأته كانت أشد على المسيحيين فأحصى الرهبان والقسوس وعين عليهم ضريبة بعد ان كانت رفعت عنهم وألزم البطريرك بدفع مافرض عليهم وهو يحصلها منهم بمعرفته وبلغ مقدار مافرض عليهم اكثر من ستة آلاف دينار في السنة فاضطر البطريرك ان يفرض عوائد على الاساقفة وأفراد الناس ليتمكن من دفع هذه الغرامات فحصلت لهم مضايقات شديدة فآثر كثير منهم الاسلام تخلصاً من الشدائد . وفى هذه الاثناء هجم العرب على بعض بلاد الصعيد وأضروا بالبلاد والعباد وأخربوا عدة أديرة منها دير انبا شنوده ودير القلمون بالفيوم ودير انبا باخوم بناحية طحا

ولما اشتد الضيق بالاقباط عرضوا أمرهم على الخليفة فكتب لوالى مصر يأمره بصرف الكرب عنهم فاستراحوا قليلا . وجاء بعد المعتز المهتدى سنة ٨٦٩ م فتحصل الاقباط منه بواسطة مقدمهم ابرهيم على تأييد امر المعتز. ولما تولى الخليفة المعتمد بن المتوكل سنة ٨٧٠ م قام فى عهده قائد جيش مصر احمد بن طولون ونادى بنفسه ملكا على مصر ولكي يجذب قلوب المصريين اليه خفف عنهم الضرائب فتساوى الاقباط بالمسلمين . الا ان ابن طولون كان يفضل الاتراك على العرب والاروام على الاقباط

(٦) خلافة احمد بن طولون سنة ٨٧٠م . لما علم ان الاقباط هم ارباب الفنون والصنائع فى مصر طلب اليه مهندساً قبطياً ماهراً فلباه ابن كاتب الفرغانى وطلب منه ان يوصل المياه الى المدينة التي بناها بمصر القديمة . فعمل المهندس القبطى قناة عجيبة أدهشت جميع الذين رأوها من عظم اتقانها ولكن لسوء الحظ بينما كان ابن طولون يتفرج عليها عثر حصانه بكومة تراب أهمل العمال فى

نقلها فغضب على المهندس والقاه في السجن. وفيما بعد ظن ابن طولون ان الاقباط أغنياء فزاد عليهم الضرائب وعول على نهب اموالهم

وفكر بن طولون بعد ذلك في بناء جامع يكون أعظم ما بني من الجوامع في مصر الى ذلك الحين يقيمه على ٣٠٠ عمود من الرخام فقيل له ان مثل هذا العدد من الاعمدة لا يمكن الحصول عليه الا اذا هدمت كنائس ومعابد النصارى . واذكان يوماً يسمع القرآن علم بعدم جواز استعمال ادوات مسروقة في بناء الجوامع فشق ثيابه وصاح قائلا « انه يستحيل علي تشييد الجامع بدون نهب مواده من الكنائس فاني ما سمعت من يوم وجودي ان جامعاً بني دون ان تؤخذ أعمدته من كنائس المسيحيين . وحيث انه لا يمكني الا مخالفة هذا الامر فسوف أخالفه واستغفر ربي عن هذا الذنب ان لم يكن بناء الجامع كافياً للغفران » .

ولما سمع ابن كاتب الفرغاني وهو في السجن ما كان من رغبة ابن طولون وتردده كتب اليه عريضة وهو مسجون يفيده انه قادر على اتمام مشروعه ومستعد لتنفيذ مرغوبه بغير احتياج لاكثر من عمودين يجعلهما في القبلة . فلما قرأ العريضة تذكره وأمر باطلاقه من السجن واستحضره امامه وعهد اليه في بناء الجامع بالكيفية التي رسمها فشيد جامعاً فخيما لم يسلب له ولا عامود واحد من الكنائس . بل كان يوجد في الكنائس قديماً حوض ماء للاغتسال في يوم خميس العهد فكان المسلمون ينقلون هذه الاحواض الى المساجد لتكون لهم « ميضة » للوضوء . فصنع المهندس القبطي البارع ميضة جميلة لجامع ابن طولون وتم الجامع على ما يرام . وخلع ابن طولون على المهندس خلعة فاخرة وقرر له راتباً يتقضاه مدة حياته . غير انه فيما بعد ألزم هذا المهندس المسكين باعتناق الدين الاسلامى فأبى فقطعت رأسه

وقال المسعودي في كتابه « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ان ابن طولون سمع عن فيلسوف قبطي طاف بلاداً كثيرة يسكن أعالي بلاد مصر وله من العمر ١٣٠ سنة فأمر بحمل اليه وسأله عن سبب طول عمره فأجابه الاعتدال في المأكل والمشرب والملبس . وقيل ان ابن طولون سأل هذا الفيلسوف عن منابع

النيل فأجابه « ان منابع النيل في اعلاه فالبحيرة الواسعة الاطراف وهي عند المكان الذي يتساوى فيه الليل والنهار طول الدهر أي تحت الموضع الذي يسميه المنجمون « الفلك المستقيم » وما ذكرت فمعروف وغير منكور » اه ومعلوم ان العلماء والمستكشفين لم يهتدوا الى منابع النيل الا في القرن ال ١٨ ولكنها كانت معروفة لذلك العالم القبطي قبل ذلك بالف وست مائة سنة وما البحيرة التي اشار اليها سوى بحيرة البرت نيانزا التي استكشفها (سيبك) عند خط الاستواء (١)

والغريب ان ابن طولون بعد ما اضطهد الاقباط وبطريركهم اضطهاداً قاسياً طلب في مرضه الاخير من اساقفتهم وقسوسهم ان يحملوا الاناجيل ويشتركوا مع رؤساء الدين الاسلامي في الصلاة لاجله عسى الله يمن عليه بالشفاء ولكنه مات وملك بعده ابنه خمارويه سنة ٨٨٤ م وكان صديقاً للانبا باخوم اسقف طحا فأحسن للاقباط ورفع عنهم الجزية واعطاهم صكا بذلك حتى لا يعود احد الى مطالبتهم بها . وقيل ان خمارويه هذا كان ميالا للمسيحية والمسيحيين حتى انه كان يصرف ساعات من النهار واقفاً امام صورة في كنيسة الاروام بالقصير بهيئة التعبد والخشوع . وكان هو صديقاً حميما للرهبان في القصير ونظراً لميله اليهم ومحبته في البقاء معهم ابتنى لنفسه غرفة وسط صوامعهم لكي يتمكن من مشاهدتهم وقت العبادة والتمتع برؤية الصور المقدسة

وتوالى بعد ذلك اولاد ابن طولون على كرسي السلطنة واحداً بعد آخر الى ان تولى الحكم في مصر رجل يدعى عيسى بن الجراح فضيق على النصارى ولا سيما الرهبان والقسوس وفرض عليهم ضرائب باهظة فسار وفد منهم الى الخليفة ببغداد ورفعوا اليه احتجاجاً فالتفت اليهم الخليفة وكتب الى الوالي بمصر يأمره ان يعاملهم بمقتضى العهود التي بأيديهم وألزمه ان يترفق خصوصاً بالكهنة والرهبان الفقراء . وفي آخر أيام الدولة الطولونية كان عدد الاقباط قد تدهور الى النقصان وصاروا الى اقل من خمسة ملايين فنازلا

---

(١) منتخبات تهذيبية للجنة التاريخ القبطي ص ٨ و ٤٨

القرن العاشر

القسم الاول

تاريخ البطاركة

....

(١) غبريال ١ (٢) قزمان٣ (٣) مقار١ (٤) ثاوفانيوس (٥) مينا٢
(٦) ابرآام ١ (٧) فيلوثاوس

....

(١) غبريال١ـ البطريرك السابع والخمسون . لم تتمكن الكنيسة بعد وفاة البابا ميخائيل من تنصيب خلف له بالنسبة للمصائب الشديدة والكوارث القاسية التي ألمت بها . ولبثت الكنيسة اربع عشرة سنة بدون بطريرك فقفلت في خلالها كنائس كثيرة وتعطلت حركة بعضها واخذت عوامل النزاع مكانها بين المسيحيين حتى سخر الرب لهم الانبا باخوم اسقف طحا وكانت له مكانة سامية لدى الوالي خمارويه فتوسط لديه فسمح باقامة بطريرك للكنيسة القبطية واعطاه تصريحاً بذلك واختير باجماع آراء الشعب والكهنة الآب غبريال الراهب من دير أبي مقار واصله من المنيه منوفية فرسم في شهر بشنس سنة ٦٢٥ ش و٩١٠ م في عهد خلافة المقتدر بن المعتضد

وكان هذا البابا تقياً ذا شعور رقيق ولكنه للضرورة سار على خطة البابا ميخائيل في فرض ضريبة على كل اسقف يرسم جديداً لكي يدفع الرسم المطلوب

لكنائس الاسكندرية التي تعهد بها البابا ميخائيل فى اوقات ضيقاته كما انه لم يلغ الضريبة الشخصية التي كانت مضروبة على اعضاء الكنيسة القبطية سداداً لطلبات ابن طولون بل ظل يتقاضاها ليتمكن من ترميم الكنائس المتهدمة

ولم يتضايق هذا البابا من الحروب الخارجية فقط بل تألم كثيراً من حروب داخلية انتشبت فى داخله اذ حرك فيه عدو الخير الاميال الباطلة ولما رأى ارادته أضعف من ان تطفي هذا الاضطرام هرب الى برية شيهات واعترف بحاله لاتقياء الرهبان فقدموا له النصيحة قائلين « اعلم ايها البابا ان اشتعال الشهوة ينشأ من العظمة والفخر كما ان خطية التجديف دليل الاعتداد بالذات فان كنت تروم ان تحتمى من حرب الشهوات فعليك بملازمة فضيلتي الوداعة والتواضع فانهما أنجع دواء وافضل رادع لمقاومة الافكار الرديئة لا سيما اذا اضيف اليهما فضيلتا النسك وصرامة العيش فانهما يذللان الاميال الباطلة ويقمعان الاهواء البهيمية» فاذعن البطريرك لنصيحة الآباء وواظب على افعال التقشف والزهد ثلاث سنوات وكان يحمل نفسه على ممارسة اقل الاعمال التي تذللها حتى بلغ به الاتضاع بان كان يمر على قلالي الرهبان وينظفها بمكنسة من الاوساخ . فنظر الرب لمسكنته ودرعه بنعمته وخلصه من التجربة ومن ثم استأنف جهاده فى خدمة كرسيه حتى أتم ١١ سنة فى الرئاسة وتنيح فى ٢١ امشير سنة ٦٣٦ ش و٩٢١ م

(٢) قزمان ٣ ـ البطريرك الثامن والخمسون . انتخب بطريركا عقب وفاة البابا غبريال مباشرة وتمت رسامته فى شهر برمهات في السنة التى توفى فيها سلفه في عهد خلافة المقتدر . وكانت الاضطهادات التى وقعت على الكنيسة والنكبات التي حلت بها قد جعلت العلاقة التي بين الكنيسة القبطية وابنتها الكنيسة الحبشية تفتر قليلا مدة قرن او اكثر . وحال جلوس البابا قزمان على الكرسي أوفد اليه ملك الحبشة رسلا يطلبون منه تعيين مطران قبطى لكنيستهم لداعى شيخوخة الملك وقرب وفاته ورغبته في أن يقيم المطران وصياً على ولديه الصغيرين فرسم لهم البطريرك مطراناً يدعى بطرس وسار معهم الى الحبشة حيث قوبل فيها باحتفال عظيم . وبينما كان الملك يجود بانفاسه الاخيرة استدعى اليه

المطران بطرس وكلفه بان يتولى وصاية ولديه وعند بلوغهما سن الرشد يعين منهما ملكا من يراه أجدر من الآخر من حيث الكفاءة لا السن . وبعد مدة عهد المطران الى الابن الاصغر وتوجه ملكا اذ رآه أوفر عقلا وأسد رأياً ومع ان الابن الاكبر استاء من ذلك الا انه لم يبد ادنى معارضة

وحدث بعدئذ ان راهبين من مصر احدهما يدعى بقطر والآخر مينا من الذين تعودوا التجول للتسول سافرا الى الحبشة وطلبا من الانبا بطرس دراهم فابى ان يعطيهما وازدرى بهما . فحقدا عليه وأرادا أن يكيدا له فزورا ختما باسم البابا قزمان البطريرك وكتبوا رسالة الى كبار مملكة الحبشة مؤداها ان المدعو بطرس مطران غير شرعى لم يعين من قبله وانه غير راض عن تعيين الابن الاصغر ملكا لان الاكبر أولى منه بالملك وأحق » ولذلك يطلب ان ينفوا كلا من المطران والملك الجديد ويعتبروا مينا حامل هذه الرسالة ويقيموا الابن الاكبر ملكا

ثم ذهب مينا بهذا الخطاب وسلمه للابن الاكبر فاطاع ارباب دولة الحبشة أمر البطريرك واقروا على نفى المطران والملك واجتمع حول الابن الاكبر بعض المشاغبين ودارت بينه وبين اخيه حرب اهلية انتهت بأسر الملك وسجنه ونفى المطران الى مكان بعيد ثم قام الابن الاكبر ملكا ومينا مطرانا وبقطر وكيلا له

غير انه بعد وقت وجيز حدث خلاف بين مينا وبقطر فانتهز هذا مرة فرصة كان فيها المطران المزور غائباً وطرد خدمة المطرانية ونهب كل مافيها من النقود والاشياء الثمينة وحملها واتى بها الى مصر واعتنق الديانة الاسلامية . وانتهى الخبر الى البطريرك فارسل بسرعة رسلا بخطاب الى الحبشة يحرم فيه مينا ويشجب اعماله ويأمر باعادة المطران الحقيقى. فقام ملك الحبشة المغتصب على مينا وقتله شر قتلة طمعاً منه فى استجلاب رضاء البطريرك وارسل يستدعى المطران بطرس فوجد انه قد مات لشدة ما لحقه من انواع العذاب في منفاه . وكان له تلميذ فأخذه الملك وأقامه عنده مطرانا دون ان يسمح له بالذهاب لينال الرسامة من البطريرك خوفاً من ان يوصيه بنزع الملك عنه واعطائه لاخيه . ولما علم البطريرك بما جرى سخط على الحبشة ولم يشأ ان يرسم لها مطرانا ونسج على منواله اربعة بطاركة لم يريدوا ان

رسموا مطراناً للحبشة واستمرت مدة سبعين سنة لم يرسل اليها من الكنيسة القبطية مطران واحد

وبعد ان مضى البابا قزمان ١٢ سنة و١٢ يوماً على كرسي البطريركية تنيح في ٣ برمهات سنة ٦٤٩ ش و٩٣٣ م

(٣) مقار ١ — البطريرك التاسع والخمسون . اختير للبطريركية بعد قزمان الآب مكاريوس من قرية شبرا قبالة وكان وحيداً لأمه العجوز ولكنه ترهب من صغره في دير أبي مقار ولما صار بطريركا وتمت رسامته في برمودة سنة ٦٤٩ ش و٩٣٣ م في عهد خلافة القاهر بن المعتضد انطلق الى دير ابي مقار كعادة اسلافه وعند عودته منه تلقى دعوة من اهل بلدته يرجونه فيها المجيء اليهم ولم يكن له في بلدته قريب سوى والدته العجوز وكان يحبها محبة زائدة لانها أحسنت تهذيبه وكانت لذلك الحين على قيد الحياة فعزم على زيارتها ليسر فؤادها بوظيفته السامية

وسار الى البلدة مع حاشيته ولما اقترب منها أسرع واحد الى والدته فوجدها فبشرها بقدوم ولدها بموكب عظيم . فلم تحفل بالبشرى ولم تلتفت لكلامه بل لبثت تشتغل والدموع تجري على خديها فاندهش ذلك الشخص من أمرها ورجع من عندها بخجل عظيم . أما البطريرك فاستقر في البلدة ريثما ينتهي الاحتفال بقدومه وبعد ذلك انطلق بمن معه نحو منزل أمه فلما وصل اليها رآها وهي تغزل لم تتحرك من مكانها فقط رفعت نظرها اليه مرة واحدة وعادت الى عملها وقد ارسلت من عينيها دمعتين حارتين دون ان تفوه بكلمة

فتقدم اليها بالسلام فردت عليه واستمرت في شغلها . فظن انها لم تعرفه وتجهل مركزه السامى الذي وصل اليه فقال لها « اعلمي يا أماه اني انا ولدك مقار الذي ارتقى الى اشرف رتبة في الكنيسة وقد صرت بطريركا فابتهجي وسري بما احرزه ابنك من المقام الرفيع » فرفعت عينيها اليه والدموع تتساقط منها بغزارة وقالت له وهي تجهش في البكاء « كنت اتمنى ان ارى نعشك محمولا على الاعناق وخلفك النسوة يبكين حزناً من ان اراك متقلداً هذه الوظيفة الخطيرة

يحيط بك الاساقفة والقسوس ذلك لانك لما كنت علمانيا كنت مسئولا عن خطاياك الشخصية فقط ولكنك لما صرت بطريركا فسوف تسأل عن خطايا كل الشعب وزلاتهم فتيقن انك في خطر عظيم هيهات ان تنجو منه بسهولة لانه من المعلوم ان المجد العالمي يحجب عن الانسان نور الحق . فمن أين يا ولدي تقدر ان تكون بصيراً وقد وضع مجد الرئاسة برقعاً على عينيك . فها قد انذرتك بما انت فيه من الخطر فكن محترساً واذكر والدتك التي تعبت في تربيتك » قالت هذا واستأنفت الغزل كما كانت فلما سمع البطريرك خرج من عندها وجلا كئيباً واستمرت هذه الكلمات تطن في أذنيه طول حياته وكانت سبباً في استقامته وحرصه على اتمام واجباته بكل امانة مدة العشرين سنة التي قضاها بطريركا حتى تنيح في ٢٤ بؤونه سنة ٦٦٩ ش و٩٥٣ م

(٤) ثاوفانيوس البطريرك الستون . وبعد نياحة البابا مقار انتخب خلفاً له ثاوفانيوس من الاسكندرية في شهر مسرى سنة ٦٦٩ ش و٩٥٣ م في عهد انوجور بن الاخشيد . وكان هرماً وفي اوائل ايام بطريركيته شعرت الكنيسة بعسر مالي عظيم وخلت مخازن البطريركية من الاموال بسبب الضريبة التي كانت مسينة لكنائس الاسكندرية كما ذكر آنفاً فضلا عن النهب المتواصل الذي كان واقعاً على الاقباط من الحكام والولاة . وقد رأى البطريرك ان الشعب ضجر من هذه الغرامات الباهظة فطلب من كنيسة الاسكندرية التنازل عن هذه الغرامة أو تخفيفها قليلا . ولكن كنيسة الاسكندرية لم تتنازل عن هذه الغرامة وأصرت على المطالبة بحقها

وكان البطريرك ثاوفانيوس حاد الطبع سريع الغضب كثير الحنق غير قادر على كبح جماح غيظه وقيل انذلك كان بسبب روح نجس تسلط عليه وقال بعضهم انه نشأ عن مرض عصبي كالصرع أو خلافه كان يفاجئه فيغير اطواره فلما رأى تصميم اقباط الاسكندرية على المطالبة بالغرامة أخذ يشتمهم ويوبخهم بما خرج به عن دائرة التعقل حتى استاء منه الكهنة واظهروا غيظهم منه بكلمات قاسية وجهوها اليه فازداد هيجانه وصياحه فحمله بعضهم الى مركب الى جابليون

لظنهم انه يهدأ اذا استنشق نسيم النيل ولكنه اذ لم يكف عن هياجه تقدم اليه أحد الاساقفة بالصلاة لتوهمه بان فيه روحاً نجساً فتشنجت اعصابه ووثب عليه وهنا اختلف في سبب موته فقيل انه لما لم يقو الاساقفة على تهدئته ظلوا به الى ان اخرجوه في البحر وجعلوا على وجهه مخدة ورقدوا عليها الى ان مات ورموه في البحر ويقول واضع سير البطاركة انه مات مسموماً وقتل مختنقاً والله اعلم وكانت وفاته في ٤ برمهات سنة ٦٧٤ ش و٩٥٦ م ومدة رئاسته ثلاث سنوات

وفي سنة ٩٤١ م كان بطريركا على كنيسة الاروام بمصر اوطوخيوس الطبيب وكان عالماً ضليماً واضطهدت كنيسته في عهده من الولاة المسلمين اضطهاداً عنيفاً جعلها تسقط في وهدة الانحطاط والتأخر وظلت خمسمائة سنة بعد هذا التاريخ وهي مطموسة الاثر عارية من كل خبر لا يعرف عنها شيء سوى اسماء البطاركة الذين قاموا فيها قياماً اسمياً بدون عمل يذكر

(٥) مينا ٢ — البطريرك الحادي والستون . وبعد وفاة البابا ثاوفانيوس انتخب للكرسي البطريركي راهباً قساً ولكنه رفض قبول هذا المركز الخطير وذكر اسم الآب مينا احد رهبان دير ابي مقار واصله من صندلا غربية وقبل ان يصير هذا الآب راهباً كان اهله قد ارغموه على الزواج فتزوج بامرأة عفيفة واتفقا معاً على عيشة البتولية . وحدث انه لما رسم بطريركا قاوم بعضهم رسامته بدعوى انه كان متزوجاً والقانون يمنع المتزوجين من ان يكونوا بطاركة وتحزبوا مع بعض الاساقفة واتفقوا على خلعه من وظيفته فعقدوا مجمعاً واستحضروا أمامهم زوجته ليقيموها دليلا على عدم شرعية بطريركيته فوقفت الزوجة في المجمع واعترفت بانه لم يعرفها معرفة زواج البتة فعدلوا عن رأيهم واعتبروا البابا مينا مستحقاً لرتبته وكانت رسامته في شهر برموده سنة ٦٧٤ ش و٩٥٦ م في عهد انوجور

وقد جلس هذا البابا على السدة البطريركية ١١ سنة وقعت فيها على طائفته بنوع خاص والأمة المصرية بنوع عام كل انواع الضيق والكرب لأنها في

اثنائها الى سيدة قبطية غنية اسمها دينة من محلة دانيال (غربية) وبقى فى ضيافتها حتى انتهت حياته فى ٣ كيهك سنة ٦٨٧ ش و ٩٧٥ م

(٦) ابرآم - البطريرك الثاني والستون . وبعد نياحة البابا مينا انعقد مجمع الاساقفة فى كنيسة ابي سرجه بمصر القديمه لانتخاب بطريرك جديد. وبينما هم يتباحثون دون أن يقر رأيهم على واحد دخل عليهم رجل كان مشهوراً بالآداب ومكارم الاخلاق يدعى ابرآم السرياني فلما وقع نظرهم عليه أجمعت آراؤهم على تزكيته لهذا المنصب ووضعوا عليه الايدي في شهر طوبه سنة ٦٨٧ ش و ٩٧٥م في عهد خلافة المعز لدين الله

وكان هذا البابا فى مبدأ أمره تاجراً كبيراً في مصر معروفاً لدى المعز وكانت بينهما صداقة قوية فلما عين بطريركا وزع جميع مقتنياته في سبل الخير وأفرغ جهده للقيام بواجبات وظيفته الخطيرة . وكان في عهده قزمان بن مينا الوزير القبطي الذي لما عين والياً على فلسطين ترك لدى البابا ابرآم مبلغ مائة الف دينار بصفة أمانة وأوصاه ان يحتفظ بها حتى يعود وان لم يرجع وأدركته المنية يفرقها على المشروعات الخيرية . وحدث انه لما وقعت فلسطين والشام في يد (هفتكين) صرفه البابا ابرآم تلك الاموال على من يستحقها ولكن فيما بعد رجع الوزير الى مصر بعد كسرة هفتكين وطلب من البطريرك الامانة فاخبره بما فعل فسر منه سروراً عظيما

وكان المعز الخليفة قد عهد ليعقوب بن يوسف جباية الخراج وكان هذا الرجل يهودي الاصل ولكنه أسلم بغية الحصول على المراتب العالية وكان يمقت المسيحيين ويشيع عليهم المذمات حتي طلب من الخليفة ان يأتي بامام النصارى لكى يحجه ويبرهن له بطلان ديانته . فاستدعى الخليفة اليه البابا ابرآم لهذا الغرض فأخذ البطريرك معه الانبا ساويرس اسقف الاشمونين العالم الكبير صاحب كتاب « تاريخ البطاركة » المشهور ودار بينه وبين ذلك اليهودي جدال فافحمه هذا الآب ببراهين قوية سربلته بالخجل أمام الخليفة

فاغتاظ ذلك اليهودي من المسيحيين اكثر مما كان وازدادت بغضته لهم

وأخذ ينسج لهم برد مكيدة أخرى حتى وقف على الآية الواردة بالانجيل المقدس القائلة « لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل » (مت ١٧ : ٢٠) فاسرع واطلع المعز على هذه الاية وقال له اذا كان دين النصارى صحيحاً فهو ذا جبل المقطم ينقلونه لنا فنعتبرهم والا فهم أهل للطرد من هذه البلاد لتخلوا مساكنهم للمسلمين

فانخدع المعز بكلامه ورأى اذا كان كلام المسيح حقاً فان جبل المقطم الذي يكتنف القاهرة اذا ابتعد عنها يكون مركز المدينة أعظم واذا لم يكن حقاً فهناك فرصة مناسبة لسلب المسيحيين . ولذلك استدعى البابا ابرآم وخيره بين أمور ثلاثة اما نقل الجبل أو اعتناق الاسلام أو ترك البلاد . فوقع البابا في حيرة ولكنه التمس منه ثلاثة ايام ثم رجع الى البطريركية وأصدر منشوراً عاماً يأمر فيه جميع مسيحي مصر بالصوم ثلاثة ايام الى الغروب وباقامة الصلوات الحارة لسلامة الكنيسة

أما هو فانطلق الى كنيسة السيدة العذراء المعروفة بالمعلقة بمصر القديمة وانعكف فيها على الصوم والصلاة حتى شاهد في نومه السيدة العذراء تشير عليه بان يخرج من باب الدرب الحديد الذي يقود للسوق الكبير فيجد هناك رجلا يحمل جرة ماء وهذا الرجل يعلمه ماينبغي عمله . فلما استيقظ أطاع الرؤيا فوجد الرجل وأتى به الى الكنيسة وافضى اليه بالامر فاعتذر الرجل بضعفه ولكنه اذ رأى البطريرك يلح عليه هدأ روعه وارشده الى الخطة التى يجب السير عليها

وفي صباح اليوم الثالث اخبر البطريرك الخليفة بانه عازم على نقل الجبل فسار الوالي الى خارج المدينة هو وجميع العظماء ولحقه البطريرك واساقفته وكبار العلمانيين والرجل الساقى بملابسه الرثه . وبعد تقديم الاسرار الربية سجد البطريرك يتبعه الشعب ثم وقفوا وهم يصرخون قائلين « كيرياليصون » فحدثت زلزلة عظيمة ولاح الجبل للناظرين كأنه يتزحزح من مكانه وبعد ذلك ارتفع حتى ظهرت الشمس من تحته ثم عاد الى مكانه . واخذ البطريرك في السجود والهتاف « كيرياليصون » والجبل يسقط ويقوم معهم فى سجودهم وقيامهم والشمس تظهر في اسفله حتى اكملوا ثلاث مرات . ففزع الخليفة ومن معه وعدا الى البطريرك

على ظهر الجواد والتمس منه ان يكف عن عمله لئلا تنقلب المدينة

وبعد هذه الحادثة غدا البابا ابرآم محبوباً عند الخليفة وقيل ان المعز اقترح على البطريرك ان يطلب منه مايشاء فطلب اليه البطريرك ان يعيد له موضع كنيسة القديس مركوريوس التي تخربت واستولى عليها المسلمون مدة الاضطهاد السابق وان يسمح له بترميم كنيسة المعلقة بقصر الشمع وكان قد انهدم من سورها جزء عظيم . فأمر الخليفة ان تعطى له كنيسة ابي سيفين في الحال . وكتب ابو المكارم سعدالله بن جرجس بن مسعود صاحب كتاب « الكنائس والاديرة » عن ذلك مايأتي « ولما شرع البطريرك في اعادة بناء الكنيسة هاج عليه رعاع المسلمين واعترضوه بدعوى انها تخربت من زمان طويل ولم يبق منها سوى بعض جدران آيلة للسقوط قد جعلها المسلمون مخازن لقصب السكر ولكنهم كفوا عن المقاومة عند ماعلموا ان الذي امر ببنائها هو الخليفة نفسه . وامر ايضاً بصرف كل نفقات البناء من خزينة الحكومة فأخذ البطريرك الدراهم وردها الى خزينة الحكومة والتمس من الخليفة ان يقبلها منه ثانية ولا يجبره على قبولها قائلا « ان الذي نبني له كنيسته قادر على ان يساعدنا حتى نتممها وهو غير محتاج الى مال العالم » فرضي الخليفة وبعد ذلك بمدة بدأ البطريرك في العمل فعادالاشرار الى المقاومة واوقفوا البناء ولما وصل الخبر الى الخليفة انفذ اليهم قوة عسكرية اخمدت هياجهم فواصل البطريرك العمل بكل طمأنينة وقيل ان الخليفة نفسه وقف على جدار الاساس وامر البطريرك ان يضع الحجر الاول ولما شرع في البناء طرح شيخ مسلم نفسه في الاساس قائلا « اما ان يمنع البناء او اموت في سبيل الدين » فغضب الخليفة وهم برجمه لولا ان البطريرك توسل اليه ان يسامحه ففعل وهو يتعجب من هذه الاخلاق السامية . ثم تقدم المسيحيون الى البابا بمساعدة مالية فقبلها شاكراً وبمعونة الرب تم له ما كان يرجوه من اتمام الكنيسة وتشييدها » اهـ

ومن مآثر البابا ابرآم انه ادخل في الكنيسة القبطية فرض صوم نينوى الذي يصومه السريان وذلك انه لما حل اول الصوم الكبير صامت الكنيسة القبطية اسبوع هرقل لجارامع البطريرك اذ لم يره لائقاً ان يكون فاطراً واولاده صائمين ولما جاء ميعاد صوم نينوى صامه فاقتدى به بنوه ومن ثم حفظت

الكنيسة القبطية على هذه العادة ليومنا هذا . ثم الحق بصوم الميلاد ثلاثة ايام بعد ان كان يصام اربعين يوماً فقط وهذه الثلاثة الايام هي التي صامها المسيحيون في عهد هذا البطريرك ليرفع عنهم الويل الذى كان مزمعاً ان يحل بهم بسبب نقل جبل المقطم

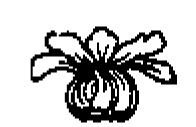
ومن فضائل هذا البابا ايضاً انه اجتهد في مقاومة كل العوائد الذميمة التي كانت متفشية بين شعبه بسبب اختلاطهم بالغرباء . فألغى أمر بيع الرتب الكهنوتية والمناصب الكنسية التي اضطر للسير عليها بعض البطاركة للتخلص من الغرامات الفادحة التي فرضها عليهم الولاة وجعل رسامة القسوس وتقليد الوظائف الدينية من اعماله الخصوصية ويحصل على ذلك شيئاً معلوماً من الشعب . ومن اعظم اصلاحاته التي قام بها بكل غيرة محاربة عادة التسري التي انتشرت بين الاقباط انتشاراً هائلا شوش حالتهم الداخلية ولا سيما الموظفين منهم في مصالح الحكومة وذلك بينما كانوا متمتعين بالراحة والرفاهية في ظل الدولة الفاطمية متقلدين المناصب الرفيعة ولهم الكلمة النافذة في دواوين الحكومة ناسين الاتعاب والمصائب التي كانت تتوالى عليهم فكثر تهافتهم على السراري فكان الواحد منهم يجلب الى بيته عدداً منهن بدون عقد شرعى مما ينافي روح الدين المسيحى . ولم يجدوا من يعارضهم او ينكرها عليهم لاهتمام البطاركة بجمع الغرامات المفروضة عليهم

فقام البابا ابرآم وانكر عليهم هذه العادة وطلب منهم ان يقلعوا عنها ولئن كانت قد تأصلت فيهم واعتادوا عليها وألفوها ومضى على اتباعهم اياها زمن طويل لم يسهل عليهم التنازل عنها مرة واحدة فلم يلق منهم سوى الاباء والمقاومة وعدم الرضوخ وكان اشد المقاومين له رجل مشهور بالغنى ونفوذ الكلمة يدعى أبا السرور وهو من الحاصلين على المناصب العالية في الحكومة وكانت لديه عدة سراري وحظيات فاعترض عليه البطريرك في ذلك وعنفه كثيراً ولما لم يرتدع اصدر عليه حرماناً من الكنيسة فما كان من هذا الغشوم الا ان سعى في موته فدس له السم وراح البطريرك شهيد الواجب ولم يتم على الكرسي سوى ثلاث سنين وستة أيام ورقد في الرب في ٦ كيهك سنة ٦٩١ ش و٩٧٩ م

(٧) فيلوثاوُس . وخلف البابا ابرآم في شهر طوبه من تلك السنة فى عهد عبد العزيز بن المعز الراهب فيلوثاؤس من دير أبي سيفين وقيل انه من دير أبي مقار . وهـذا البطريرك مع انه لم يعارض الامة فى عادة التسري التي كان يستقبحها سلفه الا انه كان مبغوضاً . وقد ذكر التاريخ عنه أموراً مذمومة فلم يكن يهتم بغير صالح شخصه وارخى العنان للملاذ الجسدية ومحبة الأكل والشرب وتدخير المال ولذلك لم يكن أحد يرتقي الى درجة الاسقفية في عهده الا بعد دفع جعل عظيم

وتلقى هذا البطريرك فى ايامه رسالة من بلاد الحبشة بعد الانقطاع الطويل الذي كان بين الكنيستين فيه يطلب ملكها بواسطة جرجس ملك النوبة من البطريرك ان يهتم بانقاذ الحبشة من التعاسة الدينية التي وصلت اليها بسبب عدم رسامة مطارنة لها واعترف فى خطابه ان ما حل ببلاده هو قصاص عادل لما اقترفوه ضد الكنيسة القبطية فأسرع البطريرك ورسم الراهب دانيال من دير ابي سيفين اسقفاً للحبشة وسار اليها فاستقبله ملكها الشاب الشرعي الذي كانت قد اغتصبت الملك منه امرأة فأجلسه المطران على عرش أجداده وحرم للمرأة المغتصبة فأنزلها الشعب عن الكرسي وحكموا باعدامها

وطالت مدة هذا البطريرك فاستمر ٢٤ سنة على كرسي البطريركية لم يقع فيها اي ضيم على الكنيسة وبينما كان قائماً مرة بخدمة القداس سقط فجأة فاقد الرشد فحل محله أحد القسوس وتمم القداس وفى النهاية حملوه للبطريركية حيث اسلم الروح فى ١٢ هاتور سنة ٧١٦ش و ١٠٠٤م



القسم الثانى

مشاهير الكنيسة

٠٠٠٠٠٠٠

(١) ابو المكارم (٢) الانبا ساويرس اسقف الاشمونين (٣) قزمان ابن مينا

○○○○○○

(١) ابو المكارم . هو سعدالله بن جرجس بن مسعود كان من أفاضل القبط ومؤرخيهم وضع سنة ٩٢٥ م كتاباً في تاريخ الاديرة والكنائس القبطية عثر على جزء منه راهب كاثوليكي يدعى فانسليب أتى مصر في القرن السابع عشر واشتراه بثلاثة قروش وطبع بعد موته وهو يباع اليوم بمائة وخمسين قرشاً وينسب الى أبي صالح الارمني خطأً لان اسمه وجد مكتوباً عليه ويظهر انه ناسخ الكتاب او مقتنيه ووجد المرحوم الايغومانوس فيلوثاوس ابرهيم رئيس الكنيسة المرقسية بالقاهرة بقية هذا الكتاب وادرك ذلك البحاثة جرجس افندي فيلوثاوس عوض ولكن ليس بين كتاب الاقباط من له همة كافية ليقوم بطبعه ونشره كاملا .

(٢) الانبا ساويرس اسقف الاشمونين · الاشمونين كانت مدينة زاهرة ومشهورة عند القبط القدماء . وكان يعبد فيها انوبيس وهرمس وغيرهما . وظلت شهرتها ممتدة الى العصر المسيحي وكانت بها الى زمن قريب تماثيل قديمة وكنائس كثيرة لانها كانت مركزاً لاسقفية ومن اشهر اساقفتها الانبا ساويرس

المذكور . كان عالماً فاضلا وهو اول من اعتنى بجمع تاريخ البطاركة السالفين جمعه من السجلات المكتوبة باللغتين القبطية واليونانية المحفوظة بدير أبي مقار ودير نهيا ونقله الى اللغة العربية مظهراً أسفه لانصراف بعض موظفي القبط في ذلك العهد عن لغتهم القبطية الى اللغة العربية وأتمه وهو في سن الثمانين وقد اضاف الانبا ميخائيل اسقف تانيس (١) على هذا الكتاب تاريخ البطاركة لغاية سنة ١٢٤٣ م .

وللانبا ساويرس جملة مؤلفات تدل على تمكنه من العلم والمعرفة وضعها باللغة العربية التي ترجم اليها ايضاً كثيراً من المؤلفات القبطية واليونانية لفائدة ابناء جلدته الاقباط ولا سيما سكان الفسطاط والقاهرة الذين كانوا قد هجروا بالكلية لغتهم القبطية بسبب اشتغالهم بالدواوين كما ذكر . وقد عد صاحب كتاب « الجريدة النفيسة » اثنى عشر مؤلفاً لهذا الحبر الفاضل جميعها باللغة العربية وهى (١) التوحيد (٢) الاتحاد الباهر رد به على اليهود (٣) الشرح والتفصيل رد به على النساطرة (٤) مبادىء الدين كتبه للوزير قزمان بن مينا (٥) نظم الجوهر (٦) المجلس (٧) طب الغم وشفاء الحزن (٨) المجامع (٩) تفسير دستور الايمان (١٠) كتاب فند به مزاعم سعيد بن بطريق بطريق الملكيين (١١) الايضاح . ويظهر ان الباباويين نغلوه ببعض مدعياتهم (١٢) ترتيب الكهنوت

هذا غير ما لم يقف له على خبر . وقد ترجم « تاريخ البطاركة » الذي اعتمدنا عليه كثيراً في كتابنا هذا الى كثير من اللغات الاوروبية وكذا « تاريخ المجامع » وغيرها ومما يؤسف له ان نرى انفسنا اقل غيرة على آثار آبائنا من الغير . فالغربيون يعنون بها ويبحثون عنها بحثاً دقيقاً ويحفظونها في مكاتبهم ويترجمون النافع منها الى لغاتهم واما نحن فان لم تصلنا منهم فلا نقف لها على أثر

(٣) قزمان بن مينا . كان من كبار رجال حكومة المعز لدين الله . وكان

---

(١) تانيس أو تنيس هي مدينة صان بمديرية الشرقية بقرب بحيرة المنزلة فى الشمال الغربي للصالحية. وذكرت هذه المدينة في التوراة باسم صوعن {عد ١٣ : ٢٢} ويقال ان موسى النبي صنع عجائبه فيها

في الوزارة وقتئذ يعقوب بن كلس اليهودي المار ذكره نخشي ان يأول ميل الخليفة الى قزمان الى حلوله في منصبه واتفق ان خلا منصب ولاية فلسطين التي كانت تابعة لمصر وفكر الخليفة في رجل امين يوليه هذا المنصب فأشار عليه يعقوب بان يختار له قزمان بالنسبة لطهارة ذمته وحسن تدبيره وهكذا تمكن من ان يبعد منافسه عن مصر . وحدث بعد ذلك ان رجلا من بغداد يدعى هفتكين هجم على الشام وهزم الجيوش المصرية التي كان يقودها جوهر واستولى على قسم عظيم منها وأحس قزمان بعظم الخطر فجمع كل ما كان للولاية من المال والنفائس وخبأه في دير وبعد ان تم الصلح بين جوهر وهفتكين أخذ يعقوب يوغر صدر الخليفة على قزمان ويصفه بالخيانة واغتيال اموال الولاية ليحمل الخليفة على قتله ولم يرض الخليفة بالصلح الذي عقده جوهر فقام بنفسه الى الشام وحارب هفتكين وفاز به وعندئذ تقدم اليه ابو اليمن ومعه اموال الولاية وسلمه اياها فشكر له حسن امانته واقره في منصبه

٠٠٠٠٠٠٠٠

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

٠٠٠٠٠٠٠٠

(١) الدولة الاخشيديه (٢) حكم الفاطميين . الخليفة المعز وقائده جوهر وابنه العزيز (٣) تنصر الواضح بن رجا

٠٠٠٠٠٠

(١) **الدولة الاخشيدية** . وبعد انقراض الدولة الطولونية قامت هـذه الدولة مكانها فحكمت مصر باسم الدولة العباسية مدة اربع وثلاثين سنة من سنة ٩٣٤ — ٩٦٨ م ومحمد الاخشيد رأس هـذه الدولة لما رأى احتياجه المال لينفقه في الحروب زاد الضرائب المطلوبة من الاقباط . ونشأ عن ارتباك الحكم في البلاد مجاعة فادحة يقول المؤرخون نشأ عنها زوال ابروشيات كثيرة برمتها واضمحلالها لان اقباطها ماتوا من الجوع ولم يبق منهم واحد

(٢) **حكم الفاطميين — الخليفة المعز وقائده جوهر وابنه العزيز سنة ٩٦٩م.**

وبعد انقراض الدولة الاخشيديه آل الحكم في مصر الى الدولة الفاطميه واول خلفائها المعز لدين الله . وفيما مضى أغار ملوك مصر مرات متوالية على الممالك المسيحية في السودان وحاولوا اكراه اهلها على اعتناق الدين الاسلامى ولكنهم لم يفلحوا حتى ان جوهر قائد جيش المعز ارسل وفداً الى جرجس ملك النوبة يدعوه الى الاسلام فرد عليه بكتاب يقول فيه « بعد السلام والتحيات . ندعوكم الى اعتناق الدين المسيحي » وبعد ذلك انتهت المخابرات وعاشت ممالك السودان المسيحية بأمن باقى هذا الجيل

وفي الوقت الذى احتل فيه الفاطميون مصر كان المسيحيون في مصر يسكنون مدينة بابيليون (مصر القديمة) التى كانت معتبرة أقدم مدن القطر المصري ورغماً عما حل بالاقباط من المصائب كان عددهم حينئذ كما ذكر خمسة ملايين وكانوا هم أهل البلاد والسلطين فيها والذين بيدهم مقاليد الامور والاعمال على اختلاف انواعها

وعزم جوهر القائد على بناء جامع يفوق كل الجوامع التى بنيت في المدينة الجديدة التى بناها وسماها باسمه « القاهرة » فاخذ أغلب أعمدة هذا المسجد من الكنائس المسيحية. وحدث ان اسلام مدينة تانيس قد خرجوا على المعز واستقلوا بانفسهم وساروا يعيثون في الارض فساداً فنهبوا اغنياء النصارى وخطفوا البنات والنساء منهم وفضحوهن ولبثوا يرتكبون هذه الفظائع مدة طويلة حتى اضطر

قوم من النصارى يعرفون باولاد قشلام ان يبعثوا برسائل سرية الى المعز يلتمسون منه ان يسعى في انقاذهم فلبى دعواهم وارسل جنوداً أحاطوا بالعصاة وحاصروهم مدة ثلاثة أشهر والعصاة يجرون الفتك بالمسيحيين فاضطر هؤلاء الى عقد صلح معهم ودخل قائد جيش المعز ودعى العصاة اليه وأولم لهم وليمة عظيمة ولما طاب قلبهم بالخمر هجم عليهم وذبحهم عن آخرهم

(٣) تنصر الواضح بن رجا . وقد روى المؤرخون انه في ايام الخليفة المعز حدث ان احد رجاله اعتنق الدين المسيحي ومن أمره انه كان يدعى الواضح بن رجا تعلم القرآن صغيراً ونشأ كارهاً للدين المسيحي كراهة زائدة . وفي ذات يوم كان مجتازاً رأى قوماً ملتفين حول شاب مسلم تنصر فسأل عن الخبر فقيل له انه قد حكم عليه بالموت حرقاً وهو يساق الى المكان الذي أعدت فيه النار وهم يحاولون اقناعه بالرجوع الى دينه فتأسف الواضح عليه وأنشأ ينصحه ليجذبه الى الاعتراف بالدين الاسلامي ويقول له « كيف تعتنق دين الثلاثة الآلهة » فاجابه المسيحي « انا أؤمن باله واحد وسيأتي عليك وقت فيه تؤمن مثلي وتتألم لاجل هذا الدين نظيري »

فلما سمع الواضح قوله اغتاظ منه ورفسه برجليه وقال له « أيها الضال المختل هل أصير نصرانياً مثلك وكافراً نظيرك حاشا ثم حاشا » ثم تناوله الواقفون بانواع الاهانات والرجل ساكن هادىء وبعد ذلك ساروا به الى موضع الاعدام والواضح معهم وشاهد المسيحي وهو يقدم عنقه للسياف بهدوء ويحتمل العذاب بصبر وبعد قطع رأسه القى جسده للنار ولما انطفأت جاء قوم من المسيحيين فوجدوا جسده سالماً

فرجع الواضح من ساحة الاعدام وقد هاله ما رأى من ثبات المسيحي وأدهشه اقدامه على الموت بمثل تلك الشجاعة وقضى ليلته وهذه الافكار تتردد على خاطره وشعر بأسف في قلبه على الاهانة التي أوقعها بذلك الشاب الوديع وخشي ان يقوده هذا الفكر الى اتمام نبوءة ذلك الشاب عنه فاراد التسلي بالذهاب الى الحج وفيما هو في الطريق حلم ان أحد شيوخ الرهبان دعاه اليه ثلاث مرات وقال له « ان

كنت ترغب في خلاص نفسك فقم واتبعني » فقص حلمه على رفاقه فافهموه انه أضغاث أحلام

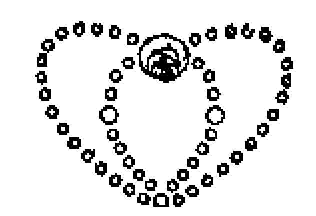
وبينما هو راجع من الحج ضل عن الطريق قبل وصوله القاهرة وتاه في الصحراء عن القافلة وهجمت عليه جيوش الظلام وهو يرتعد خصوصاً عند ما سمع زئير الوحوش الضارية القريبة منه فاستغاث قائلا « اذا نجوت من هـذا الخطر أعتبر نجاتي برهاناً على صدق الدين المسيحي وأرغم على اعتناقه » ولم ينته من قوله حتى أقبل عليه فارس وطلب اليه ان يتبعه فسار خلفه حتى أوصله الى دير القديس مركوريوس (ابو سيفين) بمصر القديمة . ورفع الواضح عينه فاذا به في كنيسة مسيحية فلم يعد يرتاب في ان ماجرى معه كان بتدبير العناية الالهية لخلاصه بايمانه بالمسيح

ولما أصبح الصباح ورآه خادم الكنيسة جزع منه وخاله لصاً ولكنه اذ رأى اثاث الكنيسة باقياً حسبه مجنوناً ولكن الواضح طمأنه وسأله عن المكان الذي هو فيه فاخبره انه في كنيسة القديس مركوريوس وقص عليه خبر جهاد هذا القديس وأراه صورته في الايقونه فاندهش الواضح عند ما الفاها تشبه تمام الشبه صورة الفارس الذي قاده الى تلك الكنيسة . فصمم على اعتناق الدين المسيحي واطلع خادم الكنيسة على سريرته فخبأه الشماس في مكان وارسل اليه أحد الكهنة فحفظه في الدير مدة وعمده سراً خوفاً من الشر الذي يحيق بالكنيسة اذا شعر أحد أقاربه ودعى اسمه بولس

واتفق انه خرج ذات يوم الى خارج الكنيسة فشاهده أحد أصدقائه فاندهش وصار بين الشك واليقين لما أشيع عنه بانه مات تائهاً في طريق مكة ثم سار واخبر اهله بذلك فتنكر اثنان من اخوته ووقفا امام باب الكنيسة حتى خرج ولما تحققاه قبضا عليه واتيا به الى ابيهما فلما شاهده بكى بدموع غزيرة ولعن شيخوخته وضرب بوجهه الى الارض فاجابه الواضح « لماذا تبكي يا أبي اذا احزنتك الثياب الرثة فان باطني متجدد بالنعمة وبالقوة المسيحيتين » فاستخبر منه ابوه عما اذا كان قد ضل وصار مسيحياً فاجابه « انى لم اضل ولكني اهتديت واسمي بولس » فازداد الشيخ بكاء وعويلا وهو يقول له « هل اردت ان

تلطخ حياتي بالعار وتزدريني امام عارف التمس منك ان تمنع عني هذا الخزي اكراماً لشيخوختي برجوعك الى دينك الاول » فأجابه الواضح قائلا « ينبغي ان يطاع الله اكثر من الناس من أحب أباً أو أماً أو ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني » (مت ١٠:٣٧) هكذا قال السيد المسيح واعلم اني مسيحي وعلى اسم المسيح اموت » فهدده والده بالموت ان لم يرجع ولما رآه مصراً طرحه فى بالوعة ماء دون أكل وشرب مدة اسبوع كانت أمه فى اثنائه تتردد عليه من كثرة شفقتها وتلقى له بعض الطعام . ولما شاهد رجا ان أمه تكاد تقتل نفسها من شدة الحزن اتفق مع أولاده على اطلاق سبيله سراً فسار الى أديرة وادى النطرون ولبس شكل الرهبنة ولكن أحد الرهبان حسن له الرجوع الى وطنه بدعوى انه لا يستطيع ان يمجد الرب الا باعلانه ايمانه فى نفس وطنه . فأسرع الراهب بولس بالذهاب الى بلدته وهناك صرح علانية بانه مسيحي فعرفه اهله وأتوا به الى منزلهم فلم عد اليه احد يد الاذى نظراً لمحبتهم له ولكنهم نصحوه كثيراً ان يعود لديانته الاولى فلما رأوا منه اصراراً زائداً سجنوه في ذلك المكان المظلم مستودع القذارة مدة ستة ايام بدون طعام . وكان للواضح زوجة جميلة له منها ولد صغير فصارت تتردد عليه تلك المدة وتستعطفه ليرجع اشفاقاً على ولده وهو لا يرد جواباً فأخرجه ابوه ودعاه الى الاقرار بالاسلامية فأبى فأراد ان ينتقم منه انتقاماً هائلا فأمر كبير أولاده ان يأتي بزوجة الواضح ويزني بها امام عينيه ففعل وعينا الواضح ترياك ومع ذلك لم تكن هذه التجربة المرة لتثني عزمه بل ظل ثابتاً فهدده ابوه بانتقام آخر قائلا له « ان لم ترجع عن ضلالك لاغرقن ابنك وانت ترى » فأجابه الواضح « لاريب اني احب ابني فلذة كبدي ولكن بلا شك احب المسيح اكثر منه » فأخذه رجا من امه ودفعه لقوم وامرهم ان يجروا الواضح الى البحر ويغرقوا ابنه امامه اذا هو لبث مصراً على ضلاله فساروا بهما ولما وصلوا الى البحر اخذ احدهم الولد وغطسه حتى رقبته ودعى اباه الى الارتداد فصاح الواضح بحرقة « انت تعلم ايها المسيح مقدار محبة الوالد لولده ولكن لا تسمح بان تكون هذه المحبة سبباً للكفر بك ولهذا أقدم ابني باختياري ضحية لك كما قدم ابرهيم ابنه اسحق » ثم التفت نحو الرجل وقال « اني أفضل المسيح لا على ابني

فقط بل على كل ما يوجد في الارض بأسرها » فترك الرجل الولد يغوص فى الماء وعاد بالواضح الى ابيه فسلمه للحاكم ليقتص منه فتوسلت زوجته الى الحاكم ليبقيه حياً فشفق عليها وأطلقه فانطلق الى اسقف الاشمونين ولبث معه مدة قصيرة وبعد ذلك مضى الى أقاصي السودان جنوباً وبنى كنيسة باسم رئيس الملائكة ميخائيل . ثم رجع الى مصر ليرسم كاهناً وعرض أمره على فيلوثاؤس البطريرك وكان كما ذكرعنه محباً للسيمونية فأبى ان يرسمه الا بعد دفع مبلغ من المال فحزن لهذا الامر والبطريرك يصر على طلبه حتى دفع المبلغ أحد اغنياء الاقباط ورسم بولس كاهناً . فبلغ أباه الخبر فاستعظمه واستأجر قوماً من الاعراب ليفتكوا به ولكن بعض الاقباط اخطروه بما دبر ضده فهرب الى بلدة تدعى صدفا واقام خادماً فى كنيسة للقديس تادرس فلما شعر به المسلمون هاجوا عليه يريدون قتله ولكنه مات قبل ان يتمكنوا منه . وعند موته هجم المسلمون على الكنيسة وسلبوها . وكان قد أوصى وكيل البطريركية بجثته خوفاً من ان تعبث بها ايدي المسلمين فاحتفظ الوكيل بها وقص خبره على ميخائيل اسقف صان المؤرخ .



القرن الحادي عشر

القسم الاول

تاريخ البطاركة

....

(١) زكريا (٢) شنوده ٢ (٣) خيروستوذولو (٤) كيرلس ٢ (٥) ميخائيل ٢

....

(١) زكريا — البطريرك الرابع والستون . في مبدأ هذا الجيل انعقد مجمع الاساقفة والكهنة والعلمانيين لانتخاب البطريرك وفي اثناء انعقاده كان ابرهيم بن بشير احد تجار الاسكندرية المشهورين بالغنى والمعروفين لدى كبار المملكة قد مضى الى الملك في القاهرة والتمس منه ان يكتب للمجمع كتاباً يأمره فيه بانتخابه بطريركا . فكتب اليه وسار الى الاسكندرية وقبل ان يصل اليها كان المجمع قد وسم الاب زكريا في شهر طوبه سنة ٧١٦ ش و١٠٠٤ م في عهد الحاكم بأمر الله . وقيل ان ابرهيم المذكور كان معضدا من بعض اعيان الاسكندرية ولما رآه الاساقفة يحمل امراً ملكياً خافوا لئلا يوقع بهم الحاكم وسعوا في ترضية خاطره فرسموه قساً ثم قمصاً ووعدوه بالاسقفية عند خلوا أية ابروشية فطابت نفسه بذلك وقيل انه رسم فيما بعد اسقفاً على مدينة ممفيس

اما الآب زكريا فاصله من الاسكندرية وتأدب من حداثته بالآداب المسيحية ونظراً لحسن سيرته رسموه قساً بكنيسة الملاك ميخائيل بالاسكندرية ولما رسم بطريركا سار في خطة آبائه الاطهار وجعل همه التدقيق في رسامة الاساقفة لكراهته عادة السيمونية (أي بيع الرتب نسبة الى سيمون الساحر الذي اراد ان يشتري موهبة الروح بدراهم) فكان شديد الوطأة على اولئك الذين كان يظن انهم ارتقوا بهذه الواسطة . وقد أقام عنده مجلس اساقفة لحل المشاكل الدينية وكان جلهم من اقربائه فلم يراعوا الأمانة في خدمتهم فكانوا يقبلون الرشوة من المتقاضين لتنفيذ مآربهم وقيل ان احدهم جمع اكثر من ٢٠ ألف جنيه من هذه الطريق ونشأ عن هذا التصرف ضيق شديد للبطريرك سيأتي ذكره .

فمن ذلك ان رجلا يدعى القس يوحنا كان كاهناً على قرية ابي نفر «بالجيزة» بلغ به الشوق لمنصب الاسقفية لدرجة انه سار الى البطريرك وطلب منه ان يتمم رسامته فقدم البطريرك طلب يوحنا الى مجمع الاساقفة فلم يره المجمع لائقاً فرفض طلبه قيل لانه كان متزوجاً . وكان للبطريرك ابن اخ يدعى ميخائيل اسقف سخا وهو محب للرشوة فطلب من القس يوحنا مالا يساعده على بلوغ غرضه فاعتذر يوحنا ووعده بالوفاء بعد تعيينه فعمل ميخائيل على مماكسته الا ان البطريرك لم يقطع امله بالمرة بل وعده بنيل مراده بعد حين . ولكن القس الح عليه باجراء الرسامة حالا وهدده بان يوقع به اذا امتنع فازدرى به البطريرك لوقاحته وطرده . فأضمر له القس الشر ولما كانت له كلمة في دوائر الحكومة عزم على تقديم شكواه للخليفة . فشعر الكتاب الاقباط بذلك وخافوا ان تأول تلك الشكوى الى اضطهاد عنيف فأخذوا يلاطفون القس وكتبوا له تزكية منهم وخطاباً للبطريرك يطلبون منه تعيين يوحنا اسقفاً

وكان البطريرك غائباً بوادى هبيب فقادت القس يوحنا الصدف الى الوقوع بين يدي عدوه ميخائيل فلما علم بأمره خشي ان يقابل البطريرك فيرسمه وأسرع فى تسليمه لقوم من العرب وأمرهم بان يلقوه في بئر ويرجموه حتى يموت فأخذوه وفعلوا به كما أوصاهم ولحسن حظ يوحنا كان في تلك البئر كهف فتوارى فيه

ونجا من الخطر واذ ظن الاعراب انه مات تركوه

وبلغ الخبر بعدئذ البطريرك فغضب على ابن اخيه جداً وكانت مساوئه وميله لقبول الرشوة قد ذاعت وانتشرت فسخط عليه وأمر قوماً ممن يثق بهم ان يذهبوا ويخرجوا الرجل فوجدوه حياً . فلما مثل امامه وعده برسامته اسقفاً عند خلو أية ابروشية وفيما بعد اضطر البطريرك ان يخلف وعده ليوحنا بالنسبة لحكم مجمع الاساقفة ولما سمعه عن تصرف يوحنا المعيب فلما خلت اول ابروشية عين لها واحداً بدله وقيل ان ميخائيل ابن اخي البطريرك هو الذي مازال به حتى رسم غير يوحنا

فاغتاظ يوحنا من ذلك وعول على الانتقام من البطريرك فكتب تقريراً شائناً بحقه ورفعه الى الحاكم بامر الله وكانت عادة البطاركة الى هذا الزمن مكاتبة ملوك الحبشة والنوبة مباشرة فوشى القس للخليفة ان البطريرك يكاتب هؤلاء الملوك ويكشف لهم كل مايجرى فى البلاد ويعرفهم سوء معاملة النصارى خلافاً للعهود. فغضب الحاكم وأمر بالقبض على البطريرك وعلى بعض الاساقفة والقاهم في السجن ثلاثة شهور ثم طرح البطريرك بعدذلك للاسود هو وراهب يدعى سوسنة النوبي فلم ينلهما منها ضرر بل تآنست بهما ومما ذكر ان أحد الاسود كان يأتى وينطرح تحت قدمى الراهب سوسنة ويلحسها . فعاقب الحاكم متولي أمر السباع وتوهم ان امتناعها ناشيء عن كثرة أكلها فأبقاها مدة بغير طعام ثم ذبح خروفاً ولطخ بدمه أثواب البطريرك والراهب والقاهما أمامها ففعلت كالاول فأعيدا الى الحبس واستمر الحاكم مدة تسع سنين يضطهد الاقباط والبطريرك زكريا في أعماق السجون يهدده تارة بالحرق ويعده تارة بالهبات والمطايا اذا تدين بالاسلامية وحمل الاقباط على اعتناقها

غير ان البطريرك لبث ثابتاً كالصخر أمام كل هذه الزوابع حتى مل منه الحاكم وتوسل اليه أحد الامراء ان يشفق عليه فأتى بالبطريرك ونفاه في أحد الاديرة البعيدة فى برية شيهات وأمره ان لايخرج منه ابداً وان لا يكاتب البطاركة ملوك النوبة والحبشة مباشرة والا يقبلوا منهم مكاتبات الا بعد عرضها عليه ومعرفة ما فيها وكذلك طلب من هؤلاء الملوك ان تكون المكاتبات منهم واليه

مباشرة وبقي الامر هكذا مدة طويلة فكان اذا اتى الخليفة أو السلطان كتاب يقتضي الرد يطلب من البطريرك ان يشرح له ما عليه نصارى مصر من الراحة والحرية في الدين وعدم التعرض لهم في عقائدهم ولو كانوا في أشد عذاب ويوصيه خيراً بالمسلمين الذين تحت رعايته

وحدث ان راهباً يدعى بيمين تدين بالاسلامية وتزلف الى الحاكم ونال منه حظوة وتمكن من استصدار أمر برفع الاضطهاد عن الاقباط وعاد الى كنيسة ابي سيفين وزاره الخليفة في تلك الكنيسة لمحبته له فسأله ان يأذن للمسيحيين في العودة الى مدينة بابيليون فاجابه الى طلبه ورجع البطريرك واقام في كنيسة ابي سيفين مع بعض الاساقفة والكهنة والراهب بيمين وزار الخليفة الكنيسة مرة أخرى فعرفه بيمين بالبطريرك فاندهش من حقارة ملابسه وعدم تهيبه وسأل عن مقدار نفوذه فاجابه انه بحالته البسيطة هذه يستطيع ان يخضع الناس له برسالة يوقع عليها باسم الصليب اكثر من خضوعهم لجيوشك الجرارة

فادار الخليفة وجهه وخرج من الكنيسة وهم لا يدرون على ما عزم ان يفعل بهم ولبثوا في الكنيسة ينتظرون الهلاك المريع وزادهم رعباً حضور القس يوحنا كاهن ابي نفرعلة كل المحن الى الكنيسة في ذلك الوقت وتقدم الى البطريرك وهنأه برجوعه سالماً وعاد يطلب منه الطلب القديم فاغتاظ الاساقفة من هذه الدناءة وعابوا على البطريرك مقابلته يوحنا بالحنو وقالوا له لسنا ندري الى أية مهواة تريد ان تقودنا ببساطتك . وكان أشدهم مقاومة ليوحنا واظهاراً للغيظ منه ميخائيل ابن اخي البطريرك نخاف منه يوحنا واحتمى ببعض الواقفين فاقنعوا ميخائيل بضرورة الصفح عنه فصفح ورفعوا يوحنا الى رتبة الايغومانوسية وهي أعلى درجة يستحقها بصفة كونه متزوجاً

وبعد بضع ساعات ضجت الكنيسة كلها لسماعها نبأ رجوع الخليفة اليهم وارتفعت جميع الاصوات بالبكاء والعويل حتى شاهدوا الخليفة بالعيان يدخل الكنيسة بحاشيته فكادت الباهم تطير واذا بالحاكم يسلم البطريرك فرماناً باباحة الحرية للاقباط ورد جميع ما سلب منهم فتغيرت لهجة حزنهم بلهجة الشكر لله على هذه النعمة الجزيلة ثم تفرغ البابا زكريا لترميم ما تهدم من الكنائس بدون كلل

مدة ١٢ سنة فجدد منها الكثير وساعده على ذلك فرمان الحاكم بأمر الله
والتاريخ يمدح البابا زكريا ويصفه بالتقوى الزائدة حتى استحق ان تجرى على يديه آيات وعجائب بقوة الله ومن ذلك ان شماساً اختلف مع امرأته وتركها فجربه الشيطان بارتكاب خطية الزنا مع خنثي ولانه أحد خدام بيعة الله انتقم منه عاجلا بان ضربه بالبرص . ولما مضى الى بيته رأته امرأته على تلك الحال فقدمت عليه شكوى للبطريرك فاستحضره لديه وفرض عليه قانوناً بان يصوم اربعين يوماً الى المساء ويأكل ويشرب فقط مايسد الرمق والسغب وبعد انقضاء هذه المدة منحه الحل والغفران ومسحه بزيت فنال الشفاء العاجل

واستمر البابا زكريا بطريركا مدة ٢٧ سنة قضى منها منفياً مدة تسع سنين ببرية شيهات وبنى في عهده دير شهران (١) المعروف الآن بدير العريان بناه الراهب بيمين بأمر الحاكم . وكانت نياحة البابا زكريا في ١٣ هاتور سنة ٧٤٥ش و١٠٣٢ م

(٢) شنوده ٢ — البطريرك الخامس والستون . وبعد وفاة البابا زكريا انتخب مجمع الاساقفة والشعب راهباً يسمى شنوده من دير ابي مقار وأصله من طنان وقيل تلبانه وكانت العادة ان الخليفة لا يصرح بتقليد البطريرك الا اذا أورد مبلغاً مقداره ٦٠٠٠ دينار نقداً أو يكتب به صكا ليدفعه في ميعاد معين وكان بين الاقباط رجل مسموع الكلمة يسمى ابن بكر فسعى لدى الخليفة فأصدر امراً برفع هذه الغرامة واذن برسامة الاب شنوده بطريركا فرسم في شهر كيهك سنة ٧٤٥ ش و١٠٣٢ م فى عهد خلافة الظاهر بن الحاكم

وفى وقت ترشيح شنوده اشترط عليه اكليروس الاسكندرية ان ينفق على كنائسهم كل سنة ٥٠٠ دينار واشترط عليه اعيان الطائفة ان يرفض قبول أية رشوة لاسيما ممن يروم ان ينال درجة كهنوتية . ولكن هذا البطريرك لم يكد يستقر به المنصب حتى اظهر من محبته للمال ما أوجب اعتراض اهم ابناء امته عنه لا سيما

---

(١) اسم البلدة التى كان بها الدير وكانت عامرة آهلة وقد خربت وتلاشت كغيرها وفي موقعها الآن قرية حقيرة تسمى المدمرة

ابن بكر الذي نصحه بالسير في طريق الاعتدال فأهانه وتجاوز عهده ولم يكن يسمح برتبة الاسقفية او القسوسية الا لمن يجزل له الرشوة . ويقال ان الايغومانوس يوحنا الذي طالب بالاسقفية في عهد البابا زكريا ولم ينلها رأى الفرصة مناسبة للحصول عليها فقدم للبطريرك ماجعله اهلا للاسقفية على ابروشية العريش وصار يدفع ستين ديناراً سنوياً لحصوله على امنيته . وباع البطريرك اسقفية باتفيوس للاسقف روفائيل بالف ومائتي دينار واسقفية ليكوبوليس «اسيوط» بمبلغ فادح . غير ان شعب ليكوبوليس رفض قبول هـذا الايغومانوس اسقفاً عليه لعلمه بنواله الرتبة بالسيمونية فطلب من البطريرك اما ان يقنع الشعب او يعطيه مادفعه فرفض اجابة الطالبين

واصدر هـذا البطريرك قراراً يقضي بان تـكون جميع مقتنيات الاساقفة ملكا للبطريركية بعد وفاتهم وكان اول من نفذ فيه هذا القرار اسقف شنان فأمر اخاه ان يسلم كل ما كان لاخيه الى البطريركية فالتمس منه ان يترك له ولو شيئاً يسيراً يعيش منه فلم يقبل فاعتنق الرجل الديانة الاسلامية ورفع دعواه للمحاكم الشرعية التي حكمت له باحقية امتلاك جميع مقتنيات اخيه . غير ان هذا القرار اي تحويل مقتنيات الاساقفة الى البطريركية بعد وفاتهم صار نافذ المفعول وعمل به لغاية يومنا هذا

وفي السنة الثانية من رئاسة هـذا البطريرك أظهر رفضه لدفع الاعانة التي قررها للاسكندريين واعتذر بعدم كفاية ايراد البطريركية لمصروفاته فرفع عليه اكليروس الاسكندرية دعوى في مجمع انعقد بالقاهرة حضره ابن بكر ولما طال الجدال بين البطريرك والاسكندريين تعهد ابن بكر هو ووجهاء الطائفة بدفع هـذه الاعانة اذا اقلع البطريرك والاساقفة عن بيع الرتب الـكهنوتية فقبل التوقيع على صورة قرار بهذا الشكل . وكان بعض الاساقفة قد أخذوا اموالا من بعض العلمانيين ليكرسوهم كهنة فرفضوا التوقيع معتبرين عملهم شريفاً . فتقدم اليهم ابن بكر ونصحهم بالعدول عن هذا التصرف الوخيم فاظهر البطريرك ارتياحه لـكلامه وطلب منه القرار ليعيد قرأته على مسمع الاساقفة فأعطاه اياه ابن بكر مطمئناً ولـكنه اندهش اذ رآه ممزقاً بين يديه وانتهى المجمع على هـذه

الحالة المحزنة .

غير ان الاساقفة الذين أثر فيهم كلام ابن بكر اجتمعوا في كنيسة ابي سيفين واظهروا رضاءهم على قراره واتفقوا على السير بموجبه . فتحزب البطريرك ولبث فى كنيسة الملاك ميخائيل ثم توجه فى اليوم التالي الى كنيسة ابي سيفين وتقابل مع الاساقفة وابن بكر وأخذ فى مناقشتهم حتى قبل اخيراً ان يمضي ذلك القرار ولكنه اذ رأى ابن بكر يتداخل فى شؤونه الملية رجع الى عناده وعمل على اهانته وقضى بقية حياته مبغوضاً حتى ادركته المنية فى ١٢ هاتور سنة ٧٦١ ش و١٠٤٧ م بعد ان قضى بطريركا ١٤ سنة و٧ أشهر و١٥ يوماً

(٣) خريستوذولو ـ البطريرك السادس والستون . كان راهباً بصومعة سنجار ويلقب بالحبيس واصله من بلدة بورا وتمت رسامته فى شهر كيهك سنة ٧٦١ ش و١٠٤٧ م فى عهد خلافة المستنصر بن الحاكم فلما استقر به المنصب قام من مدينة الاسكندرية الى مصر واتخذ كنيسة المعلقة بظاهر الفسطاط مقراً له ولم يكتف بكنيسة المعلقة بل جدد كنيسة القديس مركوريوس وجعلها كاتدرائية كبرى ومركزاً لكرسيه وجعل كنيسة العذرا فى حي الاروام مقراً له يأوى اليه عند اللزوم ورضي اسقف بابيليون بذلك . والذي دعاه الى ذلك انتقال عظمة مدينة الاسكندرية الى مدينة القاهرة وكثرة ما فى هذه من المسيحيين وعلاقة وظيفته بالحكومة ومن ذلك الحين صار يعين اسقف للاسكندرية بلقب وكيل الكرازة المرقسية

وكان اول من سعى فى ايصال الأذى لهذا البابا رجل كان بين كتاب الدولة يسمى يوحنا بن الظالم أحب الاسقفية وسعى لدى البطريرك وما زال به حتى أجاب طلبه وولاه اسقفية سخا . ويظهر ان مطامعه لم تقف عند هذا الحد وكان هذا سبب نزاع حدث بينه وبين البطريرك عقب انتقاله لمصر فضم اليه بعض الاساقفة منهم خائيل اسقف قطور وايليا اسقف طمويه وجرجس اسقف الخندق ومرقس اسقف البلينا وميخائيل اسقف تنيس وتحالفوا مع جمهور من الشعب على عزل البطريرك وادعوا بان رسامته غير قانونية لان الفصول المختصة بسيامة البطاركة

لم تقرأ عليه . ولكن كان فى بلاط الخليفة رجل يسمى أبا زكريا يحيى بن مقاره وهو شيخ فاضل مسموع الكلمة فتلافى الامر وتداخل بينهم وصالح البطريرك مع اسقف سخا وطيب خاطر الباقين وصرفهم الى مراكزهم وبهذا انتهت على احسن حال . وبعد ذلك حدث انقسام بين مجمع الاساقفة بسبب اثنين منهما تشاحنا على حدود ابروشيتيهما ولم ينته الخلاف ويحل السلام الا بعد تعب شديد .

ومن اعمال هذا البابا انه اهتم باصلاح ما تخرب من الكنائس وحدث انه فى يوم واحد دشن خمس كنائس قام بتشييدها اعيان الطائفة باسماء القديسين يوحنا الانجيلي ومركوريوس ومينا وجرجس وروفائيل . ورسم فى ذلك اليوم كاهناً وستين شماساً وكان الفرح شاملا والسرور عاماً

ثم وجه نظره نحو الخلل الذي ساد على الكنيسة فى ايام سلفه الذي لم يكن يهتم باتمام طقوس الكنيسة كما هى وكان ذوو النفوذ يتداخلون فى قلب نظامها حتى فترت الغيرة الدينية واقبل الكثيرون على اعتناق الديانة الاسلامية . فجال البابا خيروستوذولو فى جميع انحاء القطر المصري يتفقد أحوال الكنائس ويتبين شؤونها فبنى كنائس كثيرة حتى وصل الى دمنهور فشيد بها بيعة فخمة واتخذها مقراً لكرسيه فزادت قيمتها ووفد عليها الكثيرون من الاقباط وذلك لأن بعدها عن مركز الحكومة منع وصول الاضطهاد اليها

واول تهمة وجهت اليه من المسلمين انه استعمل سلطانه على جرجس ملك النوبة للضرر بمصالح المسلمين وألزمه بان يقطع العلاقات التجارية معهم ويمتنع عن ارسال الجزية المعتادة من الرقيق . وكان البطريرك قد أوفد اسقفاً من قبله الى ملك النوبة ليدشن كنيسة بنيت فى عهده ولما احضر البابا ليجيب عن هذه التهمة أخذ يقنع يازوري وزير الخليفة فى مصر بان مصالحه ببلاد الحبشة لا تتعلق مطلقاً بالمسائل السياسية بل بمسائل خاصة بالديانة فسلم الوزير بصحة كلامه ولبث البطريرك هو وقومه مدة متمتعين بالراحة الكاملة

وفيما بعد قام لمقاومته عبد الوهاب ابو الحسين أحد قضاة القاهرة الذي انتقل الى دمنهور وهناك واجه البطريرك وكان يتوهم ان البطريرك سيهبه شيئاً

فلما خاب أمله استخدم كراهة الوزير للبطريرك للانتقام منه فوشى به انه سلب اموال كثيرين ظلما وبنى بها عشرين كنيسة وفى دمنهور شيد كنيسة عظيمة وقصراً شاهقاً نقش عليه البسملة المسيحية واتهمه بانه يحتقر الاسلام واذ كان الوزير يتوقع فرصة لاضطهاد النصارى استعظم هذه التهمة وارسل بعجلة من يهدم تلك الكنائس التي بتلك الجهة وناصره على اتمام هذا الامر ابو الفرج البابلي من كبار المملكة وكان حينئذ وكيلا على الوجه البحري وألزم البطريرك ان يمحو البسملة المنقوشة على باب قصره فلم يمانع فى ذلك لكنه قال « ان محوها من على السور لا يمحوها عن صفحات قلبي »

ثم قبض على البطريرك وبعض اساقفة الوجه البحري واعتقلوا وارسلوا الى القاهرة مدعين عليهم بدعاو باطلة لا اصل لها . أما الخليفة فانه رغماً عن تمويهات الوزير لم يجد عليهم ما يوجب هذه الاهانة فأخلى سبيلهم وطيب خاطرهم وصرفهم الى اماكنهم فشق هذا على الوزير ولشدة غيظه أمر بقفل جميع الكنائس المسيحية في القطر المصري فثار الشعب القبطي وبلغ الخبر للخليفة الذي تلافى الامر بالقبض على هذا الوزير المستبد ونفاه الى جهة تنيس باقصى الوجه البحري وبعد ذلك قتله لما رآه يسعى في تهييج المسلمين على النصارى

ولم يكد البطريرك يستريح قليلا حتى جرى عليه اضطهاد آخر عند ما حاول ان يفتح الكنائس فتعينت ضريبة باهظة على اقباط الاسكندرية دفعوها مقابل تسليم البطريرك مفاتيح كنيسة واحدة لاقامة العبادة فيها وتركوا له بيت انيانوس البطريرك الثاني وذكر كاترمير المؤرخ نقلا عن كتاب مخطوط ان رأس يوحنا المعمدان التي كانت محفوظة الى ذلك الوقت بالاسكندرية خبأها الاقباط خوفاً من وقوعها في يد المسلمين

وعاد المسلمون ثانية وألقوا القبض على البطريرك ووجدوا في خزينته تسعة آلاف دينار نهبوها واقتسموها ثم اطلقوا سراحه بتوسط ذوي النفوذ من موظفي الاقباط وكانت العادة ان يزور البطاركة أديرة وادي النطرون في أحد السنين بينما كان البابا خيروستوذولو بوادي النطرون هجم اتباع ناصر الدولة زعيم الترك على الأديرة واضطهدوا الرهبان وذبحوا كثيرين منهم وأخذوا

البطريرك أسيراً معهم وأوسعوه اهانة وتعذيباً ولكن الله نجاه بواسطة رجل قبطي يدعى أبا الطيب كان رئيس كتبة ناصر الدولة فتوسل الى مولاه ان يطلقه ففعل اكراماً لخاطره ودفع ابو الطيب فدية له مبلغ ثلاثة آلاف دينار

وأصيبت البلاد فيما بعد بجوع شديد مات بسببه ميخائيل اسقف تنيس وكان جرجس ملك النوبة قد ارسل رجلا يقال له بامون ليرسمه البطريرك مطراناً لبلاده فرسمه واوصاه ان يخبر الملك بالحالة السيئة التي بات فيها الاقباط فشفق عليهم ملك النوبة وارسل لهم زاداً وافراً غير ان جنود ناصر الدولة اعترضوا رسل ملك النوبة عند وصولهم الى حدود مصر وارجعوهم بالمؤونة خائبين الى ملكهم .

وفيما بعد قبض على زمام الولاية في مصر بدر الدين الجمالي فوشى له أحد المسلمين بان فكتور مطران النوبة أمر بهدم جامع للمسلمين هناك فغضب لذلك وأمر بالقاء القبض على البطريرك وألقى عليه تبعة ذلك العمل ولكن البطريرك برهن له على فساد التهمة فاطلقه وأخلى سبيله . وهرب احد العصاة من وجه بدر الجمالي الى بلاد النوبة فكلف البطريرك بان يبعث اسقفاً من قبله الى ملك النوبة يطلب منه تسليم ذلك الثائر فاجاب البطريرك طلبه وعين لذلك اسقفاً يدعى مركوريوس سار مع مندوبين من قبل بدر وبلغوا الطلب لملك النوبة فقبض على ذلك الرجل وسلمه اليهم فجاؤا به الى القاهرة

ووشي مرة أخرى الى بدر بان كيرلس مطران الحبشة الذي كان يدعى قبلا اينا عبدون يغرر بمسلمي الحبشة الضعيفي الايمان ويدعوهم الى شرب الخمر عند تناول الطعام فقبض بدر على البابا خيروستوذولو بصفته رئيساً لذلك المطران ليعاقبه عوضاً عنه ولحسن الحظ لم يكن كيرلس المذكور قد سيم مطراناً بعد فدفع المطران عنه هذه التهمة وصرح بانه لم يرسم بعد وانه سيرسل له الانبا مركوريوس لتتميم رسامته وينصحه بان يكف عما يعمل ان كان ما شاع حقاً فاقتنع بدر الدين واطلقه ولكن غيظ ولاة المسلمين من البطريرك كان يزداد يوماً فيوماً خصوصاً لما رأوه من نفوذه على بلاد الحبشة فكانوا يفضون المراسلات المتبادلة بين الفريقين ويردونها الى جهاتها مفضوضة أو يمزقونها حسبما يتراءى لهم

أما البابا خيروستوذولو فصرف باقي حياته في وضع قوانين كنسية نافعة لشفاء داء الخلل الذي كان عاماً وقتئذ وجعل هـذه القوانين سارية المفعول في كل كنائس القطر المصرى وكان عددها ٢١ قانوناً حرم في بعضها على الارثوذكس من رجال ونساء التزوج بالاجانب وغير الارثوذكس . وكانت العادة ان يصنع القربان المقدس خالياً من الزيوت والادهان ولـكن اهالي سوريا كانوا يضعون الزيوت في قرابينهم فانـكر عليهم البابا خيروستوذولو ذلك واتفق انه كان يقدس مرة في كنيسة ابي سيفين بحضور طبيب سورى له اتصال بالخليفة فاحضر قربانا مما يصنع في بلاده وطلب من البطريرك ان يصلي عليه فافهمه ان ذلك مغاير لقوانين الـكنيسة فأصر الطبيب على طلبه حتى أمر البطريرك رجال الـكنيسة ان يخرجوه رغماً فعمل هذا الطبيب على القاء بذور العداء بين البطريرك والخليفة

وبعد ان قضى هذا البطريرك مدة تسع وعشرين سنة وثمانية شهور و ١٩ يوماً على الـكرسى البطريركي رقد في الرب فى ٢٤ كيهك سنة ٧٩٢ ش و١٠٧٨م ودفن بكنيسة المعلقه ببابيليون ثم نقلوا رفاته الى وادى النطرون

(٤) كيرلس ٢ ـ البطريرك السابع والستون. كان حبيساً بصومعة سنجار واسمه جرجس وهو من اهل اقلاقه بحيره انتخب للبطريركية في ٢٢ برمهات سنة ٧٩٢ ش و١٠٧٨م فى عهد خلافة المستنصر بقرار مجمع انعقد فى الدار البطريركية مؤلف من الاساقفة وكبار الشعب . وقوبل انتخابه بالارتياح فى جميع دوائر الحـكومة حتى ان عقلاء المسلمين طلبوا اليه ان يبارك قصر الخليفة فباركه باحتفال عظيم وتفاءل الاقباط به خيراً

وعقب رسامته بقليل تنازل سلمون ملك النوبة عن الملك لابن اخته المدعو جرجس وآثر العزلة والانفراد في دير تفريوس الواقع في البرية بين حدود مصر والنوبة ملازماً الصلاة والعبادة فحاصره أهل اسوان طمعاً في ضم الدير الى مصر وأخذوه أسيراً وأتوا به الى أمير الجيوش بدر الجمالي فقابله البطريرك وكبار الاقباط باحتفال عظيم ولقى من أمير الجيوش اكراماً زائداً وخصص له قصراً لاقامته فيه وبقي به فى مصر حتى توفى بعد ذلك بقليل ودفن بالاكرام بدير

الخندق المعروف الآن بدير انبارويس خارج القاهرة

وفي أثناء اقامة سلمون بمصر تحقق بالعيان ما كان بين القبط والنوبيين من الرابطه الدينية وتبادل البطريرك معه الزيارات واحتفى به وجهاء الطائفة وكان وجوده بينهم هذه المدة سبباً في رفع شأنهم عند أكابر الدولة وعظمائها لا سيما عند امير الجيوش الذي لما شاهد علامات الاخاء بين الاقباط والنوبيين والحبش رغب في عقد معاهدة مع ملوك هاتين الامتين لتسهيل طرق التجارة وامتدادها بين الديار المصرية وتلك البلاد فكاشف عظماء الامة القبطية وعقلاءهم بما يكنه في صدره وطلب منهم بذل الجهد في مساعدته فلبوا طلبه وشرعوا في فتح باب المخابرات مع ملوك الحبشة والنوبة بواسطة البطريرك وهكذا تم الاتفاق على مايروم امير الجيوش الذي أنعم على البطريرك بمال يستعين به على اصلاح الاديرة والكنائس المتخربة

وجرى بعد ذلك ان شخصاً اسمه كيرلس انطلق الى بلاد الحبشة وادعى انه مطرانها وتسلط على كنائسها ولما بلغ أمره الى البابا كيرلس حزن وقصد ان يقيم غيره اسقفاً شرعياً يدعى ساويرس ويرسله اليها فقاومه أمير الجيوش وأبى ان يرخص له بسفر المطران الا اذا وعده بان يبني في الحبشة خمسة مساجد وان يرسل له المطران كل سنة هدية فلم يسع البطريرك الا الرضوخ وسار ساويرس الى الحبشة فهرب من وجهه كيرلس الى بلدة (دهلك) من بلاد الحكومة المصرية وبلغ امره أمير الجيوش فاستقدمه اليه وأخذ كل ثروته وقتله ولاقى المطران ساويرس متاعب جمة لا سيما عند ماشرع يبذل مجهوده في اصلاح الكنيسة الحبشية ومقاومة العادات الفاسدة الشائعة بينها وكان جل الامراء يأخذون جملة من الجاريات فوق الزوجة الشرعية فقصد المطران ان يستأصل شأفة هذه العادة ولكن مساعيه لم تأت بفائدة تذكر لانهم كانوا يدعون انهم باقون على شريعة موسى في أمر تعدد الزوجات واعتقدوا ان ذلك ليس محرماً الا على القسوس والشمامسة فقط مع اعترافهم بان ذلك مخالف لروح المسيح

وحدث فيما بعد ان ساويرس أرسل اخاه الى امير الجيوش بهدية لم تصادف منه قبولا لحقارتها فاشتد غيظه وأتى بالبطريرك مع عشرة اساقفة وأخذ يعنفه

بشدة على تقصيره في القيام بما وعد به فشرع البطريرك يدافع عن نفسه فقاطعه وتوعده واساقفته ان لم يكلفوا اثنين منهم بالسفر الى الحبشة ليلزما مطرانها بوفاء وعده وان يرسل ضريبة ٥٠ سنة سلفاً وان يحذر الحبش من التربص لتجار الاسلام في الدروب وأمر ان يبقى البطريرك والاساقفة تحت تصرفه وان يدفع كل منهم اربعة دنانير يومياً نفقة اعالة حتى يرجع المطرانان اللذان يرسلان الى الحبشة ولكنه فيما بعد عدل عن هذا الرأى واكتفى بتدوين اسمائهم وجعلهم تحت مراقبة الجنود واطلق سراحهم فاقاموا فى كنيسة المعلقة واتفقوا على ان يرسلوا الانبا مرقس اسقف أوسيم والانبا تادرس اسقف سنجار واحاطوا امير الجيوش بما دبروه

ولكن هذا الامر لم ينفذ بتدبير الهي وذلك ان باسيل ملك النوبة ارسل ابن الملك المتوفي الى امير الجيوش بهدايا فاخرة طالباً منه ان يكلف البطريرك بتكريسه مطراناً على النوبة وخشي امير الجيوش ان يظهر سخطه على البطريرك امام ابن ملك النوبة فسمح له ان يمثل امامه هو واخو ساويرس المطران فدفع البطريرك عن نفسه واخبره اخو المطران ان اخاه بنى سبعة جوامع بدل اربعة ولكن الحبش هاجوا عليه واتهموه بالتحيز للمسلمين وقاموا على الجوامع وهدموها وقصدوا الفتك بالمطران حتى اضطر الى الهروب ولم يخلصه من ايديهم الا الملك الذي امر بسجنه حينئذ

ولما شعر ابن ملك النوبة بحرج حالة البطريرك والاساقفة طلب من امير الجيوش اطلاق سراحهم فقبل وامر البطريرك بارسال الاسقفين الى الحبشة لاعادة بناء الجوامع المتهدمة فسافر الاسقفان واخبرا ملك الحبشة بالامر واخبراه ان جميع كنائس القطر المصري تحت خطر الانهدام ان لم تسرع ببناء الجوامع فاستشاط الملك غيظاً وارسل يقول لبدر « ان تجاسرت ومددت يدك بسوء الى كنيسة واحدة فاعلم اني اقلب مكة رأساً على عقب ولا ارضى باعادة بناء حجر واحد الا اذا اخذت وزنه ذهباً »

غير ان بدر الجمالي هذا على رأي اكثر المؤرخين لم يكن مسلماً بل مسيحياً وانما اظهر التحيز للاسلامية حباً في بقاء سلطانه مرفوع الشأن . وقد تجلت

اخلاقه الطيبة في الحادثة التي نذكرها وهى ان الاسقف يوحنا الظالم الذي سبق واضطهد البابا خيروستوذولو بقي مصراً على تشويش راحة الامة فصار يترقب فرصة لاظهار ما كان يخفيه في صدره فلما تقلد البابا كيرلس الرئاسة اتحد مع اربعة اساقفة وهم اخوه مرقس اسقف سمنود ويوحنا اسقف دميرة وخائيل اسقف ابي صير ومقارة اسقف القيس ومعهم الشماس ابو غالب احد اعيان مصر المشهورين وتواطأوا على عزل البطريرك فكتبوا تقريراً بالطعن في حقه مدعين عليه بدعاو توجب عزله وقدموها لبدر الدين الجمالي بواسطة يسيب رئيس بستانه وكان قبطياً . وكان البطريرك متغيباً حينئذ في الاقاليم يزور الكنائس ويفتقد الرعية ويدشن البيع التي بنيت حديثاً

فلما اطلع أمير الجيوش على التقرير رأى انه ليس من شأنه ان يحكم في أمر مثل هـذا من تلقاء نفسه بمجرد اقوالهم فأمر البطريرك بعقد مجمع من اساقفة الوجهين القبلي والبحري وكبار الامة برأسه أمير الجيوش ليبحثوا في الأمور المنسوبة اليه على البطريرك ليعرف عما اذا كانت صحيحة او غير صحيحة فحرر البطريرك كشفاً باسماء الاساقفة الذين يطلبون لحضور الاجتماع فحضر في مدة قصيرة ٢٧ اسقفاً من الوجه البحري و٢٢ من الوجه القبلي و٣ اساقفة بابيليون والخندق والجيزة

ولما تكامل عدد الحضور انعقد المجمع تحت رئاسة امير الجيوش في قطعة ارض له خارج القاهرة . ثم وضع الكتاب المقدس في الوسط وجلس اساقفة الوجه البحري على الكراسي في صف واساقفة الوجه القبلي على الكراسي في صف واساقفة مصر وضواحيها في صف وجلس المشتكون واصحاب الدعوى معاً . وبعد الصلاة قدم ابن الظالم تقريره الذي يتهم فيه البطريرك بتهم شنيعة فقام البابا كيرلس وفند كل تهمة تفنيداً لا يدع مجالا لمدع فاقتنع الجميع وعلى رأسهم أمير الجيوش ببراءة البطريرك ولذلك وقف امير الجيوش في وسط المجمع ووبخ الاساقفة على هذا التنابذ قائلا لهم « كان يجدر بكم ان تكونوا انتم المثال في المسامحة حتى يقتدي بكم الشعب الذي ترشدونه ثم حث الاساقفة على الخضوع لرئيسهم والاخلاص له وطلب منهم ان يطلبوا منه العفو فتصافح الجميع امامه

وكلف احد رجاله بان يسلمهم اوراق العفو . ثم أمر بقطع رأس عامل بستانه الذي سعى بالشر ضد بطريركه فخجل الاساقفة من تأنيب الجمالي لهم ورجعوا الى كنيسة ابي سيفين واخذوا يتضرعون الى الله ليغفرلهم خطاياهم وبعد اسبوع كلفوا البطريرك بان يقيم لهم صلاة القداس وتناولوا من بين يديه القربان المقدس .

ولما كان بدر الدين الجمالي امير الجيوش ارمني الاصل تكاثر عدد الارمن المهاجرين الى القطر المصرى حتى انتخبوا لهم بطريركا يدعى غريغوري ولما كان الأرمن تابعين للكنيسة القبطية في اعتقادها بالطبيعة الواحدة فقام البابا كيرلس برسامة غريغوري بطريرك الارمن وحرر منشوراً لكافة الكنائس يخبرها فيه ان كنائس مصر والحبشة وانطاكية وارمينيه متحدة في الايمان الارثوذكسي المستقيم

وبعد ذلك اشتغل البابا كيرلس بوضع قوانين جديدة للكنيسة سارت عليها الى ما بعد وفاته بزمن . واهتم ايضاً باصلاح الكنائس وافتقاد الفقراء . وكانت اللغة القبطية تتضاءل شيئاً فشيئاً وتحل محلها اللغة العربية حتى رأى البطريرك نفسه مضطراً الى تعلمها . ويقول المؤرخون ان البابا كيرلس هو اول من عمل الكسوة البطريركية من ديباج أزرق وبلارية من ديباج أحمر مزدانة بصور من ذهب . وبعد ان قضى ١٤ سنة و٦ شهور و١٦ يوماً رقد بالرب في ١٢ بؤونه سنة ٨٠٦ ش و١٠٩٢ م

(٥) ميخائيل ٢ — البطريرك الثامن والستون . رسم بعد وفاة البابا كيرلس الثاني باربعة شهور واربعة ايام واصله من بلدة سخا وكان حبيساً بصومعة سنجار وقبل رسامته اشترط عليه الاساقفة (١) ان يحرم السيمونية (٢) ان يتعهد بدفع مرتب وكيل الكرازة المرقسية بالاسكندرية (٣) ان يتنازل عن الكنائس التي اتخذها لنفسه البابا خيروستوذولو من كرسي مصر وهي كنائس المعلقة وأبي سيفين والعذرا بحارة الروم ومن كرسي أوسيم والجيزة كنيسة الملاك ميخائيل ومن كرسي طمويه دير الشمع ودير الفخار . وكتبت هذه

الشروط في اربع نسخ أمضاها البطريرك وحفظت واحدة عنده والثانية عند شنوده اسقف مصر والثالثة عند يوحنا اسقف سخا والرابعة عند اسقف الاسكندرية وقيل ان البطريرك عند ما أمضى الشروط وعدهم بالنظر في سائر مطاليبهم لا سيما راتب اسقف الاسكندرية الذي يتعذر عليه القيام به

وهذه الكلمات قالها البطريرك كمقدمة لعزمه على نكث هذه الشروط ولهذا لما جاءه اسقف مصر وطلب منه ان يتنازل له عن الكنائس التي ذكرت في الشروط انكر عليه ذلك وقال انه رفض هذه الشروط عند توليته . وكان البطريرك قد تحصل على نسختين من الشروط المأخوذة عليه وهما نسختا اسقفي الاسكندرية وسخا . وكانت نسخة اسقف مصر معه فاشهرها امام البطريرك وقال له « انا بيدي الحجة عليك » فحاول ان يأخذها منه فأبى ان يعطيها له فغضب عليه ومنعه من مباشرة خدمة الكهنوت وامر كهنة مصر ان لا يذكروا اسمه في اثناء الصلاة فاضطر الاسقف للهروب واختفى فى دير القلمون بالفيوم . فقامت قيامة الشعب في مصر واعتصبوا ضد البطريرك وقصدوا خلعه بالقوة ان لم يرد اسقفهم لمركزه فامتثل لرغبتهم واستدعى الاسقف ولاطفه ورده الى مقره

ولم يلبثا متسالمين مدة حتى قام بينهما النفور مرة أخرى فاراد البطريرك ان يتخلص منه فدعا اساقفة مصر وعقد مجمعاً وادعى عليه امامه انه قدس في ايام البابا كيرلس مرتين في يوم واحد مخالفة للقوانين فأقر المجمع على وجوب قطعه ودعاه ليسمع صوت الحكم فأبى الحضور وهرب واختبأ في منزل مختف ببابليون وبعد انصراف المجمع وضع البطريرك يديه على كنيستي شنوده ببابليون اللتين قام عليهما النزاع

وقام البابا ميخائيل بعد ذلك بخدمة جليلة للقطر المصرى وذلك انه لما تولى المستنصر بالله لم يرتفع النيل اعواماً متوالية فتعطل الزرع وقلت المحصولات وكثر الغلاء حتى بلغ ثمن الاردب الواحد من القمح مبلغاً عظيما واذ علم المستنصر بان مصدر زيادة النيل من بلاد الحبش دعا اليه البطريرك وبعثه اليها بهدية سنية برسم النجاشي ولدى وصوله قابله باحتفال عظيم وسأله عن سبب قدومه فأعلمه بما حل بمصر واهلها من الضنك والجوع بسبب نقص زيادة النيل وانه اتى ليستمين

به على ايجاد طريقة لمنع هذه الغوائل عن البلاد وأهلها . وقدم له هدية الخليفة فأمر الملك بفتح سد في احدى الجهات التابعة له فجرت المياه منه الى ان وصلت مصر وزاد النيل فى ليلة واحدة ثلاثة أذرع واستمرت الزيادة حتى رويت البلاد وزرعت الاراضي فزال الغلا وفي اثناء اقامة البطريرك بتلك الاصقاع بذل جهده في تمكين عرى الود بين الخليفة وملك الاحباش فكانت هذه خدمة أخرى قام بتأديتها للمستنصر ونال بذلك رضاه وممنونيته فأحسن اليه وبالغ في اكرامه. والبابا ميخائيل هو اول بطريرك مصرى زار بلاد الحبش بعد خضوعها دينياً للكنيسة القبطية

وفي سنة ١١٠٢ م توفى مطران الحبشة فارسل ملكها وفداً للبطريرك يطلب منه ان يرسم لهم آخر عوضه فرسم البطريرك راهباً يدعى جرجس مطراناً وسافر مع الوفد الى بلاد الحبشة ولكنه بوصوله فيها واستلامه دار المطرانية أظهر الميل لجمع الاموال فغضب عليه الاحباش وألزمه الملك برد كل ما جمعه ثم أعيد الى مصر وطرح بأمر الوزير الافضل في اعماق السجون

وقصد البابا ميخائيل ان يقيم اسقفاً لمصر خلافاً لاسقفها المقطوع فحالت دون قصده المنية وذلك ان الوزير الافضل رجع من الحرب الى مصر فخرج البطريرك لتهنئته فلم يكد يعود الى الدار البطريركية حتى أصيب بطاعون وتوفى في ثاني يوم في ٣٠ بشنس سنة ٨١٦ ش و١١٠٢ م وبعد ان استمر على كرسي الحبرية تسع سنين و٧ شهور و١٩ يوماً

ooooooooo

القسم الثانى

مشاهير الكنيسة

(١) المعلم سرور جلال (٢) ابو اليمن يوسف (٣) ابو سعد منصور

(٤) ابو المليح (٥) بقيرة الرشيدى

oooooo

(١) المعلم سرور مبرل . كان ضامناً ملتزماً في ايام الخليفة المستنصر

فتمكن من ان يحصل على ثروة طائلة واشتهر بالعقل والفطنة وحسن التدبير وأحبه الخليفة وقربه اليه ونال ثقته فكان يجيبه الى كل ما يطلب وكان الخليفة يكلفه سنوياً باعداد كل ما يلزم لراحته بفم الخليج لحضور مهرجان كسر السد (فتح الخليج) فكان يقوم بما يحتاجه وجيوشه من الطعام الفاخر فيسر منه الخليفة ويخلع عليه . ومع ذلك كان المعلم سرور وديعاً متواضعاً يعمل الخير لجميع الناس بدون تمييز بين مسلم ومسيحي فقصده كل من له حاجة عند الخليفة فكان يسأله في أمرهم فلا يرد له طلباً حتى أجمع الكل على محبته . وقيل ان الخليفة ارسله في مهمة فمات فجأة في الطريق ويقال انه مات بدون ان يخلف نسلا

(٢) ابو اليمن يوسف بن مكرواه بن زنبور الشهير بأمين الامناء .

كان اميناً على خزائن الخليفة ثم تولى نظارة الريف بالوجه البحري وقد أحسن كثيراً الى ابناء جنسه فابتنى ديراً عظيما في أحسن مكان وهو الدير الشهير بدير ابي سيفين بطمويه ببر الجيزة وغرس حوله بساتين واسعة كانت في ايامه من ابهج المتنزهات حتى ان الافضل الوزير ابن بدر الجمالي كان يقضي فيها أغلب اوقاته متنزهاً . وابو اليمن أصل عائلة كبيرة عظم أمرها واشتهرت بالغنى وسعة الحال وآخر اعضائها ابن القيس ابن زنبور الذي اسلم في ايام دولة المماليك وسمي بعلم الدين

(٣) ابو سعد منصور . هو ابن ابي اليمن المذكور كان كاتباً بليغاً وبطلا

شجاعاً تولى الوزارة في ايام المستنصر ولكنه تخلى عنها عند ما طالبهم الجند الاتراك بمرتباتهم ولم يكن في الخزينة ما يسد مطالبهم ولما اعتصب كبيرهم ناصر

الدولة على الخليفة قام لردعه ابو سعد على رأس العساكر الموالية فقاتله وهزمه

(٤) ابو المليح . الشهير بماتي كان في خلافة المستنصر ووزارة بدر الجمالي امير الجيوش واشتهر بالغنى وسعة الحال وعمل الخير والاحسان وسبب تسميته مماتي انه لما اشتد الغلاء بمصر كان يجود بما عنده على المحتاجين وكان اولاد المسلمين اذا رأوه صاحوا خلفه قائلين « مماتي » فكان يشفق عليهم ويهبهم غلالا لدفع جوعهم . وهو جد أسعد بن مهذب بن زكريا الذي أسلم في وزارة شيركويه في ايام العاضد

(٥) بقيرة الرشيدى . الشهير بابن بقر كان من العاملين في الأمة وحدثت في ايامه مجاعة أظهر فيه عطفاً زائداً على المنكوبين فكان يطوف الاحياء التي يقطنها العمال والفقراء مفتقداً احوالهم محسناً اليهم وكان يقضي لياليه في زيارة المرضى ومؤاساة المحبوسين

○○○○○○○○○

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

○○○○○○○○

(١) الحاكم بأمر الله (٢) المستنصر (٣) الحروب الصليبية

○○○○○○

(١) الحاكم بأمر الله سنة ٩٩٦ م : ظهر فى ايامه مسلم متمذهب يدعى ضرار سن شرائع كثيرة منها تعظيم يوم الجمعة والاحتفال بالاعياد والتعويض عن الحج بمكة بزيارة مقام طالب باليمن وأباح الزيجة بين الاخ واخته والاب وبناته والام وابنائها فارتاح الحاكم لهذه الديانة الجديدة . ويظن انه كان متوهماً اذ كان يصعد كل صباح منفرداً الى جبل المقطم حيث ادعى انه يناجى الله كما كان يفعل موسى . وبعد ان كان أشد نصير للديانة الاسلامية نادى جهاراً بمقاومتها واقامة ديانته الجديدة مكانها فاحتقرته الرعية ولم تعد تعبأ بمدعياته فعاد الى نصرة الاسلام واضطهاد النصارى

قيل ان السبب الذي هيجه على المسيحيين هو انه في اثناء ادعائه الالوهية وضع دفاتر فى مراكز الحكومة الاربعة وهى القاهرة ومصر القديمة والفسطاط وبابيليون لتسجيل اسماء الذين يعتنقون آراءه الباطلة فاطاعه ستة عشر الف نفس لم يكن بينهم مسيحي واحد فنقم على النصارى وأمر بحرق مدينتهم بابيليون فحرقت وسلبت أمتعتها ونهى عن بيع الزبيب حتى لا يتيسر للاقباط اتمام السر المقدس وهجم على بيوت التجار وجمع ما كان موجوداً منه وأحرقه بالنار وكان في الجيزة كروم كثيرة فارسل اليها أعوانه فقطعوها وخربوها عن آخرها

وكان النصارى في عهد الحاكم قد تقدموا حتى صاروا كالوزراء وتعاظموا لاتساع أحوالهم وكثرة أموالهم فتزايد غيظ المسلمين منهم . وكان من رجال حكومة الخليفة المعز لدين الله نصراني يسمى عيسى بن بسطوروس لبث في خدمة الحكومة الى ان مات العزيز وتولى الخلافة بعده ابنه الحاكم فعزله ثم قبض عليه وقتله وكان لبرجوان وزير الحاكم نصرانى آخر يسمى فهد بن ابرهيم يعرفه الحاكم حق المعرفه لانه كان يدخل اليه مع سيده برجوان ويقف بحضرة الخليفة ويعرض عليه الرقاع ويشرح له المسائل ويتلقى أوامره عن كل واحدة منها ويكتب ما يأمر به فيوقع عليه . ولما قتل برجوان دعى الحاكم فهد بن ابرهيم وسكن روعه وأمنه على حياته ومنحه لقب رئيس ودعى ابا العلاء وصار يترقى في الوظائف والرتب العالية حتى أحرز لقب وزير ولكنه فيما بعد كان فهد أول من

جار عليه الحاكم من النصارى وذلك ان مناظراً له وشى به اليه بانه يقوي نفوذ النصارى ويساعدهم على سلب مال الدواوين بتفويض أمر الاموال والدواوين اليهم فحمى غضب الحاكم على فهد ولم تمض ايام حتى قبض عليه وضرب عنقه بعد ان استمر في الرئاسة خمس سنوات وتسعة أشهر واثني عشر يوماً

وقبض الحاكم أيضاً على قبطي آخر يدعى المعلم غبريال بن نجاح ووعده بمنصب الوزارة اذا هو أسلم فاستمهله يوماً واحداً وذهب الى اهله وودعهم وحثهم على الثبات واحتمال الشدائد والاضطهادات المقبلة ومضى الى الخليفة وجاهر امامه بانه لايترك دينه اكراماً لمنصب دنياوى فأمر بضربه الف سوط فمات قبل الضربة الثلاثمائة ولكنهم استمروا يضربونه وهو مائت حتى أتموا الالف . وبعد ذلك قبض على ثمانية آخرين وهددوا فثبت منهم اربعة وأسلم الآخرون فراراً من العذاب . ومات أحد الاربعة الذين ثبتوا وأرسل الثلاثة الباقون الى السجن حتى يغيروا رأيهم واستمروا في السجن حتى انتهى الاضطهاد

وقال المقريزي يصف قساوة الحاكم وتجبره « وتشدد على النصارى وألزمهم بلبس ثياب الغيار وشد الزنار في اوساطهم ومنعهم من عمل الشعانين وعيد الصليب والتظاهر بما كانت عادتهم فعله في أعيادهم من الاجتماع واللهو وقبض على جميع ما هو محبس على الكنائس والديارات وادخله في الديوان وكتب الى اعماله كلها بذلك وأحرق عدة صلبان كثيرة ومنع النصارى من شراء العبيد والاماء وهدم الكنائس التي بخط راشدة ظاهر مدينة مصر واخرب كنائس المقس خارج القاهرة واباح ما فيها للناس فانتهبوا منها مايجل وصفه وهدم دير القصير وانهب العامة مافيه ومنع النصارى من عمل الغطاس على شاطىء النيل بمصر وابطل ما كان يعمل فيه من الاجتماع للهو وألزم رجال النصارى بتعليق الصلبان الخشب التي زنة كل صليب منها خمسة أرطال في أعناقهم ومنعهم من ركوب الخيل وجعل لهم أن يركبوا البغال والحمير بسروج ولجم غير محلاة بالذهب والفضة بل تكون من جلود سود وضرب بالحرس في القاهرة ومصر وأمر أن لايركب أحد من المكارية ذمياً ولا يحمل نوتي منهم احداً من أهل الذمة وان تكون ثياب النصارى وعمائمهم شديدة السواد وركب سروجهم من خشب الجميز وان يعلق اليهود في أعناقهم

خشباً مدوراً زنة الخشبة منها خمسة أرطال وهى ظاهرة فوق ثيابهم وأخذ في هدم الكنائس كلها واباح مافيها وما هو محبس عليها للناس نهباً واقطاعاً فهدمت باسرها ونهب جميع أمتعتها واقطع احباسها وبنى في مواضعها المساجد وأذن بالصلاة فى كنيسة شنوده بمصر وأحيط بكنيسة المعلقة في قصر الشمع واكثر الناس فى رفع القصص بطلب كنائس أعمال مصر ودياراتها فلم يرد قصة منها الا وقد وقع عليها باجابة رافعها لما سأل فأخذوا أمتعة الكنائس والديارات وباعوا باسواق مصر ما وجدوا من أواني الذهب والفضة وغير ذلك وتصرفوا فى أحباسها ووجد بكنيسة شنوده مال جليل ووجد فى المعلقة من المصاغ وثياب الديباج أمر كثير جداً الى الغاية وكتب الى ولاة الاعمال بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات فعم الهدم فيها من سنة ثلاث واربعمائة حتى ذكر من يوثق به فى ذلك ان الذي هدم الى آخر سنة خمس واربعمائة بمصر والشام وأعمالها من الهيا كل التي بناها الروم نيف وثلاثون الف بيعة ونهب ما فيها من آلات الذهب والفضة وقبض على اوقافها وكانت أوقافاً جليلة على مبان عجيبة وألزم النصارى ان تكون الصلبان فى اعناقهم اذا دخلوا الحمام والزم اليهود ان يكون فى اعناقهم الاجراس ثم الزم اليهود والنصارى بخروجهم كلهم من ارض مصر الى بلاد الروم فاجتمعوا بأسرهم تحت القصر من القاهرة واستغاثوا ولاذوا بعفو امير المؤمنين حتى اعفوا من النفى وفي هذه الحوادث اسلم كثير من النصارى » اه

واستمر اضطهاد الحاكم ٩ سنين كانت الثلاث الاخيرة منها اشد هولا اذ امر بابطال العبادة فى جميع الكنائس الا في الاديرة الكائنة بالجبال فكان الشعب يرشون حكام الاقاليم ليسمحوا لهم بممارسة شعائر العبادة فى البيوت سراً ومن ثم صار الاقباط يقدسون ويتناولون الافخارستيا سراً . فهال الحاكم عدم تنفيذ امره بالدقة فاصدر قراراً بمحو الديانة المسيحية من كل مملكته . وضيق على القسوس وقتل منهم عدداً عظيما وهرب كثير منهم الى الاديرة البعيدة فتتبعهم وقتلهم . واكره كثيرين من النصارى على الاسلام فأسلم منهم عدد عظيم ولكن كثيرين جاهروا بالايمان ولم يخشوا بطش الخليفة منهم الشماس بقيرة احد رؤساء كتاب الديوان فهذا استعفى من خدمته وحمل الانجيل على صدره وسار

به الى السراي واعترف قدام الخليفة بالمسيح فقيده وطرحه مع جماعة في السجن ثم عفا عنهم واناهم الحرية فجالوا يثبتون اخوتهم على الايمان

واستمر الحاكم يفتك بالاقباط فتكا ذريعاً حتى اتاح لهم الحظ راهب يدعى بيمين كان قد اسلم فلما رأى ان كثيرين صرح لهم بالرجوع الى دينهم وقف في طريق الحاكم هو وجماعة ممن اسلموا معه ولما مر بهم صرخوا قائلين « ايها الملك مرنا ان نعود الى ديننا او اذبحنا فاننا لا نطيق ان نبقى مسلمين » فسمح لهم بذلك وكتب لهم مرسوماً وامر ان لا يتعرض لهم احد بمكروه . ثم قرب اليه الراهب المذكور واعطاه اذناً ببناء دير خارج مصر على اسم الشهيد مركوريوس وهو المعروف بدير شهران ودير العريان الآن فسكنه مع بعض الرهبان ومن محبة الحاكم لبيمين صار يتردد على هذا الدير ويأكل ويشرب مع الرهبان ويظهر استعداده لاجابة طلباتهم فطلبوا منه ارجاع بطريركهم المنفى فأرجعه وسلمه امراً بفتح الكنائس المغلقة وبناء التي امر بهدمها واعادة مانهب منها ورد أوقافها اليها كما كانت . وبعد قليل مات الحاكم وتولى الخلافة بعده ابنه الظاهر سنة ١٠٢١ م فأقر الاقباط في وظائفهم ومنحهم حرية العبادة بغير معارضة واباح لهم الاحتفاء بعوائدهم والاحتفال باعيادهم ومواسمهم

(٢) المستنصر بالله ' بويع بالخلافة سنة ١٠٣٦ م . بعد الظاهر بن الحاكم

وفى أيامه اعتنق بعض الاقباط الدين الاسلامى وحدث ان احد كبار موظفي الاقباط كان له ولد عاص فطرده من بيته لخروجه عن طاعته فاعتنق الدين الاسلامى وكان خاله جرجس اسقف ميساره فوعظه كثيراً لكي يرجع الى دينه فلم يرجع لحرمه من ميراث ابيه ولكنه بعد مدة ندم وعاد الى ديانته وترهب فى دير القديس ميخائيل باسم نيقام (أي التائب) ورأى له فيما بعد ان يكفر عن جحوده للمسيح باعلان ايمانه امام الذين كانوا يعرفونه وقت اسلامه فانطلق الى القاهرة واجتمع بهم وهو بلباس الرهبنة فاغتاظوا منه وانهالوا عليه ضرباً وألقوه فى السجن . فسعى والده لدى القاضي ودفع له رشوة ليفتي باخراجه فافتى القاضي بامكانية خروجه اذا تظاهر بالجنون ويقر الاطباء عنه انه مجنون

امام شهود فاقنعه ابوه بضرورة اتباع تلك الطريقة للتخلص من السجن فأطاعه وخرج ابوه ليدعو الاطباء

الا ان أحد الرهبان تمكن من الوصول اليه فى السجن ووبخه على ما عزم عليه من اتباع تلك الطريقة المشينة لشرف المسيحية فعدل عما نواه ولما تقدم الاطباء ليفحصوه اعترف بايمانه بالثلاثة الاقانيم فاغتاظ منه الشهود وقدموا عنه تقريراً للقاضي فأمر بقطع رأسه فسيق الى مكان يدعى رأس الجسر والجماهير تتبعه بكثرة من مسلمين ومسيحيين وقبل اعدامه عرض عليه الضابط المكلف بذلك الاعتراف بالاسلام ووعده بان يهبه مقابل ذلك الحصان الذي كان راكباً اياه ويرفعه الخليفة الى أسمى الرتب فاجابه الشاب « لا تتعب نفسك مع من يتأكد ان كل مجد العالم لا يساوي شيئاً يسيراً من ملكوت السموات الذي يرغب الحصول عليه » فتقدم اليه الجلاد وسيفه يلمع في يده وهدده قائلا ان لم تنثن فهذا السيف الحاد يقطع حبل حياتك بعد ثوان فاجابه ان أية حديدة تنهى حياتي واراد احد المؤمنين ان يغطي عينيه كي لا يجزع من رهبة الموت ولكن لم يتمكن من ذلك لأن الجند منعوه فناداه باللغة القبطية قائلا « تشجع يا جندي المسيح فان ملاكا أراه فوق رأسك وبيده اكليل جهادك » . ثم تحول الشاب الى ناحية الشرق وجثا على ركبتيه وصلى ومد عنقه للجلاد فاطاح عنه رأسه وسلم جسده لأهله بناء على أمر الخليفة ودفن بجوار كنيسة الملاك ميخائيل وبعد ذلك حضر البابا خيروستوذولو البطريرك ودفنه فى الكنيسة بكل احترام

وكان للمستنصر وزير ضعيف الرأي سيء التدبير يسمى محمد اليازوري كان شديد الكراهة للمسيحيين عموماً والاقباط خصوصاً لميل الخليفة اليهم فكان يترقب فرصة للايقاع بهم فاتيحت له عند ما ابلغه عدولهم انهم شيدوا كنائس جديدة فأمر بهدمها وبقفل جميع الكنائس المسيحية فى القطر المصري فثار المسيحيون وكادت تقع الفتنة لولا ان الخليفة قبض على ذلك الوزير ونفاه الى جهة تانيس بأقصى الوجه البحرى وبعد ذلك قتله لانه كان يهيج المسلمين عليه باشاعته عنه انه يمكن الاقباط من الترؤس على المسلمين . وذلك لان الخليفة

كان يعرف جيداً امانة الاقباط ونشاطهم في عملهم فثبتهم في وظائفهم رغم قيام المسلمين عليهم وطلبهم منه ان يخلعهم من وظائفهم . وحدث انه ارضاء لخاطرهم خلع مئات وعشرات من الاقباط ولكن الاعمال ارتبكت فالتمسوا منه ان يعيدهم الى وظائفهم فعادوا مبجلين

وأصدر المستنصر بعد ذلك أمراً قصد به ارضاء خواطر المسلمين يقضي بهدم كنائس الوجهين القبلي والبحري وأنيط ذلك برجلين مسلمين ابو الفرج البابلي للوجه القبلي وكان المكلف بهدم الكنائس بالوجه البحري يدعى ناصر الدولة وكان اكثر قساوة فتخربت كنائس دمنهور واقفلت سائر كنائس الدلتا وفرض على الاقباط ضريبة سبعة آلاف دينار في نظير صبره على إيصاد الكنائس ولكنه بينما كان جاداً في ذلك وقع عن جواده بغتة فقتل لساعته وبموته كف الاضطهاد من الاقباط

أما اقباط الاسكندرية فكانوا في حال أسعد لحسن اخلاق واليهم فانه لم يكد يتلقى أمر الخليفة بضرورة دفع الاقباط ستة آلاف دينار حتى اخطر الاكليروس به وطلب منهم ان يخفوا كل ما يوجد في الكنائس من الامتعة الثمينة ولما جاءت جنود الوالي في الصباح لسلب الكنيسة لم يجدوا فيها غير الحصر والستائر . وكتب للخليفة يعتذر عنهم بانهم فقراء لا يقوون على دفع المبلغ واقترح عليه انقاصه الى ألف دينار فقط فقبل فجمع النصف من الاقباط والنصف الآخر من الاروام . وأخذ رجال الخليفة مفاتيح جميع الكنائس ولم يعط للبطريرك الا مفاتيح كنيسة واحدة . وقيل ان رأس يوحنا المعمدان كانت محفوظة عند الاقباط فخبأوها حينئذ خشية من ان تصل اليها أيدي الناهبين

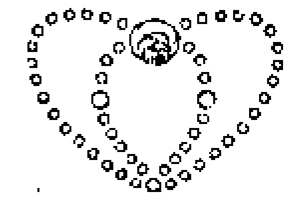
وقرب نصف هذا الجيل جاء الى مصر عرب بني هلال من بلاد نجد وكان عددهم عظيما جداً وبموجب أمر اميرهم حسن بن سرحان وقائديهم دياب بن غانم وسلامه بن رزق المشهور بابي زيد عبروا النيل واخربوا اكثر الاديرة وقتلوا رهباناً كثيرين . وأصيبت البلاد بجوع شديد وعقبه وباء مهلك فتضافرا على جلب الشقاء على السكان حتى ان اهالي مدينة تانيس هلكوا جميعاً من الجوع بما فيهم ميخائيل اسقفهم ولم يبق منهم سوى مائة نفس

ولما اشتدالحال طلب الاقباط من جرجس ملك النوبة ان يمدهم بما يفرج كربهم فأمدهم بمؤونة ارسلها مع رسل من قبله ولكن ناصر الدولة الوزير ارغمهم على العودة بما معهم من المؤونة . وحدث ان امرأة قبطية كانت تملك عقداً يبلغ ثمنه ألف دينار فاستبدلته بكيس دقيق . وخوفاً من ان لا تصل به الى منزلها استأجرت قوماً يحمونها بالسيوف حتى بيتها ولما صارت قريبة منه رآه الجائعون فهجموا عليها واختطفوا الكيس بين ايديهم وأخذ كل منهم ما تمكن من اختطافه ولم تتحصل المرأة الا على ما يكفي لرغيف واحد فصعدت به على سور المدينة وصاحت بان هذا الرغيف كلفني ألف دينار . فوصل الخبر مسامع الخليفة فألزم التجار بصرف ما عندهم للجائعين فانصرف الكرب

واستوزر الخليفة المستنصر بدر الدين الجمالي الارمني ليرد عنه غارات الاعداء وقيل ان بدر الدين هذا كان مسيحياً ومع انه كان يميل للمسيحيين الا انه لم يظهر ذلك الميل اليهم وروى ابو المكارم المؤرخ انه مات مسيحياً لكونه دفن في البساتين بحلوان بجوار الكنيسة الارمنية . ولما هدأت الاحوال كلف الاقباط بتنظيم الدواوين وتشكيلها على هيئة جديدة وعهد اليهم ضبط الحسابات وتحصيل الأموال فتحسنت الايرادات وبلغ مقدار ما جبي حينئذ ضعفي ما كان يجبى قبلا . ولما عاد المستنصر الى قوته اضطهد الاقباط كما اضطهدهم الحاكم وأمرهم بلبس الزنار الأسود وفرض الضرائب على افرادهم وكاد يستمر في طغيانه لولا خوفه من ان يغتاظ منه ملك الحبشة

(٣) الحروب الصليبية من سنة ١٠٩٧ م . سميت كذلك بالنسبة للصلبان التي كان يعلقها عساكر الافرنج في اعناقهم وعلى ثيابهم وكانوا يرومون بها انقاذ الاراضي المقدسة من يد المسلمين وسببها ان راهباً فرنسياً يدعى بطرس قصد الى مدينة القدس ليزورها كعادة المسيحيين فرأى فيها ما هاله وهو ان المدينة المقدسة استولى عليها الترك الذين كانوا قد نزعوا سوريا من يد الدولة الفاطمية واستقلوا بها وحكموها حكماً جائراً وأخذوا في اذلال ساكنيها من

المسيحيين ومعاملة الزائرين منهم كل سنة أسوأ معاملة فعظم عليه الامر ورجع الى اوروبا واوقف اسقف رومية على ما شاهد فحرك الاسقف ملوك الافرنج على محاربة المسلمين وانتزاع الاراضي المقدسة من ايديهم فاصغوا اليه ولبوا دعوته وقاموا من بلادهم يقودون الجيوش الجرارة وجرت بينهم وبين المسلمين معارك عظيمة أريقت فيها الدماء هدراً وبلا جدوى واستولى الافرنج على بلاد كثيرة من ضمنها القدس واستمرت معهم اكثر من تسعين سنة الى ان خلصها منهم صلاح الدين الايوبي سلطان مصر



القرن الثاني عشر

القسم الاول

تاريخ البطاركة

(١) مقار ٢ (٢) غبريال ٢ (٣) ميخائيل ٣ (٤) يوحنا ٥ (٥) مرقس ٣
(٦) يوحنا ٦

(١) مقار ٢ ـ البطريرك التاسع والستون . وبعد وفاة البابا ميخائيل ترشح اثنان للبطريركية من رهبان دير ابي مقار ولم يتمكن الاساقفة من انتخاب احدهما وذلك لان أحد المرشحين كان عمره أقل من الخمسين والقانون يحظر انتخاب بطريرك ممن لم يبلغوا هذا السن وبعد مرور ستة اشهر على خلو البطريركية قرر الاساقفه في المجمع الاكليريكي الذى انعقد بالقاهرة انتخاب احدهما المدعو مقار وتمت رسامته في ١٣ هاتور سنة ٨١٧ ش و١١٠٢ م في عهد خلافة الآمر بن المستعلي

غير انه اعترض على انتخابه لانه كان من ثمرة ثاني زواج وشروط انتخاب البطاركة تقضى ان لا ينتخب البطريرك الا ان كان ابن امه من اول زوج وبعد التحقيق ظهر للاساقفة ان اباه الذي تزوج مرتين لا أمه فوافقوا على تكريسه

وقد حاول اكليروس الاسكندرية ان يلزموه قبل رسامته بالتوقيع على تعهد بدفع مرتبات باهظة سنوية . واذ كان هذا الاب غير راغب في منصب البطريركية امتنع بتة ان يقيد نفسه باي شرط . ولما صمموا عليه وضايقوه فر منهم وانزوى في أحد الاديرة ولكنهم اذ لم يجدوا من يصلح غيره أحضروه رغماً وتنازل اكليروس الاسكندرية عن غلوائهم وقبلوا ان يدفع لهم ٢٠٠ ديناراً كل سنة فقط

وعلى أثر رسامته دعاه الاساقفة الى رفع القربان في كنيسة المعلقة فهاج رهبان دير ابي مقار لمخالفة ذلك لعادة سلفائه الذين كانوا يرفعون أول قربانهم في ديرهم، وتنازعوا مع الاساقفة والاراخنة وألحوا طالبين عدم انقطاع عادة ديرهم فاجابوا طلبهم وأخذوا البطريرك وانطلقوا به الى دير ابي مقار واحتفلوا به احتفالا عظيما .

وفي عهد هذا البابا توفى الانبا شنوده اسقف مصر فطلب منه وجهاء الاقباط في مصر وفي مقدمتهم الشماس يوحنا بن صاعد ان يوسم لابروشيتهم اسقفاً عوضه وكان البطريرك غير ميال لوجود اسقف خاص في ابروشية مصر خوفاً من مزاحمته اياه لان اسقف مصر كان يعادل البطريرك في المنزلة ويزاحمه على مركزه ودخله فلم يجبهم اجابة تامة بل كان يمدهم من يوم لآخر حتى أدركوا أغراضه فتعصبوا ضده وأصروا على طلبهم حتى التزم رغماً عنه ان يكمل مرغوبهم

واستمر هذا البابا على الكرسي المرقسي ٢٦ سنة و ٧ اشهر كانت كلها سلام وفرح ثم تنيح فى ٤ توت سنة ٨٤٤ ش و ١١٢٩ م

(٢) غبريال ٢ — البطريرك السبعون . فى آخر حياة البابا مقار كان

في ديوان الخليفة كاتبان احدهما مسلم يسمى ابن ابي قيراط والآخر سامري يدعى ابرهيم فوشيا للخليفة بان الاقباط يأخذون أموال الكنائس ويمدون بها الافرنج سراً فغضب عليهم وأمر بأخذها الى بيت المال وبعد وفاة البابا مقار لم يجسر الاقباط على الاستئذان في انتخاب غيره بسبب هذه التهمة التي غيرت خاطر الخليفة . وظلوا بدون بطريرك الى ان قام الجند على هذين الكاتبين وقتلوهما

شر قتلة فقام بعدها رجل مسيحي من الملكيين يسمى ابا البركات يوحنا بن ابي الليث فطلب منه الكتاب الاقباط ان يستأذن لهم باقامة بطريرك من الوزير الافضل بن بدر الجمالي فاجاب طلبهم وصرح لهم ان يقدموا من يختارونه وكان بين الكتاب رجل بتول من مصر يسمى ابا العلاء بن تريك فوقع اختيارهم عليه وكان سليل عائلة قبطية قديمة ثم اعتزل الخدمة فيما بعد وصار شماساً فى كنيسة ابي سيفين وكان الوزير قد طلب منه ان يستمر في وظيفته ولم يرد ان يتركه لاستقامته ونزاهته فلما عرضوا اسمه عليه سمح واذن وكرس بالاسكندرية وقدس باديرة وادي هبيب في ٩ امشير سنة ٨٤٧ ش و ١١٣١ في عهد خلافة الحافظ بن محمد ودعى غبريال ٢

وحدث انه لما تلا الاعتراف زاد عليه عبارة لم تكن فيه قبلا وهي قوله (وصيره واحداً مع لاهوته) فاضطرب الرهبان لهذه الزيادة واحتجوا عليها فقال لهم البطريرك بان مجمع الاساقفة قد أمره بتلاوتها فرضوا بها بشرط ان يضاف اليها « بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة » خشية من الانسياق لهرطقة أوطاخي فعمل برأيهم وأصدر منشوراً لعموم الكنائس يعلمها بذلك

وتوفي في عهده بطريرك الارمن فطلبوا اليه ان يرسم لهم اسقف اطفيح بطريركا وتاج الدولة اسقفاً فامتنع في بادىء الامر ولكنه لما رأى اصرارهم لبى طلبهم ورسمها ثم رسم ٣٥ اسقفاً للابروشيات القبطية وقد حاول بعضهم ان يعطيه مالا فابى كلية رغبة منه في القضاء على السيمونية

واتاه فيما بعد وفد من قبل ملك الحبشة يحمل خطابين احدهما للخليفة والاخر له . وفيهما يعترض على قصر عدد اساقفة الحبشة على سبعة ويطلب اسقفاً علاوة على الموجودين . وكانت القوانين تمنع زيادة اساقفة الكنيسة الحبشية عن سبعة خشية استقلالها عن أمها الكنيسة القبطية لانه اذا تكامل عددهم الى اثني عشر جاز لهم انتخاب بطريرك وكان ملك الحبشة باتفاق مع مطرانها ميخائيل يقصد من وراء هذا الطلب الوصول لهذا الغرض . فرفض البطريرك هذا الطلب واعتبره جسارة من المطران . فعاد ملك الحبشة وارسل هدية للخليفة وخطاباً يرجوه فيه ان ينفذ طلبه فاستدعى الخليفة البطريرك وطلب منه ان يتساهل مع

الملك فى طلبه فاعتذر له قائلا ان قبوله ذلك يؤول الى خروج الحبشة من تحت سلطته فاقتنع الخليفة وقبل عذره

وقد ذكرت مجلة المقتطف نقلا عن كتاب « لباب الاداب » لواضعه اسامة ابن منقذ الكناني ما يأتي « ولقد أذكرني قول الحكيم « انما سلطان الملك على الاجساد دون القلوب » امراً شهدته بمصر في سنة ٥٤٧هـ وهو ان رسول ملك الحبشة وكتابه وصل الى الملك العادل ابي الحسن على بن السلار رضى الله عنه فسأله ان يأمر البطريرك بمصر ان يعزل بطرك الحبشة وتلك البلاد كلها مردودة الى نظر بطرك مصر فأمر الملك العادل باحضار البطرك فحضر وانا عنده فرأيت شيخاً نحيفاً مصفراً فادناه حتى وقف عند باب المجلس فسلم ثم انحرف وجلس على دكل في الدار وانفذ اليه يقول له ملك الحبشة قد شكا من البطرك الذى يتولى بلاده وسألني فى التقدم اليك بعزله فقال يامولاي ماوليته حتى اختبرته ورأيته يصلح للناموس الذي هو فيه وما ظهر لي من أمره مايوجب عزله ولا يسعني في ديني أن أعمل فيه بغير الواجب ولا يجوز لي ان أعزله فاغتاظ الملك العادل رحمه الله من قوله وأمر باعتقاله فاعتقل يومين ثم أنفذ اليه وانا حاضر ايضاً يقول له لابد من عزل هذا البطرك من أجل سؤال ملك الحبشة فى ذلك فقال يا مولاي ماعندى جواب غير ماقلته لك وحكمك وقدرتك انما هى على الجسم الضعيف الذى بين يديك وأما ديني فما لك عليه سبيل والله ما اعزله ولو نالني كل مكروه فأمر الملك العادل رحمه الله باطلاقه واعتذر الى ملك الحبشة » اهـ

وبعد ذلك اعتنى البطريرك بوضع ثلاثين قانوناً حظر في بعضها ما يؤتى في الاعراس من أمور الخلاعة المغايرة لروح الدين ولبث على كرسى البطريركية ١٤ سنة و٣ شهور ثم تنيح في ١٠ برموده سنة ٨٦١ ش و١١٤٥م

(٣) ميخائيل ٣ـ البطريرك الحادي والسبعون . بعد وفاة البابا غبريال

اهتم الاساقفة بانتخاب خلفه فلم تتفق كلمتهم على واحد وذلك بسبب مقاومة راهب من عائلة معروفة يقال له يؤنس بن كوران كان يريد ان يكون بطريركا وكان من حزبه لقانه من اعمال البحيرة وخيروستوذولو اسقف فوه وميخائيل

اسقف طنطا . غير ان اساقفة الاسكندرية والصعيد أبوا بالاجماع قبوله واتحد رأي الكل اخيراً على اختيار ثلاثة رهبان ينتخبون احدهم بالقرعة بطريركا وهم يؤنس بن ابي الفتح وميخائيل من دير ابي يحنس وسليمان بن الدخياري من دير برموس فوقعت القرعة على ميخائيل الملقب بابن الدقادوسي

ومع ان هذا الراهب كان معروفاً بشدة التقوى والنسك الا انه كان لا يدري شيئاً من العلم ولم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة سواء بالقبطية أو العربية ولم يمنع ذلك من انتخابه لشدة لياقته لذلك المنصب الخطير فكرسوه باحتفال عظيم في احدى كنائس بابيليون في اليوم الحادي عشر من ابيب سنة ٨٦١ ش و١١٤٥ م في عهد خلافة الحافظ بن محمد

وحال جلوسه على الكرسي فتح الله ذهنه ووهبه قسطاً وافراً من الحكمة . ولكن لم تطل مدته سوى تسعة شهور و١٦ يوماً وتوفي في ٣ برموده سنة ٨٦٢ش و١١٤٦ م وقيل انه مات مسموماً والذي أقدم على سمه احد الرهبان المحبين للعيشة الرخوة وكان البطريرك يوبخه فلم يطق توبيخه

(٤) يوحنا ٥ ـ البطريرك الثاني والسبعون . هو يؤنس بن ابي الفتح

من دير ابي يحنس احد الراهبين اللذين كانا مرشحين للبطريركية عند انتخاب البابا ميخائيل فانتخب بطريركا وأدى فروض رسامته في ١٥ بؤونه سنة ٨٦٢ ش و١١٤٦ م في عهد خلافة الحافظ . وكانت الكنيسة القبطية في عهده تكثر من الاحتفالات الدينية فحدث ان رهبان سمنود زادوا على الاعتراف لفظة (المحيي) بعد كلمة (ان هذا الجسد) فاعترض على هذه الزيادة الانبا مكاريوس اسقفهم وأمرهم بتركها ولما أبوا رفع الأمر الى البابا يوحنا فعقد مجمعاً من سائر اساقفة مصر وطرح المسألة أمامهم وبعد البحث أقر المجمع على هذه الزيادة واصدر البطريرك منشوراً لجميع الكنائس بقبولها ولكن رهبان دير ابي مقار احتجوا على المجمع وطعنوا في حكمه واثاروا غباراً عظيما وبلغ بهم الغيظ الى رفع دعواهم امام الوالي فلما مثل الفريقان امامه ووقف على سر الخلاف سخر بهما وطردهما . غير ان الرهبان لبثوا يقاومون البطريرك طالبين حذف الزيادة

ولكنهم خضعوا أخيراً

وحدث في زمان هذا البابا ان مملكة الحبشة اغتصبها رجل من غير العائلة الملوكية وقتل ملكها الشرعى وجلس مكانه فوبخه مطران الحبشة بشدة على هذا الظلم فنفاه وأرسل البطريرك يطلب منه تعيين واحد خلافه مدعياً عليه بانه كبر وشاخ فامتنع البطريرك عن اجابة طلبه فعمد ملك الحبشة المغتصب الى والي مصر وأرسل له هدية ورجاه ان يلزم البطريرك بايفاد مطران من طرفه للحبشة فلما تكلم الوالى مع البطريرك قال له ان مطران الحبشة لايزال حياً فاقتنع

وبعد ان مضى البابا يوحنا على كرسى البطريركية ١٨ سنة و١٠ شهور و١١ يوما تنيح فى ١٤ بشنس سنة ٨٢٢ ش و١١٦٦ م

(٥) مرقس ٣ ـ البطريرك الثالث والسبعون . وبعد وفاة البابا يوحنا اجتمع مجمع الاساقفة والشعب بالدار البطريركية لانتخاب من يليق للبطريركية فوقع اختيارهم على الارخن مرقس ابي الفرج ابى سعد التاجر الشهير والبتول الناسك وهو معروف بابن زرعة سريانى الجنس قبطى المذهب فأقيم بطريركا فى ١٨ بؤونة سنة ٨٢٢ ش و١١٦٦ م في عهد خلافة العاضد بن يوسف

ولما استقر به المنصب قام بواجباته خير قيام وانتشبت فى عهده الحروب الصليبية واشتد الخلاف بينه وبين مرقس بن قنبر المبتدع كما يأتى . واستمر على الكرسي ٢٢ سنة و٦ شهور و ٢٥ يوماً وتنيح في ٦ طوبه سنة ٩٠٤ ش و ١١٨٩ م .

(٦) يوحنا ٦ ـ البطريرك الرابع والسبعون . كان قبل رسامته بطريركا يدعى ابا المجد وكان في الاصل علمانياً يتعاطى التجارة ويتردد على بلاد اليمن فى البحر حتى كثر ماله وذاع صيته وكان شريكا لقوم يدعون باولاد الخباب فحدث مرة بينما كانوا راجعين من بلاد اليمن ان انكسرت بهم السفينة وفقد كل مابها عدا ماله فانه كان محتفظاً به في خنادق المركب فلما رأى اولاد الخباب ان مالهم قد ضاع حزنوا جداً ولكن أبا المجد أعلمهم بما كان فسروا منه للغاية وارتفعت قيمته في أعينهم وأرادوا ان يكافئوه على فعله الحسن فرشحوه لكرسى البطريركية

وكانت فضائله قد اشتهرت للخاص والعام فوافق الكل على انتخابه وكان له من النقود سبعة آلاف دينار فوزعها جميعها على الفقراء والكنائس

وقيل انه كان متزوجاً ولما ماتت زوجته لم يشأ ان يتخذ له زوجة غيرها وآثر العزلة . ومع ان القانون يحتم ان الذي ينتخب بطريركا لابد ان يكون أعزب من بدء حياته الا ان علم ابي المجد الواسع وفضيلته الزائدة أكسباه الافضلية على جميع المرشحين لذلك المركز السامى . ولم تكن له رغبة فى نيل هذا المركز بل لما توفى البابا مرقس كان يسعى لدى الحكام فى تعيين آخر مكانه فاشار بعض أصحاب الكلمة من المسلمين على كبار الاقباط باختياره لهذه الوظيفة لاهليته فقبلوا هذه المشورة وانتخبوه فى ٤ امشير سنة ٩٠٥ ش و ١١٨٩ م في عهد سلطنة صلاح الدين الايوبي ولم يعارض في انتخابه أحد ودعى يوحنا السادس

وبعد ذلك وصله خبر وفاة مطران الحبشة فعين بدله كيلوس اسقف فوه التي كان شعبها جميعه قد قتل بسبب الحروب الصليبية ورقاه لدرجة المطرانية وسافر للحبشة فقوبل باحتفال عظيم ترأسه الملك نفسه ولكنه عاش فى بلاد الحبشة عيشة الترف وكان له عشرة قسوس بصفة تلاميذ وحدث مرة انه فقد من كنيسة اكسيوم عاصمة المملكة آنية من الذهب عظيمة القيمة فحصر المطران الشبهة في امين خزائن الكنيسة وهو أحد تلاميذه فأمر بضربه حتى أسلم الروح فثار عليه أهله وأرادوا ان يفتكوا به ولكنه لاذ بالفرار واتى الى مصر فاندهش البطريرك وسأله عن سبب مجيئه فاجابه ان اخا الملكة اغتصب الرئاسة منه لعدم موافقته له في بعض امور تخل بالدين فلم يقبل البطريرك منه هذا القول قضية مسلمة بل انفذ على الفور مندوباً من قبله بكتاب منه لملك الحبشة يشف عن اهتمامه بصالح التابعين لرئاسته وان كانوا بعيدين عنه واناط المندوب بتحقيق المسألة بكل دقة وحجز الاسقف عنده حتى يعود المندوب . وبعد سنة عاد المندوب وعرض على البطريرك نتيجة التحقيق وارسل ملك الحبشة مع المندوب بعض كبار مملكته وقسيسه الخاص ليشهدوا امام البطريرك في وجه المطران بالذنب العظيم الذي اقترفه وطلب من البطريرك ان يرسل له مطراناً غيره وصحبهم بكتاب

وهدية سنية لملك مصر وهو اذ ذاك الملك العادل وطلب اليه ان يأذن للبطريرك في تعيين مطران آخر . واذ كان الملك غائباً في سورية منهمكا فى مقاتلة الافرنج والقائم باعباء المملكة ولده الكامل فقبل منهم الهدية واذن للبطريرك ان يجيب طلب الملك

ولكن لشدة محافظة البطريرك على واجباته وحرصه على القوانين امتنع عن اجابة الطلب فى الحال فجمع مجمعاً حافلا من رؤساء الكهنة وكبار الامة واحضر المطران وبعد تلاوة القضية بحضوره سأله اذا كان لديه ما يدفع به التهمة عن نفسه واذ لم يقو على ذلك حكم المجمع بتجريده من رتبته ومن كل درجة كهنوتية قبل الشروع فى انتخاب وتعيين آخر عوضه . ولما كان اليوم المعين لتجريده هرع الناس من كل جهة من اقباط ومسلمين الى المكان الذي اعد للاحتفال لمشاهدة هذا المنظر الغريب وتقاطر الناس افواجاً افواجاً حتى بلغت اجرة الحمار في ذلك اليوم ثلاثة دراهم . ولما كانت الساعة المعينة اتي به امام المجمع بملابسه الرسمية وبعد تلاوة الحكم نودي عليه بالتجريد فمزقت ملابسه من على جسمه . فكان يوماً مشهوداً لم يسبق له نظير وصار الناس يتحدثون بهوله اياماً

وقد انتخب البطريرك اسقفاً غير هذا للحبشة من دير انطونيوس يدعى اسحق فقام بخدمتها بحزم زائد ونال فيها مركزاً سامياً وحسب في عداد القديسين ومن مآثره انه استحضر من بلاده المصرية رهطاً من بني قومه الاقباط نقشوا حجارة زين بها كنائس الحبشة وجعلها ذات رونق بهيج اعجب به الناظرون وعاش اربعين سنة بين الاحباش فى صفاء وهناء

وحدث ايضاً في ايام هذا البابا ان قساً من البشمور ترمل فتزوج مرة ثانية فطرده من كانوا تحت رئاسته فمضى الى الاسكندرية وصار يؤدي الخدمة الدينية فى كنائسها فلما وصل خبره الى البابا يوحنا استاء استياء عظيما ووبخ اكليروس الاسكندرية وسن قانوناً يقضى بانه لا يجوز لاية كنيسة ان تقبل كاهناً غير معروف بدون ان يكون معه تصريح رسمى من رئيسه

وبعد ذلك بقليل توفى البابا يوحنا فى ١١ طوبه سنة ٩٣٢ ش و ١٢١٦ م بعد ان قضى على الكرسي ٢٧ سنة وكان لموته رنة حزن لانه كان محبوباً من

الجميع من اقباط ومسلمين وكان من اشد الناس حزناً عليه بطريرك الروم الارثوذكس فقد شوهد يبكى عند تشييع جنازته بكاءاً مراً . غير انهم دفنوه بغير ان يحتفلوا به احتفالا عظيما لان من عادة المصريين ان يعجلوا بدفن موتاهم ولما كان موته بغتة لم يتمكن احد من اساقفة الابروشيات من حضور جنازته

وقد شهد احد المؤرخين المسلمين عن البابا يوحنا بانه عاش حياته زاهداً فى المال فالغى السيمونية وكان مثرياً فلم يشأ ان يثقل على الامة في شيء بل عاش كل ايام رئاسته يصرف على نفسه ومن معه ويتصدق على الفقراء من ماله الخاص وابى اجابة مطالب الاسكندريين الباهظة حفظاً لمال الوقف ولهذا توفرت الاموال بالبطريركية فكانت سبباً فى طمع داود بن لقلق والسعى للاستيلاء عليها

وفى ايام هذا البابا بطل ارسال الاساقفة الى الخمس المدن الغربية وذلك ان تلك البلاد التي كانت تابعة للكرسي المرقسي والتي استمرت الكنيسة المصرية ترسل اليها الاساقفة بانتظام من القرن الاول للقرن الخامس الذي حدث فيه الانشقاق المحزن وقام الامبراطرة الرومان يقاومون البطاركة المصريين وعقبهم ملوك المسلمين بعد الفتح العربي فشددوا عليهم النكير حتى اقبل اهل الخمس المدن على الدخول في الديانة الاسلامية افواجاً وبطل ارسال الاساقفة اليها من عهد هذا البابا الى الآن

°°°°°°°°

القسم الثانى

مشاهير الكنيسة

°°°°°°°°

(١) الاسعد ابو الخير (٢) السيدة ترفه (٣) ابو البركات (٤) الانبا

ميخائيل اسقف دمياط

ooooooooo

(١) الاسعد ابو الخير . هو جرجه بن ابي وهب الشهير بابن الميقاط اشتهر بين عظماء الاقباط في عهد خلافة العاضد . تعرض له الوزير شاور الذي أحرق مصر القديمة وادعى عليه بان له علاقة بعساكر الصليبيين وانه يخابرهم سراً وبناء على ذلك قبض عليه ووضع تحت العذاب حتى مات . وهو رأس لعائلة اشتهر أمرها فيما بعد منها ابو الفتوح بن الميقاط الذي ترأس ديوان الجيوش في ايام الملك العادل

(٢) السيدة ترفه . من مصر القديمة عرفت بالغنى واشتهرت بالتقوى الزائدة والغيرة في عمل الخير ومن مآثرها انها انفقت من مالها الخاص على تشييد كنيسة على اسم ابي نفر وأعدت باعلاها مكاناً واسعاً ليكون ديراً للعذارى الراغبات في البتولية وانفقت ايضاً على نسخ جملة كتب ووهبتها للدير ونقشت اسمها على لوح خشب ووضعته فوق الباب الذي تدخل منه النساء الى الكنيسة

(٣) ابو البركات . هو ابن ابي الليث كان رئيس ديوان المجلس وشى به بعض الحاسدين الى الخليفة بان له مرتبات باهظة وانه يختلس اموال الحكومة ويستخدم اقاربه ويفضلهم على غيرهم فلم يسمع لهم الخليفة واقره في منصبه الا انه قتل في سنة ٥١٨ هـ

(٤) الانبا ميخائيل اسقف دمياط . كان من علماء ذلك العصر وجمع قوانين الكنيسة الى مجموع واحد وألف كتاب البغية لمن طلب لنفسه الخلاص والنجاة من يوم القصاص

oooooo

القسم الثالث

المماليك والكنيسة

ooooooooo

(١) الحروب الصليبية وتأثيرها على الاقباط في عهد الخليفة الآمر بن المستعلي (٢) الحافظ (٣) الظافر (٤) شاور وشيركوبه (٥) الدولة الايوبية . صلاح الدين يوسف ووزيره بهاء الدين

oooooooo

(١) الحروب الصليبية وتأثيرها على الاقباط في عهد الخليفة الآمر بن المستعلي سنة ١١٠١ م . وحاول الصليبيون أخذ مصر ولكنهم فشلوا ولشدة غيظهم من عدم مساعدة الاقباط لهم اصدروا قانوناً يمنع اقباط مصر والسودان من زيارة القبر المقدس وحملهم على ذلك ايضاً اعتبارهم ان الاقباط هراطقة مع ان هؤلاء كانوا يتمنون لهم الفوز في مبدأ الامر ولكنهم علموا فيما بعد انهم لا يستريحون مع اللاتين المتغطرسين باكثر مما يستريحون مع المسلمين وقد ادركوا ذلك من ان اسقف رومية اصدر أمراً الى الصليبيين بضم البلاد التي فتحوها الى بطريركية اللاتين في اورشليم وكانوا ينوون لاقباط مصر ما نووه لغيرهم ولكنهم ارتدوا بالخيبة في هجمتهم عليها مرة ثانية

واطمأن بال الافضل بن بدر الجمالي وزير الآمر باحكام الله على مصر وتحصل الاقباط في ايامه على خير جزيل ولكنه لما رأى كثرة توالي هجوم الصليبيين

على مصر وارتكابهم الفظائع في كل بلد يدخلونها تقر قلبه وقلوب المسلمين من كل نصراني مهما كان مذهبه وجنسيته ووقع الاقباط من جراء هذه الحروب تحت سخط مواطنيهم مع ان الاقباط كانوا في نظر الافرنج هراطقة كالمسلمين ولم يسلموا من شرهم حتى انهم لما وصلوا الى مصر أول مرة نزلوا بمدينة تسمى الفرما وقتلوا جميع من فيها بدون تمييز بين مسلم أو نصراني

ونال الاقباط من جراء الحروب الصليبية شر آخر وذلك انه لما طالت مدة الحرب احتاجت الحكومة المصرية الى نفقات جسيمة ففرضوا جزءاً عظيما منها على الاقباط فتضايق منهم كثيرون حتى ان بعضهم اضطر الى بيع املاكه لدفع المطلوب منه واصبح الكثيرون فقراء وهكذا اتخذ المغرضون الحرب وسيلة لاضطهاد النصارى . وكان في ديوان الخليفة كاتبان احدهما مسلم يسمى ابن ابي قيراط والآخر سامري يدعى ابرهيم فوشيا للخليفة بان الاقباط ينفذون سراً الى الافرنج اموالا يأخذونها من الكنائس فغضب عليهم وأمر بضم اموال الكنائس لبيت المال اما الواشيان فقام عليهما الجنود وقتلوهما شر قتلة

ومع ذلك كان الآمر يكثر من التردد على دير نهيا بالجيزة ويقيم به أياماً للنزهة . وكان في كل مرة يأتي اليه ينعم على رهبانه بالف درهم حتى بلغ ما نالوه منه اكثر من ثلاثين ألف درهم . وفي اول مرة نزل به انعم عليه بثلاثين فدان بلا مال بناحية طهرمس بالجيزة . وهذا الدير هو الذي قال فيه ابن البصري الشاعر في قصيدة له

يا دير نهيا ما ذكرتك ساعة ... الا تذكرت السواد بمفرقي
يا دير نهيا ان ذكرت فانني ... أسعى اليك على الخيول السبق

(٢) **ضهرة الحافظ سنة ١١٣٠ م** . وفي ايام الخليفة الحافظ لدين الله تولى منصب الوزارة رجل ارمني شقيق بطريرك الأرمن فهدأت احوال الاقباط وتعزز مركز المسيحيين . غير ان المسلمين ثاروا على الوزير بحجة انه أوجد للمسيحيين نفوذاً قد يمكنهم من استعادة السلطة الى قبضتهم . وكان زعيم هذه الثورة رجل يدعى رضوان فتقدم برجاله على مصر القديمة وبابيليون والقاهرة

حيث كان يسكن المسيحيون . وأمر من معه بسلبهم ونهب امتعتهم وجعل همه الضغط على الاقباط ومصادرتهم وألزمهم بركوب الحمير والبغال دون الخيل وشد الزنار ولبس الغيار كما ادعى عليهم بانهم غير اكفاء للوظائف وضاعف الضرائب المفروضة عليهم . غير ان المسلمين الذين كانوا يعلمون شدة احتياجهم لكفاءة الاقباط العاملية نقموا على رضوان ولم يمكنوه من ذبحهم

وفيما بعد غرس الافضل الوزير بستاناً بالروضة بجوار كنيسة الملاك ميخائيل المختارة واحاطه ببناء بلغ اسوار البيعة فطلب المهندس من الاقباط رشوة لكي لا يقرب من الاسوار فوعدوه ولكن لفقرهم لم يوفوا الوعد فانتهز ذلك المهندس حدوث زلزلة دمرت بعض المنازل وعقبتها ظلمة دامسة واسرع برجاله الى البيعة ودمرها .

وكان الاب ميخائيل اسقف صهرجت قد اعتنى بتجديد كنيسة منية زفتى ورممها فوثب عليه المسلمون واغتصبوها وحولوها الى مسجد فرفع الاسقف شكواه الى رضوان المذكور فادعى الذين اغتصبوها انها بنيت حديثاً ولما اثبت انها قديمة أعيدت اليه

(٣) ظروف الظافر سنة ١١٤٩ م . وفي ايامه اشتد ساعد طايع بن زريك الارمني فارتقى الى منصب الوزير الاول في مصر ولم يكتف بذلك بل نادى بنفسه ملكا ودعا نفسه الملك الصالح فتجبر على الاقباط وضايقهم مضايقة شديدة واوقع بهم شراً عظيما ومن ذلك ان مدينة المطرية التي كانت ولا تزال معتبرة عند الاقباط مقدسة لتشريف المسيح اياها حتى سكن بها كثيرون منهم وبنوا فيها جملة كنائس فاغتصب الملك الصالح احدى تلك الكنائس وحولها جامعاً

(٤) ظروف العاضد ووزارة شاور وشيركوه . وفي مدة خلافة العاضد بن يوسف الذي تولى سنة ١١٦٠ م استوزر رجلا يسمى شاور الذي لما تضايق من الصليبيين أحرق الفسطاط (مصر القديمة) حتى لا يعسكر فيه الافرنج فكانت هذه مصيبة أخرى لان معظم سكانها كانوا اقباطاً فهلك منهم كثير ومن نجا من

النار خرج هائماً لايدري الى اين يذهب واستمرت النار متقدة أياماً وذهب في ذلك الحريق امتعة الاقباط المساكين واصبحت منازلهم آثاراً بالية ولم يظهر من البناء سوى قباب الكنائس ولم يكن في وسع الاقباط حينئذ ان يبنوا كنائسهم الا في مكان أو اثنين بما التقطوه من الحجارة المتفرقة التي أوقعتها النار من البيوت والكنائس . ولبث الكهنة الذين لم يهربوا من النار يحرصون تلك الانقاض وبعد حين وجد الاقباط ست كنائس باقية داخل حصن الرومانيين ففرحوا بها فرحاً عظيما . ومن اشهر الكنائس التي احترقت حينئذ كنيسة دير ابي سيفين

وبعد مدة قتل شاور واستوزر بعده شيركويه ولكي يرضى هذا الوزير الجديد خواطر المسلمين الذين اشتدت كراهتهم للنصارى بسبب الفظائع التي كان يرتكبها الصليبيون تعدى على الاقباط وسامهم عذاباً أليماً فنهب منازلهم وفضح نساءهم واغتصب بعضهم الى الاسلام . ومن ذلك ان راهباً من دير ابي مقار نزل الى القاهرة ليبتاع شيئاً فدعوه الى الاسلام فأبى فقتلوه وأشعلوا النار في جثته فلم تحترق فأخذها النصارى ودفنوها في كنيسة ابي سرجه . ثم هجم شيركويه ورجاله على الكنائس التي بضواحي القاهرة فهدموها وهدموا كنيستي الحمرى بحارة الروم والزهري في بر الخليج غربي باب اللوق ونهبوا ما وجدوا بهما من الامتعة ثم ألزم شيركويه النصارى بشد الزنانير على أوساطهم ومنعهم من ارخاء الذؤابة المعروفة بالعذبة وقرر عليهم مغارم باهظة وحرمهم من التوظف في الوظائف الرئيسية في الدواوين . أما نصارى الصعيد فباعوا أنفسهم للعربان وترامو عليهم فادخلوهم في حمايتهم وبهذه الطريقة نجا كثيرون منهم من الموت لكنهم صاروا بذلك عبيداً للعرب

وكان بين الكتاب النصارى رجل يسمى زكريا بن ابي المليح مماتي فكتب رقعة رفعها الى أسد الدين شيركويه يلتمس منه ان لا يمنع النصارى من ارخاء العذبة وقد صدرها بالبيتين الآتيين

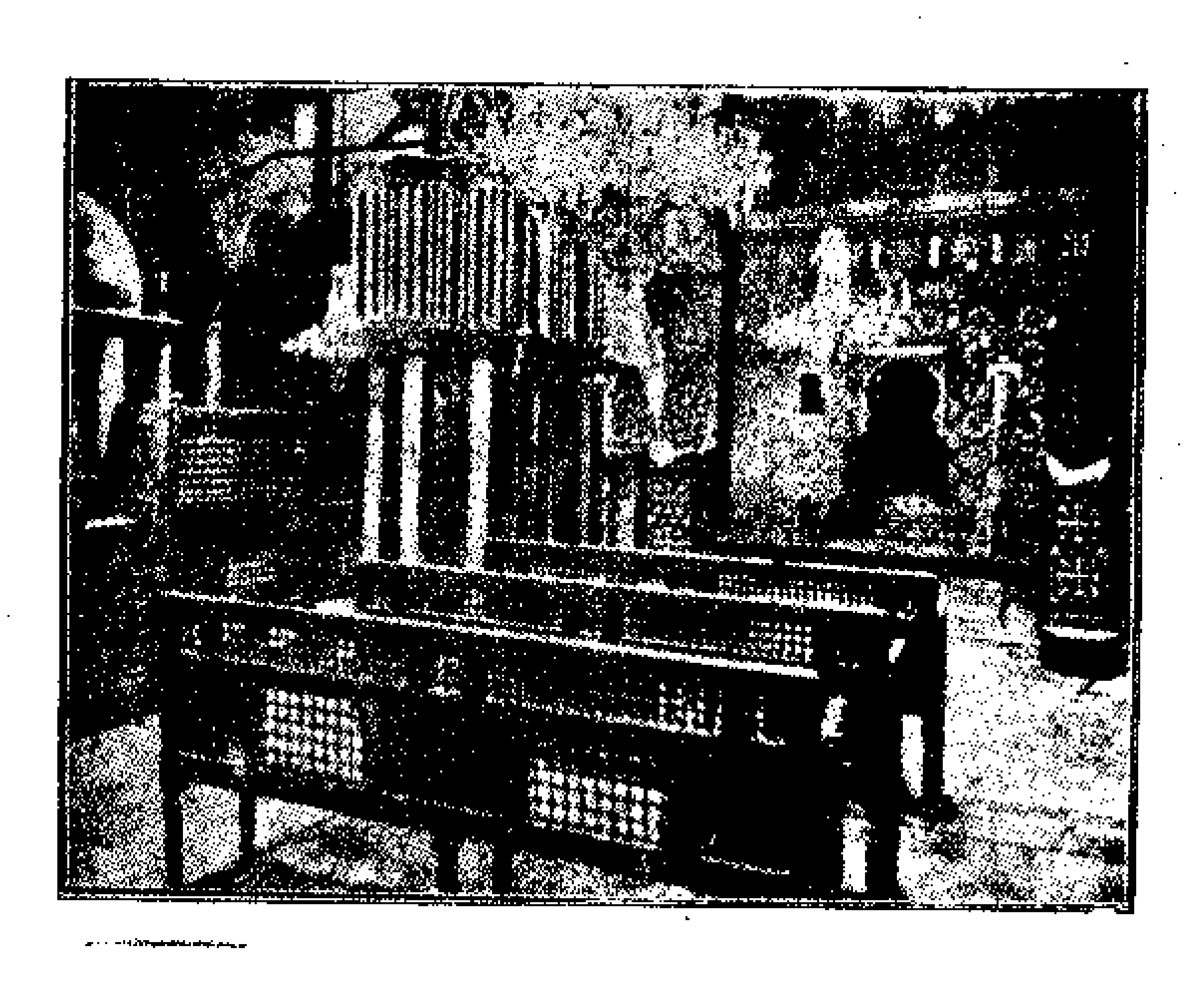
يا أسد الدين ومن عدله	يحفظ فينا سنة المصطفى
كفى غياراً شد أوساطنا	فما الذي أوجب كشف القفا

فلم يجب طلبه . وكان زكريا هذا من نصارى اسيوط ولما أسلم دعى الاسعد ابن شرف الدين وولي ناظراً على الدواوين وكان شاعراً مجيداً وكاتباً بليغاً ومن شعره

تعاتبني وتنهى عن أمور　　سبيل الناس ان ينهوك عنها
أتقدر أن تكون كمثل عيني　　وحقك ما علي أضر منها

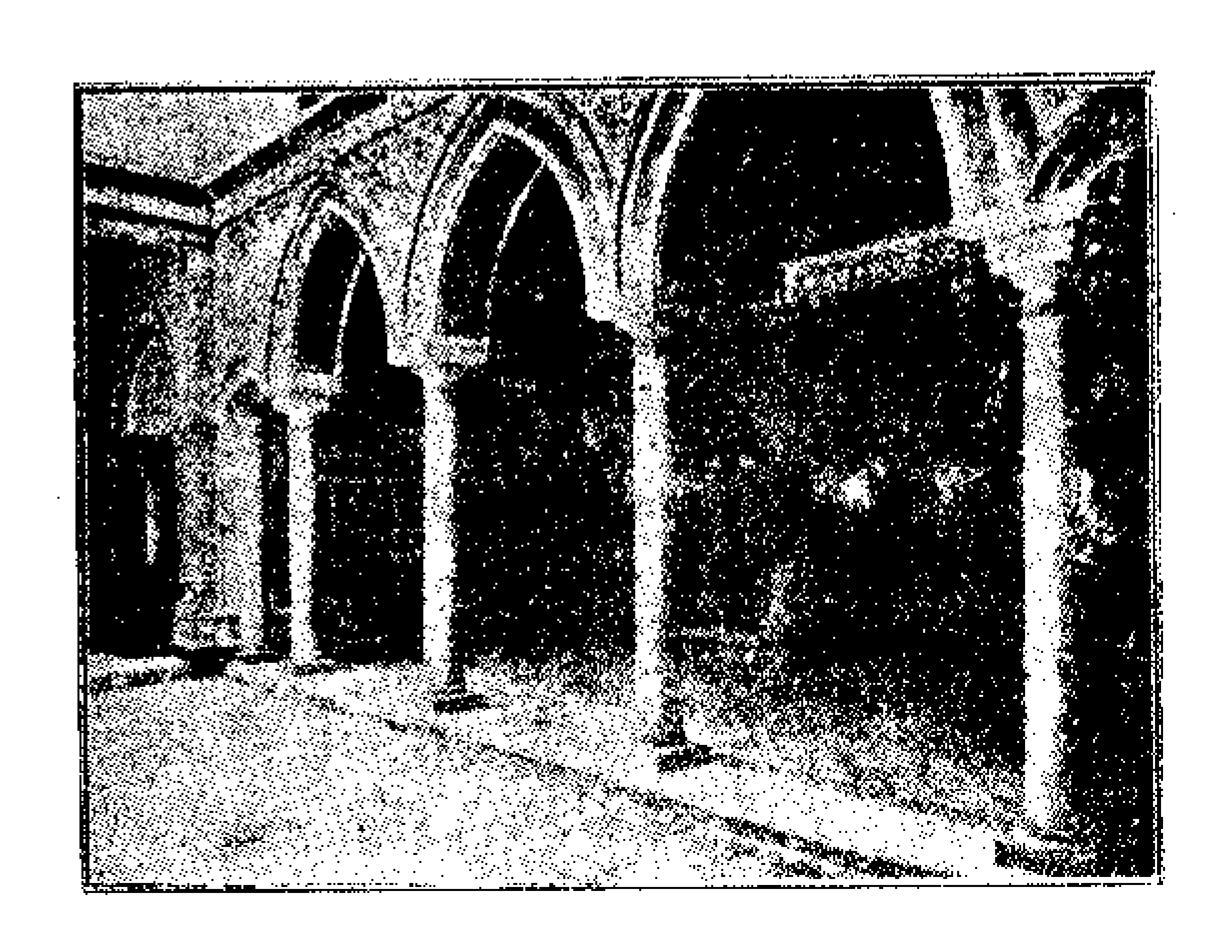
وبموت الملك العاضد انتهت الدولة الفاطمية وكان الاقباط في آخر عهدها رغم ماحل بهم متقلدين زمام الوظائف الحسابية التي وضعوا لها قواعد دقيقة لا يتمكن سواهم من ضبطها وكانوا قد اتقنوا اللغة العربية ووضعوا فيها مؤلفات تشهد لهم بالمقدرة التامة ونقلوا اليها مؤلفات كثيرة من القبطية واليونانية وقد عرفت الحكومة قدرهم فصارت تلقبهم بالقاب التفخيم (كالرئيس. وهبة الله . والامجد . والاسعد . والشيخ . ونجيب الدولة . وتاج الدولة . وفخر الدولة)

وكانت معظم الصنائع والفنون بايديهم وكان اتقانهم لها بالغاً منتهاه ولا تزال بقايا صناعاتهم موجودة للآن في الاديرة والكنائس القديمة بحارة زويلة وحارة



«كنيسة المعلقة من الخارج بمصر القديمة»

الروم ومصر القديمة وكنيسة المعلقة كما انهم لم يهملوا علم الطب فاشتغلوا به ونالوا منه حظاً وافراً واهتموا بعلم المواقيت وألفوا فيه مؤلفات واسعة وصل الينا بعضها



« صورة كنيسة المعلقة من الداخل »

(٥) الدولة الايوبية . صلاح الدين يوسف ووزيره بهاء الدين .

تولى صلاح الدين كرسي الوزارة سنة ١١٦١م فحكم على الاقباط ان يعلقوا أجراساً في أعناقهم وأمر ان تنزع الصلبان الخشب من فوق كل كنيسة وتطلى كل قبة كنيسة بيضاء بالطين الاسود وبعدم دق النواقيس فى سائر الكنائس . وكان من عادة النصارى ان يزفوا في عيد الشعانين الصليب في الشوارع في كل بلدة وكل مدينة فمنعهم من ذلك وأمرهم ان لا يصلوا فى الكنائس الا باصوات منخفضة فكانت هذه الاوامر عاملا على تهييج المسلمين وبغضهم لهم اكثر فاضطهدوا الاقباط في كل مكان واغتصبوا كنائس كثيرة وحولوها الى جوامع وألزموا عدداً من المسيحيين باعتناق الاسلام

وحدث أيضاً ان ظهر رجل بمدينة قفط التي كان معظم سكانها أقباطاً وادعى انه ابن العاضد آخر الخلفاء الفاطميين فتبعه كثيرون وجاهروا بالعصيان على صلاح الدين فأرسل لهم جيشاً تحت قيادة اخيه فأحاط بالمدينة وخربها ونهبها وقبض على ثلاثة آلاف رجل من سكانها وعلقهم في عمائمهم على الاشجار التي كانت حول المدينة ومن ثم لم تقم لقفط قائمة وهي الآن قرية حقيرة . وبعد ذلك وضع صلاح الدين يده على ممتلكات الاديرة والكنائس وانعم بها على أعوانه واتباعه

جلس صلاح الدين على كرسي السلطنة سنة ١١٧١ م وفي اثناء انشغاله بالحروب في سوريا لاح لملك النوبة ان ينتهز تلك الفرصة ويستولي على مصر فوصل الى اسوان وأسر كثيرين من المسلمين فسير اليه صلاح الدين جيشاً فحاصر قلعة دير ابريم وفتحها عنوة واستخلص الاسرى المسلمين ونهب المدينة وقتل اكثر سكانها واسر اسقفها وطلب منه اموالا واذ لم يجد عنده شيئاً باعه مع الاسرى وقبض ثمنه

وكان عرش مصر في اثناء اشتباك صلاح الدين في المعارك مسنداً الى الوزير بهاء الدين احد خصيانه السود فارتأى هذا ان يرمم اسوار المدينة فساق اليها المصريين من مسلمين ونصارى معاً ليشتغلوا فيها فنقم الكل عليه وصار الاولاد يمثلون به ويلقبونه باسم « قراقوس » ولا يزال الى اليوم من يقيمون حفلات استهزاء بهذا الاسم . وتعمد مضايقة الاقباط مضايقة شديدة فاول عمل أتاه ضدهم انه رفت كل الموظفين منهم في جميع دوائر الحكومة ولم يبق منهم فيها الا من أسلم على يد شيركويه وبعده . ثم عاد فارجعهم من نفسه لما رأى استحالة قيام الاعمال المصلحية وانتظامها بدونهم . بل ان السلطان نفسه لما تحقق امانتهم اتخذ له منهم كاتباً خصوصياً من عائلة قديمة شريفة يعرف بعائلة شرافي وكان ابوه من مشاهير الحكومة في ايام العاضد يسمى بابي المعالي ومنحه صلاح الدين لقب الشرف والرئاسة فدعاه بالشيخ الرئيس صفي الدولة بن ابي المعالي . وكان محبوباً وبقي في خدمته حتى مات . وكان الأرمن قد هاجروا من مصر وتركوا كنيسة بالفسطاط انعم بها السلطان على فقيه دمشقي يسمى بهاء الدين فطلبها

صفي الدولة للاقباط فأعطاها صلاح الدين لهم ولما تحقق صلاح الدين من اخلاص الاقباط وهبهم اعظم مكان في بيت المقدس وهو الدير المعروف الآن بدير السلطان نسبة اليه

وتجاسر حينئذ راهب يدعى جالوش وكتب ينم في الرهبان للوزير مدعياً عليهم بانهم على علم تام بعلوم السحر والتنجيم والرق ولهم دراية بكيفية صنع الذهب والفضة الامور التي يخالفون بها اوامر الانجيل فأمر الوزير بعض جنوده بفحص الشكوى فسـاروا الى وادي النطرون واوقعوا بشيوخ الرهبان اهانة كبرى واتوا بهم مقيدين الى الوزير الذي فحص أمرهم فوجدهم ابرياء فاطلق سبيلهم .

ولـكن حدث ان جماعة من الاقباط ومنهم اثنان من كبارهم احدهما يدعى ابو سعيد بن ابي الفضل بن فهد النحال والآخر ابو اليمن بن ابي الفرج من عائلة زنبورة الشهيرة احتفلوا في احد الايام في كنيسة الارمن التي وهبها السلطان لهم بعيد الشعانين وكان مع خدام ابي سعيد وابي اليمن اناء فيه زيت خاص من الزيتون ليقدموا منه لمواليهم ولما لم يجدوه اتهموا حراس المسلمين بانهم سرقوه وأدى الحال الى وقوع مشـاجرة بين الخدام والحراس تعدى فيها اولئك على هؤلاء بالضرب فرفعوا أمرهم الى بهاء الدين الفقيه الدمشقي صاحب البساتين التي حول الـكنيسة فقص الخبر على السلطان وهذا أحضر صفي الدولة واستعاد منه الامر الذي اعطاه له بأخذ الـكنيسة واغلق ابوابها ولـكنها أعيدت بالتماس صفي الدولة ثانية

ومما يستحق الذكر انه في اثناء حصار الصليبيين لدمياط سنة ١٠٧٢ م حدث ان وزيراً قبطياً لاقى الصعوبات في سبيل الاستئذان ببناء كنيسة على اسم الست بربارة وناله بعد الجهد وشيد تلك الـكنيسـة التي لا تزال للآن بمصر القديمة .

وقد دفعته الغيرة الدينية على تجديد كنيسـة القديس ابي سرجة فغضب منه الخليفة اذ لم يأذن له الا ببناء كـنيسـة واحدة وامر بارسال العمال بالمعاول والفؤوس لهدم احدى الـكنيستين كما يختار الوزير فحزن الوزير حزناً عظيما حتى مات في الحال فأسف عليه الخليفة ولم يشاء هدم احدى الـكنيستين



(كنيسة أبي سرجه بمصر القديمة)

القسم الرابع

البدع والانشقاق

(١) انشقاق مرقس بن قنبر (٢) مبادىء ابن ياسر القسطال

(١) انشقاق مرقس بن قنبر . رسمه اسقف دمياط كاهناً لاحدى بلاد الصعيد وكان حائزاً على قسط من العلوم والمعرفة فضلا عن معرفة اللغتين العربية والقبطية وكان يحسن اللغة اليونانية فترجم منها بعض الكتب ونقلها الى العربية وألف ايضاً جملة كتب نادى فيها بمبادىء مخالفة لمبادىء الكنيسة المرعية فجاهر بعدم فائدة البخور وطلب الاساقفة والعلمانيون من البابا يوحنا الخامس ان يحرمه فتمهل عليه لعله يرجع عن غيه ولكنه سمع عنه فيما بعد انه ترك زوجته وصار راهباً طمعاً في الحصول على رتبة الاسقفية فتأكد البطريرك من سوء تصرفه وحرمه وقطعه من شركة الكنيسة فلم يبال بذلك بل دأب على القيام بالوعظ والتبشير ولما كان يتبعه كثيرون قاوم ايضاً عادة الختان بحجة انها خاصة باليهود لا بالمسيحيين

ولما تبوأ الكرسي البطريركي البابا مرقس بن زعرة كتب اليه اساقفة وعلماء الصعيد يرجون منه ان يتلافى الخطر المحدق بالكنيسة من جراء الفتن التي يجتهد مرقس في ايقاظها فاستقدمه البطريرك اليه ونصحه فقبل النصيحة واعترف بخطائه فحل من حرمه ورجع الى بلدته ولكنه عاد الى سيرته الاولى فلما رأى البطريرك ذلك عقد مجمعاً من ٦٠ اسقفاً وافق فيه على حرمه وتجريده من رتبته الكهنوتية .

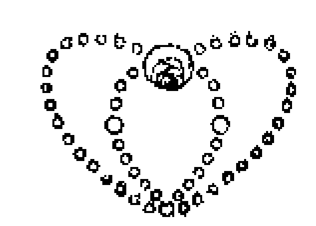
فطلب مرقس من الحكومة المصرية ان تنظر فى دعواه فرغب الحكام ان يتداخلوا فى امره ولكن البطريرك والاساقفة ابوا بالكلية قبول طرح المسألة امام الحكام وارتضوا بتحكيم الاب ميخائيل بطريرك انطاكية فسعى هذا جهده لايجاد الصلح ولكنه لم يفلح . وبعد ذلك رأى مرقس بن قنبر ان يرتمى فى احضان الكنيسة الملكية وكانت حينئذ ضعيفة النفوذ فرجع مرقس منها بعد قليل نادماً طالباً من البطريرك ان يقبل توبته ولكن الاقباط ازدروا به لكثرة تلونه وكان اتباعه قد رجعوا الى كنيستهم الاصلية فعاد ثانية الى الكنيسة الملكية ولكنها لم تقبله لعدم ثباته فبقى مدة حياته مطروداً

(٢) مبادىء ابن باسر القسطال . كان قساً عالماً فاضلا أراد اصلاح

بعض الطقوس والعادات الاجتماعية فرأى منعاً للمشاكل الزوجية ان يرى الخطيبان احدهما الآخر . واثبت ان الختان ليس فريضه دينية . وأشار بتربية الشعر ووجوب كشف الرأس حال الصلاة . ومع ان كثيرين قبلوا آراءه بارتياح الا انه اضطهد من اجلها ولكنه لم ينثن بل ألف رسالة اثبت فيها مبادئه فقطعوه واخرجوه من ديره الموجود للان بالمدوية وكان من الاديرة الفخيمة التي يفد اليها كبار الامة لقضاء ايام فيها ترويحاً للنفس

وكان بجوار هذا الدير بستان واسع انشأه هذا القس من ماله الخاص فأخرج منه وراق فيما بعد في نظر ابن الحافظ احد خلفاء الدولة الفاطمية فاتخذه لنفسه وصار ملكا للفاطميين حتى ملكت في مصر الدولة الايوبية فآل امره اخيراً الى طفتكين اخى الملك صلاح الدين السكروي فضم اليه كل البساتين المجاورة له وكانت للاقباط وجعلها بستاناً واحداً وكان بتلك الجهة كنيسة تسمى كنيسة السودان فاستولى عليها ايضاً وهدمها

وكان لابن ياسر صديق يهودي فتباحثا معاً كثيراً ارادة ان يقنع احدهما الآخر ويجذبه الى ديانته فتمكن ابن ياسر من اقناع اليهودي فآمن بالمسيح وصار عضواً بالكنيسة القبطية وتعلم لغتها ورسم شماساً في كنيسة حارة زويله .



القرن الثالث عشر

القسم الاول

تاريخ البطاركة

(١) كيرلس ٣ (٢) اثناسيوس ٣ (٣) يوحنا ٧ وغبريال ٣
(٤) ثيودوسيوس ٢

(١) كيرلس ٣ — البطريرك الخامس والسبعون . لم تمر مدة وجيزة على انتقال البابا يوحنا السادس حتى اشتد الخلاف بين المسيحيين بسبب انتخاب من يخلفه وبقي الكرسي البطريركي خالياً ممن يتبوأه لعدم اقرار الاساقفة على واحد من المرشحين . وكان من المرشحين اثنان احدهما يدعى بولس والثاني رئيس شمامسة المعلقة . وغير هذين الرجلين كان آخر يدعى داود بن يوحنا بن لقلق من الفيوم سعى في الحصول على هذا المنصب الجليل . وكان هذا الرجل في عهد البابا يوحنا السادس قد رشح نفسه مطراناً للحبشة فرفض البطريرك قبوله وانتهره

وكان داود هذا كلفا بالحصول على احدى رتب الكهنوت الرئيسية فانتهز فرصة انعقاد مجمع الاساقفة والشعب لانتخاب بطريرك جديد وبذل كل جهده ليستميلهم اليه فلم يفلح فاستعان بالارخن ابي الفتوح كاتب جيش الملك العادل فحاول هذا الرجل ان يقنع الاساقفة بقبوله فأبوا ولكن بما له من النفوذ في

الحكومة والدالة على الملك استطاع ان يحصل على أمر بتوليته بطريركا وتمكن ابو الفتوح من ان يستميل اليه بعض الاساقفة أما بالحيلة أو بالارهاب فوافقوه على الرضى به وعينوا صباح يوم الاحد التالي للاحتفال بتوليته في كنيسة المعلقة وحجز ابو الفتوح هؤلاء الاساقفة ليلة الاحد ليبيتوا عنده ليضمن قيامهم برسامة داود

ولما تضايق الاساقفة أنفذوا رسولا سرياً الى كبار المسيحيين يعلمونهم بالخبر فشق عليهم الامر وهاجوا وماجوا وهبوا الى المقاومة وكادت تجري الدماء لولا ان شخصاً يدعى أسعد بن صدقه الكاتب خشي سوء النتيجة وتلافى الامر بحكمته وأوصى القوم بالهدوء والسكينة ليتدبروا الامر في جو خال من الاضطراب والشغب. ثم اصطفى بعضهم ورافقهم ليلا وهم يحملون الشموع والانوار الى حيث يقيم الملك الكامل ابن السلطان ولما شعر بازدحامهم تحت قصره انزعج وأنفذ يستقصي عما جري فطلب منه ان يسمح لبعضهم بشرح مسألتهم فسمح لهم فلما مثلوا أمامه أوقفوه على الحقيقة والتمسوا منه ان يتوسط لهم لدى أبيه ليمنع عنهم هذه النازلة ويقاوم رسامة هذا الرجل لعدم استحقاقه لمركز خطير كهذا تحتم القوانين بعدم انتخاب أحد له الا اذا اجتمعت عليه الكلمة وقر عليه الرأي فهدأ روعهم ووعدهم خيراً

ولما انصرف القوم على هذا الوعد توجه الملك الكامل في الحال الى ابيه الملك العادل وكشف له الامر وأحاطه بعدم رضى الاكليروس والشعب على تولية ذلك الرجل لاسباب قانونية وأخبره بالاساقفة الذين حجزهم ابو الفتوح ببيته ليقوموا بالرسامة رغماً عنهم اعتماداً على الامر الذي أخذه من الملك . فلما وقف الملك على سر المسألة أخذ يشك في ابي الفتوح اذ قال له ان الامة ورؤساءها راضون به وكاد ابو الفتوح يجني ثمرة زرعه لولا ان الملك تأنى في الامر وارسل جنوداً يستحضرون الاساقفة الذين حجزهم بمصر القديمة ليقف منهم على الخبر

وفى الوقت الذي كان ابن صدقه يدبر الامر هكذا كان ابو الفتوح مهتما بتنفيذ الامر بعجلة فبادر بأخذ ابن لقلق من القاهرة الى مصر القديمة في فجر يوم الاحد وبينما هم سائرون به التقى بهم الجند وكان قد انضم اليهم جم غفير من

الناس فهجموا عليهم وضربوهم ضرباً مبرحاً وفرقوا شملهم وكادوا يفتكون بداود ولكنه هرب واختفى

أما الجند فاضطروا أن يهملوا الامر الذي أرسلوا لاجله واهتموا بتفريق الجمع ولم يتم لهم ذلك الا بعد عناء عظيم وكان ابو الفتوح وداود يرومان أن تتم الرسامة سراً بواسطة الاساقفة ولكن الجند أسرعوا الى كنيسة المعلقة وأمروا الاساقفة بالخروج حالا من الكنيسة والذهاب الى القاهرة كأمر الملك العادل فسروا جداً اذ سمعوا هذه الدعوة التى كانوا يرجونها بفارغ الصبر نظراً لمضايقة داود وابي الفتوح لهم والالحاح عليهم برسامته بطريركا

فلما قام الاساقفة مع رجال الحكومة الى القاهرة خابت آمال داود من رسامته سراً ولما وقف الملك العادل على جلية الخبر من الاساقفة وانهم غير متفقين على كلة واحدة فبعضهم كان يرفض قبوله رفضاً باتاً و بعضهم خاف بأس ابي الفتوح فأظهر الرضاء. غير ان أغلب الاساقفة ابوا الموافقة على الرسامة و بعد ذلك اجتمع أربعة منهم وحرمود وتعاهدوا على ان لا يحضروا سيامته ولو ارغموا على ذلك

أما ابو الفتوح وداود فقد حاولا مرة أخرى ان يتمها الرسامه فلم ينجحا في مسعاهما وذلك ان اباالفتوح عاد الى الملك العادل وأثر على فهمه بان داود اليق من غيره للبطريركية وان الذين تظاهروا ضده هم من رعاع القوم وصعاليكهم ثم كتب عريضة و بذل جهده حتى تحصل بالتهديد على امضاء ١٣ اسقفاً واربعين راهباً و بعض العامة وقدمها للعادل فلم يسعه الا الموافقة غير ان المؤمنين كانوا متيقظين فقاموا قومتهم مستنجدين بطبيب الملك وكان قبطياً و بواسطته تمكنوا من افساد تدبير ابي الفتوح وامر الملك ان لا ينصب بطريركا الا من تتفق الكلمة عليه

ثم توفى الملك العادل وخلفه ابنه الكامل فوقع في ازمة مالية لحض الاقباط على انتخاب داود بطريركا طمعاً في ان ينال اولا رسوم البطريركية التى كانت تدفع لخزينة الحكومة وثانياً ليأخذ المال اللازم من داود نفسه في نظير مساعدته للحصول على مأربه وما كاد يشيع هذا الخبر حتى هرع كثير من اساقفة جميع جهات القطر للاحتجاج على تعيين داود وكان داود يومئذ قد احتفل في ديوان

الحكومة بشكر الذين رشحوه . ولكنه لما رأى معارضة السواد الاعظم من الرؤساء والمرؤوسين في انتخابه شعر بخيبة آماله مرة اخرى

ولكن لم تضعف هذه الخيبة عزمه بل عمد الى الاستيلاء على الكرسي البطريركي بالقوة فلم يبال باحتفال او رسامة بل لبس اللباس البطريركي وسار الى كنيسة القديس سرجيوس محفوفاً باعوانه وبينما كان يؤدي الفروض كان جمهور كبير من الاقباط يوجهون اليه اقسى كلمات الهجاء حتى ان اعوانه لم يتمكنوا من سماع صلاته . وكان هياج المؤمنين عاماً في جميع الانحاء فاستخدم داود نفوذه وجعل الحكام يضطهدونهم ولا سيما الرهبان والاكليروس

وبينما كان الملك الكامل يزور اديرة وادي النطرون ودير القديس مكاريوس طلب منه الرهبان ان يسمح لهم بتعيين بطريرك تتفق على انتخابه كلمتهم واخبروه انه تخرج من دير ابي مقار ثمانون راهباً رسمهم البابا يوحنا السادس كهنة على عدة ابروشيات فلم يبق منهم على قيد الحياة سوى اربعة فقط واعلموه انهم يخدمون جميع الابروشيات مع انهم لم يزالوا رهباناً ولا يمكنهم ان ينالوا رتبة الاسقفية الا بيد البطريرك .

وكان الاساقفة يموتون واحداً بعد آخر وتخلو ابروشياتهم ممن يحل فيها نظراً لعدم وجود بطريرك يقيم عوض المتوفين . فأجابهم الملك الكامل بلطفه المعهود انه لا يتأخر عن اجابة طلبهم اذا توفقوا الى بطريرك يجمعون على انتخابه ووعدهم بالتنازل عن الرسوم التي اعتادت البطريركية دفعها للحكومة عند تنصيب كل بطريرك جديد

كل ذلك وداود لم يفتأ يسعى بدون انقطاع ليلا ونهاراً ليفوز ببغيته مستعملا تارة الحيلة واخرى التوسل بكبار الحكومة واحياناً الرشاوي والهدايا حتى فرغ كل ما لديه من المال دون ان يتم له رضاء الشعب عنه وهكذا استمر الكرسي خالياً بسبب هذا الخلاف مدة عشرين سنة مات في خلالها معظم الاساقفة وغيرهم من الذين كانوا من اقوى المعارضين لداود الذي كان كلما يسمع بموت احدهم يفرح ويسر ويعتقد ان اجل التوقف له كاد ينقضي

ولما اشتدت حاجة الملك الكامل للمال اقدم على امر كان قد اقسم بان لا يفعله

خفت في عينه . وكان يوجد راهب يسمى عماد المرشال وصفه بعضهم بالخبث والعناد ومعاكسة عظماء الامة وأئمة الطائفة والقائهم في ورطات لا يمكنهم التخلص منها الا بدفع غرامات طائلة حتى انكشف أمره اخيراً للسلطان فقبض عليه وعاقبه بما يستحق وقيل انه طلب ان يسلم فلم يقبل الملك اسلامه فاجتمع هذا الراهب بداود واتفق معه على ان يسعى له بشرط ان يدفع ثلاثة آلاف دينار لخزينة الحكومة وكان بين رجال حاشية الملك الكامل امير يعرفه عماد يسمى فخر الدولة له كلمة نافذة لدى الملك فمضى اليه وكشف له الامر فوعده خيراً ومن ثم صدر امر الملك برسامة داود على الشرط المذكور فرسم على ايدي الاساقفة القليلين الذين كانوا باقين وقتئذ وهددوا بالموت ان لم يرسموه . فتولى داود البطريركية وسمى كيرلس الثالث في ٢٢ بؤونه سنة ٩٥١ ش و١٢٣٥ م

واحتفل كيرلس برسامته احتفالا بهيجاً أساء المسلمين واجتهد في مبدأ الامر ان يرضي الرأي العام فرسم بعض الكهنة والشمامسة بدون ان يحصل منهم شيئاً ولكنه فيما بعد استبد وأساء التدبير واظهر شراهته في محبة المال وتحصيله اياه بطرق غير جائزة . وكانت اكثر من اربعين ابروشية قد خلت من الاساقفة فصار لا يولي اسقفاً الا من ينقده مبلغاً اكثر من سواه بغير مراعاة الاهلية والاستحقاق

فلما بلغت اخبار قبائحه المسامع نفرت منه قلوب الناس وتكدرت خواطر الشعب ونصحه بعضهم على انفراد فلم ينتصح بل كان يقول لهم انه مضطر الى جمع النقود لسداد المطلوب للحكومة جزاء تنصيبه بطريركا . فاشتد مقت الجميع له واكثر الكل من التشنيع عليه ومن هؤلاء الراهب عماد فانه نازعه كثيراً وشدد عليه النكير واجتهد ان يقيم عليه رقباء خوفاً على اموال الوقف

ولسبب لا نعلمه قبض عليه الملك وألزمه بدفع ألف وخمسمائة دينار فاتخذ هذه الغرامة ذريعة للتوغل في فظائعه فاصدر امراً اداريا باتباع جميع الاديرة له مباشرة وفرض عليها مبالغ سنوية ونزع ايضاً بعض البلاد من ابروشياتها واتبعها له وربط عليها عوائد تدفع ليده خاصة فتكدر بذلك خواطر الاساقفة فنقموا عليه هم ورؤساء الاديرة وصاروا يترددون عليه ويكلمونه في أمرهم

فتركهم وانطلق الى الاسكندرية ولما رأى ان احتجاج الشعب شديد ضد السيمونية دعا اليه كبار الامة والا كليروس واخبرهم ان ما جمعه كان لايفاء الاموال الاميرية ووعدهم انه بعد سداد المطلوب يكف عن بيع الرتب الكهنوتية اذا لم يكن داع لجمع الاموال بهذه الطريقة

غير انه لم يفتأ يظهر شروره وقاده سوء تصرفه الى التعدي على حقوق زميله بطريرك انطاكية السرياني فعين مطراناً قبطياً سماه مطران سوريا وارسله الى مدينة القدس ليقيم بها بحجة انه يوجد في سوريا كثير من الاقباط لا يعرفون اللغة السريانية التي يصلي بها السريان في كنائسهم وقبل هذا العهد كانت مصالح الاقباط في الاراضي المقدسة موكولة الى الكنيسة السريانية ويظن انها لم تقم بها كما ينبغي وعلى كل حال فقد أدى تدبير كيرلس هذا الى افساد العلاقات الودية القديمة وفصم عرى الاتحاد الذي كان بين السريان والاقباط

ومع ان الاساقفة في مصر عارضوه في هذا التعيين الا انه لم يسمع لهم قولا غير انهم نجحوا في حمله على ارسال مندوب الى بطريرك انطاكية الذي كان مقيما وقتئذ باورشليم يطلب اليه الاعتراف بالمطران الذي ارسله . فأبى اغناطيوس بطريرك انطاكية ان يعترف بالمطران واضطر ان يستعين باكليروس اللاتين الذين كانوا ينتظرون مثل هذا الشقاق ليستفيدوا منه فبسطوا له حمايتهم واضطر اغناطيوس ان يعامل كيرلس كما عامله فعين مطراناً من قبله لكنيسة الحبشة وهو رجل حبشي يسمى توما مولود في بلاد الاحباش

فكثر سخط الناس على كيرلس ونصحه ابو الفتوح وغيره من كبار الامة ورجال الاكليروس مرة بعد أخرى ان يعدل عن خطته فلم يقبل نصيحتهم فاجتنبوه واعتزلوه بالمرة ولم يعد احد منهم يدنو منه او يجتمع به فاتخذ هذا الاعراض فرصة للاستبداد والتصرف في مصالح الأمة تصرفاً سيئاً

وكان كيرلس قد استمال اليه الملك الكامل واغلب عظماء المسلمين بالرشاوي والهبات واستعان بهم على ابناء طائفته الذين اصبح يزدري بهم ولا يحسب لوجودهم أو معارضتهم حساباً . ولما كان رؤساء الحكومة غير مطلعين على فظائع كيرلس قام وفد من كبار الامة القبطية واساقفتها يرأسه عماد الراهب وقصوا

اخباره على محافظ العاصمة وكان ممن استمالهم كيرلس اليه بالرشوة فلم يهتم بالامر بل حامى عن كيرلس وعضده . ولما حضر كيرلس أبدى اندهاشه قائلا « لم يعرف في التاريخ الكنسي ان اساقفة ائتمروا على خلع بطريرك وان كانوا يشتكون من تضييق عليهم فليبحثوا القانون لعلهم يجدون ما يستندون عليه »

وكانت طلبات الاساقفة في تلك الشكوى خمسة أمور رئيسية (١) الاقلاع عن السيمونية والرشوة (٢) احترام حقوق بطريرك السريان وان لا تتجاوز سلطة المطران الذي عينه مدينة غزة (٣) عزل من قلدهم الرتب الكهنوتيه بدون استحقاق (٤) لا ينبغي للبطريرك ان يقلد بدع الكنيسة اليونانية (٥) تعيين احد الاساقفة الشيوخ المدربين وكيلا للبطريركية . اما كيرلس فلم يكتف بعدم اجابة هذا الطلب فقط بل سعى لدى الحاكم ورمى عماد بكل كريهة فالقى القبض عليه وزج في السجن . وكان قد وعد بعقد مجمع تنظر فيه هذه الشكاوي فلم يبر بوعده . ولما فاض الكيل قام اربعة عشر اسقفاً الى الدار البطريركية بالمعلقة بمصر القديمة وارغموه على المجيء من مدينة الاسكندرية فجاء اليهم فألزموه ان يعقد مجمعاً مؤلفاً من الاكليروس وكبار الامة للنظر في ما اختل من الاحوال بسبب سوء تصرفه فاضطر ان يجيبهم خوفاً منهم وكانوا قد أعدوا مشروعاً يتضمن قوانين ضرورية لتقدم الكنيسة . فلما اجتمع المجمع قدموه له وطلبوا منه ان يمضي عليه ويتعهد بتنفيذه

وحاول كيرلس الامتناع عن ان يكون مقيداً بهذه القيود التي لم تتفق مع ما ينويه فهدده الاساقفة بالانفصال عنه واجتنابه وقطع العلائق معه فاضطر ان يمضي بالرغم عنه وكلفوا ابن العسال صفا الفضائل بجمع هذه القوانين فجمعت ووزعت على جميع الابروشيات

وحدث بعد ذلك موت الملك الكامل وملك عوضه الملك الصالح فجار على النصارى وترك رعاع المسلمين يضطهدونهم أما كيرلس فسعى كعادته حتى استمال اليه الملك الجديد ولما كان يحاول التخلص من هذا التقييد واعادة الاستقلال اليه انتهز فرصة هذا الاختلال الذي لحق النصارى منه ضرر عظيم واعلن رفضه لما اتفق عليه. فعقد الاساقفة مجمعاً حضره وجهاء الطائفة طلبوا فيه منه مرة أخرى

ان يلاحظ القوانين الكنسية فازدرى بهم واحتقر كلامهم فقام فى وجهه في هذه المرة راهب يسمى بطرس بن التعبان ويعرف بالشيخ السني وكان عالماً فاضلا محبوباً محترماً بالنسبة لحكمته وشيخوخته وأقام الادلة على ما ارتكبه مما يخل بمقامه ورتبته كمخالفته للقوانين المرعية ونكثه العهود وارتكاب الرشوة وغير ذلك من الاعمال والخصال الذميمة وقدم له قانوناً ليمضى عليه مؤداه ان يعين اسقفا طاهر الذمة ليراقب اموال الوقف وان يرسم اسقفين لابروشيتين خاليتين بدون رشوة وكان كيرلس قد امتنع عن رسامة احد لهما حتى يتحصل الضريبة المعتادة وان يعين ناظرين لمدرستي القاهرة وبابيليون وان يترك الاديرة تحت رئاسة الاساقفة التي تكون فى دائرة ابروشياتهم

فأخذ كيرلس يماطل الى ان استاء منه أحد أصحابه وضجر من بخله عليه فخان عهده ووشى به الى امير القاهرة وكانت شكوى الشيخ السنى قد هدمت مركزه فى عيون الحكام فعزموا على القبض عليه مراراً لمحاكمته ولكن الاساقفة لم يسمحوا بتسليمه ليد الحكومة خوفا من ان يكون ذلك اعترافاً منهم بحق الحكومة فى التسلط على البطريرك والقضاء عليه. غير انه في هذه المرة تم القبض عليه وهموا بعزله تخلصا من الاشتغال بالقضايا التي كانت تقدم عليه من وقت لآخر ونسبوا اليه معاملة البعض بالقسوة الزائدة واستعماله معهم أنواع التعذيب التي تقضى بهلاكهم . واجتهد أولو الامر ان يجعلوا الاساقفة يشهدون عليه فأبوا وتداولوا مع الامير وكان يحب الاقباط حباً جماً واتفقوا معه على ان يطلق كيرلس اذا أمضى القوانين التي سنوها له فأمضى عليها كيرلس هرباً من الشر المحدق به واطلق سراحه على شرط ان يدفع لخزينة الحكومة مبلغاً فكان ذلك داعياً الى استئناف مساعيه الشريرة في جمع المال بطرق غير مشروعة

فضاق ذرع الاساقفة من ذلك السلوك الممقوت وكثر اخلافه للعهود وصمموا على خلعه واخبروا الامير بذلك فقال لهم وهل يجوز عندكم خلع البطريرك فاجابوه يجوز اذا ارتضى هو بذلك ولم يكن من المنتظر ان يتنازل كيرلس عن مركزه حباً في سلامة رعيته فاستمر في ضلاله حتى أراح الله منه تلك الامة التعيسة بموته بعد ان مضى عليه في الرئاسة ثمان سنوات لم تر في خلالها راحة

يوماً واحداً ولما مات شكر الناس الله وكانوا يهنئون بعضهم بعضاً على الخلاص منه وكان موته فى ١٤ برمهات سنة ٩٥٩ ش و١٢٤٣ م

ومما يدل على سوء الحالة التى انتهت اليها الامة القبطية في عهد هـذا الرجل انه لم يسمع فى تاريخها ان اسقفاً اعتنق الاسلامية الا في عهده مع سماح الحكام المسيحيين بالمعيشة بالسلام حينئذ

(٢) اثناسيوس ٣ ـ البطريرك السادس والسبعون . وبعد وفاة كيرلس خلا الكرسى سبع سنين وستة أشهر وعشرين يوماً كان الاساقفة فى خلالها يدبرون شؤون الكنيسة فى كل ابروشية والناس في سكون غير مهتمين بانتخاب غيره بسبب الاتعاب التي لاقوها من كيرلس قبل توليته وفي مدة رئاسته ويقول المؤرخون ان الامة والا كليروس لبثوا بدون ان يفكروا فى انتخاب بطريرك جديد انتظاراً لوفاة اثنين من أعوان كيرلس الارديات السيرة لكى يتمكنوا من الحصول على رجل تقى يصلح ما أفسده كيرلس . وقد توفقوا أخيراً الى الشماس أبن القس المعروف بابي المكارم بن كاهيل من مصر فأقروا على رسامته في مجمع عقدوه لهذه الغاية وتمت رسوم تكريسه فى ٥ بابه سنة ٩٦٧ ش و ١٢٥١ م في عهد سلطنة ايبك الجاشنكير

وقد حقق ظن منتخبيه فلم يكد يستقر به المنصب حتى جاهد فى الغاء السيمونية وشدد النكير على الكهنة الذين علم انهم نالوا رتبة بهذه الواسطة . واستمر طول المدة التى أقامها على الكرسى البطريركي وهى ١١ سنة وشهراً واحداً يبنى ما هدمه كيرلس حتى أتم جهاده وتنيح في أول كيهك سنة ٩٧٨ ش و ١٢٦٢ م

(٣) يوحنا ٧ ـ البطريرك السابع والسبعون * وغبريال ٣ ـ البطريرك الثامن والسبعون . {١} وكلاهما من مصر وقيل ان البابا غبريال ٣ من الشام وفى

{١} يلاحظ انه لم يقم بطريركان على كرسى الاسكندرية فى وقت واحد الا هذه المرة ويندهش المطلع على تاريخ اساقفة كرسى رومية اذ يجد انه جلس اسقفان على الكرسى فى وقت واحد ٢٨ مرة و ٣ اساقفة ٦ مرات واربعة اساقفة ٤ مرات { تاريخ الانشقاق ٣ : ٤٠٥ و٤٠٦ }

الوقت الذي توفى فيه البابا اثناسيوس كان يوجد اثنان أحدهما يدعى يوحنا بن ابي سعيد السكري والآخر غبريال ابن اخت اسقف طنبذي مترشحين للبطريركية وقد تساوت أصوات منتخبيهما في المجمع المقدس . وكان يوحنا معضداً من أكابر الطائفة بمصر القديمة وغبريال من بعض أعيان القاهرة واشتد اللدد والخصام وعمل كل فريق على نصرة صاحبه وانقسم الاساقفة الى قسمين أحدهما وافق على انتخاب يوحنا والآخر ساعد على انتخاب غبريال وأخيراً اتفقوا على تحكيم الهيكيلية (القرعة) فاقترع الفريقان على أيهما يولى فوقعت القرعة باسم غبريال ومع ذلك فلم يرض الحزب الآخر ونهض منازعاً غبريال وكان جله من عظماء الامة فعمدوا الى استرضاء الحكام ليعضدوهم في أمر انتخاب يوحنا حتى تقووا وثبتت قدمهم فتمكنوا من اقامته بطريركا

واستمر البابا يوحنا يحكم الكنيسة نحو ست سنوات وتسعة شهور كانت كلها منافسة ومماكسة وخصام وفي خلالها تقوى حزب غبريال وتجارى الاساقفة على عزل البطريرك يوحنا وسجنوه باحد الاديرة وولوا غبريال مكانه وكان هو الاولى بالبطريركية نظراً لكفاءته واستحقاقه واستمر يدبر شؤون الكنيسة سنتين وشهرين كانت الفتنة في خلالها لا تخمد نارها ولا ينطفي أوارها حتى تنيح البابا غبريال فاتحدت كلمة الجميع على اعادة البابا يوحنا الى منصب البطريركية فأخرجوه من معتقله وأرجعوه الى مقره فقوبل فيه باكرام زائد

وكان البابا يوحنا جليل القدر وقوراً واسع العلم والمعرفة فلما استقر به المنصب دبر الامور فأحسن التدبير وعمل على ازالة الوحشة بين الاحزاب وبالغ في التلطف مع الحزم ففاز ونجح ومالت اليه القلوب واتحدت على محبته الخواطر فعظمت شهرته واتسعت كلمته . وفي مدة بطريركيته أتاه كتاب من امبراطور الحبشة يشكي له فيه تهجم المطارنة السوريين على بلاده ويعترف بخضوعه للكنيسة القبطية دون غيرها ويطلب منه رسامة مطران تقي يرعى الكنيسة الحبشية فحالما وقف البطريرك على فحوى الخطاب أسرع برسامة مطران قادر للحبشة حتى يحفظها من هجمات الاجانب

ومما حدث في ايامه ان تاجراً مصرياً أرسل مبلغاً من المال لشريك له في الحبشة

وتصادف ان الرجل مات قبل وصول المال اليه فرفع التاجر المصري أمره لملك مصر وهذا حوله على البابا يوحنا فوعد بالمساعدة وأنفذ كتاباً لامبراطور الحبشة مع ذلك التاجر وحالما وصل به وعلم الناس ان البطريرك أرسل اليهم خطاباً أسرعوا لمقابلة حامله بكل اجلال واكرام . وفي يوم الاحد تلا الامبراطور بخشوع تام خطاب البطريرك على مسمع الجميع في الكنيسة الكبرى وعاد التاجر الى مصر يحمل ماله وهدايا ثمينه

وطالت أيام البابا يوحنا حتى تنيح في ٢٦ برموده سنة١٠٠٩ ش و١٢٩٣ م ولبث بطريركا للمرة الثانية اثنتين وعشرين سنة وستة شهور فتكون جملة سني بطريركيته ٢٩ سنة

وقد وجد البيان الآتي مكتوباً باللغتين القبطية والعربية في كتاب بصخة تاريخه ١٠ بشنس سنة ١٥١٠ ش

« انه لما كان القانون الرسولي يأمر بقراءة أسفار العهدين العتيق والحديث صار ذلك فرضاً لازماً على كل مسيحي حتى جلس الاب الموقر الانبا غبريال بن تريك او ٧٧ في عدد البطاركة وهذا كان كاتباً على كرسي مار مرقس الرسول بمدينة الاسكندرية سنة ٩٧٤ للشهدا الاطهار فرأى ان الناس بالنسبة لانهما كهم في أعمالهم وخدمة السلاطين والخلفاء وبقية الاشغال الثقيلة لا يمكنهم اتمام القانون الرسولي لجمع علماء من ذوي المعرفة والفهم ورهباناً كثيرين من دير القديس ابي مقار وأخذوا من العتيقة والحديثة ما يلائم ووضعوه كتاباً وسموه كتاب البصخة وصاروا يعملون الفصح كل سنة في بيعهم حتى صار الاب المكرم بكل نوع الانبا بطرس اسقفاً على كرسي البهنسا فنظر في البصخة فرأى انهم يعملون في ساعة نبوات وأناجيل كثيرة وفي ساعة أخرى قليلة فجمع من الكتب المقدسة ووضع لكل ساعة من الساعات ما يوافقها وبذا صار تلاوة الساعات متساوية ووضع لكل يوم من أيام الاسبوع عظتين من أقوال الآباء واحدة للصباح وواحدة للمساء كما هو مدون بكتاب البصخة الى يومنا هذا » اهـ (١)

---

(١) عن البصخة المطبوعة حديثاً

(٤) ثيودوسيوس ٢ ـ البطريرك التاسع والسبعون . وبعد ان توفى البابا يوحنا السابع خلا الكرسي سنة واحدة وثلاثة أشهر و نصفاً ثم وفد أساقفة جميع الابروشيات الى البطريركية واستدعوا وجهاء الامة وبحثوا عمن يليق للرئاسة فوقع اختيارهم على الراهب ثيودوسيوس من دير ابي فانة وكان قبلا يدعى عبد المسيح بن رويل وهو من منية بن خصيم فتمموا تكريسه في ١٨ مسرى سنة ١٠١٠ ش و ١٢٩٤م في ايام الملك الناصر محمد بن المنصور بن قلاوون . وما استقر به المنصب حتى قام برعاية قطيع المسيح بكل امانة الى ان امضى خمسة سنوات وخمسة شهور على الكرسي المرقسي ارتاح الاقباط فيها من اضطهاد المسلمين وتنيح فى ٦ طوبه سنة ١٠١٦ ش و ١٣٠٠ م وخلا الكرسي بعده اربعين يوماً

وقال بعض المؤرخين « ولم تكن قلوب الجماعة مؤتلفة مع هذا البطريرك حيث كان ارتقاؤه للرئاسة من غير اختيارهم فضلا عن كونه نسب لاخذ الرشوة وحدث في أيامه فناء وغلاء شديدان » اهـ

ooooooooo

القسم الثانى

مشاهير الكنيسة

ooooooooo

(١) اولاد العسال (٢) بعض العلماء (٣) برسوم العريان

oooooo

(١) أولاد العسال . نبغ جماعة من الاقباط في هـذا الجيل في العلوم الرياضية والدينية والشرعية فاهتموا بأمر أمتهم وألفوا الكتب العديدة في الشريعة وأصول الدين والتفسير باللغة العربية لانها كانت اللغة التي يتكلم بها الجميع حينئذ . ولكنهم خشية من ان يقضى على لغتهم الاصلية وضعوا كتباً لغوية قبطية حفظت تلك اللغة من التلاشي . ومن بين اولئك الافاضل جماعة يدعون اولاد العسال من اصل قبطي ويستدل على انهم كانوا غالباً من سدمنت بالوجه القبلي ولكنهم سكنوا مصر وبعضهم كان موظفاً بالحكومة والبعض الآخر تفرغ لخدمة الله وكانت لهم منزلة رفيعة في عهد لدولة الايوبية الحاكمة ولا سيما ابو اسحق الذي كان مصاحباً للايوبيين في الشام . وكان لهم مركز سام في الكنيسة فانتخب احدهم وهو الصفي ابو الفضائل في عهد الخلاف الذي حصل في ايام البطريرك كيرلس بن لقلق ليكون كاتم اسرار مجمع عقد لفض الخلاف في توت سنة ٩٥٥ ش

ويقول المرحوم الايغومانوس فيلوثاؤس ان عائلة بني العسال تتصاعد في النسب الى رجل قبطي ارثوذكسي يدعى أبا البشر يوحنا الكاتب المصري . ويوحنا المشار اليه ولد أبا سهل جرجس وهذا ولد أبا اسحق ابرهيم الذي منه تخلف الشيخ الأجل فخر الدولة ابو الفضـائل أسعد والد هؤلاء الافاضل ومما اعتاده بعض كتبة ذلك الحين ان يكنوا رجال هـذه العائلة غالباً بابي الفضائل وابي الفضل وما أشبه

وكان لألاد العسال معرفة بليغة بعلوم كثيرة واشتهروا بجودة خطهم العربي والى عائلتهم ينسب الخط الاسعدي غالباً هـذا فضلا عن الخط اليوناني القديم المستعمل الآن في اللغة القبطية . والذين اشتهروا منهم بالفضل والمعرفة من اولاد الشيخ ابي الفضائل الاسعد المشار اليهم هم : — (١) الشيخ الفاضل مؤتمن الدولة ابو اسحق (٢) وشقيقه الفاضل الحكيم الاسعد ابو الفرج هبة الله (٣) وشقيقهما الشيخ الفاضل الصفي ابو الفضائل الأمجد . أما مؤلفاتهم فتدل على سعة في الاطلاع وطول باع في البحث الدقيق ولم يتركوا باباً من ابواب

العلوم الاوطرقوه فكتبوا يدافعون عن الدين ويضعون قواعد للغات وبالاخص لغتهم القبطية ويسنون القوانين والشرائع وعدا ذلك كان لهم المام بفنون أخرى كالتصوير والتركيبات الكيماوية وانشاؤهم العربي يضارع افضل شعراء وكتاب العرب الجاهليين . وهذا ما عثر عليه من مصنفاتهم : —

اولا — للمؤتمن ابي اسحق : مجموع اصول الدين ومسموع محصول اليقين وهو من اوسع الكتب اللاهوتية (٢) التبصرة المختصرة في اللغة القبطية (٣) آداب الكنيسة (٤) خطب الاعياد السيدية وغيرها (٥) السلم المقفى والذهب المصفى وهو قاموس قبطى عربي (٦) مقدمة في رسائل بولس

ثانياً — للاسعد ابي الفرج هبة الله (١) مقدمة (أجرومية) في اللغة القبطية (٢) مقابلة وتصحيح لترجمات الاناجيل الاربعة (٣) رسالة في مقدمة رسائل بولس التي صنفها اخوه المؤتمن (٤) كتاب في حساب الابقطى وفيه بعض قواعد فلكية وتاريخية وجدول للبطاركة (٥) ارجوزة في هذا الحساب شرحها البابا يوحنا البطريرك ال ١٠٧ . وقد عبثت الايدي برسائل ومؤلفات أخرى عن الانفس بعد مفارقتها لاجسادها

ثالثاً — للصفي ابي الفضائل : (١) كتاب الصحائح فى الرد على النصائح (٢) كتاب فى الرد على المدعين تحريف الانجيل (٣) جامع اختصار القوانين المعروف بالمجموع الصفوى وهو الذى تعتمد عليه الكنيسة اليوم[1] (٤) الكتاب الأوسط (٥) فصول مختصرة فى التثليث والتوحيد (٦) حواشي على مناظرات الشيخ عيسى الوراق مع ابن عدي واجوبته على اعتراضات عبدالله الناشي وغيره (٧) أرجوزة فى المواريث . وله كتاب «كفاية المبتدئين فى علم القوانين» ولكن لا أثر له

(٢) بعض العلماء . وممن اشتهروا ايضاً بالعلم والمعرفة فى ذاك العصر غير اولاد العسال ودلت مؤلفاتهم على تضلعهم فى العلوم والمعارف : —

(اولا) جرجس بن العميد . ويعرف بابن المكين كاتب الجيش المنصورة

---

(١) اهتم بطبعه جرجس افندي فيلوثاؤس عوض وعن مقدمته استقينا هذه المعلومات

ومن تأليفاته تاريخ مدني فى جزئين وقد ترجم منه أخيراً الجزء الثاني الى الفرنساوية . وكتاب الحاوي ضمنه حل اعتراضات على الدين المسيحي وفسر بعض الايات المعضلة من الانجيل وكمل تاريخ الطبري أيضاً

(ثالثاً) بطرس ابو شاكر بن الراهب . ويعرف بابي الكرم كان شماس كنيسة المعلقة سنة ١٢٦٠ م وألف كتاب « الشفا فى كشف ما استتر من لاهوت المسيح وما اختفى » ومقدمة فى التثليث والتوحيد . وكتاب أبقطى ذو مقدمة ضافية بالقبطية والعربية

(ثالثاً) شمس الرئاسة ابو البركات بن كبر . كان قساً لكنيسة المعلقة وهو عالم فاضل . ألف كتاب « مصباح الظلمة وايضاح الخدمة » يتضمن جملة فوائد دينية وادبية . وله خطب تتلى في الكنائس

(رابعاً) القس بطرس السدمنتي . كان من علماء اللاهوت الضليعين الف كتاب « التصحيح في آلام المسيح » وله عدة رسائل قيمة

(خامساً) علم الرئاسة بن كاتب قيصر . هو الرئيس الاوحد علم الرئاسة أبو اسحق ابرهيم ابن الشيخ الرئيس ابي الثناء ابن الشيخ صفي الدولة كاتب الامير علم الدين قيصر . وضع هذا الشيخ الفاضل مقدمة في قواعد نحو اللغة القبطية معروفة بكتاب « التبصرة » وألف كتابا في تفسير الرؤيا .

(٣) برسوم العريان هو ابن كاتب الملكة شجرة الدر خلف له والده

ثروة عظيمة فرغب عنها واحتقرها وآثر عيشة العبادة والزهد فآوى الى مغارة بكنيسة ابي سيفين لا تزال باقية الى اليوم عن يمين الداخل الى الكنيسة من بابها البحرى وانعكف على مباشرة الفضائل كالصوم والصلاة وبلغ خبره الآذان فتقاطر اليه كثيرون وقصده المرضى وقد اجرى الرب على يديه آيات شفاء كثيرة وحدث في ايامه اضطهاد على المسيحيين فاغلقت الكنائس وحظر الصلاة بها أما هو فلبث يصلي في كنيسته فاستدعاه الحاكم وامر بجلده ثم حبس ولبث في السجن اياماً حتى اطلق سراحه فاستأنف عبادته في الكنيسة وكان يصلي الى الله ان يرفع الضيق عن شعبه فسمع صوته وزال الاضطهاد وفتحت الكنائس

وفي آخر حياته انفرد بدير شهران بالمعصرة مواظباً على اتمام الفضائل حتى تنيح فاحتفل بدفنه البابا يوحنا الثامن ودفن بكنيسة ذلك الدير الذي دعى باسمه الى اليوم

○○○○○○

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

(١) الملك العادل وابنه الملك الكامل (٢) دولة المماليك الاولى . ايبك وابنه نور الدين (٣) الظاهر بيبرس البندقدارى وابنه بركه خان (٤) صلاح الدين خليل

(١) الملك العادل سنة ١٢٠٠ م وابنه الملك الكامل سنة ١٢١٨ م .

وفى أيام الملك العادل مات بهاء الدين الدمشقى الفقيه المذكور آنفاً وحل محله آخر واستولى على البساتين التي تحيط كنيسة الارمن المشار اليها فطلب من الاقباط مالا مقابل تغاضيه عن فتحها والصلاة فيها فلما لم يجيبوه الى طلبه هجم على الكنيسة أثناء انشغال الملك العادل بالحروب مع الافرنج فى سوريا ونهبها ونهب كنيسة أخرى كانت بجانبها وطرد من بهما واغلقهما فلم يقاومه أحد من الاقباط خوفاً ولكنهم رفعوا شكواهم للملك بعد رجوعه فأمر بفتح الكنيستين وعدم التعرض للاقباط فى اقامة شعائرهم الدينية

ولما كان الملك العادل في سوريا أسند الحكم في مصر لابنه الملك الكامل وكان يحب الاقباط حباً جماً حتى ان الذين أسلموا ظاهرياً في أيام صلاح الدين طلبوا منه أن يصرح لهم بالعودة الى لأنهم الذي لم يتركوه الا خوفاً من الحريق وهو القصاص الذى تهدد به كل من لا يقبل الدين الاسلامى فأجاب طلبهم. وكان من جملة هؤلاء راهب من دير النطرون يدعى يوحنا عين بعد اسلامه كاتباً فى الديوان وحاز شهرة في الاعمال الحسابية ولما توسم العدل في الملك الكامل اشترى قماشاً ومنديلا وذهب اليه وقال هذا لأجل كفنى اقتلني أوردني الى ديني فشفق الكامل عليه ووهبه الحرية فترك وظيفته ورجع الى ديره

وقبطى آخر من مدينة طيبة لما سمع بنجاح ذلك الراهب طلب ان يقتل أو يسمح له بالرجوع الى دينه ولكن لسوء الحظ ما كاد الملك الكامل يجيبه الى طلبه حتى حضر ابوه الملك العادل من الحرب فغضب عليه وسخط على القبطى وسلمه الى محافظ الاسكندرية ليتولى تعذيبه حتى يسلم وأرسل وراء الراهب واستحضره من دير ابي مقار وأمر بقتله ان لم يسرع الى انكار دينه فلم يكد يسمع هذا المسكين الحكم باعدامه حتى ارتعدت فرائصه وجاهر باسلامه أمام الجنود التى استحضرته من الدير بل صار يتملق الى السلطان طلباً للنجاة من الموت واخبره بانه مستعد ان يرشد جنوده على كنوز وجدها الرهبان في بئر حفروها ووجدوا بها أواني ذهبية وفضية ونقوداً رومانية وخبأوها في الدير. فسار به الجنود الى الدير وكان الرهبان قد تمكنوا قبل وصولهم من اخفاء اواني الكنيسة في بئر بلاماء وأكد رئيس الدير للجنود بانه لايوجد عندهم شيء مما يطلبون وان البئر حفرها قوم مسلمون لايزالون أحياء ولكن الراهب التعيس أرشد الجنود الى تلك البئر فاستخرجوا منها كأساً وصينية وبعض الاوانى التي تستعمل في تناول سر الافخارستيا فافهمهم الرئيس ان هذه الاواني مهداة الى الدير من بعض المؤمنين وأروهم اسماءهم مكتوبة عليها فأخذها الجنود الى الملك العادل فأمر بقراءة الكتابة المكتوبة عليها باللغة القبطية فاتضح انها جديدة وتوسط الملك الكامل في الامر فأعيدت الى الرهبان فطافوا بها في شوارع القاهرة مادحين عدل السلطان ومسرورين سروراً عظيما

وكانت كنيسة مار مرقس بالاسكندرية كحصن منيع جداً على البحر فخاف الملك العادل لئلا يأتي الافرنج الذين كانوا يقاتلون المسلمين في عدة مواضع ويتغلبوا على الاسكندرية ويتحصنوا بالكنيسة المذكورة فيتعذر عليه اخراجهم منها فأمر بهدمها وكانت واسعة جداً عظيمة البناء

وبعد موت الملك العادل استقل بالملك ابنه الملك الكامل وفى أيامه قام الصليبيون بحملتهم السادسة وتقدموا الى فتح مصر وكان ذلك متيسراً لهم لولا الانشقاق الذي دب بينهم ومنشأه القاصد الرسولى الذي أرسله اسقف رومية مع الحملة فلم يكفه ماحازه من السلطان الديني فنازع قواد الجيش سلطانهم فأبى جان برين قائد الجيوش ان يسلم وظيفته لاحد الا كليروس واستمرا يتشادان على الرئاسة وقتاً تمكن فيه المسلمون من لم شعثهم فوقفوا في وجه الصليبيين وانتصروا عليهم انتصاراً باهراً . وجاء لغوث الصليبيين رجل يدعى القديس فرنسيس ومعه لفيف من الرهبان قاصدين الاستشهاد فى الحروب. وبعد انكسار الصليبيين سار فرنسيس مع رفيق له لزيارة معسكر المسلمين فقبض عليهما وجيء بهما أمام الملك الكامل فأجابه فرنسيس بانه أتى ليهدي المصريين الى الحق وقصد بذلك المسيحيين والمسلمين سواء . وكان الملك الكامل يجهل ان الغربيين يعتبرون الارثوذكسي والمسلم سواء . فأعجب الملك الكامل من شجاعته وبعد ذلك عرض الراهب على الملك ان يشعل ناراً ويستحضر شيخاً مسلماً ليدخل اياه فيها ومن يخرج سليما يكون دينه الحق فرفض الملك لعلمه بانه لا يوجد واحد من مشايخ المسلمين يقبل ذلك فطلب ان يدخل وحده على شريطة ان خرج صحيحاً يعتنق الملك الديانة المسيحية فرفض الملك وصرفه بلطف

ولما استمر الصليبيون يضايقون الملك الكامل وفرغ المال من خزائنه استولى على نصف أموال البطريركية القبطية ولما عارضه الاقباط فى تعيين داود بن لقلق بطريركا وكان قد وعده بدفع مبلغ من المال اشتد عليهم وأخذ جنوده كثيرين منهم ومن الرهبان والشمامسة وساقوهم الى الاشغال الشاقة وسخروهم في بناء الاستحكامات والحصون التى كانت تقام فى وجه الصليبيين . وبعد ذلك أعلنوهم انهم سيدخلونهم الجندية فاجتمع الاساقفة لدى الملك الكامل ففرض

عليهم فدية معينة من المال نظير بدل عسكري

وكان الاقباط ينتظرون النجاة من الحكم الاسلامى من وراء فتح الصليبيين ولكنهم لما علموا ان هؤلاء يعتبرونهم والمسلمين سواء سخطوا عليهم لاسيما عند ما بلغت الاخبار بانهم لما دخلوا دمياط أساءوا الى الاقباط وأنكروا عليهم حقوقهم الوطنية وعينوا مطراناً لدمياط من قبل كنيسة رومية اللاتينية . كما انهم قتلوا كثيرين وأخذوا الاطفال من أحضان أمهاتهم فآثر الاقباط الهدوء والسكينة وعدم التداخل فى الامر

وساءهم من الصليبيين اكثر منعهم اياهم من دخول القدس ولم يدخلوه حتى استولى صلاح الدين عليه وفى سنة ١٢٠٤ م في ايام الملك العادل فاجأ الافرنج مصر من جهة رشيد وتقدموا الى نوه وتحصنوا فيها وكانت خاصة بالاقباط ولها اسقف مخصوص فقتلوا كثيرين وطردوا غيرهم وسبوا البعض والبعض الآخر لم يسمه الا الهرب . أما الاسقف فانه لما وجد نفسه وحيداً تركها وذهب الى مصر واقام بها حتى ولي مطراناً على بلاد الحبشة . وفى اثناء ذلك حل بالبلاد غلاء شديد لم يسمع بمثله فأكل الناس القطط والكلاب فهجر بعض الاقباط أوطانهم وذهبوا الى بلاد الاحباش وتوطنوا بها فقوبلوا من ملكها بالترحيب واذ كان معظمهم من ارباب الفنون والصنائع اشغلهم في اقامة المباني الواسعة والكنائس الفخيمة التى كانت تدهش كل من رآها . وبين هؤلاء قبطى كبير يدعى فخر الدولة اناط به ملك الحبشة تنظيم مملكته وترتيب دواوين بها على الطريقة الجارية بمصر

ولما انهزم الصليبيون ابتهج الاقباط اذ وجدوا المسلمين اكثر شفقة عليهم منهم ولما رأى الملك الكامل منهم ذلك ركن اليهم وقربهم ورفع مقامهم وعمل على مافيه راحتهم يدلك على ذلك ان بعض الامراء قبض على بعض الرهبان وسلبهم مبلغاً من المال بحجة انهم تأخروا فى دفع الجزية السنوية . وكان هذا المبلغ هو كل مايملكه الرهبان فشكوه للملك الكامل فنظر في دعواهم وامر بارجاع المال اليهم . ومن حسنات الملك الكامل انه رفض قبول كل رشوة لاجل ترشيح داود بن لقلق بطريركا واعفى الرهبان من الجزية الشخصية وزار بنفسه دير

وادي النطرون وتفقد احوال الرهبان وزار ايضاً دير القديس مكاريوس فوجد احد موظفى الاسلام ساكناً به فأمره بالرحيل محافظة على شعور الرهبان

وبالجملة فقد منع الملك الكامل التعرض للاقباط فى اي شأن من شؤون دينهم واذن لهم ببناء كنائسهم التى خربها المسلمون واباح لهم فتح ما اغلق منها واقامة شعائرهم الدينية فيها جهاراً بدون مانع ولذا تراهم يذكرون للآن فى صلواتهم اليومية هذه العبارة « وحنن الله قلوب المتولين علينا »

ولكنه فيما بعد قام داود بن لقلق بتمثيل دوره المشهور فسقطت محبة الملك الكامل للاقباط بسببه وندم على اعفاء الرهبان من الجزية وظن ان كثيرين منهم دخلوا الرهبنة بدون حق فأمر بفرزهم من الرهبان الحقيقيين فوجد المتعصبون فرصة للايقاع بالاقباط فسلبوا الاموال من الرهبان عموماً ولم يميزوا بين الحقيقى والمتصنع . ومما يذكر بالسخط لداود المشار اليه هو انه لم يستخدم عدل الملك الكامل لاصلاح شأن أمته بل أضاع بسؤ تصرفه هذه الفرصة الحسنة

وكان المسلمون ايضاً ينظرون الى الاقباط بغيظ لعلمهم انهم والصليبيون على دين واحد . وبلغ من عنف المسلمين وغيظهم عليهم انهم في أثناء تقدمهم لانقاذ دمياط من يد الصليبيين صار الجنود يهدمون كل كنيسة قبطية انتقاماً من النصارى عموماً وقاسى الاقباط في داخلية البلاد شدائد عظيمة

وعلى كل حال فكانت احوال الاقباط في ايام الدولة الايوبية رغم ما تخللها من صعوبات أفضل من غيرها وقام الاقباط بخدمة الحكومة بكل امانة حتى ان الحكام والامراء ائتمنوهم على خزائنهم واموالهم فحافظوا عليها وسلموهم مصالحهم فسيروها على احسن حال وتأكد الكل استحالة الاستغناء عنهم او عدم امكان تسيير الاعمال بدونهم

(٢) دولة المماليك الأولى . ايبك وابنه نور الدين سنة ١٢٥٠ م .

وتولى بعد الملك الكامل جملة ملوك آخرهم المعظم الذي انتهت بموته الدولة الايوبية وقامت مكانها دولة المماليك الاولى وكان اول ملوكها عز الدين ايبك وفي ايامه كان بين نصارى صعيد مصر الاقباط طبيب يسمى ثيودور (تادرس) اسلم فى ايام الملك

الكامل وخدم عند الملك الفائز ابرهيم ابن الملك العادل فنسب اليه ودعى بالاسعد شرف الدين ابي القاسم هبة الله بن صاعد الفائزي ولما آلت المملكة للملك نجم الدين الايوبي ولاه نظارة الدواوين جميعها وبعد قليل غضب عليه فسافر الى دمشق وبقي بها حتى تولى عز الدين ايبك كرسي السلطنة فعاد الى مصر وتعلق بخدمته فولاه الدواوين وتمكن من الدولة تمكناً زائداً وكان مبدأه التظاهر بحب المسلمين وبغض النصارى فأظهر حينئذ خسة متناهية وكان سبباً في وقوع المصائب على رأس اخوانه الاقبـاط فضغط عليهم وضاعف الضرائب وقرر على التجار وذوي اليسار منهم أموالا يدفعونها كل سنة وفرض مكوساً سنوية على كل مايملكون من بهائم وعبيد ومؤونة ولعظم قساوته كان يقوم هو بنفسه ليحصل الاموال منهم حتى انتقم الله منه فوشي به الى السلطان بانه يناصر عليه أعداءه فقبض على أمواله ثم خنق ولف في لح ودفن

(٣) الظاهر بيبرس البندقداري وابنه بركة خان سنة ١٢٦٠ م .

اتفق في أيامه حصول حريق عظيم في القاهرة اتخذه المبغضون وسيلة للايقاع بالنصارى فتكلموا ضدهم لدى الملك بانهم هم الذين أتوا هـذا الفعل الشنيع لتكدرهم من انكسار الافرنج اخوانهم في الدين فحمي غضب الملك وأمر بجمعهم واخراجهم خارج المدينة والقائهم في حفرة ليحرقوا أحياء . وروى المقريزى ان التهمة كانت متوجهة للنصارى ولليهود فلما أشعلوا لهم النيران برز رجل يهودى يسمى ابن الكازروني كان صيرافياً في أحد الدواوين وقال للسلطان بحق الله لاتحرقنا مع هؤلاء الملاعين فضحك السلطان والامراء والمؤرخون يقررون بان فارس الدين اقطاي رثى لحالهم فتوسل الى الملك ليعفو عنهم فقبل بشرط أن يدفعوا غرامة قدرها خمسين الف دينار . فدفع الاقباط هذا المال لاجل اصلاح الاحياء المحترقة ولكنه صرف على الحروب التي كان الظاهر قائماً بها

وفي أيام ابنه بركة خان سنة ١٢٧٧ م كان الاقباط يتظلمون من قساوة الاحكام والمعاملة الغير العادلة . وحدث انه تقرر رفت كل الموظفين الاقباط من ديوان الحربية واتفق انه يوم صدور هذا الامر سقط بناء دير الخندق في ضواحي

القاهرة فخرج خلق كثير من رعاع المسلمين ليكملوا هدمه

(٤) صلاح الدين خليل سنة ١٢٩٠ م . تولى الملك المنصور بن قلاوون سنة ١٢٧٩ م ومع انه عدل الضرائب وساوى في فرضها بين المسلمين والمسيحيين الا ان هؤلاء لم يسلموا من قساوته ومن قساوة المسلمين في أثناء تغيبه في الحروب . وكان قد تمرد عليه المماليك فانتقم منهم انتقاماً فظيعاً أسخط عليه كل من سمع به فندمه على فعله فبدأ يبنى تكايا للمساكين ومستشفيات للمرضى تكفيراً عن ذنبه وقد أضاف الى هذه الحسنات تشديده على النصارى وأمره اياهم بان لا يركبوا خيلا ولا بغلا وألزمهم بان يركبوا الحمير ويشدوا الزنانير وان لايحدث نصراني مسلماً وهو راكب والا يلبسوا ثياباً مصقولة وغير ذلك من أنواع الذل والهوان

وظلت هذه القوانين سارية عليهم حتى عقبه ابنه صلاح الدين خليل الملقب بالاشرف فبدأ يضطهدهم اضطهاداً شديداً ولكنهم ثبتوا أمامه ثباتاً مدهشاً ولكي يعلنوا ان الاضطهاد لايقوى على زعزعة ايمانهم صاروا يرسمون على ايديهم اشارة الصليب المقدس ومن ذلك الحين صارت هذه العادة مرعية الى الآن .

وسبب اضطهاد صلاح الدين للاقباط هو ما توهموه بعد موت قلاوون من ان ايام ذلهم قد انقضت فعادوا الى ركوب الخيل وتغيير الملابس لاسيما لما وجدوا ذوي الشأن من المسلمين يثقون بهم ويوكلونهم على مصالحهم فاعتمدوا على جاه مخدوميهم وغيروا مظاهرهم . واتفق ان قبطياً يسمى عين الغزال كان موظفاً بوظيفة وكيل عند أحد كبار الامراء المماليك فذات يوم صادف وهو ذاهب الى دار مولاه سمساراً مسلماً كان مطلوباً بمبلغ من النقود للامير ثمن غلة اشتراها من شونه فطالبه الوكيل بما عليه واذ لم يكن عنده مايسدد ديونه ساقه الى بيت الامير فرأى المسلمون في الشوارع الوكيل القبطي راكباً وقابضاً على يد المسلم الذي كان يجري وراءه فاندهشوا عند مارأوا المسلم أسيراً في يد القبطي والتفوا حولهما وطلبوا من القبطي ان يخلي سبيله فلم يرض فتكاثروا عليه والقوه عن

جواده واطلقوا السمسار وصاروا يصفعونه ويضربونه وكانت هذه الحادثة بقرب بيت الامير فذهب غلامه اليه ليأتيه بمن ينجده فأسرع اليه بعبيد الامير وتمكنوا من انقاذ الوكيل وهو في حال سيئة مما ناله من الضرب والاذى بعد ان اوسعوا اولئك المعتدين ضرباً بالعصى فصاح هؤلاء « هذا ليس في شرع الاسلام » ثم اسرعوا بالسير نحو القلعة وكانوا كل مامروا فى طريق ينضم اليهم جماعة حتى كثر عددهم ووقفوا تحت القلعة حيث كان السلطان ونادوا بأعلى صوت قائلين « نصر الله السلطان » فلما سمع صياحهم استفهم عن الخبر فعرفوه بما جرى وزادوا القول بان النصارى تعاظموا على المسلمين وتجبروا عليهم فأرسل السلطان الى الامير يقول له « كيف تسمح لرجالك بان يعاملوا المسلمين هكذا اكراماً لرجل نصراني » فاعتذر الامير بعدم علمه بما جرى

وخشي السلطان سوء العاقبة من تجمهر المسلمين فغضب ولم يدبر حيلة لاطفاء نار هذه الفتنة سوى الامر باهلاك الكتاب النصارى فأمر بجمع كبار كتاب الامراء واحضارهم بين يديه ليقتلهم فتأثر الامير بدر الدين وامير آخر اسمه سنجار الشجاعي واستعطفاه وما زالا به حتى عفا عنهم بشرط ان لا يستخدم الامراء احداً منهم وان يعرضوا عليهم الاسلام فمن امتنع كان هو الجاني على نفسه . فطاف المنادون في شوارع القاهرة ومصر القديمة يعلنون بان السلطان يأمر كل الامراء بان يلزموا خدمتهم الاقباط باعتناق الاسلام ومن يرفض تقطع رأسه فى الحال . وسرى هذا الامر ايضاً على موظفي الحكومة

فما علم الاقباط بهذا الامر حتى لاذ منهم الوف بالهروب وانزووا في الكهوف والمغائر فانتهز رعاع المسلمين ومن كان في نفسه حاجة من جهة النصارى واسرعوا بالهجوم على منازلهم وقبضوا على كثيرين منهم قبل ان يتمكنوا من الفرار وساقوهم الى الهلاك بعد ان نهبوا مافي بيوتهم ولم يبق بيت لم تمتد اليه الايدي بالسلب والنهب وسبي عدد عظيم من النساء وقتل المسلمون بايديهم كثيرين قبل وصولهم الى محل القتل امام السلطان . ولما شاهد ذلك الامير بيدرا سعى

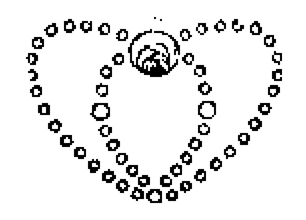
لدى السلطان حتى استصدر منه امراً يقضى بشنق كل من ينهب بيتاً امام البيت الذي ينهبه ولكن الرعاع استمروا في طغيانهم فقبض على كثيرين منهم وجلدوا جلداً مبرحاً فكانوا عبرة لسواهم وانقطع السلب والنهب بعد ان نهبت كل البيوت ونهبت كنيسة المعلقة وقتلوا فيها جماعة وقتل عدد عظيم من الاقباط

قال المقريزي « ثم جمع النائب كثيراً من النصارى كتاب السلطان والامراء واوقفهم بين ايدي السلطان عن بعد منه فرسم للشجاعى وامير جاندار ان يأخذا عدة معهما وينزلا الى سوق الخيل تحت القلعة ويحفرا حفرة كبيرة ويلقيا فيها الكتاب الحاضرين ويضرما عليهم الحطب ناراً . فتقدم الامير بيدرا وشفع فيهم فأبى ان يقبل شفاعته وقال ما أريد في دولتي ديواناً نصرانياً . فلم يزل به حتى سمح بان من أسلم منهم يستقر في خدمته ومن امتنع ضربت عنقه فأخرجهم الى دار النيابة وقال لهم يا جماعة ما وصلت قدرتي مع السلطان في أمركم الا على شرط وهو ان من اختار دينه قتل ومن اختار الاسلام خلع عليه وباشر خدمته فابتدره المكين بن السقاعى احد المستوفين وقال « ياخوند (كلمة تركية للتعظيم) واينا قواد يختار القتل على هذا الدين والله دين نقتل ونموت عليه يروح لا كتب الله عليه سلامة قولوا لنا الذي تختاروه حتى نروح عليه » فغلب بيدرا الضحك وقال له ويلك أنحن نختار غير دين الاسلام » فقال « ياخوند ما نعرف قولوا ونحن نتبعكم » فأحضر العدول واستسلمهم وكتب بذلك شهادات عليهم ودخل بها على السلطان فالبسهم تشاريف وخرجوا الى مجلس الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس فبدأ بعض الحاضرين بالمكين بن السقاعى وناوله ورقة ليكتب عليها وقال له متهكماً يا مولانا القاضي اكتب على هذه الورقة (انك اسلمت) فقال له « والله يا بني ما كان لنا في هذا القضاء خلد » فلم يزالوا في مجلس الوزير الى العصر فجاءهم الحاجب وأخذهم الى مجلس النائب وقد جمع به القضاة فجددوا اسلامهم بحضرتهم فصار لذليل منهم باظهار الاسلام عزاً يبدي من اذلال المسلمين والتسلط عليهم بالظلم ما كانت تمنعه نصرانيته من اظهاره وما

هو الا كما كتب به بعضهم الى الامير بيدرا النائب :

اسلم الكافرون بالسيف قهراً واذا ما خلوا فهم مجرمونا
سلموا من رواح مال وروح فهم سالمون لا مسلمونا

وبالجملة فلم ينته هذا القرن الا بمصائب عظيمة فمن الجوع والوباء بسبب قلة زيادة النيل فضلا عن الحروب والفتن والقلاقل وكان الاقباط لكل هذه الرزايا الضحية الوحيدة فكثرت عليهم الضرائب وزادت الجزية فمنهم من مات ومنهم من أسلم اما تخلصاً من المغارم أو خشية ان يصيروا الى ما صار اليه من شاهدوهم من اخوانهم المسيحيين يقتلون ويستولى على جميع املاكهم وربما كان البعض طمعاً في الوصول الى المراكز الرفيعة



القرن الرابع عشر

القسم الاول

تاريخ البطاركة

....

(١) يوحنا ٨ (٢) يوحنا ٩ (٣) بنيامين ٢ (٤) بطرس ٥
(٥) مرقس ٤ (٦) يوحنا ١٠ (٧) غبريال ٤ (٨) متاؤس ١

....

(١) يوحنا ٨ ـ البطريرك الثمانون . بعد وفاة البابا ثيودوسيوس في ختام القرن الثالث عشر انعقد مجمع الاساقفة والشعب بالدار البطريركية لانتخاب غيره فأقروا على تكريس رئيس دير شهران المشهور بدير الانبا برسوم العريان وكان مولوداً بالمنيا ويعرف بيوحنا بن قديس فتقدم بطريركا في ١٦ أمشير سنة ١٠١٦ ش و ١٣٠٠ م في ايام الملك الناصر

وفي ايامه بلغ اضطهاد المسيحيين أشده وضجر الاقباط من كثرة العوائد المكروهة التي ألزموهم بالسير عليها وارادوا ان يتخلصوا منها بالعنف فلما رأى المسلمون منهم ذلك طلبوا من محافظ القاهرة ان يسمح لهم بهدم باقي كنائسهم كي لا يعودوا الى العصيان مرة أخرى . فاستدعى المحافظ اليه البابا يوحنا وأخبره بالامر وطلب منه ان يوصي اولاده بالخضوع لكل ما حل بهم أو يعرضون ذواتهم لضيق عظيم فكتب في الحال البطريرك الى جميع اساقفة الابروشيات

يحضهم ويدعوهم الى التشديد على الشعب القبطى باتباع ما أمروا به وخوفاً من الاضطهاد شدد عليهم وأمر ان من يخالف هذه الاوامر يحرم من الكنيسة وانه لا بد من الرضوخ لارادة القوة الحاكمة

غير ان ذلك كله لم يقنع المسلمين فطلبوا من البطريرك ان يغلق كل الكنائس الباقية بلا تخريب ولما أبى ان يطيعهم انهالوا عليها وأخذوا يهدمونها وهو يحاول بحكمته ان يدفع هذا البلاء ولكنه لم يفلح

وهكذا قضى هذا البابا على الكرسي عشرين سنة وثلاثة شهور وعشرين يوماً كانت كلها مفعمة بالاحزان وشديدة الوطأة على المسيحيين حتى أراحه الرب ونقله اليه في ٤ بؤونه سنة ١٠٣٦ ش و ١٣٢٠ م

(٢) يوحنا ٩ — البطريرك الحادي والثمانون . وبعد وفاة البابا يوحنا ٨ باربعة شهور اجتمع المجمع وأقر على انتخاب واحد كان من جهة نفيسة بالمنوفية وقدموه بطريركا في اول بابه سنة ١٠٣٧ ش و ١٣٢١ م في عهد الملك الناصر المذكور ودعى يوحنا التاسع وعقب تنصيبه حريق بالقاهرة واتهم باشعال النار بعض الرهبان فثار المسلمون طالبين اهلاك المسيحيين فطلب القاضي كريم الدين ان يحضر امامه البابا يوحنا ليدله عمن احدث هذا الحريق فاحضره الجند في الليل خوفاً من ان تصل اليه ايدي الثائرين ولما سئل عن الحريق ذرفت عيناه الدموع وأورى انه لا يعرف شيئاً فأمر القاضي باطلاقه لمقره بكل احترام فسار به الحراس الى الدار البطريركية ولكن جماعة الغوغاء والأوباش الذين كانوا علأون الشوارع كادوا يمزقونه فى الطريق لولا حذر العساكر ومحافظتهم عليه حتى دخل البطريركية بسلام ويظهر ان تقوى هذا البابا حفظته من الخطر فى تلك الايام الهائلة فقضى مدة رئاسته آمناً يشاهد النكبات التي تلحق شعبه المسكين حتى انتهت حياته فى ٢ برموده سنة ١٠٤٣ ش و ١٣٢٨ م وكانت مدة بطريركيته ستة اعوام وخمسة شهور و ٢٢ يوماً

(٣) بنيامين ٢ — البطريرك الثاني والثمانون . وبعد ثلاثة واربعين

يوماً لوفاة البابا يوحنا استدعى اكابر الامة الاساقفة الى الدار البطريركية لاقامة بطريرك آخر فاجمعت آراؤهم على انتخاب احد رهبان دير البغل بجبل طره واصله من اهل الدمقراط فرسم بطريركا في ١٥ بشنس سنة ١٠٤٣ ش و ١٣٢٨ م في اواخر ملك الملك الناصر ودعى بنيامين الثاني

وفي ايامه أعيد الكرب على المسيحيين ولا سيما الرهبان والا كليروس فوجه اهتمامه نحو اديرة الرهبان التي اندثر كثير منها واهمل بسبب الاضطهاد فجدد دير انبا بشوى الكائن ببرية النطرون واستدعى اليه بعض الرهبان ليقيموا به ويعمروه ولبث مجاهداً حتى تمت ١١ سنة و ٦ شهور ويوم واحد على جلوسه على الكرسي وتنيح في ١١ طوبه الموافق لعيد الغطاس سنة ١٠٥٥ ش و ١٣٣٩ م واستمر كرسي البطريركية خالياً بعده عاماً واحدا

(٤) بطرس ٥ ـ البطريرك الثالث والثمانون . وخلف البابا بنيامين

البابا بطرس الذي اختاره مجمع الاساقفة والشعب الذي انعقد بالدار البطريركية واقيم بطريركا فى ٦ طوبه سنة ١٠٥٦ ش و ١٣٤٠ م في اواخر سني ملك الملك الناصر . وكان يدعى اولا داود وكان راهبا بدير ابي مقار

وفى ايامه تقدمت شكوى من المسلمين على النصارى للسلطان الصالح بانهم يخالفون القواعد التي أمروهم بالسير عليها فأمر السلطان باحضار البطريرك وكلفه بان يلزم رعيته بالخضوع لاوامر الحكومة . وقد شاهد هذا البابا بعينه المصائب الفادحة التي كانت تنزل بامته التعيسة وهو صابر طالباً منه ان يرفعها عنهم حتى سمع الله صلاته وتنيح وهى آمنة مطمئنة في ٤ ابيب سنة ١٠٦٤ ش و ١٣٤٨ م بعد ان قضى على الكرسى ثماني سنين وستة شهور وثمانية أيام وخلا الكرسى بعده شهرين وبعض أيام

(٥) مرقس ٤ ـ البطريرك الرابع والثمانون . وبعد وفاة البابا بطرس

انتخب الاساقفة والشعب في مجمع البطريركية راهباً دعوه مرقس الرابع وتمت رسامته في ١٠ توت سنة ١٠٦٥ ش و ١٣٤٩ م فى مدة تملك السلاطين شعبان وحاجي وحسن وصلاح الدين وكان يدعى أولا فرج الله من قليوب ترهب

ورسم قساً بدير شهران

وفي أيامه اشتد الاضطهاد على المسيحيين والقى القبض عليه وعذب عذاباً شديداً فعلم ملك النوبة المسيحي بذلك فالقى القبض على كل التجار المسلمين في مملكته ورهنهم أسرى حتى يطلق سراح البطريرك فالتزم المسلمون في مصر ان يتركوه دون ان يضروه عند علمهم بهذا الخبر

وحدث في أيامه أيضاً فناء عظيم خربت به القرى . وكانت نياحته في ٦ امشير سنة ١٠٧٩ ش و١٣٦٣ م وخلا الكرسي بعده ٣ شهور و٦ أيام

(٦) يوحنا ١٠ — البطريرك الخامس والثمانون . وبعد وفاة البابا مرقس الرابع حضر الاساقفة من كل الابروشيات الى البطريركية واجتمعوا بكبار الامة ويظهر ان يلبغا والي مصر وقتئذ تساهل معهم فانتخبوا بطريركا جديداً بلا صعوبة أو معاكسة من المسلمين وسمي يوحنا العاشر ولقب بالمؤتمن وتمت رسامته باحتفال عظيم في ١٢ بشنس سنة ١٠٧٩ ش و١٣٦٣ م في زمن تملك الاشرف شعبان وأصله من دمشق

ولبث على كرسي الرئاسة مدة ست سنوات وشهرين وثمانية أيام حدثت في خلالها مجاعة عظيمة في مصر وسوريا حملت سكان القطرين على أكل القطط والكلاب وتنيح في ١٩ ابيب سنة ١٠٨٥ ش و١٣٦٩م وخلا كرسي البطريركية بعده ستة أشهر

(٧) غبريال ٤ — البطريرك السادس والثمانون . اختير بطريركا في مجمع لاساقفة والشعب المنعقد بالبطريركية راهب من دير المحرق يدعى غبريال رسم في ١١ طوبة سنة ١٠٨٦ ش و ١٣٧٠ م في زمن تملك الاشرف شعبان وقد تم انتخابه بكل هدوء وسكينة وكانت مدة رئاسته ثماني سنين وثلاثة شهور و٢١ يوماً وتنيح في ٢ بشنس سنة ١٠٩٤ ش و ١٣٧٨ م وخلا الكرسي بعده ثلاثة شهور

(٨) متاؤس ١ — البطريرك السابع والثمانون . جلس على الكرسي بعد

البابا غبريال باجماع الاساقفة والشعب ومن أمره انه من دير المحرق وشغف منذ صباه بالعيشة النسكية فترهب في سن الرابعة عشرة بدير ب بقرب اخميم وصار تلميذاً للشيخ ابرآم مدة اربع سنين و بعدها دعاه اسقف تلك الجهة ليكون معه

وكان جميل الوجه حسن الصورة فهامت به امرأة وبذلت جهدها لتنال منه مأربها واذ كان يوماً يرعى فى الحقل مواشى الاسقف خرجت وراءه وراودته ليرتكب معها خطية الزنا فاقشعر بدنه لدى سماعه طلبها وأخذ يحذرها من التمادي في هذا الشر ويذكر لها عقاب الله الشديد للخطاة فأجابته « ان جمال حاجبيك هو الذي ساقني اليك وأشعل بفؤادي لظى غرامك » فأسرع واستمل مدية وفى ناحية بعيدة منها قطع بها حاجبيه وعاد اليها والدم يخضبهما ويسيل منهما وقال « تفرسي أيتها الشقية في الجمال الذي سباك كيف تحول الى شناعة » فلما شاهدت منظره ارتعدت فرائصها ولاذت بالفرار . الا ان الشيطان عاد وحركها فرجعت تضايقه فطلب من الاسقف ان يطلق سراحه فأبى ورأى ان يتخلص من هذه الورطة فتظاهر أمام الاسقف بالجنون وأخذ يمزق أثوابه حتى اضطر الاسقف أن يخلي سبيله فأتى معلمه الشيخ ابرآم واطلعه على خبره فسر منه وشجعه على السير الى النهاية فى طريق الفضيلة وأرسل يخبر الاسقف بأمره فلما علم الاسقف ان متى استخدم الجنون لكي يهرب من الشر استدعاه اليه ورسمه كاهناً بدون اذن الشيخ ابرآم فعاتبه الشيخ على ترقيته لراهب صغير الى رتبة الكهنوت فرد عليه الاسقف متنبئاً ان متى سيصل الى رتبة رفيعة

وبعد ذلك ترك القس متى الاسقف وتوجه الى دير الانبا انطونيوس بالجبل الشرقي واستمر يخدم بوظيفة شماس ففاحت رائحة فضيلته ونطقت الأفواه بمدحه فخشي ان يؤثر المديح عليه فينتفخ فترك الدير ومضى الى القدس وهناك لبث يعبد الله بعيداً عن الناس مدة طويلة حتى اضطره الحال ان يعود الى مصر ويسكن دير انطونيوس ثانية

وبينما كان مباشراً عبادته هجم أحد الامراء على الدير والقى القبض على الرهبان وبينهم القس متى وعذبهم عذاباً شديداً وانزلهم من الدير فأصابهم فى الطريق عطش شديد ولم يجدوا ماء الا مع الامير الذي أبى ان يعطيهم نقطة واحدة .

فجمع القس متى الرهبان وطلب منهم ان يصلوا لله حتى يفرج كربهم فلم يفرغوا من الصلاة حتى هطل الغيث وارتووا . وكان القس متى يشجع اخوته الرهبان في الطريق ويعدهم بقرب وقت الفرج . ولما أتوا الريف طلب السلطان من الامير ان يذهب الى معسكره فترك الرهبان ولوقتها انطلق القس متى وأقام في الدير المحرق ولبث مواظباً فيه على العبادة حتى اختير للبطريركية فقبلها رغم ارادته ورسم في اول مسرى سنة ١٠٩٤ ش و١٣٧٨ م في عهد تملك علي بن الاشرف

وكان اثناء بطريركيته ملازماً أفعال الخير نحو الجميع فلجأ اليه الفقراء والمعوزون فكان يعمل على تنفيث كربهم حتى نزل به مكروه من راهبين طلبا منه ان يصيرهما اسقفين فرفض طلبهما اذ لم يجدهما مستحقين فتكلما ضده لدى الملك بكلام سوء فلم يسمع كلامهما لانهما كه في الحرب. واذ لم يجدا فائدة من الشكوى هجما على البطريرك ذات يوم وتوعداه بالقتل ان لم يمنحهما مرغوبهما فوعدهما باجابة سؤلها بعد اربعين يوماً ولم تنته هذه المدة حتى أراحه منهما الرب بموتهما

وحدث أيضاً ان راهباً سورياً اعتنق الديانة الاسلامية وبذل جهده ليوقع البطريرك في محنة فأتى كثيرون طالبين من البابا ان يلعن هذا الرجل فاجابهم لا أستطيع ان العنه لانه لابد ان ينال ا كليل الشهادة على اسم المسيح . وبعد مدة وجيزة شعر الراهب بسقطته واعترف بالمسيح علانية فأورده المسلمون موارد الهلاك

وبعد ذلك اتفق يلبغا الوالي مع الاميرين منطاش وسودون على ايقاع الضرر بالبطريرك والكنائس ولما شرعوا في عملهم توجه البابا الى السلطان برقوق وشكى له الامر فألزمهم بالكف عن عملهم . ولبث هذا البابا مدة ثلاثين سنة وخمسة شهور وتنيح في ٥ طوبه سنة ١١٢٥ ش و١٤٠٩ م وخلا كرسي الرئاسة بعده أربعة أشهر واياماً

القسم الثانى

مشاهير الكنيسة

انبارويس

هو الشهير بابي فريج ولد فى احدى قرى اقليم الغربية وترك موطنه فى سن العشرين وتوجه الى الصعيد وعاش عيشة النسك والزهد فاحبه الناس ونال مركزاً سامياً فى عيونهم ثم هجر الوجه القبلى وأقام بالقاهرة فقبض عليه هو وبعض المؤمنين وألقوا في السجن ونزلت بهم بلايا عديدة كان القديس فى ابانها يقوي رفقاءه على احتمالها الى ان أطلق سراحه بتداخل البطريرك فطاف انبارويس معلما بأقواله وافعاله . وانفرد فى آخر حياته للعبادة والصلاة وأجرى الرب على يديه آيات وعجائب حتى تنيح سنة ١٠٩٧ م وأودع جدثه بدير الخندق المعروف الآن بدير انبارويس

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

(١) الملك الناصر بن قلاوون (٢) الملك الصالح (٣) الملك المنصور (٤) دولة المماليك الثانية . برقوق

(١) الملك الناصر بن قلاوون سنة ١٢٩٩ م وركن الدين سنة ١٣٠٨ م.

في أول ملك الناصر بن قلاوون تفشت الأمراض وفتكت بالانسان والحيوان فأفهمه قاضي الاسلام ان ذلك حدث بسبب وجود المسيحيين في الدولة . وكان هذا القاضي ابناً لاحد المسيحيين واعتنق الاسلام فارتقى لهذا المنصب وأصبح كارهاً لديانته الاولى ساعياً جهده في ارغام تابعيها على تركها فكان يوقع بهم كلما أتيحت له فرصة

وكان في هذا الجيل يجبى من كل فرد من الاقباط دينار في كل سنة علاوة على الجزية المضروبة عليه برسم نفقة الجنود وغير ما كان يجبى منهم بالاشتراك مع المسلمين مما كانوا يسمونه زكاة الدولة ونفقاة الاحتفال بوفاء النيل وغير ذلك . وكانت الاضطهادات التي وقعت على هؤلاء البائسين في اول هذا الجيل من أهول لويلات التي حلت بهم وأنزلتهم في قعر الهوان ونالهم منها كل ذل وفقر وقلة عدد مما لانزال نشاهد اثره للآن وقد يميل بعض المؤرخين الى اتهام الاقباط بان ماحل بهم من الفوادح كان نتيجة تصرفهم السيء وقد ادعى المقريزي المؤرخ المسلم ان سبب هذه البلايا التي ابتلوا بها تكبر بعضهم وعتوهم فعوقبوا بلبس العمائم الزرقاء وشد الزنانير في أوساطهم ومنعهم من ركوب الخيل والبغال

والحقيقة ان سبب تراكم البلايا على هؤلاء المساكين هو كثرة تذمرهم من الظلم الذي كان يقع بهم ونزوعهم الى الاعتراض على الاوامر القاسية التي كانوا يجبرون بالسير عليها حتى دفعت الحمية منهم كثيرين الى التجرؤ على مخالفة هذه الاوامر فلبسوا العمائم البيضاء بدل السوداء التي حكم عليهم بلبسها وتأنق بعضهم وتجملوا بلبس الثياب المصقولة وتجاسر بعض الموظفين فظهروا في الشوارع راكبين خيولا . فساء هذا بعض المتعصبين الذين كانوا يرتاحون لاذلال النصارى فصاروا يهزأون بهم وينظرون اليهم شذراً وغير ذلك مما جرأ العامة على اهانتهم والاستخفاف بهم وصاروا يفكرون في طريقة بها يلقون عليهم ذلا لايقوون بعده على رفع أنوفهم فأقر كبارهم على هدم كل كنائس الاقباط وضرورة تنفيذ كل ما صدر عليهم من القوانين حرفياً

وحدث في وزارة بيبرس الجاشنكير والامير سيلار ان قبطياً من موظفي الحكومة المتقدمين كان سائراً في شوارع مصر راكباً جواداً ولابساً عمامة بيضاء وامامه الخدم وخلفه بعض المسلمين الذين لهم مآرب في الحكومة . فلاقاه وهو على هذه الحال وزير ملك المغرب وكان قاصداً الحج فأراد ان يتوسط بينه وبين الذين خلفه يسترحمونه ولما علم بانه نصراني هزأ بالامر وتوجه الى القلعة وخاطب الوزير بيبرس والامير سيلار وهو يبكي مشفقاً على حال المسلمين الذين أصبحوا تحت ذل النصارى ثم هددهما بحلول نقمة الله عليهما ان لم ينتقما من أعداء المسلمين فاستدعيا بطريرك الاقباط وأراخنتهم وكبارهم واقنعوهم بالتزام لبس الذل وركوب الحمير فاصدر البطريرك منشوراً لعموم الشعب يحضهم فيه على الخضوع لكل قانون صدر ضدهم

أما الوزير المغربي فلم يرض بذلك بل حرض العامة على هدم الكنائس فقاومه تقي الدين القاضي الاعظم وجاهر بانه لا ينبغي ان تهدم الا الكنائس المستحدثة فنشأ عن ذلك قفل وهدم عدة كنائس بنيت حديثاً بالقاهرة وحاول النصارى أن يفتحوا كنيسة منها ولما فتحت تهيج عليهم الرعاع واشتكوهم للامراء ووقفوا فى طريق الوزير والامير وتوسلوا اليهما ان يرحما الاسلام من تجبر النصارى الذين ينقضون أوامر الحكومة ويفتحون الكنائس بدون تصريح منها فصدر الامر ثانياً بضرورة تطبيق ما صدر من القوانين عليهم ومن خالف أمراً ينهب ماله وتقطع رأسه فطلب المسلمون من البطريرك ان يغلق ما بقى من الكنائس ولما رأوه رفض تنفيذ أمرهم قاموا بهدم وتخريب كل الكنائس

وبعد ذلك عمد الحكام المسلمون ثانياً الى رفت كل قبطي موظف بدوائر الحكومة يأبى ان يسلم وكان الغوغاء والرعاع يدأبون في الاستهزاء بهم ورجم المارين منهم في الشوارع بالحجارة ويتقدمون نحو من يشاهدونه راكباً حماراً صغيراً ويجذبونه الى الارض ويضربونه بالنعال على عنقه حتى يشرف على الهلاك ووقع ضيق عظيم خصوصاً على اقباط مدينتي الاسكندرية والفيوم واشتد الاوباش في اضطهادهم حتى لم يكن في طاقة الحكومة مقاومتهم . فتظاهر كثيرون من الاقباط بالاسلام كرهاً فى تغيير زيهم وخوفاً من قطع عيشهم

وقال المقريزي « وقد اكثر شعراء العصر في ذكر تغيير زي اهل الذمة فقال علاء الدين علي بن مظفر الوداعي : —

لقد ألزم الكفار شاشات ذلة ... تزيدهم من لعنة الله تشويشا
فقلت لهم ما ألبسوكم عمائماً ... ولكنهم قد ألزموكم براطيشا

وقال شمس الدين الطيبي

تعجبوا للنصارى واليهود معاً ... والسامريين لما عمموا الخرقا
كأنما بات بالاصباغ منسهلا ... نسر السماء فاضحى فوقهم زرقا

وحدث في سنة ١٣٠١ م ان تمرد على السلطان اكثر مسلمي الصعيد فارسل اليهم قوة لاخضاعهم فذبحت الالوف من الاقباط والمسلمين على السواء وفي السنة التالية حدثت زلزلة دمرت بلاداً كثيرة فشعر السلطان ان ذلك كله نتيجة جوره على الاقباط المساكين

وكان عيد وفاء النيل (عيد الشهيد) قد دنا واعتاد الاقباط ان يقيموا احتفالا سنوياً له مدة ثلاثة ايام ابتداء من ٨ بشنس في ناحية شبرا (١) وكانوا يعتقدون ان النيل لايفي الا اذا القوا فيه تابوتاً من خشب فيه أصبع من اصابع الشهيد . وكان عند اقتراب هذا العيد يرحل المسيحيون ويقيمون بخيامهم على شاطيء النيل . فلما علم الوزير بيبرس ان النصارى عازمون على الاحتفال بهذا العيد أمر بابطاله محتجاً بما يحصل فيه من الامور المغايرة للآداب والنظام وكان ذلك سنة ١٣٠٢ م

واستمر الاضطهاد على هذا الحال ثلاث سنوات حتى جاء الى مصر حينئذ وفد من ملك بارسلونه يحمل فدية لاسير كان قد اسره السلطان في حرب . فلما شاهد رجال هذا الوفد مايقع على رؤوس الاقباط من البلاء انذهلوا وجزعوا جداً ولم يطيقوا رؤية هذا الجور الفظيع ودفعتهم حميتهم ان يطلبوا من السلطان فتح الكنائس مقابل مبلغ من المال يدفعونه له فأجابهم السلطان الى طلبهم ففتحت كنائس كثيرة وخف الاضطهاد نوعاً . وقال المقريزي ان السلطان لم يفتح الا كنيستين فقط هما كنيستا حارة زويلة والبندقانيين ثم رجع ومثل بالوفد تمثيلا شنيعاً .

---

(١) وبالقبطية « شوبري » وهي مركبة من كلمتين « شوب » مدينة و « ري » شمس

وخلع الملك الناصر بعد ذلك وجلس على كرسي السلطنة عوضه بيبرس الجاشنكير ولقب بالملك المظفر ولكن الملك الناصر عاد فقتل بيبرس واسترد عرشه وكان قد تأكد ان كل ما حل به كان من جرى ظلمه للنصارى البائسين فصار يحميهم بكل قوته من نهب واستبداد المماليك وتعصب مواطنيهم المسلمين . ولكنه فيما بعد لم يقو على ايقاف سيل التعصب الذي كان يملأ قلوب المسلمين على الاقباط فاضطر احياناً ان يقسو على المسلمين وتارة عليهم وعلى النصارى سواء وأرغم اخيراً ان يسلم في بيوت النصارى وقتلهم وسلب مالهم عند ما رأى نار الغضب والهياج قد أخذت من المسلمين كل مأخذ

وقد ابتدأت ويلات الاقباط من هذه الحادثة وذلك ان الملك الناصر اراد ان يبني ميداناً فسيحاً بالجهة المعروفة الآن بالناصريه وكان في الموضع الذي اختاره كنيسة للاقباط تسمى كنيسة الزهرى واسعة الاطراف محكمة البناء وكان بها كثير من النصارى وحولها ايضاً عدة كنائس . فاشار عليه المتعصبون بهدمها لانه لا يصح ان تكون للنصارى كنيسة ظاهرة بهذه الكيفية أما هو فلم يرد ان يهدمها بل أمر ان يحفر ما حول جدرانها حتى تنهار من نفسها ولما كانت على جانب عظيم من المتانة استمرت واقفة ولم تسقط فاغتاظ المسلمون ونقموا على الاقباط لما رأوا السلطان يدافع عنهم

وكثرت حينئذ العمارات بالعاصمة فتواطأ المسلمون مع بعض الامراء على هدم الكنائس لينتقموا من النصارى من جهة وليستخدموا انقاضها وادواتها في العمارات التي كانوا يبنائها من جهة أخرى وعينوا لذلك يوم ٢١ بشنس سنة ١٣١٢ م . وفي احد ايام الجمع تجمع بعض الغوغاء اثناء الصلاة بالجوامع ولم يشعر الاقباط الا والهدم دائر في كنائسهم وسلب ما بها من الاواني والمقتنيات ورأوا كنيسة الزهري قد امتدت اليها الايدي فهدمتها وسلبت كل ما بها وقتلت كل من كان فيها من المسيحيين . ثم توجه الثائرون الى كنيسة مار مينا في حي الحمراء التي كانت موضوع اعتبار الاقباط ولكثرة النذور التي كانوا يقدمونها صارت أغنى الكنائس حتى أقام حولها كثيرون من الرهبان والراهبات . فتسلق الرعاع تلك المساكن وتمكنوا من هدم الكنيسة حالا ونهبوا منها مالا وقماشاً وجرار

خمر واهلكوا كل من كان فيها ثم هدموا كنيستين كانتا بجوار السبع السقايات وكانت احداهما ديراً للراهبات فاخرجوا منها اكثر من ستين راهبة ونزعوا ثيابهن وسلبوا كل ما وجدوه معهن وبعد ذلك اطلقوا النار في بيوت النصارى القائمة حول كنيسة مار مينا وحرقوا الكنائس الثلاث

ولم يكفهم ذلك فقاموا الى بابيلون التي كان يسكنها اكثر الاقباط واغنيائهم قاصدين الفتك بهم ولكن هؤلاء شعروا بهم قبل وصولهم فاغلقوا ابواب الحصن القديم وكان داخل سوره ست كنائس واستعد الاقباط للدفاع عن انفسهم . وكانت اخبار تلك التعديات قد انتهت الى السلطان وقيل له ان لم تسرع في انقاذ اقباط بابيلون هلكوا عن آخرهم وبلغه خبر وجود عصابة أخرى كانت تسعى الى هدم كنائس الموسكي وحارة زويلة فسار السلطان اليهم وهددهم حتى امتنعوا ومن ثم اصدر امره للأمير جامش ان يقوم حالا بفرقة من العساكر الخيالة لنجدة الاقباط الذين كانوا محاصرين في قصر الشمع (اسم يطلقه العرب على بابيليون) فاسرع اليهم الأمير ومعه اربعة من الأمراء ثم تقدم قائد الفرقة ووصل قبل الأمير وحاول ان يمنعهم ويبدد شملهم فلم يفلح بل تناوله القوم بالحجارة وفي اثناء ذلك كان الأمير قد وصل فرآهم شارعين في حرق البوابة الكبيرة التي لم ينجحوا في كسرها . فهجم عليهم هجمة شديدة ففرقت جموعهم وفروا هاربين ونادى على الباقين ان يبتعدوا والا يقتلهم بالسيف فامتنعوا ثم اقسم باعلى صوته مهدداً كل من يبقى هناك بعد ساعة بالقتل فانصرف الجميع وتفرق الناس وبقي الامير هناك الى المساء خيفة من ان يعودوا الى الهجوم وقبل ان يبرح مكانه شدد على رئيس الحرس بالمحافظة على بابيليون وترك له خمسين جندياً يساعدونه

وقال المقريزي « وكان الامر في هدم هذه الكنائس عجباً من العجب وهو ان الناس لما كانوا في صلاة الجمعة في ذلك اليوم بجامع قلعة الجبل قام رجل موله وهو يصيح اهدموا الكنيسة التي في القلعة فتعجب السلطان والامراء من قوله وحسبه الكل مجنوناً ولكنهم مضوا من الجامع الى خرائب التتر من القلعة فاذا فيها كنيسة قد بنيت فهدموها » فتعجب السلطان من أمر هذا الفقير

وبحث عنه فلم يجده . وحدث ايضاً بالجامع الأزهر ان قام فقير وقال اهدموا كنائس الكفرة وما خرجوا من الجامع حتى رأوا النهابة ومعهم اخشاب الكنائس وثياب النصارى وغير ذلك من النهوب فاضطر السلطان عندئذ ان يرسل ايضاً بعض الامراء الى جهات أخرى في مصر ليمنعوا الناس عن هدم الكنائس وابعادهم عنها ولكن هؤلاء لم يفعلوا كالامير الاول بل توانوا وابطأوا حتى اذا ما وصلوا الى تلك الجهات المقصودة وجدوا الكنائس قد هدمت عن آخرها ونهب الناس كل ما بها وهكذا لم ينج من الهدم والنهب الا كنائس بابيليون والبيوت التي بها . أما كنائس مصر والفسطاط فهدمت جميعها أو معظمها. فشمل الخوف جميع الأقباط الساكنين بمصر والفسطاط فلم يجسروا على الخروج من بيوتهم وبقوا مسجونين فيها اياماً وبعضهم تركها وسكن ببابيليون لتحصنها وعدم امكان التغلب عليها بسهولة . وكانت الطرق في ذلك اليوم مريعة جداً لانها كانت غاصة بالنهابين الحاملين منهوبات الكنائس وبيوت النصارى. وفي ذلك اليوم وتلك الساعة ارسل يخبر والي الاسكندرية ان الرعاع بعد صلاة الجمعة هجموا على اربع كنائس وهدموها وفعل مثلهم رعاع دمنهور في البحيرة فهدموا كنيستين وفي قوص بالصعيد وقف فقير ودعا قائلا « يا فقراء اهدموا الكنائس » فخرجوا من الجامع فوجدوا الهدم قد وقع في الكنائس فهدمت منها ست وصارت ترد الى دار السلطنة كل يوم اخبار من الاقاليم تنبيء بقيام جماعة المتعصبين في مديريات الغربية والشرقية والبهنسا واسوان ومنفلوط والمنيا وغيرها في يوم الجمعة المشار اليه بالهتاف على الناس « ان اهدموا كنائس النصارى » فهدم منها ومن الأديرة عدد عظيم

فسخط السلطان على أمرائه وطلب منهم البحث على رؤساء العصابات وطلب الدرويش الذي دعا الى هدم الكنائس فلم يجده وقبض الامراء على بعض محركي الثورة فقال هؤلاء ان ما فعلناه كان بأمر السلطان فلم تتمكن الحكومة من ان تثبت أية تهمة عليهم مع ان السلطان لم يكن قد أمر بذلك . ولما أدرك السلطان ان هذه الحادثة دبرت قبل حدوثها اراد ان يقاص مدبريها فخشي الأمراء افتضاح الامر اذ كانت لم يدعيها تصادوا يتواقعون على السلطان وما زالوا به حتى

اقنعوه ان الله يسمح بخراب كنائس النصارى بالنسبة لتعظمهم وارتكابهم الشرور التي تنهي ديانتهم عنها (١)

وبعد مرور شهر على هذه الحادثة شعر أهالي القاهرة فجأة بحريق هائل في المدينة في يوم سبت واستمرت نيرانه اسبوعاً وكان الريح شديداً فخربت منازل كثيرة وظل رجال الحكومة يعملون على اطفاء النار ولكنه كان كل يوم يظهر حريق جديد حتى اضطربت البلاد اضطراباً عظيما وقام المتعصبون ينادون في الشوارع قائلين « ان النصارى هم الذين اشعلوا النار »

وقد أفاض المقريزي المؤرخ المسلم في سرد خبر هذه الحادثة وعنه استقى باقي المؤرخين الا ان روح تعصبه ظاهرة في ما كتب فهو يروي انه في يوم جمعة من شهر يوليه من تلك السنة قبض على راهبين وجدا خارجين من مدرسة فتحقق ظن الصائحين وسلموهما الى السلطان فأمر بتعذيبهما ولم يكد ينطق بالحكم حتى أتوه براهب آخر وجدوه في جامع الازهر ومعه عدة اكياس فيها نفط وقطران وبتعذيبهم اعترفوا بانهم رهبان دير يعرف بدير البغل بجهة طرا وانهم أربعة عشر وقد تعاهدوا على احراق مصر والفسطاط وانتقاماً من المسلمين على هدم كنائسهم وانهم اقتسموا القاهرة ومصر فجعل للقاهرة ثمانية ولمصر ستة

---

(١) وقال المقريزي يخبر عن الكنائس التي خربت حينئذ « وخرب من الكنائس كنيسة بخرائب التتر من قلعة الجبل وكنيسة الزهري في الموضع الذي فيه الآن البركة الناصرية وكنيسة الحمراء وكنيسة السبع سقايات وكنيسة بحارة الروم وكنيسة بالبندقانيين وكنيستان بحارة زويلة وكنيسة بخزانة البنود وكنيسة بالخندق واربع كنائس بثغر الاسكندرية وكنيستان بدمنهور الوحش واربع كنائس بالغربية وثلاث كنائس بالشرقية وست كنائس بالبهنساويه وباسيوط ومنفلوط ومنية الخصيب ثمان كنائس وبقوص واسوان احدى عشرة كنيسة وبالاطفيحيه كنيسة وبسوق وردان من مدينة مصر وبالمصاصة وقصر الشمع من مصر ثمان كنائس وخرب من الديارات شيء كثير واقام دير البغل ودير شهران مدة ليس فيهما أحد وكانت هذه الخطوب الجليلة في مدة يسيرة قلما يقع مثلها في الازمان المتطاولة هلك فيها من الانفس وتلف فيها من الاموال وخرب من الاماكن ما لا يمكن وصفه ولله عاقبة الأمور » اهـ

وفي أثناء ذلك ظهرت النار بدار القاضي كريم وهو من عائلة قبطية الاصل وأسلمت من مدة فاستدعى اليه بطريرك الاقباط واذ تأكد انه لا يعلم شيئاً عن هذه الحوادث اطلقه آمناً فسخط عليه العامة واتهموه بالكفر لانه حامى عن الذين حرقوا بيوت المؤمنين . أما القاضي فافهم السلطان ان بعض جهلاء الاقباط هم لذين أرادوا الانتقام من المسلمين على ما ارتكبوه ضدهم من الفظائع . فأمر السلطان باستمرار تعذيب الرهبان حتى يعترفوا باسماء الاغنياء الاقباط الذين حرضوهم على هذا الفعل ولكن الرهبان استمروا يحتملون العذاب بصبر . ولما لم يتحولوا عن كلامهم أرسل السلطان وهجم على دير البغل واتى بكل من فيه من الرهبان وامر بحرق اربعة منهم امام ذلك الجمع المحتشد . وانفجر بركان غيظ المسلمين على أثر هذه الحادثة وجالوا يبحثون عن الاقباط في كل مكان ليوردوهم موارد العذاب دون ان يراعوا اوامر الحكومة فهجموا على بيوتهم ونهبوها وقتلوا من بها بغير رحمة ومن هرب منهم قتلوه فى الطريق . وكانوا اذا عثروا بواحد منهم يسير فى الشوارع يسلبونه ماله ويذبحونه . وقد ادت بهم الجرأة الى ان اجتمع منهم كثيرون تحت قصر السلطان واحتجوا عليه في وجهه لمعاملته النصارى بالرفق . فرآهم حينما كان نازلا من القلعة الى الميدان وسمعهم يصيحون « نصر الله الاسلام » ويطلبون من السلطان ان يساعدهم على نصرته فلم يهتم بهم وسار الى الميدان وقبل وصوله اخبر ان اثنين من الاقباط قبض عليهما وهما يحرقان منزلا فاحتدم غيظاً وامر بحرقهما احياء امام الجموع وبينما هم يحرقونهما اذا بكاتب ديوان الامير بكتمر الساقي قد مر يريد بيت مولاه وكان نصرانياً فمنذ ما عاينه العامة القوه عن دابته الى الارض وجردوه من جميع ما عليه من الثياب وحملوه ليلقوه في النار فصاح بالشهادتين واظهر الاسلام واطلق واتفق حينئذ مرور القاضي كريم الدين بملابسه الرسمية فرجمه الرعاع بالحجارة وقذفوه بكلمات السباب المهينة فاراد ان يتوارى عنهم فلم يتمكن وظلوا يتبعونه حتى دخلوا خلفه ميدان السلطان الذى لما شاهد هذه الحماقة الزائدة امر باجراء التحقيق فأخبره الامير ان سيف الدين وجمال الدين بان القوم ثائرون ويلزم ان يسألوا عما يطلبونه والاوفق تهدئة لخواطرهم ان يأمر السلطان بطرد جميع الموظفين الاقباط

من دواوين الحكومة .

فاستهزأ السلطان بكلامها وطلب من قائد جيشه ان يأخذ قوة عسكرية يجول بها في كل شوارع القاهرة مبدءاً شمل دعاة الفتنة وحلف برأسه انه ان لم يحضر له كل من رجم القاضي كريم الدين بالحجارة يعرض رأسه للقطع . وارسل مع القاضي اربعة أمراء كانوا يميلون سراً الى اعمال الأوباش فاخطروهم بالامر قبل وصولهم اليهم فتفرقوا جميعهم وألقى القائد القبض على بعض الشحاذين وكل من شاهده في الشوارع فارتعب الاهالي وصاروا يطوحون بانفسهم في نهر النيل . ولما أحضر المقبوض عليهم امام السلطان وكان عددهم مائتي رجل أمر بالشنق على بعضهم وبالقتل على غيرهم وبقطع ايدي الباقين فبكوا بكاء مراً واقسموا انهم لم يرجموا القاضي فلم يلتفت السلطان اليهم وأصر على مجازاتهم بما امر فشنق بعضهم في اليوم الاول وفي اليوم الثاني قطعت ايدي وارجل ثلاثة منهم بحضرته وأمر ان يبقى المشنوقون معلقين حتى يراهم الجميع فارتعدت فرائص الامراء وأخذتهم الشفقة ولكنهم لم يجسروا على طلب العفو منه وكان القاضي غائباً فلما حضر وشاهد جثث هؤلاء المنكودي الحظ طرح نفسه امام السلطان واستعطفه وما زال به حتى عفى عن الباقين

ولكن لم يبرح السلطان مكانه حتى وفاه خبر بان النار علقت بجامع ابن طولون والقلعة وقبض على ثلاثة من الاقباط وقال المقريزي « انه باستنطاقهم اعترفوا جهاراً انهم من العصابة التي آلت على نفسها احراق مصر والفسطاط » وسواء كان هذا الخبر صحيحاً أم تدرع به المتعصبون ليشفوا غليلهم من الاقباط فان هذه الاشاعات هيجت الخواطر على اولئك المساكين . ودام الحريق سبعة ايام والناس يشنعون على السلطان لانه لم يجب طلبهم ويطرد الاقباط من الحكومة فاغتاظ السلطان وصار يقتل كل من يجده نصرانياً كان أو مسلماً . واشتد الهياج على الاقباط حتى اختفى هؤلاء من الموت الاحمر الذي كان يتهددهم وتحصنوا داخل بيوتهم لا يجسرون على الخروج منها لان من كانت تدعوه الحاجة الى الخروج يقبض عليه ويقدم للمحاكمة بانه شوهد يحرق بيتاً أو جامعاً .

وذات يوم حمل الرعاع قطعة قماش زرقاء رسم عليها صليب أبيض وجالوا يصيحون بنصرة الاسلام دون كل الاديان ورأى السلطان ان نفوسهم ما زالت متعطشة لشرب دماء الاقباط فخشي معارضتهم وارسل منادياً ينادي في الناس ان من يجد نصرانياً ويقدرعليه ويقتله فله ماله فركض الاوباش يفتشون على الاقباط ويا لهول ذلك الكرب الذي لحق بهم فكنت تراهم يجرون ألوفاً الى المذابح والذين لم يهلكوا منهم ميزوهم بلبس خاص فأمروهم بان لا يتزيوا بزي المسلمين وحكموا عليهم بلبس العمائم الزرقاء وبتعليق اجراس في اعناقهم خوفاً من ان يتدنس مسلم بلمسهم وحرموهم من التوظف بدوائر الحكومة او الامراء وكان من الجائز ذبح كل قبطي يرى لابساً عمامة بيضاء او راكباً فرساً او بغلا . وامروا من يريد منهم ان يركب حماراً بان يركبه مقلوباً . واستمر القتل والنهب مدة أسلم فيها جماعة كثيرة حتى مل الفاتكون رؤية الدماء البشرية تسيل على الارض فكفوا عن تتبع أثر النصارى

ولم يطل هذا السكون بل حدث في الليلة التالية حريق هائل انزوى بعده الاقباط في كل مخبأ رأوه صالحاً لاخفائهم من امام عيون مضطهديهم واستمروا مختبئين سنة ونصفاً اغلقت في اثنائها كل الكنائس . ولكن السلطان استعمل الحكمة بان اصدر امراً يمنع اضطهاد النصارى واشتغل بوضع قانون محكم يسيرون بموجبه

وفي سنة ١٣٢٩ م لما بدأ الاضطهاد يخف قليلا كتب ملك الحبشة لسلطان مصر يخبره بانه علم بما حل بنصارى مصر وطلب منه ان يعيد ما هدم من الكنائس والا يهدم جميع الجوامع القائمة في بلاده ولما كان سلطان مصر واثقاً بنفسه صرف رسل ملك الحبشة بدون جواب . غير انه لم يفته مصالحة النصارى فصرح لهم ببناء الكنائس التي هدمت بناء على طلبهم ذلك منه على شرط ان لا يتوسعوا فيها او يزيدوا عليها شيئاً غير ان بعضها هدم قبل تمام عمارتها بدعوى انهم زادوا في زخرفتها واعلاء بنائها ومنها كنيسة الست بربارة

ومما يدل على حطة الحال التي انتهى اليها الاقباط التعساء هو انه لما كانت الاضطهادات قد كفت عن اليهود كان القبطي اذا اراد ان يخرج من منزله يستعير

عمامة صفراء من احد اليهود ليلبسها حتى يخلص من أذى العامة . وحدث ان قبطياً من موظفي الحكومة كان يداين رجلا يهودياً بمبلغ من المال فلما طرد من وظيفته واصبح محتاجاً لماله توجه الى منزل اليهودي وطالبه بما له عنده فتظاهر اليهودي بان القبطي كان عازماً على الفتك به فتجمهر حوله كثيرون من المسلمين قصد الايقاع بالقبطي ولكن هذا دخل الدار واحتمى بزوجة اليهودي فطلبت العفو عنه بشرط ان يتنازل عن الدين فقبل ليفوز بحياته

وعلى هذه الصورة المحزنة انتهت حادثة هدم الكنائس وحادثة احراق الجوامع اللتان كانتا شؤماً على الاقباط وبعض المؤرخين ينسبها الى دسائس المماليك الذين كانوا يحسدونهم على نفوذهم في الدواوين . ومع ان السلطان منع النصارى من مزايا كثيرة عديدة الا انه رأى تعذر الاستغناء عنهم في انجاز مصالحه فظل قوم منهم في وظائفهم بالحكومة ولكي يحفظوا مركزهم تفننوا في وضع قواعد حسابية محكمة لا يدريها سواهم حتى لا يمكن الاستغناء عنهم

(٢) الملك الصالح سنة ١٣٥٢م . وتولى المعتضد بالله سنة ١٣٥٣ م.

وفي عهده حدث وباء مهلك فأتى قبطي من الارياف الى القاهرة وطاف بشوارعها ينذر الناس بالويل ان لم يقلعوا عن شرورهم فقبض عليه وأتى به امام قاضي الاسلام فصرح امامه بانه اتى ليقنع المسلمين بخطيئتهم فى ترك الديانة المسيحية وانه مستعد ان يموت شهيداً فقضي عليه بالعذاب مدة اسبوع وبعد ذلك قطعت رأسه وحرقت جثته . وحدث ايضاً فى احدى بلاد الارياف ان المسلمين شكوا قبطياً لقاضي البلدة بان جده كان مسلماً فحكم القاضي بضرورة اعتناقه للدين الاسلامى ولما ابى القى فى السجن فقام الاقباط وأخرجوه منه ليلا فقر رأي المسلمين في الصباح على اعدام كل قبطي فهرب الكثيرون منهم ولكنهم تمكنوا من القبض على عدد عظيم وعذبوهم أشد عذاب ثم هجموا على كنيستهم وسلبوها ذخائرها وبنوا بها جامعاً امام الكنيسة . وبعد ذلك مضوا الى قبور الاقباط ونبشوا جثث موتاهم واحرقوها . ولما ارتبكت احوال البلدة قدم الحاكم تقريراً الى السلطان يشكو فيه من تصرف قاضي البلدة ضد الاقباط وتبعه الاقباط

بشكوى اخرى الى الامير حسام بالقاهرة يطلبون فيها اعادة بناء كنيستهم فلما استقدم القاضي ليحاكم امام حكام القاهرة وبخهم احد المشائخ لمحاكمتهم لقاض مسلم من اجل اضطهاده للنصارى غير ان الحكام أصروا على ضرورة عزل القاضي فعزل

وقد اسلم كثيرون من الاقباط اوانئذ منهم اثنان احدهما يسمى موفق الدين والآخر علم الدين وكانا يكدران الحكومة بمنازعتهما المستمرة على منصب الوزارة فالغى السلطان هذا المنصب واستقل الاقباط بادارة الدواوين فصارت لهم راحة في اواخر ملك الناصر و بعده قليلا غير ان النصارى الذين اسلموا ووصلوا الى مراكز رفيعة أساءوا معاملة المسلمين وشددوا عليهم في الاحكام فاشتكى المسلمون منهم الى السلطان فأمر بابعادهم من ديوانه ودواوين الحكومة والامراء والا يبقى احد ولو اسلم والا يكرهوا على الاسلام منعاً للانتقام لانفسهم بواسطة اسلامهم وتوليهم الوظائف العالية . واذا اسلم احد منهم من تلقاء نفسه فلا يبرح باب احد الجوامع بل يعيش من احسان المسلمين اهل الخير

ويقول المؤرخون المسلمون انه اتفق ان سكرتيراً مسيحياً مر امام جامع الازهر بالقاهرة راكباً جواده ولابساً شرائط وعقالا ابيض على رأسه وامامه السواس يطردون الناس من امامه ويوسعون الطريق ويمنعون الزحام ومن ورائه عدد كبير من العبيد يلبسون الحلل الثمينة ويركبون الجياد المطهمة فلما رآه المسلمون على هذه الابهة اشتد غيظهم ووثبوا عليه وانزلوه من على جواده واخذوا يضربونه حتى أشرف على الموت لولا ان تمكن بعضهم من انقاذه فتقدم جمع عظيم الى الامير طاز وشكوا له تجاسر الاقباط على الظهور بهذا المظهر فاستصدر اوامر من السلطان تقضي باذلالهم ومنع كل اتصال لهم بدوائر الحكومة او الامراء وكانت نتيجة ذلك ان ابتدأ المسلمون في التسلط على الاقباط فصاروا يهدمون مساكنهم القائمة امام مساكن المسلمين وصاروا يتعقبونهم في الطرقات ويتعرضون لهم في الشوارع فيمزقون لباسهم ويضربونهم بقساوة شديدة ويلقون عليهم النار المشتعلة حتى اضطر الاقباط المساكين ان يختبئوا عن الانظار واصبحوا في حال يرثى لها ولبثوا مدة طويلة لا يظهرون في الطرق وكان يخال

للرائي انهم انقرضوا جميعاً

ولم يكتف المسلمون بذلك بل قدموا طلباً جديداً الى الحكومة ادعوا فيه ان الاقباط بدأوا ينهضون لتجديد كنائسهم وتوسيع مساحتها وطلبوا من السلطان ان يسمح لهم باضطهادهم فأمر والي القاهرة ان يكشف دعواهم ولكن العامة ابوا الانتظار وشرعوا في هدم الكنائس فهدموا كنيسة بجوار قناطر السباع واخرى بطريق مصر للامرى وكنيسة الفهادين بالجوانية ودير نهيا بالجزيرة وكنيسة بناحية بولاق الدكرور وسلبوا كل ما كان فيها من الذخائر والامتعة ثم تقدموا الى هدم باقي الكنائس وبدأوا بكنيسة البندقيين فلحقهم الوالي واراد منعهم فشتموه ورفضوا سماع كلامه وهدموا كنيسة شبرا واخذوا منها اصابع يد احد الشهداء وارسلوها للملك الصالح فأمر بحرقها امامه والقاء رمادها فى البحر حتى لا يأخذها النصارى فبطل عيد الشهيد من ذلك العهد الى هذا اليوم

وبعد ذلك كتب الملك الصالح الاحكام التالية فأمر بعدم استخدام النصارى في مصالح الحكومة حتى اذا اعتنقوا الاسلام ومن اسلم لا يسمح له بالعودة الى اهله او رؤيتهم الا اذا اسلموا مثله وان يلزم الجوامع لحضور الصلوات الخمس والجمع . واذا مات مسيحى يستولى المسلمون قسمة تركته على ورثته اذا كان له ورثة والا فهى لبيت المال والزم بطريرك الاقباط بالموافقة على هذه الاوامر

ولم يكد حكام الاقاليم يتسلمون هذه الاوامر حتى سمع ان الاقباط في كل مكان يقبلون بكثرة على اعتناق الديانة الاسلامية وتعلم القرآن وحولت كنائسهم الى مساجد وانه قد اسلم فى بلدة قليوب فى يوم واحد اكثر من اربع مائة وخمسين قبطياً وقدم حينئذ تقرير للسلطان الصالح ووزرائه شيخون وضرغتمش وطاز بما للكنيسة القبطية من الاملاك الموقوفة فاحيل على ديوان الاوقاف لفحصه ومعرفة ما تضمنه ففحصه الديوان ووجد مقدار الاطيان ٢٥ الف فدان فقرر السلطان بان ينعم بها على الامراء فاغتصبت من المسيحيين واعطيت لهم وكان ذلك داعيا لهدم عدة كنائس اخرى

وفي سنة ١٣٥٥ م تولى الملك الناصر حسن وكان الامير يلبغا الحاكم المتصرف محبا للاقباط ولكن بعض الرعاع قبضوا على قبطي في سنة ١٣٦٩ م وعذبوه

عذاباً أليماً حتى مات بحجة انهم اشتبهوا فيه بانه ساحر وانه تسبب فى وفاة زوجة الملك الشاب وهى ابنة الامير تاج الدين

أما ما كان من أمر للوظفين الاقباط المطرودين فانه لم يمض زمن حتى دعت الضرورة الى اعادتهم للخدمة . وفى تلك الايام وفد على مصر سائح انكليزي كتب يقول ان ملك مصر عرض عليه ان يسلم ويزوجه بابنته فأبى وقال ان السلطان قال له مرة ان النصارى بسبب معاصيهم خسروا مصر وسوريا ولو عبدوا الله حقاً لما استطاع احد ان يقهرهم وان المسلمين يعتقدون انه يجيء زمن لما يخلص النصارى النية نحو الخالق سبحانه وتعالى يسودوا على أرض مصر كلها

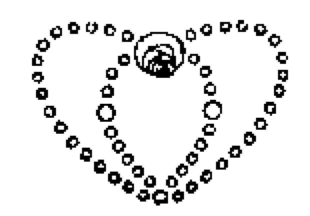
(٣) الملك المنصور سنة ١٣٨١ م . انتشبت فى ايامه ثورات ضد الاقباط رغم منع الحكومة اضطهادهم وحدث ان قبطياً يدعى ميخائيل أعلن اسلامه فتهلل به المسلمون وألبسوه حلة فاخرة واركبوه بغلا للسلطان وطافوا به المدينة بموكب عظيم ورقوه الى مركز سام في الحكومة بعد ارتداده بثلاث سنوات ولقب بالجاحد شعبان . اما عدد الاقباط فنقص كثيراً بسبب مظالم الحكام والآفات الربانية من جهة واقبال الكثيرين منهم على الاسلام اما طوعاً او كرهاً من جهة أخرى . ولما كثر الذين أسلموا منهم أبغضهم المسلمون الاصليون لانهم كانوا يزاحمونهم فى الوظائف الادارية العالية وهكذا لم يقدروا ان يرضوهم سواء اسلموا او لم يسلموا وقد آثر بعضهم الموت على هذه العيشة المرة .

الا ان الاقباط المرتدين أظهروا حينئذ ميلا عظيما للرجوع الى ديانتهم الاصلية . وفى سنة ١٣٨٩ م دخل منهم القاهرة عدد عظيم من الرجال والنساء جاؤا من الارياف قاصدين التكفير عن ارتدادهم بالاستشهاد فطافوا الشوارع يصيحون باعلى صوت قائلين « نحن نصارى نحن نصارى » ولما سئلوا عن سبب ذلك أجابوا اننا تركنا ديانة الانبياء الكذبة ورجعنا الى ديننا الحقيقي الذي لم نتركه لا خوفاً من الاضطهاد . فتألب حولهم المسلمون ونصحوهم بالعودة للاسلام ولكنهم رفضوا بجسارة كلية فحاول المسلمون ارهابهم ليرتدوا وساقوا كثيرين

من الرجال الى ميدان امام مدرسة الملك الصالح وهناك بدأوا يجزون رؤوسهم الواحد بعد الآخر . فلم يتزعزع واحد منهم . وقبض على بعض النساء ولكنهن تمسكن بايمانهن دون ان يجزعن فجردوهن من ثيابهن وجروهن الى سفح الجبل تحت القلعة وقطعت اعناقهن بقساوة زائدة حتى ان بعض المسلمين استفظعوا هذا الحكم ونقموا على القاضي الذي حكم به . وشوهد بعد ذلك راهب يعظ ضد الدين الاسلامى وأمامه رجل وثلاث نساء يشجعونه على الاستشهاد فقبض على الخمسة وقطعت رؤوسهم وأحرقت اجسادهم

وكان باقياً من عائلة زنبورة الشهيرة التي تقدم ذكرها رجل كان أسلم وسمي بعلم الدين حصلت بينه وبين أحد الامراء منافسة فكلف بعض أتباعه ان يشهدوا عليه زوراً بانه يدعي الاسلام وهو لايزال باقياً على نصرانيته وزوجته باقية على تلك الديانة ومع ذلك لم يتركها أو يكرهها على الاسلام فافتى العلماء بحرقه فقبض عليه واتي بزوجته وابنه وصاروا يضربونهما بالسياط حتى ماتا أمامه ثم عذبوه عذاباً شديدا حتى مات فاستولى العامة على ثروته

(٤) دولة المماليك الثانية . برقوق سنة ١٣٨٢ م . وحدث في ايامه ان اميرا مسلما تعهد بهدم كنيسة للاقباط كانوا يشتغلون فيها خمر الاباركة . فنهب منها الف جرة من الخمر المذكور وأمر بكسرها امام باب زويلة في الميدان الذى تحت القلعة . واقترح المجلس الاعلى على برقوق ان يضطهد الاقباط ولكنه رفض بل امر ان يقتل رجل اعتنق الديانة الاسلامية



القرن الخامس عشر

القسم الاول

تاريخ البطاركة

ــــــــــ

(١) غبريال ٥ (٢) يوحنا ١١ (٣) متى ٢ (٤) غبريال٦ (٥) ميخائيل ٤
(٦) يوحنا ١٢

ــــــــــ

(١) غبريال ٥ ــ البطريرك الثامن والثمانون . في اول هذا القرن اجتمع الآباء والشعب بالدار البطريركية لانتخاب بطريرك جديد فاختاروا الراهب غبريال من دير القلمون بالجيزة واقيم بطريركا فى ٢٦ برموده سنة ١١٢٥ ش و ١٤٠٩ م في عهد تملك السلطان الناصر فرج بن برقوق . وكان هذا البابا قبل ان يترهب كاتباً في الحكومة وفي مدة رئاسته فرغت خزينة البطريركية فكان يعتمد في الحصول على قوته الضرورى على احسان أولاده وكانت الكنيسة الحبشية ترسل اعانة للكنيسة المصرية فقطعتها في عهد البابا غبريال

وكان اذا أراد ان ينتقل من مكان الى آخر يسير على قدميه. وفى سنة ١٤١٨م دعاه مجلس الحكومة فلما مثل امامه هدده بالموت اذا لم يمنع الاحباش الذين تحت سلطته من مضايقة التجار المسلمين النازلين فى بلادهم فوعدهم بالكتابة الى ملكهم ليمنعهم . ولم يؤخره الاضطهاد الشديد الذى كان محيطاً به عن القيام بواجباته

فوضع كتاباً فى الطقوس الكنسية واشتغل بهمة في اصلاح ما أفسدته يد الاضطهاد واستمر في الرئاسة ثماني عشرة سنة وثمانية أشهر واثنى عشر يوماً وتنيح فى ٨ طوبه سنة ١١٤٤ ش و١٤٢٨ م وخلا كرسى الرئاسة بعده أربعة أشهر وأياماً .

(٢) يوحنا ١١ – البطريرك التاسع والثمانون. وفى المدة التى خلا فيها الكرسى بعد البابا غبريال كان يسوس فيها ادارة الكنيسة راهب من دير طره يدعى ميخائيل وكان لهذا الراهب حزب كبير يؤيده لنوال البطريركية ولكن عناية الله دبرت ان يقر مجمع الاساقفة والشعب على انتخاب من يدعى ابا الفرج من القاهرة وكان مشهوراً بالفضيلة والعلم ويقوم بالتدريس فى مدرسة قبطية عظيمة (بالمكس)

فأقيم ابو الفرج بطريركا ودعى يوحنا ال ١١ فى ١٦ بشنس سنة ١١٤٤ ش و١٤٢٨ م في عهد تملك الملك الاشرف ابي النصر برس باي واستمر قائماً بوظيفته بأمانة نحو ٢٤ سنة و ١١ شهراً و٢٨ يوماً وتوفى في ٩ بشنس سنة ١١٦٨ ش و٤٥٣ م وخلا كرسي الرئاسة بعده اربعة أشهر وأياماً

وفي أيام هذا البابا اجتهد ملوك الافرنج وعلى رأسهم ملك القسطنطينية فى مقاومة المسلمين ورأوا ان ذلك لايتأتى الا بزوال الخلاف الديني وايجاد الاتحاد بين مسيحي الشرق والغرب . فبعد تفكر طويل استقر الرأي على عقد مجمع لهذا الغرض بمدينة فلورنسا من أعمال ايطاليا يحضره اسقف رومية وبطريرك القسطنطينية وغيرهما من نواب الشعب الارثوذكسى . وكانت الكنيسة القبطية أيضاً قد أرسلت نائباً من قبلها لحضور ذلك المجمع يدعى يوحنا وهو رئيس دير انطونيوس ولكنه وصل الى فلورنسا متأخراً عقب انفضاض المجمع وكانت نتيجة انعقاده عودة اتحاد كنيستي اليونان والرومان وقام رؤساء الكنائس الى بلادهم على نية الاجتماع مرة أخرى . واذ لم ير الاب يوحنا بداً من العودة الى مصر تحصل على قرار من المجمع بقبول الكنيسة القبطية ضمن ذلك الاتحاد العظيم في جلسته القادمة. ولكن ذلك الاتحاد الذي كان يسعى اليه ملوك الافرنج وملك القسطنطينية

لم يتم بسبب تجاوز اسقف رومية حدود الاعتدال في طلباته

ويدعى المؤرخون الكاثوليك بناء على ذلك ان الكنيسة القبطية خضعت لاسقف رومية حيناً من الزمن وانه كان المقصود من ذلك المجمع اعادتها الى الخضوع لسلطانه مرة أخرى وفي ذلك قالت المؤرخه الانكليزية مدام بوتشر :— « ولكني أقول انها لو كانت خاضعة له من قبل كما يقولون لما كان يعين بطريركا خاصاً له فى ابروشية الاسكندرية ذاتها التي فيها البطريرك القبطى مما يثبت صحة الانفصال وعدم الخضوع . ومع ذلك فانه لم يكن الغرض من قبول الكنيستين اليونانية والقبطية بالدخول في مجمع فلورنسا الخضوع للبابا بل مجرد المصالحة والمسامحة بين الكنائس الشرقية والغربية ولم يحبط ذلك السعى الا لما رأى رجال الكنيسة اليونانية والكنيسة القبطية ادعاآت بابا رومية الغريبة وطلبه السلطة العليا لنفسه فكان هذا سبب رفض اليونان والاقباط شروط ذلك المجمع وانكارها لما عرضت عليهم وأدركوا سوء القصد من ذلك الاتحاد » اه

(٣) متاؤس ٢ — البطريرك التسعون . بعد وفاة البابا يوحنا وافق مجمع الاساقفة والشعب على تكريس متاؤس أحد رهبان الدير المحرق واقيم بطريركا في ١٣ توت سنة ١١٦٩ ش و١٤٥٣م في عهد تملك الظاهر . واستمر في البطريركية نحو ثلاث عشرة سنة وتوفى في ١٣ توت سنة ١١٨٢ ش و١٤٦٦م وخلا الكرسى بعده أربعة أشهر واياماً

(٤) غبريال ٦ — البطريرك الحادى والتسعون . بعد وفاة البابا متاؤس الثانى اختير للبطريركية الآب غبريال السادس وهو من الغربية . قدم بطريركا في ١٥ امشير سنة ١١٨٢ ش و١٤٦٦ م في عهد تملك الملك الظاهر خوش قدم الناصرى واستمر فى البطريركية ثمان سنوات وعشرة اشهر وبعض ايام وتوفى في ١٩ كيهك سنة ١١٩١ ش و١٤٧٥ م وخلا الكرسى البطريركي بعده سنتين ونحو الشهرين

(٥) ميخائيل ٤ — البطريرك الثاني والتسعون . وقد خلف البابا غبريال السادس البابا ميخائيل الرابع وهو من سمالوط وقيل سنباط أقيم بطريركا فى ١٣ امشير سنة ١١٩٣ ش و ١٤٧٧ م فى عهد تملك الاشرف ابى النصر قايت باي

الظاهري المحمودي وأقام في البطريركية سنة واحدة وثلاثة أيام وتوفى في ١٦ امشير سنة ١١٩٤ ش و١٤٧٨ م وخلا بعده كرسي الرئاسة سنتين وشهرين وسبعة ايام .

(٦) يوحنا ١٢ — البطريرك الثالث والتسعون . وكرس بطريركا بعد البابا ميخائيل البابا يوحنا الثاني عشر وهو من نقاده أقيم بطريركا في ٢٣ برموده سنة ١١٩٦ ش و١٤٨٠ م في عهد الملك الاشرف قايت باي واقام فى البطريركية ثلاث سنوات واربعة أشهر واياماً وتوفى في ٧ توت سنة ١٢٠٠ ش و ١٤٨٤ م وخلا كرسي الرئاسة بعده خمسة اشهر

القسم الثانى

المملكة والكنيسة

(١) الملك العادل (٢) المحمودي (٣) الأشرف برس باي (٤) المستنجد

(١) الملك العادل سنة ١٤١٢ م . وفي أيامه شرع المسلمون في تدبير طريقة بها يلاشون الاقباط عن بكرة أبيهم فاهتموا بمعرفة اسمائهم وعددهم ومقدار ثروتهم وفرض السلطان ضريبة على جميع الاقباط وانشأ لهذا مكتباً

ليقيد فيه اسماء مواليدهم ووفياتهم فقسموا الى ثلاث طبقات . طبقة الاغنياء وقرروا عليهم ضريبة اربعة دنانير عن كل نفس . وطبقة المتوسطين يدفع كل واحد دينارين وطبقة الفقراء ديناراً واحداً . ومع ان هذا السلطان كان يمقت الاقباط كاسلافه الا انه ميلا للسلام ضغط على المعتدين وأمر بانصاف المظلومين فسخط عليه العامة

(٢) المحمودى سنة ١٤١٢ م . وفي عهده صرح للماليك باضطهاد الاقباط فاغتصب منهم قائد الحرب مبلغاً عظيما من المال وفرض ضريبة باهظة على الخمر الذي كان يتاجر فيه كثيرون من الاقباط ببابيليون . وأمر القائد جنوده بالهجوم على بابيليون بحجة اتلاف ما فيها من الخمر فهجموا على الاقباط واستمروا يوقعون بهم ولم يكفوا حتى استرضاهم الاقباط بمبلغ وافر من المال .

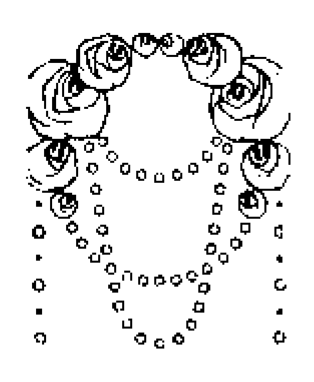
وفي سنة ١٤١٨م صدر امر برفت كل الاقباط الذين تمكنوا من التوظف في الحكومة وبدأوا بقبطي كان سكرتيراً للوزير الاول فأمر السلطان بحبسه وتعذيبه فعروه من ثيابه وجروه في شوارع القاهرة وامامه موظف مسلم ينادي قائلا « هكذا يفعل بكل موظف قبطي » فاسلم من الموظفين كثيرون واختفى باقيهم في منازلهم ولكنهم اسلموا فيما بعد لشدة الضيق. وقيل ان كثيرين منهم اسلموا على زعم انهم يتمكنون بعد الاسلام من الانتقام من معذبيهم

(٣) الاشرف برسباى سنة ١٤٢٢ م . اكتشفت في ايامه مؤامرة سرية بين ملك الحبشة والصليبيين الغرض منها محو الديانة الاسلامية

(٤) المستنجد سنة ١٤٥٣ م . وفي ايام المستنجد أوقد المماليك النيران في الاحياء المسيحية في القاهرة وباقي المدن المصرية وواصلوا النهب والسلب فارسل ملك الحبشة سفيراً من قبله في زمن الملك المنصور يوصيه خيراً بالاقباط الذين كانوا واقعين حينئذ تحت الاضطهاد . وفي ايام خوش قدم سنة ١٤٦١ م

هجم المماليك على الاقباط في مصر القديمة ونهبوا منهم كل ما وصلت اليه ايديهم. وفي ايام قايت باي سنة ١٤٦٧ لم تصدر الحكومة قراراً باضطهادهم ولكن الرعاع لم يكفوا عن التحرش بهم رجاء نهبهم وسلبهم . واستخدم كثيرون من الاقباط في اقامة المباني التي شيدت في ايام قايت باي

وفي سنة ١٤٨٤ م هجم عرب الوجه القبلي على ديري انطونيوس وبولا وقتلوا جميع من فيهما من الرهبان وبقيا خراباً نحو ثمانين سنة وكان فيهما مكتبتان عظيمتان تحتويان على عدد عظيم من الكتب القديمة الثمينة فجمعوها وأحرقوها عن آخرها ولم يبق فيها الا ما خفي عن عيونهم



القرن السادس عشر

القسم الاول

تاريخ البطاركة

....

(١) يوحنا ١٣ (٢) غبريال ٧ (٣) يوحنا ١٤ (٤) غبريال ٨

....

(١) يوحنا ١٣ ـ البطريرك الرابع والتسعون . استحق نوال هذه الوظيفة السامية لانه كان محسناً على الجميع بدون استثناء واصله من بلدة صدفا بمديرية اسيوط واقيم بطريركا فى ١٥ امشير سنة ١٢٠٠ ش و ١٤٨٤ م فى عهد الملك الاشرف .

وكانت الملاقات بين الكنيسة الحبشية وأمها الكنيسة القبطية في ذلك الحين فاترة بسبب تتابع اغارات ملوك مصر على بلاد الحبش . فسعى داود ملك الحبشة وعقد محالفة مع البرتوغاليين لينتصر بهم على ملوك مصر المسلمين فنزح كثيرون من البرتوغاليين الى بلاد الحبش ولما رأوا هـذه المملكة بدون رئيس ديني حرضوا ملكها على قبول مطران على الحبشة من البرتوغاليين المقيمين فى بلاده وفعلا طلبوا منه ان يطلب من اسقف رومية ان يكرس له مطراناً . وكان الاختيار قد وقع على رجل برتوغالي ببلاد الحبش يدعى يوآس برمودز فسافر الي رومية فرسمه اسقفها مطراناً علي الحبشة وسماه بطريرك الاسكندرية . فعد

القبط والروم هذا تعدياً من اسقف رومية وانكروا عليه الحق في ذلك وأبوا معرفة الشخص الذى عينه بأية صفة . ومن تصرف اسقف رومية هذا يتضح كذب مؤرخي الكاثوليك الذين يدعون ان الكنيسة القبطية في ذلك الوقت كانت خاضعة لكنيستهم اذ لوكان ذلك صحيحاً لما كان هناك موجب لتسمية بطريرك غير بطريركها القبطي اوكان يجب على اسقف رومية عزله قبل تعيين سواه

اما البابا يوحنا فاستمر على الكرسي البطريركي مجاهداً في سبيل رفع مقام كنيسته مدة اربعين سنة الا اربعة ايام أتم فيها اصلاحات شتى ووضع مؤلفات كثيرة في الدين المسيحي ثم توفى في ١١ امشير سنة ١٢٤٠ ش و١٥٢٤ م واستمر كرسي الرئاسة خالياً بعده سنة وثمانية أشهر

(٢) غبريال ٧ — البطريرك الخامس والتسعون . كان يدعى أولا روفائيل وهو من منشاة الدير المحرق وترهب بدير السريان ببرية شيهات وأقيم بطريركا في ٤ بابه سنة ١٢٤٢ ش و١٥٢٦ م في عهد السلطان سليمان وكان له اهتمام زائد في عمارة الاديرة فعمر ديري القديس انطونيوس والقديس بولا بعد دمارهما ببرية العربة بالجبل شرقي النيل باقليم بنى سويف والبهنسا. وعمر أيضاً دير المحرق بالوجه القبلي . ولما قام عرب بني عطيه ونهبوا دير القديس بولا واخربوه وقتلوا راهباً من رهبانه وشتتوا شمل الباقين اجتهد واهتم في عمارته ثانياً وعمره بالرهبان

وكان البابا غبريال مهيباً ذا نفوذ لدى أمته وفي أواخر حياته طالبه السلطان سليم بما لايقدر عليه من الغرامة فرحل قاصداً الاديرة ببرية العربة وبينما هو عابر النهر من جهة الميمون أدركته المنية فتوفى في ٢٩ بابه سنة ١٢٨٥ ش و١٥٧٠ م وبعد وفاته لم يوجد شي من المال مخلفا عنه لأنه صرف ايراداته بأسرها في منافع الامة . وكانت مدة رئاسته ٤٣ سنة وخلا كرسى البطريركية بعده خمس سنوات ونحو ستة أشهر

وفى ايام هذا البابا مات ملك الحبش وتولى مكانه ولده المسمى اقلاديوس فسار على خطة ابيه مسالماً البرتوغاليين ومحترماً لبرمودز البطريرك الروماني ولما

انكرت القوات الاسلامية التى كانت تهدد بلاده رفض الاعتراف بسيادة اسقف رومية واوقف برمودز عند حده وأعلمه انه اذا اراد البقاء في بلادالحبش فلا يعتبر نفسه أكثر من ضيف واجب اكرامه لانه لا يريد ان يكون خاضعاً لغير بطريرك الاقباط . ثم ارسل وفداً الى البابا غبريال يلتمس منه ان يرسل له مطراناً جديداً ويعلن له انه هو رئيسه الروحى الوحيد. فرسم له البطريرك كاهناً يدعى يوسف وشيعه اليه فقابله الملك ورعيته باكرام زائد وانشراح خاطر وهكذا عادت العلائق بين الاقباط والحبش الى ما كانت عليه قبلا بعد ان تعطلت نحو ثمانين سنة

أما المطران اللاتيني فلما رأى استحالة ضم الكنيسة الحبشية الى الكنيسة الرومانية عاد الى بلاده وأوقف اسقف رومية على الخبر فاستاء اغناطيوس احد رؤساء الرهبنة فى رومية من هذا الخذلان المعيب وتوسل الى اسقفه ان يرسله الى الحبشة فخشي ان يقتل وأرسل عوضه رجلا يدعى نونو باريتو وكاهنين آخرين فسار الثلاثة الى جوا فاقام بها باريتو واستمر الكاهنان فى سفرهما حتى وصلا بلاد الحبش فقابلهما اقلاديوس بكل لطف وأفهمهما انه يرفض قطعياً الاعتراف بسلطة اسقف رومية على شعبه وانه لا يخضع الا لكرسى مارمرقس الانجيلي والرسول . ولزيادة لطفه سمح لهما بالاقامة في بلاده وهو واثق من ثبات شعبه على ارثوذكسيتهم الى ان خلفه على العرش أخوه مينا فاظهر الاستياء للكاهنين وسخط عليهما حتى اصبحا منفردين لا يكلمهما أحد . فاغتاظا منه وأغريا احد كبار الجيش على اتباع مذهبهما ثم حسنا له عقد محالفة مع المسلمين ضد ملكه

واذ شعر مينا بالامر أسرع في تأديب هؤلاء العصاة ووصل الخبر لاسقف رومية بفشل ارساليته الثانية لبلاد الحبش فارسل رسلا الى البابا غبريال يطلب منه انضمام الكنيسة القبطية للكنيسة اللاتينية فقابلهم البطريرك بكل لطف واعلمهم بكل تأدب انه لاينحرف قيد شعرة عن التمسك بعقائد كنيسته المقدسة فالتمس منه رسل اسقف رومية بما له من النفوذ على بلاد الحبش ان يطلب من ملكها ان لايمس الكاهنين الرومانيين بسوء فسمح لهما الملك بالاقامة في بلاده كراماً لخاطر البطريرك ولكنهما لما لم يحسنا سيرهما واشتهرت رداءتهما سخط

عليهما الاحباش وكادوا يقتلونهما فقدما تقريراً للاسقف الروماني يقولان فيه « ان الحبشة لاترتد عن ايمانها الا بقوة السيف » فاستدعاهما الاسقف اليه وبذا تم خذلان الاسقف الروماني في جذب الحبش اليه

(٣) يوحنا ١٤ ـ البطريرك السادس والتسعون . أقيم خلفاً للبابا غبريال في ٢٢ برموده سنة ١٢٩٠ ش و١٥٧٤م في عهد سلطنة مراد الاول . وهو من منفلوط وكان راهباً بدير العذراء المعروف بالبرموس ببرية النطرون . وكان من أمره ان الدولة كلفته بجمع الجزية من المسيحيين فطاف بلاد مصر القبلية وجمعها وأداها للحكومة . ومن المضايقات التى كان يتقصده بها الوزراء رحل مرة ثانية الى الصعيد وثالثة وأخيراً الى الاسكندرية ولما سكن الاضطراب عاد منها الى السمارية وبها ضعف وتوفى في ٣ من نسيء سنة ١٣٠٥ ش و ١٥٨٩ م بعد ان استمر في البطريركية خمس عشرة سنة وأربعة أشهر وأياماً وخلا الكرسي بعده أربعة أشهر .

وحدث فى أيامه أمر يدل على ان اسقف رومية لم يكتف بالخذلان الذي أصابه في بلاد الحبشة ولم يثنه ذلك عن عزمه فى ضم أقباط مصر إليه ولما رأى انهم يقاسون من المسلمين العذاب أشكالا وألواناً ولا سيما منذ خضعت مصر لملوك العثمانيين فان الولاة كانوا يفضلون الروم عليهم اتخذ ذلك فرصة مناسبة لاخضاعهم لرئاسته وجعلهم تحت حمايته . فأرسل الاسقف الرومانى وكان حينئذ غريغوريوس ال ١٣ بعض رجاله الى مصر فاجتمعوا بالبابا يوحنا وكان شيخاً متواضعاً محباً للسلام فما زالوا به حتى أقنعوه انه اذا خضع لكنيسة رومية بشروط سهلة يضمن بذلك حماية الاقباط ويأمن غائلة الاضطهادات الاسلامية أما هو فيبقى بطريركا على جميع الامة كما هو بدون نقص شيء من كرامته أو سلطته . وأشاروا عليه ان يدعو جميع الاساقفة ليقصوا عليهم الامر ويعرضوا عليهم طلبات اسقفهم ويشرحوا لهم الغرض منها

فدعا البابا يوحنا الاساقفة واخبرهم بما يميل اليه اسقف رومية من الاتحاد معه فاظهروا ارتياحهم الى الاتحاد بين الطوائف ولكن لما انعقد المجمع وسمع

الاساقفة آراء نواب اسقف رومية هاجوا وعارضوا معارضة شديدة كما رفضوا اقتراحات اسقف رومية رفضاً باتاً واشتد النزاع وقويت المعارضة وصرخ الاساقفة قائلين « ان موافقتنا على طلبات اسقف رومية تضر في المستقبل باستقلال الامة الديني الذي اشتراه آباؤنا بسفك دمائهم »

ولكن يظهر ان البطريرك لشيخوخته وبساطته وسلامة نيته وميله لحماية أولاده من اضطهاد المسلمين أظهر ميله للاتفاق ولكن الاساقفة عارضوه بشدة ولما لم تتفق الآراء على شيء انفضت الجلسة على نية الاجتماع ثانياً . ولكن اتفق ان البطريرك توفى في تلك الليلة فاحبط المسعى وذهبت كل الاتعاب سدى والمؤرخون الكاثوليك يقولون ان البطريرك مات مسموماً والمؤرخون الافرنج ينفون ذلك . أما رسل اسقف رومية فالقى والي مصر القبض عليهم كعيون غرباء واتهمهم بالقاء دسائس الفتنة بين الرعايا والقاهم في الحبس فرق لهم بعض كبار الاقباط ودفعوا خمسة آلاف قطعة من الذهب مقابل اطلاق سراحهم ليعودوا الى بلادهم فشكرهم اسقف رومية وهو سكستوس الخامس الذى خلف غريغوريوس ال ١٣ على فعلهم ورد لهم المال

(٤) غبريال ٨ — البطريرك السابع والتسعون. انتخب بطريركا خلفاً للبابا يوحنا وهو من منبير وكان يدعى أولا شنوده وهو راهب من دير القديس بشوى وكرس بطريركا في ١٦ بؤونة سنة ١٣٠٦ ش و١٥٩٠ م في عهد سلطنة مراد بن سليم . وفى أيامه ذاق المسيحيون طعم الراحة لشدة حاجة المسلمين في أشغالهم الى مهارتهم الكتابية واستقر هذا البابا على كرسي البطريركية مدة ١١ سنة وتوفى في ٩ بشنس سنة ١٣١٨ ش و١٦٠١ م

وفي عهده جدد اسقف رومية مساعيه ليحمل الكنيسة القبطية على الاعتراف بسيادته عليها فاظهر في مخابراته للبابا غبريال الثامن كل التساهل والتودد الا انه لم ينجح بالمرة لان مساعيه لم تكن صادرة عن غيرة دينية صحيحة بل عن ميل الى حب الاستئثار والادعاء بالسلطة الامر الذى فضلا عن مخالفته لاوامر السيد المسيح الصريحة فقد جر كل الويل على المسيحيين فى كل العصور . ويقول

بارونيوس المؤرخ الروماني ان البابا غبريال أظهر ميلا للخضوع لسلطة كنيسة رومية نظير سلفه البابا يوحنا وان الاتفاق والاتحاد المذكور قبلته الكنيسة القبطيه في ينايرسنة ١٥٩٥ م وهذا القول بعيد عن الصحة بعد السماء عن الارض . لان اسقف رومية وهو اكليمنضس الثاني لما طلب من البابا غبريال الخضوع لسلطته رد عليه برقة اعتادها باباوات الكنيسة المصرية نخالها اسقف رومية رضى واستكانة .

OOOOOO

القسم الثانى

المملكة والكنيسة

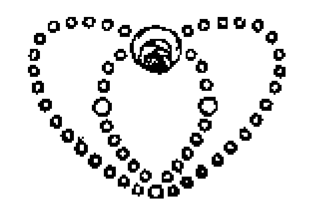
••••••••

الحالة بوجه عام في زمن احتلال المملكة العثمانية

OOOOOO

احتل يسلم بن بيازيد سلطان الدولة العثمانية مصر في سنة ١٥١٧ م فسار على منوال الملوك الفاتحين من الجور والظلم ولم يغب الاقباط عن ذاكرة أي فاتح لمصر ليتركهم يتذوقون طم الراحة قليلا بل كانوا دائماً فى طليعة المنكوبين واهتم بأمرهم السلطان بيازيد فاضطهدهم بشدة ومع ان السنين التى سلفت كان الاقباط فيها

يشعرون بالراحة نوعاً الا انه لما بدأ هذا السلطان باضطهادهم تحرك عليهم المسلمون قاصدين اضطهادهم. غير ان اصحاب الحرف والأعمال منهم كانوا معافين من الاضطهاد لمعرفة المسلمين باحتياجهم اليهم ولهـذا كانوا يحببون اليهم الاسلام لتروج صناعتهم اكثر فاعتنق في اثناء الفتح العثماني كثيرون من الصناع المسيحيين الديانة الاسلامية .



القرن السابع عشر

القسم الاول

تاريخ البطاركة

○○○○○○

(١) مرقس ٥ (٢) يوحنا ١٥ (٣) متاؤس ٣ (٤) مرقس ٦
(٥) متاؤس ٤ (٦) يوحنا ١٦

••••••••

(١) مرقس ٥ ـ البطريرك الثامن والتسعون . أقيم خلفاً للبابا غبريال

في أول توت سنة ١٣١٩ ش و ١٦٠٢ م فى عهد سلطنة محمد بن مراد واصله من بلدة البياضية بمديرية اسيوط وكان عالماً ورعاً تقياً محباً للخير صبوراً على المكاره واشتد العمال فى ايامه على رعيته شدة عظيمة فكان يكثر من الطواف بين الناس ويحضهم على الصبر والسكون

وفي ايامه سرت بين الاقباط عادة اتخاذ زوجات غير شرعيات على طرق مختلفة لاسيما بين نصاري جهة الرديئية حتي قام مطران دمياط وجاهر بان تعدد الزوجات غير ممنوع في الانجيل . ولما لاحظ البابا مرقس ذلك اصدر منشوراً يحرم فيه تعدد الزوجات وحرم المطران الذى علم به . فاتفق المطران هو وبعض الاقباط الذين يشغلون مراكز خطيرة فى الحكومة على الايقاع بالبطريرك فشكوه لجعفر باشا الحاكم المسلم فرآها فرصة مناسبة لاذلال شأن الاقباط فدعا

اليه البابا مرقس وامر بضربه حتى اشرف على الموت وعزله من منصبه وحبسه في برج الاسكندرية

أما المطران وحزبه فخدعوا راهباً من البياضية واقاموه بطريركا فصرح لهم بالطلاق و بتعدد الزوجات و بعد وقت قصير اهتاج مسيحيو القاهرة والصعيد وقام رهط منهم الى الوالي واقنعوه برد البطريرك المسجون الى مرتبته فرده وخضع كل حزب لبطريركه الى ان ضعف حزب الراهب وانحلت عراه فمضى الى بستان وجعل يعمل فيه حتى وافاه القدر المحتوم واستقل البابا مرقس حتى تنيح في سنة ١٣٣٠ ش و ١٦١٣ م وكانت مدة رئاسته ١١ سنة

واستأنف اسقف رومية مخابراته مع هذا البطريرك بشأن انضمام الكنيسة القبطية له والكاثوليك ينسبون عزله الى دسيسة من بعض كبار الاقباط لما رأوا فيه الميل الى عقد اتفاقية مع اسقف رومية ويقولون لو لم يكن والى مصر عزل البطريرك مرقس فجأة لكانت الكنيسة القبطية قد خضعت للسلطة الرومانية . والأمر واضح مما سلف ان سبب عزله خلاف ماذكر فتأمل

وفي سنة ١٦٠٤ م اهتمت الكنيسة القبطية بمقاومة الارساليات الكاثوليكية ببلاد الحبشة . وقبل ذلك الوقت باربع سنوات أوفد من قبل اسقف رومية يسوعى يدعى بيدوفيز فلم يصل الى مصوع حتى سجنه الاحباش ولكنهم اطلقوه فيما بعد وصرحوا له بالبقاء بينهم فقضى وقتاً منعزلا بمدينة فريموتا ثم عكف على درس لغتهم حتى اتقنها وانتشر اسمه حتى وصل الامبراطور فاستدعاه اليه ولما مثل امامه اخذ يظهر براعته في معرفة اللغة الحبشية وجادل كهنة الاحباش بها وفاز عليهم فسمح له الامبراطور ان يعظ الجمهور فالقى عظة اثر بها على الامبراطور حتى رغب في اعتناق المذهب الكاثوليكى وتبعه رجال بلاطه فقامت قيامة الاحباش تحت زعامة المطران القبطي واشتبك القتال بينهم وبين الامبراطور فذبحوه وانكسر قومه وقام مكانه آخر

فحول فيز اليسوعى نظره الى الامبراطور الجديد قاصداً ان يستميله ايضاً للمذهب الكاثوليكى فنجح وسمع ان الحبشة سترسل وفداً الى الفتيكان تعلن خضوعها له فاشهر المطران القبطى حرم كل من ينحاز للكاثوليك واشتد هياج

الشعب الحبشي ثانية وحاول اسقاط الامبراطور ولكنه تغلب عليهم واستمر الهياج يزداد خصوصاً بعد ان اعلن الامبراطور اعتناقه للمذهب الكاثوليكي. ولبث النزاع قائماً حتى انقطعت انفاس فيز فهدأ الشقاق وبطلت حركته

(٢) يوحنا ١٥ — البطريرك التاسع والتسعون. وبعد وفاة البابا مرقس انتخب الاقباط لهم بطريركا جديداً وهو البابا يوحنا ال ١٥ في سنة ١٣٣٠ ش و١٦١٣ م فى عهد سلطنة عثمان بن محمد واصله من ملوى. وكانت الضيقات لم تزل تترى على شعبه فجال فى ابروشياته مرتين يعزى المكروبين وبينما كان يطوف بين رعيته وجد فى ابنوب وجيهاً عنده محظية فنصحه وارشده واذ لم يرعو حرمه فاغتاظ الرجل منه ودس له السم فى الطعام فلما شعر بدنو الاجل نزل في مركب فعاجلته المنية في البحر وتوفى سنة ١٣٤١ ش و١٦٢٣م وكانت مدة رئاسته عشر سنين

وفى خلال مدة البابا يوحنا مات الملك الحبشي الذى اعتنق الكاثوليكية وتولى ابنه باسيليوس فاضطهد تابعى الكاثوليك وارسل الى البطريرك القبطى لكى يرسل له مطراناً وسمح للمرسلين الكاثوليك ان يقيموا فى بلاده على شرط ان لا يتعرضوا لمعتقد اهلها ولكن لما شعر بانهم ساعون فى استحضار جيش البورتغاليين ليؤيدوا مذهبهم بالقوة أمرهم ان يبرحوا البلاد فلم يطيعوا واتفقوا مع كبير من الاحباش كان عاصياً في وجه ملكه ولكن بعد اتحاده معهم باعهم كالعبيد الى تجار الاتراك فاستخلصهم الملك من ايدي التجار ولكنهم لم ينجوا من ايدي الاحباش فقبضوا عليهم وقتلوهم فهدأت البلاد بعد حروب وارتباكات دامت سنين وانتهت بقطع دابر الكاثوليك وطرد كل متمذهب بمذهبهم من بلاد الحبش ومنع دخول الغرباء اليها لغير التجارة واكتساب المعايش

واتصلت هذه الاخبار باقباط مصر وذكرتهم باوقات اضطهاد الملوك الرومانيين لهم فلم يقبلوا من اسقف رومية هناء ولا عزاء ولكنهم لم يبدوا انفة من وجود الافرنج وجماعة الكاثوليك بينهم لما حضر بعضهم الى مصر وتوطنوا بها للتجارة بمقتضى المعاهدات الدولية التي عقدت منذ الجيل السادس

عشر للميلاد بين ملوك أوروبا والمملكة العثمانية

(٣) متاؤس ٣ — البطريرك المائه . أقيم بطريركا سنة ١٣٤١ ش و١٦٢٣م في عهد السلطان ابرهيم واصله من طوخ دلكه وكان اسمه تادرس رئيس دير أبي مقار وفي مدته وقع غلاء وقحط وأكلت الميتة . وارسل مطرانا الى الحبشة من اسيوط فلم يقبلوه فكرس غيره وقضى على الكرسي ١٩ سنة وتنيح في توت سنة ١٣٦٠ ش و١٦٤٢ م وخلا الكرسي بعده خمس سنوات

(٤) مرقس ٦ — البطريرك المائة والواحد . كرس بطريركا في ١٧ برموده سنة ١٣٦٢ ش و١٦٤٦ م في عهد السلطان محمد وهو من بهجورة من دير انطونيوس بالعربة وكان للمعلم بشارة من أعيان القاهرة يد في تقدمته .

وفي أوائل رئاسته تنافس مع المعلم بشارة مدة طويلة ولم تكد تنتهي هذه المنافسة حتى لاقى صعوبة أخرى وذلك انه أصدر امراً يمنع فيه الرهبان من التجول في البلاد فتعصبوا عليه وشكوه للوالي فقبض عليه والقاه في السجن ولم يخرج منه حتى وقع في غرامة جسيمة ولم يسترح بعد خروجه من السجن حتى تنيح في ٧ برموده سنة ١٣٧٢ ش و١٦٥٦ م بعد ان قضى على الكرسي مدة عشر سنين .

(٥) متاؤس ٤ — البطريرك المائة والثاني . كان يدعى أولا جرجس وهو من ناحية مير وترهب بوادي النطرون بدير البرموس واشتهر بالتقى والعلم والورع وانتخب للبطريركية وأرسلت الجماعة تطلبه فامتنع فقام حزب من المصريين ورغبوا في تعيين خلافه فلما لم يتم لهم أحضر المنتخب الاول بواسطة الدولة وحضر الاثنان وعملت بينهما القرعة في الكنيسة وفي دار الولاية وفي الجهتين جاءت النتيجة باسم جرجس المنتخب أولا فاقيم بطريركا في آخر هاتور سنة ١٣٧٧ ش و١٦٦٠ م في عهد السلطان محمد

واستمر هذا البطريرك في الرئاسة اربع عشرة سنة وثمانية أشهر ونصفا

وقاسى شدائد مختلفة وعاش حتى رأى السلام ناشراً ألويته ووقع في عهده سنة ١٣٨٧ ش فناء عظيم سمي الموت الخارق وارسل مطرانين للحبشة شنوده وخيروستوذولو. وكان هذا البطريرك آخر من سكن من البطاركة في حارة زويلة ومن بعده انتقل مركز البطاركة الى حارة الروم وتوفى في ١٦ مسرى سنة ١٣٩١ ش و١٦٧٥ م ودفن بدير مركوريوس وخلا الكرسي بعده سبعة أشهر

(٦) يوحنا ١٦ ــ البطريرك المائة والثالث . كرس بطريركا في ١٢ برمهات سنة ١٣٩٢ ش و١٦٧٦ م في عهد السلطان محمد . وكان يدعى اولا ابرهيم بن المغربي وهو من طوخ دلكه وترهب بدير انطونيوس . وفي اثناء رئاسته طاف الوجه القبلي والبحري مفتقداً احوال المسيحيين وزار القدس وكان في صحبته رجل من أكابر النصارى يدعى جرجس الطوخى وقد ساعده هذا الرجل على عمارة ما دثر من الكنائس والأديرة خصوصاً دير القديس بولا الذي كان قد تخرب من اعوام مديدة فعمره هذا البطريرك وأعاد اليه الرهبان بعد ان بقى خالياً منهم مائة سنة وبنى دار البطريركية في حارة الروم وارسل المعلم لطف الله الى السلطان بهدايا لرفع جزية المال عن حارة الروم . وكرس الميرون المقدس سنة ١٤١٩ ش

وكان هذا البطريرك ممدوح الخصال محسناً للفقراء والمحتاجين فاتحاً داره لاستقبال الغرباء والمنقطعين وكانت اكثر ايامه شدائد ومصائب متراكمة كادت تتعطل بسببها شعائر الدين لولا عناية الله . وبعد ان قضى بطريركا ٤٢ سنة وثلاثة أشهر توفى في ١٠ بؤونه سنة ١٤٣٤ ش و١٧١٨ م وخلا كرسي البطريركية بعده شهرين وخمسة ايام

وفى ايام هذا البابا حضر لمصر سنة ١٦٩٢ م قنصل فرنساوي يدعى مولييه وكتب كتاباً عن مصر قال فيه عن الاقباط « انهم اقل جهلا وغشومة ولكنهم متشبثون بما يحسبه غيرهم هرطقة » واورد شاهداً على ذلك قوله « ان المرسلين اللاتين مع ما كانوا عليه من المهارة والجدارة لم يستطيعوا ان يجذبوا اليهم واحداً منهم رغماً عن طول بقائهم بينهم وعمل كل ما فى وسعهم لاقناعهم »

ومما قاله ايضاً « انه لما لم يقو المرسلون على اجتذاب القبط اليهم بالاقناع دبروا حيلة أخرى فصاروا يوزعون صدقات نقدية على من يحضر منهم الى كنيستهم فالتجأ اليهم جم غفير من الفقراء ولما استبدل رئيس الدير بغيره ألغى التصديق بهذه الكيفية ولذلك لم يعد من الفقراء من يقرب كنيسة الافرنج »

ومما رواه عن شدة تمسك الاقباط بعقيدتهم هو «ان لويس الرابع عشر ملك فرنسا طلب منه ان ينتخب ثلاثة من شبان الاقباط الاذكياء من عائلات طيبة ويرسلهم الى فرنسا ليتعلموا على نفقة الحكومة الفرنسية فلم يرض أغنياء الاقباط أو فقراؤهم ان يسلموهم أولادهم خوفاً من ان يغيروا معتقدهم. وكان المرسلون اللاتين قد فتحوا مدارس لتعليم الشبان فبمجرد اشاعة الخبر منع الاقباط أولادهم عنها فاصبحت خاوية خالية ولم يبق مع الكاثوليك سوى بضعة أنفار وهم الذين أخذوهم من والديهم وهم أطفال من أولاد الفقراء وربوهم منذ نشأتهم على المعتقد الكاثوليكي غير ان هذه الطريقة التي عمدوا اليها لم تنجح أيضاً فان كثيرين من أولاد الاقباط الذين علموهم في رومية عند ما عادوا الى أوطانهم شق عليهم ترك معتقدهم الاصلي فرجعوا اليه مرة ثانية . فضلا عن ذلك فانه لما أدرك الاقباط ان المرسلين الكاثوليك لا يأخذون أولادهم لتعليمهم شفقة عليهم بل ليلقنوهم المعتقد الكاثوليكي امتنعوا عن تقديم أولادهم لهم حتى الفقراء منهم » وقال المسيو موليبه ايضاً « وحتى الذين كانوا يتضورون جوعاً وكنا نعطيهم طعاماً امتنعوا عن المجيء الينا خوفاً من ان نكثلكهم »

وكان بعض الاقباط التابعين لاسقف رومية قد غشوه بان بطريرك الاقباط أظهر رضاءه عن مدارس الايطاليين وأمر أبناء رعيته بتعليم أولادهم فيها فلما اطلع موليبه على الحقيقة أفهمه بان البطريرك لم يكن يعترف باعمال ووجود المرسلين الايطاليين بل كان يفرض عدم وجودهم بالمرة في البلاد

ولما رأى اللاتين عدم نجاح مساعيهم في مصر حولوا التفاتهم مرة أخرى للحبشة . فبعد ان ارسلوا ثلاث ارساليات آخر واحدة منها ارسلت في سنة ١٧٠٦م ارسلوا بايعاز لويس التاسع عشر ملك فرنسا طبيباً للحبشة يدعى دي رول ليدبر بحسن سياسته مع ملكها تمهيد الطريق لليسوعيين لقبولهم فيها. وكان مع دي رول

ترجمان سوري يسمى ايلياس فلما وصلا الى سنار قبض عليهما الحاكم وحجز عنده الطبيب وأطلق سراح الترجمان لكي يذهب للملك ويطلب منه السماح بدخولهما الى بلاده فرد عليه ملك الحبشة بانه اذا كان قادماً بصفة سائح فلا بأس من ترك الحرية له ليدخل بلاده واما اذا كان من اليسوعيين فلا بد من منع المجيء الى الحبشة . الا ان سلطان سنار بعد ماطلع على خطاب ملك الحبشة داخله ريب من جهة دى رول فبعد ان حجزه عنده ثلاثة أشهر قتله

القسم الثانى

مشاهير الكنيسة

ابو ذقن

ظهر فى أواسط هـذا القرن رجل قبطى من اهل الوجاهة والفضل يكنى بابي ذقن المنوفي . وضع كتاباً باللغة العربية شرح فيه حال الاقباط في ذلك العصر وعوائدهم وأفرد باباً مخصوصاً للدفاع عن معتقد الكنيسة القبطية ومقابلة حالتهم الدينية بحال الكاثوليك الرومانيين ملتزماً في اقواله وعباراته خطة الادب وخلو الغرض وعدم التحاشى في تفضيل بعض الأمور والعوائد الدينية الجارية بين الكاثوليك على غيرها مما هو جار بين الاقباط

ويقول العارفون ان هذا الكتاب الجليل يوجد باحدى مكتبات اكسفورد ببلاد الانجليز وقد ترجم الى اللغة العربية ونشر بتلك المدينة في سنة ١٦٧٥ م وترجمه ايضاً ونشره باللغة الانجليزية السرسادلير سنة ١٦٩٣ م

ويقول ابو ذقن ان أعضاء الكنيسة القبطية مشهورون في كل ممالك العالم

بلقب ممتاز وهو (مسيحيو الحزام)

ومما جاء في ذلك الكتاب عن الاقباط انهم اكتسبوا في ذاك الزمان بحسن خداماتهم وصداقتهم ثقة المسلمين بهم فعززوهم وساووهم بالروم والافرنج وان معظم الصنائع كانت في ايديهم وكانت تدرس في مدارسهم اللغات العربية والقبطية والحساب والجغرافية والدين . وقال ومع ان شبان الافرنج اكثر علماً من شبان الاقباط الا ان هؤلاء اكثر زهداً واقل شراهة في المأكل والمشرب من اولئك وذكر ابو ذقن انه عند ما يريد احد الاقباط ان يذهب الى القدس يلتزم بدفع جزيتين للاتراك الاولى عند ماينوي السفر وقيمتها ثمانية ريالات والثانية وقيمتها اربعة يدفعها غالباً عند دخوله المدينة المقدسة

المملكة والكنيسة

ooooooooo

(١) حالة الاقباط بوجه عام (٢) مصير اللغة القبطية (٣) حالة المسيحيين في النوبة والخمس المدن الغربية

ooooooooo

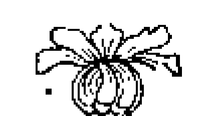
(١) حالة الاقباط بوجه عام . وجار ملوك آل عثمان على المصريين وغالباً لم يميزوا ما بين قبطي ومسلم حتى كثر حدوث الثورات فكان يقع في خلالها طبعاً البلاء بكثيرين من الاقباط . ولما كثر الانقسام بين المماليك كان العرب

يهجمون على البلاد وينهبون البيوت ويقتلون الرجال ويسبون النساء . وانتهزوا هذه الفرصة مرة فهجموا على مدينة اخميم في الوجه القبلي وكان معظم سكانها من النصارى اهل الكد والعمل ونهبوها وخربوها وقتلوا كثيراً من أهلها

الا ان الاقباط على كل حال عاشوا تلك المدة مع مواطنيهم المسلمين في حال افضل مما مضى واشتركوا معاً في مر العيش وحلوه غير انهم كانوا يزيدون عنهم فى دفع الجزية التي صارت تسمى بالجالية او الجوالي واستعملوا الجور في تحصيلها منهم

(٢) مصير اللغة القبطية . اما اللغة القبطية فكانت قد تلاشت بالمرة الاان المقريزي يذكر ان الرهبان لبثوا يتكلمون بها لغاية القرن الخامس عشر وان بعض النساء والاطفال فى الصعيد ورهبان الاديرة الكائنة حول اسيوط واهل درنكة من كبيرهم الى صغيرهم كانوا يتكلمون بها في ذلك العصر . وذكر ايضاً فانسليب العالم الذى زار مصر سنة ١٦٧٢ م انه وجد بين الاقباط من يتكلم بلغته الاصلية . ولما وفد نابليون امبراطور فرنسا واحتل مصر سنة ١٧٩٨ م طلب ان يسمع من يتكلم باللغة القبطية فجىء له بقبطى من الصعيد يجيدها ولم ينازعه فى هذا الامتياز سوى امرأة عجوز

(٣) حالة المسيحية فى النوبة وفى الخمس المدن الغربية . وكان ولاة مملكة النوبة حتى القرن السادس عشر مسيحيين خاضعين لسلطان مصر يدفعون له الخراج ولكنه بعد الفتح العثمانى اخذت الحكومة المسيحية تسقط في النوبة وقامت مكانها حكومة اسلامية اجتهدت فى محو النصرانية من تلك البلاد فكثر عدد المستشهدين واسلم كثيرون ومن خلص من الموت صار فى عوائده كالمسلم سواء وهكذا اهمل امر الدين المسيحى وبطل من تلك البلاد . ولا يبعد انه في ذلك الحين الزم مسيحيو الواحات باعتناق الاسلامية فقلبت كنائسهم مساجد.



القرن الثامن عشر

القسم الاول

تاريخ البطاركة

ooooooooo

(١) بطرس ٦ (٢) يوحنا ١٧ (٣) مرقس ٧ (٤) يوحنا ١٨
(٥) مرقس ٨

ooooooooo

(١) بطرس ٦ ــ البطريرك المائة والرابع . أقيم بطريركا في ١٥ مسرى سنة ١٤٣٤ ش و١٧١٨ م في عهد السلطان احمد . وكان اولا يدعى مرجان وهو من مدينة اسيوط أقيم قسيساً على دير القديس بولا وفي مدة رئاسته حاز مقاماً سامياً لدى أولي الأمر فتمكن من ان يطوف الوجه البحري والقبلي لتفقد احوال قومه . وكان شديد المحافظة على شعبه مانعاً لهم كل ما يحرمه الدين المسيحى من جهة الزواج أو الطلاق ونحو ذلك واجتمع بالسنجق ابن ايواز وغيره من المتكلمين بسبب ان شرذمة حاولت ان تبيح الطلاق لأية علة ولغير علة وجرت له معهم خطوب فيما يختص بحدود مذهبه فأفتى له العلماء وصدر له فرمان من الوزير المتولي باقراره على قانون مذهبه ومنع التعرض له فى ذلك وصار الكهنة لا يعقدون زواجاً الا على يده فى قلايته بسبب ابن قس طلق امرأته وتزوج غيرها وهذا البابا أخفي رأس القديس مرقس . وفي أيامه طلبت الحبشة مطراناً

لها فرسم اسقف القدس مطراناً وارسله لها

واستمر فى الرئاسة سبع سنوات وستة أشهر وأياماً وتوفى في ٢٦ برمهات سنة ١٤٤٢ ش و١٧٢٦ م وخلا منصب البطريركية بعده تسعة أشهر

(٢) يوحنا ١٧ — البطريرك المائة والخامس . أقيم بطريركا في ٦ طوبه سنة ١٤٤٣ ش و١٧٢٧ م في أواخر مدة السلطان احمد . كان يدعى اولا عبد السيد وهو من ملوي وترهب بدير القديس بولا وعند رسامته منع عادة استلام الصليب من يد السلف ميتاً لأنه فزع منه . وفي اثناء بطريركيته أنشأ كنيستين في ديري انطونيوس وبولا بمساعدة الشهير جرجس السروجى أمير قومه بوقته

وفي سنة ١٧٤٣ م أنفذ امبراطور الحبشة من قبله وفداً للبابا يوحنا عقب وفاة خيرستوذولو مطران الحبشة يطلب منه ان يعين بدله . وكان الوفد مؤلفاً من ثلاثة اشخاص احدهم قبطى يدعى جرجس والآخران حبشيان اسم احدهما تاوضروس والثاني ليكانيوس ولما وصلوا الى مصوع قبض عليهم حاكمها وسلب نصف النقود التي كانت معهم واكرههم على الاسلام فاختفى القبطى واطاعه ليكانيوس واعتنق الاسلام اما تاوضروس فرشى بالمال وتمكن من الوصول للقاهرة وطلب من البطريرك رسامة مطران لبلاده فاجيب الى طلبه ورسم المطران سنة ١٧٤٥ م وعاد به ولكنهما صادفا في مصوع ما صادفه الوفد الأول فالقيا في السجن غير ان تاوضروس تمكن بحيلة من ان يسهل سبيل المطران للفرار وبقى هو حتى طلب مالا من بلاده دفعه فدية عن نفسه

وفى ايام البابا يوحنا اشتد الكرب على المسيحيين وضربت عليهم غرامة فادحة لم يعف منها أحد وبيعت بسبب هذه الغرامة الجواهر الكريمة بابخس الأثمان وألزم بهذه الغرامة القسوس والرهبان والصبيان والفقراء وارغم البطريرك بدفعها عن القسوس وخدام الدين وحدثت زلزلة هائلة دمرت أماكن كثيرة وأبادت بلاداً عن آخرها

وفى أيامه ايضاً تمكن المرسلون الكاثوليك فى تسعة مراكز جنوب القاهرة

وهى انتينوا واسيوط وابو تيج وصدفا واخميم وجرجا والاقصر واسوان وفى دير النوبة ايضاً . وفي سنة ١٧٣١ م ارسل اكليمنص الثاني عشر اسقف رومية يحض رؤساء ارسالياته على بذل آخر مجهوداتهم ليتمكنوا من ارسال بعض اولاد الاقباط ليتعلموا فى رومية فلم يتمكنوا بأية طريقة ولم يجدهم ما وجهوه الى الاقباط من التهديد والوعيد

فكتب اسقف رومية المذكور الى البابا يوحنا عن يد الكردينال بلوجا أحد المرسلين الكاثوليك يطلب منه ان يقبل هو وكنيسته الخضوع لسلطانه ولكن هذه المخابرات انتهت نظير غيرها بلا ثمرة . ولما تولى بنديكتس الرابع عشر على الكرسي الروماني انكر قول كل قائل بوجود اتحاد بين الاقباط و بين كنيسته وقفل باب المخابرات الودية التي استمرت جارية بين اساقفة رومية و بطاركة الاسكندرية ولكن بدون فائدة . وكان بمدينة القدس قس قبطى كاثوليكى يدعى اثناسيوس فرسمه مطراناً سنة ١٧٤١ م على مصر غير انه لم يحضر اليها بل بقى كل ايام حياته باورشليم . وكان النائب عنه في مصر قس يسمى يسطس المراغلى . وكان يوجد حينئذ شاب قبطى اسمه روفائيل الطوخى من اهالي جرجا اخذه الكاثوليك بالقوة حينما كان صغيراً وارسلوه لدرس اللاهوت فى رومية وبعد اتمام دراسته عينه الاسقف الروماني اسقفاً على ارسينو ثم استدعاه اليه ثانية ليساعده فى تأليف كتب باللغة القبطية وتنقيح كتب الطقوس الكنسية

وفى السنين الاخيرة من القرن الثامن عشر تمكن الكاثوليك من استمالة اسقف جرجا القبطى الى مذهبهم ولكن لهرطقته حرم من الكنيسة القبطية حتى نقم عليه الاسلام أيضاً ففر هارباً الى رومية وعاش فيها حتي مات سنة ١٨٠٧ م

ونشأ عن انضمام بعض الافراد من الامة القبطية نشوذ بين افراد العائلات وانقسام بسبب التركات والزواج فاشتكى كبار الكتاب لمخدوميهم الامراء من سوء تصرف قسوس اللاتين وتعديهم على حقوق بطريركهم . فعقد لذلك مجلس بحضورهم وحضور البطريرك وقسيس اللاتين بالمحكمة الكبرى الشرعية وبعد سماع اقوال المشتكين واحتجاج المشتكى عليهم تقرر التصريح لبطريرك الاقباط باستعمال السلطة الدينية على ابناء امته والتصرف فيهم بما توجبه قوانينه المرعية

وعدم التعرض له أو التعدي على حقوقه وتحررت بذلك حجة من المحكمة وسلمت ليد البطريرك . وقد عثر على هـذه الحجة صاحب جريدة مصر ونشرها وهذه صورتها : —

صورة حجة شرعية صادرة من المحكمة الكبرى بمصر المحمية بتاريخ غرة محرم سنة ١١٥١ هـ

هو انه بمصر المحروسة لدى سيدنا ومولانا الخ الامير ابراهيم بك الدفتردار بمصر المحروسة حالا (هنا اسماء الامراء الذين بهم انعقدت الجلسة) بعد ان رفع كل من المعلم رزق الله ولد الذمى ابراهيم بدري النصراني اليعقوبي بخدمة ميراللوا الامير ابرهيم بك الدفتردار بمصر المحروسة حالا (وهنا اسماء الاقباط الارثوذكس الذين رفعوا الشكوى للمحكمة من جور المرسلين الكاثوليك وعددهم اربعة وعشرون شخصاً) وغيرهم من النصارى اليعاقبة القبطية والقسيسين والرهبان . يشتكون من ان جماعة من النصارى اليعاقبة القبطية مخالفون لملتهم وبطريركهم والقسيسين ورهبان اليعاقبة القبطية وان المخالفين المرقومين يريدون الذهاب الى الافرنج الغير القبطيين ليدخلوا في ملتهم لعدم دفع الجزية وان المعلم يوحنا بطريرك النصارى اليعاقبة القبطية ينهى الجماعة القبطيين المرقومين عن ذلك مراراً فلم ينتهوا ولم يسمعوا لقوله وان القانون المتعارف بينهم ان كل من خالف كلام بطريركهم يكون مغضوباً عليه ويلزم الأدب اللائق بحاله وان حصل التوافق والتراضي بين طائفة النصارى اليعاقبة القبطية المرقومين وكبيرهم ان كل من خالف ملته وكان قبطي وانتقل من ملة القبطيين الى ملة الافرنج وثبت ذلك عليه بالوجه الشرعي يكون على الامراء الصناجقة وأغوات البلكات وكخدا البلكات واختياريانهم الخروج من عهدة من ينتقل من النصارى اليعاقبة القبطية المرقومين الى ملة الافرنج الخروج من حقه وتأديبه بما يليق بحالة زجرله ولامثاله باعتراف كل من طائفة النصارى اليعاقبة القبطية المرقومين الاعتراف المرعي كما التوافق والتراضي المرعيين ولما تم الحال على هذا المنوال كتب ذلك ضبطاً للواقع ليراجع به عند الاحتياج اليه والاحتجاج به وعلى ماجرى وقع التحرير

في غرة محرم الحرام افتتاح سنة احدى وخمسين ومائة والف .

محمد عبد الرازق　　محمد على حنفي　　علي علي عبد النبي

محمد فواكه　　محمد خلاف　　حسن علي احمد

وقد وقفنا ايضاً على صورة رسالة نشرها المندوب البابوي بالقطر المصرى على جماعة الكاثوليك الذين كانوا كلهم بالوجه القبلي وذلك تنفيذاً للمعاهدة التى تمت بينه وبين بطريرك الاقباط سنة ١٧٩٤ م عند معتمد دولة النمسا وفيها يوصي الاقباط المتكثلكين بمدن جرجا واخميم وفرشوط ونقاده بذلك الاتفاق الذي عقد بينه بصفته كيرلس رئيس عام رهبان المرسلين الكاثوليك والخواجه كركور وشتي قنصل النمسا والاب اكليمنضس رئيس عام سابقاً وبين البطريرك انبا يؤنس والمعلم ابرهيم الجوهري والمعلم جرجس أخيه رؤساء طائفة الاقباط بمصر . وكان الاتفاق على ما يأتي

(١) المتزوجون من الفريقين لهم حرية اختيار الصلاة باية كنيسة ارادوا قبطية كانت أو كاثوليكية

(٢) من الآن فصاعداً لا ينبغى أن يتزوج الاقباط من الكاثوليك ولا الكاثوليك من الاقباط

(٣) لا يدخل قسوس الكاثوليك بيوت الارثوذكس ليكرزوا لهم ولا قسوس الارثوذكس بيوت الكاثوليك

(٤) لا ينبغي ارغام اى أحد ليصلي بكنيسة معينة بل ليترك لكل واحد حق اختيار الكنيسة التى يحب

(٥) لا يصح فيما بعد اذا حدث خلاف ان يرفع الامر الى رجال الحكومة بل الى الرؤساء من الكنيستين ولهم حق مقاصة المتعدى . اه . تحريراً في ٣ شهر يانوارنوس سنة ١٧٩٤ م

ولما بلغ السلطان ان قدم الارساليات الكاثوليكية أخذت تثبت فى مصر خشى امتداد سطوة الاجانب في بلاده فكاتب بطريرك الكنيسة اليونانية وطلب منه ان يحذر جميع أفراد رعيته من ولوج معابد الكاثوليك . وكان معظم الذين اعتنقوا المذهب الكاثوليكي من السوريين الذين أرادوا ان يحتموا بالمذهب من

تعدى المسلمين عليهم . وجعل السلطان غرامة الف كيس على الذين يذهبون لمعابد المرسلين اليسوعيين فجمع السوريون هذا المبلغ وسلموه للسلطان. وفيما بعد قبض أحد امراء المماليك على اربعة من المرسلين اللاتين ولم يفرج عنهم الا بعد ان دفعوا غرامة فادحة

أما البابا يوحنا فاستمر فى كرسى البطريركية ثمانى عشرة سنة وبعض أشهر وتوفى في ٢٣ برموده سنة ١٤٦١ش و١٧٤٥ م وخلا منصب البطريركية بعده شهراً واحداً

(٣) مرقس ٧ ـ البطريرك المائة والسادس . اقيم بطريركا في ٢٤ بشنس سنة ١٤٦١ ش و١٧٤٥ م فى عهد السلطان محمود وكان يدعى سمعان من قلوصنا ترهب فى دير القديس بولا وكان طلق اللسان حسن الصوت محسناً ممدوح السيرة محبوباً في قومه حتى شبهوه بالملائكة واستمر فى البطريركية ٢٤ سنة وتوفى في ١٢ بشنس سنة ١٤٨٥ ش و١٧٦٩ م ومات بدير السيدة العذراء بالعدوية ودفن بحارة البطريرك بابى سيفين وخلا منصب البطريركية بعده خمسة أشهر وثلاثةأيام

(٤) يوحنا ١٨ ـ البطريرك المائة والسابع . أقيم بطريركا فى ١٥ بابة سنة ١٤٨٦ ش و١٧٧٠ م فى عهد السلطان مصطفى وكان أولا يدعى يوسف من الفيوم وترهب بدير القديس انطونيوس . وفي اثناء رئاسته نالته شدائد من مأموري الاحكام لا سيما من حسن باشا القائد التركي الذى أمر بضبط خزينته وأخذ أمواله واختفى من الظلم واشترك مع المعلم ابرهيم الجوهرى الشهير في تعمير أديرة وكنائس كثيرة . وفي أيامه كرس الميرون

وسعى الكاثوليك لاجتذاب الكنائس الشرقية وعلى الاخص كنيسة مصر فنشروا لذلك كتاب « أعمال مجمع خلكيدون » ووزعوه في البلاد الشرقية ثم ارسلوا مندوباً من قبلهم الى البابا يوحنا يحمل رسالة من اسقف رومية يدعوه فيها الى الاتحاد معه فسلم الرسالة للانبا يوساب الابح اسقف جرجا وكلفه بالرد عليها فرد عليها وفندها [١] اما نسخ كتاب « أعمال مجمع خلكيدون » فقد

---

(١) كان هذا الاب عالماً متضلعاً فى العلوم اللاهوتية فدافع عن كنيسته ضد تهجم البابويين

وجدت مثبتة لدعوى الكنيسة القبطية فندم الاسقف الروماني على نشر ذلك الكتاب وجمع ماتمكن من جمعه وحرقه واتفق أموالا كثيرة في ذلك

واستمر البابا يوحنا على كرسيه ٢٦ سنة وسبعة أشهر و ١٧ يوما وتوفى في ٢ بؤونة سنة ١٥١٢ ش و١٧٩٦ م وخلا منصب البطريركية بعده نحو اربعة أشهر

(٥) مرقس ٨ ـ البطريرك المائة والثامن . ولد في بلدة طما بمديرية جرجا في اواسط الجيل الثامن عشر ودعي يوحنا وتربى التربية المعتادة وقتئذ ونماميالا لعيشة النسك والتعبد فترهب بدير انطونيوس وبعد ذلك اقام بالدار البطريركية مع البابا يوحنا ال ١٨ وشاهد ما حل بهذا البطريرك من الويلات . وبعد وفاة البابا يوحنا اختير بموافقة الاساقفة الى منصب البطريركية وكان بعضهم يرشحون انفسهم لهذه الوظيفة فعول الاساقفة على جعل الانتخاب بواسطة القرعة الهيكلية فوقعت القرعة على الاب يوحنا فتمموا رسامته في كنيسة العذراء بحارة الروم في يوم الاحد ٢٨ توت سنة ١٥١٣ ش و١٧٩٧ م في عهد السلطان سليم الثالث . وفي اوائل مدته أتى اميرالجيوش الفرنساوية نابوليون الى الديار المصرية ومكث الفرنساويون بها ثلاث سنوات ثم رحلوا من مصر وعاد الحكم للدولة العثمانية وشاهد هذا البابا اول حكم محمد على باشا الخديوى الكبير

وفي ايام هذا البابا نكب المسيحيون بسبب دخول الفرنساويين مصر وقاسى هوذاته مصائب عديدة بسببها نقل مركز البطريركية من حارة الروم الى الازبكية بالدرب الواسع وقد روى لنا مؤلف كتاب نوابغ الاقباط ومشاهيرهم تفصيل ذلك نقلا عن كتاب « عمل الميرون المقدس » في ايام البابا بطرس السابع المحفوظ بالدار البطريركية قال :ـ « فى ايام الانبا مرقس ال ١٠٨ حرقت الكنيستان العليا والسفلى بحارة الروم وكان الميرون الذى عمله سلفه موضوعا فى موضع واحد بأعلى دهليز الكنيسة السفلى فحرق وكان باقياً من هذا الدهن المقدس فى بعض

دفاعاً مجيداً وله كتاب ثمين في ذلك يدعى « سلاح المؤمنين » محفوظة منه في الدار البطريركية نسختان تاريخ أحديهما ٢٦ برمهات سنة ١٥٦٧ ش . وله كتاب آخر اسمه « الادراج » لانبا يؤنس ال ١٧ اهتم به الانبا يوساب تاريخ كتابته ١٩ مسرى سنة ١٥٤٥ ش وهو فى الشؤون الدينية الداخلية

الـكنائس بمصر القديمة الذى عمل من ايام البابا متاؤس الثانى ومن ايام البابا يوحنا ال ١٦ . وقبل حرق الـكنيسة بثماني سنوات في رياسة البابامرقس انتقلت القلاية البطريركية من حارة الروم الى حارة الازبكية في سنة ١٥١٥ ش والسبب في ذلك لما دخل الفرنسيس مصر حصل للنصارى الاقباط اهانة عظمى بسببهم وقاسى من جراء ذلك البابامرقس كثيراً فانتقل الى الازبكية في مواضع كان بناها المعلم ابرهيم الجوهرى قبل وفاته

وسبب بناء هذه الـكنائس التي أقام بها البطريرك ان المعلم ابرهيم تحصل على فرمان ببناء الـكنيسة وأودعه بالقلاية في مدة البابا يوحنا ال ١٨ وبعد ذلك اشترى محلات وهدمها وابتدأ بوضع اساساتها وبجوارها اماكن أقام فيها الانبا مرقس وكيفية حصول المعلم ابرهيم على ذلك الفرمان هو انه اتفق له ان احدى قريبات السلطان المحترمات ولعلها اخت السلطان كامل قدمت من القسطنطينية الى مصر قاصدة الحج ولـكونه متقدماً في الحـكم تقدماً مشهوراً باشر بنفسه اداء الخدمات الواجبة لمثلها فى الذهاب والعودة وقدم لها الهدايا اللائقة لرفيع مقامها فأرادت مكافأته على خدمته التي أبداها وسألته عن مرغوباته فالتمس منها المساعدة في اصدار فرمان سلطاني بالرخصة فى انشاء كنيسة بالازبكية حيث مستقر سـكنه والتمس منها أشياء أخرى لرفع الجزية عن الرهبان الى غير ذلك فقبل رجاؤه بالاجابة ولـكنه توفى قبل ان يتم البناء فقام به اخوه المعلم جرجس

وبعد دخول الفرنسيس بثمانية عشر شهراً حصلت حرب بينهما وبين العثمانيين الذين بالقاهرة مدة ٣٤ يوماً في صوم الاربعين المقدسة فعمل البابا مرقس جمعة البصخة وعيد القيامة في منظرة الحوش بجوار الـكنيسة لانه لم يقدر احد على الخروج منها او الدخول اليها وحرقت فيها محلات عظيمة وحصل نهب وكانت شدة عظيمة وقاموا بالثغر وهدموا دير مار مرقس الانجيلى الذى بظاهر الثغر . وقد مكث الفرنسيس ثلاثين شهراً وبعدئذ رضي الله بخروجهم ثم ببناء الـكنيسة التى اهتم بها المعلم ابرهيم الجوهري وفى يوم الاحد ١٥ توت سنة ١٥١٧ ش كرسها البابا مرقس على اسم مارمرقس عوضاً عن الدير الذى هدمه الفرنسيس بثغر الاسكندرية وقد اضاف اليها محلات » اه وقد شيدت الـكنيسة بملك المعلمين

يعقوب وملطى حيث الآن الكنيسة الصغرى بالبطريركية

وكانت تقوى هذا البابا مقرونة بالعلم الصحيح وقد وضع جملة مواعظ



« البابا مرقس الثامن »

لتقرأ في الكنيسة اشبه بقوانين لاصلاح خلل النظام في اوقات الصلاة فمنها عظة عن الذين يتكلمون في الكنيسة بغير أدب واخرى عن دورة الفقراء في الكنيسة ومما قاله فيها « انا اسألكم بلين المسيح وتواضعه ان تبطل دورة الاطباق ولا يدور الفقراء فالاطباق يقفون بها في الخورس التحتاني وذلك في وقت التسريح ومثل ذلك الفقراء بجانبهم بأدب ووقار » وغير ذلك من الرسائل في مواضيع دينية ومما عثر عليه من رسائله رسالة تعزية الى انسان كان في شدة وخلص منها يقول فيها « ان الكتب الشرعية يا ابني الحبيب عزى الله قلبك بعزاء

الروح القدس المعزي تدعونا الى تعزية بعضنا بعضاً والعقل والادب والمحبة والعادة مجمعة على ذلك فقد صار مستحباً وفرضاً وما هـذا الا لأن المباشر بذاته الألم والحزن قد يعدم الرأي الصائب عند حلول المصائب أو ينسى الأمر الواجب لاستيلاء الاكتئاب عليه فيحتاج الى من يذكره . لذلك كتبت اليك » اهـ

وقد روى عن هذا البابا انه كان شـديد الاهتمام بأمر الكنائس والاديرة واصلاح المتخرب منها . وكان مقدراً لمنفعة الوعظ فثابر على القاء المواعظ بنفسه ولم ينقطع عن تعليم شعبه في وقت من الاوقات . وقد رسم جملة اساقفة ومن جملة من رسم مطراناً للحبشة وذلك على أثر مجيء بعض الرهبان والكهنة ومعهم جواب من ملك الحبشة الجديد يطلب فيه منه ان يرسم لهم مطراناً عوضاً عن انبا يوساب فرسم واحداً يدعى مكاريوس وارسله مع الكهنة سنة ١٥٢١ ش واصحبهم بكتب تعليم ومواعظ لانه سمع ان بعضهم صاروا هراطقة فبعث يهني الملك وعظماء الدولة ويثبتهم في الامانة المستقيمة

واشتهر هـذا البابا بعمل الخير والاحسان . وقيل في وصفه انه كان قصير القامة شديد التقشف كثير الهموم مصفراً بسيطاً في أكله وملابسه . واستمر في الرئاسة ثلاث عشرة سنة وشهرين وستة عشر يوماً وتوفى في ١٣ كيهك سنة ١٥٢٦ ش و١٨١٠ م وهو اول من قبر من الباباوات بالكنيسة البطريركية بالازبكية في الجهة القبلية للكنيسة الكبرى بجوار المذبح في الكنيسة الصغرى التي كرسها هو على اسم القديس استفانوس رئيس الشمامسة وكان دفنه في يوم ١٤ كيهك كما كتب خلفه البابا بطرس السابع

○○○○○○

القسم الثانى

مشاهير الكنيسة

••••••••

(١) المعلم رزق (٢) المعلم ابرهيم الجوهري (٣) المعلم جرجس الجوهري (٤) الامير يعقوب والمعلم ملطي ومهاجرة شبان الاقباط لفرنسا (٥) المعلم ملطى (٦) المعلم انطون ابو طاقيه

○○○○○○

(١) المعلم رزق . كان سكرتير الضربخانة المصرية فرقاه علي بك الكبير عظيم المماليك الى مدير حساباتها . وكان للمعلم رزق دراية بالعلوم ولا سيما علم الفلك وكان مسموع الكلمه عند علي بك ويعول عليه في سائر الامور . ولما زار مصر المستر بروس السائح الانكليزي سنة ١٧٦٨ م ساعده المعلم رزق على انجاز مهمته فسر منه وقدم له هدايا نفيسة فلم يقبلها بل ردها وارسل له مثلها .

وكان بدمياط تاجر مشهور يسمى الحاج عمر بن عبد الوهاب الطرابلسي فحصلت بينه وبين احد تجار النصارى منازعة بالثغر انتهت بالسب واللعن فعول الحاج عمر على الانتقام من النصراني فأتى مصر وادعى انه سب دينه واستفتى المشايخ فأقروا على حرقه ولكن كبار كتاب الاقباط سعوا حتى استصدروا عفواً عن النصراني وأحبطوا مساعى الحاج عمر

وفيما بعد قبض علي بك على الحاج عمر وسلب مقتنياته وتفاه من البلاد والجبرتي المؤرخ المسلم ينسب نفيه الى مساعى كبار كتاب النصارى الذين كانوا موضع ثقه علي بك

وفيما بعد قام محمد بك ابو الذهب مملوك علي بك وقتله واستقل بالرئاسة فعزل المعلم رزق من وظيفته وقيل انه قتله وأمر بابطال استعمال النقود التي ضربت على يده في عهد علي بك ويقال قتله

(٢) المعلم ابرهيم الجوهري . ظهر هذا الرجل العظيم فى اواسط القرن الثامن عشر ولا يعلم كيف نشأ الا انه يعلم انه تعلم منذ حداثته صناعة الكتابة وكان قلبه مفعما بمحبة الدين والتقوى وتقلد اول وظيفة له عند احد المماليك وكان ينفق ربع راتبه في الاعمال الخيرية ولا سيما نساخة الكتب وايقافها على الكنائس فكان بين حين وآخر يأتي للبطريرك بكتاب ويسلمه له فسر منه البطريرك وباركه ودعا له بالنجاح . ولامر ما ترك الخدمة التى كان بها واخبر البطريرك بذلك فطلب من رئيس كتبة الاقباط ان يقبله كاتباً خاصاً له فقبله وبعد حين توفى الكاتب فأقر رأى الجميع على ابراهيم ليخلفه فى مكانه لما عرف عنه من الاستقامة والنزاهة .

صار ابرهيم رئيساً للكتبة وبلغ اسمى رتبة كان يتطلع اليها القبطى حينئذ فبالغ في انكار ذاته واظهار تواضعه وعكف على صنع الخير لجميع الناس بدون تمييز بين اهل الاديان واتصل خبره بابرهيم بك الوالي فعززه واكرمه واختصه بثقته ولما رأى المعلم ابرهيم الفرصة سانحة امامه ليقدم خدمة لامته شرع يعمر الكنائس الخيرية ويصلح ما فيها من الخلل واشترى املاكا كثيرة واوقفها عليها ويوجد بدفترية البطريركية صورة ٢٣٨ حجة لتلك الاملاك التي اشتراها ذلك الرجل المغبوط وتنازل عنها للكنائس

وقد رزق بولد سماه يوسف وعرف اسمه من حجة وقفية أوقفها باسمه الا ان العناية الالهية شاءت انتقال ابنه الى الديار الأبدية فتكدر خاطره عليه لانه كان وحيداً له واغلق المكان الذي كان مخصصاً له وكسر السلم الموصل اليه حتى

لا يشاهده قط .

ولما اشتد ظلم الواليين ابرهيم بك ومراد بك انفذت اليهم المملكة العثمانية حسن قبطان باشا سنة ١١٩٩ هـ فقاتلهما وانتصر عليهما فهربا من وجهه الى الصعيد وأضطر المعلم ابرهيم الى مرافقتهما وامر حسن باشا باحصاء كل ممتلكات المعلم ابرهيم بما اوقفه على الكنائس وبسبب اختلال الاحوال وعدم ائتمان الناس على اموالهم وارواحهم اختفت زوجة المعلم ابرهيم في بيت حسن كتخدا علي بك امين الحساب الذي كان لزوجها عليه ما ثر فقبضوا عليها وارغموها على ان تخبرهم عن مخابىء زوجها فدلتهم عليها واخرجوا منها أواني ذهب وفضة فأخذ منها ما اخذ وباع ما باع . ووشى بعضهم على مكان ابن المعلم المشار اليه فصمدوا اليه واخرجوا كل ماكان فيه من فرش وامتعة واواني ذهب وفضة وصيني واتوا بها الى حسن باشا فباعها بين يديه بالمزاد وكانت شيئاً كثيراً فاستغرق بيعها عدة ايام

ولما عادت الاحكام الى الاميرين مراد وابرهيم رجعا من الصعيد فرجع معهم المعلم ابرهيم وكان هو الوحيد من كبار الاقباط الذي نجا من اضطهاد حسن وتمكن بحسن سياسته وذكائه من حفظ مركزه في عيون المسلمين كالاقباط فارتقى ثانية الى درجة عظيمة واستأنف جهاده في افتقاد الكنائس والفقراء والمساكين حتى انه لم يكن يعتبر ماله ملكا خاصاً به بل كان يصرفه في كل عمل خيري وللآن يوجد الكثير من الاديرة والكنائس التي شيدها كما كان مهتما باحوال الرهبان الذين كان يرسل اليهم بدون انقطاع كل ما يحتاجون اليه ولا يزال الترمس باقياً من تلك المؤونة في اغلب الأديرة . وهذه الكنيسة الكبرى بالازبكية التى سعى في تشييدها كما ذكر تنطق بفضله وتشهد بغيرته

ويروى عن المعلم ابرهيم حوادث كثيرة منها ان أخاه المعلم جرجس كان مرة ممتطياً جواداً ومارّاً في احدى الطرق فأهانه أحد المشايخ ولم يحترمه وينزل عن الجواد لمقابلته فشقت الاهانة على المعلم جرجس وأخبر اخاه بها فأجابه «غداً أقطع لسانه» وفى اليوم الثاني استدل على منزل الشيخ وأرسل له هدايا سمناً وجبناً الى غير ذلك بدون علم أخيه . فلما مر أخوه المعلم جرجس مرة أخرى على الرجل

وقف له اجلالا مرحباً به ترحيباً شديداً داعياً له الأمر الذي جعله في حيرة واندهاش ولما عاد علم بما فعله شقيقه وأدرك حقيقة قوله سأقطع لك لسانه اذ حوله من البغضة الى المحبة والاكرام وبذلك تم قول الرسول « ان جاع عدوك فاطعمه وان عطش فاسقه فانك بذلك تجمع جمر نار على رأسه » (رو ١٢ : ٢٠)

ويروى ايضاً ان امرأة جاءت ليلة عيد الى زوجة احد مشاهير المعلمين في ذلك الحين (يقال انه المعلم فانوس الكبير) وشكت سوء حالها وضيمها لان زوجها في السجن واولاده يبكون لعدم وجوده معهم في هذا العيد وربما حكم عليه بالاعدام . فأرسلت هذه الزوجة الفاضلة كل ماتحتاجه العائلات في الاعياد الى بيت ذلك الرجل وارسلت تخبر امرأته لكي تستعد بكل اللوازم لان زوجها سيكون في بيته تلك الليلة

ولما جاء المعلم الى بيته ليلا بعد خروجه من الكنيسة لم يجده مضيئاً كالعادة فاندهش لذلك لاسيما لما وجد زوجته حزينة فسأل ما الخطب الذي دهمنا وجعلك تجلسين هكذا مكتئبة فاجابته أيليق ان نفرح نحن ونبتهج وتلك العائلة حزينة باكية لسجن رجلها فان رمت ان تكون سعيداً بهذا العيد يلزمك ان تسعى في اطلاق سراح ذلك الرجل الآن فقال لها حي هو اسم الرب ليكن كما تريدين واسرع بالذهاب الى اولي الامر وتمكن من استصدار عفو عن الرجل الذي انطلق الى بيته وكان سرور عائلته به عظيما

ولما كان هذا الامر قد استغرق مدة من الليل لم يستيقظ المعلم حسب عادته باكراً ليتوجه الى منزل المعلم ابرهيم الجوهري الذي كان ينتظره ليتوجها وصحبتهما وجوه الامة لتقديم فروض المعايدة لقداسة البطريرك كالعادة فسأله الجوهري عن سبب ابطائه فأخبره بحادث الامس فاجابه الجوهري « كيف جاز لك ان تنفرد وحدك بهذا العمل الصالح وتستأثر بثوابه ولا تشركني فيه » ثم انطلقا الى البطريرك ليفصل لهما في الامر فقال للمعلم ابرهيم هو اطلقه من السجن وانت ساعده على ايجاد عمل وكان كذلك

وعلم مرة ان موظفاً قبطياً مضى على رفته نصف سنة فسعى له على عمل واستدعاه اليه ليقيمه فيه فجاءه الجواب من الرجل . ان فلاناً اولى بهذه الوظيفة

لانه رفت قبلي بشهر وليس له ماينفقه على عائلته اما انا فبحمدالله اجد مايكفيني فكان من المعلم ابرهيم ان وظف الاثنين

وكان من عادته نظراً لكونه ناظراً لكنائس القاهرة ومصر القديمة وما يجاورها أن يخصص لكل دير أو كنيسة أوقاتاً معلومة ليقتدي به باقي المعلمين . ففي مرة قصد دير بابلون الدرج في يوم رفاع وبعد صلاة القداس توجه كل الى منزله الا واحد رآه المعلم ابرهيم يصعد الى التل فكلف خادمه ان يتتبعه فرآه يصلي وبعد الصلاة بحث حتى وجد وزة ميتة فشكر ربه وأراد النزول وكان الخادم قد سبق وروى الخبر للمعلم ابرهيم قبل نزول الرجل فاستدعاه اليه ووبخه لانه لم يكشف له حقيقة حاله وكان قد أرسل له كل مايحتاج وأوصاه ان لايخفي عنه أمره اذا تضايق ثانية

وقيل ان فقيراً أراد ان يمتحن سخاءه المفرط الذى وصل اليه خبره فتعقبه فى يوم من الايام من بيته الى محل شغله وكان يعترضه في الطريق وكل مرة يقصد ان يريه انه هو هو السائل بعينه ويلتمس منه على اسم المسيح وكان من عادته اذا سمع هذه الجملة لا يخيب رجاء قائلها مطلقاً حتى بلغ عدد المرات التي طلب بها الصدقة منه وأعطاه اياها ثماني عشرة وبعد ذلك قال له طوباك ياجوهري الرب معك فقال له لاتتعجب أتطالبني بهذا المال المودع عندى وانا أتأخر عن السداد . ما أنا الا الامين والامين لاينبغي أن يخون

وكان من عادته فضلا عما يرسله للأديرة والكنائس ان يولم فى كل عيد وليمة عظيمة للفقراء والمساكين فشعر مرة ان خدمه قصروا في استكمال ما يجب لوليمة أقامها في كنيسة القديسة بربارة بمصر القديمة فوبخهم شديداً قائلا لهم « ان هؤلاء الفقراء ضعفاء فيجب علينا ان نواسيهم ونطيب قلوبهم ونجبر خواطرهم الكسيرة ببعض ماعلك من نعم الله . ومخلصنا لم يأمرنا بالاهتمام بالاغنياء بل بالمساكين الذين ليس فى طاقة أيديهم ان يكافئونا عما نعمله معهم من الخير لكى يتولى هو مكافأتنا بالاجر السمائى في اليوم الاخير »

وبالجملة فكان المعلم ابرهيم مثال السخاء والاحسان فلم يكن يخيب سائلا أتاه دون ان يميز بين انسان وآخر وفضلا عما كان يرسله سنوياً من الزاد والمؤونة لجميع

أديرة الرهبان ولـكي يتمم الله معه القول « الذى يحبه الرب يؤدبه » اختطف منه ابنه الوحيد فحزن الرجل حزناً شديداً وأفرطت زوجته أيضاً في الحزن وألبست كل شيء في بيتها ثياب الحداد . ولما جاء ميعاد ارسال مؤونة الاديرة قالت له امرأته كيف تهتم بالـكنائس والفقراء والاديرة والله لايحفظ لنا وحيدنا لنتمتع به فوافقها وامتنع عن ان يقدم شيئاً

قيل ان القديس انطونيوس ابا الرهبان تراءى لزوجة المعلم ابرهيم بشكل نوراني وعزاها قائلا « ان الله احب الولد ونقله اليه شاباً واحب الوالد . لان من ذا الذى يعرف مقاصد الله فربما افسد شهرته وعاب اسمه وذلك افضل جزاء فلا تفشلي فى عملك الذى كنت عليه من قبل وامرها ان تعزى زوجها . وكان المعلم ابرهيم من يوم انتقال ولده ينام فى مكان وزوجته في آخر فأصبح الصباح ورأى المعلم ابرهيم زوجته قد ابدلت ثيابها السوداء بثياب بيضاء وعلامات السرور بادية على وجهها فسألها ما الخبر ؟ فقصت عليه حلمها فتعزى هو ايضاً وشكر الله على اعمال عنايته العجيبة ومن ثم زادا فى عمل الخير والاحسان

وحدث انه كان يوماً يصلي بكنيسة ابي سيفين بحارة زويلة فأرسل للقمص ابرهيم عصفور خادم كنيسة القلاية يقول له المعلم يطلب الاسراع فى الصلاة ليتمكن من اللحاق في الديوان فرد عليه القمص بصوت مسموع « المعلم في السماء والكنيسة لله وليست لاحد فان لم يعجبه فليبن كنيسة اخرى » اما المعلم ابرهيم فعوضاً عن ان يغيظه هذا الكلام سر منه وابتهج واستعجل ببناء كنيسة اخرى . فقال له القمص احمد الله الذي جعل غضبك فى بناء كنيسة اخرى فزادت مبراتك وحسناتك وكنت انا السبب »

ويضيق بنا المقام لو اتينا بذكر الكنائس التى شيدها والاديرة التي جددها والاملاك التى اوقفها باسمه او باسم اخيه جرجس او باسم ابنه الوحيد المتوفي او باسم بناته والكتب التى اهتم بنسخها وقدمها هبة للكنائس ولم تزل غرر مآثره موجودة فى كل جهة ومكان حتى فى مدينة القدس فكل ذلك يراه القارىء مفصلا بكتاب «نوابغ الاقباط ومشاهيرهم» الجزء الاول فليطالعه من اراد التوسع ليعرف كيف ينبغي ان يكون البر وكيف ينبغي ان تكون

الخدمة للصالح العام

ومات المعلم ابرهيم سنة ١٢٠٩ هـ فكان لموته رنة حزن واسى في جميع انحاء القطر ورثاه الانبا يوساب اسقف جرجا في كتابه « سلاح المؤمنين » بمرثية بليغة وحزن ابرهيم بك لموته فشوهد يمشي في جنازته وهو يأسف على فقده اسفاً عظيما .

قيل انه كان من المترددين عليه فقير يقصده في مواعيد معلومة فلما حضر وسأل عنه اخبروه بوفاته فحثى الرجل التراب على رأسه وسألهم ان يدلوه على مقبرته وهناك بكاه كثيراً حتى اخذته سنة من النوم فتراءى له الفقيد الكريم وقال له لا تبك انا لي في ذمة فلان الفلاني الزيات في بولاق عشرة بنادقة فسلم عليه من قبلي واطلبها منه وهو يعطيها لك وتراءى له كذلك على ثلاث مرات ومن ثم توجه الفقير للرجل فوجد كما قال له الا انه لم يجسر ان يطالبه بالمبلغ ولما رآه الرجل متحيراً فسأله عن أمره فقص عليه الخبر فاعترف بالمبلغ وسلمه له

وروى ايضاً ان بعض الاشرار وشوا في ابنة المعلم ابرهيم المدعوة دميانه الى الوالي بانها تحفظ اموال ابيها التي اخذها من الحكومة فلما سئلت عن ذلك استمهلته حتى تحضر له ما طلبه ثم طافت القاهرة تجمع الفقراء والمعوزين واحضرتهم اليه وقالت له ان اموال ابي هي مودعة في بطون هؤلاء فلما عرف الوالي الحقيقة صرفها وذكر والدها بالخير

ويقال انه للآن توجد عائلة سريانية شهيرة بحلب تخصص اياماً من السنة لرفع قداديس على اسم هذا الرجل الفاضل وسبب ذلك ان جد هذه العائلة كان تاجراً شهيراً وحاول الكاثوليك ان يجذبوه الى مذهبهم فأبى اطاعتهم ولما عجزوا عن اقناعه اغتاظوا منه ونهبوا امواله وطردوه من حلب فأتى الى مصر وتعرف بالمعلم ابرهيم فأواه مدة حتى جدد ثروته وعاد الى بلده

(٣) المعلم جرجس الجوهري . لما مات اخوه المعلم ابرهيم قلده ابرهيم بك زميل مراد بك منصبه وسار على خطته ونسج على منواله واقتدى باخيه في كل شيء حتى نال ثقته عند جميع المصريين على اختلاف اجناسهم . وكان بين

الـكتبة النصارى الذين تحت ادارته رجل يسمى يوسف كساب من عائلة سورية الاصل سولت له نفسه الأمارة بالسوء ان يسعى به عند مخدومه وهو اذ ذاك اسماعيل بك واتهمه بما ليس فيه واذ كان المعلم جرجس محسوباً على ابرهيم بك خصم اسماعيل بك صدق كلام الواشي وغضب على المعلم جرجس وانزله من منصبه وعينه بدله رئيساً على الدواوين وبعد مدة وجيزة ظهر لاسماعيل بك كذب يوسف المذكور وخيانته فأمر بتغريقه في نهر النيل واعاد المعلم جرجس الى منصبه .



« المعلم جرجس الجوهري »

ولما انتصر عساكر الفرنسيس على المماليك وعدوا الى بولاق كلف المعلم جرجس الجوهري رئيس المباشرين ان يعد هذا البيت لنزول نابوليون فيه ففرشه

وجهزه ولما دخل القاهرة أقام به ومن ذاك الحين عرف نابوليون المعلم جرجس الجوهري واهداه جبة مزركشة بالقصب ليلبسها في ايام التشريفات . ولما سافر نابوليون الى السويس لقطع شأفة ابرهيم بك استصحب معه بعض الاعيان والمديرين وفي مقدمتهم المعلم جرجس الجوهري الذي كان يعتمد عليه في مهام الامور كما انه رافق بعض الفرنساويين هو وبعض اعيان الاقباط الى الوجه البحري لتقرير الصلح بين المتقاتلين . وذكر الجبرتي انه لما احتفل الفرنساويون بأحد اعيادهم ودعوا اعيان المصريين كان المعلم جرجس بينهم لابساً ملابس الافتخار . ولما حدثت الثورة ضد الفرنساويين طلب المعلم جرجس وبعض اعيان الاقباط من مقدمي المسلمين الأمان لانهم انحصروا في دورهم وهم في وسطهم وخافوا على نهب بيوتهم اذا خرجوا فارين فارسلوا اليهم الأمان وقابلوا الباشا والكتخدا والأمراء واعانوهم بالمال واللوازم

وحدث فيما بعد انقلاب انتهى بتولية محمد علي باشا حكم مصر فنال المعلم جرجس في عهده المركز الأول . غير ان الحظ خالفه وذلك ان محمد علي باشا طالبه كثيراً بمبالغ طائلة وهو يستمهله لعدم وجودها معه . ولما توقف عن تحصيل النقود التي كان محتاجاً اليها قبض عليه ومعه بعض الاقباط بحجة انه متأخر عن دفع ما عليه من المال وحجزوا في بيت كتخداه واقام في منصبه المعلم غالي الذي كان كاتباً عند الألفي عدو محمد علي باشا

وبعد سبعة ايام أفرج عن المعلم جرجس ومن معه بشرط ان يدفع اربعة آلاف وثمانمائة كيس فدفع جزءاً عظيما منه ووزع الباقي على الكتاب والصيارف ما عدا المعلم غالي وشخص آخر يدعى المعلم فيلوثاؤس وضاق بوجهه الحال فاضطر ان يبيع أخر املاكه التي كانت بجهة الازبكية بقنطرة الدكة . وبعد ذلك خانه السعد فنزع محمد علي باشا كل ما كان له وباعه بالمزاد

وقيل انه نفي الى الصعيد بأمر محمد علي باشا وقيل انه هو الذي هرب من تلقاء نفسه . وقبل ذهابه جمع كل حجج املاكه وسلمها في البطريركية لتنفق من ريعها فوضعت اليد عليها وبقيت في حوزتها للآن وصرح له بالعودة بعد اربع سنوات فعاد الى القاهرة في ١٣ شوال سنة ١٢٢٤ ﻫ وقابل الباشا فاكرمه ثم

نزل بيته الذي بحارة الونديك وكان قد فرشه له المعلم غالي وحضر عالي القوم ودونهم من مختلف الاجناس للسلام عليه وعاش الى ان تنيح في سنة ١٢٢٥ ﻫ ودفن بمصر العتيقة بدير مار جرجس ولا يزال قبره موجوداً ولكنه تخرب وليس من يفكر في اصلاحه

(٤) الامير يعقوب ومهاجرة شبان الاقباط لفرنسا —

يظهر انه كان منصرفاً عن حرفة الكتابة الى اقتناء الاملاك والمتاجرة . وتعرف به الفرنساويون حال احتلالهم لمصر ولما تبينوه فيه من النشاط والحزم كلفوه بجمع الغرامة التي فرضوها على اهالي القاهرة ولما رأى الجيش الافرنسي لسوء تدبير الجنرال مينو آخذاً في التناقص اتفق مع الفرنساويين على تجنيد بعض شبان الاقباط فجمع من الصعيد نحو الالفين منهم فقبلهم الفرنساويون ودربوهم على حمل السلاح والقتال وتعلم يعقوب الحركات العسكرية وترأس الفرقة القبطية وألحق بخدمة الجيش الافرنسي ومنح رتبة الجنرال (القائد) الا ان آباء الشبان الاقباط وذوي قرباهم لم يكونوا قد ألفوا هذه الخدمة فلجأوا الى الانبا مرقس ال١٠١ ليتوسط لهم لدى الجنرال يعقوب حتى يطلق سراح اولادهم فلم يذعن له وبنى قلعة بجهة الجامع الاحمر بالازبكية وسماها قلعة يعقوب

ولما دبرت مكيدة لاغتيال الاقباط وجه يعقوب كل همه للدفاع عن اخوانه اقباط القاهرة وبدأ بهدم بعض البيوت التي خربت في الحوادث الاخيرة وبنى بانقاضها سوراً عالياً منيعاً حول الحي الذي جمع الاقباط فيه وشيد ابراجاً فوقه داخل السور وعمل للسور بوابتين ورتب جنديين قبطيين يقفان على كل باب والسلاح على اكتافهما لمنع كل من يحاول الدخول فاصبح المكان حصيناً وتمكن يعقوب من ان ينجي قومه من مذبحة مريعة

ولم يكن في امكان يعقوب البقاء في مصر بعد خروج الفرنساويين منها فخرج مع الجيش الفرنساوي هو واكثر رجال فرقته خشية من اضطهاد المسلمين لهم لان الفرنساويين كانوا قد ولوا منهم افراداً في مناصب عالية وفي عدادهم المعلم ابو طاقية الذي كان يفصل بين المسلمين في الاحكام الشرعية ولم يعد الى القطر

المصرى بل استمر في فرنسا حتى مات بعد مهاجرته اليها ببضع سنوات

قيل ولم تكن العلاقة بينه وبين البطريرك كما يجب وذلك بسبب أخذه لامرأة من غير جنسه بطريقة غيرشرعية ومخالفته لقومه في الزى والحركات حتى انه لما مات سنة ١٢١٨ هـ طلبت زوجته الاستيلاء على ما يخصها في تركته فعارضها اخوته بدعوى انها غير شرعية

وممن خرج مع الفرنساويين ايضاً من جنود يعقوب بقطر واسمه الياس بقطر صاحب القاموس الفرنساوى والعربي المشهور والبعض يقول انه ابن أخى يعقوب ولد باسيوط سنة ١٧٨٤ م عينه نابليون مترجماً لجيشه وبعد مهاجرته نال مركزاً علمياً سامياً بفرنسا ووضع القاموس المشار اليه ومما ينبغى الاشارة اليه انه اول من درس من الاقباط اللغة الفرنسية

وقيل ان الاقباط الذين هاجروا الى فرنسا حينئذ أضاعوا جنسيتهم هناك ولم يبق لاسماء أسراتهم أثر يذكر ومنهم الكولونيل مكاريوس حنين والكولونيل غبريال سيداروس والكولونيل حنا هرقل والقومندان عبدالله منصور . وقد روى بعض الثقاة ان الخديوى اسماعيل استحضر مرة جماعة من الممثلين والممثلات من فرنسا ومن هؤلاء الممثلات آنسة تعرف بمدام منصور نسبة الى جدها الأدنى أو الأعلى المعلم منصور القبطى أحد المهاجرين من مصر الى تلك الديار

(٥) المعلم ملطى . كان كاتباً عند ايوب بك الدفتردار من مماليك محمد بك ابو الذهب . ولما احتل الفرنسيون البلاد كونوا ديواناً للنظر فى القضايا العامة وجعلوا المعلم ملطى رئيساً عليه بموافقة اعضائه من مسلمين ونصارى وذلك لما امتاز به هذا الرجل العظيم من الخبرة وحسن التدبير

واستمر المعلم ملطى يدير الديوان بمهارة مدة حكم الفرنساويين وبعد



« ثلاثة من معلمي القبط بينهم المعلم ملطي والجنرال يعقوب »

خروجهم التى القبض عليه وقطعت رأسه عند باب زويله

(٦) المعلم انطون ابو طاقية . اشتهر فى مدة حكم الفرنساويين وكان مثرياً فزاره نابوليون فى أواخر سنة ١٧٩٩ م وكان محتاجاً للمال فنزع المعلم انطون طاقيته من فوق رأسه وأخذ يملأ بها المال حتى استوفى نابوليون حاجته . فارتفعت قيمته فى عينيه فولاه فى وظائف كبيرة فقام بها خير قيام الا انه رفع كثيراً من الاموال والضرائب عن الاهالي فلم يرق عمله فى نظر الفرنساويين فقبضوا عليه وسجنوه فى القلعة حتى يدفع ما تأخر عليه من حساب البلاد فدفعه من ماله الخاص فى الحال . ولما ترك الفرنساويون مصر قبض عليه محمد باشا أبو مرق مع اثنين من كبار الاقباط هما المعلم ابرهيم زيدان والمعلم عبدالله بركات وقتلهم سنة ١٨٠٢ م وأمر ببيع مالهم فى المزاد فوجد عند المعلم انطون كثير من ثياب وأقمشة هندية نفيسة وامتعة ومصاغ وجواهر وساعات وأواني ذهب وفضة وكثير من العبيد والجوارى واستمر سوق المزاد فى ذلك عدة ايام

وفي سنة ١٨٥٣ م سافر المعلم ابرهيم عوض حفيد المعلم انطون الى باريس ليطالب بالمال الذي دفعه جده الى نابوليون امبراطور فرنسا فرد عليه نابوليون الثالث يقول ان هذا المال كان قد فرض على الاقباط فدفعه عنهم ابو طاقية الا انه دفع له أجرة نفقات مبلغ ٤٥٠٠ ليرة فرنساوية

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

٠٠٠٠٠٠٠٠٠

(١) سلطنة محمود بن مصطفى (٢) عبد الحميد الأول (٣) سليم الثالث واحتلال الفرنسويين لمصر

٠٠٠٠٠٠

(١) سلطنة محمود بن مصطفى فى سنة ١٧٣٤ م وفى ايامه كان الانكشارية الاتراك يحصلون من الاقباط ضريبة عن الانفس واشتدت ضيقتهم بواسطة تركي من الاستانة رشى السلطان حتى اشترى امتياز هذه الضريبة وجاء الى مصر وصار يحصل من هؤلاء الاقباط البؤساء اضعاف ما كان يحصله منهم الانكشارية

وفى اثناء النصف الاول من القرن الثامن عشر عاش الاقباط بسلام لان المسلمين كانوا مشغولين بمقاتلة بعضهم الا ان قدرتهم الصناعية انحطت بسبب توالي نزول المصائب عليهم فلم تكن لهم قابلية تامة للتفنن فى اتقان صناعتهم لا سيما ولم يكن فى امكان القبطى ان يبقى فى بيته شيئاً يستحق السرقة ويستمر عنده يوماً واحداً

وفى سنة ١٧٣٣ م أمر حاكم كل قسم بان يفرض ضريبة على الاقباط الساكنين فى دائرته وكانت تحصل منهم على ثلاث درجات الدرجة الاولى تدفع ٤٢٠ بارة عن كل نفس والثانية ٢٧٠ والثالثة ١٠٠ وألزم البطريرك بدفع الضريبة عن

القسوس والخدام ومع كل ذلك لم يصدر أمر رسمي باضطهادهم غير انه في الوقت الذى كان فيه المماليك يقاتلون بعضهم كان العرب يهجمون على البلاد وينهبون البيوت ويقتلون الرجال ويسبون النساء . وانتهزوا هذه الفرصة مرة فهجموا على مدينة اخميم في الوجه القبلي وكان معظم سكانها من النصارى أهل الكد والعمل فنهبوها وخربوها وقتلوا كثيراً من أهلها

وهكذا كان بين آن وآخر يحدث استبداد وضيق على الاقباط المسيحيين وعلى الذين أسلموا منهم أيضاً بسبب اختلال النظام وفساد الاحوال. ولما استولى العرب الهوارة على معظم بلاد الوجه القبلي انتمى القبط اليهم فادخلوهم فى ذمتهم وحماهم فصار القبطى يخاطب العربى المنتمي اليه « ببدويي » والعربي يسمى القبطى الذى تحت حمايته « نصراني » وهكذا كانت عيشتهم فى هذه المدة راضية نوعاً

بل ان الحكومة اضطرت لاحتياجها الى اناس ذوى فطنة ان تستخدم الكثيرين من الاقباط في أعمالها فقاموا بتنظيمها أحسن قيام فوضعهم كبار المسلمين وعظماؤهم والولاة والحكام موضع ثقتهم وسلموا اليهم ادارة المصالح والاشغال والحسابات وكثيراً ما كانوا يكنون باسمائهم فيقال مثلا المعلم غبريال الساداتوالمعلم يوسف الالفي والمعلم منقريوس المورلي وغير ذلك نسبة لمخدوميهم الذين اعتقدوا فيهم الامانة والاخلاص فعهدوا اليهم بمسائلهم الشخصية فكانوا يدبرونها أحسن تدبير وأدى ذلك الى الاعتقاد بان الاقباط على بينة تامة بالسحر والتنجيم والعرافة

ومن ذلك قيل انه فى شهر يونيه سنة ١٧٣٤م ادعى رجل قبطى من أهل التخيلات الفاسدة ان العالم سيقضى يوم الجمعة المقبل فذاع الخبر في كل مكان وحل الهلع في القلوب ولما سئل عن حقيقة الخبر قال مؤكداً « احبسونى في أى مكان شئتم واذا لم يتم قولي اذبحونى » فزاد خوف الناس . ولما جاء الميعاد ولم يحصل شيء لم يكذبه الناس بل قالوا ان الاولياء التمسوا من الله ان يعفى عن العالم فعفى عنه

وكان محظوراً على الاقباط ومحرماً عليهم زيارة القدس ففى سنة ١٧٥٣ م سعوا لينالوا تصريحاً بزيارته ولو كلفهم ذلك المبالغ الطائلة ليرشوا بها الحكام .

وكان لاحد كبار المماليك سكرتيراً قبطياً له نفوذ كبير عنده فتمكن بواسطته من مخابرة شيخ الجامع الازهر فقبل ان ينظر في الامر على شرط ان يدفع له مبلغ الف دينار لكي يصدر فتوى تبيح للاقباط الذهاب الى القدس والعودة منه بسلام دون ان يصيبهم مكروه فدفع الاقباط هذا المبلغ وأصدر لهم الفتوى فكان سرورهم عظيما وتأهبوا للذهاب الى القدس وعينوا مكاناً فى الصحراء الشرقية الملاصقة للقاهرة ليجتمع فيه المسافرون ومنه يسيرون بطريق البر

فكان يفد الى ذلك المكان كل يوم مئات من الاقباط رجالا ونساء وجهزوا الجمال اللازمة لحملهم وحضر لوداعهم كثيرون من أقاربهم ومعهم كثير من الهدايا الثمينة للقبر المقدس واستأجروا بعض العربان لحراستهم في الطريق

فوصل الخبر الى مسامع المسلمين فتذمروا على عبدالله شيخ الجامع الازهر الذى أصدر تلك الفتوى خصوصاً لما علموا انه أخذ رشوة قبل الافتاء وبقشيشاً بعده فسخطوا عليه كثيراً . ولما رأى ان الانكار لايجديه نفعاً دعا جميع طلبة الازهر وكثيرين من الرعاع والاوباش وحثهم على اقتفاء أثر الاقباط وارجاعهم بالقوة قبل سفرهم فاسرعوا الى المكان الذي كان الاقباط يجهزون فيه أمتعتهم وانقضوا عليهم انقضاض الصواعق والسيوف تلمع بايديهم وبدأوا يفتكون بكل من يتمكنون من القبض عليه فترك الكل جميع امتعتهم وفازوا من الغنيمة بالأياب . فاخذ الثائرون الامتعة وعادوا بها فرحين مغتبطين . وقد بذل أغنياء الاقباط مجهوداً عظيما لارجاع ما فقد منهم من الامتعة فضاعت مجهوداتهم عبثاً

(٢) عبد الحميد الاول سنة ١٧٨٤ م . وفى ايامه عهد لحسن باشا بقمع

المماليك فدخل القاهرة ولم يسلم الاقباط من يده فاعاد عليهم كل القوانين الجائرة التى كانت تسن ضدهم في العصور الاولى وقعد متربصاً عله يجد فرصة مناسبة لسحقهم فانزل كبارهم من وظائفهم التى وصلوا اليها في مدة على بك الكبير ووضعهم في وظائف حقيرة ثم جعل ينهب منازلهم ومنازل أولادهم ويهدمها ويغتصب ممتلكاتهم

ولم يكتف بذلك بل أمر المنادين ان يصيحوا فى شوارع القاهرة محذرين

الاقباط من ركوب دابة ومن ان يقتنوا عبداً اوجارية أو يسموا أحدا بنائهم باسماء الانبياء أو الرسل المذكورين في التوراة وتوصل حسن بذلك الى اغتصاب كل جوار وعبيد الاقباط وصرح لمسا كره بطرد كل جارية او عبد يجدونه في بيت قبطي وجمع حسن باشا كل هذا الرقيق الى القلعة وهناك باعه بثمن فادح . واضطر الاقباط ايضاً الى الخضوع للامر الثاني فغير الموظفون عند المسلمين اسماءهم وعرف القبطي باسمين اسم ينادى به في مركز عمله واسم ينادى به بين اهله

وبعد ذلك أمر حسن باشا باحصاء الاقباط وبيوتهم وقرر عليهم جزية ٥٠٠٠ كيس نقدية يدفعونها للحكومة وضاعف ضريبة الانفس لا سيما على الذين خرجوا مع مخدوميهم الامراء صحبة مراد بك وابرهيم بك العاصيين اللذين جاء لاذلالهما فقد زاد عليهم الضريبة ضعفاً آخر حتى بلغت ٧٥٠٠ ريال ولا يخفى ما حصل للحريم من الاهانة في تحصيلها حال غياب أزواجهن الرجال وكان بين الكتاب المباشرين رجل يدعى المعلم واصف فقبض عليه وحبسه وضربه وطالبه بالاموال وكان المعلم واصف كما روى الجبرتي يجيد التركية ويعرف الايراد والمصاريف وعنده نسخ من الرزنامة ويحفظ الكليات والجزئيات ولا يخفى على ذهنه شيء من ذلك

وألزموهم بلبس زيهم الاصلي من شد الزنار والزنوط فتسلط العامة عليهم وتتبعوهم بالايذاء ومن وجدوه بغير زنار رجموه بالحجارة وحثوا التراب في وجهه فانكمشوا وانكفوا عن الخروج اياماً وأرسل حسن باشا يطلب من قاضي القضاة احصاء ما أوقفه المعلم ابرهيم الجوهري يومئذ على الكنائس والأديرة ثم أحس بما وراء ذلك من الفشل وظهور الفتنة فخاف واستدعى اليه المعلم ابرهيم وكلمه في الامر فصالحه المعلم ابرهيم على مبلغ عظيم من المال فأمر فنودي فيهم بالامان وعدم التعرض لهم بمكروه

وعمت الشدة جميع النصارى فضربت عليهم غرامة أخرى فضاقت الدنيا بهم وباع الكثيرون منهم جميع ما عنده حتى ملابسه وملابس عياله وقرر على كل شخص منهم جزية قدرها دينار بلا فرق وذلك خلاف الجزية الديوانية المقررة على كل واحد منهم وتتبع حسن الأديرة وأخذ كل ما وجده فيها من ودائع .

وفي اوائل سنة ١٧٨٧م مر عبدي باشا والي الدولة مع اسماعيل بك في حي من احياء المدينة فسأل عن اسم الحى فاجابه اسماعيل بك ان معظم سكانه من المسيحيين فأمر للحال بهدم كل ما فيه من المنازل ولم يتمكن الاقباط من تخليص منازلهم من الهدم الا بعد دفع ٣٥٠٠٠ ريال دفع السوريون منها ١٧٠٠٠ وهم دفعوا الباقي .

(٣) سلطنة سليم الثالث سنة ١٧٨٩م واحتلال الفرنسويين لمصر سنة ١٧٩٨م

ولما دنا الفرنساويون من مصر رجاء احتلالها اجتمع المسلمون في ديوان الحاكم وقر رأيهم على قتل كل مسيحي القاهرة الا ان عقلاءهم حذروهم من عاقبة هذا العمل الوخيم فاقتنعوا لكنهم استمروا يذلون الاقباط فكانوا يشتمونهم في الطرقات مهددين اياهم بالذبح . وهجم بعض الرعاع على كنائسهم وأديرتهم ومنازلهم بدعوى البحث عما فيها من الاسلحة

ولما دخل الفرنسويون البلاد تظاهر معظمهم باعتناق الاسلام استجلاباً لرضاء المصريين عليهم فاحتقر الاقباط منهم هذا النفاق ولكنهم لم يستبعدوه على قوم يتلقون التعاليم المسيحية من قصر الفاتيكان . وفي يوم من الايام اجتمع شيوخ المسلمين بالجامع الازهر ونادوا في الشوارع ان كل من يوحد الله يمضي للجامع الازهر لان هذا هو يوم محاربة الكفار فقامت ثورة ضد الفرنساويين فى ٢٢ اكتوبر سنة ١٧٩٨ م وذبحوا كل من كان يمر منهم فى الشوارع . ولما كان المسلمون يعرفون ان الاقباط والفرنساويين على دين واحد ذبحوا كثيرين من الاقباط أيضاً

وقد حاول الاتراك استرجاع مصر من يد الفرنساويين وفى أثناء اشتباك القتال بينهما تخلف قائد تركي يدعى ناصف باشا ودخل القاهرة ودار فيها يذبح وينهب المسيحيين وتهيج المسلمون عليهم فطافوا الشوارع يبحثون فيها على كل مسيحى ليوقعوا به فقتلوا نصارى بولاق ونهبوا بيوتهم وقبضوا على كثيرين من الرجال وذبحوهم بلا رحمة . أما النساء فكن يجلدن عرايا وتقطع رؤوس أطفالهن أمامهن ولم يخلص الاقباط من هذا الويل سوى ضابط تركي اسمه عثمان بك قال لناصف

حسن باشا علناً «ليس من العدل اراقة دماء رعايا الدولة ضد ارادة مولانا السلطان» فانقطع الاضطهاد و بعد ذلك صار القتل في النصارى عاماً فذهبت طائفة الى حاراتهم و بيوتهم التى بناحية بين الصورين وباب الشعرية وجهة الموسكى فصاروا يهجمون على البيوت ويقتلون من يصادفونه من الرجال والنساء وينهبون ويأسرون .

وقال الجبرتي « وحضر أيضاً رجل مغربى والتف عليه طائفة من المغاربة وفعل أموراً فظيعة للغاية فكان يتجسس على البيوت التى فيها الفرنساويون والاقباط فيهجم عليهم ويقتلهم وينهبون ماعندهم ويسجنون النساء ويسلبون ما عليهن من الحلى والثياب ومنهم من قطع رأس البنية الصغيرة طمعاً فى ما على رأسها وشعرها من الذهب » اه ولما انتصر الفرنساويون على الاتراك فى اليوم اكثر المسيحيين محتمين بهم

ثم انتشب القتال مرة أخرى بين الدولتين فأعيدت الكرة على الاقباط فكان يقتل منهم كل يوم خلق كثير وكادوا يهلكون عن آخرهم لولا ان رجلا حازماً منهم يدعى يعقوب دبر طريقة لنجاتهم كما ذكر فى ترجمته فابتنى لهم حصناً لحمايتهم ولكنه تهدم فيما بعد حينما تركه الاقباط فى عهد اطمئنانهم كما هجر الاقباط حيهم في ذلك الحين وهو الموجود الآن بكلوت بك ولم يبق من الاحياء القبطية القديمة غير أماكنهم في حارة الروم وزويلة. وأخذ الاقباط الحذر من ذلك الحين فقووا جدران بيوتهم ورفعوا أسوارها الى حد يتعذر على الهاجمين الصعود اليها وبعضهم كسا أبوابها بمسامير حديد كبيرة ذات رؤوس جافية متلاصقة ببعضها حتى لاتؤثر فيها الآلات الحادة

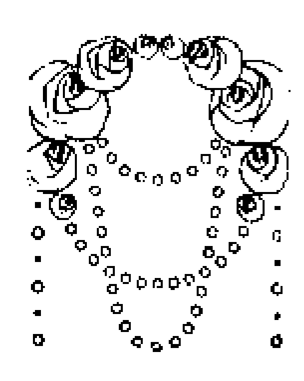
ولما استقر الفرنساويون في مصر ساووا بين أهل الاديان حتى انهم لما شرعوا في ترتيب ديوان للنظر فى قضايا التجار ألفوه من اثنى عشر عضواً ستة منهم من النصارى القبط وستة من تجار المسلمين وجعلوا المعلم ملطى القبطى رئيساً له. وحدث ان نصرانياً جاهر مرة بشرب الدخان نكاية فى المسلمين فغضب عليه أحد المشايخ وضربه ولما وصل الخبر للحاكم الفرنساوى أدب القبطى وألزمه بالخضوع لعوائد البلاد وقبل هذا التاريخ أسلم رجل من عائلة قبطية ودعى محمد المهدى فعظم أمره

واشتد ساعده . وقيل ان الاقباط حال دخول الفرنساويين لمصر طلبوا منهم منع الضيق الحال بهم فرد عليهم المباشر العام يمدهم بالحماية وبمعاقبة الذين يسمون في ذبحهم ووعدهم اذا ارجع لهم حقوقهم ان يعاملوه بالامانة ثم مدح بطريركهم على فضائله وحسن مقاصده

وكان اذا مر أحدهم على الجامع الازهر ينزل من على حصانه ولا يمر به را كباً غير ان بعض الجهلاء ثاروا على أثر ربط الفرنساويين العوائد على الاملاك وتعصبوا ضدهم وارتكبوا فظائع كثيرة فهددهم الفرنساويون بضرب المدينة ولا سيما الجامع الازهر ولما لم يرتدعوا خربوا منازل كثيرة حول الجامع ودخل الجنود الجامع فأهانوه اهانة عظيمة

وفيما بعد قتل كليبر قائد الفرنساويين وخلفه آخر يدعى مينو فلكى ينال عطف المسلمين اعتنق ديانتهم ودعا ذاته عبدالله واسلم معه ابنه وسماه سليمان ورفت كل الموظفين المسيحيين من اقباط واجانب وسلم كل الاعمال للمسلمين وجعل قانون الاحوال الشخصية المتعلقة بالميراث والزواج وفقاً للشريعة الاسلامية

وعند خروج الفرنساويين من مصر كان سخط المسلمين على الاقباط شديداً بسبب المساواة التي تحصلوا عليها بهم في زمنهم وظهورهم را كبين الخيل وحاملين السلاح فلهذا وقع الاقباط تحت ضنك شديد بعد خروج الفرنساويين فدارفيهم السلب وهدمت بيوت كثيرة لهم وكان يعرض حياته للخطر من يتجاسر منهم على بناء بيت أو كنيسة .



القرن التاسع عشر

القسم الأول

تاريخ البطاركة

(١) بطرس ٧ (٢) كيرلس ٤ (٣) ديمتريوس ٢ (٤) كيرلس ٥

(١) بطرس ٧ ـ البطريرك المائة والتاسع . ولد بقرية الجاولى بمركز منفلوط ولذا اشتهر باسم بطرس الجاولي . وكان يدعى أولا منقريوس ورسم قسيساً بدير القديس انطونيوس باسم مركوريوس ثم رقي الى درجة الايغومانوسية لما لاحظه فيه رئيس الدير من التقشف والاستقامة ولبث مواظباً على أعماله النسكية حتى بلغ خبره مسامع البابا مرقس سلفه فاستدعاه اليه وكان فى حاجة شديدة الى رجل صالح يرسمه مطراناً للحبشة فانتخبه لهذه الوظيفة غير ان عناية الله أخرت تعيينه وحفظته لما هو اسمى من ذلك . الا انه رسم مطراناً على الكنيسة عموماً باسم وكيل الكرازة المرقسية ودعى ثاوفيلوس فأقام مع البابا مرقس في الدار البطريركية وشاطره في القيام بجميع مصالح الامة الى ان توفى البابا مرقس فأجمع رأي الكل على اقامته بطريركا وقد تم تعيينه في يوم الاحد ١٦ كيهك سنة ١٥٢٦ ش و ١٨١٠ م بعد وفاة سلفه بثلاثة ايام وذلك في عهد خديوية محمد علي باشا . وهو اول من وضعت عليه الايدي في مركز البطريركية

وكان هذا البابا تقياً ورعاً زاهداً متقشفاً محباً للخير قليل الكلام مع هيبة ووقار يقضي يومه منكباً على المطالعة او مواظباً على الصلاة خصوصا لاجل سلام كنيسته ويروى ان احد اصحابه احتاج اليه في امر فدخل عليه حجرته فالفاه يصلي والدموع على خديه وليس عليه من الملابس الا ما يقيه من النظر فأمر بعد ذلك ان لايدخل اليه احد وهو منفرد . ولم يكن يهتم يوماً بما يأكل او يشرب حتى انه اشتهى مرة طعاماً فابقاه الى ان انتن ومن ثم اكل منه رغماً عن اشمئزاز نفسه تعنيفاً لها وتبكيتاً . ومثل ذلك يقال عن لباسه فلم ير يوماً لابساً لباساً انيقاً او جالساً في مكان يدل على الابهة بل كان لايلبس الا الصوف الخشن وينتعل مركوباً مكعوباً احمر بملعقة ولا يجلس الا على الارض او على دكة ولا ينام الا على حصير من القش وبالجملة فكان وديعاً متواضعاً لم يزده ارتقاؤه الى رتبة البطريركية الا مبالغته في انكار الذات فلم يغير نظام رهبنته حتى قيل انه كان يجدل الخوص في اوقات فراغه

وكان لايتعرض الى امر من امور السياسة ولايخرج من الدار البطريركية الا اذا دعته الحاجة واذا سار في الطريق ارخى على وجهه لثاماً اسود واذا تكلم فمع التأدب والحشمة ولا ينظر الى وجه سامعه ولم يكن يرغب في حضور الاكاليل في المنازل واذا طلب احد وجوده لنوال بركة فكان يطلب حضور العروسين بالكنيسة صباحاً ليناولهما الاسرار المقدسة بعد الاعتراف . قيل انه اصيب مرة بألم في ركبتيه فوصف له العارفون لبس ثلاثة جوارب من الصوف فأبى بتة ان يبدل نظام معيشته النسكية معتقداً ان الله وحده هو الشافي

وكان هذا البابا فضلا عن ذلك سامي الاخلاق واسع العقل كثير الرغبة في اصلاح كنيسته وكان ميله شديداً لمطالعة الكتب الدينية والعلمية والتاريخية حتى كانت تشغله المطالعة احياناً عن الأكل والشرب ولهذا اهتم بنقل ونسخ الكتب النادرة ومن ضمنها سيرة القديس باخوميوس ابي الشركة وينسب معظم ما يوجد اليوم في مكتبة البطريركية الى ما جمعه هذا البابا . ووجد له مؤلف كتاب « نوابغ الاقباط ومشاهيرهم » في مكتبة البطريركية كتابين بخطه في الدفاع عن العقائد الارثوذكسية الاول « مقالات في المجادلات » والثاني « في

الاعتقادات رداً على المعاندين » وله ايضاً مواعظ ورسائل وقصد بها كتب هداية من انسلخوا عن كنيستهم وانضموا للكنيسة البابوية

وأضاف البابا بطرس الى هذه الصفات الحلم في الرئاسة والحكمة في التصرف فاصبح موضوع الاحترام عند الجميع وفاز بحظوظ قلما سبقه فيها غيره فكانت الحكومة راضية عنه وكان قومه حاصلين على الامن والرفاهية والكنيسة مشهورة في القطر المصري حاصلة على اقامة شعائرها ونال حظوة لدى الوالي وبواسطته نجح الاقباط وعهدت الحكومة اليهم في الاشغال الكتابية والادارية ونالوا أوفر قسط من الحرية فكانوا يباشرون عبادتهم ويخرجون موتاهم وأمامهم الصليب بدون خوف

وكان بالنوبة ١٧ ابروشية ايام ان كان اهلها يدينون بالمسيحية فلما خضعت لمصر بعد الفتح العربي سقطت حكومتها المسيحية وأبدلت بحكومة اسلامية ولما تم لمحمد علي باشا فتحها سنة ١٨٢٠ م كان لايزال بها ألوف من الاقباط وعاد الذين تظاهروا بانكار الديانة المسيحية الى الاعتراف بها وطلبوا ان يرسم لهم اساقفة فرسم البابا بطرس اسقفين على التعاقب وارسلهما مع فيئة من الرعاة برضاء الهيئة الحاكمة

وكان افضل ما اشتهر به البابا بطرس زهده في المال وكراهته له فلم تجد السيمونية اليه سبيلا بل كان لا يسمح بوضع اليد على أي كاهن ما لم يتأكد من حسن سلوكه . وفي مدته صار تجديد كنائس بالأقاليم البحرية والقبلية ورسم في عهده ٢٥ اسقفاً ومطرانين للحبشة ومن الاساقفة المشهورين في ايامه يوساب الاخميمي واثناسيوس الغمراوي وتوماس المليجي وسرابامون المنوفي الشهير بابي طرحه وسيرد تاريخ حياته

وكان اقباط بلدة الجاولي مسقط رأسه متضايقين للغاية من قساوة العائلات الاسلامية القوية فيها فلكي يخلص البابا بطرس قومه من نيرهم استدعى اليه اكابر اقباط تلك البلدة وكلفهم بانتقاء مائتي فدان من افضل اطيانهم وقدمها هدية لشريف باشا ورام بذلك ان يعين لها الباشا متى دخلت في حوزته مندوباً من قبله كالحاكم يكون له وحده حق الاشراف على شؤون البلدة وبذلك يمتنع استبداد

المسلمين بالاقباط . وكان الرجل الذي عينه شريف باشا بايعاز البابا بطرس قبطياً من اسيوط يدعى المعلم بشاي مليوش واعطاه شريف باشا ٣٦ فداناً من المائتين ليزرعها ويعيش من ايرادها وبهذه الطريقة تمكن البابا من تحرير اقباط بلدته من الذل الذي كان واقعاً عليهم

فعاح حينئذ عبير فضائل هـذا البطريرك الجليل في كل مكان واصبح ذكر اسمه مقروناً بكل اجلال واحترام وتقاطر الى مجلسه كبار العلماء المتدينين للمباحثة فكان يجاوبهم على اسئلتهم بكل حكمة . ووشح الله علمه وتقواه بموهبة الآيات والعجائب فجرى على يديه منها الكثير ومن ذلك قيل انه ذات يوم أتاه رجل مخبراً اياه بانه ترك بيته مدة خمسة اشهر طلباً للمعاش ثاني يوم زواجه قبل ان يعرف زوجته ولما رجع اليها وجدها حبلى ولما سألها عن الحقيقة ازدرت به لعلمها بان اباها أسمى منه مقاماً وأعلى مركزاً فاستدعى البطريرك تلك المرأة فأتت مع والدها وأخذ البطريرك يستخبرها عن الواقع وينصحها ان تعترف له فأبت ان تجيبه الا بقولها « ان حملي هو من زوجي » ولما ادرك البطريرك انها تكذب قال لها « ان الذي من الله يثبت والذي من الشيطان يزول » فلم تبال بهذا القول ولكنها لم تكد تضع رجلها على آخر درجات سلم البطريركية حتى سقط الحمل . فلما علم البطريرك بذلك أصدر حكمه بطلاقها لعلة الزنا . وقد كان ذلك الرجل الوجيه يظن ان جاهه يحمل البطريرك على الحكم لمصلحته ولكن البطريرك خيب قوله وقال له « ليس بينكم احد أقوى من الضعيف متى كان مع الحق ولا أضعف من القوي متى كان مع الباطل »

وفي ايامه توقف النيل عن الزيادة فضج الناس وعجوا وأمر الحاكم رؤساء الاديان برفع اصوات الابتهال الى الله لتزيد مياه النيل فصلى اولا المسلمون وعقبهم اليهود فلم يزد النيل قيراطاً واحداً فطلب من البطريرك ان يصلي فتقدم الى ساحل البحر ومعه بعض الاساقفة والكهنة والشعب وعظماء الامة ورفع الاسرار الربية وبعد الانتهاء القى المياه التي غسلت به الاواني المقدسة في البحر مع قربانة من قربان البركة فشوهد البحر يتعالى حتى اخذ حده في الزيادة ووصل الى المكان الذي اقيمت فيه خيمة الصلاة قبل ان ترفع وكان ذلك في ١٩ مسرى

سنة ١٥٢٥ ش

وبلغت اخبار فضل البابا بطرس وتقواه مسامع محمد علي باشا فأجله واكرمه وانزله عنده منزلة سامية وحدث لما احتل ابرهيم باشا الاراضى المقدسة وشى اليه بعض الاشرار بان ما يدعى به المسيحيون من ظهور النور على قبر المسيح هو زور وبهتان فصدق ابرهيم باشا وشايتهم وزاده ريباً علمه ان النور لا يخرج الا على ايدي بطاركة الاروام بالقدس . ولما كانت ثقة ابرهيم باشا وابيه بالبابا بطرس عظيمة استدعاه اليه من مصر فسار البطريرك الى القدس ولما علم ابرهيم باشا بقدومه خف لاستقباله بحاشيته وقواد جيشه وعند حضور البطريرك امسك بيديه وساعده على النزول من مركبه واعلمه بالامر الذى استقدمه بسببه وطلب منه أن يصلي ليخرج النور على يديه فاجابه البابا بطرس والدموع تفيض من عينيه « ان النور يظهر على يديك لا على يدي انا الخاطىء » ولعلم البابا بطرس بان ذلك تترتب عليه عداوة بين الروم والاقباط اعتذر لابرهيم باشا طالباً منه ان يكون حاضراً معه بطريرك الاروام ويكون هو معهما ليزول الريب فرافقهما ابرهيم باشا وكانت كنيسة القيامة قد فاضت بالجماهير وتضايق الناس من الازدحام فأمر ابرهيم باشا عساكره باخراج جميع الفقراء والزائرين الى خارج القيامة والاحداق بهم حتى يوقعوا بهم اذا لم يظهر النور

فشعر البابا بطرس بسوء العاقبة اذا لم يظهر النور وكان قد قضى هو وبطريرك الاروام مواظبين على الصلاة والصوم مدة ثلاثة ايام كالعادة وبعد ذلك اقيمت الصلاة المعتادة فوق القبر ولم تتم حتى انبثق نور من القبر المقدس واجتاز من الاعمدة فشقها كما يرى اليوم الى ان وصل الجماهير المحتشدة خارج الكنيسة فضجوا هاتفين « النور . النور » وتلتهم أصوات الذين في الكنيسة قائلين كذلك بطريقة ارعبت ابرهيم باشا وصيرته فى ذهول وكاد يسقط على الارض وهو يقول (امان بابا) واستند على البطريرك حتى هدأ روعه وعادت اليه قواه

ومن ثم بالغ ابرهيم باشا في تعظيم البابا بطرس واعاده الى القاهرة بكل اجلال وقضى بقية حياته يقضى بين شعبه بكل حكمة وعلم منصفاً للمظلوم من الظالم وللضعيف من القوي دون ان يراعى الا ما يمجد اسم الله القدوس . وذات

يوم جاء واحد من كبار الشعب يصلي بالكنيسة صباحا كالعادة فرأى ان الكاهن قد اطال في الصلاة فكلمه في ذلك وأفهمه ان ميعاد انصراف الموظفين الى دواوينهم قد ازف فلم يلتفت اليه الكاهن بل استمر يصلي حتى انتهت العبادة. فشكى الكبير الكاهن الى البطريرك فقال له « هذا بيت الله ولا يصح تقديم او تأخير العبادة فيه تبعاً لرغائب الناس »

ومما يدل على عظم فضيلته انه اتاه يوماً رجل يشكو من امرأته التي تزوجها بكراً فوجدها ثيباً فقال له البابا بطرس « ذلك هو الافضل لك حتى تقوم بخدمتك كما يجب » فكرر عليه الرجل الشكوى وهو يقول له « خير لك ان تكون امرأة لتقضي لوازمك » ولما رآه الرجل لا يفهم المقصود أحضر له اناء من اللبن الرائب مختوماً بدون ان تمسه يد وقال له ان البكر تكون هكذا ثم غمس فيه أحد أصابعه وقال له هكذا تكون الثيب . فقال البطريرك « لعن الله اليوم الذي عرفت فيه البكر من الثيب » ثم قضى في دعواه رسمياً

ولما كان محمد علي باشا يتقدم في فتوحاته وغزواته خشيت دولة روسيا ان يعظم أمره ويحول دون أمانيها في الشرق وفي المملكة العثمانية ففكرت ان تستعين بالامة القبطية على نيل اغراضها ضد محمد علي باشا فأرسلت أميراً روسياً يعرض على بطريرك الاقباط قبول حماية الروسيا لشعبه فذهب المندوب الى الدار البطريركية وكان يفتكر انه يرى رئيس اكبر أمة مسيحية في افريقية بحالة تدل على عظمة وتنم على أبهة وكانت قد وردت الاخبار للبطريرك بزيارته فلم يبدل شيئاً من نظام بطريركيته أو يهتم بتغيير هيئته حتى انتهى اليه المندوب الروسي فالفاه والكتاب المقدس بيديه يطالع فيه وهو بزعبوطه الصوف الخشن جالساً على مقعد خشبي وحوله مقاعد مثله مبعثرة فلم يخطر ببال المندوب ان هذا هو رئيس الامة القبطية سليلة مجد الفراعنة وسأله اين البطريرك ؟ فاجابه البابا بطرس ومن الذي يروم مقابلته فاجابه المندوب معرفاً اياه بمركزه العظيم فقال له البابا بطرس بكل هدوء تفضل اجلس انا البطريرك بنعمة الله. فظهرت بغتة على المندوب دهشة عظيمة وكاد يكذب انه هو ويخرج لولا انه رأى ملامح الصدق ظاهرة على وجه البطريرك ولعل دهشة المندوب نشأت من مقابلة بساطة البابا بطرس

بفخفخة رؤساء الاديان في باقي الاقطار حيث يقلدون الملوك في مجالسهم وملابسهم وابهتهم ولكن لو رفع بصره وتمثل أوامر رئيس المسيحية لرسله وكيف كان يعيش رؤساء المسيحية في عصورها الاولى لزال عجبه واعتبر ان هذا حقاً خليفة رسل المسيح في بساطتهم ونسكهم ووقف المندوب برهة وهو يشخص الى البطريرك باهتاً حتى غلبته عظمة البابا بطرس الروحية لا الخارجية فاسرع اليه وانحنى أمامه ولثم يديه فقابله البابا بطرس بما يليق وأجلسه بجانبه

ثم أخذ المندوب يسأله لماذا يعيش بمثل هذه البساطة ولا يهتم بمركزه في العالم المسيحي فاجابه البابا بطرس « ليس الخادم أفضل من سيده انا عبد يسوع المسيح الذي أتى الى العالم وعاش مع الفقير ولاجله وكان يجالس الخطاة ولم يكن له دار يأوى اليها أما انا فلي مكان أقيم به وأحتمي فيه من حر الصيف وبرد الشتاء . لم يكن للمسيح ملك الارض والسماء ما يأكله مع رسله الاطهار ولا مخزن فيه مؤونة وها أنا آكل وأتمتع فهل انا أفضل من صاحب المعونة ؟ فتحير المندوب في كيف يجيب وتخلص بالسؤال عن حال الكنيسة القبطية فاجابه البابا انها بنعمة مخلصها في خير وما دام هو يرعاها فلا بد ان تجوز جميع الصعوبات

فبدأ المندوب يظهر ألمه على حالة الاقباط التعيسة وعرض على البطريرك حماية قيصر الروسيا للشعب القبطي فاجابه البابا مستفهما بشيء من البساطة « هل مليككم يحيا الى الابد » قال له لا ياسيدي الآب بل يموت كما يموت سائر البشر . فاجابه « اذن انتم تعيشون تحت رعاية مليك يموت واما نحن فنعيش تحت رعاية مليك لا يموت وهو الله »

حينئذ لم يسع المندوب الا ان ينطرح على قدمي البابا بطرس وأخذ يقبلهما وترك الدار البطريركية وقد شعر بعظمة هذا البطريرك الروحية وانطلق الى محمد علي باشا فسأله عما رأى بمصر فاجابه «لم تدهشني عظمة الاهرام ولا ارتفاع المسلات وكتاباتها ولم يهزني كل مافي هذا القطر من العجائب بل أثر في نفسي فقط زيارتي للرجل التقي بطريرك الاقباط » ثم روى له ماجرى بينهما فطفح السرور على وجه محمد علي باشا وقام في نفس اليوم الى الدار البطريركية وقدم الشكر الجزيل للبابا بطرس على ما أبداه من الوطنية الحقة ومن الاخلاص للبلاد فقال له البابا بطرس

لاتشكر من قام بواجب عليه نحو بلاده » فقال له محمد علي باشا والدموع تنهمر من عينيه « لقد رفعت اليوم شأنك وشأن بلادك فليكن لك مقام محمد علي بمصر ولتكن مركبة معدة لركبك كمركبته »

وبعد هذه الحوادث حصل خلاف بين الانبا سلامة مطران الحبشة وبين ملكها وسببه انه لما فتح السودان طلب النجاشي من البابا بطرس رسم الكهنة على الحدود للحبشة فلبعد المسافات كلف الانبا سلامه باختيار الكهنة فرسم الانبا سلامه من العلمانيين الاقباط العدد المطلوب على الطقس القبطي فلم يرضهم الكهنة الاحباش الذين معه ولم يعترفوا بهم وشنعوا عليه للنجاشي ثيوذوروس فكان هذا مبدأ الخلاف الذي اتسع . والسبب الحقيقي لهذا الخلاف هو تحول الاحباش عن التمسك بالامانة المستقيمة فكان الانبا سلامه ينصحهم ليرجعوا الى اعتقادهم الاصلي فأبوا سماع صوته مدعين بانهم وجدوا آباءهم على ما يسيرون عليه واذ رأى ان النصائح غير كافية لردعهم هددهم باستعمال أحكام الكنيسة فرفعوا الى البطريرك شكوى في حقه مؤداها انه قاس عليهم فكتب اليه البطريرك يطلب منه ان يستعمل معهم اللين واللطف فارسل المطران للبطريرك يشرح له حقيقة المسألة فشجعه على ثباته

ويذكر مؤلف « الكافي » سبباً آخر لهذا الخلاف وهو انه يوجد للقبط بارض بيت المقدس دير عظيم يعرف بدير السلطان وهو على مقربة من كنيسة القيامة وكانت تأوى اليه جماعة من الحبشان المستوطنين ببيت المقدس كسائر الغرباء الذين لامأوى لهم بتلك الديار فاتفق ان وقع شقاق بين اولئك الحبشان وبين رهبان ذلك الدير أدى الى المخاصمة ثم الى الملاكمة فلم يسع الرهبان الا اخراج اولئك الحبشان خارج الدير المذكور وسد ابوابه في وجوههم فتحزبوا وأرادوا الدخول عنوة فلم يفلحوا فشكوا أمرهم الى أصحاب الحل والعقد فلم ينالوا غرضاً وكان قد كبر مصابهم على قنصل الانجليز ببيت المقدس فتجرد للأخذ بناصرهم وبالغ في تعضيدهم لامر لم تصل الينا معرفته فقام اولئك الحبشان يدعون ملكية الدير المذكور وقالوا ان الذي انشأه هو أحد ملوك الحبشة ولذلك يسمى بدير السلطان وأما القبط فلا ملك لهم ولا سلطان منذ دخول النصرانية بارض

مصر وقال القبط غير ذلك انه بواسطة الاسعد أحد عظماء القبط في خلافة محمد المهدي ثالث خلفاء بني العباس كان الخليفة المشار اليه احسن الى القبط بقطعة الارض الواقع عليها بناء الدير المذكور ورسم ببنائه على نفقته فسماه جماعة القبط من يومئذ دير السلطان

ولما عظم الخلاف وتحرجت الحالة أوعز قنصل الانجليز للحبشان برفع ظلامتهم للدولة العثمانية فسار منهم نفر الى القسطنطينية ووردت كتب النجاشي في ذلك للبابا بطرس فكتب الى مطران القدس ليفض هذا الخلاف بالحسنى فلم يفلح في اقناع جماعة الاحباش ولبث الشقاق يستفحل واشتد الخلاف بين مطران الحبشة واهلها كما ذكرنا فلم ير البطريرك بداً من تسوية المسألة خوفاً من حدوث مالا تحمد عقباه وكان في نيته السفر لبلاد الحبشة لفض هذا النزاع بنفسه فحالت دون ذلك شيخوخته . فاسرع بارسال القس داود رئيس دير انطونيوس الذى خلفه في البطريركية باسم كيرلس الرابع وأوفد معه راهباً بالدير اسمه برسوم الذى رقي فيما بعد مطراناً على المنوفية باسم انبا يؤنس وزود داود بالنصائح ليحل هذا الخلاف بالحكمة وسلمه ثلاثة كتب لكل من المطران والا كليروس والشعب الحبشى . وقبيل سفر داود وعده البطريرك بانه اذا حل المسأله على احسن حال يكافئه مكافأة حسنة ووعده بالمطرانية اذا اتاه ناجحاً

فسار القس داود الى عزبة بوش وتأهب للسفر سنة ١٥٦٧ ش و ١٨٥١ م ثم وصل الى الحبشة بعد متاعب جمة كما ما سيذكر في تاريخه . وفي اثناء وجود القس داود ببلاد الحبشة مرض البابا بطرس وعند احتضاره سأله بعض كبار الامة عمن يخلفه فى هذا المنصب فرفع عينه الى السماء لحظة ثم اطرق وقال «داود رئيس عزبة بوش» فارسلوا يستدعونه عاجلا وكان البابا بطرس قد كتب اليه قبل مرضه بايام كثيرة ان يحضر ولا يبطىء لشدة الحاجة اليه ولكنه لم يحضر الا بعد وفاة البطريرك بشهرين ونصف

وبلغت مدة رئاسة البابا بطرس ٤٢ سنة وثلاثة اشهر و ١٢ يوماً وتنيح منشرح الخاطر من التحسين العظيم الذي تم في ايامه الا انه كان يظهر ألمه من تصرفات الارساليات الكاثوليكية التي كانت فى مبدأ الامر تعمل فقط لجذب

الاروام ولكنها تعدت على الكنيسة القبطية وأغرت بعض أعضائها على ترك مذهبهم . وروى السنكسار بانه عمل الميرون المقدس وعمر بدير انطونيوس عمارة جسيمة وزار الديورة بالبراري المقدسة وزار كنيسة مار مرقس بالاسكندرية ووصف بانه كان طويل القامة ممتليء الجسم ذا صحة معتدلة قلما يشكو ألماً ويعللون ذلك لتقشفه وزهده واعتداله وكانت وفاته في ليلة الاثنين اول جمعة عيد الفصح ٢٨ برمهات سنة ١٥٦٨ ش و١٨٥٢م ودفن بالاكرام بجانب سلفه وخلا منصب البطريركية بعده سنة واحدة و١١ يوماً

(١) كيرلس ٤ — البطريرك المائة والعاشر . ولد هذا المصلح العظيم حوالي سنة ١٥٣٢ ش وسنة ١٨١٦ م بقرية نجع ابو زرقالي من قسم صوامعة سفلاق المعروفة بالصوامعة الشرقية باقليم اخميم من مديرية جرجا ودعي داود ومع ان والده توماس بن بشوت بن داود كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة ولكنه اعتنى بتعليم ابنه حتى صار ملماً بالقراءة باللغتين العربية والقبطية وشيء من الحساب ولما كبر اشتغل مع والده بالزراعة وفي هذه الاثناء اختلط بالعربان المجاورين لقريته فتعلم منهم امتطاء صهوات الخيول وركوب الهجن حتى اشتهر فيهم بالفروسية . ومنذ نشأته لم يعبأ بمهام هذه الحياة كأن العناية كانت تجهزه لعمل أشرف ولغاية أعظم بل كان عفوفاً تقياً ورعاً محباً للفقراء حسن النية سليم الطوية ميالا الى العزلة والانفراد شديد الرغبة في معرفة اخبار القديسين

ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره مال الى الرهبنة وعزم على الرحيل من وطنه فمنعه أبواه ولكنه استمر يراقب الفرص حتى خرج هارباً سنة ١٥٥٤ش فقصد الى دير انطونيوس ولبس اسكيم الرهبنة على يد رئيسه القس اثناسيوس القلوصني الذي توسم فيه النعمة وآنس فيه الاهلية والكفاءة ولم يتم به سنة حتى أظهر في خلالها ذكاء وورعاً ودعة واصالة رأي فضلا عن ميله الى مطالعة الكتاب المقدس وكان يجمع الرهبان ويقرأ عليهم ويشرح لهم ويحببهم في المطالعة فسر منه رئيس الدير ورسمه قسيساً وصار يعتمد عليه في انجاز الامور المهمة وعهد بتدبير امر الرهبان اليه . ومع ذلك لم يكن يميل قط الى التباهي او التفاخر

بفضائله لانه لم يكن يكره شيئاً كما يكره الانانية فوصل خبره الى البابا بطرس السابع فاستدعاه اليه وباركه وشاركه في منحه البركة الانبا صرابامون الاسقف



« البابا كيرلس الرابع بملابسه الاعتيادية »

الشهير بابي طرحه وتنبأ له بمستقبل حسن ولم تمض سنتان على وجوده بالدير حتى مات رئيس ذلك الدير فاجمع الرهبان على اختياره لهذا المنصب بالرغم من حداثة عهده وكتبوا بذلك للبابا بطرس السابع البطريرك فأقرهم على اختياره ورقاه الى رئاسة الدير ومن ذلك الحين بدأ يتألق نور مواهبه حيث بادر الى وضع نظام للدير حرم به على الرهبان مغادرته الا لضرورة قاطعة وأخذ في اصلاح احواله الادبية والمادية وأكب في الوقت نفسه على توسيع دائرة معلوماته فاهتم بدرس الصرف والنحو فاكتسب منهما ما يكفي لضبط ألفاظه وعني بتعليم الرهبان فخصص في

العزبة بناحية بوش بمديرية بني سويف التي كانت ولا تزال مقر ديرانطونيوس مكاناً جمع فيه كثيراً من الكتب على كتب الدير وجعله للمطالعة والمناقشة في المواضيع العلمية دينية وادبية وتاريخيـة . ثم فتح « كتاباً » في بوش لتعليم الاولاد اللغتين العربية والقبطية ومن نوادره وهو رئيس عزبة الدير ببوش انه اراد ان يرد الزيارة لمن زاره فمر عمداً من طريق يوصل للجامع فالفاه متهدماً فلام المسلمين على ذلك ووعد بمساعدتهم اذا هم شرعوا في بنائه وذلك ليساعدوه في ما كان ينتويه من بناء العزبة . وحدث ايضاً انه كان يتفقد زراعة الدير فشاهده اعرابي وهو بلباس الرهبنة فقال له انزل يا نصراني عن الدابة ليسلبها منه فاستعطفه فلم يقبل بل لطمه على خده واتفق ان زلت قدم الاعرابي في بركة ملآنة بالطين فتركه القس داود يغسل ملابسـه وانطلق الاعرابي يشتكي لرئيس الدير الراهب الذي دفعه الى البركة فقابله هو وقال انا هو الراهب الذي لطمته ومع ذلك فاني مسامحك واعطى له نصف اردب قمحاً ومثله شعيراً

ولما حدث الخلاف بين الاحباش وبين مطرانهم الانبا اندراوس ولما كان للقس داود اقبال وحسن سياسة انتدب للقيام بفض هـذا النزاع . قال بعض المؤرخين ولم يفلح في هذا الامر لسعاية قنصـل الانجليز وطال مقامه على غير طائل وجاء اليه الطلب فتقدم الى النجاشي في ذلك فلم يأذن له وعوقه اياماً أخر ثم سرحه .

وحدث قبل قدومه من بلاد الحبشة وبعد وفاة البابا بطرس بقليل ان اجتمع الاسـاقفة وكبار الامة بالدار البطريركية ليتفقوا على انتخاب بطريرك كالعادة فذكر بعضهم القس داود فعارض آخرون بحجة عدم معرفتهم ما آل اليه امره ورغبوا في انتخاب سواه وهكذا انفضت هذه الجلسة بدون جدوى . واتفق ان وصلت رسالة عقب ذلك من القس داود لاحد الوجهاء من اصدقائه ينبئه فيها بمبارحة بلاد الحبشـة ووصوله حدود مصر فابتهج الذين رشحوه واذاعوا الخبر ومن ثم طلبوا انتخابه في الجلسـة الثانية فعارضهم قوم وطلبوا انتخاب الانبا يوساب اسقف اخميم وبقيت المعارضة مستمرة دون ان يصلوا الى نتيجة ولما وصل القس داود الى القاهرة تقوى محازبوه وشـددوا في انتخابه

ولاقاه الناس باحتفال عظيم للغاية ونزل بالدار البطريركية ضيفاً ولبث بها اياماً وكان وصوله فى ١٧ يوليو سنة ١٨٥٢ م

بعد ان لبث ببلاد الحبشة سنة وستة أشهر وكان الامر يومئذ الى عباس باشا الاول فرفع اليه جماعة من كبار الامة التماساً باقامة داود بطريركا . قال احد كتاب الاخبار فطاولهم وسأل اصحاب الزايرجات عما يرونه في اقامة داود بطريركاً فارجفوا وهولوا وقالوا نكد ثم خصام وشدة ثم موت الوالي وتمزيق شمل اتباعه فاضطرب عباس باشا وشدد فى السؤال فلم يروا فى حسابهم غير ذلك وكان من مقدمي دواوين الدولة يومئذ ديواني اسمه جاد افندى عوني وهو جاد شيحه فاستدعاه كتخدا الباشا وقال له اعلم جماعة القبط بان لا سبيل الى ولاية داود منصب البطريركية فان أبوا الا هو كانت الطامة الكبرى فلما علم القوم بما قاله كتخدا الباشا اختلفت أراؤهم وتفرقت كلمتهم وانقسموا فمنهم من قال لا نختار غير داود ومنهم من طلب اسقف اخميم السابق ذكره وهؤلاء هم انصار جاد افندي ومنهم من اختار الانبا اثناسيوس اسقف ابي تيج ومنهم من اختار غيره واشتد الاختلاف وتفرقت الأهواء وكثر التحزب وتوالى الاجتماع في الليل والنهار ولبثوا على هذه الحالة اياماً وجاد افندى يغدو ويروح على كتخدا الباشا ليعلمه باخبار كل يوم

ولما كاد الشقاق يستفحل استعان انصار القس داود بالمستر ليدر أحد مرسلي جمعية التبشير الانجليزية وطلبوا منه التوسط لدى قنصل الانجليز ليكلم عباس باشا فى أمر قبول القس داود بطريركا فكلمه فوعده ولكنه ماطل فى وعده حتى قدم من بلاد الحبشة قسيس حبشي ومعه كثير من الهدايا الثمينة وكتاب من النجاشي لعباس باشا فقابله ومكث عنده أياماً ومن ثم أشيع فى كل مكان ان القس داود سار الى بلاد الحبشة ليستعين هو وقومه بالنجاشي على الخروج من طاعة الوالي فاستدعى القس داود الى دار المحافظة واستجوب عما كان بينه وبين النجاشي وكان الباشا قد أمر ان يذهب به الى مجلس الاحكام بقلعة الجبل فكانوا يأتون به أمام المجلس كل يوم مرة ومرتين ويشددون عليه في السؤال وكان هو مع ذلك هادئاً ثابتاً يتكلم برزانة وبعقل فاغتاظ عباس باشا واشتد بغضه للقبط فأمر باخراج

الموظفين منهم من خدمة الحكومة ونفى مقدميهم الي سنار وأوفور وأذل من كانت الحاجة اليه شديدة فكانوا لمعظم ضيقهم يشترون المصالح الديوانية بالمناقصة

ثم استدعى كتخدا الباشا جاد افندى يوماً وأعلمه برغبة الوالي فى اختيار بطريرك غير داود وطلب منه التعجيل في ذلك هروباً من وساطة القنصل فجمع جاد افندى الاساقفة وأوقفهم على الامر فانتشرت عليهم آراؤهم وتمزقت وحدتهم الا ان محازبى اسقف اخميم اتفقوا على تنفيذ رغبتهم بالحيلة وذلك انهم يجتمعون ليلا ويوسمونه بطريركا فاذا أصبح الصباح وجد انصار القس داود ان السهم قد نفذ فيرضخون مكرهين وقيل ان جاد افندى كان قد تحصل على امر شفاهي من عباس باشا برسمه . ثم اجتمع الاساقفة بالدار البطريركية وتبعهم الغوغاءسراً ومعهم اسقف اخميم وجاد افندى وبعض اقاربه واغلقوا عليهم الابواب ووضعوا عليها حراساً وبدأوا يتممون الرسامة سراً ولكن حيلتهم لم تتم فبينما هم كذلك اذ برز اعمى من عرفان المكاتب وجعل يطوف في الشوارع والحارات والأزقة وينادي ان قوموا من نومكم يا قوم ففي هذه اللحظة يتممون رسامة اسقف اخميم ولبث ينادي ويصيح حتى استيقظ الناس وانطلقوا الى الدار البطريركية فاقتحموا الابواب وكثر الهياج وكان بعض الحبشان نياماً بالبطريركية فاستيقظوا وسألوهم عن الخبر فحسنوا اليهم اخراج الاساقفة من الكنيسة عنوة فامسكوا العصي وكسروا أبواب الكنيسة وأخرجوا الاساقفة رغماً واختلطت الاصوات وتعالى الصياح ولبث الناس يغدون ويروحون امام دار البطريركية حتى مطلع الفجر

ولما خابت مساعى المتشيعين للاسقف طفقوا يختلقون الأقاويل على القس داود فاشاعوا انه فى مدة اقامته بالحبشة تزوج من امرأة وله منها ولدان وأصل هذه الاشاعة القسيس الحبشي المار ذكره لتغيظه منه بسبب ما ذهب الى الحبشة من اجله وكان قد أتى ليشي به للبطريرك ولما رأى البطريرك قد مات اذاعها حينئذ ليعطل رسامته ولما استقصى الناس عن حقيقة هذه الاشاعة اتضح كذب القسيس الحبشي

ورأى قنصل الانجليز ان الفتنة كادت تعم فحذر عباس باشا من سوء العاقبة. وكان الخلاف قد ظل قائماً عشرة أشهر فانتهى بتوسط وتبيت الأرمن بتعيين القس داود مطرانا على مصر ثم اذا اتضح انه لائق يتقلد البطريركية فسمح عباس باشا بذلك

واذ كان جماعة الحبشان لا يحبون داود ولا تسرهم رسامته اجتمعوا ببعض العامة وبايديهم العصي ودخلوا الكنيسة قبل تمام الرسامة وصاحوا فى وجوه المصلين بالسب والشتم واشتد الهياج فهرب الاساقفة وتعقب الحبشان القس داود ليغتالوه فوجدوه قد اختفى ولكن الكلمة كانت قد اتحدت على رسامته مطرانا فرسم فى اليوم التالي ودعى كيرلس وكان ذلك فى يوم ١٠ برموده سنة ١٥٦٩ ش و ١٨٥٣ م

وقال أحد المؤرخين « فقام خصومه وحالوا بينه وبين انجاز مصالح الطائفة واشتدوا عليه شدة بالغة حتى كان اذا أراد النوم لا يجد لرأسه وسادة ولا لجنبه فراشاً واذا جاع لا يطعم الا ماقدموه اليه واذا زاره أحد لا يأذنون بلقائه وهو مع ذلك ساكن البال رائق الحال لا يألو جهداً فى تأليف القلوب المتفرقة والنفوس المتنافرة حتى طرحوا الخلاف جانباً ومن ذلك الحين أخذ يباشر أعمال الطائفة وكان أول عمل باشره بناء المدرسة الكبرى الباقية الى اليوم وهى أول مدرسة أقيمت لتعليم شبان الاقباط فاشترى عدة منازل وهدمها وأقام على انقاضها مدرسة مسيحية ويقال انه أنفق فى بنائها ٦٠٠ الف قرش فكان بناؤها موجباً لاجماع الجميع على اختياره وطلبوا من قنصل الانجليز اعانتهم على ذلك فما زال بعباس باشا حتى أخذ موافقته فسيم بطريركا بحضور جميع الاساقفة ماعدا اسقفي اخميم وابي تيج ولقب كيرلس الرابع فى ٢٨ بشنس سنة ١٥٧٠ ش و ١٨٥٤ م

فلما تمت رسامته باحتفال عظيم قدمت عليه الوفود لتهنئته ولم يمض على ارتقائه لمنصب البطريركية أيام حتى مات عباس باشا فسلم الناس بصحة ماقاله أصحاب الزايرجات . أما هو فسعى فى جمع القلوب وازالة أسباب النفور حتى تم له ما أراد ثم عكف على العمل لما فيه رقي الامة فنظم ادارة البطريركية والاوقاف وأتم بناء المدرسة واختار لها أساتذة ماهرين لتعليم اللغات الحية وجعل التعليم فيها

والكتب والادوات مجاناً. ومن شدة اهتمامه بها كان يزور غرف التدريس دائماً كل يوم مرة أو اثنتين ويستمع لالقاء الدروس ويقول للاساتذة انى قد علمت اليوم أشياء لم يكن لي علم بها ثم أنشأ بها قاعة كان يستقبل فيها الزائرين لاسيما من الاجانب الذين كان يكلفهم بفحص غرف التدريس وابداء ملاحظاتهم في ما يأول لنجاح المدرسة

وكان يكلف نفسه بالقاء بعض عبارات تاريخية وأدبية على مسامع الطلبة بما يناسب ادراكهم وسنهم وجعل تعليم اللغة القبطية جبراً وكان يشرف عليه بنفسه . واذ رأى بعض الطلبة من جهات بعيدة يتكبدون مشقة فى الحضور الى المدرسة أنشأ لهم مدرسة بحارة السقايين كان يزورها كل اسبوعين ويسأل عنها دائماً

ومع كل ذلك كان الاقبال على التعليم فى مدرسة الازبكية قليلا فلم يزد عدد طلبتها عن ١٥٠ طالباً وكان المشار اليهم في تعليم الاطفال حينئذ جماعة العرفان فلما أحسوا بما أجراه البطريرك سعوا يلقون الفتن ضده في البيوت وجعلوا يوهمون أهل الاولاد بان بين البطريرك والوالي عقداً على ان يجند له من الاولاد ألوفاً وكان اذا وصل الدار البطريركية شيء من أدوات المدرسة بكوا وناحوا وقالوا هذه آلات الحرب واذ رأى البطريرك تفاقم الخطر من هذه الوساوس استرضى العرفان بان اناط بهم التعليم الاولي فى المدارس التى انشأها ولم تمض مدة حتى تقدم التعليم فيها ونجحت نجاحاً باهراً وانجبت تلاميذ يجيدون التكلم باللغات المختلفة وكان يدعو سنوياً كبار القوم ويوزع جوائز فاخرة على التلاميذ الذين ينبغون تشجيعاً لهم وتنشيطاً لسواهم وكان معظم التلامذة من ابناء الوجهاء ولهذا كان يعاملهم معاملة حسنة وينبه الاساتذة ليربوهم تربية سامية . ولشدة غيرته وجد مرة أحد الاساتذة نائماً فأمر باحضار فلقة ليضربه لولا انشهدت تلامذته بمرضه .

وكلف احد قسوس الكنيسة الكبرى بالازبكية المدعو القمص تكلا المعروف باجادة واتقان الالحان الكنسية بان يختار من بين تلامذة المدرسة عدداً من ذوى الاصوات الحسنة وعهد اليه بتعليمهم واعد لهم ملابس خاصة وكانوا

يقومون بالخدمة في الكنيسة فكان ذلك داعياً لابتهاج الاهالي فاقبلوا باولادهم الي المدرسة وواظبوا معهم على حضور الكنيسة

وبعد قليل تخرج من تلك المدرسة تلامذة كثيرون واتفق انشاء مصلحة السكة الحديد بالديار المصرية فانتظموا في خدمتها وانتشروا في محطاتها وكانوا يؤدون اعمالهم باللغة الانكليزية وبعضهم استخدم في البنوكة وعند التجار لمعرفتهم اللغة الطليانية . وكان اهتمامه عظيماً بتعليم اللغة القبطية واحيائها بعد موتها فطبع منها عدة كتب بدار الطباعة بلندن فتعلمها ابناء المدارس وتكلموا بها فكانت الى آخر ايامه من اهم اللغات التي يتكلم بها ابناء المدارس وكان يقول اني انتظر بفروغ صبر استعداد تلامذة مدارسنا لتلقي العلوم العقلية كالمنطق والبيان وغيرهما من العلوم العالية التي يتسع بها العقل وتغزر المادة »

ثم وجه عنايته الى ترميم الكنائس واعادة ماتخرب منها فاعادها الى ما كانت عليه.ولما رأى صعوبة تحمل ساكني حارة السقايين والجهات القريبة منها المشاق لحضور الصلاة بكنيسة الازبكية سعى لدى سعيد باشا سنة ١٥٧٢ ش ليحصل على اذن ببناء كنيسة في تلك الجهة فصدر له في ٥ ربيع الاول سنة ١٢٧٢ م فكرس مكاناً بمنزل رجل شهرته القيصاوي ليكون كنيسة الى حين التمكن من بناء جديدواقام اول صلاة في تلك الكنيسة وبقيت الكنيسة في ذلك المكان الى ان بنيت الكنيسة الحالية سنة١٥٩٧ ش و١٨٨١ م

وعقب هذا التقدم والنجاح العلمي والديني وجه نظره نحو انشاء مكتبة تجمع الكتب النفيسة فالفى بالدار البطريركية كثيراً من الكتب المطروحة بدون اعتناء والتي عبثت بها العوادى وبينها كتب ثمينة للغاية فالتفت اليها واخذ في اصلاح ما فسد منها ووضعها في مكان خاص ثم جمع من خزائن الأديرة والمعابد القديمة نفائس الكتب وأشهر السجلات ليضعها في المكتبة أيضاً ورسم بتصحيح الكثير من كتب الكنيسة وقد كانت محشوة بالخلط والتحريف لاسيما وقد امتدت أيدي البابويين في العصور المظلمة التي مرت على كنيستنا الى أهم كتب الكنيسة فشوهتها فصححوا مافيها وضبطوا عباراتها على أحسن ما يرام

ومن ثم شعر بضرورة احضار مطبعة لطبع الكتب المحفوظة بالدار البطريركية

ومما يدل على عظم توقيره للعلم انه يوم وصول أدوات المطبعة كان بدير القديس انطونيوس فأرسل يأمر باستقبال المطبعة باحتفال رسمي يرتل فيه الشمامسة التراتيل الدينية ولما رجع من الدير عاب عليه بعضهم هذا الامر فأجابهم لو كنت حاضراً لرقصت أمامها كما رقص داود أمام تابوت العهد

ووقع في ايامه خلاف بين الحكومتين المصرية والحبشية بسبب تعيين الحدود بين الحكومتين . وقيل ان السلطان عبد المجيد هو الذي أوعزالى سعيد باشا بان يرسل بطريرك الاقباط الى بلاد الحبشة لعقد اتفاقية بينه وبين ثيوذور ملك الحبشة الذي كان قد تعدى على بعض جهات من اقليمي هرروزيلع التابعتين حينئذ للحكومة العثمانية فجهزت له باخرة وقام البطريرك بهذه المهمة السياسية صبيحة يوم بدون ان يدري احد الا الذين رافقوه للسفر وبعض خدامه فسافر والكآبة تعلو وجهه لتشاؤمه من ذلك السفر وكان يرافقه اثنان من الاغوات الترك فانتهز فرصة طول السفر وتمكن من ان يتعلم منهما اللغة التركية

ولما علم نجاشي الحبشة بقدومه خرج لملاقاته بموكب حافل على مسيرة ثلاثة ايام من عاصمة مملكته وطلب منه ان يمسحه ملكا بحضور جميع ملوك الحبشة. قال صاحب تاريخ الكافي « وكان في مجدلة نفر من الانجليز مرسلين من الجمعية المعروفة بجمعية التبشير بالانجيل لبث تعاليم مارتين لوثر الدينية بين الحبشان وقد تقربوا من النجاشي بعمل المدافع وصنع الاسلحة لعسكره وتعليمهم فنون الحرب والقتال حتى مال اليهم واعطاهم الحرية ليجولوا فى كل مكان فكادوا يعبثون بطقوس الكنيسة القبطية ولم يفلح مطران الحبشة فى مقاومتهم فانتهز فرصة وجود البطريرك ورفع أمرهم اليه فبعد انقضاء الافراح طلب البطريرك من النجاشي ان يرد لبلاد مصر ما أخذه منها فأجابه الى طلبه بسرور زائد ثم كلمه بشأن المرسلين الانجليز وطلب منه ترحيلهم فاعتذر بكونهم يعلمون جنوده فنون الحرب فافهمه ان الحال غير داعية الآن للحرب فأمر النجاشي باخراج المرسلين من بلاده فحقدوا على البطريرك وعولوا على الانتقام منه

وكان البطريرك قد بعث يطلب من سعيد باشا ان يسير اليه ببعض الصناع والمعلمين فدس اليه قنصل الانجليز بان كيرلس يروم ان يسلم بلادك الى النجاشي

وما زال سعيد باشا حتى قام الى الخرطوم بجيش عظيم وفي الوقت نفسه كان الانجليز يحبكون مكيدة أخرى ضد البطريرك لدى النجاشي فدسوا اليه ايضاً بان قدوم كيرلس اليك انما هو لطرد الانجليز الذين كانوا يمدون لك آلات الحرب ليمكن والي مصر منك وقد حمل اليك من قبل سعيد باشا كساء مسموماً اذا لبسته قضى عليك وكان بين الهدايا التي قدمها البطريرك للنجاشي برنس مزركش بالجواهر الكريمة فهال النجاشي الامر لاسيما لما علم بقدوم سعيد باشا بجيشه الى الخرطوم وأمر فسجن البطريرك وضيق عليه الخناق وخشية من ان يفلت البطريرك ويمسح ملكا للحبشة آخر سواه اصطحبه معه فكان يسوقه امامه فى كل مكان يحل به محاطاً بنفر من الحراس وكان اذا جلس يوقفه امامه ويبكته باقسى الالفاظ

وتمكن البطريرك من ان يصل الى والدة النجاشي وكانت تقية ورعة وأفضى اليها بجلية الخبر فتوسلت الى ولدها من جهته فسمح له ان يدافع عن نفسه فتمكن من اقناعه بجليل مقاصده ومن ثم طلب ان يلبس الثوب الذى ارتاب به فلبسه البطريرك مدة يومين دون ان يصاب بأذى ولبسه رجل محكوم عليه بالموت مدة ثلاثة ايام فلم يصبه شيء البتة . وكان النجاشي قد أمر بحرق البطريرك حياً فعفى عنه وارسل البطريرك يخبر سعيد باشا ان نجاحه متوقف على رجوعه من حيث أتى فرحل سعيد باشا ورجع الى مصر وعند ذلك تجلى للنجاشي سوء تصديقه للوشاة واعتذر للبطريرك برفع الحجر على رأسه

وكان قد مر اكثر من سنة منذ خرج البطريرك من مصر ولم يرد منه خبر أو يسمع عنه شيء فقلق الناس لذلك . وبعد سنة واربعة اشهر وصل مكتوب منه ينبيء بانه وصل للخرطوم ومعه اثنان من رجال حكومة الحبش احدهما قسيس الملك والثاني وزيره فسر محبوه الذين حسبوه قد مات ووصل القاهرة في ١٧ امشير سنة ١٥٧٤ ش فاستقبل استقبالا عظيما

وعقب عودته واستكمال راحته من وعثاء السفر بثلاثة اشهر شرع فى يوم الخميس ٢٨ برموده سنة ١٥٧٥ ش ببناء الكنيسة الكبرى بالازبكية وكان يوم تأسيسها يوماً مشهوداً حضر فيه جميع كبار البلاد ورؤساء الطوائف . وقد أمر بنقض الكنيسة القديمة التي أتمها المعلم جرجس الجوهري في عهد البابا مرقس

الثامن وما زال مجتهداً مسرعاً فى اتمام البناء لانه كان يقول بكآبة قلب نفسي تحدثني باني سأقبر فيها قبل اتمامها حتى توفى فباشر اتمامها خلفه ديمتريوس واكمل زخرفها سنة ١٥٩٦ ش غبطة البطريرك البابا كيرلس الخامس

ورأى بعد ذلك ان أفضل سبيل لنجاح كنيسته وطائفته ترقية وتهذيب الاكليروس فكان يجمع كل سبت جميع القسوس بالدار البطريركية ويحضرمعهم ويناقشهم ويشرح لهم واجبات القسوس وآدابهم وما ينيلهم حظوة فى عيون الناس ولهذا جعل رواتب شهرية لمن يعرف اللغة القبطية والوعظ فعرف كيف يحبب لهم العلم ويقاوم بهم المبشرين في مصر والحبشة وقال المؤرخون انه كان ميالا الى تعليم البنات وتهذيبهن الى حد يكن فيه معينات لازواجهن ومربيات لاولادهن فصادف من المقاومة في ذلك اشكالا ولكنه كان يتحين الفرص ويتبين انتفاعها فلم تطل ايامه

ويذكر البعض للبابا كيرلس عيباً وهو انه بدد نقوداً كثيرة تبلغ نحو نصف مليون كانت مكومة بالدار البطريركية من مال الاوقاف وقال انه انفق ١٧ الف بندقي لعمل كساو مخصوصة واطقم كاملة لتلبسها الشمامسة وبدرشينات وطواق مفضضة . غير انه لم ينفق شيئاً فى غير محله فكل ما انفقه عاد على الطائفة بالنجاح والفلاح .

وقد وقعت لهذا البابا مأساة محزنة دبرها له دهاة ساسة الانجليز الذين كانوا ناقين عليه لانه طرد مرسليهم من بلاد الحبشة ولم يمكنهم من اخذ دير السلطان بالقدس واشتد غيظهم عليه عند ما علموا عزمه على توحيد الكنائس الارثوذكسية فبعد رحيل وزير نجاشي الحبشة شعر البطريرك بتغير سعيد باشا عليه واتفق انه اصطحب معه بطريركي الروم والارمن الى دير القديس انطونيوس بالجبل الشرقي ليقضوا فيه اياماً ترويحاً للنفس فانتهز قنصل الانجليز جنرال مري ودس الى سعيد باشا بان كيرلس انما يسعى ليجعل الكنائس الارثوذكسية تحت رئاسته ويضعها تحت حماية دولة الروسيا وافهمه ان هذا أعظم خطر يتهدد الولاية المصرية فارسل سعيد باشا الى مدير بني سويف يأمره بان يستدعي البطريرك حالا فاستمهله اياماً فاشتد غيظ سعيد باشا قال صاحب تاريخ « الكافي » فلما

كان في أحد الايام جاء اليه رسول من قبل محافظ مصر يستدعيه الى الديوان لأمر لا يتم الا بحضوره فلم يقبل الذهاب وصرف الرسول بالتي هي أحسن فعاد اليه ثانية وثالثة فلم ير بداً من الذهاب وسار معه وغاب ساعة ثم عاد ووجهه يقطر منه العرق وقد نزلت به حمى فعرف العلة وأشار بالدواء فلم يأته حتى أتاه طبيب محمد سعيد باشا بأمر منه وأخذ فى علاجه وما زال يعالجه اياماً وقد اشتدت علته وعظم الداء وفقد الرشد وسقط شعر رأسه ولحيته على وسادته وانحل جسده ومات » اه

وقال الايغومانوس فيلوثاوس رئيس الكنيسة الكبرى انه لم يقبل السم في القهوة لأنه سمعهم يتكلمون بالتركية وهو يفهمها ورجع الى قلايته كئيباً حزيناً حتى أثر عليه الأسف ومرض فاحتالوا عليه بواسطة صديقه ورتبيت الأرمن والخواجا حنا مسره الذي سيرد ذكره واحضرا له طبيباً قالا عنه انه امين ولكنه دس له السم فى الدواء فلما شعر به يمزق احشاءه سلم الأمر لله وهو يقول « لا تخافوا ممن يقتل الجسد بل خافوا ممن يقتل النفس » اه

وكانت وفاته فى ليلة الأربعاء ٢٣ طوبه سنة ١٥٧٧ ش و ١٨٦١ م ودفن بتربته التي ابتناها لنفسه بالكنيسة الكبرى وخلا الكرسي بعده سنة واحدة وثلاثة اشهر وسبعة أيام كان يدير البطريركية في اثنائها انبا مرقس مطران البحيرة .

وليس من ينكر ان السبع السنوات والتسعة الأشهر والثمانية عشر يوماً التي قضاها هذا البطريرك في الرئاسة كانت خيراً وبركة لكنيسته وطائفته . وجاء عنه فى كتاب « الخطط التوفيقية » ج ٦ « ان حالة الادارة البطريركية من جهة سياسة الاكليروس ورعاية الأمة ونحو ذلك قد امتازت فى مدته كثيراً جداً عن السابق ولقد كان هذا البطريرك حاذقاً نبيهاً ذا عناية شديدة بالمنقطعين وذوي البيوت من أمته طلق اللسان عارفاً بالتاريخ مدققاً فى علوم الدين المسيحي محافظاً على حدود المذهب ماقتاً للرشوة غير مكترث بالمال قائماً باعباء وظيفته وفى الحقيقة انه كان لم تعب سيرته بشيء ما ولو لم يكن حاداً فى المشروعات سريع الاقدام على الامور التي تفتقر للتأني والمشورات لكان يعجز القلم عن

تحبير صفاته » اهـ .

ويصفونه بانه كان متوسط القامة ممتلىء الجسم قوي البنية صحيح الاعضاء أبيض اللون حاد النظر والذهن كبير الرأس عريض الجبهة كثيف اللحية اسودها. وكان كثير الامثال في حديثه قلما يلقي عبارة لا يسندها الى مثل وهو غاية في العفة والتقشف لايشرب الخمر شديد الكره لمقابلة النساء ومحادثتهن حليم بعيد الغضب عظيم الاحترام للرهبنة محافظاً على اصولها شديد القساوة على الاكليروس كلفاً بمخالطة العلماء ومجالسة الفضلاء ولم يكن يستنكف ان يجاهر بغلطه اذا بان له ومما يؤثر عنه قوله « ان انتقالنا مما نحن فيه الى مايجعلنا في مصاف غيرنا يحتاج الى اعمال وأتعاب كثيرة يلزم لها عمر نوح وصبر ايوب »

قيل انه لما طلب منه سعيد باشا القيام للحبشة عرض عليه امر طائفته القبطية بصفة كونها قائمة بنصيبها في خدمة البلاد ورجاه ان تمنح مزية المساواة فيكون منها أعضاء فى المجالس المحلية كاخوانهم المسلمين ويسمح للموجودين منهم فى الخدمة العسكرية ان يكونوا ضباطاً ورؤساء وان يقبل منهم طلبة في المدارس العالية فوعده سعيد باشا باجابة طلبه بعد عودته من بلاد الحبشة ولكنه بعد رجوعه جدد طلبه فصار يماطله حتى قطع الرجاء . وقد ظن بعضهم انه طلب من الباشا ان يعفي اولاده من خدمة الجندية فأجاب « حاشاي ان اكون جباناً بهذا المقدار لا اعرف للوطنية قيمة فأحرم البلاد من خدمة ابنائها لها » قيل لما شعر الموسيو سباتييه قنصل فرنسا في مصر بمطالبه عرض عليه استمداده لمساعدته فيما يختص بمساواة الاقباط بالمسلمين فى الوظائف العسكرية على شرط انه يتحصل على تصريح من ملك الحبشة بدخول رهبان اليسوعيين في بلاده والتوطن فيها فأبى ان يجيبه الى طلبه . وكان مسالماً لجميع طوائف المسيحيين وبينه وبين رؤسائهم صداقة عظيمة لاسيما الروم الارثوذكس ولما سافر بطريركهم الى الاستانة كلف البابا كيرلس بمباشرة اشغال بطريركيته الى ان يعود

وفى مدته أقام مطراناً خصوصياً لمصر ولم يكن بها من قبل مطران نظراً لوجود مركز البطريرك بها وأقام على البحيرة والاسكندرية مطراناً انبا مرقس وعلى المنوفية مطراناً آخر انبا يؤنس الذي رافقه فى سفره الاول للحبشة باسم

الراهب برسوم وقد كان على الجهتين رئيس واحد من قبل ورسم مطراناً للقدس انبا باسيليوس واسقفين للوجه القبلي بعد وفاة سلفيهما

ومن القوانين السامية التي رسمها الامر بعدم تزويج فتاة الا متى بلغت الرابعة عشرة وان تكون الخطبة بعقد صلح يمكن حله متى أريد لاعقد أملاك وذلك حفظاً لسلامة العائلات وتخلصاً من الطلاق الذي كان أبغض الامور لديه ولهذا شدد بضرورة اعتراف الزوجين قبل الاكليل حتى لا تحصل اية شكوى بعد

وللبابا كيرلس نوادر تستحق الذكر فمن ذلك انه كان كلفاً بلبس لباس الاعراب لاسيا وهو مختلط بهم حال رئاسته لدير بوش (١) فحدث مرة انه اصطحب معه بعض الاعراب لزيارة الدير ففكر شيخ اولئك الاعراب في سلب البطريرك ومن معه من قصاد الدير ولما وقف البطريرك على سوء نيته دبر طريقة للتخلص منه وذلك انه في ليلة حالكة الظلام وقفت فيها القافلة للراحة خرج ذلك الشيخ من خبائه وتوغل فى البادية لقضاء حاجة فتعقبه البطريرك وهو مرتد برداء الاعراب وقبض على سلاحه وأمره بخلع ملابسه فاذعن الشيخ رغماً عنه ولكنه عرفه بنفسه ورد له سلاحه فعدل الشيخ عما كان ينويه

ومن ذلك انه قصد المنيا مع بعض الاعراب لشراء مواش للدير ونزلوا ضيوفاً بدار الانبا ياكوبوس اسقف المنيا المشهور بالكرم وحسن الضيافة وقبل انصرافهم من عنده مال اليه القس داود بلباس الاعراب وقال له « انا القس داود بقيت لاشكرك » فذعر الاسقف واستنجد بخدمه وكان القس داود قد لحق باصحابه وامعنوا في السير

وبعد رسامته بطريركا كان نازلا مرة بدار ابن عم له ببوش وهو لابس ملابس الاعراب فأتى بعض العونة الذين يدعون انهم قسوس كنائس معينة وجلسوا بجانب البطريرك يحدثونه بانهم اصدقاء البطريرك وانه يجلهم ويحترمهم فتركهم ورجع بلباسه الكهنوتي وهو يقول لهم ها أنا صديقكم البطريرك جئت لكم

---

(١) عن كتاب « نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر » ج ١ ص ١٠٢ و١٠٣

لابرهن على صداقتي لكم بان اكلف المدير بالقبض عليكم ليتولى اكرامكم ريثما أعود الى القاهرة

ومن نوادره بعد رسامته بطريركا (١) انه جاءه مرة رجل يطلب طلاق امرأته لانها خرساء وعمياء ومكسحة فقال له ان الانجيل يأمر ان تفعل بالناس ماتحب ان يفعلوه بنا فهب انك كنت أعمى ومكسحاً وأخرس فهل كنت تود ان تطلب امرأتك طلاقك فاقتنع وانصرف

وأتاه يوماً أيضاً رجل يشكو من حميه لانه حجز زوجته عنه فدعا ابو الزوجة فاعتذر بفقر الزوج وسوء تصرفه فصرفه البطريرك ليحقق دعواه ثم أرسل لبيت الزوج كل ماتحتاجه البيوت ومن ثم دعا ابا الزوجة مع بعض الاعيان ليرى بيت صهره فوجدوا البيت كامل الاثاث وأرسل البطريرك الى زوجة الرجل يأمرها بعدم مقابلة زوجها فلما توجه الى بيته لم تشأ زوجته ان تقابله كأمر البطريرك فمضى اليه يطلب حله فوبخه قائلا اذا كنت لم تستطع فراق زوجتك يوماً واحداً فكيف بصهرك الشاب فخجل وقبل رجوع ابنته الى زوجها اذا صرح لزوجته بمقابلته فاشترط البابا كيرلس مقابل ذلك ان يدفع ٧٥ جنيهاً التي أنفقها على بيت صهره وألزمه بها بداعي انه هو الذي قبل هذا الزوج على فقره فكان له ان يرفض طلبه ليتزوج امرأة فقيرة مثله يعيش معها براحة ونعيم

ومما يؤثر عنه انه وهو رئيس دير بوش زار الدير المحرق فطلب منه راهب غضب عليه رئيسه ان يتوسط في الصفح عنه فأبى الرئيس قبول وساطته . ولما جاء المساء واجتمعوا للصلاة طلب منه ان يتقدمهم في العبادة فبدأ بتلاوة الصلاة الربانية بصوت عال حتى انتهى الى قوله « واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن ايضاً للمذنبين الينا » فقال هكذا « ولا تغفر لنا ذنوبنا كما نحن أيضاً لا نغفر للمذنبين الينا » فنبهه رئيس الدير ظاناً انه أخطأ فأعاد الصلاة ثانية وكررها هكذا فكرر له الرئيس التنبيه . فعند ذلك اجابه هل نكذب على الله وهل انت غفرت خطية أخيك حتى يغفر لك الله ؟ فخجل الرئيس واسرع بمسامحة الراهب من كل اثم جناه

---

(١) عن الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ج ٢

وحدث انه زار العزيز مع بعض علماء المسلمين فقال له احدهم انكم رغماً عن كونكم أصحاب كتاب فانتم مشركون لانكم تجعلون لله ابناً مساوياً له بالجوهر فقال له البطريرك ورد فى صورة الشورى « وليس كمثله شيء » فقال له العالم الكاف زائدة فقال نحذفها اجابه لا يمكن قال البطريرك نعمل بحكمها فقال العالم لا فاجاب البطريرك من اين اتت الحيرة فتقدم واحد وقال « لاتجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هى أحسن »

وقيل ان سعيد باشا اعترض امامه على المسيحية لانها تساوي بين الرجل والمرأة فاجابه البابا كيرلس اذا أتت المرأة أمراً مشكوراً فهل لا يكافئها الله باقل مما يكافيء به الرجل فقال الباشا حاشا لله من الظلم فاجابه « اذا كانت احكام السماء تقضى بذلك فبالاولى احكام الارض »

وروى انه بينما كان في زيارة رجل كاثوليكى طلب هذا مناقشته فى الطبيعة والطبيعتين فلم يشأ البطريرك ان يرد عليه وبينما كان خارجاً قال للبواب « كم واحداً تعبد يا محمد ؟ » فاجابه « استغفر الله لا أعبد سوى واحد أحد » فقال له قل لسيدك لماذا يشرك مع الواحد آخر وانصرف

وحكى أيضاً انه زاره القاصد الرسولي يصحبه الخواجا يوحنا مسرة طالباً منه ان ينضم للبابا وكان حينئذ مشغولا في بناء الكنيسة فجلس معهم واظهر انه مهتم بفحص كتاب كان معه ولما طال زمن انشغاله بالكتاب قال له الخواجا مسره على م تفتش ؟ فاجابه لقد أصبحت فى حاجة الى المال بسبب العمارات القائمة وعرض علي أحدهم ان استعين ببيع الغفرانات فاخذت أفحص الكتاب المقدس لعلي أهتدي فيه الى مايبرر هذا العمل ومع ذلك ضاع تعبي عبثاً فاذا كان لحضرة القاصد معرفة بشاهد يؤيد بيع الغفرانات فليدلني عليه ففهم القاصد المراد وانصرف خجلا

ومما يدل على مقدار تواضعه وتسامحه انه عاقب كاهناً بدون ان يتحقق عما اذا كان مذنباً أو غير مذنب ولما ظهرت له براءته تعلق به وطلب منه ان يصفح له فخجل الكاهن ولكنه لبث يلح عليه حتى قال له « الله يحالك » ويروى عنه أيضاً انه لما سافر الى الحبشة وكل الى المعلم برسوم واصف الاشراف على جميع أعمال الدار البطريركية أثناء غيبته وعند عودته سعى واش بالمعلم برسوم لدى

البطريرك سعاية أدت الى تفور بينهما ولم يمض الا القليل حتى ظهرت الحقيقة وثبت للبطريرك ان الرجل بريء مما نسب اليه فندم على مافرط منه ضد المعلم برسوم وأسرع فكتب اليه يقول « لقد تحريت المسألة فوجدتها كلاماً لا أصل له فأرجوك المسامحة لاني بشري غير معصوم من الخطأ » ثم وقع هكذا : الحقير كيرلس

(٣) ديمتريوس ٢ ـ البطريرك المائة والحادي عشر . كان اولا يدعى ميخائيل رئيس دير القديس مقاريوس ببرية النطرون انتخب للبطريركية ثم قرر في ٩ بؤنه سنة ١٥٧٨ ش و١٨٦٢ م في أواخر خديوية سعيد باشا وبعد تقليده زار الجناب الخديوي وذوات الحكومة فقال له سعيد باشا عند اول مقابلة له « لا تفعل مثل سلفك كلما يلزم لك قل لي عليه وانا مستعد لتأديته لك » .

ثم شرع البابا ديمتريوس في تكميل الكنيسة الكبرى بالازبكية التي أسسها سلفه حتى تمت على نظامها الحالي واستمر يدير حركات المدارس التي أنشأها سلفه ايضاً وقد توفر له الحظ عند تولي الخديوي اسماعيل باشا سنة ١٨٦٣ م اذ انعم عليه بجملة كثيرة من الاراضي الزراعية للقيام بلوازم بطريركيته ومدارسه ولم يبرح مرادفاً له بصلاته مسعفاً له باصدار أوامره الكريمة باجراء امتحان مدارسه بعد امتحان المدارس الاميرية كالرسوم الجارية بها وذلك بان يصير الامتحان باحتفال يحضره كل عام كرام القوم والعلماء والأمراء الأمر الذى اضحت المدارس القبطية تفتخر به في كل زمان ثم رقى اسماعيل باشا جملة من قومه الاقباط الاصليين للرتب والوظائف الاميرية

ولما قدم السلطان عبد العزيز الى مصر في سنة ١٨٦٣ م دعا اسماعيل باشا العلماء والوزراء والآباء الروحيين والوجوه ليحظوا بمقابلته . وعين لهم يوماً قال المعاصرون انه وافق يوم الجمعة العظيمة للارثوذكسيين وكانت العادة في ذلك العهد ان من يدع للمثول بين يدي السلطان يقبل طرف ثيابه فلما جاء دور البابا ديمتريوس تقدم توا ولثم صدر السلطان فانزعج السلطان ودهش الحاضرون وعدوا ذلك من البطريرك جسارة كبيرة . ولما سئل عن معنى التقبيل الغريب

الذي لم يسبقه اليه غيره أجاب « انما انا أقبل يد الله ملك الملوك وسلطان السلاطين لانه ورد في الكتاب المقدس « ان قلب الملك في يد الرب » (ام ٢١ : ١) وكان مع البطريرك قس يقال له القمص سلامه يعرف التركية فترجم كلام البطريرك فلما سمع السلطان ترجمة هذه العبارة ابتسم سروراً وانعم بالف فدان من املاك الحكومة للمدارس القبطية ثم زادها الخديوي اسماعيل خمسمائة فدان أخرى في مديرية الشرقية .

وبعد ذلك بلغ البابا ديمتريوس ان بعضاً من قومه بالجهات القبلية نبذوا عنهم بعض عقائدهم الارثوذكسية واتبعوا آراء اجنبية طارئة فقام بنفسه في برمهات سنة ١٥٨٣ ش لتفقد تلك الجهات يصحبه العلامة الشهير الايغومانوس فيلوثاوس رئيس الكنيسة الكبرى وعينت له الحكومة مركب بخار من طرف الحكومة السنية حسب التماسه وزار مدن وبلاد وكنائس الوجه القبلي الى ان بلغ اسنا واستمر في هذا السفر ثلاثة أشهر وبعد حصوله على اقناع وارتداد اولئك الاشخاص وضمهم للكنيسة عاد الى مركزه

واستمر في الرئاسة سبع سنين وسبعة شهور وسبعة ايام وتوفى ليلة عيد الغطاس أعني ليلة ١١ طوبه سنة ١٥٨٦ ش و١٨٧٠ م (١)

(٤) كيرلس ٥ — البطريرك المائة والثاني عشر . وهو البطريرك الحالي

ولد في قرية تدعى تزمنت من مديرية بني سويف سنة ١٨٢٤ م ودعي باسم يوحنا وبعد ميلاده بزمان يسير هجر أبواه مسقط رأسيهما واستوطنا بكفر سليمان الصعيدي بمديرية الشرقية وما زالت عشيرته بذلك الكفر الى يومنا هذا .

ولما بلغ سن الرشد رسم شماساً من مطران القدس انبا ابرآام المتوفي . وبعد قليل توفى والداه فاعتنى بتربيته المعلم بطرس أخوه البكر وكانت تلوح عليه من حداثته دلائل التقوى والميل للانقطاع عن العالم ومحبة الكتب والمطالعة فكان يتجنب اترابه من الشبان ويخشى على طباعه ان تؤثر عليها طباعهم وكان يحترم

(١) الخطط التوفيقية ج ٦

أباعترافه احتراماً فائقاً

ولبثت بذور الفضيلة تنمو في قلبه حتى بلغ العشرين من عمره أعني سـنة



« غبطة البابا كيرلس الخامس »

١٨٤٤ م فصار يتردد بين أمرين اما ان ينذر نفسه لله ويعيش بتولا بين الرهبان او يتزوج ويصير رب عائلة فتغلبت عليه امياله وعواطفه وقصـد دير السريان

بالجبل الغربي فلم يلبث به بضعة أيام حتى استرجعه اهله واخذوا يلاطفونه كي لا يتركهم ولكن كان يتحين الفرص لترك العالم وملاذه وآثر المعيشة التي كانوا يخيفونه منها وتمكن من الهرب وترهب بدير السيدة بالبراموس

وكان هذا الدير في غاية الفقر والفاقة اذ كانت ايراداته في ايدي الغير يستغلونها لانفسهم حتى لم يكن يقتات رهبانه الا بالترمس الذي كان مدخراً بالاديرة من عهد المرحوم المعلم ابرهيم الجوهري ومن ثم تناقص عدد رهبانه الى اربعة وكان البابا كيرلس بينهم سالكا مسلك الفضيلة متمما قوانين الرهبنة كما يجب فاتفقت الكلمة على ترقيته لدرجة الكهنوت فكتبت له تزكية وفي سنة ١٨٤٥ م رسم قسيساً من اسقف المنوفية المتوفي انبا صرابامون على كنيسة حارة زويلة .

وبعد قليل طلبه الرهبان ليتولى ادارة شؤونهم فسلم له تدبير امور مجمع الرهبان بنفس الدير فظهر ناجحاً في المعرفة والسيرة واحتقاره لذاته حتى كان يوزع على الرهبان مما يكسبه من نسخ الكتب واشتهر حينئذ « يوحنا الناسخ » فتحسنت احوال الدير وزاد عدد رهبانه الذين ساروا على منواله في احتقار العالم ومجده الباطل

وطالما رغب سلفه وكثير من الامة في احضاره للقاهرة وتعيينه في رتبة أعلى مما كان عليه فلم يقبل ولم تسمح كبار الرهبنة بتركه أياهم الى ان استدعاه البابا ديمتريوس سنة ١٨٥٥ م ورسمه ايغومانوساً وأقامه مساعداً في الكنيسة الكاتدرائية بالازبكية . فشق الأمر على رهبانه ولم يطيقوا احتمال فراقه فكتبوا يستعطفون البطريرك ليعيده اليهم فلبى طلبهم وارجعه الى مكانه فقام باعباء وظيفته خير قيام

ولما توفي سلفه اقامت الامة باستئذان الحكومة السنية نيافة الانبا مرقس مطران البحيرة ووكيل الأسكندرية وكيلا لاجل عدم توقيف حركة ادارة الدار البطريركية فجعلت الحاظ الجميع تتوجه نحو الايغومانوس يوحنا واصوات الانتخاب تترادف عليه ولولا ماحصل من الاسباب الاعتيادية والاغراض الشخصية التي نشأ عنها خلو المنصب البطريركي من الرئيس اربع

سنوات وتسعة أشهر لأحضر وقلد حالا

وكانت الامة قد رتبت لها مجلساً ملياً يتعاطى تدبير أمورها الخصوصية وتأيد مجلسها هذا بامر عالٍ كريم فبعد ترتيبه بسنة التمست الامة بواسطة مجلسها من مقام الخديوية السنية احضاره بمساعدة الحكومة لرسمه بطريركا فتم ذلك وكلفت الحكومة مدير البحيرة باحضاره فحضر للقاهرة وانتخبه البطاركة والاساقفة واعيان الطائفة القبطية بطريركا للكرازة المرقسية في ٢٣ بابه سنة ١٥٩١ ش و ١ نوفمبر سنة ١٨٧٤م باحتفال حافل حضره جميع كبار الامة والامراء والرؤساء الروحانيين في الكنيسة الكبرى بالازبكية وفي ثاني يوم من بطريركيته زار الجناب العالي الخديوي اسماعيل باشا وبعد ذلك لبث ثلاثة ايام في مركزه البطريركي يقبل تهاني الامة

واذا أردنا ان نعد فضائله ومآثره بعد رسامته بطريركا يضيق بنا المقام نظراً لكثرتها وبلوغها الحد الاسمى فمن صلاح متناه الى محبة للفقراء ومساعدة للمنكوبين ناهيك عن الاصلاحات التي قام بها لطائفته وأمته فشاد جملة قصور في كل دير من اديرة القاهرة ومصر القديمة وشيد ثلاث عشرة كنيسة بمصر والخرطوم والجيزة وزين الكنيسة الكبرى بابدع انواع الزينة وانشأ تسع مدارس بالقاهرة والجيزة منها المدرسة الاكليريكية ومدرسة البنات بالازبكية والصنائع ببولاق واشترى لذمة البطريركية اكثر من خمسمائة فدان واشترى السراي الكائنة بمهمشة حيث المدرسة الاكليريكية حتى زاد ايراد البطريركية ستة أضعاف عما كان اولا وجل نفقة هذه المشروعات النافعة كان يقدمه من ايراده الخاص وتبلغ الاموال التي أنفقها من ماله خاصة اكثر من سبعين الفاً من الجنيهات

وعلا نجم الامة القبطية في عهده فانتشرت الحرية واتسع نطاق العمل وعم العلم وتقدم ابناؤه في البلاد فاصبح منهم العمراء المعروفين والاغنياء المشهورين والذين تعلموا منهم نالوا الرتب العالية في الحكومة فعظم شأنهم وارتفعت كلمتهم وارتقى العلم الديني فصار صوت الوعظ يسمع في أغلب كنائس القطر وانشئت مدارس للرهبان بحيث يحكم البصير لأول وهلة ان التقدم السريع

الذي حازته الامة القبطية في هذا الوقت القصير لم يكن يؤتيه الا الله القـادر على كل شيء بواسطة خليفة رسله البابا كيرلس الخامس . وبالجملة فلم يتوفر للامة القبطية حظ ولم تتح لها سعادة كما في عهد البابا

أما حوادث الخلاف التي وقعت بين غبطته وبين بعض رجال أمته فنذكرها ملخصة عن كتاب « القول اليقين في مسألة الاقباط الارثوذكسيين » للمرحوم يوسف بك منقريوس : —

بعد وفاة البابا ديمتريوس الثاني تولى ادارة شؤون الكنيسـة الانبا مرقس مطران الاسكندرية ووكيل الكرازة المرقسية سـنة ١٨٦٢ م ولما كثرت عليه الاعمال استعان ببعض المتقدمين من الطائفة على انجازها فشكل منهم مجلساً شورويا لبث يدير معه امور الطائفة ثم طلب منه الاعضاء ان يطلب من الحكومة اعتماد مجلسهم ففعل وأجابت الحكومة طلبه في ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٩٠ هـ

ولما ارتقى غبطة البطريرك الحالي كرسى البطريركية وضع مع أعضاء المجلس حسب روايتهم لائحة تقضى بوجوب نظر المجلس فى مصالح الكنائس وأحوالها وفى المدارس والاوقاف والفقراء والاحوال الشخصية ورسامة القسس وغير ذلك والتمس البابا البطريرك من الحكومة التصديق على اللائحة فصدقت عليها فى ١٤ مايو سنة ١٨٨٣ م الا ان هذه اللائحة كانت حبراً على ورق لان أعضاء المجلس لم يهتموا بشيء ولم يوجهوا نظرهم للاهتمام بما يستدعي جهادهم وتعبهم ولبث مجلسهم ينحل شيئاً فشيئاً حتى فارق الحياة

وبعد مدة تحرك بعض ابناء الامة فطلبوا من غبطة البطريرك تشكيل المجلس فأبى ان يجيبهم بدون تعديل اللائحة وحذف مافيها مما يخل بسلطته فلم يقبلوا بل رفعوا أمرهم الى الخديوى وكان وقتئذ توفيق باشا وعزموا على عقد اجتماع لاعادة الانتخاب فكتب البابا كيرلس يحيط مجلس النظار علماً بالمسألة وطلب منع ذلك الاجتماع فمنع

ومن ثم استدعى البابا كيرلس المطارنة والاساقفة وكبار القسوس من كل الجهات وعقد بهم مجمعاً اكليريكياً أصدروا فيه قراراً يقضى بضرورة عدم تداخل أحد من الشعب في تدبير أمور الكنيسة ومتعلقاتها

وحمل البابا كيرلس و نيافة الانبا يؤنس مطران الاسكندرية هذا القرار الى توفيق باشا ورفعاه اليه فوعد بالمساعدة وقضى البابا بالاسكندرية مدة شهرين مافتىء فيها أعضاء المجلس يسعون ليحققوا أغراضهم غير انهم لما قابلوا توفيق باشا أدركوا استحالة عمل شيء بدون رضاء البابا كيرلس فاكرهوا على ملاطفته ومحاسنته ولما رجع من الاسكندرية استقبلوه استقبالا فخما

وكان المرحوم بطرس باشا غالي باوروبا فى أثناء هذه الحوادث وحضر بعد ذلك فالقى اليه توفيق باشا مقاليد المسألة وكلفه بحسم هذه المشاكل فوبخ أبناء الطائفة وأرغمهم على طلب الصفح من غبطة البطريرك وانتهت المسألة على مايرام واهتم البابا بعدذلك من تلقاء نفسه بتعليم الرهبان ونشر المعارف وتشييدالمدارس في البلاد حتى أصيب بمرض فانطلق الى دير العريان ترويحاً للنفس مدة

وعقب ذلك تأسست جمعيةالتوفيق وحررت نشرة تطلب فيها ضرورة الاتفاق من ريع الاوقاف على ترقية المدارس وتسهيل وسائط التربية العالية لابناء الامة فتعرض لهذه النشرة بعضهم يفندها ويكشف أغلاطها وأعقبت الجمعية نشرتها بأخرى طلبت فيه تعيين مرتب للاكليروس القبطي أسوة باكليروس باقى الطوائف فأظهر الجميع موافقتهم على هذا الرأي لتأكدهم بانه سر نجاح وتقدم اكليروسنا . ثم كتبت نشرة أخرى بضرورة اعادة تشكيل المجلس الملي فردت عليها الجمعية الارثوذكسية واحتدم الجدال بين الفريقين مدة ما

وفي خلال تلك المناظرات استدعى بطرس باشاغالي نيافة الانبا يؤنس مطران الاسكندرية الى القاهرة وكلفه ان يبلغ غبطة البطريرك بان الامة ترغب فى انشاء مجلس ملي فرد البابا برضاه عن تشكيل مجلس اذا عدلت اللائحةالقديمة فأبى بطرس باشا تغيير اللائحة وأصر البابا على طلبه . ولما كانت جمعية التوفيق قد تحدث غبطة البابا بكلام لم توقر فيه مركزه الديني كتب للديوان الخديوى يطلب منعها فلم يرد عليه . وكان بطرس باشا عازماً على السفر الى أوروبا وتقابل مع الخديوى ليأخذ منه اذناً بالسفر فذكر أمامه النزاع الطائفي الحاصل فأجابه بطرس باشا بانه لايمكن ان يهدأ مالم يشكل المجلس فصدر الامر لبطرس باشا بتأخير سفره ليسعى فى تشكيل المجلس

وابلغ البابا كيرلس هـذا القرار وهو مقيم بدير المدويه الـكائن بجنوب القاهرة واستدعى الى قائمقام رئيس مجلس النظار فتوجه اليه وصحبته القمص تادرس مينا أحد قسوس البطريركية فوجدا معه بطرس باشاغالى وطالت المناقشة بين الطرفين فى امر المجلس وغبطة البطريرك يبدى اصرارا زائداً فابلغه الوزير القائم بالأمر الذى صدر النطق العالى به بضرورة تشكيل المجلس ولا بد من تنفيذه بالقوة

فانطلق البابا كيرلس للدار البطريركية وكتب للديوان الخـديوى يطلب تعديل الامر وكتب ايضاً كذلك لمختار باشا المندوب العالى العثمانى وغيرهما من أولى الشأن وكان ذلك فى ٢٨ يونية سنة ١٨٩٢ م وفى مساء ذلك اليوم استدعى نحو خمسمائة نفس من رجال الطائفة بدعوة موقع عليهـا من بطرس باشا غالى بصفته نائب مجلس الامة لأجراء انتخاب المجلس

وفى الغـد قصد بطرس باشا الدار البطريركية تتبعه عساكر البوليس ومنع الدخول الى البطريركية وصرف تلاميذ المدرسة وأساتذتها وطرد الخدم وضبطت ابواب البطريركية فارسل غبطة البطريرك يستنجد بالمعية السنية فلم ترد عليه والناس حيارى لايعرفون مايتم وبعد الظهر جاءت جنود أخرى وأقبل محافظ القاهرة وطلب من غبطة البطريرك أن يقبل الرئاسـة على الانتخاب فأبى فقـام المحافظ الى المجلس المعد للانتخاب بالمدرسة الـكبرى وافتتح الحفلة باسم الحضرة الفخيمة الخديوية وبدىء بالانتخاب فاسفر عن النتيجة الاتية وهى : ـ

بطرس باشا غالي . حنا بك نصرالله . بطرس بك يوسف . مقار بك عبد الشهيد قليني بك فهمي . خليل افندى ابراهيم . يوسف بك وهبه . يوسف افندى سليمان . حنا بك باخوم . نخله بك الباراتي . حبشى افندي مفتاح . يعقوب افندى نخله روفيلة . وهؤلاء بصفة اعضاء . وانتخب باسيلى بك تادرس . عبد المسيح بك حبشى . ابراهيم افندي منصور . وهبه افندى يوسف عبده . رفلة افندي جرجس . مرقس افندى سميكة . ابراهيم بك روفائيل الطوخى . باسيلى افندى روفائيل الطوخى . فرج افندى ابراهيم . بطرس افندى ابادير . يعقوب افندي نخله يوسف . عوض بك سعد الله بصفة نواب اعضاء

وبعد الانتخاب اعلن غبطة البطريرك الديوان الخديوى والامة بالجرائد ان ماتم كان بغير اذنه وبدون رضاه وانه لا يوافق مطلقا عليه . وكان عيد الاضحى قد قدم فتوجه غبطته مع بعض الآباء المطارنة والقسوس لمقابلة الجناب العالى فأبى أن يقابلهم وتكدرت الخواطر لهذا السبب وأراد بطرس باشا أن يستجلب رضاء سمو الخديوى على الآباء الروحيين فكلف البابا كيرلس أن يحرر للمعية السنية خطاباً يعلن فيه قبوله لانتخاب المجلس ويلتمس رضى الخديوى المعظم ويرجو التشرف بمقابلته فرفض غبطته أن يحرر خطاباً هذه صورته وكتب خطاباً آخر طلب فيه المقابلة فلم ترد عليه المعية السنية بل كتبت لبطرس باشا تطلب منه ان يبلغ البطريرك بان المعية لا تسمح له فيما بعد بمخاطبتها وان كان له على أحد شيء فليرفع أمره لجهات الاختصاص

هذا وفضلا عن احتجاجات غبطة البطريرك المتعددة وافقت الحكومة على تقرير الانتخاب وأعلن غبطة البطريرك بذلك فكتب لمجلس النظار بانه باق على رأيه لم يتغير وكان بعض انصار جمعية التوفيق يجولون في البلاد لأخذ توقيعات ابناء الطائفة على قرار انتخابهم فكتب غبطة البطريرك يحذر الامة من الانقياد لهم

وانعقد المجلس ورأى انه من المستحيل اكتساب رضاء البطريرك وموافقته فاصدر قراراً مؤداه رفع البابا كيرلس الخامس من رئاسة المجلس ومن ادارة كل مايتعلق بشؤون الطائفة وان المجلس ينتخب من يلزم ليكون وكيلا للبطريركية ورئيساً للمجلس . وعرض هذا القرار على مجلس النظار فوافق عليه وصدر به قرار في ٢٨ يونية سنة ١٨٩٢ ولما اطلع عليه غبطة البطريرك كتب الى مجلس النظار يحتج على رفع يده من ادارة شؤون هو وحده المدبر لها

وكان مقار بك عبد الشهيد فى أثناء هذه المدة يسعى فى استمالة أحد الاباء المطارنة أو الاساقفة لقبول رئاسة المجلس وادارة البطريركية . فكلم في ذلك اسقفى الفيوم والخرطوم فوبخاه بشدة ولكن اعلن بالجرائد ان اثنين من اساقفة الاقباط قبلا الترؤس على المجلس فاعلن غبطة البطريرك حرم من يتجارى على ذلك الا أن مقار بك تمكن من ان يستميل الى المجلس الانبا اثناسيوس

اسقف صنبو وأتى به الى القاهرة متنكراً ولما اظهر خوفه من شجب البطريرك اقنعه الايغومانوس فيلوثاوس الذى انضم لتلك الحركة حينئذ بانه فى امكانه اذا صدر الحرم ان يفنده من الكتاب المقدس ومن قوانين الكنيسة . ووصلت هذه الاخبار مسامع غبطة البطريرك فانذر اسقف صنبو فارسل هذا اليه يعلن خضوعه التام ويكذب كل ما أشيع عنه

ولما ضاق الامر بغبطة البطريرك ورأى ابواب الحكومة المصرية مغلقة أمامه استعان ببعض قناصل الدول فخاطب قنصل انجلترا فأبى التوسط بينه وبين الخديوى وقابل قنصل روسيا وقص عليه كل ماحصل فوعد بالتوسط بينه وبين بطرس باشا فاظهر بطرس باشا ميله للصلح وفعلا توجه للدار البطريركية وتقابل مع غبطة البطريرك واتفقا على نسيان مامضى وعلى تعديل لائحة المجلس وبحسب ذلك التعديل يحفظ لغبطة البطريرك حق حفظ اوقاف الاديرة لها وادارة ديوان البطريركية ورئاسة المجلس وغير ذلك . وما ذاع خبر هذا الاتفاق حتى كادت تطير له القلوب من شدة الفرح وأخذت رسائل التهانى تترى على الدار البطريركية وبطرس باشا

وكاد الخلاف يزول أثره والوئام يشتد أزره لولا ان ذلك الاتفاق لم يكن ملائماً لاغراض أعضاء المجلس فارسلوا مندوبين بعد كتابة الاتفاق بايام الى غبطة البطريرك لتقديم اقتراحات جديدة لهم وطلبوا الرد عليها في مدة يوم واحد وهددوه في حالة عدم الرد بعمل كل مايمكنهم عمله . فلم يشأ غبطته ان يرد عليهم بل كتب لبطرس باشا بقبوله فقط للاتفاق الذى ابرماه معاً وتشبث رجال المجلس بطلباتهم وهكذا انصرم حبل الوفاق ثانياً فأسفت الامة وعادت الى حزنها واكتئابها وقام غبطة البطريرك حينئذ ليقيم بالاسكندرية

وفى ٢٦ اغسطس سنة ١٨٩٢ م أعلن المجلس الغاء ذلك الاتفاق وقرر تعيين اسقف صنبو وكيلا للبطريركية ورئيساً للمجلس وصدرت الارادة السنية بالموافقة وتوجه مقار بك الى صنبو لتهنئة اسقفها بمركزه الجديد واحضاره معه فأبى مرافقته الى القاهرة الا بطلب رسمي من وزارة الداخلية فجاءه الطلب بعد ساعات وكتب هو يعلن غبطة البطريرك بذلك

فأرسل غبطة البطريرك الى نيافة اسقف بني سويف لينتظر اسقف صنبو على المحطة أثناء قيامه للقاهرة ويحلته بالحرم اذا خالف قوانين الكنيسة فانتظره حسب الامر وأعلن له الحكم البطريركي فلم يعبأ به وقوبل بمحطة القاهرة مقابلة رسمية وكان الاعضاء يهتفون له قائلين « يعيش الانبا اثناسيوس » . أما غبطة البطريرك فأمر اسقف الخرطوم وأحد قسوس البطريركية بمنع اسقف صنبو من دخول البطريركية فاجتمع بعض الرهبان وفقراء الاحباش والخدم داخل البطريركية وأغلقوا الابواب الخارجية ولكن اسقف الخرطوم ابى الاشتراك معهم فى هذه المقاومة وظل مقيما بمصر القديمة

قيل ان القسوس الذين رافقوا اسقف صنبو توجهوا الى البطريركية فوجدوا ابوابها مغلقة فرجعوا على الاعقاب والاولاد يصرخون وراءهم قائلين « يامحرومون يامحرومون » أما الاسقف فتوجه الى دار عوض بك سعد الله ونزل به ضيفاً حتى تفتح له ابواب البطريركية

وعلى اثر ذلك اجتمع بالدار البطريركية بالاسكندرية حضرات الاساقفة والكهنة الموجودين بها وقرروا قطع اثناسيوس من كامل الوظائف الكهنوتية ثم كتب غبطة البطريرك حاشية على هذا القرار باعتماده وكان غبطته قد كتب للمطوب الذكر الانبا باسيليوس اسقف كرسى اورشليم يعلمه بما حصل من اسقف صنبو فجاء له من نيافته تلغراف بوجوب معاملة هذا الاسقف حسب القوانين الكنسية

ولما رأى اعضاء المجلس ان ابواب البطريركية مغلقة في وجوههم وان وجود غبطة البطريرك ونيافة مطران اسكندرية دعا الى تأخير اجراآتهم اجتمعوا في ٢٦ مسرى سنة ١٦٠٨ ش و ٣١ اغسطس سنة ١٨٩٢ م وشكلوا مجلساً روحياً من القسوس الذين انضموا اليهم وهم القس بشاي خادم كنيسة حارة زويلة والقمص جرجس بشاي خادم كنيسة الدمشيرية والقمص بولس جرجس وكيل قضايا البطريركية والايغومانوس فيلوثاوس رئيس الكنيسة الكبرى وباتفاق المجلسين تقرر ابعاد غبطة البطريرك الى دير البرموس ونيافة مطران الاسكندرية الى دير انبا بولا وارسل القرار الى رئاسة مجلس النظار فأقرته سريعاً وبناء على ذلك

توجه محافظ الاسكندرية في يوم الخميس اول سبتمبر سنة ١٨٩٢م الى غبطة البطريرك وأعلمه بهذا الامر فقبله بسرور ووعد بالسفر غداً واحيطت البطريركية بالاسكندرية بالعساكر وفى صباح الجمعة سافر غبطته تاركا لارباب المجلس بالاسكندرية الف ومائتي فنتو واوصى ان لاتصرف بل تكون وقفاً وترك لهم بالقاهرة ثمانمائة فنتو وبعض قطع ذهب وساعة ذهبية اهديت له من اسماعيل باشاوغير ذلك من الأثاثات الخاصة به والتي لم يهتم بأخذشيء منهاحتى ولاسجادته الخصوصية . أما ملابسه فقد فرق بعضها في الطريق وفرق الباقي على الرهبان حال وصوله للدير

ولما وصل الى محطة الطرانة شاهد حمزه بك عمدة الطرانة انهم اعدوا له جملا ليحمله الى الدير الذى كان يبعد عن المحطة نحو ٢٤ ساعة وعلم ان غبطته على ماهو عليه من الوهن لم يكن يمكنه ان يقطع المسافة راكباً جملا فاستحضر له جواده الخاص وسار معه الى نصف المسافة مودعاً ولم يرجع الا بالحاح غبطة البابا الشديد وبعد ان استراح غبطته بالدير قليلا خلع ثيابه ولبس ثياب الرهبان وساوى نفسه بأقلهم واشترك معهم في كافة الاعمال . وكان بالدير حديقة جعلها موضوع عنايته فكان يمضى جل وقته عاملا فى غرسها وتنقيتها وريها وعزقها حتى اينعت وصارت روضة زاهرة . اما نيافة مطران الاسكندرية فأخذ الى القاهرة ومنها الى بني سويف ومنها الى دير انبا بولا

هذا وبعد ذلك قام اعضاء المجلس تصحبهم قوة عسكرية لفتح ابواب البطريركية ففتحت ودخلها اسقف صنبو والايغومانوس فيلوثاؤس وأقاما بها . قيل انه في يوم الاحد ٤ سبتمبر سنة ٩٢ وهو اول احد أقام به الاسقف الصلاة بالكنيسة الكبرى أعطى الانجيل ليقرأ منه الفصل المعين لذلك اليوم فتلا خطأً فصلا فحواه خيانة يهوذا للسيد المسيح وتسليمه اياه فنبهه الايغومانوس فيلوثاؤس فارتعد وجزع لا سيما لما تمثل نفسه أسوة بيهوذا الاسخريوطى الا انه لم ينكف عن تلاوة ذلك حتى انتهى منه وهو غائب عن الشعور لا يدري أين هو أبالقاهرة أم بصنبو . ومن هذا القبيل جرى ان الايغومانوس فيلوثاؤس بينما كان يرفع الاسرار الربانية سقطت الصينية من بين يديه فتشاءم الكثيرون

ومن غرائب الصدف انه في نفس هذا اليوم وقع الكأس من يد الكاهن الذي كان يخدم بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية وبعداسبوع وقعت مبخرة البخور من يد الايغومانوس المومااليه فكادت تحرق السجادة . فاستخلص الناس من كل هذه الحوادث ان الله غير راض عن اعمال المجلس وانصاره

وما بلغت هذه الحوادث الجمعية الارثذوكسية حتى عملت على استثمارها فكتبت منشوراً تدعو فيه الشعب الارثوذكسى أن يمتنع عن الصلاة مع ذلك الاسقف وكهنته المحرومين وان يتوجهوا للصلاة بكنيسة الاروام الارثوذكس بالحمزاوي . فلبى هذا النداء كثيرون فكانوا يتوجهون الى كنيسة الاروام واظهر هؤلاء عظيم سرورهم وجعلوا الصلاة باللغة العربية وقيل ان بعضهم تبرع ببناء كنيسة ومدرسة بالشماشرجى للذين ينفصلون عن الكنيسة القبطية وينضمون لكنيسة الاروام

نخشي اعضاء المجلس عاقبة هذا الامر وعولوا على استدعاء الاساقفة من كل الجهات ليحلوا المحرومين وكان جل الاساقفة قد تركوا مراكزهم وانطلقوا الى الاديرة وهم اساقفة بني سويف واسنا ومنفلوط ولم يجب دعوتهم سوى اساقفة المنيا واخميم وجرجا واسيوط الا انهم عوضاً عن ان يجيبوا المجلس الى طلبه اعلنوا موافقتهم لاحكام رئيسهم غبطة البطريرك وجددوا شجب المشجوبين بل امتنعوا عن المرور من الدرب الواسع الكائنة به البطريركية ونزلوا بعزبة انبا بولا بدرب الجنينه بالقبيلة وبعدان اقاموا بالقاهرة مدة لم ينل منهم في اثنائها اعضاء المجلس طائلا عادوا الى مراكزهم وتعطلت الشعائر الدينية بالقاهرة اذ لم يقبل احد ان يستدعى احد الكهنة المحرومين لاجراء فروض التكليل والتعميد والصلاة على الموتى وغيرذلك

ومن ثم توالى رفع عرائض الاسترحام العديدة من ابناء الطائفة الى سمو الخديوى بطلب استرجاع بطريركهم وفي يوم السبت ١٩ بابه سنة ١٦٠٩ ش تقدم وفد من اعيان الأمة الى مصطفى باشا فهمى رئيس الوزارة مكرراً هذا الطلب فوعده خيراً وبعد ذلك تمكن الوفد من مقابلة سمو الخديوى واعاد على سمعه رغبة الامة في رجوع بطريركها . وبالجملة فقد بذل الشعب مع الاساقفة كل مجهود لديهم في سبيل عودة رئيسهم حتى صدر أمر خديوى كريم في ٢٠

يناير سـنة ١٨٩٣ م بالسماح بعودة غبطة البطريرك ونيافة المطران فما ذاع هذا الخبر حتى أقيمت معالم الافراح وبدا السرور والبشر على كل الوجوه وانطلق كل لسان يشكر الله

ووصل الامر الـكريم مسامع غبطة البطريرك وتوجه اليه مائتا نفس من أبناء الامة فى يوم الخميس ٢٦ طوبه سنة ١٦٠٩ ش وطلبوا منه ان ينزل من الدير يوم الاثنين ليعدوا له مكاناً خاصاً يوم الثلاثاء ولـكن الظروف قضت ان يبرحوا الدير يوم الجمعة ٢٧ طوبه وكان العربان طول الطريق ينشدون الاناشيد ويطلقون البنادق ويركضون على صهوات خيولهم حتى وصل الركب الي محطة كفر داود فأقبل الناس يلثمون يدي غبطته وهو يدعو لهم ويباركهم

وكان الذين أتوا لاستحضار غبطة البطريرك قد صمموا على السفر فى قطار خاص فقال لهم غبطته اننا لا نسافر الا في قطار الركاب فالحوا عليه كثيراً فلم يقبل وبينما هم كذلك اذا بتلغراف يفيد عدم امكان قيام قطار خاص فأمرهم غبطته أن يقطعوا التذاكر حتى يذهب لزيارة بعض أهالي تلك البلدة التي كانت تبعد عن المحطة مقدار ثلث ساعة فالتمسوا منه أن يبقى لئلا يبرحهم القطار فقال لهم لا تخافوا فسكتوا وهم في غاية الحيرة وقالوا لابد من ارجاء السفر للغد وبعد قليل وصل اليهم ان بعض آلات القطار قد تعطلت وان القطار سيتأخر عن ميعاده ساعتين فتعجبوا ومجدوا الله وهكذا تمكن غبطة البابا ومن معه من السفر صباح السبت ٢٨ طوبه

وكانت البطريركية مزدحمة بالوف المبتهجين بعودة رئيسهم والاجراس تدق مبشرة بقدومه . واستقبل غبطة البطريرك فى كل المحطات التي مر عليها القطار استقبالا عظيما بالـكهنة والشمامسة والتراتيل أما الاحتفال بقدومه فى القاهرة فحدث عنه ولا حرج حيث كانت الجماهير تموج كالبحر الزاخر وأصوات الدعاء لسمو الخديوي ودولتلو رياض باشا وغبطته تشق عنان السماء . ولما نزل من المحطة كان الناس يقبلون أهداب ثيابه ورجليه ويديه وكادوا يرفعونه على رؤوسهم وبالـكاد استطاع ان يعتلي العربة المعدة له ووصل البطريركية في مسافة طويلة لشدة الازدحام حتى اندهش محافظ القاهرة الذى حضر بالجنود لاستقبال غبطته رسمياً لجلال ذلك الاحتفال وحسن رونقه وكان القسوس والشمامسة أمام الـكنيسة

بملابسهم الرسمية وسعف النخل بايديهم يرنمون ترنيمات التهاني والنساء يزغردن والجميع في ابتهاج ما عليه من مزيد

وكان قد قام وفد آخر من كبار الطائفة وتوجه الى دير أنبا بولا في يوم الاربعاء ٢٥ طوبه لاستدعاء نيافة مطران الاسكندرية فقام معهم الى بني سويف وهناك تقابل مع سمو الخديوي في بني سويف حيث اتفق تشريفه لها حينئذ وأظهر سمو الخديوي سروره مما تم ودعا له نيافة المطران بالعز والتأييد . ومن ثم سافر نيافته الى القاهرة فقوبل باحتفال عظيم فى المحطة وفي البطريركية

وبعد عشرة أيام من عودة غبطة البطريرك جاء بطرس باشا لزيارته وصحبته جميع المحرومين فاعترفوا بكل ما صدر منهم وطلبوا الصفح عنهم والرضاء عليهم فسامحهم غبطته وحلهم لما جبل عليه من مكارم الاخلاق ولكي يتمم وصية سيده المسيح رسم اسقف صنبو مطرانا وحذرهم جميعاً من العودة الى مثل ما أتوه لئلا يقعوا تحت طائلة الحرم ثانياً

وبعد منافسة طويلة بين غبطة البطريرك وأعضاء المجلس من جهة وبينه وبين جمعية التوفيق من جهة أخرى صدر الامر العالي بارجاع الادارة الى غبطة البطريرك واتفق على انتداب أربعة من أعضاء المجلس لمساعدة غبطته فى ادارة شؤون الطائفة . وكان أول عمل أقرته اللجنة الملية تحت رئاسة غبطته هو وجوب فتح المدرسة الاكليريكية وجمع الاوقاف بديوان البطريركية . ثم عينت المجلس الروحي للنظر فى الامور الدينية وقرر منع تجول القسوس وعدم رسامة أحد منهم الا اذا استوفيت فيه الشروط المطلوبة الا ان هذا القرار الاخير لايزال حبراً على ورق فالقسوس سواء كانوا من الحقيقيين أو الذين يتزيون بزيهم يجولون فى كل مكان ويجلبون عاراً على الامة والطائفة . وعدم التدقيق في رسامتهم لايزال سارياً مع انه العبء الوحيد الثقيل الذي يمنع نهوض هذه الامة وتقدمها

وكان غبطة البطريرك بعد هذه الحوادث لايفتأ ينشر المنشورات يحض في بعضها ابناء الامة على الاهتمام بالأمور الدينية وبتعليم أولادهم على المبادىء الارثوذكسية وفي البعض الآخر حرم عادة الندب والحزن المفرط على الميت . ثم انشأ مدارس اكليريكية بالاديرة وسعى في تعميم التعليم لأنه عنوان رقي الامم

ومر نجاحها

وفكر غبطته أن يقوم بزيارة رعيته وافتقادها فبارح القاهرة في ٢٦ طوبة سنة ١٦٢٠ ش و ٢٥ يناير سنة ١٩٠٤ م لزيارة الوجه القبلي والاقطار السودانية فقوبل مقابلة عظيمة وعاد من رحلته في ٢ ابريل سنة ١٩٠٤ م وبعد ذلك انحلت اللجنة الملية اسبب فساد النظام الذى انتهت اليه ومن ثم تقرر باتفاق غبطته مع بطرس باشا انتخاب المجلس الملي الرابع وصدقت عليه الارادة السنية في أول مارس سنة ١٩٠٦ م وقد حدث خلاف بين المجلس وغبطته انتهى بتعيين الاب القمص بطرس عبد الملك لرئاسة جلسات المجلس سنة ١٩٠٩م

ثم شرع غبطته فى رحلة ثانية من ٢٥ يناير سنة ١٩٠٩ م للوجه القبلي أيضاً ورجع منها في ١١ ابريل من تلك السنة وقد حدث فى اسيوط مانذكره وهو ان حزب من يسمون انفسهم بالمصلحين باسيوط وزع نشرات بالكنيسة مؤداها الطعن فى الهيئة الاكليريكية وكان غبطة البطريرك قائماً بالصلاة فقدمت له من الحزب مطالب فرقها والقاها على الارض فهاج اعضاء الحزب وخرج غبطته من الكنيسة غاضباً الا أن المسألة انتهت بسلام وخرج غبطته من اسيوط مودعاً بالاكرام اللائق بمقامه السامى

وعقب رجوع غبطته انذره المجلس بتسليم أوقاف الرهبان وعظم الخلاف واشتد وقد حاول انصار المجلس ان يستغلوا شكوى بعض الرهبان من رئيسهم ضد البطريركية وقاموا بمظاهرة عدائية أمام الكنيسة الكبري وانتهى كل سعى من هذا القبيل بالفشل التام

وانعقد في عهد غبطته المؤتمر القبطى باسيوط في ٦ مارس سنة ١٩١١ م ليطلب من الحكومة مساواة الاقباط بالمسلمين فى كافة الحقوق المدنية والدينية فطلبت الحكومة من غبطة البطريرك ان يمنع هذا الاجتماع خشية من حدوث مالا تحمد عقباه فنشر منشوراً يحض فيه على استعمال الحكمة والروية في المطالبة بهذه الحقوق فردعليه نيافة الانبا مكاريوس مطران اسيوط متعهداً بعدم حدوث أى مكروه. وعقد المؤتمر في ميعاده والقيت الخطب ورفعت الاحتجاجات وذهبت جميعها صرخة في واد

ومن ذلك الحين والامة القبطية آخذة فى النهوض والتقدم بفضل حكمة رئيسها العام غبطة البابا كيرلس وقد حمل حسن تصرفه وعظيم حكمته ابناء الامة المصرية من مسلمين واقباط على ان يأخذوا بناصر بعضهم البعض ويزيلوا من قلوبهم كل شقاق وبغضة موقنين ان الدين لله والوطن للجميع

أما علاقة هذا البابا بالكنائس التابعة له فهى على أحسن ما يرام . وكانت العادة الجارية ببلاد الحبشة أن لا يرسل اليها الا اسقف واحد فاذا مات ارسل غيره ولكن في سنة ١٨٨١ م طلب النجاشي يوحنا تعيين مطران وثلاثة اساقفة ولما كان هذا الطلب مغايراً للعادة فقد ترددت الكنيسة أولا فى اجابته ثم في يوليه سنة ١٨٨١ م تم الاتفاق بين الاحباش والرئاسة الدينية بعقد مكتوب على اجابة ماطلبوه . ورسم لهم مطران وثلاثة اساقفة بشروط مخصوصة .والان ليس بالحبشة غير مطران واحد هو الانبا متاؤس الذي زار القطر المصرى مرتين وبلغ عدد من أرسل الى الحبشة من الاساقفة ١٠٥ حتي أوائل القرن التاسع عشر يضاف اليهم الاربعون الذين رسموا فى خلال القرن المشار اليه

أما بلاد النوبة فقد كان بها ١٧ ابروشيه الا أنها أخذت تضمحل لجور الحكام المسلمين حتى سنة ١٨٨٠ فلم يبق بتلك البلاد من المسيحيين اكثر من ١٦ الفاً . ولما أعيد فتح السودان فى ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨م رسم لهم البابا كيرلس الحالي اسقفاً رقي فيما بعد الى رتبة مطران وبنيت كنيسة كبرى فى الخرطوم وسبع كنائس أخرى في الاقاليم ومنظور بناء غيرها في باقي جهات السودان التى بها مسيحيون .

وفي ٢٣ بابه سنة ١٦٤٠ ش أتم البابا كيرلس خمسين سنة على الكرسي المرقسي وهى اطول مدة اقامها بطريرك على هذا الكرسي واحتفلت الطائفة بعيد يوبيله الذهبي احتفالا عظيماً شهده كبار القوم ومندوبو الحكومة من وطنيين واجانب . وقيل أن غبطته لم يقبل فى مبدأ الامر هذا الاحتفال زهداً منه فى مجد العالم ولكنه قبل حضور الصلاة بالكنيسة وسماع الخطب

القسم الثانى

مشاهير الكنيسة

oooooooo

(١) الأنبا سرابامون اسقف المنوفية (٢) الأنبا باسيليوس مطران القدس (٣) الأنبا ابرآم اسقف الفيوم (٤) الايغومانوس فيلوثاوس

oooooo

(١) الانبا سرابامون اسقف المنوفية.[1] نشأ هذا الأب الفاضل بمديرية الشرقية باسم صليب ولما أدرك رشده أقام بالقاهرة واحترف مهنة بيع الزيت وكان يطوف الشوارع والحارات منادياً على زيته ورووا ان سبب طلوعه للدير هو انه ذات يوم توفى ولد لاحدى النساء الشريرات بأسباب فعلية فقيل لها ان تنتظر الرجل النصراني الذى يطوف لبيع الزيت وتلقى الولد تحت أرجل حماره وتتهمه بقتله ففعلت ذلك وسيق بحماره الى الحاكم يتبعه جمهور غفير يشهد عليه بانه هو القاتل وعبثاً حاول ان يبرىء نفسه وينادي انا مظلوم قيل انه لما تضايق توسل الى الله ان يخلصه من هذه البلية فاجاب سؤله وخلصه بمعجزة مدهشة أما القديس فلما رأى ذلك ترك حماره بما عليه وفر هارباً الى الدير خشية من الفخر العالمى ولبث بالدير حتى انتخبه اسقفاً للمنوفيه البابا بطرس ال ١٠٩

وبعد رسامة هذا الآب أسقفاً اشتهر بامرين أولها التقشف والنسك والبساطة وثانيها صنع العجائب والمعجزات . فمن الامر الاول يقولون انه لم يكن يعبأ

---

(١) نقلناه ملخصاً عن كتاب « نوابغ الاقباط ومشاهيرهم » ج ٢

بزخرف المعيشة ولا ما تشتهي النفس فكان يقضي طول الليل قائماً يصلي وبعد الصلاة يأتي على الارض ويضع مركوبه تحت رأسه وينام عليه وكان أغلب أكله الدشيشه في اناء من خشب وقيل انه مرة دخل بيتاً فشم فيه رائحة ملوخية وفراخ اشتهت نفسه أن تأكل منها وكان ذلك في أحد أيام الخماسين فأرسل اليه أهل البيت شيئاً من الطعام حيث يقيم بالبطريركية ولما قدم له أمر بتأخيره وأبقاه ثلاثة ايام حتى انتن ومن ثم طلب من تلميذه ابرهيم برغوت ان يستحضره ووضع لقمة منه في فمه فعافته نفسه فابتدأ يوبخها قائلا هاهي شهوتك لماذا لم تأكليها ياملعونة ثم أعطى الطعام للتلميذ فاراقه خارجاً

وروى عن ميله للاحسان الخفي انه كان في احدى الليالي شخص يسير متنكراً في بعض ازقة القاهرة وعلى كتفه سلة ثقيلة الحمل فصادفه وهو بهذه الحالة رجل من خدمة الدار البطريركية يدعى حنا النجار فاستغرب زيه وتلثمه اذ رآه يكاد لايظهر من وجهه غير عينيه وهو يلهث تعباً من حمله فرابه أمره وظنه لصاً فجد وراءه حتى أدركه ثم رآه وقف بباب وقرعه فانفتح الباب فسلم السلة للفاتح دون ان ينطق بكلمة وعاد من حيث أتى وعندئذ تقدم اليه حنا وأمسك به فما تبينه حتى علم انه الانبا سرابامون اسقف المنوفية وكان يأتى بالدقيق والقمح ويحمله بنفسه الى الاسر التي لاتمد يدها للسؤال حياء عاملا في ذلك بقول السيد المسيح « واما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ماتفعل يمينك »

واتفق مرة أنه كان لدى الانبا سرابامون ستمائة ريال فرأى أن يشترى بها داراً للاوقاف وقد وضعها في كيس وسلم الكيس الى تلميذه ابراهيم ليحفظه الى ان تتم المساومة . وحدث ان زار ابراهيم احد اقاربه وعلم بأمر الكيس فدفعه الطمع الى سرقته فلما افتقد التلميذ ابراهيم النقود ولم يجدها ذهب الى الاسقف باكياً فخفف الاسقف حزنه وقال له ثق يا أبني بالله فهو قادر ان يرد الينا المال . وفي هذه الاثناء كان السارق قد شعر بتأنيب ضميره فلم يستطع ان يضيع قرشا من الكيس الذى سرقه ثم اشتد به الندم فقام مسرعا وجاء الى الاسقف بنفسه ومعه الكيس وانطرح امامه طالباً السماح والعفو فسامحه الاسقف

وبعد ان بين له شر السرقة ووخامة عواقبها نصحه بالاستقامة وقال له اذا وقعت في ضيق فتعال الي . ثم تحنن عليه وأعطاه بعض دريهمات . فتأثر الشاب من هـذه المعاملة وبكى وعزم من ذلك الحين أن يعيش أميناً مجداً في عمله

قيل وكانت درايته بالقراءة ضعيفة حتى انه كان عند ما يقع نظره على انجيل القداس ويجده مطولا يقول (يا أبوي يا أم النور دا طويل يا بوي) وذلك لانه كان طاعناً في السن : وكان من عادته على الدوام انه عند ما كان يستغيث من أي شيء يقول يا أم النور

أما عن الأمر الثاني الذي اشتهر به وهو صنع العجائب والمعجزات فحدث عنه ولا حرج فقد رويت عنه حوادث يعارضها العقل لولا قول الكتاب « كل شيء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) وكانت شهرته الزائدة باخراج الشياطين بقراءة المزمور الرابع والثلاثين ورش المياه على وجوه المصابين باسم (ايسوس بخرسطوس) قيل انه خطر له مرة ان يسأل شيطاناً عن اسمه فاجابه « اسمي سرابامون الاسقف » فقال « وي يابوي هي الشياطين فيها اساقفة ياما بقيت معوجة يا صليب » وهو اسمه الاصلي وكان اذا تألم يقول دائماً « يا خطيتك يا صليب » .

وحدث ان مريضاً بروح نجس أتي به الى البابا بطرس البطريرك ليصلي عليه فطلب ان يبقى حتى يستدعى الانبا سرابامون ليصلي عليه فقال له الانبا ابرآم اسقف القدس « منك أيها البابا نأخذ نحن الاساقفة المواهب فصل ولا تنتظر مجيء الاسقف » فاجابه البطريرك بتواضع زائد « اعلم يا أخي ان لكل واحد منا موهبة » ولكن الاسقف لم يقتنع فقال له البطريرك « انت اسقف مثله فقم صل » فقام وصلى على المريض ولكن بلا منفعة لأن الروح الشرير كان يستهزيء به ويذكر له تأخره في اتمام واجباته حتى اعترف بتقصيره . ولما حضر الانبا سرابامون تأخر مقدماً البطريرك وبعد الالحاح عليه قبل بشرط ان يصلي بصليب البطريرك فصلى ونال المريض الشفاء بخروج الروح النجس منه

واليك ما وجد عن احدى معجزاته في كتاب « سير البطاركة » نقلا عن كتاب « نوابغ الاقباط » ج ٢ : —

« ومما يستحق الذكر العجائب التي حدثت على يديه وفي زمانه منها ان ابنة محمد علي باشا (زهري باشا) زوجة احمد بك الدفتردار كان اعتراها روح نجس فعانى الاطباء أتعاباً شاقة في معالجتها ولم يستطيعوا ان يشفوها اذ لم يكن ذلك مرضاً طبيعياً . وكان صيت انبا سرابامون اسقف المنوفية بما اعطى من قوة اخراج الارواح الشريرة مالئا القطر المصرى فذكر لمحمد على باشا عن امكان ائمة النصارى فى شفاء ابنته ماجعله ان يدعو الاب بطرس البطريرك الى مباشرة ذلك فالاب اذ كان يعلم ان ابنته معتراة من روح نجس استدعى الاب سرابامون وامره ان يتوجه الى السراى حيث سكن زهرى باشا فلبي دعوته وتوجه فكانت السراى غاصة بالجنود والجماهير رجالا ونساء فلما ابتدأ ان يصلى على الاميرة تحرك الشيطان فيها والقاها صرعى على الارض فازبدت وشرعت تصرخ باصوات ارتجت لها السراى فارتعب الاب لذلك وخاف من سوء العاقبه وصار يستغيث بقوة المسيح صارخاً بصوت محزن زارفاً العبرات قائلا « عظيمة خطيئتك ياصليب يايسوع مجد يمينك وانصر كنيستك » حينئذ اكمل الصلاة ورسم علامة الصليب على ماء وضرب به وجه الاميرة فصرخ الشيطان بصوت مزعج وخرج منها وقامت الاميرة صحيحة وضربت الموسيقى فرحاً وبشر محمد علي باشا بذلك وجاء الى ابنته فوجدها متعافية فرغب ان يكافيء الآب سرابامون فصرصرة من النقود (قيل بها مبلغ أربعة آلاف جنيه) وقدمها للآب فأبى أن يقبلها واعتذر له قائلا « ليس من شؤون وظيفتي ان اربح بمواهب الرب مالايحوجني اليه فلباسى كما ترى فرجية صوف أحمر وطعامى الخبز وطبيخ العدس فعوض ذلك اسأل دولتكم ان تميلوا بتعطفاتكم نحو ابناء الطائفة القبطية وتخدموا بنيها المرفوتين فاجابه الى ذلك والح عليه ان يقبل تلك العطية فاخذ منها شيئاً قليلا وفرقه اثناء مروره على العساكر » اه ومن ذلك الحين صار لهذا الاسقف ولبطريركه البابا بطرس منزلة سامية في عيون الحكام بسبب هذه الحادثة واسندت وظائف كثيرة فى الحكومة لكثيرين من الاقباط على اثرها

قيل وكان الشيطان يحاربه بروح الفخر والاعجاب فيصور له انه افضل من غيره قداسة حتى سمع مرة يقول « بقا ياصليب . عطيتب مواهب الشفا ياصليب.

انت ياعفش انت ياانتن . انت ياوحش تخرج الشياطين ياصليب . تشفي المرضى ياصليب . ثم يجاوب نفسه بحدة وغضب شديدين ويقول يا أخى دي قوة الله ياصليب . دى قوة الله »

وروى انه لما تنيح انبا مكاريوس اسقف اسيوط دخل الانبا سرابامون ليلا منزعجاً على البطريرك يخبره انه شاهد روحه صاعدة وتحقق الخبر تماماً. وجلس مرة مع البطريرك ومعه تادرس افندى عريان والد باسيلى باشا تادرس واذا بالانبا سرابامون صرخ فلما سئل لماذا أجاب انى شاهدت روح الانبا يوساب اسقف الفيوم مرتفعة الى السماء فتركه البطريرك ودخل مخدعه دون ان يبقى لمقابلة الزائرين فسئل عن سبب ذلك قال حزناً على الانبا سرابامون لئلا يكون الازدهاء قد استولى عليه للموهبة التي أعطاها له الله فيفسدها عوضاً عن كونه يستخدمها للخير فتقدم الاسقف وضرب له مطانوة وأفهمه انه لم ينل درهماً واحداً تلقاء أي عمل أتاه

وعقب ذلك أصدر عباس باشا الاول أمره باعدام جميع السحره والمنجمين فوشى بالقديس انه منهم وانه شفى زهرى باشا فطلبه الخديوي عازماً على قتله فانطلق اليه وكان يوم الجمعة العظيمة فقابله الخديوى باحتقار وقال له هل انت ساحر فاجابه انا رجل مسكين فقال له أنت شفيت زهرى باشا فصرخ القديس بقوة في وجهه قائلا « هـذه قوة الله » فارتعب عباس باشا وجزع وقال له أمان يابابا ثم صرفه بسلام

وكان الانبا سرابامون يكره الطلاق كراهة زائدة حتى انه لم يطلق فى مدة رئاسته أحداً ولما كان يستعصى عليه ارضاء الزوج أو الزوجة اذا تحقق ان أحدهما مظلوم يقول له ان شاء الله أزوجك فى العام المقبل فلا يأتى الميعاد الا ويتوفى الظالم ويتزوج بطبيعة الحال

ودخل عليه يوماً زوج بحالة غضب شـديد وأفهمه ان امرأته وجدت في أماكن البغاء فطيب خاطره وصرفه للغد ثم انطلق الى البيت الذى وصف له ولتعود النساء على رؤيته تقدمن اليه يطلبن بركة فسألهن عن المرأة فلم يخفين عليه أمرها وأفهمنه انها أتت اليوم فقط فطلب الانفراد بها فى غرفة مظلمة ولبث

يوبخها ويؤنبها حتى عزمت على السير بالاستقامة ثم تركها تلك الليلة بمنزل أحد القسوس وطلب منه ان يأتيه صباحاً متشكياً من اعالتها وكان ذلك أمام الزوج فقال الاسقف للقس «ياخطيتك ياصليب أخطيت يابوي حلني قم احضرها» فوجد الزوج انها امرأته وانها كانت فى بيت القس لافي بيوت البغاء فقبلها وعاشا فيما بعد بكل سلام

واذا أردنا ان نذكر معجزاته واحدة فواحدة يطول بنا المجال فنكتفي بذكر اليسير منها . قيل انه لما حل مرض الهواء الاصفر بمصر نجت منه جميع البيوت التي كان متعوداً ان يزورها وحدث مرة انه كان ماراً من موقع حديقة الازبكية الحالي فوجد امرأة تبكى على بغل لها سقط من العربة من شدة الحمل وكان قد أشير اليها ان تنتظر مرور الاسقف ليشفيه ويقيمه فاجاب سؤالها وصلى واستجاب الله له

وذات يوم كان ذاهباً الى كنيسة حارة زويله من شارع درب مصطفى ولم يكن يوصل اليها غيره فتعلقت به احدى الباغيات وكانت قد تعاهدت مع بعض مثيلاتها ان تهينه فى الطريق فطلب منها بلطف ان تتركه فلم تفعل فدعا قائلا «اليد التي أمسكتني تشل» فصرخت المرأة حالا من الألم الذى لحق يدها وطلبت اليه ان يشفيها فشفق عليها وشفاها

وجرى في مروره بالسرحة السنوية ان طلع عليه عبد أسود رئيس عصابة واوقف بغلته وطلب منه ما معه من النقود فلما فتش جيوبه ولم يجد بها شيئاً طلب ان ينزل عن البغلة ويخلع ملابسه فقال له القديس اتركني وانطلق فأبى ورفع يده بنبوته ليضربه فقال له القديس « انت رفعتها دعها مرفوعة واتركني » ثم تركه وسار في طريقه ولما رجع ثاني يوم وجد يده مرفوعة كما هى فشفاه بعدان اخذ تعهداً منه بعدم العودة للسرقة مرة اخرى

وغير ذلك كثير لايحصيه العد . وطالت ايام هـذا القديس حتى ادرك البابا كيرلس الرابع والانبا سرابامون هو الذى رسم الراهب يوحنا الناسخ (البابا كيرلس الخامس) سنة ١٨٤٥ م قساً بديره بالبراموس في كنيسة حارة زويله بأمر بطريركه الذى استصغر الراهب في عينه لانه كان شاباً فقال له الانبا سرابامون

« يظهر انه مبروك وان شاء الله يخدم امة الرب »

وتنيح الانبا سرابامون ودفن مع بطريركه البابا بطرس ال ١٠٩ والبابا مرقس ال ١٠٨ ولا رابع لهما فى الجهة الشرقية القبلية من الكنيسة الكاتدرائية الكبرى .

(٢) الانبا باسيليوس مطران القدس . ولد فى سنة ١٥٣٤ ش فى قرية

بدعى الدابة من مديرية قنا بمركز فرشوط من والدين فاضلين . وفي ليلة ميلاده رأى والده حلماً كأن صوتاً يهتف به « ان قم وارفع الشكر لله على هذه المنحة



« الانبا باسيليوس مطران القدس »

الجزيلة التي وهبها لك » في الصباح حمل ابنه على ذراعيه وتوجه نحو الشرق وبارك الله شاكراً له فضله

وكان والده يصطحب ابنه معه للكنيسة كل يوم أحد فيتعجب منه عند ما يجده واقفاً على قدميه طالما كان الكاهن يتلو صلاة القداس دون ان يتحرك أو يفوه بكلمة صغيرة ولا يترك الكنيسة الى ان تنصرف تماماً . فسر منه والده لاسيما اذ رآه مطيعاً له اطاعة كلية وراغباً في تقليده هو وأمه حينما يقومان للصلاة فكان يقف مثلهما وعند حلول الصيام كان يصوم نظيرهما (١)

ولم تكن أسباب التعليم متوفرة حينئذ فاعتنى والداه بتثقيفه فعلماه القراءة والكتابة ومبادىء الدين وطقوس الكنيسة فاتقن جميعها وبرع براعة تامة أدهشت عارفيه . وكان كلفاً بنوع خاص بمطالعة الكتاب المقدس فكان يقضي ليله مكباً على قراءته وكان غرامه الزائد بامثال سليمان الحكيم ورسائل بولس الرسول وخشية من ان يمل مطالعة الكتاب كتب آية ٢٩ من ص ٥ من انجيل يوحنا بحروف كبيرة وعلقها في صحن داره حتى اذا مارجع من عند معلمه وجلس للاكل أو النوم ووقع نظره على هذه الآية نهض حالا وامسك بيده الكتاب المقدس وبدأ يطالع فيه اتماماً للآية « فتشوا الكتب لانكم تظنون ان لكم فيها حياة ابدية وهي التي تشهد لي »

ومن كثرة المطالعة أصيب برمد في عينيه ومع ذلك لم ينفك يطالع الكتاب فعاب عليه ذلك أحد أقربائه بقوله « أتظن ان الاجتهاد ينيل المراد ألم تسمع القول « قيراط سعد ولا فدان شطاره » فرد عليه فوراً بقول سليمان الحكيم « يد المجتهدين تسود اما الرخوة فتكون تحت الجزية (ام ١٢ : ٢٤)

وشاهده معلمه مرة يماشي غلاماً ذا طباع رديئة فدون أمامه هذا البيت

واحذر معاشرة اللئيم فانها تعدي كما يعدي السليم الأجرب

فرد عليه قائلا « اني آليت على نفسي معاهداً الله ان أسعى جهدي لأرد الضالين الى سبيل الصواب حتى اكون مع غير المؤمن كأني غير مؤمن لأربح الغير المؤمن » (١ كو ٩ : ٢١)

فكتب اليه معلمه

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

---

(١) نقلناه ملخصاً عن كتاب « غذاء النفوس في تاريخ حياة انبا باسيليوس »

فأجابه كف عن تعنيفي وسترى بنعمة الله نتيجة عملي . وما زال بالغلام الرديء السيرة حتى قاده الى حظيرة المسيح وخلصه وانتهى الخبر الى معلمه فشكره شكراً جزيلا

وحدث ان والده أولم وليمة لبعض كبار القوم ففكر في ان يعمل عملا يمجد به الله فحمل الطعام المعد للاغنياء وذهب به الى بيوت الفقراء وقدمه لهم ولما حان ميعاد الأكل لم يجد المدعوون طعاماً وخرجوا غاضبين بعد ان اعتذر لهم بكلمات رقيقة فسأله والده عن جلية الخبر فاجابه ان من دعوتهم لا يحتاجون الى طعامك لانهم يأكلونه في بيوتهم دائماً أما الذين أكلوه فهم محرومون منه وقل ان يتمتعوا به وكتابنا يقول « من يرحم الفقير يقرض الرب وعن معروفه يجازيه » (ام ١٩ : ١٧) فقبله والده بين عينيه وقال له لقد نبهتنا من غفلتنا ونسياننا واجباتنا من نحو الله فبكى عند ذلك ابنه بكاء شديداً وقال لوالده « ويل لي لاني لم آت عملا يستحق ثناء فضلا عن ان ما عملته لم يعد لي أجر عليه لان الكتاب يقول « لا تعرف شمالك ما تعمل يمينك (مت ٦ : ٣) وهو ما لم أقصده قط »

قيل انه بينما كان ذاهباً الى الكنيسة يوماً وجد اثنين يتشاجران فتداخل بينهما ليصلحهما فضربه الظالم على وجهه لتداخله فيما لا يعنيه فبدأ المظلوم يعنف الضارب على قساوته فقال له الطوباوي « لا تلمه فاني لا اريد ان أقابل الشر بمثله » ثم خاطب الضارب قائلا « سامحني اذا كنت قد أسأت اليك اذ لا يخلو انسان من عيب مطلقاً » ثم التفت نحو الشرق وصلى صلاة طويلة وانصرف . ولم تمض مدة حتى أتى اليه الضارب وقدم له الدراهم التي كان مطالباً بها والتمس منه ان يعطيها لصاحبها وطلب منه ان يصفح له عما أساء به اليه

ولا يسع من يطالع مقدمة هذه السيرة الا الحكم بان صاحبها تشربت روحه منذ الحداثة بروح الفضيلة ونما فيه الميل لترك العالم وملاذه وبينما كانت هذه الافكار تتردد على خاطره فتح الكتاب المقدس فوقع نظره على قول الرسول بولس « حسن للرجل ان لا يمس امرأة .. لان هيئة هذا العالم تزول .. غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضي الرب واما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضي

امرأته » (١ كو ٧ : ١ و٣١ — ٣٣) فرسخ في ذهنه هـذا الاعتقاد ثم توجه للصلاة بالـكنيسة فأعطي له كتاب « السنكسار » ليتلومنه سيرة فـكانت بالصدفة سيرة القديس انطونيوس مؤسس الرهبنة فعجب لهذا الاتفاق ومن ثم انطلق الى دير القديس انطونيوس ولبس شكل الرهبنة سنة ١٥٥٩ ش

ومن ذلك الحين اشرقت منه شمس الفضيلة وبانت عليه أدلة الـكمال فـكان لا يذوق طعاماً في الصوم المقدس الا مرة واحدة يومياً قبيل المساء وفي باقي الاصوام يصوم للعصر . وفي الايام يصوم حتى الظهر ولا يتناول الا ما يسـد رمقه . وروى أحد رفقائه الرهبان انه عند ما كانوا يجتمعون في منتصف الليل ولا يحضر معهم يجدونه ساجداً بقلايته او واقفاً يتعبد وكان اذا قام احد الرهبان فجراً يجده مستيقظاً ملازماً الصلاة . وفي الصباح كان يسرع لخدمة المرضى والشيوخ من الرهبان بكل غيرة ونشاط . وذات ليلة أصيب راهب شيخ بحمى شديدة فاسرع اليه بكل فراشه واعطاه اياها ليستدفىء وبات هو يقاسي شديد البرد طول الليل

فلما انتهت اخبار فضيلته الى مجمع الرهبان رقى الى درجة الـكهنوت فرسم قساً سنة ١٥٦٥ ش فزاد في التمسك بفضائله وتفانى في قمع جسده . وكان أبغض الامور اليه النميمة والاغتياب ولذلك كتب على جوانب أودته قول السيدالمسيح « يا مرائي اخرج اولا الخشبة من عينك وحينئذ تنظر جيداً ان تخرج القذى من عين أخيك » (مت ٧ : ٣ — ٥) واعقبها بنهى من يغتاب الغير وحدث ان واحداً تـكلم في حق آخر أمامه فرفع يده الى تلك الآية وقال للمغتاب « انقش هذه الآية على لوح قلبك وابتعد عن النميمة والا توقع عقاب الله الشـديد » وكان في جل مواعظه يبتدىء بقول الرسول « اسلـكوا بالروح فلا تـكملوا شهوة الجسد (غلا ٥ : ١٦) فاعترضه واحد مرة بقوله « لقد مللنا من تكرار هذه الآية فأت لنا بغيرها والا فاترك الوعظ لمن هو أقدر عليه منك » فاجابه « امامنا الينبوع الحى فهلم نستقى منه جميعاً » (مشيراً الى الـكتاب المقدس) وكان من عادته اذا استعصى عليه فهم آية من الـكتاب يستفهم عنها من أحد الرهبان فان أفهمه شكر له فضله والا جثا أمام الله طالباً منه الارشـاد وقد عمم

هذا المبدأ بين جميع عارفيه

وفي سنة ١٥٦٨ ش رسم ايغومانوساً وسلم ادارة الدير ورئاسته فعمل على كل ما فيه نجاحه وترقيته فنمت الايرادات التي كان ينفقها في المنافع العمومية . ولم يكن يتأخر في ان يوقف أي انسان على ما يرد وما يصرف . وقد دخل عليه مرة احد الرهبان فوجده يبكي بحرقة ولدى السؤال أجابه كيف لا أبكي وقد مر اكثر من سنة لم أجد فيها للدير شبر ارض ألا استحق عقاب ذلك العبد الذي أخذ الوزنة وخبأها في الارض دون ان يتجر بها ويربح (مت ٢٥ : ٢٤ — ٣٠) ولهذا عزم على الاستعفاء من رئاسة الدير لولا توسل الرهبان فبقى يمارس الاعمال بهمة فائقة حتى تمكن من ان يجدد للوقف املاكا ويجرى اصلاحات عديدة .

وقيل انه سافر مرة للقاهرة لقضاء ما يحتاجه اخوانه الرهبان وكان بعض اللصوص قد سمعوا انه سيأتي من القاهرة ومعه مال فكمنوا له في الطريق ولكن الرب أضله السبيل فتاه ولبث يكابد مشقة زائدة حتى وصل الدير والرب قد نجاه من خطر اللصوص

وكانت معاملته للرهبان الذين كانوا تحت رئاسته معاملة بالغة حد اللطف والشفقة فكان يفصل في كل خلاف يرفع اليه بروح المحبة والسلام . ولم يكن يعتبر نفسه افضل منهم ولم يميز ذاته بشيء عنهم بل كان يمسك المكنسة بيده وينظف قلايته بنفسه ويباشر ايضاً تنظيف قلالي الشيوخ والمرضى من الرهبان .

وروى ان السكر كان أشد الامور كراهة لديه واتفق انه زار كاهناً بالقاهرة فالفاه يتعاطى خمراً فلما سأله عن سبب ذلك اجابه « كل عطايا الله صالحة اذا أخذت بشكر » فاحتدم القديس غيظاً وبدأ يفند رأيه بشدة مستدلا بآيات الكتاب المقدس الواردة بسفر الامثال ٢٣: ٢٩ — ٣٢ و٢٠ : ١ و٢٣ : ٢٠ و٢١ وبقول الرسول بولس (أف ٥ : ١٨) ووصيته للقسوس (١ تي ٣ : ١ — ٣) ثم قال له كيف يمكن الكاهن من ان يكون متحلياً بالفضائل وهو يترنح تحت تأثير السكر كالمجانين ألم يبلغك خبر ذلك الرجل الذي دفعه السكر الى ارتكاب خطيئتين

شنيعتين الاولى الزنا بابنته البكر والثانية قتل ولده فلذة كبده . وهكذا تمكن من أن يقنع الكاهن بخطا رأيه حتى قام وكسر زجاجة الخمر وتعهد بعدم العودة اليها مرة ثانية

وكانت سيرة القديس قد عبقت رائحتها فى كل مكان وترنم بحسنها كل لسان فاختير مطراناً على كرسي القدس الشريف في ابتداء سنة ١٥٧٢ ش على يد البابا كيرلس الرابع وقد حاول ان يتخلص من هـذا الحمل الثقيل ولكن البطريرك وأعيان الامة ألزموه بالقبول فقبل وسار الى الارض المقدسة . وما كان أشد حزنه عند مارأى مصالح الامة القبطية هناك فى غاية التأخر فبذل جهده حتى جدد لها من الاملاك والعقارات ماقيمته ١٥٠ الف جنيه

ولما وجد زوار القدس ان الاقباط يكابدون المشقات في يافا لعدم وجود اماكن يحلون بها جد حتى اشترى بستاناً واسعاً تبلغ مساحته نحو العشرين فداناً فى شهر بؤونه سنة ١٥٨١ش فابتنى به كنيسة وداراً للمطرانية فاخرتين واشتري بجوارهما ايضاً قطعتين ارض جميلتي الموقع سنة ١٦١١ش وجهز بهما كل ما يلزم لراحة الزائرين .

أما الاصلاحات التي انشأها بالقدس الشريف فلنترك كاتب سيرته صاحب كتاب « غذاء النفوس في تاريخ حياة أنبا باسيليوس » الذي نقلنا عنه السيرة يتكلم عنها قال : — « لم يكن للاقباط غير بضعة أماكن غير معتنى بها فاذ رأى ذلك المطوب الذكر صاحب الترجمة عمل بما تقتضيه واجبات الراعي الحقيقي فعمر دير القديس انطونيوس الملاصق لكنيسة القيامة الشريفة حتى أضحى يشتمل على كنيسة جليلة ودار للبطريركية جميلة ونيف واربعين أودة بعد ان كان خرباً تنعق فوق جدرانه البوم والغربان . وعمر كذلك دير وكنيسة مارجرجس باذلا همة علياء على الاخص في عمل حجاب هيكلها البديع حتى أضحى نادر المثال في الاتقان والزخرفة والكمال . ثم وجه همته الشماء في تعمير باب دير الملاك المعروف بدير السلطان وذلك بعد ان استغرق وقتاً ليس بقليل في رفع الشكوى والدعوى الى الباب العالي ضد جماعة الاحباش والطوائف التي كانت تأخذ بناصرهم . وجلية الامر انه لما لم يكن لاخواننا في المذهب

الاحباش أملاك فى القدس الشريف يقيمون بها تعطف صاحب التوجة وأباح لهم استيطان هذا الدير موقتاً ريثما يتوفق لهم بناء مكان خاص بهم . غير ان النفس الامارة بالسوء سولت لهم مقابلة الاحسان بالنكران والجود بالجحود فقاموا على ساق وقدم طالبين اغتصاب هذا الاثر المأثور قهراً . وهكذا تجاروا على اختطاف مفاتيح الدير الموما اليه في سنة ١٢٨٠ ه باغراء ومساعدة قناصل وسفراء دولتي انكلترا وفرنسا وغيرهما من بقية الدول. فاذ رأى الانبا باسيليوس هذا الاعتداء وقف كالبطل الصنديد يكافحهم ويعارضهم بقلب كالحديد وأخيراً رفع الامر الى الصدارة العظمى فصدرت الارادة السنية بتاريخ ١٢ جمادي الاخرى سنة ١٢٨٠ ه نمرة ١٩٢ باعمال مفاتيح جديدة للدير وتسليمها للمترجم به . وهذا الامر قيد بالديوان الهمايونى السلطاني كما هو واضح به

ولم تكن هذه المساعى المترادفة لتوقف الاحباش عندحدهم اذ عادوا في سنة ١٦٠٩ ش الى طنبورهم الاول يضربون عليه مدعين ان دير السلطان الموما اليه ملك حلال لهم وساعدهم على هذه الافتراآت سفير الحكومة الايطالية فسفير الروسيا بالاستانة العلية. فقام الانبا باسيليوس تلقاء ذلك واستفرغ قواه ومعظم جهوده في ردعهم عن غيهم فرفع شكواه تلغرافياً لجلالة مولانا السلطان عبدالحميد خان (الخليفة حينئذ) ولجانب الصدارة العظمى ولنظارة العدلية الجليلة ولسماحة متصرف القدس الشريف وأناب عنه رسمياً حضرة الفاضل ارمانيوس بك حنا الذي كان وكيلا لدائرة الخديوي الاسبق بالاستانة في رفع معضلات المسألة للمقامات العالية

ثم عزز هذه المساعى بارسال خطاب لسعادة الحازم بطرس باشا غالي ناظر الخارجية المصرية يشير عليه بتوسط سمو خديوينا الحالي (عباس باشا يومئذ) في مخابرة الباب العالي بصد تيار المطامع الاجنبية عن حقوق الطائفة القبطية . ولما اشتهر به سعادة الوزير المشار اليه من الغيرة التامة على صالح الامة لم يدخر وسعاً في القيام بهذه المهمة وفق المرام فتخابر سمو خديوينا المعظم مع مولانا السلطان المعظم الشأن في ١٠ جمادي الاخرى سنة ١٣١١ ه نمرة ١٠ بطلب حفظ حقوق الاقباط الظاهرة للعيان من قديم الزمان والوقوف في طريق من يريد

اغتصاب شيء منها

وفي هذه الاثناء أقلقته أفكاره (المترجم) وتراكمت عليه الهواجس حتى اعتراه الارق خوفاً من عدم نواله أمنيته وحبوط مساعيه فعول على ارسال جناب القمص ميخائيل الشبلنجي وكيل وقف القيامة وقتئذ (الذى تنصب فيما بعد مطراناً للكرسي خلف السعيد الذكر) الى الاستانة وناهيك عما أودعه له من التوصيات اللازمة بوجوب بذل الجهد بالنفس والنفيس لصد هجمات ومطامع الاجانب وقد كان وتوجه وعند وصوله اجتمع بسعادة الفاضل ارمانيوس بك حنا وكيل دوائر اسماعيل باشا الخديوي واخبره عن الغاية من مجيئه فاتحدا كلاهما وشمرا عن ساعد الاجتهاد بغية نوال المراد فقدما عرائض الاسترحام للحضرة الشاهانية فصدر الامر السامي من جانب الصدارة العظمى الى متصرفية لواء القدس الشريف بتاريخ ٦ كانون الثاني سنة ١٣٠٩ هـ مالية نمرة ٣٠ (١١ طوبه سنة ١٦١٠ ش) مؤيداً ومثبتاً أحقية تصرف الاقباط بدير السلطان المذكور . وقد بنى الامر المشار اليه على المضبطة المقدمة من مجلس ادارة لواء القدس الشريف . وذلك بعد ان أقام جناب القمص المومأ اليه بالاستانة العلية أربعة شهور واصل فيها الليل بالنهار سعياً واجتهاداً في تنفيذ وصية معلمه ولم يغادرها الا بعد الحصول على الامر المذكور آنفاً . وبالاجمال فان صاحب الترجمة بذل من الهمة أقصاها ومن الغيرة منتهاها في حفظ حقوق الطائفة الى ان توصل لتحقيق كل او بعض آماله ولم يبق الآن سوى انتهاز فرصة مناسبة للاستيلاء التام على الدير الذى اكتسب شهرة عظيمة لالتصاقه بكنيسة القيامة المجيدة واقامته على سطح المغارة التي اخرجت منها الملكة هيلانه عود الصليب الذي صلب عليه رب المجد

وقد كان للاقباط مكان بجوار دير السلطان اتصل اليهم بحسن مساعى المرحوم ابرهيم الجوهرى فاستولى عليه الروسيون بطرق غاية في الغش والخداع ابتدعها جبران غرغور ترجمان قنصلاتو الروسيا بالقدس وأدخلها على المرحوم القمص جرجس وكيل الوقف آنئذ . ونظراً لاهمية هذا المكان وقربه لكنيسة القيامة أخذ المطوب الذكر انبا باسيليوس يكثر من التحرير لجلالة قيصر الروس بالتماس رده الى ذويه فلم تقابل وياللاسف هذه الطلبات العادلة بما تستحقه من الاهتمام

ولا مراء فالحق فى جانب القوة . وقد قام الروسيون من نحو العشر سنوات وشيدوا في هذا المكان كنيسة هى وأيم الصدق آية في الاتقان

كل ذلك لم يثن عزم الفقيد ولم يقلل من همته فبذل أقصى مجهوده حتى تمكن من احاطة هيكلنا القائم على قبر المخلص له المجد بسياج من حديد وزخرفه بجميل الاواني وأنفس المنقوشات . ثم أخذ بعضاً من الآثار التي أقامتها الملكة هيلانه وضمها الى بوايك دير القديس انطونيوس . كل ذلك قام به رغماً عن ارادة أبناء الطوائف الاخرى الذين طالما وقفوا فى طريقه حجر عثرة محاولين اغتصاب هذه الآثار المقدسة طمعاً في ضمها الى املاكهم

ثم اشترى محلا يسمى « المصبنة » بالقدس الشريف وأعده لسكنى ابناء الطائفة المقيمين بتلك الجهة اهـ .

ولم تحرم كنائس ابروشيته بالقطر المصرى من ثمرة همته فاصلح الكثير منها وجدد عدة بيع ولبث مواصلا جهاده وعمله حتى أقعده مرض عضال أصابه قبل وفاته ببضع سنوات فعين له الآب القمص ميخائيل الشبلنجى (الانبا تيموثاوس مطران القدس الآن) ليكون اسقفاً ووكيلا للكرسى الاورشليمى مدة حياته وخليفة له بعد مماته

ومع اشتداد المرض على الانبا باسيليوس لم يكن يهمل السؤال عن رعيته وما يتعلق بها حتي يوم ١٥ برمهات سنة ١٦١٥ ش اذ شعر بألم في جنبه الايسر فصار يخاطب الله بما فى مز ١١٨ : ٢٥ « آه يارب خاص آه يارب انقذ » ولم ينقطع عن اللهج بآيات كتاب الله الى يوم الاحد ١٨ برمهات من تلك السنة حيث أسلم روحه في يد مخلصه وانضم الى آبائه . وما وصل نبأ نياحته الى امته حتى ناحت وبكت عليه جميعها وأقيمت له حفلات تأبين في أشهر مدن القطر

(٣) الانبا ابرآام اسقف الفيوم . ولد هذا الحبر الكامل سنة ١٥٢٥ ش و١٨٢٩ م بقرية دلجا بمركز ملوي بمديرية اسيوط من ابوين فاضلين تعلم منهما محبة الفضيلة وشهد له بها امام الانبا يوساب اسقف صنبو فرسمه شماساً ولما بلغ التاسعة عشرة انطلق الى دير العذراء بالمحرق ولبث مدة

تحت الاختبار حتى أقر عليه جميع الرهبان فرسم راهباً باسم بولس غبريال المحرقاوي .



« الانبا ابرآام اسقف الفيوم »

وكان رئيس ذلك الدير حينئذ رجلا فاضلا يدعى القمص عبد الملك الهوري فأعجب بأخلاق الراهب بولس السـامية ومدحه على وداعته وتواضعه وطهارة سيرته واقتداره على ضبط نفسه ومواظبته على الصلاة منفرداً الأمور التي جعلت

له مركزاً عالياً في نفوس الرهبان فأحبوه حباً جماً

وسمع اسقف المنيا اذ ذاك وهو الانبا ياكوبوس بتقوى هذا الآب وفضيلته فاستدعاه اليه وسلمه ادارة الاسقفية وكلفه بملاحظة الغرباء والمساكين الذين يلجأون الى القلاية فقام بخدمتهم خير قيام ومن ثم رسم قساً . وبعد زمن تاقت نفسه الى الرجوع للدير فرجع وكان الرهبان قد طلبوا عزل رئيسهم لانه لم يكن يدخر من ايراد الدير شيئاً واتفقت كلمتهم على اختيار القس بولس رئيساً لهم فتقدم الدير في مدة رئاسته اذ سعى جهده في تحسين احواله الداخلية والخارجية فغرس به كروماً ورمم ما تهدم منه واشترى له اطياناً وانتظمت احواله حتى اقبل الكثيرون على اعتناق طقس الرهبنة تحت رئاسته الى ان رسم مرة في دفعة واحدة اربعين راهباً منهم الانبا بطرس مطران تغريا بالحبشة والانبا متاؤس مطران الحبشة والانبا مرقس مطران اسنا والانبا باخوميوس اسقف الدير المحرق .

واتصل خبر شهرته بالاحسان وعمل الخير الى آذان الفقراء والمساكين فلجأوا الى الدير أفراداً وجماعات وهو يعتني بهم اعتناء زائداً ويظهر ان سروره وراحته في خدمتهم . ولبث خمس سنوات في خدمة الدير وهو يقوم بهذه الخدمة فاعترض عليه الرهبان وحذروه لئلا يأول ذلك الى خراب الدير ولكنه استمر يعتني بكل اللاجئين اليه حتى زاد عددهم عن الرهبان . فقام هؤلاء طالبين عزله . وكان الانبا مرقس مطران البحيرة في وكالة كرسي البطريركية فاضطر ان يوافق الرهبان ويعزل القس بولس ويخرجه من الدير فتركه مشيعاً بدموع البائسين ورافقه الى البطريركية بعض تلاميذه المخلصين منهم الانبا متاؤس مطران الحبشة وقابل المطران فارسله الى دير الانبا بشوي مع أولاده الرهبان فلم يقم به طويلا وذهب الى دير البرموس حيث كان رئيسه القس يوحنا الناسخ (وهو غبطة البابا كيرلس الخامس) فقبله مرحباً به فانقطع في قلايته الى العبادة ومطالعة الكتاب المقدس حتى حفظ أغلب نصوصه غيباً وقال بعض الرهبان انه كان يطالع الكتاب كل ٤٠ يوماً مرة ولم يكن يتحصل على قليل من المال حتى يتصدق به على المحتاجين .

وفي سنة ١٥٩٧ ش و١٨٨٨ م أختير اسقفاً للفيوم بدون علمه وذلك ان ملك الحبشة ارسل يطلب من غبطة البطريرك ان يقيم للحبشة ثلاثة اساقفة ويوفدهم اليه فرسم له القمص اقلاديوس الخالدي (الانبا متاؤس) والانبا لوكاس والانبا بطرس وكان هؤلاء قد لازموا معلمهم القس بولس ولما رأوا ان كرسي الفيوم قد خلا بعد نياحة اسقفها الانبا ايساك أبوا ان يتركوا الدير مالم يقم معلمهم اسقفاً على الفيوم فاجاب غبطة البابا طلبهم ورسم القس بولس باسم الانبا ابرآم وسار لاستلام مركزه الجديد وبعد استلامه بقليل فاح عبير فضله وانتشر صيت قداسته في كل مكان . فأم دار اسقفيته كثيرون من كل طبقة فكانوا يجدونها ملأى بالفقراء الذين كانوا يلجأون اليها بالمئات والألوف فكان يهبهم كل ما يكون لديه من المال . وقد جعل بدار الاسقفية مأوى لكثيرين منهم وطالما كان يقدم ثيابه للعرايا وطعامه للجياع ولما رأى منه ذلك الزائرون رتب كثيرون منهم على انفسهم عوائد يقدمونها لهذا الآب لينفقها على اولئك المساكين .

ولم يكن يسمح قط هذا القديس بان يقدم له طعام أفخر مما يقدم للفقراء ويدل على ذلك ان راهبة تدعى بسيمة رئيسة راهبات دير مار جرجس بحارة زويلة كانت ممن وقعوا على عزل غبطة البابا الانبا كيرلس الخامس ولما رفعت من وظيفتها لاذت بالانبا ابرآم فشفق عليها وأقامها لتدبير مائدة المساكين واشترط عليها ان لا تميز بين أكلهم وأكله واتفق مرة انه نزل ليفتقد جماعتهم وهم يتناولون طعامهم فادهشه ان لاحظ ان الطعام الذى قدم اليه في ذلك اليوم كان اكثر تأنقاً مما وجده أمامهم فساوره الحزن وأقال الراهبة الموكلة بخدمة الفقراء من عملها في الحال فأصيبت بالشلل بعد ذلك بقليل

وذات يوم طلبت منه امرأة فقيرة احساناً ولما لم يجد مالا أعطاها شالا حريرياً أهدي اليه لتبيعه وتنفقه على حاجتها واتفق ان صاحب الشال شاهد المرأة وهي تبيعه فاشتراه منها وأعاده اليه ورجعت المرأة معه تشكي من قلة المبلغ فطلب الآب من المحسن ان يعطي المرأة عشرة جنيهات لتسد اعوازها فأطاع وأعطاها .

ومرة أخرى جاءت اليه امرأة تستنديه ولم يكن معه سوى جنيه واحد فأعطاه لها واذ علم وكيل الدير بالأمر اسرع خلف المرأة واخذه منها واعطاها ريالا فرجعت المرأة الى الآب وقصت عليه الخبر فوبخ الوكيل لاسيما لما اخبره انه ليس بالاسقفية شيء ولامه على عدم ايمانه وطلب منه ان يعطي المرأة ما اخذه منها ولم يمض القليل حتى وردت بالبوستة نقود وغلال

وجاء يوماً الفقراء يشكون من ان الطباخ استعاض لهم مرتبهم من اللحم بقطع العظم فاراد أن يتحقق الامر بنفسه . فنزل ليلا وقت العشاء متخفياً واندس بين الفقراء كأنه منهم وتناول معهم نصيبه من اللحم واذا به قطعة عظم فقام في وجه الطباخ واشهر العظمة بيده وعنفه تعنيفاً شديداً وعزله من وظيفته وقيل انه فقد بصره بعد خروجه من عنده

ومما يدل على اقتران تقواه بعلمه انه جاءه يوماً بعض أشخاص طلبوا للعسكرية يلتمسون منه ان يدعو لهم باطلاق سراحهم فدعا لهم وأطلق سراحهم وجاءه بعدهم آخرون وطلبوا منه نفس الطلب فاجابهم اذا كان الجميع يريدون الاستعفاء من خدمة الحكومة فمن الذي يوكل بحراسة الامن وصرفهم

وكان من عاداته ان يلقي على زائريه دائماً نصائح وتعاليم وعظات تنبيء باتساع مداركه في معرفة أسفار الكتاب كما انه كان يقضي وقته كله اثناء زياراته لبلاد ابروشيته في القيام بالوعظ وتوحيد القلوب ونزع الضغائن . وكان اذا طلب منه أن يرسم كاهناً يبحث عن سلوكه وآدابه ويدقق طويلا في اختبار أحواله

ومع امتداد شهرته ووصول صيته الى كل سمع لبثت فضيلة التواضع تزينه طول حياته حتى انه لما استدعاه اليه غبطه البطريرك ليرفعه الى درجة المطرانية جزاء فضله امتنع عن القبول ورد عليه يقول « اني أحب ان أكون دائماً حقيراً في ملكوت الله »

ومن صفاته أيضاً انه كان صريحاً الى أقصى حدود الصراحة في ابداء رأيه ولا ينظر في ما يقول الا الى الحق لذاته فتتضاءل عنده هيبة العظماء ومقامات الكبراء أمام هيبة الحق وجلاله حتى كان الآباء المطارنة والاساقفة يتقون غضبه ويتمنون رضاه . ومن ذلك انه حدث مرة انزعاج رئيس كنيسة قبطية

أحد المطاونة فانعقد مجلس كنسي لمحاكمته وطلب من المطران ان يصفح عن الكاهن فأبى فالتفت الانبا ابرآم الى المطران وقال له اظنك تعرف الصلاة الربانية فأرجوك تلاوتها فأخذ يتلوها حتى وصل الى القول « واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر للمذنبين الينا » فقاطعه القديس وقال له اذا كنت تعتقد بصحة ما تصلي به فقم وصافح أخاك وقبل رأسه والا فأنت تكذب على الله عند ما تتلو صلاتك فلم يجد المطران مناصاً من مسامحة من أساء اليه

وحدث ايضاً ان قساً قبل في كنيسته أسقفاً جرد من رتبته الكهنوتية فعقد مجمع لمحاكمته وأقر الجميع على ادانته ولما طلب من الانبا ابرآم ابداء رأيه اجاب « ان القس لم يعمل الا ما أمر به السيد المسيح من اضافة الغرباء ومحبة الاعداء » وكان أحد الباشوات حاضراً فقال له « ولكن هيئة المجمع ترى ادانة القس » فاجابه « ولماذا اذاً دعوتموني اذا لم تكن لي الحرية فى ابداء رأيي » فنبهه الحاضرون الى انه يكلم فلاناً العظيم فاجابهم « أهو أعظم من الله الذي سمح لعبد من عبيده كموسى ان يكلمه » ثم اخذ يدافع عن القس حتى اقنع الجميع ببراءته

وفوق هذه الصفات جميعها التى تحلى بها هذا القديس فان الله قد وشحه بنعمة أعظم وهى صلاة الايمان الأمر الذى اشتهر به وبواسطته جرت على يديه آيات شفاء عديدة حتى ذاع اسمه فى جميع انحاء القطر وبلغ بعض مدن اوروبا ايضاً فكان يقصده المرضى افواجاً على تباين اديانهم

وتتداول الالسنة من تلك العجائب التي اجراها الشيء الكثير فمنها انه شفى امرأة مسلمة من بلوط (بمديرية اسيوط) من مرض الفالج الذى عطل جسمها ولسانها وبعد ثلاثة ايام لزيارته وصلاته عليها شعرت بالقوة تدب في جسمها وقامت بكل صحة . وحدث ان امرأة لرجل بروتستانتي لم تكن ترزق بنسل نذرت ان اعطاها الله ولداً تعمده بيد الانبا ابرآم فلما اعطيت نسيت العهد فشاهدت ليلة رؤيا بهيئة قسيس بلباس ابيض وبيده صليب فخافت على ولدها وتممت النذر

وغير هذه الحوادث كثير . اما عجائبه فى اخراج الشياطين فلا يحصيها العد

وبالجملة فقد شرفه الله بهذه الموهبة الخارقة للعادة فمجد اسمه ورفع شأن ديانته.

وظل الانبا ابرا آم قائماً باعباء وظيفته حتى لحقه مرض في بشنس سنة ١٦٣٠ ش وكان يشتد عليه في كل يوم وهو يتحمله بصبر وشكر حتى وهو في عنف المرض لم يكن يسمح لنفسه بشيء مما تشتهي وقيل انه حينئذ تاق الى أكل الحمام وطلب منه شيئاً فاحضر اليه ولكنه أبقاه عنده ثلاثة أيام حتى أنتن وتصاعدت رائحته الكريهة ومن ثم وضعه أمامه وقال مخاطباً نفسه «هاقد أجبت لك سؤلك يانفسي فكلي مما ستصيرين أنتن منه» وبعد ذلك طرحه

وانتقل الانبا ابراآم الى السماء في شهر بؤونه سنة ١٦٣٠ ش وفي ١٠ يونيو سنة ١٩١٤م فشيعه الى القبر عشرة آلاف نفس من المسيحيين والمسلمين ودفن في منامة أعدها لنفسه بكنيسة ابي سيفين

(٤) الايغومانوس فيلوثاوس ابراهيم. ولد بطنطا سنة ١٨٣٧ م

وبعد أن درس العلوم في المدارس وأتقن اللغات القبطية والعربية والايطالية عين قسيساً لطنطا سنة ١٨٦٢ م فانكب على كتب اللاهوت يطالعها حتى برع في الوعظ فانتشر اسمه في كل جهات القطر. وبعد مارفع الى رتبة ايغومانوس سنة ١٨٦٥ م طلبه البابا ديمتريوس ٢ ليرافقه في رحلته بالوجه القبلي سنة ١٨٦٧ م فاظهر مقدرة فائقة فى الخطابة حتى رد كثيرين للكنيسة ممن تمذهبوا بالمذاهب الحديثة.

وفي اكتوبر سنة ١٨٧٤ م انتخبه المجلس الملي راعياً وواعظاً للكنيسة الكبرى ورئيساً لمدرسة أنشئت خصيصاً للرهبان فابدى مادل على اقتداره وما رفع مركزه في عيون الامة ولبث يخدم الى ان توفاه الله في ١٠ مارس سنة ١٩٠٤. وله المؤلفات البليغة الآتية التي دافع في بعضها دفاعاً مجيداً عن عقائد كنيسته ضد المتهجمين عليها من الباباويين وهى (١) نفح العبير في الرد على البشير (٢) الحجة الارثوذكسية ضد اللهجة الرومانية (٣) تنوير المبتدئين في تعليم الدين (٤) كتاب خطب ومواعظ (٥) الخلاصة القانونية فى الاحوال الشخصية

القسم الثالث

المماليك والكنيسة

○○○○○○

(١) يوسف باشا الصدر الأعظم (٢) محمد على باشا (٣) سعيد باشا (٤) الاحتلال الانكليزي (٥) الحالة الحاضرة

....

(١) **يوسف باشا الصدر الاعظم** . وقع المسيحيون وعلى الخصوص الاقباط منهم في آلام مرعبة في زمن ولاية يوسف باشا الصدر الاعظم سنة ١٨٠١ م فكانت الجنود التركية تجول فى احيائهم وتدخل بيوتهم مواصلة السلب والنهب والفتك بين آن وآخر . وقتل يوسف باشا ثلاثة من أعيان الاقباط بدعوى انهم كانوا من أنصار الفرنسويين وأخذت أموالهم وممتلكاتهم ففر كثيرون من الاقباط من أمام وجه الاتراك ووضع هؤلاء غرامة عليهم بصفة فدية عن انفسهم .

(٢) **محمد على باشا** . وقد تولى محمد على باشا زمام الاحكام فى مصر سنة ١٨٠٥ م وقد أخذ يعتدل ميزان الزمان بالاقباط فصاروا يتدرجون في الحصول على السلام والطمأنينة ولم تقع بهم الا اضطهادات خفيفة فمن ذلك انه فرض عليهم غرامة تقدر بمائتي الف ريال ليصرف منها محمد على باشا مرتبات جنوده وأمر اثنين من كبار الاقباط الكاثوليك وهم المعلم غالي وورثة فيكتور وكيل دائرة عثمان بك البرديسي الذي مات وقتئذ بان يدفعا من المبلغ ثمانين الفاً والباقي يدفعه الاقباط

الارثوذكس

ولما كان محمد على رجلا بعيد النظر رأى احتياجه شديداً لمساعدة المسيحيين نظراً لامانتهم أكثر من المسلمين فاستخدم منهم كثيرين من الارمن والكاثوليك ولم يرغب فى استخدام الاقباط خوفاً من ان يزداد نفوذهم وتتقوى شوكتهم فيقاومونه باعتبارهم أصحاب البلاد منذ القديم . الا انه أمر بابطال الاضطهادات ومنع كل تعد بل كان يعاقب عقاباً شديداً من كان يعرف عنهم انهم يدعون الى الفتنة الدينية ثم كتب العلامة السيد اسماعيل الوهبي رسائل مؤيدة بآيات قرآنية مضمونها لزوم الكف عن اضطهاد النصارى والاعتذار عنهم بان الحامل لهم على تداخلهم مع الفرنساويين حماية أعراضهم وأموالهم

وشعر محمد علي انه من المستحيل الاستغناء عن الاقباط وكانت ثقته بهم قد تزايدت نظراً لميلهم الى الهدوء والسكينة فوزع خدمة الوطن على أهله كل بما له من الاهلية وخص القبط بما امتازوا به من الاعمال الحسابية وضبط الايرادات والمصروفات حتى قال أحد الانجليز الذي حضر الى مصر في أيامه سائحاً فى تقرير رفعه الى رئيس مجلس وزراء انكلترا وعرض على البرلمان « ان الاقباط للقلم بمثابة المحراث للفلاح »

ولاتساع مصالح البلاد على يد محمد على كثر عدد الموظفين الاقباط فأخذ نفوذهم في الامتداد وأصبح بينهم وجهاء كثيرون . قيل وكان تعداد الاقباط قليلا جداً فى ذلك الوقت حتى انه لما أراد محمد علي أن يحصر تعدادهم وجدهم ١٥٠٠٠٠ نفس فقط ولكن عمال التعداد نسوا حارة من القاهرة وهذا أقل عدد وصل اليه الاقباط بعد ان كانوا يعدون بعشرات الملايين في مصر والسودان. الا انه فى سنة ١٨٥٥ م قد أحصاهم البطريرك فوجد عددهم لايقل ولا يزيد عن ٢١٧٠٠٠ نفس بينما كان كل تعداد سكان القطر المصرى فى ذلك الحين خمسة ملايين من النفوس

وفي يوم ١٧ برمهات سنة ١٥٦٠ ش و ١٨٤٥ م قضى على قبطي بدمياط يدعى سيدهم بشاي كان موظفاً بالاسكندرية في وظيفة كتابية فادعى عليه بعضهم زوراً انه سب الدين الاسلامى وشهد عليه اثنان احدهما بربري والآخر

حمار وبناء على ذلك حكم القاضى الشرعى بجلده فضرب بشدة عظيمة ثم اركبوه جاموسة مقلوباً وطافوا به البلد وهم ينخسونه بالابر والاسياخ الحديدية ويلطمونه بالزفت المغلي حتى وقفوا به امام دار المحافظة وهو على حافة الموت

وبعد ذلك حملوه الى منزله فانكفا أمامه وأخذه أهله فمات بعد خمسة ايام . أما المسيحيون على اختلاف مللهم ونحلهم فقد اعتبروا موته استشهاداً واجتمعوا واحتفلوا بتشييع رفاته احتفالا لم يسبقه نظير . ولبث الناس مدة يتحدثون بفظاعة هذا الامر وقرر المسيحيون رفع مظلمتهم لقناصل الدول ليعرضوا أمرهم على محمد علي باشا وكان أحدهم الخواجا ميخائيل سرور معتمداً لسبع دول فرفع تقريراً وافياً بما حصل للخديوي الذي بعد ان وقف على الحقيقة أمر باعادة التحقيق بالدقة المتناهية فاسفر عن ادانة القاضى والمحافظ نخلعهما من وظيفتيهما ونفاهما ثم خاطب ميخائيل سرور بما تم فطلب منه ترضية للخواطر ان يسمح للمسيحيين برفع الصليب جهاراً أمام جنازاتهم فسمح الخديوى بذلك في الاسكندرية . أما في مصر وغيرها من البلاد فلم يسمح لهم برفع الصليب أمام الموتى الا فى عهد البابا كيرلس الرابع .

(٣) سعيد باشا . ولما تولى مصر عباس باشا الاول سنة ١٨٤٩ م عزم على تقليل نفوذ الاقباط من الدواوين فاختار اربعة من طلبة المدارس الاميرية وسلم كل رئيس ديوان واحداً منهم ليعلموهم مسك الدفاتر ويمرنوهم على الاعمال الحسابية . ثم صمم على طرد الاقباط من البلاد اذا ابوا الاسلام فساد بينهم الخوف والذعر غير ان المنية عاجلته بالقتل وبذا تخلص الموظفون الاقباط من هذه الورطة التى كانوا يحسبون لها حساباً عظيما حتى ان بعضهم لما مضى عليه شهر أو شهران وتحقق في تلميذه عدم الميل للتعلم قال انه لم يبق من عمره سوى عشرة أشهر وهكذا كل مامضى عليه شهر آخر فكان يتوقع الموت على الدوام ويستمد له وتولى مكانه سعيد باشا سنة ١٨٥٤م وكان الاقباط قد انتهوا الى حالة يتمكنون معها على المعيشة مع مواطنيهم المسلمين الا انه حظر عليهم استعمال السلاح منذ قاموا بالدفاع عن انفسهم تحت قيادة الجنرال يعقوب . وكانوا ممنوعين من التجند

خوفاً من خيانتهم للجيش الاسلامى الا ان سعيد باشا أصدر أمراً بضرورة تجنيدهم فاتخذ ذلك بعض المسلمين آلة لاضطهادهم فقبضوا في اسيوط على كل الذكور في أغلب البيوت القبطية وساقوهم للعسكرية ولم يتركوا ولا واحداً منهم لاعالة النساء والاولاد

وكان قواد الجيش المسلمين يستبدون بالعساكر الاقباط ويعاملونهم بقساوة ليعتنقوا الاسلام . فلما رأى ذلك البابا كيرلس الرابع شكى أمرهم الى ذوي النفوذ من موظفي الانكليز في مصر فأرغم سعيد باشا على اعفاء الاقباط من الخدمة العسكرية . قيل وكان ذلك سبب غيظه من البطريرك وسمه اياه . وقد عرض الفرنساويون على البطريرك استخدام نفوذهم في مساعدته بشرط ان يصدر امراً لملك الحبشة ليصرح بدخول اليسوعيين الى بلاده فرفض مساعدتهم وبعد موت البطريرك صارت الحكومة تطرد مئات من موظفي الاقباط

وكان سعيدباشاقدالغى في أيامه دواوين الحكومة ومصالحها واعطى لمستخدميها المستغنى عنهم اطياناً ليزرعوها ويعيشوا منها غير انه لما تولى اسماعيل باشا سنة ١٨٦٣ م واعاد الدواوين والمصالح واستخدمهم فيها أخذ منهم الاطيان

(٤) الاحتلال الانكليزي . وفي ايام توفيق باشا الذي خلف اسماعيل باشا سنة ١٨٧٩ م حضر وفد من قبل ملك الحبشة يحمل هدايا نفيسة للخديوي وللبطريرك ويطلب من توفيق باشا استمرار العلاقات الودية بينه وبين حكومة مصر . وفي سنة ١٨٨٢ م حدثت ثورة عرابي باشا وقام رعاع الاسكندرية بمذبحة عظيمة قاسى فيها المسيحيون كل انواع العذاب فلجأ الاجانب منهم والوطنيون الى بطريركية الاسكندرية وهاجر كثيرون منهم الى داخل البلاد

وفي اثناء ذلك حدثت ثورة المهدي بالسودان وقبل استيلائه عليه تركه النصارى وأووا الى القطر المصري واسقف الخرطوم وبعض الكهنة الذين لم يتمكنوا من الهرب ارغموا على اعتناق الاسلام

وروت مدام بوتشر ان الجنرال غوردون سنة ١٨٨٥ وجد باقياً بالسودان اسقف قبطي من الكنيسة المصرية وكان في ابروشيته سبع كنائس ودير

للراهبات وبعث الجنرال غوردون الاسقف بامان الى القاهرة قبل سقوط مدينة الخرطوم في أيدي الدراويش وبعد ذلك اعتزل الاسقف الخدمة الدينية ولا ريب ان رعيته وكنائسه ذاقوا الويل في عهد المهدي وتوفى الاسقف سنة ١٨٩٧ م .

(٥) الحالة الحاضرة والاقباط الآن في رغد ونعيم وهم في راحة لم يفوزوا بمثلها في عصر من العصور وكثيرون منهم من ذوي الحيثيات والمقامات الرفيعة في البلاد . ولما قامت الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ م انضموا لمواطنيهم المسلمين طالبين استقلال البلاد فقدر لهم مواطنوهم هذه الوطنية العالية واصبح العنصران في حالة تآخ لم تتم في وقت غير هذا . أما عددهم فيبلغ مليوناً واحداً يقيم الآن ثلاثة ارباعه بالوجه القبلي وباقيه في الوجه البحري . والاقباط الارثوذكس فقط يبلغون ٧٥٤٧٧٨ نفساً . المتعلمون منهم ١٤٦٧١٦ وعدد عائلاتهم ١٢٦٥٠ عائلة

القسم الرابع

البدع والانشقاق

ooooooooo

(١) الارساليات الكاثوليكية (٢) الارساليات البروتستانتية

(١) الارساليات الكاثوليكية ـ فصلنا آنفاً المساعى المتواصلة التي بذلها اساقفة الكنيسة الرومانية لاخضاع الكنيسة القبطية لهم وكيف فشلوا فى كل ما سعوا . ولما احتل الفرنساويون مصر من سنة ١٧٩٨ — ١٨٠١ م دخل بدخولهم كثير من الافرنج ولم يتركوها بعد خروج الفرنساويين بل لبثوا يتمتعون بحماية فرنسا . ولما تولى محمد علي باشا مصر سنة ١٨٠٥ — ١٨٤٨ م استخدم من هؤلاء كثيرين في مصالح عديدة وتتابعت الارساليات اللاتينية من فرنشيسكان وفرير وجزويت لبث المذهب الروماني ولكنهم لم ينجحوا

وذكر في كتاب « نوابغ الاقباط ومشاهيرهم » ج ١ : ١١٧ ما يأتي : — « قد سعى فى ايام محمد علي باشا بضم كنيسة مصر الى كنيسة رومية لان التنظيمات الجديدة التي صارت فى مصر كانت بواسطة رجال فرنسا وعلمائهم فلما رأى محمد علي باشا نفسه مغمورة بجزيل معروفهم رام ان يقابلهم بمثله واذ احتار فيما يقوم به نظير ذلك نصحه أحد قواد الجيش وكان بابوياً ان يسعى في ضم نصارى مصر الى كنيسة رومية فيجد بذلك الافرنج فعلا جميلا ومعروفاً يوازي معروفهم فاستدعى المعلم غالي الذى كان كبير الكتاب آنئذ وامره ان يفعل ذلك فوقع في حيص بيص وخاف من وقوع الفتن بين الطائفة فاجاب الباشا قائلا « ان استمالة الطائفة جميعها الى مذهب كنيسة رومية دفعة واحدة لا تنتهى بدون قلاقل وسفك دماء كثيرين فنرى الاحسن ان يكون ذلك بسياسة وتدريب وذلك اننا نعتنق نحن اولا المذهب البابأوي بشرط ان لا نكره على تغيير طقوسنا وعوائدنا الشرقية وبذلك يمكن ان تميل افراد الطائفة رويداً رويداً فقبل الباشا هذا الرأي الأخير واخبر الافرنج ففرحوا وشكروا فعله فانقلب من ثم المعلم غالي وابنه باسيليوس بك ورهط قليل من اشياعهما فى مصر واخميم بابأويين بالظاهر وهم يضمرون انهم بعد حين يعودون الى حضن كنيستهم. ومع ذلك ما زالوا يعتبرون كهنة الارثوذكسيين حق الاعتبار ويعمدون اولادهم عندهم » اه .

غير أن كثلكة المعلم غالي لم تأت بنتيجة فنبذ وأهله من الارثوذكسيين

ولم يتبعه أحد منهم . وأرسل المعلم غالى قبطياً من قبله الى اسقف رومية ليعينه بطريركا على مصر يكون هو واتباعه خاضعين له كل ذلك ارضاء للفرنساويين وتقرباً منهم ليحفظوا له مركزه فى الحكومة المصرية ويخلصوه من المغارم بيد ان محمد على باشا ادرك خطورة هذا الامر في ما بعد وعده تثبيتاً لقدم الافرنج في مصر وعلم ان كثلكة المعلم غالى كانت للغرض المومااليه فكان ذلك من جملة الاسباب التى دعت الى قتل المعلم غالى بزفتى في اوائل مايو سنة ١٨٢٢م

ويعرف اتباع المعلم غالى التابعون الآن للمذهب الرومانى « بالاقباط التبع » واطلقوا على انفسهم اسم « الاقباط الكاثوليك » والحقيقة ان لفظة كاثوليكية ومعناها « جامعة » هى احدى علامات الكنيسة الارثوذكسية الاربع التى هى « واحدة . مقدسة . جامعة . رسولية » وسميت الكنيسة «جامعة» لانها تضم في حضنها جميع الامم بدون استثناء كقول السيد المسيح « اذهبوا وتلمذوا جميع الامم » (مت ٢٨ : ١٩) اما الكثلكة اصطلاحاً فهى التتبع للمذهب اللاتيني ومن ثم فالقبطى الكاثوليكى هو التابع لكنيسة اللاتين الرومانية الفاقد لاستقلاله الدينى (١)

واول بطريرك اقيم على الاقباط التبع هو كيرلس مقار سنة ١٨٩٩ م وحال رسامته بدأ ينشر المنشورات متطاولا فيها على المقام البطريركي الجليل داعياً أبناء الكنيسة القبطية الى الانضمام لاسقف رومية ثم طاف في الوجه القبلى يبث افكاره ويزعج الخواطر بتعاليمه فاضطر البابا كيرلس الخامس الى مقاومته وردعه فحرر منشوراً يحذر فيه ابناءه من الانقياد لهؤلاء القوم مذكراً اياهم بجهاد آبائهم فى حفظ ايمانهم ودفاعهم عنه الدفاع الجليل الذى رفع شأنهم وخلد ذكرهم

فباء كيرلس مقار بالخيبة اذ لاقاه ابناء الكنيسة بالاستياء وعنفه بعضهم في قنا فعاد الى القاهرة يجر خلفه أذيال الخزي والعار . وقد عز عليه ذلك فسافر برسالة من رئيسه ساكن قصر الفاتيكان الى نجاشي الاحباش منليك الثاني في مهمة ظاهرها سياسية يطلب اطلاق سراح الاسرى الايطاليين وباطنها السعى لدى منليك لادراك بعض المزايا الدينية فتخوف بعض كبار الاقباط من هذا

---

(١) مختصر تاريخ الامة القبطية ص ٦٩ و ٧٠

الامر ولبثوا في قلق حتى قدم كبير حبشي من بلاده الى الدار البطريركية فسئل عن الحقيقة فاجاب « لاتخافوا لاننا نفضل ان نرى الموت الاحمر من ان نغير عقيدتنا الارثوذكسية » ثم قال « حدث في عهد مليكنا السابق يوحنا ان شذت فيئة واعتنقت المذهب الكاثوليكى وشيدت لها كنيسة فلما علم بهم أمر بقتلهم وهدم كنيستهم وهدد كل حبشي يعتنق ذلك المذهب بالموت ومن ذلك الحين وبلادنا نظيفة من ذلك المذهب »

وقد تحقق هذا القول فلم يفلح كيرلس مقار في مهمته مع ما تجشمه من الصعاب والاهوال فكان له ذلك عظة وعبرة وأدرك انه أخطأ فى ترك عقيدة آبائه الارثوذكسية وجاهر بذلك امام كثيرين من أصدقائه الاخصاء الذين أسر لهم نيته في العودة الى الكنيسة الاصلية فشاعت هذه الاخبار وبلغت مسامع اسقف رومية فعزله وعين آخر مكانه ومن ثم عزم على وضع كتاب فى صحة العقيدة الارثوذكسية وموافقتها لاحكام المجامع المسكونية الثلاثة كل الموافقة بدون أقل انحراف فتوسط لديه كثيرون من قبل اسقف رومية لكي يمنع نشره أو يؤخره ولكنه نشره بالفرنساوية ودعاه «الوضع الالهى في تأسيس الكنيسة» نفى فيه عصمة البابا ورئاسته وأثبت فضل الكنيسة الارثوذكسية وأتى هذا الكتاب بنتيجة حسنة فانضم عقب ظهوره عدة عائلات من الاقباط الكاثوليك الى كنيستهم الاصلية نخص منهم بالذكر عائلة القمص بطرس المتر وعائلة الاشقر وعائلة نصر الله عريف وهذه العائلات الثلاث وحدها تشمل نحو مائة وخمسين نسمة

والغريب انه بعد ظهور هذا الكتاب أقام الاقباط التبع لكيرلس مقار بعد وفاته جنازاً عاماً فى كل الكنائس ومدحوه مدحاً زائداً ناسين انه بكتابه استنكر قيام كنيسة خاصة منهم منفصلة عن كنيستهم الارثوذكسية

(٢) الارساليات البروتستانتية . دخل المذهب البروتستانتي الى مصر في منتصف القرن التاسع عشر عند ماجاء مرسل امريكاني يدعى الدكتور لانسن وأقام بالاسكندرية وجاء بعده مرسل اسكوتلندي هو الدكتور يوحنا هوج وبعد ما لبثا بالاسكندرية مدة أخذا يطوفان البلاد راكبين النيل يدعوان الى

مذهبهما . وفي سنة ١٨٦٢ م جعلا موضع تبشيرهما القاهرة . وبعد ذلك انطلق الدكتور هوج الى اسيوط سنة ١٨٦٥ واتخذها مقر عمله واستطاع ان يؤسس بها كنيسة بروتستانية سنة ١٨٦٧ م

وذكر في كتاب «الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة» ان بعض البروتستانت تجرأوا في اسيوط على الهجوم على كنيستها ليلا وكسروا ايقوناتها فشكاهم البابا ديمتريوس الثاني للخديو فاصدر أمراً بنفيهم الى البحر الابيض فالتجأوا الى قناصل الدول طالبين حمايتهم فلبت طلبهم ودفعت عنهم قصاص النفي فكان ذلك داعياً الى زيادة البروتستانت ولاسيما في اسيوط » وانشق من المذهب البروتستانتي مذاهب أخرى كالبلموسي والاصلاحي والسبتي والرسولي والخافي وغيرها

الخاتمة

بين الماضي والحاضر

٠٠٠٠٠٠

(١) الابروشيات (٢) الكنائس (٣) الأديرة (٤) اللغة القبطية (٥) الوعظ والمدرسة الاكليريكية

٠٠٠٠٠٠

(١) الابروشيات . كثرت الابروشيات في القطر المصري بكثرة عدد المؤمنين

حتى بلغت ١٦٨ ابروشية في القرن الثامن ثم اخذت تتناقص الى ان صارت ١١٠ فى القرن العاشر حسب جدول جرجس بن مسعود الشهير بابى المكارم ثم الى ٥٢ في القرن الحادى عشر والثانى عشر واليك أسماؤها . أولا — في الوجه البحرى ـ ١ ـ سخا ـ ٢ ـ تنيس ـ ٣ ـ تلبانة ـ ٤ ـ ابوصير ـ ٥ ـ منوف ـ ٦ ـ نوسا ـ ٨ ـ نمروه ـ ٨ ـ بنبا ـ ٩ ـ دمنهور ـ ١٠ ـ سرسنا ـ ١١ ـ اتريب ـ ١٢ ـ سمنود ـ ١٣ ـ دمياط ـ ١٤ ـ دميرة ـ ١٥ ـ سهرجت ـ ١٦ ـ طنطا ـ ١٧ ـ البرلس ـ ١٨ ـ صا ـ ١٩ ـ خربتا ـ ٢٠ ـ مصيل ـ ٢١ ـ رشيد ـ ٢٢ ـ بلبيس ـ ٢٣ ـ قطور ـ ٢٤ ـ دقيرة ـ ٢٥ ـ و ـ ٢٦ ـ الواحات ـ ٢٧ ـ سنجار

ثانيا في الوجه القبلى ـ ٢٨ ـ اطفيح ـ ٢٩ ـ اهناس ـ ٣٠ ـ القيس ـ ٣١ ـ طحا ـ ٣٢ ـ انصنا ٣٣ ـ اسيوط ـ ٣٤ ـ قاو ـ ٣٥ ـ البلينا ـ ٣٦ ـ القصير ـ ٣٧ ـ طمويه ـ ٣٨ ـ الفيوم ـ ٣٩ البهنسا ـ ٤٠ ـ الاشمونين ـ ٤١ ـ قسقام ـ ٤٢ ـ شطب ـ ٤٣ ـ اخميم ـ ٤٤ ـ هو ـ ٤٥ ـ ارمنت ـ ٤٦ ـ اسنا ـ ٤٧ ـ دندرا ـ ٤٨ ـ اسوان ـ ٤٩ ـ قوص

وكان في مصر ثلاث ابروشيات ـ ٥٠ ـ مصر ـ ٥١ ـ الجيزة ـ ٥٢ ـ الخندق

وما يأتى ننقله عن كتاب « خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر » « واستمرت الابرشيات فى التناقص الى ان باتت ١٧ ابروشية فقط فى القرن السابع عشر وهى الآن ١٤ ابرشية كما يؤخذ من الجدولين الآتيين : —

فى القرن السابع عشر	فى القرن العشرين
(١) الاسكندرية ـ ٢ البحيرة ـ ٣ منوف	١ ـ صارت الآن هذه الابروشيات الثلاث يرأسها مطران مقره الاسكندرية وهى ابروشية الاسكندرية والبحيرة والمنوفية وبعض مدن في مديرية الغربية والاديرة البحرية
٤ — دمياط والمنصورة ٥ — بلبيس ٦ — اطفيح	٢ ـ صارت ابروشية واحدة يرأسها مطران مقره المنصورة وهى ابروشية القليوبية والدقهلية

	والغربية والشرقية والقنال والاراضى المقدسة وتدعى ابروشية الكرسى الاورشليمى
٧ — الفيوم	٣ ـ صارت اسقفية الفيوم والجيزه يرأسها اسقف مقره الفيوم
٨ — البهنسا	٤ ـ الآن ابروشية بني سويف والبهنسا يرأسها مطران مقره بني سويف
٩ ـ الاشمونين ١٠ ـ ملوي	٥ ـ الآن ابروشية المنيا والاشمونين يرأسها مطران مقره المنيا
١١ — قسقام	٦ — الآن ابروشية صنبو وقسقام يرأسها مطران مقرد صنبو
١٢ — منفلوط	٧ — الآن ابروشية منفلوط وابنوب يرأسها اسقف مقره منفلوط
١٣ — اسيوط	٨ — الآن ابروشية اسيوط يرأسها مطران مقره اسيوط
١٤ — ابو تيج	٩ — الآن ابروشية ابي تيج يرأسها مطران مقره ابو تيج
١٥ — طما	١٠ — الان ابروشية مركز جرجا وبندره بجوره وفرشوط يرأسها مطران مقره جرجا
١٦ — جرجا	١١ — ابروشية اخميم وتشمل مركزى اخميم وسوهاج يرأسها مطران مقره اخميم
	١٢ — ابروشية البلينا وتشمل مركز البلينا يرأسها مطران مقره البلينا
١٧ — نقاده	١٣ — ابروشية قنا يرأسها مطران مقره قنا
	١٤ — ابروشية اسنا يرأسها مطران مقره اسنا

(٢) الكنائس . كانت الكنائس القبطية عقب دخول المسيحية مصر رغماً عن اضطهاد الوثنيين لمعتنقي تلك الديانة حتى بلغ عددها عند دخول

الاسلام مصر زهاء ال ١٥ الف كنيسة . غير انها لبثت تتضاءل تحت عنفوان التخريب والتدمير وتحويلها الى مساجد حتى انتهى عددها الان الى ٥٤٦ كنيسة بالقطر المصري و ١٠ كنائس بكرسي النوبة . ويجدر بنا ان نذكر هنا ماقاله المستر بتلر المؤرخ الانكليزي عن الكنائس القبطية في مؤلفه عنها : —

« واذا انت طفت الكنائس المصرية ودخلت اصغر واحقر كنيسة من الكنائس رأيت علامات الرجاء والامل تبدو على جدرانها وقلما شاهدت فيها صورة تشير الى جهنم أو الى عذاب مقبل بل قلما تجد فيها تمثال جمجمة باهتة ولاهيكل عظام عار مما يشير الى آلام وسقام ولكن ترى شهداءها تبتسم تماثيلهم المرسومة على الجدران كأن ماقاسوه من العذاب والاضطهاد لم يكن شيئاً يذكر بل اصبح نسياً منسيا . وهنالك نشاهد القديسين الابطال مصورين بشكل يدل على انهم قتلوا ثعبانا أو أحد رؤساء هذا العالم الشرير دون ان يجدوا في قتله عناء يذكر اما آلامهم واوجاعهم فليس لها اثر في ذلك الرسم كما لاتجد صورة تمثل الخاطىء بعد موته مما تشمئز منه النفس وتنكمش لمرآه الروح » اه

(٣) الاديرة . وقد بلغت في العصور الاولى بضع مئات ولكن جلها قد اندثر ولم يبق منها غير سبعة اديرة منها اربعة بوادي النطرون وهي . دير العذراء بالبرموس ، ودير العذراء المعروف بدير السريان ، ودير انبا بشوى ، ودير انبا مقار ، وثلاثة بالوجه القبلي وهي . دير انبا انطونيوس ، ودير انبا بولا ، ودير العذراء بالمحرق ، وتوجد بالقاهرة خمسة اديرة للراهبات هي . دير ماري جرجس ، ودير ابي سيفين بمصر القديمة ، ودير الامير تادرس بحارة الروم ، ودير مارجرجس ، ودير العذرا بحارة زويلة

(٤) اللغة القبطية . اما عن اللغة القبطية فقد ذكر ابو المكارم في تاريخه عادة وهي لاتزال جارية في اسنا وهي ان المسيحيين يحضرون في اعراس المسلمين ويرأسون زفاف العريس في الشوارع ويتلون نصوصاً وحكما باللغة القبطية الصعيدية . وكان اهالي منقباد منذ ١٣٠ سنة يتكلمون بالقبطية وروي ان سيدة قبطية غطست طفلا لها في نهر النيل وقالت بالقبطية ما معناه « هذا هو ابني الحبيب الذي به

مررت» فسمعها احد الحكام وظن انها تسبه فاستصدر أمراً بعدم جواز استعمال هذه اللغة . وكانت عدد القبانية بالمديريات منذ نحو ثلاثين سنة مرسوماً عليها الارقام القبطية .

الا ان هذه اللغة نهضت بعد كبوتها في منتصف الجيل التاسع عشر فنبغ فيها كثيرون منهم عريان افندى جرجس مفتاح المتوفي سنة ١٨٨٨ م والايغومانوس فيلوثاؤس رئيس الكنيسة الكبرى والقمص تكلا والمعلم قزمان وبرسوم افندى الراهب فى زمن رئاسة البابا كيرلس الرابع فوضعوا فيها كتباً نافعة ونبغ فيها ايضاً القمص عبد المسيح المسعودي واقلوديوس بك لبيب والدكتور ابرهيم حلمى ونجيب افندى سمعان ولا يزال نهوضها بطيئاً لضعف الروح القومية في نفوس الاقباط

(ه) الوعظ والمدرسة الاكليريكية . بعد انقطاع صوت الوعظ من كنيستنا مدة ١٤٠٠ سنة لداعي تعطيل المدرسة اللاهوتية الاولى التي انشأها مارمرقس الرسول رأى غبطة البابا كيرلس الخامس حاجة الكنيسة والأمة لهذه المدرسة فأنشأها للمرة الاولى سنة ١٨٧٥م وكان طلابها من رهبان الاديرة فلم يقبل عليها منهم الا النذر اليسير ولم تعش أكثر من بضعة شهور ثم اعيد افتتاحها من جديد فى سنة ١٨٩٣م واختير لها اثنا عشر طالباً من طلبة المدرسة الكبرى وقتئذ واسندت رئاستها للطيب الذكر المرحوم يوسف بك منقريوس وتقرر ان تدرس فيها اللغات القبطية والعربية والانجليزية والرياضة . وكان مركز المدرسة سنة افتتاحها بالفجالة (مكان مدرسة البنات الان) وبعد سنة انتقلت الى الدار البطريركية ثم الى دار في سوق القبيلة واعيدت الى الدار البطريركية . وبعد ذلك اشتريت لها سراي مهمشة في سنة ١٩٠٢ م وانتقلت المدرسة اليها في سنة ١٩٠٤ م ثم اعيدت ثالثة الى الدار البطريركية واخيراً نقلت نهائيا الى مهمشة فى سنة ١٩١٢م ولا تزال بها الى الان وقد اندمج ضمن طلابها في خلال هذه المدة نحو ٤٠٠ طالب والذين تخرجوا منهاهم الذين يرون الان في الكنائس والجمعيات والمدارس قسوساً وشمامسة ووعاظاً ومعلمين للدين والذين لولاهم لبقيت الكنيسة كما

كانت قبل انشاء المدرسه الاكليريكية خالية من الوعظ والتعليم والمؤلفات الدينية
وفي سنة ١٩١٨ توفي يوسف بك منقريوس فاسند غبطة البابا رئاستها
لحضرة اللاهوتي البارع الشماس حبيب افندي جرجس أول خريجي للمدرسة
فنجحت في عهده نجاحاً باهراً وتقدمت تقدماً محسوساً ينبيء بانها تسمى بخطى
واسعة لاعادة مجدها السالف . ولصاحب هذا الكتاب الفخر بانه أحد الذين تخرجوا
في اول سنة من عهد رئاسة هذا الشماس الفاضل سنة ١٩٢٠م (انتهى)

« نيافة الاب الجليل والحبر النبيل الانبا توماس مطران كرسي المنيا والاشمونين »

هو الرجل العظيم الذي قام باعمال جليلة جعلت لكنيسته مقاماً عالياً . تغنينا
عن اذاعة فضله تلك الكنائس والمدارس المديدة التي شيدها والتي تشهد له بانه
ممن يهتمون بالباقي لا بالفاني . هذا فضلا عن تشجيعه للعلم واهتمامه بنشر الوعظ

في دائرة ابروشيته حتى يصح ان يقال انه ما من مشروع علمى نافع للكنيسة الا وله اليد الطولى في انجازه أمد الله في حياته وجعله قدوة للاخرين فى خدمة الصالح العام



« حضرة اللاهوتي البارع حبيب افندي جرجس ناظر المدرسة الاكليريكية »

هو أول من رفع صوت الوعظ عالياً فى كنيستنا بعد انقطاعه مدة أجيال طويلة وقد أنجب تلامذة كثيرين يعلو صوتهم بالوعظ فى أغلب مدن القطر . وهو يبذل فى كل يوم من جهده وقوته ليرفع شأن أمته بمواهبه العلمية . وتغنينا مجلة الكرمة الذائعة الصيت ومجهوداته العظيمة فى اصلاح المدرسة الاكليريكية عن الأطناب والمدح . أبقاه الله لخير كنيسته وأعانه على اتمام ما يحمل للكنيسة فى صدره من الأماني المقدسة

اصلاح الخطأ

جاء بص ٤ سطر ٤ وبكثرة وصحتها وبشجرة و٢٣ : ١٤ بعض « بعضها » و٣١ : ١٢ يذكروا « يذكرا » و٣١ : ٢٣ يكتفي « يكتف » و٣٣ : ٢٥ رأسيهما « رأساهما » و٤١ : ١٤ عوملوا « عوملا » و٥٧ : ٤ يهدون . يرشدون « يهدوا ويرشدوا » و٦٣ : ٧ و٨ و ٦٣ : ١٤ و ١٢ باسيليوس « باسيليدس » و٧٠ : ١٣ ترضى « ترضين » و٨٤ : ٧ ينكر فيه « يشكر فيها » و١٠٠ : ٩ علي بالطمن « على الطعن » و١٠١ : ١٢ أنفسكما « نفسيكما » و ١١١ : ٩ صامتين « صامتون » و١١٩ : ١٧ كتاب « كتاباً » و ١٣٨ : ٢١ رجوعاً « رجوع » و ٢٣٥ : ٣ المضطهدين « المضطهدون » و٢٦٥ : ٤ كل « كلا » و٢٨٥ : ١ و٢٨٩ : ١٠ الاثني « الاثنا » و ٣١٣ : ٨ مليوناً واحداً مستخبراً « مليون واحد مستخبر » و ٣٠٩ : ١١ مندريو « مندوبي » و٣٥٥ : ١٧ انسان « انساناً » و٥٢٦ : ١٨ الثلاثة « الثلاث » و٥٦٤ : ١٢ شديدين « شديدان » و٦٨٨ : ١٨ طائل « طائلا »

هذا الا غير مالا يخفى على المطالع الفطن

OOOOOO